

إبدائق الوردية  
في  
جقائق أجلاء القشبية  
عبد المجيد بن محمد الخاني

دار ئاراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

\*

**صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين**

**رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب**

\*\*\*

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - حي خانزاد - اربيل - كُردستان العراق

ص.ب رقم: ١

إبدائق الوردية  
في  
حقائق أجلاء النقشبندية

تأليف  
عبدالمجيد بن محمد الخاني  
رحمته الله تعالى

اسم الكتاب: الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية  
تأليف: عبدالمجيد بن محمد الحاني  
من منشورات تاراس رقم: ١٦٦  
التصميم والإخراج الفني: شاخوان كركوكي  
الغلاف: شكار عفان النقشبندي  
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده  
تنضيد وتصحيح: عبدالرزاق عبدالله  
الإشراف على الطبع: عبدالرحمن محمود  
الطبعة الثانية: مطبعة وزارة التربية - أربيل ٢٠٠٢  
رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في أربيل: ٢٠٠٢/٣٨٣

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله الذي أظهر من بطون الشؤون الى أعيان الثبوت ماكان ويكون من عالم الملكوت ثم أنشأه خلقاً آخر في مراتب التكوين ، فتبارك الله أحسن الخالقين والصلاة والسلام على نبي الصلاة والسلام مرآة شمس الذات جامع الأسماء والصفات والد العالم في دولة الكيان والظهور وسيد ولد آدم يُخرجهم من الظلمات الى النور :

وما مصدر الأشياء إلا محمد  
وناهيك طول المدم فيه قـصـورُ  
بدائرة التكوين قطبُ جماله  
عليه جميع الكائنات تدورُ

وعلى أول التمكين في التلوين من ال عبائه وأحبائه المؤدّين حق الدين قياماً بأعبائه ماسبّ لله ملك أو سبّ نجم في فلك .  
وبعد :

فيقول ذنوب الذنوب وعيبة العيوب الحقير الفاني عبدالمجيد ابن محمد بن عبدالله الخاني الخالدي النقشبندي ؛ اني منذ تشرفت قبل بلوغ السن بسنين بتلقي الطريقة العلية الخالدية النقشبندية عن قبلة العلماء العاملين وقلب الأولياء الكاملين المتمكن في مقام الفرق الثاني سيدي الجد الأجد الشيخ محمد الخاني قدس الله تعالى سره ورفعته عنده على أعلى الأسرة ، وسمعت أسماء سادات سلسلة الطريقة الجليلة جعلت أتشوف للوقوف على تراجم أحوالهم المقدسة مدة غير قليلة . واذ لم أرها مجتمعة باللغة العربية في كتاب واحد لأن أكثرهم من بلاد الفرس والهند وتلك المعاهد ، عزمت وما أنا للعزم بالف سنة ثلاث وثلاثمائة وألف على أن أجمع أحوال من ترجموه وأخدم بالترجمة من لم يخدموه بادئاً بالمبدأ الفياض وخاتماً بسيدي الوالد ، راجياً منه تعالى في ذلك تقدير التيسير وهو على جمعهم إذ يشاء تقدير . فاستحضرت تلك الخدمة كتباً مهمة جمة مثل "طبقات الأولياء" للعارفين الشيخ عبدالوهاب الشعراوي والشيخ عبدالرؤوف المناوي و"مجمّع الأحاب مختصر الحلية" لشمس الدين محمد بن الحسن الحسيني النقشبندي و"النفحات" للعارف الكبير ملا عبدالرحمن الجامي النقشبندي ، وهو فارسي ترجمه الشيخ محمود البروسوي الى التركية وعربيه الشيخ تاج الدين زكريا العثماني النقشبندي ، و"رشحات عين الحياة" للشيخ علي بن حسين الواعظ المشهور بالصفّي وهو فارسي أيضاً ترجمه للتركية المولى المعروف الشريف العباسي وعربيه الشيخ تاج الدين المشار اليه ، و"مقامات سيدنا الشاه النقشبندي" التي جمعها أحد أجلاء أصحابه الشيخ صلاح بن المبارك بالفارسية وعربها الشيخ أحمد بن علان الصديقي المكي ، ومكتوبات الإمام الرباني بالفارسية ، ومعرّيات بعضها للشيخ يونس بن عبدالرحمن الإيراني النقشبندي وترجمتها التركية بقلم المولى سعدالدين سليمان بن محمد القسطنطيني المشهور بمستقيم زاده وتعريب بعضها ، وبعضها مكتوبات والده المسمى بـ"كنز الهدايات" للمولى محمد ابن ولي الدين الحفظي أحد أصحابه الكرام ، وتاريخ العلّامتين ابن خلكان والمحبّي و"شرح مفتاح المعية" للعارف الشيخ عبدالغني النابلسي ، و"مقامات الشيخ حبيب جان جانان" مظهر تأليف العارف العلوي الشيخ عبدالله الدهلوي ،

و"خلاصة الجواهر العلوية" في ترجمة الشيخ عبدالله المومى اليه للشيخ عبدالغني المعصومي ، و"البهجة السنية" لسيدي الجد الأمد ، و"الحديقة الندية" للشيخ محمد بن سليمان البغدادي أحد أجلأ أصحاب مولانا خالد ، و"الأساور العسجدية" للشيخ حسين الدوسري أحد خلفائه ، و"أصفي الموارد من سلسال أحوال مولانا خالد" للشيخ عثمان بن سند النجدي البغدادي ، و"سلُ الحسام الهندي" للعلامة الشيخ السيد محمد بن عابدين ، و"المجدُ التالد" للشيخ إبراهيم فصيح البغدادي الحيدري ، و"المقامات السعيدية" للشيخ مظهر المعصومي مستعيناً في ترجمة الفارسي والتركي بمن له تمام الوقوف على اللغتين غير معول على الإقتداء بعبارة المتعربين ، لأن أكثرهم من الفرس المتعربين .

والتزمتُ عند ذكر كل ذات منهم رضي الله عنهم سرد خلفائه قدر الإمكان ولم أترجم أحوالهم لعدم وجود المواد الموصلة الى المراد . ومع ذلك فقد شدَّ عني من رجال السلسلة إثنان ؛ وهما سيدنا الدرويش محمد ونجله الشيخ محمد الخوجكي الأمكنكي ، فاني لم أقف لهما على ترجمة في مكان . فأرجو ممن ألمَّ بترجمتهما أن يلحقها تحت إسمهما . فجاه والله الحمد كتاباً موفياً بالعهد في عهد أمير المؤمنين وظل الله على العالمين فخر ملوك السريبر العثماني (السلطان الغازي عبدالحميد خان الثاني) أنام الله الأنام في ظل أمانه وسلم تعالی علم الإسلام بنفوذ شوكة سلطانه وأدام إنبساط بساط عدالته على كافة رعيتة جلالته أمين :

ربُ السموات العظيم الشان	بالمصطفى المبسوث بالقرآن
أيد بايدي الأولياء المُجتبي	سلطاننا عبدالحميد الثاني
واحفظ على عرش السعادة ذاته	ذات السعادة مظهر الرحمن
واجعل مواضيه على هام العدا	مشحوظة بالساعد العثماني
وألحظ بأرواح الملائكة السملا	توفيقه في السر والإعلان
وأدم لواء الدين منشوراً بما	يرضاه منصوراً على الأقران
ترعى رعيتهم بظلم أمانهم	في روض صولة دولة الإيمان
ماأشرقت شمس العدالة من حمى	أعتابه في كامل الإكوان

وسمّيته "الحقائق الوردية في حقائق أجلأ النقشبندية" وهو بحساب الجمل تاريخ العام الذي به تكمل ، والله أسأل وإليه أتوسل بالنبي وبنيه أن يدنيه من كل نبيل نبيه ويعيذ مافيه من شر كل سفيل سفيه ، إنه ولي الهداية في البداية والنهاية .

## (طليعة)

(إعْلَمْ) أن الطريقة العلية النقشبندية قدّس الله أسرار سرّاتها النديّة هي طريقة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على أصلها لم يزيّدوا فيها ولم يُنقصوا منها . وهي عبارة عن دوام العبودية ظاهراً وباطناً بكمال التزام السنّة السنية والعزيمة العظيمة وتام اجتناب البدعة والرخصة في جميع الحركات والسكنات ومن عادات ومعاملات مع دوام الحضور مع الله تعالى عن طريق الذهول والإستهلاك . فهي طريق الإنصباف والانعكاس بكمال إرتباطهم حباً مع هذه المُجاهدة الزكيّة المستورة يستوي في استفاضتها الشيوخ والشبان وفي إفاضتها الأحياء والأموات . ونهايتها مندرجة في بدايتها وبدايتها نهاية غيرها ، لما فيها من إنجذاب المحبة الذاتية مما فضّل به واسطتها الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه . ولها أصلان أصليان من أعطيها أُعطي كل شيء ؛ كمال إتيان النبي صلى الله عليه وسلم ، ومحبة الشيخ الكامل . لكنها ليست توجد بالتكلف ، بل التكلّف فيها زندقة . وإنما هي من أعطاه الله تعالى يَمُنُّ بها على مَنْ يشاء من عباده . فالصحة بشروطها مع هذيت الأصلين كافية للانعكاس والإنصباف .

(قال) بعض أكابر علماء الظاهر والباطن من شُرّاح الحِكَم العطائية عند قول الممتن : "لاتترك الذكر لعدم حضورك مع الله تعالى . إن حقيقة الذكر هو طرد الغفلة وله مراتب : الأولى ذكر اللسان وله شواهد في الكتاب والسنّة . فالزم يا أخي ذكر اللسان حتى تتصل وتتشرّف بذكر الجنان وهو المرتبة الثانية من مراتب الذكر في بعض الطرق . وهذه المرتبة هي أول مراتب السادة النقشبندية رضي الله تعالى عنهم أجمعين . فأول قدم يضعونه في الذكر القلبي ، ولكن لا يعرف ذلك إلا منهم ولا يمكن السالك من الرسوخ في هذه القدم إلا بهم . أه" . فاقصدهم واستنشق عُرْف الطيب لعلك تظفر بواحد منهم ، فتفوز بهذا الجوهر النفيس تشمُّ من أنفاس الطريق ما لا يخطر بباله ويزول عنك التلبيس ، فإن طريقتهم أسهل الطرق الموصلة الى الله تعالى وليس فيها كثرة جوع ولا كثرة سهر ، بل إعتدال يصحبها . وخلوتهم في جلوتهم ، فكلُّ مجتمّع لهم زاوية . يحضرون في المجالس وقلوبهم مع مولاهم حاضرة ومن السوى خالية . فهم ممن قال تعالى في شأنهم (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) وما أحسن ما كانت تنشده السيدة رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها في هذا المعنى :

ولقد جعلتك في الفؤاد مُحدّثي      وأبحتُ جسّمي من أراد جلوسي  
فالجسّم منّي للجليس مؤانس      وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

ومنّ لم يصل فعلية بالتصديق والإيمان لتحصل له الولاية الصغرى ، كما قال سيّدنا الجنيد رضي الله عنه : "التصديق بطريقتنا هذه ولاية صغرى" ، وكما قيل :

وإذا لم ترّ الهلال فسلم      لأناس رأوه بالأبصار

(ثمّ) السالكون على قسمين ؛ سالكٌ مجذوب ومجذوبٌ سالك :

فالأول ؛ يشهد الآثار ثم يستدلُّ بها على الأسماء ويستدلُّ بالأسماء على ثبوت الأوصاف ، وثبوت الأوصاف على وجود الذات . لأنه محالٌ أن يقوم الوصف بنفسه . وهذا شأن العموم ، وأكثر ما في الكتاب والسنّة

يشير الى ذلك كقوله تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات) .  
والثاني ؛ يشهد الذات أولاً وينكشف له ما يليق باستعداده ثم يرد الى شهود الصفات ثم يرجع الى التعلق  
بالأسماء ثم الى شهود الآثار ، عكس ما كان السالك الأول عليه . فنهاية السالك المجذوب بداية المجذوب  
السالك لابعنى واحد . فإن مراد السالك المجذوب شهود الأشياء لله تعالى ومراد المجذوب السالك  
شهود الأشياء بالله تعالى .

فالأول عامل بتحقق الفناء والمحور الثاني مسلك بطريق البقاء والصحو . ولما كان شأن الفريقين  
النزول في تلك المنازل المذكورة لزم منه التقاؤهما في السير هذا في الترقى وهذا في التذلي . ومن هنا  
نعلم أن المجذوب السالك أعلى من السالك المجذوب لإشتراكهما في العبور في المنازل ، وزيادة المجذوب  
بأنه يشهد الأشياء بالله تعالى . وهذا أعلى ممن يشهدهما لله تعالى كما لا يخفى . وأيضاً إن السالك  
المجذوب ينتهي الى الفناء وهذا ينتهي الى البقاء والصحو بعد الفناء ، وهذا أكمل من الأول لأنه مقام  
الأنبياء وورثتهم من المرشدين المكملين ، إذ مقام الإرشاد لا يصح إلا لمن تحقق بالبقاء بعد الفناء . فلا بد  
للقسم الأول من الرجوع الى هذا المقام حتى يصح منه الإرشاد . وغالب طريقة السادة النقشبندية تقدم  
الجدبة على السلوك وهذا يعرفه من ذاق طريقهم . فاجتهد أيها الإخ في تحصيلها تكن من الملوك .

والطرائق وإن استوت كلها بالدلالة على الله تعالى ، لكنها لم تختلف وتفاوتت بالنسبة لأقربية الدلالة  
والوصول الى الله تعالى . فأقرب الطرائق وأسهلها على المرشد للوصول الى أعلى درجات التوحيد هذه  
الطريقة العلية النقشبندية قدس الله أسرار سرائرها الندية . لأن مبنائها على التصرف والبقاء الجذبة  
المقدمة على السلوك من المرشد الداخل تحت وراثته صلى الله عليه وسلم في قوله : " ماصب الله في  
صدري شيئاً إلا وصيبتُهُ في صدر أبي بكر " ، الذي هو واسطة هذا العقد ومؤسس هذا المجد رضي الله  
تعالى عنه وعلى إتيان السنة واجتناب البدعة والأخذ بالعزائم والتخلي عن الرذائل والتخلي بمحاسن  
الأخلاق والفضائل . وهذا معنى قول إمامنا بهاء الدين الشيخ محمد الأويسى النجاري المعروف بشاه  
نقشبند قدس الله سره العزيز المعرض على طريقتنا على خطر من دينه ، وقوله رضي الله عنه :  
" طريقنا أقرب الطرق الى الله تعالى " ، وبه تعلم أن مانقله بعض أهل العصر عن السويدي وأقره من  
اعتراضه على السادة النقشبندية بأن قولهم طريقنا أقرب الطرق الى الله تعالى مُشعرُ بالمكان ساقط من  
أصله وناشيء من عدم الوقوف على حقيقة طريقة أهلنا ، فلا يعول عليه . ولله در مولانا العارف الجليل  
الشيخ ملا عبدالرحمن الجامي النقشبندي حيث يقول من أبيات له فارسية في مدح هذه الطريقة العلية :

كه برندازه پنهمان بحر م قافلسم را  
ميبرد وسوسه خلوت و فكر وچلم را  
روبة از حيلة چة سان بكسلد اين سلسلرا  
حاش لله كه برارم بزبان اين كلم را

نقشبندية عجب قافلة سالا رانند  
از دل سالك ره جاذبه صحتشان  
همه شيران جهان بستة اين سلسله اند  
قاصري كرزند اين طائفة را طعن قصورا

وقد عربتها فقلت :

يحل ركب الهدى بالسر في الحرم  
هم الرياضات والخلوات بالهم  
يحتال ثعلبة في حل نظمهم  
فحاش لله أن يجري بذلك فمي

للقشبندية العلم العجيب بما  
تمحو بصحبتتها عن قلب سالكما  
لها سلاسل من نظم الأسود فهل  
ينسب القاصر الفهم القصور لها



## تخلص

قال العارف الرباني الشيخ عبدالوهاب الشعراني قدس الله سره العزيز في كتابه "مدارج السالكين":  
"اعلم أيها الطالب المرید وفقنا الله وإياك لمرضاته أن من لم يعلم آباءه وأجداده في الطريقت فهو  
أعمى وربما انتسب لغير أبيه ، فيدخل في قوله صلى الله عليه وسلم - لعن الله من انتسب لغير  
أبيه . وقال سيدي عمر بن الفارض رحمه الله تعالى :

نسب أقرب في شرع الهوى      بيننا من نسب من أبوي

وذلك لأن الروح أصف بك من حقيقتك . فأبو الروح يليك وأبو الجسم بعده . فكان بذلك أحق بأن  
ينتسب إليه دون أبي الجسم . وقد درج السلف الصالح كلهم على تعليم المريدين آداب آبائهم  
ومعرفة أنسابهم ، وأجمعوا كلهم على أن من لم يصح له نسب إلى القوم فهو لقيط في الطريقت لا  
أب له ولا يجوز له التصدر والجلوس لإرشاد المريدين إلا بعد أخذ آداب الطريقة عن شيخ كامل مجتم  
على جلالته وخبرته في الطريقت ، ثم يؤذن له صريحاً بأن يرشد ويلقن ويلبس الخرقة على شروط  
ماكان عليه السلف رضي الله عنهم ."

الى أن قال :

"واعلم يا أخي أن السر في التلقين إنما هو لإرتباط القلوب بعضها الى بعض الى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم الى حضرة الله عز وجل . وأقل ما يحصل للمريد إذا دخل في سلسلة القوم بالتلقين أن  
يكون إذا حرك السلسلة تجاوبه أرواح الأولياء من شيوخه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى  
حضرة الله عز وجل . فمن لم يدخل في طريقتهم بذلك فهو غير معدود منهم ولا يجيبه أحد إذا حرك  
السلسلة . انتهى ."

فهذا أعظم باعث لي على جمع هذه التراجم من السنة سادات العرب والأعاجم ليكون الولد الروحي على  
بصيرة من أمر والده وجهه ، فيزداد نشاط همته وجهه .

## تمهيد

(علم) أن للطريقة العلية الخالدية ثلاث سلاسل أذكرها على طريق التدلي موافقة لمزاجها العالي .

### السلسلة الأولى

هي السلسلة المتصلة من مدينة العلم صلى الله تعالى عليه وسلم الى بابها الأعظم سيّدنا الإمام علي بن أبي طالب الى سيّد الشهداء أبي عبدالله الإمام الحسين الى سيّدنا الإمام زين العابدين علي الأصغر الى سيّدنا الإمام محمد الباقر الى سيّدنا الإمام جعفر الصادق الى سيّدنا الإمام موسى الكاظم الى سيّدنا الإمام علي الرضا الى سيّدنا معروف الكرخي الى سيّدنا السري السقطي الى سيّدنا أبي القاسم الجنيد البغدادي الى سيّدنا أبي القاسم الكركاني الى سيّدنا أبي علي الفارمدي شيخ السلسلة الثالثة . وهذه هي المسماة بسلسلة الذهب لإتصالها بأل البيت الأطهار رضوان الله عليهم أجمعين .

### السلسلة الثانية

وهي السلسلة المتصلة من روح العالم صلى الله عليه وسلم الى صنوه المكرّم سيّدنا علي المرتضى الى سيّدنا حسن البصري الى سيّدنا حبيب العجمي الى سيّدنا داؤد الطائي الى سيّدنا معروف الكرخي شيخ السلسلة الأولى ، وعنده تجتمع السلسلتان رضوان الله عليهم أجمعين .

### السلسلة الثالثة

وهي السلسلة المتصلة من أبي الأرواح الأكبر الرؤوف الرحيم الأبرّ سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حضرة الصديق الأعظم الى سيّدنا سلمان الفارسي الى سيّدنا القاسم حفيد أبي بكر الصديق الى سيّدنا جعفر الصادق الى سيّدنا أبي يزيد البسطامي الى سيّدنا أبي الحسن الخرقاني الى سيّدنا أبي علي الفارمدي الى سيّدنا يوسف الهمداني الى سيّدنا عبدالخالق الغجدواني الى سيّدنا عارف الريوكري الى سيّدنا محمود الانجيرقنوي الى سيّدنا الراميتني الى سيّدنا الميركلال الى سيّدنا محمد بابا السماسي الى سيّدنا محمد بهاء الدين شاه نقشبند الى سيّدنا علاء الدين العطار الى سيّدنا يعقوب الجرخي الى سيّدنا عبيدالله أحرار الى سيّدنا محمد الزاهد الى سيّدنا الدرويش محمد الى سيّدنا محمد المعصوم الى سيّدنا سيف الدين الى سيّدنا نورمحمد البداوني الى سيّدنا الجدّ محمد الخاني الى سيّدنا الوالد محمد الخاني رضوان الله عليهم أجمعين . وقد نظمت أسماءهم في قصيدة نبوية تسميلاً لحفظهم فقلت :

إلّا ليُظهِرَ ما يُخْفِيهِ خَاطِرُهُ  
يَهْوَى الجِيادَ ولو شُقَّتْ مرائِرُهُ  
من نارِ هجرٍ قد اِشْتَدَّتْ هواجِرُهُ  
ذوقاً فما هو شاكٍ منه شاكرُهُ  
قلوبُ المُحِبِّ حرامٌ لا يَجْـاورُهُ

ما قام من أرج القِيحَاءِ عَاطِرُهُ  
وكيف يظهِرُ أسرارَ الغِرامِ فِتِي  
صَبٌّ له كَبَدٌ حرا لَمِفي كَبَدِ  
يشكو الهوى قلبُهُ شوقاً ويشكرُهُ  
هو سوي جيرة البيتِ الحرامِ على

يحلو الحديث عن البيت العتيق له  
 في سفم رامّة رامت سفم أدمعه  
 أنقب بهم جادة جادت بأنفسها  
 غراماً أرامهم أقصى المرام له  
 لاينتهي عنم أو يينتهي لهم  
 أسواق أشواقه راجت تجارتها  
 يانظم الدرّ في شمس وفي قمر  
 لعمر طيبة مافي العمر أطيب من  
 محمد أحمد الرسد الكرام علي  
 روح الوجود الذي لولاه لأمك  
 لولاه مبرز الغيب المغيّب من  
 فالخلق ظاهره والحق باطنه  
 خير طاعته شر ضاعته  
 إذ كل الخير فخير مورده  
 سر الطرائق مابين الخلائق من  
 فالنقشبندي أقواها وأقومها  
 قطب الخلافة خير الخلق قاطبة  
 ثم الصحابي شمس الفرس سيدنا  
 وقاسم الفقهاء السبع أعظمهم  
 وأشرف العلماء بل أعظم الشرفا  
 والفرد سلطان ملك العارفين أبو  
 وبدر خرقات مولانا أبو الحسن  
 والفارمدي إمام الفضل سيدنا  
 ويوسف الهمداني الغوث الأعظم من  
 والفجوداني عبد الخالق العلم  
 وعارف الربوكري صبح المعارف من  
 وصفوة الصفوة الراميتني علي  
 والسيد الميركلال من بهمته  
 وقنودة الأولياء بابا محمد  
 والنقشبند البهاء الغوث الأعظم من  
 ثم الولي علاء الدين سيدنا  
 والخبر يعقوب الجرخي الذي عقدت  
 والمستفات عبيد الله سيدنا  
 والزاهد العابد القاضي محمد من  
 وقبله الأتقيا الدرويش سيدنا  
 والخواجكي كعبة الإرشاد الامكني

كما خلا البرء من سقم تحاذره  
 نهراً ومدمعه ناهيه ناهره  
 عشاقهم واستقلت ماتؤثره  
 مهما به غدروه لايفادره  
 قريبا وإن خاطرت فيه خواطره  
 والحب كم أنفق الأروام تاجره  
 أقصر فإنك قاصي الفهم قاصره  
 شعر به أمتدح المختار شاعره  
 عرش السيادة ناهي الكون أمره  
 بدا ولا فلنك دارت دوائره  
 كنز الخفاء ولا امتازت حضائره  
 والخلق باطنه والحق ظاهره  
 نور أوامره نار زواجره  
 وعنه يصدر في الكونين صادره  
 إحسانه سار للأصحاب سائره  
 لأنه عن أبي بكر مصادره  
 بعد النبيين في الصدق وافرّه  
 سلمان باتك هام الكفرة باتره  
 علماً حفيد أبي بكر مؤزره  
 الجعفر الصادق الميمون طائره  
 يزيد طينفور بحر العلم زاخره  
 روح المعارف بادي السر بادره  
 أبو علي بهي الفضل باهره  
 به اهتدى الكون باديه وحاضره  
 العالي الذي ترشد الأعمى بصائره  
 في نصرة الحق لم تؤمن بوادره  
 وهو العزيز إن إذ عزت نظائره  
 سرت الى الملأ الأعلى أوامره  
 السماسي حاجب باب العلم ناظره  
 تفنى الدهور ولا تفنى مفاخره  
 العطار من عطر الدنيا عباهره  
 على ولايته الكبرى خناصره  
 أحرار ناصح هذا الدين ناصره  
 في حلبة المجد لم تدرك ضوامره  
 محمد طيب الأمداد طاهره  
 محيي الطريقة زاهي المجد زاهره

والمفردُ العَلَمُ الباقِي محمد  
وأكبر الأوليا الفاروقي أحمد  
ونجبله العروة الوثقى محمد  
وشبله الغوث سيف الدين وارثه  
وسيد العلماء بالله نور محمد  
والمستجار حبيب الله مظهر من  
وقبله القصد عبدالله شاه  
وعالم الدهر قطب العصر سيدنا  
ونخبة الأصفياء الخاني مرشدنا  
ونجبله العالم الصوفي والدنيا  
فمؤلا هم السادات قد نظمت  
عقد من اللؤلؤ الرطب المنضد أو  
تضوعت نفحات القوم منه هدى  
وهم كبار الطريق الخالدية إن  
وهم ملاذ المسيء المستجير بهم  
تحیی القلوب كما تفنى النفوس بما  
فمن توسل لله بحرمتهم  
أمدنا الله طول العمر من بركات

عالي الشان عالم باقى العصر نادره  
مولانا مجدد هذا الألف عامره  
المعصوم من فاز باللهت معاصره  
الخبير حاسم ليل الجهل حاسره  
البدائوني من طابيت سرائره  
بالجان جاتان تدعوه معاشره  
غلام الدهلوي علي القدر فاخره  
أبو البها خالد دامت مآثره  
محمد باهر الإرشاد ماهره  
محمد مظهر العرفان ناشره  
أسماءهم ضمن سلك هم جواهره  
مخلت تملأ الدنيا بشائره  
كما تضوع من روض أزاهره  
عدت أكابره يوماً أصاغره  
معاذةً حينما تلقى معاذره  
أوتوا من الذكر نعم العبد ذاكه  
والقلب منكسر فبالله جابره  
لتختم بالحسنى أواخره

وقد تفرع عن كل من هؤلاء السادات العظام فروع عديدة لم أَلْ جهداً بحصرها عند ترجمة كل منهن على حسب ما بلغ إليهم إطلاعي مع التدقيق التام ، كما ستجد ذلك في محله إن شاء الله .

## إيقاظ

لا يخفى أن السلسلة الثالثة هي المشهورة بين مشايخ الطريق الأطهر وهي التي كان يملئها حضرة مولانا خالد قدس الله سره العزيز على الإخوان ويذكر رجالها في دعاء ذكر الخواجان ، لكن لما كان الكلام على رجال السلسلة الأولى والثانية قليلاً والتقاؤهما بالسلسلة الثالثة قريباً وكانت الأولى مشتملة على آل البيت الكرام ، قدّمتها في الذكر وترجمت رجالها قبل حتى أتفرغ للكلام على رجال السلسلة الثالثة مبسوطاً . كما ستراه بجوله تعالى في هذا السفر .

## وصل في فصل

قال في "البهجة السنية" إن القاب السلسلة تختلف باختلاف القرون . فمن حضرة الصديق رضي الله عنه إلى حضرة أبي يزيد البسطامي قدس الله سره العزيز تسمى صديقية . ومنه إلى حضرة رئيس الخواجان الشيخ عبدالخالق الفجدواني قدس الله سره العزيز تسمى طيفورية . ومنه إلى حضرة إمام الطريق الفيض الجاري والنور الساري الشيخ بهاء الدين محمد الأويسي النجاري المعروف بشاه نقشبند قدس الله سره العزيز تسمى خواجانية . ومنه إلى حضرة الغوث الأعظم الشيخ عبيدالله أحرار قدس الله سره العزيز تسمى نقشبندية ، أي منسوبة إلى نقشبند ومعناها (ربط النقش) وهو صورة الكمال

الحقيقي بقلب المرید . وكان ذكرهم في الأول الى زمان الشيخ بهاء الدين الملقب بهذا اللقب قدس الله سره العزيز في الإنفراد خفية وفي الجمع جهرًا . فأمرهم الشيخ المشار اليه بالخفية بأمر له من روحانية الشيخ عبدالخالق العجدواني شيخ مشايخه في عالم السير . فكان يسر في الذكر إنفراداً وجمعاً هو وجماعته فيصير من ذكرهم كذلك في قلب المرید تأثير بليغ . فكان يُقال لذلك التأثير نقش وذلك الذكر (بند) أي ربط والنقش هو صورة الطابم إذا طُبِع به على شمعة ونحوه وربطه بقاءه من غير محو .

(وقلت) ويؤيد ذلك ما ذكره صاحب "مفتاح المعية" من أن صفات الله تعالى هي المتوجمة على خلق آدم عليه السلام وبنية بتوجيه من الذات العلية الأزلية ، حيث لا كيف ولا أين . فظهر آدم عليه السلام وظهر بنوه بعده على صورة مخصوصة مسماة بأسماء المتوجه تعالى موصوفة بأوصافه ، لها ذات يصح نسبة ذلك اليها ولها أفعال كما له أفعال ولها أحكام منها على غيرها كما له أحكام كذلك .

فكذلك نقش الذات والصفات والأسماء والأفعال والأحكام ظهر بظهور آدم وبنية ، ولكن من بنية من محو بعض ذلك النقش بغلبة الحيوانية عليه وضعف الإنسانية الكاملة فيه ، ومنهم من كمل نقشه فيسمى نقشبند أي لازم النقش ومربوط النقش وهذه الكلمة صالحة لغير ذلك أيضاً أه . ومنه الى حضرة مجمع الأسرار والمعاني وقطب الطرائق وغوث الخلائق الإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي قدس الله سره العزيز تسمى نقشبنديّة وأحرارية . ومنه الى جناب المعلى المذكي المصفي المطهر شمس الدين حبيب الله جان جانان المظهر تسمى مجددية . ومنه الى شيخنا -يعني حضرة مولانا خالد قدس الله سره العزيز- تسمى مجددية ومظهرية . ووقع الإصطلاح بين إخوان الطريقة والفلاح على تسميتها منه خالدية الى أن تتصل من محض فضل الله وكرمه وجزيل إحسانه ونعمه بتوفيقه النجيم على حسب ما بشر وبُشر به بعض مشايخ هذه السلسلة بالكشف الصحيح بحضرة المهدي صاحب الزمان عليه الرحمة والرضوان ، لأن هذه الطريقة هي الملايمة المناسبة لما سيكون عليه من الصحو الصديقي والرجوع الى البقاء الأتم الحقيقي بدعوة الخلق وهدايتهم الى الحق برياستي الظاهر والباطن وفتح القلام والمواطن ، وهي متصلة بحبل الله المتين الى يوم الدين حشرنا الله وإخواننا وأحبابنا تحت لوائهم المنشور الى يوم النشور أمين .

## فصل في وصل

إعلم أن الإمام بهاء الدين الشاه نقشبند أخذ الذكر الخفي عن روحانية الشيخ عبدالخالق العجدواني ولم يجتمع معه في عالم الإحسان لأن بيت الإمام بهاء الدين والإمام عبدالخالق العجدواني قدس الله سرهما العزيز خمس وسائط من رجال السلسلة العلية كما مرّ آنفاً . وكذلك الشيخ أبو الحسن الخرقاني المتقدم ذكره أخذ الطريقة المرضية عن روحانية الإمام أبي يزيد طيفور بن عيسى البسطامي قدس الله سره العزيز وذلك في ظهوره له في عالم السير الى الله تعالى ، فإن الروحانيات تجتمع في ذلك كاجتماعهم في المنام وبعد الممات وهو عالم اللاهوت الخارج عن عالم الأجسام والأرواح ، الخلق كلهم والأحياء والأموات في ذلك العالم منهم يدبر له الله جسماً في عالم الأجسام وهم الأحياء . ومنهم من لا يدبر له الله شيئاً من الأجسام وهم الأموات ومن لم ينفخ فيه الروح مما لم يسو جسمه .

ولما كان هذا الأخذ عن الروحانيات نبهنا عليه ، لأن أبا الحسن الخرقاني لم يجتمع بجسمانية أبي يزيد البسطامي قدس الله سرهما العزيز لأن بينه وبينه زماناً بعيداً . فإن أبا يزيد توفي سنة إحدى وستين

ومائتين وقيك أربع وستين ومائتين وأبو الحسن ولد بعده بكثير ، وأبو يزيد قدس الله سره العزيز أيضاً لبس خرقة الطريقت ظاهراً وباطناً من روحانية الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه كما تقدم في الشيخ أبي الحسن . وما اشتهر بين بعض أهل الطريقت من خدمة الشيخ أبي يزيد قدس الله سره العزيز للإمام جعفر عليه السلام وصحبته له غير صحيح ، لأن وفاة الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه قبل ولادة الشيخ أبي يزيد قدس الله سره العزيز . وكل من أخذ عن الروحانيات يسمى أويسياً في اصطلاح ساداتنا النقشبندية قدس الله أسرارهم العلية .

(ثم أعلم) أن هذه النسبة الروحانية عند العارفين بالله تعالى أقوى إتصلاً من الجسمانية ، إذ هي من علامة كرامة الحق عز وجل لعبيده . فإن من اصطنعه لنفسه تعالى أذن لروحانية أحد أحبابه بتربيته كما وقع لأكابر أهل الله تعالى ، فإن ختم الأولياء المحمديين الشيخ الأكبر محي الدين والعارف الكبير الشيخ عبيدالله أحرار ممن ربه روحانية عيسى عليه السلام والغوث النقشبندية ربه روحانية الإمام عبدالخالق الفجدواني ، والإمام الرباني ربه روحانية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . فإتصال يدهم بهم إتصال روحاني وهو أقوى من الجسماني ، ولذلك كانت السادة النقشبندية تخص هذه السلسلة بالذكر في التلقين دون بقية السلاسل . علماً بأن إتصال الأرواح أشد من إتصال الأشجار وعليه يدندن كل عارف ذائق .

وكما أن للسادة النقشبندية إتصلاً روحانياً بواسطة قطب الأولياء أبي الحسن الخرقاني بسلطان العارفين أبي يزيد البسطامي وبواسطة أبي يزيد به شرف الأئمة جعفر الصادق ، كذلك لهم إتصالات جسمانيات بالسلسلتين السالفتين ويد نسبتهم ولله الحمد متصلة وعروة سلسلتهم لإنقسام لها روحاً وجسماً وحساً ومعنى ولقدسها . وإن قال بعض المؤلفين أن سلسلة النقشبندية منفصلة ويد نسبتهم غير متسلسلة فإنه منه غرور بقصوره من عدم الاطلاع على سلاسلهم المنظمة ولو وقف على ما في "الفتوحات المكية" و"طبقات الأولياء" للعارفين الشعرائي والمناوي في كثرة من ربه روحانية الأولياء الكرام بل الأنبياء العظام من كبار أهل الله لتوقف وماتعسف . وسأتلو عليك عند ترجمة كل منهم ما فيه زيادة تفصيل لذلك إن شاء الله تعالى وقد أن الشروع في المرام والله المستعان في البدء والختام .

## السلسلة الأولى

وهي المسماة بسلسلة الذهب لإتصالها بالبيت النبوة الطاهري النسب الظاهري الحسب ومعدنها الأصفى حضرة المصطفى المعظم صلى الله عليه وسلم التعيين الأول والإنسان الأكمل محمد خاتم الرسل الكرام عليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام . ماذا يقول هذا العبد في مقام سيد المرسلين الذي لولاه لما عرّف رب العالمين ولا نُسجت نسخة عن العالم على منوال التكوين :

وإنّ تميصاً خيطاً من نسج تسعة وعشرين حرفاً عن علاه تصير  
ولكن تيمناً بذكر نيذة من سيرته الشريفة وأحواله وأقواله المنيفة التي هي أكبر من أن تحصى أو تُحصّر  
في كتاب أوردت ما قاله العارف المناوي في ذلك مرتباً على ثمانية أبواب .

## الباب الأول:

### في نسبه الأقدس وسيرته من ولادته الى وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم

هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وهذا مُجمَعٌ عليه ورفع نسبه الى آدم كرهه الإمام مالك وغيره لعدم ثبوته .

(ولد) صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة في شهر ربيع الأول يوم الإثنين عام الفيل ورأت أمه السيدة آمنه إذ وضعته نوراً خرج منها أضواءت له تصور بصرى . ووقع وبصره مرتفع الى السماء وتوفي والده المكرم وعمره الشريف عامان وثلاث ، وقيل كان حملاً . وأرضعته ثويبة جارية عمه أبي لهب وبعدها حليلة السعدية فأقام عندها في بني سعد أربعة أعوام . فأتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام فشق صدره فخافت عليه فردته الى أمه . فخرجت به الى المدينة المنورة لزيارة أخواله فمرضت وهي راجعة به فتوفيت ودُفنت بالأبواء وعمره نحو ست سنين .

فحملته أم أيمن الى جده عبدالمطلب في مكة المكرمة زادها الله شرفاً . فكفله الى تمام ثمان سنين ثم توفي وقد أوصى به الى عمه أبي طالب فافتخر بشرف كفالته وتربيته . وأمر الله سبحانه وتعالى إسرافيل عليه السلام بملازمته بطريق المرافقة والمقارنة والحفظ ، ولكن لم يظهر له ولم يكلمه . وسافر مع عمه الى الشام حتى وصل بصرى فرأى (بحيرا) الراهب منه علامات النبوة . فقال لعمه أرجع به لنلا يقتله اليهود وكان سنه الشريف اثنتي عشرة سنة . ثم سافر الى الشام مع ميسرة غلام السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها في تجارة لها فباع واشترى . فرأى ميسرة منه العجائب وماخض به من المواهب . فأخبر السيدة خديجة فخطبته فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين وهي بنت أربعين وصار يدعى بالأميين . فلما تم له خمس وثلاثون سنة بنتت قريش الكعبة المطهرة فاختلفوا فيمن يضم الحجر الأسود محلّه ، وتنازعوا ثم رضوا بأنه هو الذي يضعه ، فوضعه بيده المباركة . وصار من يومئذ يسمى صوتاً ولا يرى شخصاً ، ثم صار يرى نوراً . ولما قربت أيام الوحي أحب الخلوة والإنفراد . فكان يختلي في جبل حرا بالذکر وزعم انه بالفكر لا التفات اليه ، لأن خلوة طلاب طريق الحق على أنواع :

الأول : أن تكون لطلب مزيد علم من الحق لا بطريق النظر والفكر وهذا غاية مقاصد أهل الحق ، لأن من خاطب في خلوته كوناً من الأكوان أو فكر فيه فليس في خلوة . قال رجل لبعض الأكابر أذكرني عند ربك في خلوتك ، قال إذا ذكرتك فلسنت معك في خلوة . وشرط هذه الخلوة أن يذكر بنفسه وروحه لا بنفسه ولسانه .

الثاني : أن تكون خلوتهم لصفاء الفكر ليصحّ نظرهم في طلب المعلومات . وهذه لقوم يطلبون العلم من ميزات العقل ، وذلك الميزان في غاية اللطافة وهو بأدنى هوى يخرج عن الإستقامة . وطلاب طريق الحق لا يدخلون هذه الخلوة بل خلوتهم بالذکر وليس للفكر عليهم سلطان ، ومهما وجد الفكر طريقاً الى صاحب هذه الخلوة فليعلم أنه ليس من أهلها . إذ لو كان من أهلها حالت العناية الإلهية بينه وبين دوران رأسه بالفكر .



الثالث : خلوة لدفع الوحشة من مخالطة غير الجنس والشغل بما لايعني .

الرابع : خلوة تطلب زيادة توجد فيها .

وخلوة حضرة صاحب الرسالة من النوع الأول . فكان بعيداً من المخالطات حتى من الأهل والمال واستغرقت في بحر الأذكار القلبية . فبانقطع عن الأضداد بالكليّة وظهر الأنس والجلوة بتذكّر من له الخلوة . ولم يزل في ذلك الأنس ومرارة الوحي تزداد من الصفا والصقال حتى بلغ أقصى درجات الكمال والمراد . فظهرت تباشير صبح الدجا وأشرقت بروق السعادة وتألقت فصار لايمرّ بشجر ولاحجر إلا قال بلسان فصيح "السلام عليك يا رسول الله" فينظر يميناً وشمالاً فلا يرى شبحاً ولا خيالاً . فبينما هو كذلك وذلك عند مضي أربعين عاماً من عمره قائم على جبل حرا إذا ظهر له شخص قال أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله لهذه الأمة ، ثم أخرج له قطعة عظم من حرير مرصعةً بجوهر . فوضعها في يده وقال له اقرأ . فقال ماأنا بقاريء . فضمه وغطه حتى بلغ منه الجهد ثم قال له اقرأ . فقال ماأنا بقاريء . فغصه كذلك ثلاثاً ثم قال له "اقرأ باسم ربك الذي خلق" الى قوله "... ما لم يعلم" . ثم قال إنزل من على الجبل . فنزل معه الى الأرض فأجلسه على درنوك أبيض وعليه ثوبان أخضران ، ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء . فتوضأ جبريل وأمره أن يفعل كفعله . ثم أخذ كفاً من ماء فرش به وجه الرسول ثم صلى به ركعتين وقال الصلاة هكذا وغاب . فرجع محد صلى الله عليه وسلم الى مكة وقص على خديجة ذلك وقال قد خشيت على نفسي ، فثبته وصدقته فكانت أول من أمت به ، ثم أتت به ورقة بن نوفل فقص عليه ما رأى . فصدقته فكان أول رجل أمت وقال : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ليتني أكون حياً إذ يُخرجك قومك .

قال : أومخرجي هم ؟

قال : ما جاء أحد بمثلك ما جئت به إلا عودي .

ثم أسلم سيدنا أبو بكر وسيدنا علي رضي الله عنه ، ثم أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس الى الدين . وكان يستقبل في صلاته بيت المقدس ثم بعد الهجرة حولت القبلة للكعبة . ولما كثّر المسلمون أخذ دار الأرقم فاختفوا فيه ثلاث سنين ، ثم أمر بإظهار الدين فدعا الى الإسلام جهراً وأنزل الله القرآن فتحدهم بسورة منه فلم يقدرها . فمن قائل هذا سحر ومن قائل في أذني وقر . وأقرّ الوليد بن المغيرة وعقبة والأخنس وأبو جهل بأنه غير مفترى وانه ليس من كلام البشر لكن غلبت عليهم الشقوة . واستهزأ به جماعة فأهلكوا وكفاه الله شرهم . ولما فشا الإسلام مشى كفار قريش الى عمه أبي طالب وشكوا ما سمعوا منه من سب المهتم وذم دينهم وتكرار ذلك وهو يذّب عنه . وفي آخر المرار قالوا أعطنا محمداً نقتله وكذا بدله عمارة بن الوليد فتبينه . فقال أكفل ابنكم وأعطيكم ابني ليقتل هذا لا يكون . فمضى يجهر بالتوحيد فأجمعت قريش أن يقولوا ساحر وتعدوا بالطريق أمام الموسم يحذرون منه الناس فافترقوا وقد شام أمره وسار ذكره . فأخذوا في إيذائه وتعذيب من أسلم وطلبوا منه آية . فأراهم إنشقاق القمر فزاد الذين آمنوا إيماناً والكفار طغياناً .

ولما اشتد على المسلمين البلاء هاجر جمع منهم للحبشة فأقاموا بها خمس سنين ثم بلغهم إسلام قريش ، فعادوا فوجدوه باطلاً فرجعوا فعظمت معاداة قريش له ولصحبه . فكتبوا كتاباً أن لاينكحوا بني هاشم ولايواوهم ولايبايعوهم ولا ولا... وعلقوه بالكعبة وحصروهم بالشعب ثلاث سنين حتى اشتد بهم البلاء وسمعت أصوات صبيانهم يتضورون من الجوع . وأطلع الله نبيه على أن الأرضة أكلت ما في الصحيفة

من جور وظلم وبقي ذكر الله . فأخبرهم فأخرجوها فوجدت كذلك وشئت يد كاتبها .  
فقام رجال من الكفار في نقضها فلبسوا السلاح وأخرجوهم . ثم مات عمه أبو طالب ثم خديجة فحزنت  
لذلك . ثم بعد عام ونصف سرى به من مكة للقدس على ظهر البراق ثم علا الى السماء ومعه جبريل .  
فأتى الأنبياء كل واحد في سماء ففرحوا به ، ثم علا الى مستوى سمع فيه صريف الأقدام بالأقدار . ثم دنا  
فتدلى ففرض الله عليه وعلى أصحابه خمسين صلاة فلم يزل يراجع ويسأله التخفيف بإشارة من موسى  
عليهما الصلاة والسلام حتى جعلها خمساً . فلما رجع أخبرهم فصدقه الصديق وكذبه الكفار وسألوه عن  
صفة بيت المقدس ولم يكن رأه من قبل ، فرفعه اليه جبريل حتى وصفه لهم فلم يمكنهم تكذيبه لكن  
جددوا عناداً .

ولما اشتد الأذى للمصطفى صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على القبائل يطلب من يؤويه ويحميه  
ليبلغ رسالة ربه فكل منهم يعرض ويهزأ به حتى أتاه الله له الأنصار فصار الواحد منهم يسلم فتسلم معه  
جميع عشيرته . ففشا الإسلام بالمدينة فهاجر إليها المسلمون وأراد أبو بكر أن يهاجر فمنعه حتى هاجرا  
معاً . فخرجا الى غار ثور ومعهما عامر بن فهيرة يخدمهما وابن أريقط يدل على الطريق . فسلخوا طريق  
الساحل وأعمى الله عنهم العدو فرأهم سراً فقتلهم . فدعا عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم فسألت فرسه في الأرض فناداه "الأمان يا محمد" فدعا له فخلص وحلف أن لا يدل عليه . فرجع فلقبه  
الكفار يطلبونه ، فقال أرجعوا فقد استبرأت لكم . ثم مروا بخيمة أم معبد فاستسقوها لبناً فقالت  
ماعندي . فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة ، فقال ما هذه ؟ قالت أضرت بها الجهد  
وما بها لبن . فمسم ضرعها فحلبت وشربوا .

وسافروا حتى وصلوا الى قباء يوم الإثنين من ربيع الأول فأقام بها أربعاً وعشرين ليلة ثم رحل يوم  
الجمعة ، فأدرسته صلاتها في الطريق فصلاحها بالمسجد المشهور وهي أول جمعة صلاحها . ثم ارتحل للمدينة  
فبركت ناقته بمحل مسجده الآن . فنزل بدار أبي أيوب حتى بنى مسجده ومنازل زوجاته وبنى صحبه  
حوله . وكانت المدينة كثيرة البواء فزال بدعائه ونقل الله منها الحمى الجحفة . فأقام بها شهراً ثم نزل  
عليه إتمام الصلاة أربعاً وأقام من ربيع الأول الى صفر يبني مسجده .

وفي هذا العام كان ابتداء الأمر بالأذان وفي الثاني فرض الصوم وزكاة الفطر والمال وحولت القبلة للكعبة  
وغزا بدرأ ، وفي الثالث أهدأ ، وفي الرابع بنى النضير وقصرت الصلاة وحرم الخمر وشرع التيمم وصلاة  
الخوف ، والخامس الخندق وبنى قريظة والمصطلق ، والسادس عمرة الحديبية وبيعة الرضوان وفرض  
الحج ، والسابع خيبر وعمرة القضاء ، والثامن وقعة مؤتة وفتح مكة وحنين ، والتاسم تبوك وحجة الصديق  
ويسمى عام الوفود ، والعاشر حجة الوداع والحادي عشر وفاته صلى الله عليه وسلم .

## الباب الثاني

### في صفاته الظاهرة

كان صلى الله عليه وسلم ربعة لا بالطويل ولا بالقصير لكنه الى الطول أقرب . بعيد ما بين المنكبين أزهر اللون عظيم الهامة واسم الجبين أزمج الحاجبين أبلج ما بينهما كان ما بينهما الفضة المخلصة ، أدمج العينين فيهما تموج من حمرة مفلج الأسنان يفتتر عن مثل حب الغمام ، شعره غير جعد ولا قشط بل وسط . أحسن الناس عنقاً لا ينسب الى طول ولا قصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح كأنه بريق فضة مشرب ذهباً ، عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضاً كالقمر في بياضه موصول ما بين لبتة وسرته بشعر كالقضيبي ليس في صدره ولا بطنه غيره وله عكت ثلاث يغطي الإزار منها واحدة وتظهر اثنتان .

(وكان) عظيم المنكبين أشعرهما ضخم رؤوس العظام واسم الظهر بين كتفيه خاتم النبوة مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب الى صفرة وحولها شعرات متوالية كأنها عرفت فرس ، عبق العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحة سايد الأطراف كان أصابعه تضبان فضة ، كف أليته من الحرير كأنه كف عطار يضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحا على رأسه ، عبق ما تحت الإزار من الفخذ والساق معتدل الخلق في السموت بدت في آخر عمره . وكان لحمه متماسكاً يكاد يكون على الخلق الأول يضره السن .

(كان) يمشي كأنما يتعلق من صخر وينحط من صلب يخطو تكفياً ويمشي هوناً بغير تبخر ، إذا التفت التفت جميعاً ولا يلوي . عنقه كاللؤلؤ في البياض والمسك في الريح يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله .

## الباب الثالث

### في صفاته الباطنه وأخلاقه الطاهرة وأدابه الباهرة

قد زينه الله تعالى بالخُلُق الكريم ثم أضاف إليه ذلك فقال سبحانه وتعالى (وانك لعلی خُلُقٍ عظیم) .  
(فمن مكارم أخلاقه ومحاسن أدايه) أنه كان أحلم الناس وأشجعهم وأعدلهم وأعفهم وأجودهم لا يبيت عنده  
درهم ولا دينار وإن فضلٌ ولم يجد من يعطيه ولجأه الليل لا يايوي الى منزله حتى يبرأ منه الى من يحتاجه .  
وماسئد قط فقال لا . وأصدقهم لهجة وأشدهم تواضعاً وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة وأعظمهم حياءً  
ولا يثبت بصره في وجه أحد . أسكتُ الناس في غير كبرٍ وأفصحهم وأبلغهم في غير تطويل . يقبل الهدية  
ولو جرعة لبن ويكافيء عليها بأكثر ويأكلها ولا ياكل الصدقة . يفضب لربِّه لا لنفسه ، ينفذ الحق وإن عاد  
بالضرب عليه ، نظره الى الأرض أكثر من نظره الى السماء ، خافض الطرف من رآه بديهة هابه ومن خالطه  
معرفةً أحبَّه . رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يُعرف في وجهه غضبه ورضاه . وإذا أهمل أمراً أكثر من  
مسأله حيته ، يتكلم بكلام بيّن فصل يحفظه من سمعه ويعيد الكلمة ثلاثاً أحياناً ليعتدل عنه .

(وكان) متواصل الأحران دائم الفكر ليست له راحة لا يتكلم في غير حاجة ، كثير البكاء والضراعة يمشي  
مع المسكين والأرملة لقضاء حوائجها ويخصف نصف نعله ويرتقم ثوبه ويحلب شاته ويخدم أهله ويمشي  
منتعلاً وحافياً . ويعود المرضى حتى بعض الكفار وأهل النفاق ويشهد الجنائز ، ويوزر قبور المؤمنين  
ويسلم عليهم ويستغفر لهم ، ويركب الفرس والبعير والحصار بكاف وعرياً لكن أكثر ركوبه للأوليين ، وأما  
البغل فكان قليلاً في بلاد العرب لكن أهدي له فركبه . ويركب منفرداً ويردِّف أحياناً خلفه عبده وزوجته  
وغيرهما . ويجالس الفقير ويؤاكل المسكين ويكرم أهل الفضل ويتألف أهل الشرف ، فكان يتواضع لأكابر  
الكفار للتألف ولكونهم مظاهر العزة الإلمية ، ويقول إذا أتاكم كريم فأكرموه . ولا يواجه أحداً بما يكرهه  
ويمزح ولا يقول إلا حقاً ويوري ولا يقول في توريته إلا صدقاً ، ويجلس للأكل مع العبيد ويأتي الى بساتين  
إخوانه إكراماً . ويمشي وحده بيت أعدائه بلا حارس ليهولهُ شيء من أمر الدنيا ، لا يحقر مسكيناً لفقره  
ولا يهاب ملكاً لمملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاءً واحداً . وقيل له أدم على الكفار فقال إنما بعثتُ رحمةً ،  
اللهم إهد قومي فإنهم لا يعلمون . لم يكن فحاشاً ولا لعاناً ولا بخيلاً ولا جباناً ولا صخاباً في الأسواق . يختار  
أيسر الأمور ولا يضحك إلا تبسماً يعجب مما يعجب له جلساؤه ويضحك مما يضحكون ، ويذكرون ما كان  
منهم في الجاهلية فيتبسم . وقد سمع الناس خلقه فهم في الحق عنده سواء . وما انتهر خادماً ولا قال له  
في شيء لم صنعته ولا في شيء تركه لم تركته ، بل يقول لو قدر كات . ولا ضرب بيده أحداً في الجهاد ،  
مجلسه مجلس حلم وصبر وحياء ، من فاوضه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ، وما أخذ أحد بيده  
فيرسلها حتى يرسلها الآخر ، ولا يجلس إلا على ذكر الله وكان أكثر جلوسه مستقبلاً محتبياً بيديه .

(وكان) حسن العشرة لأزواجه ويسوي بينهن في الإيواء والنفقة وأما المحبة فيقول اللهم هذا تسمي  
فيما أملك فلا تلمني فيما لأملك يعني المحبة والجماع . وكان يبدأ من لقيه السلام حتى الصبيان ويؤثر  
الداخل بوسادته ويبسط له ثوبه فإن أبى عزم عليه حتى يفعل ، ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق . وإذا  
وعظاً إحمرت عيناه وعل صوته كأنه منذر جيئ وإذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر .

(وكان) يقدم أصحابه أمامه ويمنح أن يمشي أحد خلفه ويقول خلوا ظهري للملائكة ، ولايجزي سيئة بمثلهما بل يعفو ويصفح . جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة الكاملة ، وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ ، نشأ ببلاد الجهل فعلمه الله مكارم الأخلاق وأدبه فأحست تأديبه .

## فصل

وكان خلقه في الطعام أنه يأكل ما وجد ولا يتكلف ما فقد ، وإذا حضر طعام لا يردّه ، وما عاب طعاماً قط بل إن أعجبه أكله والآ تركه . وأكل لحم الإبل والغنم والدجاج والسمك والرتب والتمر ، وشرب اللبن حليياً وممزوجاً ، وأكل الخبز بتمر والخبز بخلد والخبز بشحم وكبد الغنم شويماً والقديد والدبا وكان يحبها ويتبعها من جوانب القصعة ، والجبن والثريد والخبز بزيت والخبز بزبد ، وإذا لم يجد شيئاً صبر حتى شد الحجر على بطنه . وكان أحياناً لا يجد ما يملأ بطنه من الدقل . وكان يأكل لحم الطير الذي يصادفه ولا يتبعه ولا يصيده . (وكان) إذا أتى طعامه بسط السفرة على الأرض ووضع عليها ، ولم يأكل على خوان ولا في سكرجة . ويأكل في ثلاث أصابع وربما استعان بالرابعة ، وينهى عن الأكل بإصبع وقال أكل الشيطان وبانين وقال أكل الجبابرة . ويأكل اللقمة الساقطة ويقول لاندعها للشيطان ، ويتيم ماسقط من السفرة ويقول من فعل عُفر له . وكان يسمي الله أول طعامه وإذا فرغ حمده ولا يأكل متكئاً بك مقعياً ويقول : "أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد" . وكان يحب اللحم ويعجبه الذراع وسُم فيه ، والعجوة والعسل والهلوى وأحب الفاكهة اليه العنب والبطيخ .

(قال الغزالي) وكان يأكل البطيخ بخبز ويستعين بيديه جميعاً وربما أكل العنب خرطاً . وكان أكثر طعامه التمر والماء . وكان يحب الهندباء والبقلة الحمقا وهي الرجله وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرهما . وأتى بلبن وعسل في إناء فردّه ، وقال : "أدمان في إناء لاأكله ولاأحرمه لكني أكره الفخر" . وكان في بيته يقوم ويأخذ ما يأكل بنفسه وما اشتهى على أهل بيته طعاماً ولا اقترحه . وكان لا يأكل وحده ، ولا يجمع بين سمك ولبن ولا بين لبن وشيء من الحوامض ، ولا بين غذاءين حارّين ولا باردتين ولا قابضين ولا مسهلين ولا غليظين ولا بين لحم مشوي ومطبوخ وقديد ، ورتب وحليب ولحم . ولا يأكل طعاماً حاراً ولا يابساً ولا ما فيه عفونة كالملوحات . وكان يدفع ضرر بعض الأطعمة ببعض كتمر بزبد أو بطيخ أو ثناء برطب وينقم التمر ويشرب ماءه لهضم الطعام . وأمر أن يؤكل ما تيسر قبل النوم وأن لا يؤكل الخبز وحده . ونهى عن النوم عقب الأكل وقال : "أذيبوا طعامكم بذكر ولاتناموا عليه فتقسو قلوبكم" . وكان يشرب في ثلاث أنفاس ويمص الماء مصاً ولا يعب ويقول : "الكباد من العب" ولا يتنفس في الإناء ويشرب قاعداً غالباً ويشرب قائماً لعذر ويكره الحار وإذا شرب دقم البقية لمن عن يمينه وإن كان من على يساره أشرف أو أسن قال لصاحب اليمين : "الشربة لك فإن شئت أترته" .

## فصل

وأما خلقه في اللباس فكان يلبس ما وجد كتاناً أو صوفاً أو قطناً ، والغالب القطن قميصاً أو رداءً أو إزاراً أو غيرهما ، وكان يحب الثياب الخضراء . ولبس البردة والحبرة والجبة والحلة الحمراء والقبا والثوب الساذج والأسود والفرو المعلم على أطرافه بسندس . وكان أحب الثياب اليه القميص وفي خير ضعيف انه لابس السروال ولبس جبة خسروانية مفرجة عليها سجد من ديباج والطيلسات حال الحر كما في اليوم الذي أمر

فيه بالهجرة . وكان له ثوبان للجمعة ، وبُرد أخضر للعيد ، ويلبس العمامة البيضاء والسوداء ، والأكثر البيضاء بغير قطنسوة وبها وبقلنسوة بغير عمامة ويجعل لها غالباً عذبةً بين كتفيه ولم تكن عمامة كبيرة تؤذي الرأس ولا صغيرة تقصر عن وقاية الحرّ والبرد ولم يتحرر في طولها وعرضها شيء ، وما وقع للطبري من أن طولها سبعة أذرع وأنها من صوف لم يثبت . وكان له عمامة تسمى السحاب فوهبها لعلّي ، فكان إذا قدم فيها يقول أتاكم عليّ في السحاب . وكانت ثيابه كلّها فوق الكعبين وربما جعلها لنصف الساق ، ويلبس ثوبه من ميامنه وينزعه بالعكس ، ويقول عند لبسه الحمد لله الذي كساني ما أستر به عورتني وأتجمل به ، وإذا لبس جديداً أعطى الخلق مسكيناً . وكان له ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس .

وكان له خاتم من فضة وفصه منه ونقشه محمد رسول الله . وكان يتختم في خنصر يمينه ويساره لكن اليمين أكثر ، ويلبس النعال والسبتية والتاسومة والخف . وكان فرشه من آدم حشوه ليف طوله ذراعان وشيء وعرضه ذراع ونحو شبر . وكان له عباءة تُفرش له حيثما إنتقل يثني طاقة تحته ، وربما نام على حصير وعلى الأرض جرداً ، وما عاب مُضطجِعاً قط إن فرُش له اضطجع والأنا نام على الأرض . وكان يحب الطيب وإذا عُرِض عليه لا يردّه . ويكره الريح الكريه ويتطيب بغالية ومسك وسك ويتبخّر بكافور وعود ويكتحل بالآثم ثلاثاً في كلّ عين . وكان له جوار وعبيد وعتقاؤهم من الغلمان أكثر . وكان يبيع ويشترى لكن الشراء بعد البعث أغلب ، وبعد الهجرة لم يحفظ البيع إلا في ثلاث صور والشراء كثير ، وأجر وإستاجر والإستئجار أغلب . وأجر نفسه قبل النبوة لرعي الغنم ولخديجة للإتجار ، وشارك ووكل والتوكيل أكثر ، وأهدى له وقبل وعوض ووهب له وقبل ، وإستعار وإشترى بنقد وبنسيئة ، ضمن عن الله ضماناً خاصاً وعماماً ، وشفع وشفع إليه وشفع لعبد عند امرأة فلم تقبل ولم يفض .

وكان يكثر القسّم بالله والثابت منه يزيد على ثمانين موضعاً . وكان أكثر دعائه "يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" . وكان يسمم الشعر من الشعراء ويعطيهم ويهبهم الخَم لأن كلّ ما قالوه ويقولونه اليّ يوم القيامة قطرة من بحر كماله ، فعطاؤه لهم على قول حق وأما مدح غيره فغالباً زور وبهتان وكذب صراح ولا جرم ، قال احثوا في وجوه المدّاحين التراب ، فزعم التدافع غلط . وسابقاً على قدميه وصارمٍ وطلّق وألى وزعم أنه ظاهر قبيح ، وضاف وأضاف وداوى وتداوى بأدوية مفردة ومركبة ورقتى وإسترقى وحذّر من التخمّة وكثرة الأكل وعالج الأمراض بالأدوية الطبيعية والإلهية .

## الباب الرابع

### في معجزاته وهي كثيرة

منها أنه إنشقَّ له القمر ، ونجم الماء من بين أصابعه فشرب العسكر كلهم وتوضأوا من قدم صغير ضاقت عن بسط يده فيه . وحنَّ إليه الجذم الذي كان يخطف إليه لماً فارقه للمنبر حتى سمع منه الناس كصوت الإبل فضمَّ إليه فسكن . وزويت له الأرض ، وسبَّح الحصى في كفه والطعام بحضرتة ، وكلمه الذراع ، وشكا إليه البعير ، وسلَّمت عليه الغزالة ، وشهد الذئب بالنبوة . وسعت إليه الشجر من مغارسها ، ونذرت عين قتادة فردَّها فكانت أحسن عينيه . وتفل في عين علي وهو أرمد فبرئت ولم يرمد بعد . ومسم رجل ابن أبي عتيك لما إنكسرت فصحت ، وأخبر أنه يقتل أبي بن خلف فخدشه يوم أحد خدشاً يسيراً جداً فمات . وعدَّ يوم بدر مصارع الكفار قبل الواقعة فقتل كلَّ منهم فيما عينه . وقال في عثمان تصيبه بلوى عظيمة فكان ما كان . وأخبر بمقتله الأسود العنسي في صنعاء ليلة قتله وبأن كسرى قُتل بفارس في يوم قتله . ودعا لعلي بزهاب الحر والبرد فلم يحسب بهما بعد ، ولابن عباس بالفقه في الدين وعلم التاويل فصار بحراً ولأنس بكثرة المال والولد وطول العمر فرزقت مائة ولد وعاش مائة سنة وصارت نخله تحمل في العام مرتين .

ودعا علي عتبة بن أبي لهب فقال : "اللهم سلط عليه كلباً" من كلابك فأكله الأسد . وأطعم ألفاً في غزوة الخندق من أقل من صاع . ورمى الكفار يوم حنين بقبضة من تراب فامتلت أعينهم منها وانهمزوا . وأخبر أن عمراً تقتله الفئة الباغية فقتله جيش معاوية . وخرج على مائة من قريش ينتظرونه ووضع على رؤوسهم تراباً فلم يروه . وقال لنفر من صحبه مجتمعين أحدكم في النار فأتوا كلهم مسلمين إلا واحد ارتد وأطعم السمَّ فمات الذي أكل معه وعاش هو أربع سنين . وأنذر بأن طوائف من أمته يفزون البحر فوقم . وأخبر بأن فاطمة أول أهله لحوقاً به فكان ، وبأن أطول نساءه يداً أسرعن لحوقاً به فكانت زينب أطولهن بالصدقة وأولهن لحوقاً به . ومسم ضرم شاة حامل فدرت . وجاءه الحكم بن العاصي مستهزئاً فقال كذلك كُنْ فلم يزل يرتعش حتى مات . وخطب امرأة فقال أبوها بها برص إمتناعاً عن إجابته ولم يكن بها ، فقال فلتكن كذلك فبرصت حالاً .

## الباب الخامس

### في خصائصه

#### وهي أنواع:

الأول ؛ الواجبات عليه وهي الضحى والوتر وراتبة الصبح والأضحية والسواك ومشاورة العقلاء وتعفير منكر مطلقاً ومصابرة العدو في الحرب وإن كثر وقضاء دين ميت مسلم معسراً وطلاق كارهته وتخيير زوجاته بين الطلاق والمقام والتهجد ثم نسخ .

الثاني : المحرمات وهي الصدقة ولو نفلاً والكفارة وتعلم الخط والقراءة والشعر وروايته ، ونزع لأمته إذا لبسها قبل القتال ومد عينيه لمتاع غيره والإيماء الى فعل مباح كقتل وضرب مع اظهار خلافه وتزويج الكتابية والأمة والمَنَّ ليستكثر .

الثالث : المباحات وهي التزويج فوق تسم وتزويجه محرماً ولو بلا ولي وشهود بلفظ الهبة إيجاباً لا قبولاً ، ووجوب إجابته على امرأة خلية رغب فيها وتزويجه من شاء بما شاء ومن نفسه متولياً الطرفيين . ومكثه بالمسجد جنباً وإدامة قضاء نافلة وقت الكراهة والوصال . وأخذ صفي المغنم والغنيمة وخمسها مع سهمهم كفانم . وشهادته لنفسه وفرعه وحكمه لهما وجواز الشهادة له بما ادعاه مع عدم علم الشاهد . وشهادته كاثنين وحمى الموات لنفسه وأخذ طعام وشراب احتاجه المحتاج اليه . ولا ينتقض طهره بالنوم وكذا الأنبياء .

الرابع : الإكرام فمن ذلك تحريم زواجه على غيره وسرائره وأنه خاتم الأنبياء وأفضلهم وأنه أول من تنشق عنه الأرض ومن يقرع باب الجنة ومن يدخلها ثم يدخلها الأنبياء ، وأول شافع ومشفع وأرسل الى الثقليين وأقسم الله بحياته . وكان لا ينام قلبه ويرى من خلفه ويبصر في الظلمة كما يبصر في الضوء ولا فيء له في شمس ولا قمر ولا يقيم الذباب على جسده وأجر تنقلم بالصلاة كقائم ويخاطبه المصلي في تشمده . وتلزمه إجابته ولا تبطل ويحرم رفع الصوت عنده ونداؤه باسمه من وراء الحجرات والتكني بكنيته ولا يورث .



## الباب السادس

### في كلامه

وهو لا يحصيهِ إلا الله تعالى لكن نتبرك بمائة حديث منه بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف

يعمل به في الفضائل :

(قال عليه الصلاة والسلام) الأجر على قدر النصب . (وقال) مَنْ عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب . (وقال) إتخذوا عند الفقراء أيادي فإن لهم الدولة يوم القيامة . (وقال) كُنْ في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعُدَّ نفسك من أهل القبور . (وقال) كونوا في الدنيا أضيافاً واتخذوا المساجد بيوتاً عودوا قلوبكم الرقة وأكثرُوا التفكّر والبكاء . (وقال) كم من مُستقبل يوماً لا يستكملُه ومنتظرٌ غداً لا يبلغه . (وقال) كما تُدينُ تُدان . (وقال) ابن آدم لك ما نويت عليك ما اكتسبت وأنتَ مع مَنْ أحببت . (وقال) قُلْ الحق وإن كان مرّاً . (وقال) يسرّوا ولا تُعسرّوا وبشّروا ولا تنفّروا . (وقال) كلُّ مُيسرٍ لما خُلِقَ له . (وقال) حُسْنُ الجوار عمارة الدنيا وزيادة الأعمار ومَنْ أذى جاره أورثه الله داره . (وقال) لا تُظهِر الشّماتة بأخيك فيرحمهُ الله ويبتليكَ . (وقال) لا يُغني حذرٌ من قَدَر . (وقال) احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك ، إذا سألت فاسئله الله وإذا استعنت فاستعن بالله . وإعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيءٍ كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيءٍ كتبه الله عليك ، رُفعت الأقاليم وجُفت الصُفوف . (وقال) تعرّف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك . واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً . (وقال) إزهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما بأيدي الناس يحبك الناس . (وقال) أتمكّم عقلاً أشدكّم الله خوفاً . (وقال) أجملوا في طلب الدنيا فإن كلاً مُيسراً لما خُلِقَ له . (وقال) إحدروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت . (وقال) اخزن لسانك إلا من الخير . (وقال) أخلص العمل يُجزئك منه القليل . (وقال) ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب الدعاء من قلب لاه . (وقال) أدّ الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك . (وقال) إذا أحبّ الله عبداً صبّ عليه العذاب صبّاً . (وقال) إذا أراد الله إنفاذ قضاؤه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاؤه وقدره . (وقال) إذا أراد الله بعددٍ خيراً جعل له واعظاً من نفسه وفقهه في الدين . (وقال) إذا أصبحت فلا تحدّث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح . (وقال) إذا ترك العبد الدعاء للوالدين ينقطع عنه الرزق في الدنيا . (وقال) إذا تواضع العبد رفعة الله الى السماء السابعة . (وقال) إذا حدّثتم العباد عن ربهم فلا تحدّثوهم بما يعزّب عنهم ويشقّ عليهم . (وقال) إذا رأيت الفقر مقبلاً فقلّ أهلاً بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقلّ ذنبٌ عجّل عقوبته . (وقال) إذا رأيت من يزهد في الدنيا فادنوا منه فإنه يلقى الحكمة . (وقال) إذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحبه وهو مقيم على معاصيه فاعلموا أنه استدراج . (وقال) إذا سبب الله لأحدكم رزقاً بوجه فلا يدعه حتى يتغيّر أو يتنكّر . (وقال) إذا غضبت فاسكّ . (وقال) إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بالحرز حتى يكفرها . (وقال) إذا لم تستح فاصنع ما شئت . (وقال) إذا مدحّ الفاسق غضب الرب وإهتزّ العرش . (وقال) إذا وقع القضا عمي البصر . (وقال) ازدد عقلاً تزدد من الله قرباً . (وقال) سلّ الله العفو

والعافية . (وقال) استعينوا على أموركم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود . (وقال) استعينوا على كل صنعة بأهلها . (وقال) استفت قلبك وإن أفتوك . (وقال) اسمح باسمك لك . (وقال) أشد الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر . (وقال) أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه . (وقال) أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وألمكم من عفا عند المقدرة . (وقال) أصب بطعامك من تحب في الله . (وقال) أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك . (وقال) أعظم الناس خطايا اللسان الكذوب . (وقال) أعظم الناس خطايا أكثرهم خوضاً في الباطل . (وقال) مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش فمن كثر كثر له ومن قل قل له . (وقال) إرحموا تُرحموا . (وقال) الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله . (وقال) أفضل الأعمال أن يسلم الناس من لسانك ويدك ، وما عظمت نعمة الله على عبد إلا عظمت مؤنة الله عليه . (وقال) ماتنزم الرحمة إلا من شقي . (وقال) ما من كلمة أفضل من كلمة عدل عند إمام جائر . (وقال) مصل الغني ظلم . (وقال) مداراة الناس صدقة . (وقال) ملك الدين الورم . (وقال) من سعادة المرء حسن الخلق . (وقال) نومة الصبح تمنع الرزق . (وقال) ويل لمن لبس الصوف فخالف فعله قوله . (وقال) لاتحدثوا أمتي من أحاديثي إلا بما تحتمله عقولهم . (وقال) لاتزال لا إله إلا الله ترفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرهم . (وقال) لاتكثر همك ما قدر يكت وما تُرزق يأتك . (وقال) لا يكون الرجل من المتقين حتى يدم ما لا بأس به حذراً مما به بأس . (وقال) لا ينبغي للمؤمن أن يذلل نفسه . (وقال) أيها الناس لاتستحيون تجمعون ما لاتأكلون وتبنون ما لاتسكنون . (وقال) يا ابن آدم ارض من الدنيا بالقوت فإن القوت لمن يموت كثير . (وقال) لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسب الخلق . (وقال) أحذر الدنيا وحلاوة رضاءها ومرارة فطامها . (وقال) ياعجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور . (وقال) يامعشر من أمت بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لاتفتابوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم . (وقال) يحشر الجبارون يوم القيامة في صورة الذر . (وقال) يقول الله اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصر غيري . (وقال) اليسر يمن والعسر شؤم . (وقال) اليوم الرهان وغدا السباق والغاية الجنة والهالك من دخل النار . (وقال) ما امتلأت دار حبرة إلا امتلأت عبرة وما كانت فرحة إلا تبعها ترحة . (وقال) ما أوحى الله إلي أن اجمع المال وكُن من المتاجرين ولكن أوحى إلي أن سبم بحمد ربك وكُن من الساجدين . (وقال) إنك لن تدم لله شيئاً إلا عوضك الله خيراً منه . (وقال) ما جعل الله ولياً إلا على السخا وحسن الخلق . (وقال) حق على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه . (وقال) ما من أحد ذي غنى ولا فقر إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي من الدنيا قوتاً . (وقال) ما هو بمؤمن من لا يامن جاره بوائقه . (وقال) ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان ، فيقول أحدهما اللهم أعط مُنفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً . (وقال) مت فقيراً ولاتمت غنياً . (وقال) مايسر الله على عبد في الدنيا إلا يسر عليه في الآخرة . (وقال) من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه . (وقال) من سعادة المرء حسن الخلق . (وقال) من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه . (وقال) من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم في طلب المعيشة . (وقال) من أذى جاره فقد أذاني ومن أذاني فقد أذى الله . (وقال) من أذى مسلماً بغير حق فكأنما هدم بيت الله . (وقال) من إتقى الله عاش قوياً وسار في بلاد عدوه آمناً . (وقال) من أحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده . (وقال) من أحب

قوماً حُشِرَ معهم . (وقال) مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ . (وقال) مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضْرَبَ بِأَخْرَجَتْهُ وَمَنْ أَحَبَّ  
أَخْرَجَتْهُ أَضْرَبَ بِدُنْيَاهُ ، فَأَثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى . (وقال) مَنْ اتَّقَى رَبَّهُ كَلَّ لِسَانُهُ وَلَمْ يُشْفِ غِيظُهُ .  
(وقال) مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَيْسَّرَ صَحِيفَتُهُ فَلْيُكْثِرْ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ . (وقال) مَنْ أَرَادَ أَنْ تُسْتَجَابَ دَعْوَتُهُ  
وَتُكْشَفَ كُرْبَتُهُ فَلْيُفْرَجْ عَنِ مَعْسِرٍ . (وقال) مَنْ أَرْضَى سُلْطَاناً بِمَا يُسْخَطُ رَبَّهُ خَرَجَ مِنْ دِينِ اللَّهِ .  
(وقال) تَفَرَّغُوا مِنْ هَمِّ الدُّنْيَا مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّ مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ أَفْشَى اللَّهُ تَعَالَى ضِيْعَتَهُ  
وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ أَكْبَرَ هَمِّهِ جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَمَا  
أَقْبَلَ عَبْدٌ فِي قَلْبِهِ عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَعَلَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ تَفْدُ إِلَيْهِ بِالْوَدِّ وَالرَّحْمَةِ .

## الباب السابع

### في ذكر شيءٍ من أدعيته

#### وهي أحدٌ وأربعون

- (الأول) اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرغم وقلب لا يخشع ودعاء لا يسّم .  
(الثاني) اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً .  
(الثالث) اللهم توفني فقيراً ولا تتوفني غنياً وأحشرنني في زمرة المساكين ، وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة .  
(الرابع) اللهم اني أعوذ بك من نفس لا تشبع ومن صلاة لا تنفع ومن دعاء لا يسّم ومن قلب لا يخشع .  
(الخامس) اللهم اجعلني شكوراً واجعلني صبوراً واجعلني في عيني صغيراً وفي أعين الناس كبيراً .  
(السادس) اللهم اني أسالك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم .  
(السابع) اللهم أستر عورتني وأمن روعتي واقض ديني .  
(الثامن) اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . من كان ذلك دعاؤه مات قبل أن يصيبه البلاء .  
(التاسم) اللهم لا تخزنا يوم القيامة ولا تفضحنا يوم اللقاء .  
(العاشر) اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، الی من تكلني الی عدو يتجهمني أو الی صديق ملكته أمري ، إن لم يكن بك من سخط علي فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السموات وأشرقت الظلمات وصلح له أمر الدنيا والآخرة أن تحل علي غضبك وتنزل علي سخطك ، لك الحمد حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك .  
(الحادي عشر) اللهم طهر قلبي من النفاق وعملي من الريا ولساني من الكذب وعيني من الخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .  
(الثاني عشر) اللهم أغنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية .  
(الثالث عشر) اللهم عافني في قدرتك وأدخلني في رحمتك وأقض أجلي في طاعتك واختم لي بخير عملي واجعل ثوابه الجنة .  
(الرابع عشر) اللهم اني أعوذ بك من شر الريم ومن ريم الشمال فإنها الريم العقيم .  
(الخامس عشر) اللهم امن روعتي واحفظ أمانتي واقض ديني .  
(السادس عشر) اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لانملكه إلا بك ، فاعطنا منا ما يرضيك عنا .  
(السابع عشر) اللهم اني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول .  
(الثامن عشر) اللهم اجعلني من الذين اذا أحسنوا استبشروا وإذا أسأوا استغفروا .  
(التاسع عشر) اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني .  
(العشرون) اللهم اغفر ذنبي ووسم لي في داري وبارك لي في رزقي ، فسئلك عنهم فقال وهل تركت من شيء .

- (الحادي والعشرون) اللّٰهُمَّ لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .
- (الثاني والعشرون) اللّٰهُمَّ اجعل لي لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً .
- (الثالث والعشرون) اللّٰهُمَّ اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني .
- (الرابع والعشرون) اللّٰهُمَّ اغفر لي وارحمني وألحِقني بالرفيق الأعلى .
- (الخامس والعشرون) اللّٰهُمَّ لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت ، اللّٰهُمَّ اني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تُضِلّني أنت الحيّ الذي لا يموت والجن والإنس يموتون .
- (السادس والعشرون) اللّٰهُمَّ اني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك .
- (السابع والعشرون) اللّٰهُمَّ اني أعوذ بك من الهم والكسل وعذاب القبر .
- (الثامن والعشرون) اللّٰهُمَّ أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما يهون علينا مصائب الدنيا ، ومتّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وأنصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .
- (التاسع والعشرون) اللّٰهُمَّ اني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء .
- (الثلاثون) اللّٰهُمَّ انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً ، الحمد لله على كلّ حال .
- (الحادي والثلاثون) اللّٰهُمَّ اجعلني أعظم شكرك وأكثر ذكرك وأسمم نصيحتك وأحفظ وصيتك .
- (الثاني والثلاثون) اللّٰهُمَّ متّعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني وأنصرني على من ظلمني وخذ منه بثاري .
- (الثالث والثلاثون) اللّٰهُمَّ اني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء .
- (الرابع والثلاثون) اللّٰهُمَّ ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل أعوذ بك من النار .
- (الخامس والثلاثون) اللّٰهُمَّ اني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه .
- (السادس والثلاثون) اللّٰهُمَّ اني أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق والرضا بالقدر .
- (السابع والثلاثون) اللّٰهُمَّ اني أعوذ بك من الكفر والضلالة والفقر الذي يصيب بني آدم .
- (الثامن والثلاثون) اللّٰهُمَّ اغفر لنا وإرحمنا وتقبّل منا وأدخلنا الجنة ونجّنا من النار وأصلح لنا شأننا كله . قالوا زدنا قال أولست قد جمعت الخير .
- (التاسع والثلاثون) اللّٰهُمَّ اغفر لي ذنبي وخطئي وعمدي ، اللّٰهُمَّ اني أستهديك لأرشد أمري وأعوذ بك من شر نفسي .
- (الأربعون) اللّٰهُمَّ أنصرني على من بغى عليّ وأرني ثاري على من ظلمني وعافني في جسدي ومتّعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني .
- (الحادي والأربعون) اللّٰهُمَّ أعني على الموت وهونه عليّ .

## الباب الثامن

### في وفاته

لما كملَ اللهُ تعالى له ولأمتِه الدينَ وأتمَّ عليهم النعمةَ نقله الى دار كرامته شهيداً من أكل الذرام المسموم الذي أهدى له بخير ليجمع الله له بين شرف النبوة والشهادة . فابتدأه المرض في العُشر الأخير من صفر سنة إحدى عشر في بيت أم المؤمنين سيدتنا ميمونة رضي الله عنها . فلما اشتدَّ وجعه تحوّل الى بيت عائشة وأقام مريضاً نحو إثني عشر يوماً . وتوفي في يوم الإثنين ثاني عشر من شهر ربيع الأول عند الجمهور .

و غسله سيّدنا عليّ وسيّدنا العباس وابناه القثم والفضل يعيناهما أسامة بن زيد وشقران يصبان الماء وأوس بن خولي الخزرجي ينقل الماء من بئر غرس . ولم يُجرّد من قميصه وجعل عليّ عليه السلام على يده خرقة وأدخلها تحت قميصه فغسله ودلّكه بماء وسدر ثلاث غسّلات ، ثم كُفّن في ثلاثة ثياب ليس فيها قميص ولا عمامة ، ثم صلّى الرجال عليه فرادى فوجاً بعد فوج يدخل فوج فيصلون ثم يخرجون ويدخل غيرهم ، ثم صلّى النساء والصبيان .

ثم دُفّن في البقعة التي قُبِضَ فيها لكونه كان قال عليه الصلاة والسلام ما قُبِضَ نبيٌّ إلا دُفّنَ حيث يُقْبِض . فرُفِعَ فراشه وحُفِرَ له تحتُه ودخل القبر الجماعة المذكورة وقيل إلا أسامة وأوس . وفرُشَ له في قبره قطيفة كان يلبسها ويفترشها فقالوا لا يلبسها أحدٌ بعده ، وهو كساء له حُمِلَ بجوانبه وقيل أخرجت قبل الإهالة . واتخذوا له لحداً أي شقّوه في جانب القبر ونُصبت عليه تسمُ لَبِنَات ، ثم أُطبقت . وجعلوا القبر مسطحاً لا مسنماً ولا لاطناً بالأرض ورشوا عليه ماءً بارداً . واشترك الناس كلهم في العزاء وطاشت العقول وخرست الألسن وأظلمت الدنيا . ودُفّن ليلة الأربعاء وقيل ليلة الثلاثاء ، وكانت ليلة ليلاء أي مظلمة لفقد الرسول وانقطاع الوحي . قال أنس رضي الله عنه ما نفضنا أيدينا من ترابه حتى أنكرنا قلوبنا ، وكانت وفاته أعظم المصائب وأفظع الدواهي ، وإرتدَّ كثيرٌ من الناس بك قالوا ما بقي مسجدٌ إلا ارتدَّ بعضُ أهله إلا ثلاثة مساجد . ثم أدرك الله تعالى الأنام بلطفه وخذل أهل الردّة ونصر الإسلام وأهله والحمد لله . وهذه النبذة يتعيّن على كل مسلم الإحاطة بها علماً ، وهي خلاصة عدّة أسفار وشرحها يحتل مجلدات وهي جديرة بأن تُفرد وتُحفظ . إنتهى .

(وقد أحببتُ) أن أنهي الكلام على هذا المقام بقصيدة نبوية تكون له مسك الختام ، فقلت متوسلاً به عليه الصلاة والسلام :

ومُجِيرِ النَّاسِ مِنْ نَارِ السَّمِيرِ  
بِالتَّسْفَاتِ يُجِيرُ الْقَلْبَ الْكَسِيرِ  
لَمْ يُحِطْ خَبِيراً بِهِ كَلَّ خَبِيرِ  
مَا لَهَا فِي حَضْرَةِ الْقَدْسِ نَظِيرِ  
خَلَقَ الْأَفْلاكَ مَوْلَاكَ الْقَدِيرِ  
أَنْتَ بَيْتَ الرِّسَالِ الْبَدْرُ الْمُنِيرِ  
شَمِلْتَ كُلَّ قَلِيلٍ وَكَثِيرِ

يا شفيهم الخلق في اليوم العسير  
أستميك النظر الي كسير لي  
أنت رمز الكنز غيب الغيب من  
أنت ذو المنزلة الزلفى التي  
أنت روم الكون لولك لما  
أنت مقصود الوجود المصطفى  
أنت تلك النعمة الكبرى التي

أنت فخر العالم المُختار من  
 رحمةً للعالمين المُرتضى  
 يا أَجَلَ الرُّسُلِ إني قد  
 وعَرَّاني ما عَرَّاني من عناءٍ  
 وأنا عبدٌ ضَعيفٌ مَذْنِبٌ  
 وحمالك الملجأ المقصود في  
 فأغثني يا غياث الأنبياء  
 وأغثني من بلاءٍ مُخْطِرٍ  
 واستجب لي وقيني ما أشتكي  
 يا نبِي الرحمة العظمى التي  
 لا تُخيبني فإني سائلٌ  
 يا أبا الزهراء كُن لي منقذاً  
 يوم لا مال مسالكاً  
 من لهذا المذنب العاصي إذا  
 جارت البلوى على جسми وهل  
 حاش خير الخلق أن يمنعني  
 وهو ذخر العالمين المُرتجي  
 وهو كاف للبرايا كافلاً  
 ذو يمينٍ وهبت كل يسار  
 كيف لأثني على حضرتهم  
 كيف لا والقمر إنشققاً له  
 والخصى سببم في راحته  
 وبكف من تراب يوم حنين  
 وإغثي من سرِّ الجمع الكبير  
 أي سيف أو يراعٍ قبله  
 بشر القيصر إذ قصّر في  
 معجزاتنا أحاول وصفها  
 أو أقلب بصري في حصرها  
 قدست عن حيلة العدة فمن  
 حسبه القرآن منه فلكم  
 عمّ عام الفيل خيراً وأقراً  
 وغدت أمينةً أمينة  
 ورأت إذ وضعت أنهما  
 وقصور الشام منه ظمرت  
 ليلة الإثنين ثاني عشر  
 ليلة أنطقت البشرية به

آدم المبعوث بالدين اليسير  
 للورى خير بشير ونذير  
 دهاني الدهر بالخطب الخطير  
 عسير زاد عن صبري اليسير  
 مستجير بحمك المستنير  
 كل حال من صفير وكبير  
 ليس لي غيرك والله من نصير  
 خاطري من خوفه غير قرير  
 وأجرني منه يا خير مجير  
 وسعت كل غني وفقير  
 واقف بالسباب مضطر حقير  
 يوم لا يغني كبير عن صفير  
 فيه أو يرفع وزراً عن وزير  
 لم يجره أحمد الهادي البشير  
 غير مغني فضله المغني يجير  
 رشفة من بحر البر النمير  
 عصم العاصي من الهول المبير  
 للعطايا ظاهر المجد ظهير  
 لمن في قبضة العسر أسير  
 بثناء يبهر العقل نضير  
 واليه قد شكا الضر البعير  
 وارتوى من فيضها الجم الغفير  
 وحده الجيش الكثير  
 بما لا يشبم الطفل الصغير  
 رام كسرى بصليلى أو صرير  
 بيعة الإسلام بالمر القصير  
 صار فكري حيرة كل مصير  
 ينقلب لي خاسناً وهو حسير  
 أين يحصيها نظم أو نثير  
 أعجزت آياته الحسب الخبير  
 مولد المختار جبار المستجير  
 ما يضر الأم حملاً أو يضير  
 أبرزت نوراً به الكون استنير  
 ودنا النجم سروراً للمسير  
 من ربيع الأول الشهر الشهير  
 كل وحش أخرست كل أمير

أخمدت للفُرس ناراً هي من  
بارك الله بها من ليلة  
إذ تجلّى رافعاً نحو السما  
النبي العربي المديني  
خاتم الرسك الكرام المديني  
لم يشتم الكون لولا فضله  
خلق الله له الخلق وما  
وسرى ليلاً من البيت الحرام  
ثم للسبم السموات التي  
ودننا من طور أو أدنى ونال  
جاء بالدين الحنيفي مظهراً  
فمن إنقاذ له الحسنى ومن  
لم لأقصدته وهو له  
أنا عبد من عبيد الباب بك  
بك أنا عبد كلاب سكنت  
عطف الله علينا قلبه  
وعليه ثابتت أركى صلاة  
مع تسليم عظيم كلما  
حين قلت حيلتي قلت له  
فهو عوني وهو غوثي وبه  
رضي الله عن القوم الأولي  
سادة لما رأوا شمس الهدى  
نفرنا من ظلمة الشرك إلى  
سبب الصديق والفاروق مع  
ثم باقي العشرة السادة والأل  
والى أعتابهم جاءت على  
كلمة تسخر بالأنجم في  
إن عدت من فضله مقبولة  
كيف أحصي وصف من لولاه  
وتعالى قدره الأعظم أن  
غير أنني طامع في عفو  
فمسي إحسانه ينظمني

الف عام في شميقت وزفير  
صبحها أسفر عن خير سفير  
رأسه للعرز في ذلك بشير  
أحمد الأخلاق محمود العشير  
سيد الأنوان ذو الفضل الغزير  
نفس الرحمن ذا الروح العاطر  
زاد في الزاد على قرص شعير  
الى الأقصى وجبريك السمير  
حضرة السدرة والقرب الخطير  
منى من ذلك الفوز الكبير  
للتقى بالحق للحق ظهير  
حاد عنه قلبه بنسب المصير  
فيض جود أجد الغيث المطير  
أنا في الأعتاب كلب يستمير  
طيبه الطيبة النشر العبير  
وجزاه كذا خير من نذير  
من الرحمن مادام ثبير  
قرع السم هديك أو هدير  
يا عريض الجاه إنني مستجير  
أثقي اليوم العبوس القمطير  
تبعمه ساعة العيش المرير  
جاء بالحق وبالصدق جدير  
نور التوحيد يانعم النفير  
ختمه منهل الخير الوفير  
والصحب فهم خير عشير  
غاية التقصير بالمدم تسير  
في نظمها أو تسحر الروح النصير  
جرت الذيل على نظم جرير  
ما كان هذا الكون إلا في الضمير  
يصل الفكر إليه أو يصير  
عن قصوري فهو من باعي القصير  
مع حسنان وإن كنت الأخير

وقلت أيضاً من القافية لا البحر مستعيناً بجاه هذا النبي البر والسيد المعظم صلى الله عليه وسلم :



رسول الله لي خطباً خطير  
رسول الله بصري كليل  
رسول الله مالي من نصير  
وفضلك لي به أملك قضي  
وأنت غياث كل الخلق طراً  
لعمرك يا أجيلك الرسل إني  
فأنعم بالحنو علي مالي  
فإن أدركتني بخفي لطف  
وإن لم ينجب برضاك كسري  
رسول الله إننا قد تولى  
إذا ما كان منك لنا نصير  
على كل الأنام لك الأيدي  
فما في الكون إلا مستمير  
من البيت الحرام سررت ليلاً  
إلى السبع الطباق إلى مقام  
مقام منار أو أدنى المعالي  
إلى نظر تبارك في دنو  
محال أن تحيط به عقول  
إذا عطف النبي فكل أمر  
بسطة يدي مفتقراً إليه  
فحاشا أن يرده يدي صفرأ  
وهلك أرضاً أقلت أو سمماً  
هو الداعي إلى الدين الحنيفي  
فطالم من يصدقته سعيد  
قصرت مدائح على لساني  
يطيب بذكره عيشي وقلبي  
فثابر يا عبيد على ثناء  
يراعك لا يرام إذا تغالي  
ولا تمدح سواه فكل شخص  
وكل عظيم فخر أو ثناء  
ومن يمدح سوى الله تعالي  
فصلى ثم سلم كل حين  
وإن ثم أصحاب كرام  
مدى الأيام ما الأعمار تمت

أنا منه بجاهك مستجير  
وأنت بكل أهالي بصير  
سواك الدهر يانعم النصير  
لساني عن إفادته قصير  
وجاهك ذلك الجاه الكبير  
لما أنزلت من خير فقير  
إلى غير الحمى الأسمى مصير  
فدهري لا يضُر ولا يضر  
فكيف مال أهالي يصير  
علينا ذلك الخطب الخطير  
وقد عظم البلاء فلمن نصير  
وفي رتب العلا القدم الشهير  
بفضلك أو بنورك مستنير  
إلى الأقصى وجبريل السميع  
به قد خصك المولى الخبير  
بكوكب مجدك الأسمى منير  
تعالى أن يكون له نظير  
ويعلم قدره إلا السقدير  
عسير من عواطفه يسير  
وقلبي بالإجابة لي قرير  
ومن أخلاقه الجود العزيز  
أظنت مثله أين النظير  
هو الحق المبين هو النذير  
ومهبط من يكذبه سمير  
وفكري قسراً فراد ينير  
يكاد لمدح شوقاً يطير  
له ما دام في الدنيا تبير  
بمدحتهم نظم أو نظير  
له فضل فمنه مستعير  
فما غير النبي به جدير  
وطه فاته الخير الكثير  
عليه الله والملا الكبير  
بهم يتيسر الأمر العسير  
ووالس أولاً منها أخير

وقلت مستغيثاً بحضرته المحمدية عليه أفضل الصلاة وأتم التحية :

يا لهي إليك محضُ التجائي  
وأعنتي ولا تكلني لِنفسي  
رباً إنني قد مسّني الضرُّ فاكشف  
وأغثنني بجاه خيبر البرايا  
الوجود السّاري بكلّ الذراري  
مفخر الكائنات ذو معجزات  
كيف تحصي عدواً وتمصر حداً  
وعقول الفحول قد عقلت عن  
ليلة من نور النبيّ تجلّت  
النبيّ الذي هدى الخلق للحقّ  
والرسول الذي حصل به السؤل  
أظهر الدين بين أظهر قوم  
فراوا أنّه الحقّ فأنقادوا  
رضي الله عنهم ورضوا عنه  
فعليه صلى وسلم ربّي

وههنا أقول طمعاً بالقول :

فأجرني ولا تخيّب رجائي  
إنني من عبيدك الضعفاء  
عني الضرُّ أرحم الرحماء  
خاتم الرُسل أول الأنبياء  
نقطة الباء حيطة الأنبياء  
معجزات الأنام بالإحصاء  
بلسات الإنشاد والإنشاء  
فهم أسرار ليلية الإسراء  
عن صباح مامسه من مساء  
باهداء الملة السمحاء  
لنا من لآلئ الألاء  
قاوموا بالذكاء نور ذكاء  
إليه بمقلة الزرقاء  
وأعظم بذلك الإرتضاء  
وعلى أله بغير انتهاء

قصدتك يا خيبر الوري بقصائد  
فإن تجزها بالالتفات فحظها  
ولاريب عندي في القبول فإنه

ثلاث الى أعتاب فضلك جائزة  
عظيم وأعظم بالتفاتك جائزه  
لديك سواء حاله غير جائزه

ثم تلقى عنه عليه الصلاة والسلام سرّ هذه النسبة المعظمة سيد هذه السلسلة المنظمة الإمام الجليل  
سيدنا عليّ بن أبي طالب نضر الله تعالى وجهه وكرمه .

## حضرة أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه

هو ، كما جمع به الإمام أبو حنيفة النعمان جميع الروايات الواردة في بيان من سبق بالإيمان ، أول جوهرة من جواهر الصبيان قد انتظمت في سلك الإيمان بأشرف الأديان وآخر الخلفاء الأربعة الراشدين ختم الله به الخلافة كما ختم النبوة بسيد المرسلين .

هو باب مدينة العلم وعباب القضاء والحكم بالعدل والفضل بالقول الفصل صلى إلى القبلتين وجمع في ولاية الظاهر والباطن بين الدولتين . فهو إمام العادلين المتقين وولي العالمين المتقين ذو اللسان السؤول والقلب العقول والأذن الواعية والعهود الوافية . هو الأحيشئ في دين الله والممسوس في ذات الله ، المنبيء عن جوامع حقائق التوحيد المشير إلى لوازم بوارق التفريد .

هو أحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليه أبو الأسود الدؤلي وأبو عبدالرحمن بن أبي ليلي . وهو أول خليفة من بني هاشم وأبو السبطين .

(أخرج) أبو يعلى عن علي رضي الله عنه قال ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين وأسلمت يوم الثلاثاء . وكان عمره عشر سنين وقليل دون ذلك . قال الحسن بن زيد بن الحسن ولم يعبد الأوثان قط لصغره . وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد إلا تبوك ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة وقال له : " ألم ترَضَ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي " .

وله في جميع المشاهد آثار مشهورة وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم اللواء في مواطن كثيرة . وقال سعيد بن المسيب أصابت علياً يوم أحد ست عشرة ضربة . وثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه الراية يوم خيبر وأخبر أن الفتم يكون على يديه . وأحواله في الشجاعة وأثاره في الحروب شهيرة . (وكان رضي الله عنه) شيخاً سميناً أصلم كثير الشعر ربة إلى القصر عظيم البطن عظيم اللحية جداً قد ملأت ما بين منكبيه بيضاء كأنها قطن آدم شديد الأدمة . روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة حديث وستة وثمانون حديثاً . وروى بنوه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وابن مسعود وابن عمر وابن الزبير وأبو موسى وأبو سعيد وزيد بن أرقم وجابر بن عبدالله وأبو أمامة وأبو هريرة وخلائق من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين . وورد في فضله أحاديث لم تُرو لأحد من الصحابة .

(أخرج) الترمذي والحاكم عن علي قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا مدينة العلم وعلي بابها " . هذا حديث حسن على الصواب لا صحيح كما قال الحاكم ، ولا موضوع كما قال جماعة منهم ابن الجوزي والنووي . وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية " ندم أبناءنا وأبناءكم " دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال اللهم هؤلاء أهلي .

(وقال حذيفة رضي الله عنه) قالوا يارسول الله ألا تستخلف علينا ؟ قال إن تولوا علياً وما أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً . وسئلك صلى الله عليه وسلم عنه ، فقال : " قُسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علياً

تسعة والناس واحداً . وقدم عليه يوماً فقال : "مرحباً بسيد المسلمين وإمام المتقين" . (وقال) إن الله أمرني أن أدنيتك وأعلمك ، وقال : "من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" ، وقال علي مني وأنا منه . وقال : "لا يحبهُ إلا مؤمن ولا يبغضهُ إلا منافق" .

(وقال) رضي الله عنه : "دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال -إن فيك مثلاً من عيسى أبغضه اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به - إلا وإنه يهلك في اثنتان محب مفرط يفرطني بما ليس في ومبغض يحمل شنائني على أن يبهتني" . (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أذى علياً فقد أذاني ومن سبه فقد سبني ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أحبه فقد أحبني" . (وقال) عليه الصلاة والسلام : "علي مع القرآن والقرآن مع علي" . وقال ابن عباس ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في علي .

(وكان) إذا غضب المصطفى لم يجترئ أحد أن يكلمه غيره . (وقال) لعلي ثمان عشرة منقبة ما كانت لأحد في هذه الأمة . قال الإمام أحمد ما ورد لأحد من الصحابة من الفضائل ما ورد لعلي ، رواه الحاكم وغيره . (وكان) رضي الله عنه الإستسلام والإنقياد شأنه والتبري من الحول والقوة مكانه وإذا أردت أن تعلم منزلته من المصطفى صلى الله عليه وسلم فتأمل صنيعه في المؤاخاة بين الصحابة ، جعل يضم الشكل الى الشكل والمثل الى المثل فيؤلف بينهما الى أن أخی بين أبي بكر وعمر وأدخر علياً لنفسه واختصه بأخوته ، وناهيك بها من فضيلة وأعظم بها من شرف .

لقد قيل في التصوف الإرتقاء في الأسباب الى المقدورات من الأبواب . (وكان) رضي الله عنه مزيناً بزينة العباد متحققاً بحلية الأبرار والزهاد ، بل في "الأحياء" عن ابن عيينة أنه كان أزهدهم الصحابة . وقد شهد له بكمال الزهد الإمام الشافعي لما قيل له نفر نفر من الناس عن علي إلا أنه كان لا يبالي بأحد ، فقال الشافعي : "كان عظيماً في الزهد والزاهد لا يبالي بأحد" . (وكان) بذات الله عليماً وعرفاناً لله في صدره عظيماً وقد قيل التصوف البروز من الإحتجاب الى دفع الحجاب .

(ومما حفظ من رشيقت عباراته ورقيقت إشاراتة) :

كونوا لقبول العمل أشد إهتماماً منكم بالعمل فإنه لن يقل عمل مع التقوى .

(وقال) ليس الخير أن يكثر مالك وولدك بل أن يكثر عملك ويعظم حملك . (وقال) إحتفظوا عني لا يرجو عبداً إلا ربه ولا يخاف إلا ذنبه ولا يستحي جاهل إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم . (وقال) الدنيا جيفة فمَن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب . (وقال) العارف الشعراني قدس الله سره) قلت والمراد بالدنيا ما زاد على الحاجة الشرعية بخلاف ما دعت الضرورة اليه ، وذلك أن فضول الدنيا شهوات وأهل الشهوات كثير ولذلك ماروي زاهد قط في محل مزاحمة على الدنيا كما هو مشاهد ، وإنما سمي طالب الفضول كلباً للدنيا لتعلق قلبه بها لأن الكلب مأخوذ من التكليل وكل من عسر عليه فراق شهوة فهو كلبها فافهم . وما توسع من توسع في مأكلا ولا ملبس إلا لقلته ورعه والشارع لم يأمر بالتوسع في الشهوات والله أعلم . إنتهى . (وقال) من رضي عن نفسه كثر الساخط عليه ومن ضيعه الأقرب أتيح له الأبعد ، ومن بالغ في الخصومة أثم ، ومن قصر فيها ظلم ، ومن كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته . (وقال) من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها . (وقال) إذا كان في رجل خلعة رائعة فلينتظر أخواتها . (وقال) الغيبة جهد العاجز ورب مفتون بحسن

القول فيه . (وقال) ما لبث آدم والفخر؟ أوله نطفة وآخره جيفة لا يبرزق نفسه ولا يدمع حنقه . (وقيل له) ألا نحرسك؟ فقال حارس كل إمريء أجله . (وقال) من ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه ومن دأب أربعين يوماً قسا قلبه . واشترى لحماً بدرهم وحمله فقيك حمل عنك فقال أبو العيال أحق بحمله . (وقال) الدنيا تفر وتضر وتتمر ، إن الله لم يرها ثواباً لأولياءه ولا عقاباً لأعدائه . (وقال) من صارم الحق صرعاً . (وقال) القلب مصحف مبصر . (وقال) كل مقتصر عليه كاف ومن لم يعط قاعداً لم يعط قائماً . (وقال) الدهر يومان يوم لك ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر وإذا كان عليك فلا تضجر . (وقال) من طلب شيئاً ناله أو بعضه . (وقال) الركون إلى الدنيا وما يعانى فيها من الجهد . والتقصير في حسن العمل إذا وثقت بالثواب عليه غبن . والطمأنينة إلى كل أحد قبل الإختيار عجز والبخل جامع لمساوي الأخلاق ، من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه . (وقال) الرغبة مفتاح النصب والحسد مطية التعب . (وقال) إذا أقبلت الدنيا فأنفقت منها فإنها لا تغني ، وإذا أدبرت عنك فانفقت منها فإنها لا تبقى . (وقيل له) ما بال العقلاء فقراء؟ فقال عقل الرجل محسوب عليه من رزقه . (وقال) لبعض الملحدين المنكرين للمعاد : إن كان الذي تظن أنت نجونا نحن وأنت وإلا نجونا وهلكت أنت . (وقال لعمر) إن أردت اللحوق بصاحبك فارقم القميص وقصر الإزار واخسف النعل وكُل دون الشبعم ، فمن تزيأ بزي قوم فهو منهم .

وكان له سويق في إناء مختوم يشرب منه ، فقيك له تفعل ذا بالعراق مع كثرة طعامهم؟ فقال أما اني لأختمهم بخلا بل أنا أكره أن يجعل فيه ما ليس منه فيدخل بطني غير طيب . (وقال) القبر صندوق العمل وبعد الموت يأتيك الخبر . (وقال) العجب ممن يهلك ومعه النجاة . قيل ما هي؟ قال الإستغفار . (وقال) السفر ميزان الرجال والحلم والأناة توأمان نتيجتهما علو الصمة . (وقال) ذهب المتقون بعاجل الدنيا وأجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهلها في آخراهم . (وقال) اتق الله بعض النقي وإن قل ، واجعل بينك وبين الحرام سترًا وإن رقت ، واتق المعاصي في الخلووات فإن الشاهد هو الحاكم . (وقال) القناعة سيف لا ينبو والصبر مطية لا تكبو وأفضل عدة صبر على شدة . (وقال) ما هلك امرؤ عرف قدره ، وقيمة كل إمريء ما يحسنه ، ومن عذب لسانه كثرت إخوانه . وبالبر يستعبد الحر ، وبشر مال البخيل بحادث أو وارث . (وقال) الجرم عند البلاء تمام المحنة . (وقال) لا ظفر مع بغي ولا ثناء مع كبر ولا صحة مع نهم وتخم ولا شرف مع سوء أدب ولا راحة مع حسد ولا سؤدد مع إنتقام ولا صواب مع ترك مشورة ولا مروءة لكذوب ولا شفييم أنجم من التوبة ولا لباس أجمل من العافية ولا داء أعيا من الجهل والمرء عدو صاحبه ، رحم الله امرؤاً عرف قدره ولم يتعد طوره . (وقال) إعادة الإعتذار تذكرة بالذنب والنصم بين الملأ تقرييم وأكبر الأعداء أخفاهم مكيدة والبخل جامع لمساوي العيوب . (وقال) إذا حلت المقادير ضاعت التدابير ، وعبد الشهوة أدل من عبد الرقت والحاسد مفتاض على من لا ذنب له والإحسان يقطم اللسان وأفقر الفقر الحمق وأغنى الغنى العقل . (وقال) إحذروا نفار النعم فما شارد بمرود ، وأكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع ، وإذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكر القدرة عليه . (وقال) ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وعلى صفحات وجهه . (وقال) من نظر في عيوب الناس وأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمت بعينه . (وقال) العفاف زينة الفقر

والشكر زينة الغنى . (وقال) رَدَّ الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ فَإِنَّ الشَّرَّ لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ . (وقال) أَعْظَمُ الذُّنُوبِ مَا اسْتَخَفَّ بِهِ صَاحِبِهِ . (وقال) كَانَتْ الْعُلَمَاءُ وَالْأَتْقِيَاءُ وَالْحُكَمَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ يَتَكَتَبُونَ بِثَلَاثٍ لَيْسَ لَهُنَّ رَابِعَةٌ : مَنْ أَحْسَنَ سَرِيرَتَهُ أَحْسَنَ اللَّهُ عَلَانِيَتَهُ ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَحْسَنَ اللَّهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ كَفَاهُ اللَّهُ دُنْيَاهُ . (وقال) رَأْسُ الدِّينِ صَحْبَةُ الْيَقِينِ . (وقال) الصَّبْرُ يَنَاضِلُ الْحَدَثَانَ وَالْجَزَمُ مِنْ أَعْوَانِ الشَّيْطَانِ . (وقال) لَا تَعْمَلِ الْخَيْرَ رِيَاءً وَلَا تَتْرِكْهُ حَيَاءً وَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلِّمْ فَإِنَّهُ قَلَّةٌ مَنْ يَتَشَبَّهُ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ . (وقال) رَسُولُكَ تُرْجِمَانُ عَقْلِكَ وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطَقُ عَنْكَ . (وقال) الْأَمَانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ . (وقال) لَوْ حَنَّتُمْ حَنِينُ الْوَالِدِ الثَّلَاثَانَ وَجَارْتُمْ جُورَ الرَّهْبَانِ ثُمَّ خَرَجْتُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فِي طَلَبِ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ وَابْتِغَاءِ رِضْوَانِهِ وَرَفَعِ دَرَجَةَ أَوْ غَفَرَ سَيِّئَةً كَانَ قَلِيلًا . (وقال) قَصَمَ ظَهْرِي رَجُلَانِ عَالِمٌ مَتَهَتَكَ وَجَاهِلٌ مَتَنَسَكَ . (وقال) رَوَّحُوا الْقُلُوبَ فَإِنَّمَا إِنْ كَرِهَتْ عَمِيَتْ . (وقال) وَيَلُكُّ لِقَاضِي الْأَرْضِ مِنْ قَاضِي السَّمَاءِ إِلَّا مَنْ عَدَلَ وَحَكَّمَ بِالْحَقِّ . (وقال) مَنْ أَشَدَّ الْأَعْمَالِ مَوَاسَاةَ الْأَخِ فِي الْمَالِ . (وقال) خَالَطُوا النَّاسَ بِالسَّنْتَمِ وَأَجْسَادَكُمْ وَزَيْلِهِمْ بِقُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ فَإِنَّ لِلْمَرْءِ مَا اكْتَسَبَ وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ . (وقال) التَّوْفِيقُ خَيْرٌ قَائِدٌ وَحَسَنُ الْخُلُقِ خَيْرٌ قَرِينٌ وَالْعَقْلُ خَيْرٌ صَاحِبٌ وَالْأَدَبُ خَيْرٌ مِيرَاثٌ وَلَا وَحْشَةٌ أَشَدَّ مِنَ الْعَجَبِ . (وقال) إِنَّ لِلنَّكِيَّاتِ نَهَايَاتٍ لَا بَدَّ لِأَحَدٍ إِذَا نَكَبَ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهَا . فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ إِذَا نَكَبَ أَنْ يَنَامَ لَهَا حَتَّى تَنْقُضِي مُدَّتَهَا . (وقال) جَزَاءُ الْمَعْصِيَةِ الْوَهْنُ فِي الْعِبَادَةِ وَالضَّيْفُ فِي الْمَعِيشَةِ . (ولما) ضَرَبَهُ ابْنُ مَلْجَمٍ وَدَخَلَ عَلَيْهِ الْحَسَنُ يَبْكِي . (فقال) إِحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا وَأَرْبَعًا إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ ، وَأَكْبَرُ الْفَقْرِ الْحُمْتُ ، وَأَوْحَشُ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ ، وَأَكْرَمُ الْكِرْمِ حُسْنُ الْخُلُقِ . وَالْأَرْبَعُ الْآخِرُ إِيَّاكَ وَمَصَاحِبَةُ الْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ يَضُرُّكَ ، وَمَصَادِقَةُ الْكَذَّابِ فَإِنَّهُ يَقْرَبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ وَيَبْعَدُ الْقَرِيبَ ، وَمَصَادِقَةُ الْبَخِيلِ فَإِنَّهُ يَقْعِدُكَ عَنْ أَحْوَجِ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ ، وَالتَّاجِرُ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّائِهِ . (وجاءه يهودي) فقال : متى كان ربنا ؟ فقال : لم يكن فكان هو ولا كينونة كان بلا كيف كان ليس له قبل ولا غاية إنقطعت الغايات دونه فهو غاية كل غاية . فأسلم اليهودي . (وقال) الْقَرِيبُ مِنْ قَرَبَتِهِ الْمَوَدَّةُ وَإِنْ بَعُدَ نَسَبُهُ وَالْبَعِيدُ مِنْ بَعْدَتِهِ الْعَدَاوَةُ وَإِنْ قَرَّبَ نَسَبَهُ . وَلَا شَيْءٌ أَقْرَبُ مِنْ يَدِ الْإِلَهِ جَسَدٌ وَإِذَا فَسَدَتْ قُطِعَتْ وَإِذَا قُطِعَتْ حُسِمَتْ . (وقال) الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقْنِطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَلَمْ يَرْحُصْ لَهُمْ فِي الْمَعَاصِيِ وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ عَذَابَهُ . (وقال) لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةِ لَا عِلْمَ فِيهَا وَلَا عِلْمَ لَا فَهْمَ فِيهَا وَلَا قِرَاءَةَ لَا تَدَبَّرَ فِيهَا . (وقال) الدُّنْيَا قَدْ تَرَحَّلَتْ مُدْبِرَةً وَالْآخِرَةُ قَدْ تَرَحَّلَتْ مُقْبِلَةً وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ لَا الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ . (وقال) كُونُوا يَنْابِغِ الْعِلْمِ مَصَابِيحِ الْمَلِيكِ خُلُقَانَ الثِّيَابِ جَدِّ الْقُلُوبِ تُعْرِفُوا بِهِ فِي السَّمَاءِ وَتَذَكَّرُوا بِهِ فِي الْأَرْضِ . (وقال) طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ . (وقال) لِلْمُرَائِيِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ ، يَكْسَلُ إِذَا انْفَرَدَ ، وَيَنْشَطُ عِنْدَ النَّاسِ ، وَيَزِيدُ فِي الْعَمَلِ إِذَا أُثْنِيَ عَلَيْهِ وَيَنْقُصُ إِذَا ذُمَّ . وَسَمِعْتُ صَوْتَ نَاقُوسٍ فَقَالَ : تَدْرُونَ مَا يَقُولُ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : يَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ حَقًّا إِنْ الْمَوْلَى الصَّمَدُ يَبْقَى . (وقال) إِنْ دِينُ اللَّهِ بَيْتُ الْغَالِيِ وَالْمَقْصَرُ فَعَلَيْكُمْ بِالْفَرَقَةِ الْوَسْطَى فَإِنَّ بِهَا يَلْحَقُ الْمَقْصَرُ وَالْيَاثِي

يرجم الغالي . وقال (العسكري) لم يرد في التوسط أحسن من هذا .  
وخرج يوماً فإذا بقوم جلوس قال : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قالوا : شيعتُكَ . فقال : سبحان الله ما لي لأرى عليكم  
سيما الشيعة عَمَشُ العيون من البكاء خُمصُ البطون من الصوم ذُبُ الشفاه من الدعاء صُفرُ الألوان  
من السهر على وجوههم طيرةُ الخاشعين .

(وقال) أوحى الله الى عيسى مرُ بني إسرائيل أن لا يدخلوا بيوتى إلا بقلوب طاهرة وأبصار خاشعة  
وأيدٍ نقيّة ، فإني لأستجيب لأحد منهم ولأحد عنده مظلّمة . (وقال) القلوب أوعيةٌ فخيرها أوعاها .  
(وقال) الناس على ثلاثة : فعالم ربّاني ، ومتعلّم على سبيل نجاة ، وهمم رعا م أتباع كلّ ناعفٍ  
يميلون مع كلّ ريم .

(وقال) لما قتل ابن آدم أخاه بكى آدم وقال :

تغيّرت البلاد ومنّ عليها فوجه الأرض مفبرّ قبيح  
تغيّر كلُّ ذي طعمٍ ولونٍ وقلّ بشاشة الوجه المليح

أخرج عنه الطبراني لكن نوزع بما رواه الثعلبي عن ابن عباس عن سيّدنا محمد والأنبياء كلّهم صلى  
الله عليهم وسلّم في النهي عن الشعر سواء .

(وأخرج) تاج الإسلام بسنده عن شريم قال اشتريت داراً بالكوفة فبلغ أمير المؤمنين عليّاً فقال :  
يا شريم اشتريت داراً ؟ قلت نعم . قال : أشهدت عدولاً ؟ قلت نعم . قال : إنّ الله فإنه سيأتيك من  
لا ينظر في كتابك ولا يسأل عن بينتك أنظر أن لا تكون اشتريت داراً من غير مالك ووزنت مالاً من غير  
حلّ . فتخسر الدارين ولو كنت حين اشتريت صرت اليّ كنت كتبت لك الصكّ على هذه النسخة إذ  
ما كنت تشتريها بدرهم . قلت : وما كنت تكتب ؟ قال : أكتب هذا ما اشتري العبد الذليل من ميت  
أزعم بالرحيل . اشتري هذا المفتون بالأمل من المزعج بالأجل داراً بمحلة الغرور من الجانب الفاني  
في عسكر الهالكين لها حدود أربعة . فحد منها ينتهي الى دواعي الآفات والثاني الى دواعي العاهات  
والثالث الى دواعي المصيبات والرابع الى الهوى المردي والشيطان المغوي . وفي هذا الحد يشرم  
باب هذه الدار بالخروج عن عزّ القنوم والدخول في دار الحرص والفضول . فما أدرك هذا المشتري من  
درك فعلى مبلّى أجساد الملوك مناكب نفوس الجبابرة ككسرى والقيصرة وتبّع وحمير ومن بنى  
وشيد ، شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى والمعرفة إذا خلت من قيد المين والسلام .  
(وكان رضي الله عنه) يقول أعلم العلماء بالله أشدّهم حباً لله وتعظيماً لأهل لإله إلا الله . قال  
العارف الشعرائي قدّس الله سرّه : "لأن أقلّ ما هناك أن العبد يجالس ربّه في الجنة بقدر ماعمل من  
العبادات والله أعلم . إنتهى" .

(وقال) إذا كان يوم القيامة أتت الدنيا بأحسن زينتها قالت ياربّ هبني لبعض أوليائك ، فيقول الله  
عزّ وجلّ لها إذهبي بما لاشيء فلأنت أهون من أن أهيك لبعض أوليائي ، فتطوى كما يطوى الثوب  
الخلّف فتلقى في النار . (وقال) إن أخوف ما أخاف عليكم إتبام الهوى وطول الأمل ، فأما إتبام الهوى  
فيضلّ عن الحق ، وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة . (وقال) هاه ، هاه ، إن ههنا علماً - وهو يشير الى  
صدره - ولو أصبت له حمله .

(وكان) يخاطب الدنيا ويقول قد طلقتك ثلاثاً عمرُك قصير ومجلسك حقير وخطرُك كثير أه ، أه من  
قلّة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق .

(وقال) لم يرضَ الحقّ من أهل القرآن الإدهان في دينه والسكوتُ عن معاصيه . (وقال) ما نلتَ من دنياك فلا تكثرث فيه فرحاً وما فاتك منها فلا تبتئس عليه حزناً وليكن همكُ فيها الموت . (وقال) أشدُّ الأعمال ثلاث : إعطاءَ الحقّ من نفسك وذكرُ الله على كلّ حال ومواساة الإخوات من المال .

(وقال أبو عبيدة في كتاب الأمثال) ارتجل عليّ كرمُ الله وجهه تسم كلمات : قطع الأطماع عن اللحاف بواحدة منهنّ ثلاث في المناجاة وثلاثاً في العلم وثلاثاً في الأدب . فأما التي في المناجاة فقولُه "كفاني عزّاً أن تكونَ لي ربّاً وكفاني فخراً أن أكونَ لك عبداً أنتَ لي كما أحبُّ فوقني لما تُحبُّ" . وأما التي في العلم فقولُه "المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه تكلموا تُعرفوا ، ماضاع امرؤُ عرفَ قدره" . وأما التي في الأدب فقولُه "أنعم على من شئتَ تكُنْ أميره ، واستغنِ عمن شئتَ تكُنْ نظيره ، واحتجْ الي من شئتَ تكُنْ أسيره" . وخطبهُ وكلامه أفرد بعدة أسفارٍ كبار .

(وأما ما نقلَ عنه) من التقلُّم والتزهّد وأشهر به من الترهّب والتعبّد فكثير . وقد قيل التصوّف السلوُّ عن الإعراض بالسموّ الى الأغراض . (جاءه ابن التيّام) فقال : يا أمير المؤمنين إمتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء . فقال : الله أكبر - فنادى في الناس ففرّق جميع ما فيه وهو يقول - يا صفراء ويا بيضاء غريّ غيري هاء وهاء... حتى ما بقي فيه دينار ولا درهم ، ثم أمر بنضحه وصلّى فيه ركعتين .

ومابنى لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة . وكان يلبسُ أزاراً غليظاً أسود بخمسة دراهم . وكان يرقم قميصه فقيلاً : يا أمير المؤمنين لمَ هذا ؟ فقال : يُخشمُ القلب ويقتدي به المؤمن .

ودخل يوماً السوق فقال من عنده قميص بثلاثة دراهم ؟ فقال له رجل عندي . فأتاه فأعطاه فلبسه فبأذا به يفصل عن أطراف أصابعه فأمر به فقطع . وباع سيفه في ثمن أزار وقال والله لو كان عندي مابعتَه فطالما كشفت به الكرب عن المصطفى صلى الله عليه وسلم . ودخل سيدنا ضرار على سيدنا معاوية رضي الله عنهما فقال : صف لي علياً . فقال : أو تعفيني ؟ قال : لا . قال : أما إذا كان ولا بُد ، فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقولُ فصلاً ويحكمُ عدلاً يتفجرُ العلم من جوانبه وتنطقُ الحكمة من نواحيه يستوحشُ من الدنيا وزهرتها ويأنسُ بالليل وظلمته غزير العبرة طويل الفكرة ، يقلّب كفه ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما حشّن ، يُعظّم أهل الدين ويحبُّ المساكين . لا يطعمُ القويُّ في باطله ولا يبيأسُ الضعيف من عدله .

(وكان) أتى رضي الله عنه بفالودج فوضّع بين يديه ، فقال : إنك طيب الرائحة حسن اللون طيب الطعم غير أنّي لأعود نفسي ما لم تهتده ورده ولم يأكل منه شيئاً . ولم يأكل طعاماً منذ قُتل عثمان ونُهبت الدار إلا مختوماً حذراً من الشبهة . (وكان) قوته وكسوته مما يؤتى به من المدينة ولم يأكل من طعام العراق إلا قليلاً . (وكان) يبردُ في الشتاء ترتعدُ أعضاؤه ، فقيلاً له ألا تأخذ لك من كساء بيت المال فإنه واسع ؟ فقال لأنقصُ المسلمين من بيت مالهم شيئاً ، وكان يحاسب نفسه على كلّ شيء .

ونختم ترجمة هذا الإمام بخبر رواه بعض الأعلام وهو ما خرجه الحافظ أبو نعيم بسند قويّ جداً عن خديفة مرفوعاً "من سرّه أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويتمسك بالقصبة الياقوتية التي خلقها الله بيده ثم قال لها كوني فكانت فليتلوّ علي بن أبي طالب . إنتهى" .

(أقول) ورأيت من شرم رسالة سلسلة الذهب للشيخ محمد مراد الأزبكي في الطريقة العلية



النقشبندية أنه : وُلِدَ في جوف بيت اللّهُ الحرام ، وقيل لم يتيسر ذلك لأحد قبله ولا بعده ، وذلك ليلة الأحد في الثالث والعشرين من شهر رجب بعد ثلاثين سنة من عام الفيل ، إنتهى . وقد عَمَّ السنة والشهر واللييلة التي قُتِلَ فيها ، ولَمَّا خرج لصلاة الصبح صامَ الإوزُ في وجهه فطُرِدَ عنه . فقال :  
- دعوهنَّ فإنهنَّ نوائح .

(قَتَلَهُ رضي الله عنه) عبدالرحمن بن ملجم في رمضان سنة أربعين وقد نَيَّفَ علي السنين . وقد ذكروا لقتله أسباباً منها أن ابن ملجم عشقَ امرأةً من الخوارج يُقال لها (قطام) فأصدقها ثلاثة آلاف وقتل علي وفي ذلك قال الفرزدق شعراً :

فَلَمْ أَرِ مَهْرًا سَاقَهُ ذُو سَمَاحَةِ      كَمَهْرِ قِطَامٍ بَيْنَ غَيْرِ مُعْجَمِ  
ثَلَاثَةَ أَلْفٍ وَعَبْدٌ وَقَسِينَةٌ      وَضُرِبَ عَلِيٌّ بِالْحَسَامِ الْمُصَمِّمِ  
فَلَا مَهْرٌ أَعْلَى مِنْ عَلِيٍّ وَإِنْ غَلَا      وَلَا فَتَكٌ إِلَّا دُونَ فَتَكِ ابْنِ مُلْجَمِ

(خرج) علي ينادي لصلاة الصبح أيها الناس فاعترضه ابن ملجم فضربه بسيف فأصاب جبهته الى قرنه ووصل الى دماغه ، فشَدَّ عليه الناس فأمسك وأوثقَ وذلك في صبح الجمعة . فأقام علي الجمعة والسبت ومات ليلة الأحد ودُفِنَ بقصر الإمارة بالكوفة ليلاً على أحد الأقول ثم قُطعت أطراف ابن ملجم وجُعِلَ في قوصرة وأُحرقَ بالنار .

(وأقول) ونقل العلامة الشيخ محمد بن الحسن بن عبدالله الحسيني في "مجمع الأحياب" عن ابن سعد :  
"قال أهل السير أنتدب ثلاثة من الخوارج عبدالرحمن بن ملجم المرادي وهو من حمير وعاداه في بني مراد وهو حليف ابن صلّة من كنده ، والبرك بن عبدالله التميمي ، وعمرو بن بكر التميمي . فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا ليقتلوا علي بن أبي طالب ومعاوية وعمرو بن العاص . فقال ابن ملجم أنا لعلي وقال البرك أنا لمعاوية وقال الآخر أنا لعمر . وتعاهدوا أن لا يرجع أحد منهم حتى يقتله أو يموت دونه وتواعدوا ليلة سابع عشر من رمضان ، فتوجه كل واحد الى المصر الذي فيه صاحبه الذي يريد قتله . فضرب ابن ملجم علياً رضي الله عنه بسيف مسموم في جبهته فأوصله دماغه في اللييلة المذكورة ليلة الجمعة ، ثم توفي علي رضي الله عنه في الكوفة ليلة الأحد تاسع عشر رمضان سنة أربعين . إنتهى ."

ونقل في "العقد الفريد" عن التميمي بإسناد له قال :

"لما تواعد ابن ملجم وصاحبا به بقتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص دخل ابن ملجم المسجد في فروغ الفجر الأول ، فدخل في الصلاة تطوعاً ثم افتتح في القراءة وجعل يكرر هذه الآية (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) . فأقبل علي رضي الله عنه بيده مخففة وهو يوقظ الناس للصلاة ويقول أيها الناس الصلاة الصلاة . فمر بابن ملجم وهو يردد هذه الآية . فظن علي أنه ينسى فيها ففتح علي فقال (والله رؤوف بالعباد) ، ثم إنصرف علي وهو يريد أن يدخل الدار ، فأتبعه فضربه على قرنه ووقع السيف في الجدار فأطار قدرة من آخره . فابتدره الناس فأخذوه فوقم السيف منه فجعل يقول أيها الناس إحدروا السيف فإنه مسموم . قال فأتي به علي ، فقال : "أحيسوه ثلاثاً وأطعموه واسقوه فإن أعش أرى فيه رأيي وإن مت فاقتلوه ولا تمثلوا به" .

فمات من تلك الضربة ، فأخذه عبدالله بن جعفر فقطع يديه ورجليه فلم يفزع ثم أراد قطع لسانه ففزع ، فتيك له : لم لم تفزع لقطع يديك ورجليك وفزع لقطع لسانك ؟ قال : إنني أكره أن تمر

بي ساعة لأذكرُ الله فيها . ثم قطعوا لسانه وضربوا عنقه .  
وتوجَّه الخارجيُّ الآخر الى معاوية فلم يجد اليه سبيلاً وتوجَّه الثالث الى عمرو بن العاص فوجده قد  
أغفل تلك الليلة فلم يخرج الى الصلاة وقَدَّمَ مكانه رجلاً يُقال له خارِجة . فضربه الخارجيُّ بالسيف  
وهو يظنُّه عمرو بن العاص فقتله . فأخذَه الناس فقالوا : قتلت خارِجة . قال : أوليسَ عمراً ؟ قالوا له  
لا . قال : أردتُ عمرواً وأراد الله خارِجة .  
قال في "مجمع الأحاب" رأيت في بعض التصانيف أن أحد الفضلاء نظم قصيدة ذكَّر فيها جماعة من  
الإسلام فمنها :

وخضبتُ شَيْبَ عَثْمَانَ دماً وخطتُ الى الزبير ولم تستحي من عمر  
وليئتها إذ فدتُ عمراً بخارِجة فدت علياً بمن شاءت من البر  
(ورويانا) أنه لما ضربه ابن ملجم قال فُزْتُ وربَّ الكعبة . قالوا ولما فرغ علي من وصيته قال السلام  
عليكم ورحمة الله وبركاته ثم لم يتكلم إلا كلمة الشهادة لآله إلا الله حتى توفي ودُفِن بالكوفة . (قال أبو  
بكر بن عياش) عَمِّي قبر علي لئلا تنبشهُ الخوارج . (وقال شريك) نقله ابنه الحسن الى المدينة . (وقال  
المبرد) عن محمد بن حبيب : "أول من حوَّل من قبر الى قبر علي رضي الله عنه حملوه ليدفنوه مع رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ، فبينما هم في مسيرهم ليلاً إذ ندَّ البعير الذي هو عليه فلم يدر أين ذهب ولم  
يُقدِّر عليه" . قال : "فلذلك يقول أهل العراق هو في السحاب" . وقال غيره إن البعير وقع في بلاد طيء  
فأخذوه فدفنوه . وكان له حين قتل ثلاث أو أربع أو خمس وستون وقيل سبعم أو ثمان وخمسون سنة وكان  
له تسع عشر سرية .

قال ابن تقيية : "ولعلي من الأولاد الحسن والحسين ومحمد وأم كلثوم وزينب الكبرى من فاطمة . وله  
من غيرها أولاد كثيرون . انتهى" . وله رضي الله عنه نظمٌ كلُّه حكيمٌ وعلم ، فمن ذلك ما خرج عن حمزة بن  
حبيب الزيات قال : كان علي رضي الله عنه يقول :

لأثفش ســـــــرك إلا إليك فإني لكل نصيـم نصيحاً  
فإني رأيت غـواة الرجال لا يدعون أديماً صحيحاً

وأخرج عن نبيط الأشجعي عنه رضي الله عنه أنه كان يقول :

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق بها الصدر الرحيبُ  
وأوطنت المكاره وإطمأنت وأرست في أماكنها الخطوبُ  
ولم يرْ لِنكشاف الضُرِّ وجهٌ ولاغنى بحيلته الأريبُ  
أتاك علي قنوط منك غوثٌ يجيء به القريب المستجيبُ  
وكل الحادثات إذا تناهت فموصول به الفرَجُ قريبُ

وأخرج عن المبرد كان مكتوباً على سيف علي بن أبي طالب :

للناس حرصٌ على الدنيا وتدبيرٌ وصَفوها لك ممزوج بتكدير  
لم يرزقوها بعقب بعدما قُسمت لكنهم رزقوها بالمقادير  
كم من أديبٍ لبيبٍ لاتساعده وأحمق ناك دنياه بتقصير  
لو كان عن قنوة أو عن مغالبة طار البُرْاة بأرزاق العصافير

وقال رضي الله عنه :

وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ  
شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

وداؤك منك وتستخبر  
بأحرفه قد طوى المضمير  
وفيك انطوى العالم الأكبر

ويكفي المرء من دنياه قوت  
وحرص ليس تدركه النعوت  
الى قوم كلامهم السكوت  
فقال رضي الله عنه :

إن أخاك الحقّ من كان معك  
ومن إذا ريب الزمان صدّك

ومما يعزى له أيضاً من قصيدة طويلة :

دواؤك فيك ولا تشمر  
وأنت الكتاب المبين الذي  
وتزعم أنك جرّم صغير

ومنه أيضاً :

حقيقاً بالتواضع من يموت  
فمال المرء يصبح ذا هموم  
فيا هذا سترحل عما قريب

ولمّا إنتقل الى الفردوس الأعلى رثاه أبو الأسود الدؤلي فقال رضي الله عنه :

ألا تبكي أميبر المؤمنيننا  
بعبرتها وقد رأت اليقيننا  
فلا قرّت عيون الحاسديننا  
بخير الناس طراً أجمعيننا  
وذللها ومن ركب السفيننا  
ومن قرأ المثاني والمئيننا  
وحسب رسول رب العالميننا  
بانك خيرهم حسباً وديننا  
رأيت البدر فوق الناظريننا  
نرى مولى رسول الله فينا  
ويعدك في العدا والأقربيننا  
ولم يخالفك من المتكبريننا  
نعام حار في بلد سنيننا

ألا ياعين ويحك أسعدينا  
وتبكي أم كلاً ثوم عليه  
الأقل للخوارم حيث كانوا  
أفي شهر الصيام فجمعتمونا  
قتلتم خير من ركب المطايا  
ومن لبس النعال وحذاها  
وكل مناقب الخير فيه  
لقد علمت قريش حيث كانت  
إذا استقبلت وجه أبي حسين  
وكنّا قبل مقتلهم بخير  
يقيم الحق ولا يرتاب فيه  
وليس بكاتم علماً لديه  
كأن الناس إذ فقدوا علياً  
فلاتشمت معاوية بن صخر

ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة عنه جم غفير من الصحابة والتابعين أعظمهم سيد هذه السلسلة  
الجليلة شبله سيدنا الحسين رضي الله عنهم أجمعيت .

## سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما

حسبُ البراعة في مقام البراعة بالثناء على هذا السيد الجليل والسيب السليل الإمام أن جدّه فخر العالم صلى الله عليه وسلم قال في حقّه : "حَسْبُ مَنِّي وَأَنَا مِنْهُ اللَّهُمَّ أَحَبُّ مَنْ أَحَبَّ حَسِينًا ، حَسِينٌ سَبِطٌ مِنْ الْأَسْبَاطِ" رواه الحاكم عن يعلى العامريّ وصححه . (وجلس) صلى الله عليه وسلم يوماً في المسجد واحتبى ثم قال لأبي هريرة أدمُ لي (لُكَّام) فأتى بحسين يشدّ حتى وقع في حجره ثم أدخل يده في لحيته فجعل المصطفى صلى الله عليه وسلم يفتّم ثم الحسين ويدخل فاه في فيه ويقول : "اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَجِبْهُ" رواه الحاكم .

وُلِدَ الحسِينُ رضي الله عنه سنة أربع أو ست أو سبع وقيل لم يكن بين الحمل بالحسين بعد ولادة الحسن إلا طمراً واحداً ، وكان شجاعاً مقداماً من حيث كان طفلاً . أتى عمر وهو يخطب على المنبر ، فصعد إليه ، فقال : إنزل عن منبر أبي وإذهب إلى منبر أبيك .

فقال عمر : لم يكن لأبي منبر .

وأخذه فأجلسه معه وقال له : مَنْ عَلَّمَكَ ؟

فقال : واللّه ما علمني أحد .

(وكان) ابن عمر جالساً في ظل الكعبة إذ رأى الحسين مُقبلاً فقال : "هذا أحبُّ أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم" . وكانت إقامته بالمدينة إلى أن خرج مع أبيه إلى الكوفة فشهد معه مشاهدته وبقي معه إلى أن قُتِلَ ثُمَّ مع أخيه حتى انفصل فرجع للمدينة واستمر بها حتى توفي معاوية . فأخرج يزيد إليه يريد من يأخذ بيعته فامتنع وخرج إلى مكة فأتته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية . فأشار عليه ابن الزبير بالخروج وابن عباس وابن عمه بدمع . فأرسل ابن عمه مسلم بن عتيق فأخذ بيعتهم وأرسل إليه يستقدمه . فخرج الحسين من مكة قاصداً العراق ولم يعلم بخروجه ابن عمر ، فخرج خلفه فأدركه على ميلين من مكة ، فقال :

- إنني محدّثك حديثاً إن جبريك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخيّره بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة وإنك بضعة منه والله لا يليها أحدٌ منك .

فقال : إن معي حملين من كتب أهل العراق ببيعتهم .

فقال : ماتنم بقوم قتلوا أباك وخذلوا أخاك .

فأبى إلا المضي فاعتنقه وبكى ، وقال : أستودعك الله من قتيل .

ثم سافر فكان ابن عمر يقول : "غَلَبْنَا حَسِينًا بالخروج ولعمري لقد رأى في أخيه والله عبرة" . وكلمه في ذلك وجوه الصحابة جابر بن عبد الله وأبو سعيد وأبو واقد وغيرهم . فلم يطعم أحداً منهم وصم على المسير . فقال له ابن عباس : واللّه إنني لأظنك ستقتل بين نساءك وأبنائك وبناتك كما قُتِلَ عثمان .

فلم يقبل . فبكى ابن عباس وقال : أقررت عين ابن الزبير .

فلما رأى ابن عباس ابن الزبير قال له : قد جاء ما حببت هذا الحسين خرج وتركك والحجاز .

فَعَلِمَ يَزِيدٌ بِخُرُوجِهِ فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَالِيهِ عَلَى الْكُوفَةِ بِأَمْرِهِ بِطَلْبِ مُسْلِمٍ وَقَتْلِهِ . فَظَفَرَ بِهِ وَقَتَلَهُ . وَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ حَسِينًا حَتَّى صَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ ، فَلَقِيَهُ الرَّبُّ بْنُ زَيْدِ التَّمِيمِيِّ فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ فَبَنِي لَمْ أَدَمْ لَكَ خَلْفِي خَيْرًا . وَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ . وَلَقِيَ الْفَرَزْدَقَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ : قُلُوبَ النَّاسِ مَعَكَ وَسَيُفْهِمُ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ وَالْقَضَاءُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ .

فَهَمَّ أَنْ يَرْجِعَ وَكَانَ مَعَهُ أَخُوهُ مُسْلِمٌ فَقَالُوا لِأَنْرَجِعَ حَتَّى نَصِيبَ بَنَاهُ أَوْ نُقَتَلَ . فَسَارُوا وَكَانَ ابْنُ زِيَادٍ جَهَزَ جَيْشًا قُوَامَهُ أَرْبَعَةُ أَلْفٍ وَقِيلَ عَشْرُونَ أَلْفًا لِمَلَقَاتِهِ . فَوَافَوْهُ بِكَرْبَلَاءَ فَنَزَلَ وَمَعَهُ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ فَارِسًا وَنَحْوَ مِائَةِ رَاجِلٍ وَلَقِيَهُ الْجَيْشُ وَأَمِيرُهُمْ عَمْرُو بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ . وَكَانَ ابْنُ زِيَادٍ وَوَلَاهُ الرَّيَّ وَكَتَبَ لَهُ بِعَهْدِهِ عَلَيْهَا ابْنَ حَارِبِ الْحَسِينِ . وَرَجِعَ فَلَمَّا إلتَقِيَا وَأَرْهَقَهُ السَّلَامُ قَالَ لَهُ الْحَسِينُ إِخْتَرِ مَنِّي ثَلَاثًا إِمَّا أَنْ أَلْحَقَ بِثَغْرِ مِنَ الثَّغُورِ وَإِمَّا أَنْ أَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَإِمَّا أَنْ أَضْمَ يَدِي فِي يَدِ ابْنِ مَعَاوِيَةَ . فَقَبِلَ ذَلِكَ عَمْرُو مِنْهُ وَكَتَبَ بِهِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ . فَكَتَبَ هَذَا إِلَيْهِ لِأَقْبَلَ مِنْهُ حَتَّى يَضْمَ يَدَهُ فِي يَدِي فَاِمْتَنَمَ الْحَسِينُ . فَتَاهَبُوا لِقَاتِهِ وَكَانَ أَكْثَرَ مَقَاتَلَتِهِ الْكَاتِبِينَ إِلَيْهِ وَالْمَبَايِعِينَ لَهُ . فَلَمَّا أَيَقُنَ أَنَّهُمْ قَاتَلُوهُ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ خَطِيبًا . فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

"قَدْ نَزَلَ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَرَوْنَ وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا وَإِنشَمَرَتْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ وَالْأَخْسِيسِ عَيْشِ كَالْمَرْعَى الْوَبِيلِ . أَلَا تَرَوْنَ الْحَقَّ لَايُعْمَلُ بِهِ وَالْبَاطِلَ لَايُتَنَاهَى عَنْهُ ، لِيَرْغَبَ الْمَرْءُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ فَبَنِي لِأَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةَ وَالْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا حَرَامًا" .

فَقَاتَلُوهُ فَكَانَ آخِرَ الْأَمْرِ أَنْ قُتِلَ وَقَتَلَ مَعَهُ سَبْعَةٌ عَشَرَ شَابًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَذَلِكَ بِكَرْبَلَاءَ كَمَا فِي خَبَرِ رِوَاةِ الطَّبْرَانِيِّ . (فَبَانِ قُلْتُ) يِنَافِيهِ مَاوَرِدُ عَنِ الطَّبْرَانِيِّ أَيْضًا عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ : "أَخْبَرَنِي جَبْرِيلُ أَنَّ الْحَسِينَ يُقْتَلُ بَعْدِي بِأَرْضِ الطُّفِّ وَجَاءَنِي جَبْرِيلُ بِهَذِهِ التَّرْبَةِ وَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهَا مَضْجَعَهُ" . وَمَا رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : "دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَعَيْنَاهُ تَفِيضَانُ فَسَأَلْتَهُ ، فَقَالَ أَخْبَرَنِي جَبْرِيلُ أَنَّ حَسِينًا يُقْتَلُ بِشَاطِئِ الْفَرَاتِ" . (قُلْتُ) لِأَتَعَارُضُ لِأَنَّ الْفَرَاتَ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ حُدُودِ الرُّومِ ثُمَّ يَمُرُّ بِأَرْضِ الطُّفِّ وَهِيَ مِنْ بِلَادِ كَرْبَلَاءَ ، فَالْتِمَامُ الْكَلَامِ وَإِسْتِقَامُ عَلَى أَحْسَنِ نِظَامٍ .

وَلَمَّا قَتَلُوهُ حَزَنُوا رَأْسَهُ ثُمَّ أَتَوْا بِهِ ابْنَ زِيَادٍ فَأَرْسَلَهُ وَمَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَى يَزِيدٍ وَمِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ الْحَسِينِ كَانَ مَرِيضًا وَعَمَّتَهُ زَيْنَبٌ . فَلَمَّا قَدَمُوا عَلَى يَزِيدٍ سَرَّ سُرُورًا كَبِيرًا وَأَوْقَفَهُمْ مَوْقِفَ السَّبِيِّ بِبَابِ الْمَسْجِدِ وَأَهَانَهُمْ وَبَالَغَ . وَلَمَّا وَضَعُوا الرَّأْسَ الشَّرِيفَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَارَ يَضْرِبُ عَلَى ثَنَائِيهِ بِقَضِيبٍ كَانَ مَعَهُ وَيَقُولُ : "لَقَدْ لَقِيْتُ بِغَيْكِ يَا حَسِينُ" وَبَالَغَ فِي الْفَرَحِ ثُمَّ نَدِمَ لَمَّا مَقَّتَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ وَأَبْغَضَهُ الْعَالَمُ . (قَالَ جَلَالُ السَّبُوطِيِّ) وَحَقًّا لَهُمْ أَنْ يَبْغُضُوهُ .

(وَقَدْ أَخْرَجَ) أَبُو يَعْلَى عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مَرْفُوعًا : "لَا يَزَالُ أَمْرُ أُمَّتِي قَائِمًا بِالْقِسْطِ حَتَّى يَكُونَ أَوَّلُ مَنْ يَثْلُمُهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يُقَالُ لَهُ يَزِيدٌ" . (وَأَخْرَجَ الرَّوْيَانِيُّ) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ مَرْفُوعًا : "أَوَّلُ مَنْ يَبْجَلُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يُقَالُ لَهُ يَزِيدٌ" .

(وَقَدْ صَنَّفَ) جَمَاعَةٌ مِنَ الْقَدَمَاءِ فِي مَقْتَلِهِ تَصَانِيفَ فِيهَا الْغَثُّ وَالسَّمِينُ وَالصَّحِيمُ وَالسَّقِيمُ وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ الْمُسَاقَاةَ غَنِي ، وَقَدْ صَحَّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : "لَوْ كُنْتُ مِمَّنْ قَاتَلَ الْحَسِينَ ثُمَّ أَدَخَلْتُ

الجنة لأستحييتُ أن أنظر الى وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم". (وقال) ابن عباس: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم نصف النهار أشعثاً أغبرَ بيده قارورة فيها دم . فقلتُ يارسول الله ما هذا ؟ قال دم الحسين وصحبه ولم أزل ألتقطه منذ اليوم . فكان ذلك اليوم الذي قُتلَ فيه" رواه البيهقي . (وسمعتُ) الجنُّ تنوم عليه كما أخرج أبو نعيم وغيره .

وقُتلَ يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة إحدى وستين وكُسِفَتِ الشمس وقت قتلهم كسفةً أبدت الكواكب نصف النهار واحمرت آفاق السماء ستة أشهر يرى فيها كالدَّم ، ومكثت الدنيا سبعة أيام كأنها علقة والشمس على الحيطان كالملاحف المَعْصِفَةَ والكواكب يضرب بعضها بعضاً . وقيل أنه لم يُقلب حجر ببيت المقدس إلا وُجدَ تحته دم عبيط . وصار الورس الذي في عسكرهم رماداً ، ونحروا ناقه في عسكرهم فصاروا يرون فيها النيران وطبخوها فصار كالعلقم . ولما ساروا الى ابن معاوية قعدوا في أول مرحلة يشربون الخمر فخرج عليهم قلم حديد من حائط وكتب بدم :

أترجو أمة قتلت حسينا شفاعمة جدّه يوم الحساب

ثم أن ابن معاوية أمر بردَ أهل الحسين الى المدينة وأن يُصاف برأسه الشريف في البلاد . (وروى) ابن خالويه عن الأعمش عن منهل بن عمرو الأسدي قال : "والله رأيت رأس الحسين حين حمله وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ سورة الكهف حتى بلغ (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) فنطق الرأس بلسان عربي فصيح فقال جهاراً "أعجب من أصحاب الكهف قتلى وحملى" . (وأخرج) الحاكم في "المستدرک" عن ابن عباس : "أوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم اني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً واني قتلتُ بابنِ إبنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً صححه الحاكم وقال الذهبي في "التلخيص على شرط مسلم" . وقال الحافظ ابن حجر وورد من طريق واه عن علي عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال : "قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا" .

(وإعلم) أنهم اختلفوا في رأس الحسين بعد مصيره الى الشام الى أين صار وفي أي موضع استقر . فذهب طائفة الى أنه طيف به في البلاد الى أن انتهى الى عسقلان فدُفِنه أميره بها . فلما غلب الفرنج على عسقلان إفتداهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيك ومشى الى لقائها من عدة مراحل ثم بنى عليها المشهد المعروف بالقاهرة . والى ذلك أشار القاضي الفاضل في قصيدة مدم بها الصالح وصار آخرون منهم كالزبير بن بكار والعلاء الهمداني الى أنه حمل الى المدينة مع أصله فكُفِنَ ودُفِنَ بالبقيع عند قبر أمه وأخيه الحسن . وذهبت الإمامية الى أنه أُعيد الى الجثة ودفن بكريلاء بعد أربعين يوماً من المقتل . ورجم القرطبي القول الثاني قائلاً : "ما دُكر من أنه في عسقلان في مشهد هناك أو بالقاهرة باطلٌ لأساس له . انتهى" .

والذي عليه طائفة من الصوفية أنه بالمشهد القاهري . يقول العارف المناوي قدس الله سره : "لكن ذكر لي بعض أهل الكشف والشهود أنه حصل له إطلاع على أنه دُفن مع الرأس بكريلاء ثم ظهر الرأس بعد ذلك بالمشهد القاهري ، لأن حكم باب البرزخ حكم الإنسان الذي تدل في تيار جار فيطفو بعد ذلك في مكان آخر . فلما كان الرأس منفصلاً طفا في هذا المحل من المشهد الحسيني المصري" . وذكر أنه خاطبه منه (وذكر بعضهم) أن القطب يزوره كل يوم .

(ومن كلام الحسين رضي الله عنه) إن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا من تلك النعم فتعود عليكم نقماً .

(وقال) من جاد سادَ ومن بخلَ رذلَ ومن تعجَلَ لأخيه خيراً وجده إذا قدم على ربه رعداً .  
 (والترزم) يوماً الركن الأسود وقال "إلهي نَعَمْتَنِي فلم تجدني شاكراً وأبليتني فلم تجدني صابراً فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ولا دمت الشدة بترك الصبر إلهي لا يكون من الكريم إلا الكرم".  
 (وأخرج) ابن عساكر أن ابن عباس بينما يحدث الناس قام إليه نافع الأزرق وقال : تُفتي الناس في النملة والقملة صف إلهك الذي تُعبد .  
 فأطرق إعظماً لقوله وكان الحسين جالساً ناحية فقال :  
 إلي يا ابن الأزرق . قال : لست إياك بسائل . فقال ابن عباس : إنه من بيت النبوة وهم ورثة العلم .  
 فأقبل نافع نحو الحسين . فقال الحسين : فقال الحسين :

- يانافع من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في التباس سائلاً ناكباً عن المنهاج طاغياً بالإعوجاج ضالاً عن السبيل قائلاً غير الجميل . أصفُ لك إلهي بما وصف به نفسه وأعرّفه بما عرّف به نفسه : لا يدرك بالحواس ولا يُقاسُ بالناس قريبٌ غير ملتصق بعيد غير منتقص يوحد ولا يبعضُ معروف بالآيات موصوف بالعلامات لا إله إلا هو الكبير المتعال . انتهى .

(وحجّ رضي الله عنه) خمساً وعشرين حجة ماشياً والجنائب تُقاد بين يديه . وفي "العقد الفريد" عن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنهما قال بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر وهم صغار ولم يبايع قط صغيراً إلا هم . (وقيل لعلي بن الحسين) "ما كان أقلّ ولد أبيك ، قال العجب كيف وُلدت له ، كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء" . وقُتل وهو ابن ست وخمسين سنة وهو صابغ بالسواد قتله سنات بن أبي أنس وأجهز عليه خولة بن يزيد الأصبحي من حمير وحز رأسه وأتى به عبيد بن زياد وهو يقول :

إملاً ركا بي فضضةً وذهباً      إنني قتلتُ الملكَ المحبباً  
 قتلتُ خير الناس أمأً وأباً      وخيرهم إذ يُذكرون نَسباً

فقال عبدالله بن زياد :

- إذا كان خير الناس أمأً وأباً وخير عباد الله فلمَ قتلتهُ ؟ قدّموه فاضربوا عنقه . فضرِبَت عنقه .  
 (قال أبو عبيد) حدّثنا حجاج عن أبي معشر قال : "قُتل الحسين بن عليّ ومعه عثمان ابن عليّ وأبو بكر ابن عليّ وجعفر بن عليّ وعليّ والعباس وكانت أمهم أم البنين بنت حرام الكاذبية وإبراهيم بن عليّ لأم ولد له وعبدالله بن حسن وخمسة من بني عقيل بن أبي طالب وعون ومحمد إنا عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وثلاثة من بني هاشم . فجميعهم سبعة عشر رجلاً وأسر اثنا عشر غلاماً من بني هاشم فيهم محمد بن الحسين وفاطمة بنت الحسين فلم تقم لبني حرب قائمة حتى سلّهم الله ملكهم . وقالت بنت عقيل بن أبي طالب ترثي الحسين يوم أصيب معه :

عيني إبي بعبرةٍ وعويل      وأندبني إن نديت أَل الرسول  
 ستةٌ كلّم لصلب عليّ      قد أصيبوا وخمسة لعقيل

وأنشدت أخته زينب المدفونة في قناطر السباع من مصر العتيق ورأسها خارجة من الخباء :

ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم      ماذا فعلتم وأنتمم أحر الأمم  
 بعترتي وباهلي بعد مُفتّدي      منهم أسارى ومنهم ضُمخ بدم  
 ما كان هذا جزائي إذ نصحتكم      أن تخلفوني بسوءٍ في ذوي رحمي

(قلتُ) وقوله "المدفونة في قناطر السبام" نقل هذه القصة العارف الشعراني وأمر الإمام المناوي قدّس  
الله سرهما بأن تُحررَ فلتُحررَ . ورُزِقَ من الأولاد خمسة عليّ الأكبر وعليّ الأصغر وله العقب وجعفر وفاطمة  
وسكينة المدفونة بالمرآغة بقرب سيدتنا نفيسة رضي الله عنهم ، ثم سرى هذه النسبة الشريفة عنه الى  
ولده سيّدنا زين العابدين عليّ الأصغر رضي الله عنه .



## سيدنا زين العابدين

### رضي الله عنه

مُظهِر شمس النبوة الخاتمية ومُظهِر أسرار الصفة العلية وكوثر زلال المكارم الهاشمية سيدنا علي زين العابدين المعروف بالأصغر للفرق بينه وبين أخيه الأكبر الذي سقاه أهل المكر والبلاء كأس الشهادة مع أبيه في كربلاء . ولم يُقتل والحمد لله يومها هذا الإمام الجليل إذ كان عمره ثلاثة عشر عاماً وهو عليه وكنيته رضي الله عنه أبو الحسن وأبو محمد وأبو عبد الله . وكان كبير القدر رحب الساحة مُهاباً كريماً عالماً عظيماً ثقةً ثباتاً قوياً .

(قال الزهري وابن عيينة) مارأينا قرشياً أفضل منه وروى عن أبيه وعن عائشة وأبي هريرة وجمع ، وعنه بنوه محمد وزيد وعمر والزهري وأبو الزناد وغيرهم . قال الزهري مارأينا أحداً أفقه منه . وقال ابن المسيب مارأيت أروع منه ، وقد جاء عنه مناقب من خشوعه في وضوئه وصلاته ونُسك ما يدهش السامع . (وكان) يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة حتى مات . وقال مالك : "وسمي زين العابدين لكثرة عبادته" . (وكان) إذا هاجت الريح سقط مغمى عليه ، ووقع حريقاً في بيته وهو ساجد فجعلوا يقولون له النار فما رفع رأسه حتى طفئت . ففكيف له أشعرت ؟ قال المهتني عنها النار الكبرى . (وكان) إذا نقصه أحد قال اللهم إن كان صادقاً فباغفر لي وإن كان كاذباً فباغفر له . ولما مات وجدوه يقوت أهل مائة بيت . (ودخل) على محمد بن أسامة بن زيد في مرض موته فبكى ، فقال له علي : - ما يبكيك ؟

فقال : علي دين خمسة عشر ألف دينار .

فقال : هي علي . ووقأها .

(ومن كراماته) أن زيدا ابنه إستشاره في الخروج فنهاه ، وقال :

- أخشى أن تكون المقتول المصلوب أما علمت أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمة قبل خروج السفيناني إلا قُتل . فكان كما قال ، خرج زيد في خمسة عشر ألفاً فطلب فتفرقوا عنه فقتله الحجاج وصلبه مكشوف العورة ، فأكرمه الله بأن نسجت العنكبوت عليهما فلم تُر بعد ذلك . (ومن كرامات زين العابدين رضي الله عنه) أن عبد الملك بن مروان حمله من المدينة مقيداً مغلولاً في أثقل قيود ، فدخل عليه الزهري لوداعه فبكى وقال : وددت أني في مكانك .

فقال : أتظن أن ذلك يُكرمني لو شئت لما كان وإنه ليذكرني عذاب الله - ثم أخرج رجله من القيود ويديه من الغل ورماه ثم أعادهما .

(وكان) يُضرب به لمثل في الحلم وله فيه حكايات عجيبة وأخبار غريبة . (وكان) شديد الخوف من الله بحيث إذا توضع إصفر لونه وارتعد فيقال له ما هذا ؟ فيقول تدرون بين يدي من أقوم . (وكان) لا يعينه على ظهوره أحد ولا يدم قيام الليل حضراً ولا سفيراً . وقرب اليه طهوره مرة في وقت وردّه فوضع يده في الإناء ليتوضأ ثم رفع رأسه فنظر الى السماء والقمر والكواكب ، فجعل يتفكر في خلقها حتى أصبح وأذن المؤذن ويده في الإناء فلم يشعر .

(ومن كلامه) إذا نصم العبد لله في سره أطلع الله على مساوي عمله فتشاغل بذنوبه عن معائب الناس . (وقال) فقد الأحيّة غربة وعبادة الأحرار لا تكون إلا شكراً لله لا خوفاً ولا رغبة . (وقال) كيف يكون صاحبك من إذا فتحت كيسه فأخذت منه حاجتك لم ينشرم لذلك . (وقال) أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب . (وقال) إن قوماً عبدوه رهبة فتلك عبادة العبيد وأخرون رغبة فتلك عبادة التجار وقوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار . (وقال) عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نُطفةً وغداً جيفة ، وعجبت كل العجب لمن شك في الله وهو يرى خلقه ولمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى الأولى ولمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء . (وقال) لابنه الباقر لا تصحب خمسة ولا ترافقهم في طريقهم ، الفاسق فإنه يبيعك بأكلة فما دونها . وقيك فما دونها قال يطعم فيها ثم لا ينالها ، والبخيل لأنه يطعم بك أحوج ما تكون إليه والكذاب فإنه كالنسوان يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد وقاطع الرحم فإنه ملعون في ثلاث آيات من كتاب الله ، وكان ينشد :

وما شئني أحب إلى لنسيم إذا شتم الكريم من الجواب

وكان عاملاً على كتمان أسرار الله في العالم كما أشار إليه بقوله :

يارب جوهر علم لو أبوم به لقسيل لي أنت ممن يعبد الوثنا  
وإستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسناً

(ومن مبالغات حلمه) أنه خرج يوماً من المسجد فلقى رجلاً فسبّه وبالغ وأمرط . فبادر إليه العبيد

والموالي فكفهم وأقبل عليه فقال :

- ماستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك .

فأستحي الرجل فألقى له خميصة وأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال الرجل : أشهد إنك من أولاد المصطفى عليه الصلاة والسلام .

(ولقيه رجل) فسبّه ، فقال : يا هذا بيني وبين جمنم عقبة إن أنا جزتها فما أنا أبالي بما قلت وإن لم أجزها فأننا أكثر مما تقول ألك حاجة . ففجّل الرجل .

(وسبّه رجل) فقال له : ماتعرفه مني أكثر مما تعرفه فإن كان لك حاجة فأذكرها .

(قال في مجمع الأبياب) وكان عنده ضيف فاستعجل الخادم في الشواء الذي كان في التنور ، فأقبل به مسرعاً فسقط السفود من يده على ابن صغير له في أسفل الدرجة فأصاب رأسه فقتله ، فقال علي للغلام الذي قتله أنت حر لوجه الله عز وجل فإنك لم تتعمده وأخذ في جهاز ابنه .

(وحج هشام بن عبد الملك) قبل أن يلي الخلافة فاجتهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يمكنه وجاء علي بن الحسين ، فوقف له الناس وتنحوا حتى استلم فقال الناس لهشام من هذا ؟ قال لأعرفه . فقال له الفرزدق لكني أعرفه هذا علي بن الحسين وأنشد :

هذا التقى النقي الطاهر العلام  
والبيت يعرفه والحل والحرم  
ركن الحطيم إذا جاء يستلم  
إلى مكارم هذا ينتهي الكرم  
أو قبيك من خير أهل الأرض قبيك هم  
بجده أنبياء الله قد ختموا

هذا ابن خير عباد الله كلهم  
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته  
يكاد يمسكه عرفان راحته  
إذا رأته قريش قال قائلها  
إن عد أهل التقي كانوا أئمتهم  
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهلهم

وليس قولك من هذا بضائره  
يغضي حياءً ويغضي مهابةً  
من معشر حبههم دين وبفضهم  
لايستطيع جواد بعد غايتهم  
من يعرف الدين يعرف أولوية ذا  
العرب تعرف من أنكرت والعجم  
فلا يكلم إلا حين يتسم  
كفر وقربهم ملجا ومعتصم  
ولايدانيهم قوم وإن كرموا  
الدين من بيت هذا ناله الأمم

(وكان يقول) اللهم اني أعوذ بك أن تحسن في لواجم العيون علانيتي وتقبح في خفيات الغيوب سريرتي ، اللهم كما أسأت وأحسنت الي فاذا عدت فعد علي . وفي (وفيات الأعيان لابن خلكان) أنه كان يقال لزین العابدين ابن الخیرتین لقوله صلى الله عليه وسلم : " لله تعالى من عباده خيرتان فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس " . وذكر أبو القاسم الزمخشري في كتاب "ربيع الأبرار" أن الصحابة رضي الله عنهم لما أتوا المدينة بسبي فارس في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السبايا وأمر عمر ببيع بنات يزدجرد أيضاً فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوق . فقال : كيف الطريق الى العمل معهن ؟ قال : يقومن ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن .

فقومن فآخذهن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فدفع واحدة لعبدالله بن عمر وأخرى لولده الحسين وأخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق . فأولد عبدالله أمته سالمًا وأولد الحسين زين العابدين وأولد محمد ولده القاسم . فهؤلاء الثلاثة بنو خالة وأمهاتهم بنات يزدجرد . (وذكر) أن أم زين العابدين اسمها "سلافة" قلت وقيل "غزالة" بنت يزدجرد آخر ملوك فارس . وكان أهل المدينة يكرهون إتخاذ أمهات الأولاد من السراري حتى نشأ فيهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبدالله ، ففاقوا أهل المدينة فقهاً وورعاً فرغب الناس في السراري .

وفضائل الإمام زين العابدين ومناقبه أكثر من أن تحصى . (قال الأصمعي) "لم يكن للحسين بن علي عقب إلا من ابنه علي بن الحسين زين العابدين . ولم يكن لعلي بن الحسين ولد إلا من أم عبدالله بنت عمه الحسن بن علي ابن أبي طالب ، فهو أب الحسيني كهم . قال ونسل الحسين كله من قبل علي الأصغر زين العابدين فهو أب الحسينيين كهم أيضاً" . (وكانت ولادته) يوم الجمعة في بعض شهور سنة ثمان وثلاثين للهجرة وتوفي سنة أربع وتسعين وقيل اثنين وتسعين للهجرة في المدينة المنورة . ودُفِنَ بالبقيع في قبر عمه الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في القبّة التي فيها قبر العباس رضي الله عنهم أجمعين ، إنتهى .

(قال العارف المناوي قدس سره) كذا رأيته بخط جماعة أعيان منهم ابن رسلان والمشهد الذي بالقرب من مجرة القلعة بقرب مصر القديمة بُني على رأس زيد بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قدم برأسه سنة اثنين وعشرين ومائة وبنوا عليه هذا المشهد . قال بعضهم والدعاء عنده مستجاب والأنوار تُرى عليه رضي الله عنه . (قلت) وزيد هذا هو الذي تقدم أنه قتله الحجاج وصلبه وما وقع للعارف الشعراني قدس سره في طبقاته أنه من أتى برأس زين العابدين الى مصر ودُفِنَت بالقرب من مجرة الماء بمصر العتيقة وأنه توفي سنة تسع وتسعين سبقت قلم والله أعلم ، ثم سرى سر هذه النسبة الشريفة عنه الى شبلة سيد هذه السلسلة المجلّة الإمام محمد الباقر رضي الله عنهما .

## سيدنا الإمام الباقر

### رضي الله عنه

الإمام التابعي الجليل وإمامته المعدود من فقهاء المدينة وأئمتهم ستم جابر وأنساً ، وسمع جماعات من كبار التابعين كابن المسيب وابن الحنفية وغيرهم . وروى عنه أبو إسحق السبيعي وعطاء ابن أبي رباح وعمرو بن دينار والزهري وربيعه وخلأق آخرون من التابعين وكبار الأئمة وروى له البخاري ومسلم . سُميَ بالباقر لأنه بقر العلم أي شقّه أي عرف أصله وخفيّه وأثار مخبّاته ومكامنه القدسية . فلذلك أظهر من كنوز المعارف ودقائق الأحكام واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة . ومن ثم قيل فيه باقر العلم وشاهر المجد ورافعه صفا قلبه وزكى عمله ولبه وعمرت بطاعة الله أوقاته ، وظهرت خوارقه وكراماته وله من الرسوم في مقام العارفين ما تكلم عنه ألسن الواصفين وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف .

(فمن كلامه) الصواعق تصيب المؤمنين وغيره لاتصيب ذاك الله عز وجل . (وقال) مادخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل مادخل منه أو أكثر . (وقال) مامت عبادة أفضل من عفة بطن وفرج . (وقال) اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك . (وبلغه) عن جماعة من أهل العراق أنهم يبغضون أبا بكر وعمر ويزعمون أنهم يحبون آل البيت . فكتب إليهم إني بريء ممن يبغض أبا بكر وعمر ولو أني وليت لتقربت بدماء من يكرههم . (وكان) إذا ضحك قال اللهم لاتمقنتني . (وقال) لابنه يابني إياك والكسل والضجر فإنهما مفتاح كل شر ، فإنك إن كسلت لم تؤد حقاً ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق .

(وسأله رجل) عن تحلية السيوف فقال لا بأس بها قد حلّى أبو بكر الصديق . فقيل له :  
- تقول الصديق ؟

فغضب ووثب وثبةً واستقبل القبلة ثم قال : نعم الصديق نعم الصديق نعم الصديق من لم يقل له الصديق لاصدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة .

(وقال) الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل جعلاه وطناً .  
(وقال جابر الجعفي) : قال لي محمد بن علي إني لمحزون وإني لمشتغل القلب . قلت :  
- وما شغل قلبك وما حزتك ؟

قال : يا جابر إن من دخل قلبه صافي خالص دين الله عز وجل شغله عما سواه . يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون هل هو إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها ؟ يا جابر إن المؤمنين أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة وأكثرهم معونة إن نسيت ذكروك وإن ذكرت أعانوك ، قوالين بحق الله تعالى قوامين بأمر الله تعالى ، فإنزل من الدنيا منزلاً نزلت فيه وارتحلت عنه كخيال أصبته في منامك فباستيقظت وليس معك منه شيء . فاحفظ الله فيما استرعاك من دينه وحكمته .

(قال) ما غرورقت عينٌ بمائها إلا حرم الله عز وجل صاحبها على النار وإن سألت على خذ له لم ير وجهه قتر ولا ذلة وما من شيء إلا له أجر إلا الدمعة ، فإن الله تعالى يكفر بها بحور الخطايا ، ولو أن باكياً بكى في

أمة لحرم الله تلك الأمة على النار . (وعن أفلم مولاة) قال : "خرجت مع محمد بن علي حاجاً فلما دخل المسجد الحرام نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته ، فقلتُ بأبي أنت وأمي إن الناس ينظرون إليك فلورقت صوتك قليلاً . فقال ويحك يا أفلم ولم لأبكي لعلى الله تعالى ينظر إلي برحمته فأفوز بها عنده غداً . قال ثم طاف بالبيت ثم جاد حتى ركم عند المقام فرفع رأسه من سجوده فإذا موضع سجوده مبتل من دموم عينيه" . (وعن عبدالله بن عطاء) قال ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر محمد فقد رأيت الحكم عنده وكأنه متعلم . (وقال) كان لي أخ في عيني عظيم والذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينيه . (وكان يقول في جوف الليل) اللهم إنك أمرتني فلم ألتزم وزجرتني فلم أنزجر وهذا عبدك بين يديك فبم أعتذر . (وقال) ما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج ، وما من شيء أحب إلى الله تعالى من أن يسأل ، وما يدفع القضاء إلا الدعاء ، وإن أسرع الخير ثواباً البر وأسرع الشر عقوبة البغي وكفى بالمرء عيباً أن يرى من الناس ما يعمى عنه من نفسه ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه أن يؤدي جليسه بما لا يعنيه . (وعن سلمى مولاة أبي جعفر) قالت : "كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطيب ويكسومهم الثياب الحسنة ويهب لهم الدراهم . فأقول له بعض ماتنم فيقول يا سلمى ما يؤمك في الدنيا بعد المعارف والإخوان" . وكلامه من هذا المنزك كثير . (وكفاه شرفاً) أن ابن المديني روى عن جابر أنه قال له وهو صغير إن رسول الله يسلم عليك ، قال كيف ، قال كنت جالساً عنده والحسين في حجره وهو يداعبه فقال يا جابر يولد له مولود اسمه علي إذا كان يوم القيامة يقال ليقيم العباد فيقوم ولده ، ثم يولد له ولد اسمه محمد فإذا أدركته فأقرئه مني السلام .

ومولده بالمدينة يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة سبع وخمسين للهجرة . وكان عمره يوم قتل جده الحسين رضي الله عنه ثلاث سنين وأمه أم عبدالله بنت الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وتوفي في شهر ربيع الأول وقيل في صفر سنة سبع عشرة ومائة ، وقيل أقل وقيل أكثر بالحميمة (بحاء مهملة وميمين بينهما ياء تحتية مصغرة) قرية في أطراف البلقاء من بلاد الشام كانت لعلي بن عبدالله بن العباس وأولاده في أيام بني أمية - وفيها ولد السفام والمنصور وبها تربيا ومنها إنتقلا إلى الكوفة وبويع السفام بالخلافة كما هو مشهور - ونقل إلى المدينة ودُفن بالبقيع في القبر الذي فيه أبوه وعم أبيه الحسن بن علي رضي الله عنهم في القبّة التي فيها قبر العباس رضي الله عنهم ، ثم مات مسموماً كأبيه وأوصى أن يكفّن في القميص الذي كان يصلي فيه رضي الله عنه ، ثم سرى سر هذه النسبة الشريفة إلى شبلة سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه .

## الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه

ناهيك بإمام ورث مقام النبوة والصدقية فازدهرت في طلعه أنوار المعارف الحقيقية لأن جدّه سيد الشهداء الإمام الحسين وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وأما أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق . أخذ الحديث عن أبيه وجدّه لأمه وعروة وعطاء ونافع والزهري . وعنه أخذ السفينان ومالك والقطن خرم له الجماعة سوى البخاري . قال أبو حاتم : "ثقة لا يسأل عن مثله" . وله كرامات كبيرة ومكاشفات شهيرة . (منها) أنه سعي به عند المنصور ، فلما حمّ أحضر الساعي وأحضره . فقال للساعي : أتخلف ؟ قال : نعم . فحلف ، فقال جعفر للمنصور : حلفه بما أراه . فقال حلفه ، فقال : قلّ برئت من حول الله وقوته وإلتجأت الى حولي وقوتي لقد فعل جعفر كذا وكذا . فإمتنم الرجل ثم حلف فما تم حتى مات مكانه .

(ومنها) أن أحد الطغاة قتل مولاة فلم يزل ليلته يصلي ثم دعا عليه عند السحر فسمعت الضجة بموته .

(ومنها) أنه لما بلغه قول الحكم بن العباس الكلبي في عمه زيد :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب

قال : "اللهم سلط عليه كلباً من كلابك" فافترسه الأسد .

(ومنها) ما خرجه الطبري من طريق وهب قال سمعت الليث بن سعد يقول : "حجبت ثلاث عشرة ومائة حجة فلما صليت العصر رقيت أبا قيس فإذا رجل جالس يدعو فقال يارب يارب حتى انقطع نفسه ثم قال يا حي يا حي حتى انقطع نفسه ثم قال الهي إنني اشتييت العنب فأطعمني وإن بردي قد خلقتا فاكسني . قال الليث فما تم كلامه حتى نظرت الى سلة مملوءة عنباً وليس على وجه الأرض يومئذ عنب وإذا ببردين لم أر مثلهما . فأراد الأكل فقلت : أنا شريكك لأنك دعوت وأنا أؤمت . فقال : كل ولا تخبأ وتدخر . ثم دفع الي البردين . فقلت : لي عنه غني . فإتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ثم أخذ الخلعين ونزل . فلقيه رجل فقال البسني يا ابن رسول الله فدفعهما إليه . فقلت : من هذا ؟ فقال : جعفر الصادق . قال الليث فطلبته لأسمع منه فلم أجده . إنتهى"

(ومنها) "أن ابن عمه عبد الله بن المحصي كان شيخ بني هاشم وهو والد محمد وأخيه أرسلوا لجعفر ليبياعهما فإمتنم وقال : ليست لي ولا لهما إنها لصاحب القباء الأصفر يلعب بها صبيانه . وكان المنصور العباسي حاضراً وعليه ثياب أصفر فكان كذلك . إنتهى" .

وكان مجاب الدعوة فإذا سأله شيئاً لا يتم قوله إلا وهو بين يديه .

(ومن كلامه) لا يتم المعروف إلا بثلاث أن تصفره في عينك وتسئره وتعجله . (وقال) إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعطته محاسن غيره وإذا أدبرت سلبته محاسن نفسه . (وقال) لا مال أعوز من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهره كالمشاوراة إلا وإن الله يقول إنني كريم ولا يجاورني لنيم . (وقال) من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك ، لأنه لو كان على شيء كان محمولاً أو في شيء كان محصوراً أو من شيء كان محدثاً .

(وكان) يلبس الجبة الغليظة القصيرة من الصوف على جسده والحلة من الخز على ظاهره ، ويقول نلبس الجبة لله والخز لكم فما كان لله أخفيناها وما كان لكم أبقيناها .

(وقال) لأبي حنيفة إنك تقيس في الدين وإن أول من قاس إبليس ، قال إنما أقيس فيما لم أجد فيه نصاً . (وقال) لاتأكلوا من يد جاعت ثم شبعتم . (وقال) إذا أذنبت فاستغفر فإنما هي خطايا مطوَّقة في أعناق الرجال قبل أن يُخلقوا وإياك والإصرار . (وقال) أوحى الله الى الدنيا من خدمني فأخدميه ومَنْ لم يخدمني فاستخدميه . (وقال) لا مروءة لكذوب ولا راحة لحسود ولا خلة لبخيل ولا إخاء لملول ولا سؤدد لسيء الخلق . (وقال) كُفَّ عن محارم الله وإمتثل أوامرته تكن عابداً وأرض بما قسم الله تكن مسلماً ، وإصحب الناس على ماتحب أن يصحبوك تكن مؤمناً . ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره . (وقال) من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل المعصية الى عز الطاعة . (وقال) من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يدخل مدخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم . (وقال) حكمة تحريم الربا أن لا يطمأنم الناس بالمعروف . (وقال) مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ثابتة من قطعها قطعها الله . (وقال) عزت السلامة حتى لقد حفي مطلبها ، فإن تك في شيء فيوشك أن تكون في الخمول ، فإن لم توجد فيه ففي التخلي . وليس كالخمول فإن لم تكن فيه ففي الصمت فإن لم تكن فيه ففي كلام السلف الصالح والسعيد من وجد نفسه في خلوة . (وقال) من استبطأ رزقه فليكثر من الإستغفار . (وقال) من أعجب بشيء من أمواله فليقل ماشاء الله لا قوة إلا بالله . (وقال) الفقهاء أمناء الرسل مالم يأتوا أبواب السلاطين .

ومن دعائه : اللهم أعزني بطاعتك ولاتذلني بمعصيتك ، اللهم ارزقني مواساة من قترت عليه رزقك بما وسعت عليه من فضلك . (وقال) لا زاد كالتقوى .

(وقال مضر بن كثير) : "دخلت أنا وسفیان الثوري على جعفر الصادق فقلت :

- اني أريد البيت الحرام فعلمني شيئاً أدعو به .

فقال : إذا بلغت الحرم فضع يدك على الحائط وقل ياسابق الفوت وياسامع الصوت وياكاسي العظام بعد الموت ثم أدم بما شئت . إنتهى" .

(وقال) إذا بلغك من أخيك انه قال فيك ماتكره فلا تغتم لذلك إن كانت حقاً كانت عقوبة عاجلت وإن كان غير ذلك فحسنة لم تعملها . (وقال) روي عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال يارب أسألك أن لا يذكرني أحد إلا بخير ، قال الله عز وجل ما فعلت ذلك لنفسي . (وقال) أربعم لا ينبغي لشريف أن يأنف منها ، قيامه من مجلسه لأبيه ، وخدمته لضيفه ، وقيامه على دابته ولو أن له مائة عبد ، وخدمته لمن يتعلم منه . (وكان) يقول إذا بلغك عن أخيك ماتكره فأطلب له من عذر واحد الى سبعين عذراً فإن لم تجد له عذراً ، فقل لعل له عذراً لأعرفه .

(وقال) لرجل من قبيلة : من سيد هذه القبيلة ؟ فقال الرجل : أنا . فقال : لو كنت سيدهم ماقلت أنا . (ودخل) سفیان الثوري رضي الله عنه فرأى عليه جبة من خز ، فقال له : إنكم من بيت النبوة تلبسون هذه . فقال : ماتدري أدخل يدك . فإذا تحته مسح من شعر خشت ، ثم قال : يا ثوري أرني ماتحت جبتك . فوجد تحتها قميصاً أرق من بياض البيض . فخرج سفیان . ثم قال : يا ثوري لا تكثر الدخول علينا نضرك .

(وكان) يطعم المساكين حتى لا يبقى لعائلته شيء .

(وقال) إذا سمعتم عن مسلم كلمة فأحملوها على أحسن ماتجدون حتى لاتجدوا لها محملاً فلواموا

أنفسكم . (وعن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنهما) قال : "لما طُعنَ عمر رضي الله عنه بعث إلى حلقة من أهل بدر كانوا يجلسون بين القبر والمنبر فقال : يقول لكم عمر أنشدتكم بالله أكان هذا عن رضا منكم ؟ فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : لا والله وددنا أنا زدنا في عمره من أعمارنا .

وقال ابن أبي حازم كنت عند جعفر إذ جاء أذنه فقال سفيان الثوري بالباب ، فقال إنذنت له فدخل . فقال جعفر : ياسفيان إنك رجل يطلبك السلطان واني أتقي السلطان أخرج عني غير إيثارٍ لذلك . فقال سفيان : حدّثني حتى أسمع وأقوم . فقال : حدّثني أبي عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "مَنْ أُنِعَ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَلِيَحْمَدِ اللهُ وَمَنْ اسْتَبَطَأَ رِزْقَهُ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللهُ وَمَنْ حَزَبَهُ أَمْرٌ فَلْيَقِلْ لِحَوْلٍ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" .

(وقال أرباب السير) وقع الذباب على وجه المنصور فذبه حتى أعجزه وأضجره فدخل جعفر فقال له : يا أبا عبدالله ما الحكمة في خلف الذباب ؟ قال : ليُذكَرَ به الجبارة .

وكان رجلٌ من أهل السواد يؤم جعفر فغاب عنه فقال له رجل إنه يبطنيء يريد أن يضم منه عنده ، فقال جعفر أصل الرجل عقله ، وحسبه دينه ، وكرمه تقواه ، والناس في آدم مستوون .

(وحجّ المنصور) سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة فقال : عليّ بجعفر بن محمد عليهما السلام قتلني الله إن لم أقتله . فتغافل عنه الربيع لينساه ، ثم أعاد ذكره فتغافل عنه فأعاد ذكره ثالثاً برسالة قبيحة للربيع . فلما جيء به قال له الربيع : العذر إليك قد شدّد في طلبك . فقال : لاحول ولاقوة إلا بالله . فلما دخل عليه قال ياعدو الله إتخذك أهل العراق إماماً يحملون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وبيعتي قتلني الله إن لم أقتلك . فقال جعفر ياأمير المؤمنين : إن سليمان عليه الصلاة والسلام أعطني فشكر وإن أيوب عليه الصلاة والسلام ابتلي فصبر وإن يوسف عليه الصلاة والسلام ظلّم فغفر وأنت من ذلك العنصر . فقال له المنصور : إلى عندي يا أبا عبدالله البريء الساحة جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جرى به ذوي الأرحام عن أرحامهم . ثم تناول يده وأجلسه معه على فراشه وطيبه بيده حتى جعل لحيته قاطرة طيباً ثم أمر له بجائزة وكسوة وقال : انصرف في حفظ الله وكنفه . فأنصرف ، فقال له الربيع : إنني رأيت عجباً فما قلت ياأبا عبدالله حين دخلت ؟ قال : قلت اللهم أحرصني بعينك التي لاتنام واكنفني بركنك الذي لايرام واحفظني بقدرتك علي لأهلك وأنت رجائي ، اللهم إنك أعظم وأجلّ مما أخاف وأحذر اللهم بك أدقم في نحرهم وبك أستعيذ من شره .

(وقال) عجبت لمن أعجب بامر نفسه لايقول ماشاء الله لاقوة إلا بالله والله تعالى يقول "ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله" . (وعجبت) لمن خاف قوماً لايقول حسبي الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول "الذيت قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم" . (وعجبت) لمن مكر به كيف لايقول وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد إلى قوله تعالى "فوقاه الله سيئات ماكروا" . (وعجبت) لمن أصابه غم كيف لايقول لاإله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين إلى قوله "فنجيناها من الغم" .



(وحكى كُشاجم في كتاب المصائد والمطارِد) أن جعفر سأل أبا حنيفة رضي الله عنهما فقال : ماتقول في محرم كسر رباعية ظبي ؟ فقال : يا ابن رسول الله ما أعلم ما فيه . فقال له : أنت تتداهى ولا تعلم أن الظبي لا يكون له رباعية وهو ثني أبدأ .

وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفال وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة .

(كانت ولادته) سنة ثمانين للهجرة وهي سنة سيد الجحاف وقيل بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وتوفي في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة ودُفِنَ بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجدّه عليّ زين العابدين وعمّ جدّه الحسن بن عليّ رضي الله عنهم أجمعين . فله درّه من قبرٍ مأكرمه وأشرفه . ثم وُلِدَ له ولدٌ اسمه القاسم وللقاسم بنت اسمها أم كلثوم وهما المدفونان بالقرافة بقرب الإمام الليث بن سعد على يسار الداخل من الدرب المتوصل منه إليه . ثم إنتقل سرّ هذه النسبة الشريفة الى شبله سيد هذه السلسلة المجلّة الإمام موسى الكاظم رضي الله عنهما

## الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه

تبارك مَنْ أنتج هذه الثمرة من تلك الشجرة النبوية المظهرة ما أقدره فهو إمام الصبر على التقوى والعبادة الحائز لقب السبق في ميدان سيادة الولاية وولاية السيادة . سُمِّيَ بالكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله وبالعباد الصالح من كثرة عبادته واجتهاده وقيامه الليل . فإنه كان أعبد أهل زمانه .

(روي) أنه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد سجدةً في أول الليل وسُمع وهو يقول في سجوده "عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى وأهل المغفرة" فجعل يرددتها حتى أصبح . وكان من أكابر العلماء الأسخياء وكان يبلفه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار . وكان يصرُّ الصرر ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار ومائتي دينار ثم يقسمها بالمدينة .

وكان يسكن المدينة فأقدمه المهدي بغداد فحبسه فرأى في النوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول "يامحمد فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم" . قال الربيع : "فأرسل الي ليلاً فرأني ذلك فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتاً وقال علي بموسى بن جعفر فجننته به فعانقه وأجلسه الي جنبه وقال :

- يا أبا الحسن اني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم يقرأ علي كذا فتؤمنني أن تخرج علي أو علي أحد من أولادي .

فقال : والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني .

قال : صدقت اعطه ثلاثة آلاف دينار وردّه الي أهله بالمدينة .

قال الربيع فأحكمت أمره ليلاً فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العوائق ، انتهى .

وأقام بالمدينة الي أيام هارون الرشيد . فلما حج الرشيد سعي به اليه فقال له الرشيد حين راه جالساً عند الكعبة : أنت الذي يبايعك الناس سراً .

قال : أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم .

وسأله الرشيد : كيف تقولون نحن أبناء المصطفى وأنتم أبناء علي ؟

فقرأ جعفر ومن ذريته داود وسليمان الي أن قال وعيسى وليس له أب .

(ومن كلامه) إذا صحبت رجلاً وكان موافقاً لك ثم غاب عنك فلقيته فاضطرب قلبك عليه فارجع الي نفسك فانظر فإن كنت أعوججت فتب وإن كنت مستقيماً فاعلم أنه ترك الطريق وقف عند ذلك ولا تقطم منه حتى يستبين لك إن شاء الله تعالى .

(ومن بديع كراماته) ما حكاه ابن الجوزي والرامهرمزي عن شقيق البلخي : انه خرج فراه بالقادسية منفرداً عن الناس فقال في نفسه هذا فتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس لأوبخنه . فمضى اليه فقال :

- يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم .

فأراد البلخي ان يعانقه فغاب عن عينه ، ثم راه على بئر فسقطت ركوته فيها فدعا فلفها الماء حتى

أخذها فتوضأ وصلّى ثم مالَ الى كَثيب من الرمل فطرح منه فيها وشرب ، فقلتُ :  
- أطمعني مما رزقك الله .  
فقال : يا شقيق لم تزل أنعمُ الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك .  
فناولنيها فشربتُ فإذا هو سويق وسكر فأقمت أياماً لأشتهي شراباً ولا طعاماً ثم لم أره إلا بمكة وهو  
بغلمانهِ وغاشيته" .  
(ولما) أتى هارون الرشيد قبر النبي صلى الله عليه وسلم زائراً وحوله قريش وأقناء القبائل ومعه  
موسى بن جعفر ، فقال :  
- السلام عليك يا رسول الله يا ابن عمّ . (افتخاراً على من حوله)  
قال موسى : السلام عليك يا أبت .  
فتغير وجه هارون الرشيد وقال : هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقاً .  
ولم يحتلما وحمله الى بغداد مقيداً وحبسهُ فلم يخرج من حبسه إلا مُقيداً مسموماً . (وذكر) أنه بعث  
الى الرشيد برسالة من الحبس كان منها أنه "لم ينقض عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من  
الرخاء ثم نمضي جميعاً الى يوم ليس فيه إنقضاء يخسر فيه المُبتلون" .  
(وُلد رضي الله عنه) بالمدينة يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر سنة ثمان وعشرين ومائة وتوفي لخمسة  
بقيت من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة ببغداد في الحبس . ودُفن في مقابر الشونيزية خارج القبّة  
وقبره هناك مشهور يُزار وعليه مشهدٌ عظيم فيه قناديل من الذهب والفضّة وأنواع الآلات والفُرش ما  
لا يُحَدُّ ، وهو في الجانب الغربي رضي الله عنه . ثم تلقى عنه سيد هذه السلسلة المجلّة ولده الإمام عليّ  
الرضا رضي الله عنهما .

## الإمام عليّ الرضا رضي الله عنه

عقدُ جيد الرسالة ووشام عطف سلالة الشرف وشرف السلالة ، جعل الله تعالى وجوده العزيز على قدرته أعظم دلالة . فلا يسم ساعياً في اطرائه براءة عبارة ولا يدرك مدارك عرفانه إلا بلسان الإشارة . كان عظيم الشأن والقدر مشهور الفضل حميد الذكر أحله المأمون محل مهجته وأشركه في مملكته وعقد له على إبنته وعهد إليه بالخلافة من بعده بعدما أراد أن يخلم نفسه ويفوضها في حياته إليه فممنعه بنو العباس ، فمات قبله فأسف كل الأسف عليه .

وله كرامات كثيرة (منها) أنه أخبر أنه يأكل عنباً ورمناً فيموت فكان كذلك . (ومنها) أنه قال لرجل صحيح سليم استعد لما لابد منه فمات بعد ثلاثة أيام ، رواه الحاكم .  
(ومنها) مارواه الحاكم أيضاً عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب قال :

" رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم في النوم في المنزل الذي ينزله الحاجُّ ببلدنا . فوجدت عنده طبقاً من خوص فيه تمر صيحاني . فناولني ثمان عشرة تمرّة . فبعد عشرين يوماً قدم عليّ الرضا من المدينة ونزل في ذلك المنزل وهُرعَ الناس للسلام عليه ، ومضيتُ نحوه فإذا هو جالس بالموضع الذي رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم قاعداً فيه وبين يديه تمر صيحاني ، فناولني قبضة فإذا عدتها بعدد ماناولني المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فقلت : زدني . فقال : لو زادك رسول الله صلى الله عليه وسلم لزدناك .

(وقال المأمون لعليّ بن موسى الرضى) : ما يقول بنو أبيك في جدنا العباس بن عبدالمطلب ؟

فقال : مايقولون في رجلٍ فرض الله طاعةً بنيه على خلقه وفرض طاعته على بنيه .  
فأمر له بألف درهم . " وكان قد خرج أخوه زيد بن موسى بالبصرة على المأمون وفتك بأهلها .  
فأرسل إليه المأمون أخاه علياً المنوّه به برده عن ذلك . فجاءه وقال له :

- ويلك يا زيد فعلت بالمسلمين بالبصرة ما فعلت وترعّم أنك ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . والله لأشدّ الناس عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم . يا زيد ينبغي لمت أخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطي به . فبلغ كلامه المأمون فبكى وقال : " هكذا ينبغي أن يكون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

(قال ابن خلكان) وأخر هذا الكلام مأخوذاً من كلام عليّ زين العابدين المقدم ذكره . فقد قيل انه كان إذا سافر كتّم نفسه ففيل له في ذلك فقال أنا أكره أن أخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم ما لأعطي . (وقال بعض أصحاب أبي نواس) ما رأيت أوقم منك ، ماتركت خمرأ ولا طربأ ولا مغنى إلا وقلت فيه شيئاً وهذا عليّ بن موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئاً . فقال والله ماتركت ذلك إلا إعظاماً له وليس قدر مثلي أن يقول في مثله ، ثم أنشد بعد ساعة :

فيل لي أنت أحسن الناس طراً  
لك من جيد القريض مديم  
فعلام تركت مدم ابن موسى  
قلت لأستطيع مدم إمام  
في فنون من الكلام النبويه  
يثمر الدرّ في يدي مجتبيه  
والخصال التي تجمعت فيه  
كان جبريل خادماً لأبيه

وقال فيه أيضاً :

مطمّرون نقيّاتٌ جيّوبهم      تجري الصلاة عليهم أينما ذُكروا  
مَن لم يكن علويّاً حين تنسّبهم      فماله في قديم الدهر مُفتخر  
الله لما برا خلقاً فأتقنه      صفاكم وإصطفاكم أيها البشر  
فأنتم الملاء الأعلى وعنّدكم      علم الكتاب وما جاءت به السور

(قلت) ومن هذا يلتمس العذر لأبي نؤاس وأمثاله من كبار الشعراء المُجيديين عن عدم جرأتهم على مدح الحضرة المحمّدية . لا كما يتوهمه بعض القاصرين لا يُقال كيف مدحه المتأخرون إذاً لأننا نقول إنما قصد المتأخرون بذلك مجرد التبرك لا أداء حقّه . والمتقدمون علموا أن أداء حقّه للبشر مستحيل فتوقفوا ولكلّ وجهة .

(وكانت) ولادته رضي الله عنه يوم الجمعة سنة ثلاث وخمسين ومائة بالمدينة وتوفي آخر يوم من صفر سنة اثنتين ومائتين بمدينة (طوس) وصلى عليه المأمون ودفنه ملاصق قبر أبيه الرشيد . قيل سبب موته أنه أكل عنباً فأكثر منه ، وقيل بك كان مسموماً فاعتلّ منه فمات رضي الله عنه . ثم تلقى سرّاً هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المجلّة مولاة أبو محفوظ سيدنا معروف بن فيروز الكرخي رضي الله تعالى عنه .

## سيدنا معروف الكرخي رضي الله عنه

المولى الذي مَلَكَ ما ملكَ من خيار الأحرار بما سَلَكَ من أحوال الأبرار وأدركَ من غوامض الأسرار . أنطَقَهُ الله تعالى بالحكمة وعَلَّمَهُ من المعارف الجَمَّة ما لم يَعْلَم أحد علمه وجعلهُ حياً وميتاً للعباد رحمة وطَهْر سرّه من الدنيا وجهره مع ما أنعم به عليه من الولاية العظمى وتلك الشهرة . وقد قيل التصوّف التوقّي من الأقدار والتنقّي من الأقدار .

(وكان) شيخ السلسلة وهو أستاذ السري السقطي ولم يكن في العراق في زمنه من يربّي المريدين مثله حتى كان جميع المشايخ يعترفون له بذلك . (قال الفزالي) كان أحمد بن حنبل وابن مَعِين يختلفان اليه ويسألانه . ولم يكن في علم الظاهر مثلهما فيقال لهما مثلكما يفعل ذلك فيقولان كيف نفعل إذا جاءنا أمرٌ لم نجد في كتاب الله ولا سنّة رسوله وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم "سلوا الصالحين" . (وكان) مُجاب الدعوة ويقول أهل بغداد قبر معروف تريكاً مجرّب . (وكان) أبواه نصرانيين فسَلّماه للمعلم طفلاً فصار يقول له قل ثالث ثلاثة فيقول بل إله واحد ، فضربه ضرباً مبرحاً . فهرب منه فكان أبواه يقولان ليته يرجع إلينا على أي دين شاء فنوافقه عليه . ثم إنه أسلم على يد علي بن موسى ورجع الى أبيه فهدى الباب ففعل له من الباب ، فقال معروف فقيل على أي دين ، فقال الإسلام . فأسلم أبواه .

(ومن كراماته) ما قاله خليل الصياد : "غاب أبي فتألمت فجننت الى معروف فقلت غاب أبي . فقال ما تريد ؟ قلت رجوعه . فقال اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك أنت بمحمد . فأتيت باب الشام فإذا هو واقف قلت أين كنت ، قال كنت الساعة بالأنبار ولأعلم ماصار" .

(ومن كلامه) كلام الرجل فيما لايعنيه مقت من الله . (وقال) حقيقة الوفاء إفاقة السر من رقدة الغفلات وفراغ الهم من فضول الآفات . (وقال) إذا أراد الله بعبد خيراً فتم عليه باب العمل بما علم وأغلق عنه باب الجدل وإذا أراد به شراً فعكسه . (وقال) توكل على الله حتى يكون هو معلّمك ومؤنسك وموضع شكواك ، وليكن ذكر الموت جليساك لايفارقتك .

(وكان) من دعائه اللهم لاتجعلنا بثناء الناس مغرورين ولابالستر مفتونين . (وقال) طول الأمل يمنح خير العمل . (وقال) كيف يكون تقياً من لايعرف ما يتقي . (وقال) من قال كلّ يوم عشر مرات اللهم أصلح أمة محمد ، اللهم فرج عن أمة محمد ، اللهم إرحم أمة محمد ، كتبت من الأبدال . (وقال) طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب ، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الضرور ، ورجاء رحمة من لايطام جهلاً وحُمف . (وقال) السخاء إيثار ماتحتاج إليه عند الإعسار . (وقال) ماأكثر الصالحين وماأقلّ الصادقين منهم . (وقال) لولا خروج الدنيا من قلوب العارفين ماقدروا على فعل الطاعات ولو بقي من حبا ذرة في قلوبهم ماسلّمت لهم سجدّة واحدة . (وقال) إذا عمل العالم بعلمه إستوت له قلوب المؤمنين فلايكراهه إلا من بقلبه مرض . (وقال) إذا أراد الله بعبد خيراً زوى عنه الخذلان وأسكنه بين الفقراء الصادقين وإذا أراد به شراً عطّله عن العمل الصالح وأسكنه بين الأغنياء . (وقال) شفاء كلّ بلاء نزل بالعبد كتمانته فإت الناس لاينفعونه ولايضرّونه ولايعطونه ولايمنعونه . (وقال) ليست المحبة من تعليم الخلق بل من مواهب الله . (وقال) إنما

الدنيا قَدْرٌ تغلي وكثيف يُملِي . (وقال) إحفظ لسانك من المدم كما تحفظه من الذم . (وقال) التصوف : الأخذ بالحقائق والياس مما في أيدي الخلائق . ومَرَّ بسقاء يقول "رحم الله من شرب" فشرب فقيلاً ألم تكن صائماً؟ قال نعم لكن رجوت دعاءه . (ونزل) دجلة ليتوضأ ووضع مصحفه وملحفته فأخذتاهما امرأة فتبعهما فقال : ياأختي لا بأس عليك ألك ابن يقرأ أو زوج يقرأ؟ قالت : لا . قال : هات المصحف وخذي الثوب .

ولما مرض قال "تصدقوا بقميصي فاني أريد أن أخرج من الدنيا عرياناً . (صحب) داود الطائي وقال لتلميذه السري السقطي يوماً إذا كانت لك حاجة الى الله تعالى فأقسم عليه بي .

(وقال السري السقطي) رأيت معروفاً الكرخي في النوم كأنه تحت العرش والباري جلّت قدرته يقول لملأئكتهم من هذا وهم يقولون أنت أعلم ربنا منا ، فقال هذا معروف الكرخي سكر من فرط حبه فلا يفيق إلا بلقائي .

(وقال معروف) "قال لي بعض أصحاب داود الطائي إياك أن تتترك العمل فإن ذلك الذي يقربك الى رضا مولاك . فقلت : وماذا العمل؟ قال : دوام الطاعة لمولاك وحرمة المسلميت والنصيحة لهم" .

(وقال محمد بن الحسن) سمعت أبي يقول رأيت معروفاً الكرخي في النوم بعد موته فقلت : ما فعل الله بك فقال غفر لي ، فقلت بزهدك وورعك فقال لا بك بقبول موعظة ابن السمك ولزومي الفقر ومحبة الفقراء . وكانت موعظة ابن السمك مارواه معروف قال : "كنت ماراً بالكوفة فوقف على رجل يقال له ابن السمك وهو يعظ الناس فقال في خلال كلامه من أعرض عن الله بكليته أعرض عنه جملة ، من أقبل على الله بكليته أقبل الله تعالى برحمته عليه وأقبل بوجوه الخلق اليه . ومن كان مرة ومرة فإن الله تعالى يرحمه وقتاً ما . فوقع كلامه في قلبي وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ماكنت عليه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا وذكرت هذا الكلام لمولاي فقال يكفيك هذا موعظة إن اتعظت" .

(وكان) يهدى اليه طيبات الطعام فيأكل فيقال له إن أخاك بشر إلا يأكله فيقول أخي قبضه الورع وأنا بسطتني المعرفة إنما أنا ضيف في دار مولاي مهما أطعمني أكلت . (وقيل له) كل من دعاك يمر إليه . قال إنما أنا ضيف أنزل حيثما ينزلوني .

(وكان يقول) يانفس اخلصي وتخلصي . ولم يزل على حاله حتى دنا من قبره فتدلى وأعرض عن الدنيا وولّى سنة إحدى ومائتين ببغداد وقبره مشهور بها يزار رضي الله عنه . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المجلّة السري السقطي ابن المغلس رضي الله عنه .

## الإمام الحسن السقطي ابن المغلس

خال الجنيد وأستاذه ، أمارت أزهرت رياض رياسته واشتهرت أخبار تربيته وسياسته وانتهت إليه مَشِيخة الصوفية وتفجرت عيون موارده في المعارف الإلهية . ومع ذلك كان وجيهاً عند الملوك والأكابر معظماً بين أرباب السيوف والمحابر . أخذ عن الكرخي وغيره وأسند الحديث عن الفضيل والهشيم وأبي بكر بن عياش وعلي بن غراب ويزيد بن هارون وروى عنه الجنيد وأبو العباس بن مسروق وإبراهيم المخزومي وغيرهم . (قال السلمي) وهو أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد وتكلم في الحقائق والإشارات وكان أوحده أهل زمانه ورعاً وزهداً وذا أحوال ومقامات . وسبب توبته أنه مرّ بجارية سقط منها شيء ، فإنكسر فارتابت فأعطاهما بدله والكرخي ماراً ، فنظر إليه فأعجبه صنعه فقال : بقض الله إليك الدنيا وأراحك مما أنت فيه . فترك حانوته وقام وهام .

(وقال للجنيد) يا غلام احفظ عني المعرفة ترفرف على القلب فإن كان فيه حياء وإلا ارتجلت . (وقال) القلوب ثلاثة : قلب كالجبل لا يزعزعه شيء . وقلب كالنخلة أصلها ثابت والريح تميلها . وقلب كالريشة يميلها الريح يميناً وشمالاً . (وقال) علامة الإستدراج العمى عن عيوب النفس والإطلام على عيوب الناس . (وقال) من أحب أن يسلم له دينه ويقبل غمه فليعتزل الناس . (وقال) أقوى القوة أن يغلب النفس على شهواتها ومن عجز عن أدب نفسه فهو عن أدب غيره أعجز . (وقال) من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله . (وقال) اللهم مهما عذبتني فلا تعذبني بذلك الحجاب . (وقال) لي منذ أربعين سنة تطالبني نفسي بغمس جزرة في دبس فما أطعتها . (وقال) أه على لقمة ليس لله فيها تبعة ولا مخلوق فيها منة . (وقال) انتهيت الى حشيش في جبل وماء يخرج منه فتناولت من الحشيش وشربت من الماء وقلت لنفسي إن أكلت يوماً حلاًلاً فهذا ، فمتف بي هاتف القوة التي أوصلتك الى هذا الموضع من أين هي ؟ فرجعت فندمت .

(وذكر) عنده الوجد فقال "أن يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري" فروجع فيه واستبعد فلم يرجع . (وقال) عجباً لضعيف كيف يعصي قوياً . (وقال) أهل الحقائق من أكله أكل المرضى ونومه نوم الغرقى . (وقال) لو دخل الرجل بستاناً فيه كل ما خلق الله من الأشجار وعليه كل ما خلق الله من الأطيار فخاطبه كل طائر منها بلغته السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه لذلك كان في يديها أسيراً . (وقال) إن في النفس لشغلاً عن الناس . (وقال) المغبون من قنيت أيامه بالتسويق والمغبوط من تمنى الصالحون مقامه . (وقال) سئل حكيم متى يكون الحاكم مسيئاً ، قال إن كثرت بقبقتهم وانتشرت كتبه وغضب أن يرد عليه شيء من كلامه . (وقال) إحدراً أن تكون ثناء منشوراً وعباً مستوراً . (وقال) جاءني أبو جعفر السمك وكان شديد الوله فوجد حولي جمعاً فوقف ولم يقعد ثم نظر الي فقال : "صرت مناجياً للطالبيين" فكره إجتماعهم حولي . (وقال) الشكر أن لا يعصى الله في نعمة . (وقال) من ذكرني بسوء فهو في حل إلا رجلاً تعمد بشيء يعلم مني خلافه . (وقال) ومن الناس من لو مات نصف أحدهم ما تزجر والنصف الآخر ولا أحسبني إلا منهم . (وقال) يبلغ العبد من الهيبة والأنس الى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به . (وقال) الشوق والأنس يرفرفان على



القلب ، فإن وجدا فيه هيبة وإجلالاً أقاما وإلا ارتحلا . (وقال) لولا الجمعة والجماعات سددتُ على نفسي الباب . (وقال) كيف يستنير قلب فقير يأكل من طعام قاضٍ ومن غشٍّ في معاملته . (وقال) مَنْ أصفى الى قول الناس عنه أنه وليّ فهو أسير في يد نفسه ما يبرح . (وقال) ثلاثة من علامات سخط الله على العبد كثرة الغفلة والإستمراء بالناس والغيبة .

و(قيل له) كيف الطريق الى الله ؟ فقال إن أردت العبادَةَ فعليك بالصيام والقيام وإن أردته فاترك كل ما سواه تصل اليه وليس إلا المساجد والخراب .

(وقال) لا تكملُ محبةً بين اثنين حتى يقول كلُّ لآخر ياأنا . (وقال) ما رأيتُ أحبباً للعمل وأفسدَ للقلب ولا أسرماً لهلاك العبد ولا أدومَ للأضرار ولا أقربَ للمقت ولا ألزمَ لطريق الريا والمُعجب والرياسة من قلّة معرفة العبد لنفسه ونظره في عيوب الناس . (وقال) الدنيا أفاعي العلماء وسحارة قلوب الفقراء والقراء . (وقال) كم من أطبق أهل بلده على إعتقاده وهو من الهالكين . (وقال) قد توعمرتُ طريق الصالحين وقلّ فيها السالكون وهُجرتَ فيها الأعمال وقلّ فيها الراغبون ورُفضَ الحق ودُرسَ هذا الأمر ، فلا أراه إلا في لسان كل بطالٍ ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال قد إفترش الرخص وتمهد التأويلات واقتدى بذلك الهالكون . (وقال) مَنْ قام بين يديّ الله في الظلام نُشرت له يوم القيامة الأعلام .

(وقال الغزالي) وأرسل السري الى أحمد بن حنبل شيئاً فردّه فقال له إحذر أفة الردّ فإنها أشدُّ من أفة الأخذ . فقال أعد عليّ ما قلت فأعاده . فقال مارددتُ إلا لأنّ عندي قوت شهر فاحبسهُ عندك وأرسله بعد شهر .

(ودخل عليه الجنيد) فقال يا جنيد عصفور يجيء كل يوم أفنتُ له الخبز فيأكل من يدي فنزل الساعة ولم يسقط على يدي ، فذكرتُ أنّي أكلت ملحاً بابزار فأليتُ أن لا أكلهُ بعدها فعاد كما كان . (وقال) قلوب المقربين معلقة بالسوابق وقلوب الأبرار بالخواتيم ، هؤلاء يقولون بماذا يُختم لنا وأولئك بما سبق من الله لنا . (وقال) مَنْ إشتغل بمناجاة الله أورثه حلاوة ذكره ومرارة ما يأتي من الشيطان . (وقال) مَنْ إستعمل التسويف طالت حسرته يوم القيامة . (وقال) الأدب ترجمان العقل واللسان ترجمان القلب والوجه مرآة القلب ليتبين الوجه وما تضره القلوب . (وقال) مَنْ أطاع مَنْ فوقه أطاعه مَنْ دونه .

(وقال له الجنيد وهو محتضِر) أوصني فقال لاتصحب الأشرار ولا تشغل عن الله بمجالسة الأخيار . (وقال) التوكُّل الإنخلام عن الحول والقوة . (وقال) رأس الأعمال الرضا عن الله وعمود الدين الورع ومخُّ العبادَةِ الجوع . وضبط اللسان حصن حصين . ومن شكر الله جرى في ميدان الزيادة . (وقال) صحبتُ شيخاً فأقمت سنة لأسأله عن شيء ثم قلت : ما المعرفة ؟ قال : أن تجد الله أقرب إليك من كل شيء وأن ينمحي من سرّك كل شيء . قلت : وما يوصل الى هذا الشيء ؟ قال : زهدك فيك ورغبتك فيه . فكان كلامه سبب نفعي .

(وقال) سمعتُ برجل مُجاب الدعوة فطلبته فإذا بخلقٍ كثير من المرضى والعميان ينتظرون خروجه كل سنة مرّة ليدعوا لهم فيشفون فخرج فدعا لهم ورجع . فتعلقت به وقلت : بي علة باطلنة . فقال : خلّ عني ياسري فإنه غيور لا يراك تسأل غيره فتسقط من عينه .

(وقال) أطلب حياة قلبك بمجالسة أهل الفكر وإستجلب نور القلب بدوام الحزن وألح في المسألة عند وجل القلوب وإياك والتسوييف .

(ولما مَرَضَ) لم يُرَ عليه تَغْيِيرٌ فأخذ الجُنَيْدُ بوله لطبيب نصراني . فتأمله وقال بوله عاشق . فصُعِقَ الجُنَيْدُ وأغميَ عليه . ثم أخبر السري فقال قاتله الله ما أخبره ماكنت أظن أن الحب يظهر في هذا . وكان رضي الله عنه ينشد كثيراً ويقول :

لا في النهار ولا في الليل لي فرحٌ      فما أبالي أطلالَ الليل أم قَصْرَ  
لأنني طول ليلي هائمٌ دنسٌ      وبالنهار أعاني همَّ والفكر

(وقال) خصلتان يبعدان العبد من الله تعالى أداء نافلة بتضييع فريضة وعمل بالجوارح من غير صدق بالقلب .

(وقال علي بن الحسين بن حرب) بعثني أبي الى السري السقطي رضي الله عنه بشيء من حب السعال لسعال كان به فقال : كم ثمنه ؟ فقلت له لم يخبرني بشيء . فقال : اقرأ عليه السلام وقل له نحن نعلم الناس منذ خمسين سنة أن لا يأكلوا بأديانهم أفتراني اليوم أكلُ بديني ؟ ثم ردّه ولم يأخذ منه شيئاً .

(وقال رضي الله عنه) "أرقت ذات ليلة فلم أطق القميص مع خدمته من التهجد وكثرة التفكر فلما صليت الفجر خرجت لايقر لي قرار . فقلت أمضي لبعض الوعاط ليلي أجد لقلبي راحة . فلما وقفت عليه وجدت قلبي لايزداد إلا تساوة . فقلت أذهب للشرطة لعلّي أعتبر بمن يعاقب في الدنيا فلما مضيت وجدت قلبي على حاله . فقلت أمضي الى المارستان لعلّي أعتبر بمن قد ابتلي . فلما دخلت المارستان وجدت قلبي قد انفتم وارتام فأريت جارية جالسة على سرير من أحسن الناس وجهاً وعليها أظمار حسنة وشممت منها رائحة طيبة وهي غضيضة النظر مقيدة الرجلين مغلولة اليدين . فلما رأنتي اغرورقت عيناها بالدموع وأنشدت :

أعيذك أن تغلّ يدي      بغير جريمة سبقت  
تغلّ يدي الى عنقي      ولاخانت ولاسرقت  
وبين جوانحي كبد      أحسب بها قد احترقت  
فلو قطعتمها قطعاً      وحققك عنك ما برحت

قال السري فلما سمعت كلامها قلت للقيّم : ماهذه الجارية ؟ فقال : جارية مجنونة حبسها مولاها لكي تصحو . قال فأردت الدنو منها فقال لي القيّم : لاتقترب منها فإت الذي بها عظيم . فلما سمعت كلام القيّم تفرغرت عيناها بالدموع وأنشدت :

معشر الناس ماجننت ولكن      أنا سكرانة وقلبي صاحي  
أنا مجنونة بحب حبيب      لست أبغي من بابهم برام  
وصلاحي الذي رأيتم فسادي      وفسادي الذي رأيتم صلاحي  
ماعلى من أحب مولى الموالي      وارتضاه لنفسه من جنام

فلما سمعت ذلك منها ألقني وأبكاني . فلما رأنتني على تلك الحالة قالت : ياسري هذا بكاؤك على ذكر صفته فكيف لو عرفته حق معرفته ؟ ثم بكت وأنشدت :

ألبستني ثوب وجد طاب ملبسه      فأنت مولى الورى حقاً ومولائي  
كانت بقلبي أهواء مفرقة      فاستجمعت مذراتك العين أهوائي

فصار يحسدني مَنْ كُنْتُ أَحْسَدُهُ      وصرتُ مولى المورى إذ صرت مولائي  
تركت للناس دنياهم ودينهم      شغلاً بحبِّك ياديني ودينائي  
من عُصَا داوى بشرب الماء عُصَّتَهُ      فكيف يصنمُ مَنْ قد عُصَا بالماء  
والشوق في خاطري مني وفي كَبْدِي      والحبُّ مني مقيم بين أحشائي

قلت يا جارية ، قالت لبيك ياسري ، قلت : من أين عرفت إسمي وما رأيته قبل هذا ؟ فقالت : عرَفَ بيني وبينك علام الغيوب . قلت لها : ومن حبسك وما سبب حبسك وأنت على هذه المعرفة والإخلاص في الحب ؟ قالت : ياسري زعموا أنني مجنونة وهم أولى باسم الجنون مني . ثم بكت طويلاً ثم قلت لها ما اسمك قالت "تحفة" . فقلت لقيم المارستان حلَّ عنها وإنزعم قيدها وإنزعم الغلَّ من عنقها . فتحدثنا ساعة وإذا مولاهما قد أقبل فلما رأني سلَّم عليَّ وأعظمني فقلت له : يافتى إنها بالإعظام أولى مني فما الذي تُنكرُ من هذه الجارية ؟ قال : كثرة بكائها وأبينها وهي ذاهلة العقل طول ليلها قائمة لاتنام ولاتدعنا ننام وهي والله بضاعتي إشتريتها بخمسائة دينار لحسن صنعتها . قلت : ما صنعتها ؟ قال : عوادة تضرب بالعود . قلت : سبب ذلك ؟ قال : بينا هي تغني وعودها في حجرها وهي تقول :

ملأت جوانحي والقلب وجداً      فكيف أقرُّ وأسلى وأهدا  
وحقك لانقضت الدهر عهداً      ولا كدرت بعد الصفو وداً  
فيامن ليس لي مولى سواه      تراك رضيتني في الناس عبداً

إذ رمت العود فكسرتهُ . فهذا كان سبب جنونها . فلما سمعت الجارية ذلك أنشدت :

خاطبني الحق من جناني      فكان وعظي على لساني  
قربني منه بعد بعد      وخصني منه وإصطفاني  
أجبت لما دعيت طوعاً      ملبياً داعياً دعاني

فقلت لمولاهما : أطلق سبيلها وعليَّ خمسمائة دينار أدفعها لك في غد إن شاء الله . فقال : تكون مقيمة في موضعها هذا حتى تُحضر المال أو تُفَيِّقَ من الجنون . قال السري فإنصرفت وأنا باكي العين حزيب القلب على الجارية فلما كان جوف الليل وإذا بالباب يُطرق . فخرجت فوجدت خمسة من الرجال ، فقلت : ما حاجتكم ؟ فقال أحدهم : أمُّ في الله تعالى جاء لسبب من الأسباب بإذن الملك الوهاب . ففتحتُ فقال : أتأذن في الدخول فقلت نعم . فدخل ومن معه وعلى أكتافهم أربع بدر دنانير وبيد الغلام شمعة . فقال : أتعرفني ؟ قلت : لا . قال : أنا أحمد بن المثنى بينا أنا نائم إذا هاتف يقول يا ابن المثنى هل لك في معاملة المولى جلَّ جلاله فقلت يافرحي إن كنت للرقأ أصلح ، فقال إحمل من مالك أربع بدر إلى سري السقطي يشتري بها "تحفة" فإن لنا بها عناية وقد جعلناها من أهل الولاية واعلم مولاهما أن الله سيفتم عليهم من حيث لا يحتسب . فقمت وسارعت إلى ما أمرت وهذا المال قد جئت به . قال السري فسجدت لله شكري على هذه النعمة الجديدة ولم يزل إلى أن طلعت الفجر . فلما صلينا الفجر أتينا المارستان وإذا قِيم المارستان على الباب فلما رأني قال : جئت من أجل تحفة ؟ قلت : نعم . وحكى له ما قال ابن المثنى من كلام الهاتف ، ثم دخلنا المارستان ومعنا القِيم . فلما رأتنا تفرغرت عينها بالدموع وأنشدت تقول :

قد صبرتُ السى أن      عيلاً في حبِّك صبري  
ليس يخفى عنك أمري      يا منى قصدي وذخري  
أترى تعتق رقبي      أو تفك اليوم أسري

فبينما نحن جلوس وأنا أقول لها قد أجيببت الدعوة إذ دخل مولاهما حزينا متغير اللون باكياً . فقلت : لاتبكي قد فرج الله عز وجل وقد حصل المال مثل ما أردت وإذا طلبت رباً أعطيناك ولو أنه خمسة آلاف دينار . فقال : والله لافعلت ولو كان ملء الأرض ذهباً وفضة . فقلت : يافتى ما هكذا كان كلامك بالأمس . فقال : هيهات ياسيدي لو تعلم ماجرى علي من التوبيخ البارحة وماهتف بي الهاتف اعلموا أن هذه الجارية حرّة لوجه الله تعالى وجميع ماملكه صدقة لله تعالى . فالتفتُ فإذا ابن المثنى يبكي بكاءً شديداً . فقلت له : مايبكيك ؟ فقال : إن الله عز وجل لم يرزني . فقلت له : قد وقع الأجر وحصلت النية ونية المرء خير من عمله . ولم أزل أسكنه حتى سكن ما به ، ثم قال : ياسري هذا المال خرجت عنه لله عز وجل ولاسبيل الى الرجوع به وإنما هو وباقي مالي صدقة وك ريم لي فهو حبس في سبيل الله تعالى وكلّ مملوك لي فهو حر لله تعالى وأنا هارب الى الله تعالى تائب اليه من جميع ذنوبي . فقامت الجارية فنزعت ماكان عليها ولبست مدرعة من الشعر وخماراً من الصوف وقامت تمشي معنا وهي تبكي وتقول :

ياسرور القلوب أنت سروري  
وحقّه وهو سؤلي  
حتى أنال وأحظى  
هربت منه اليه  
لازلت بين يديه  
بما إتكلت عليه

ثم قالت وا طول حزناه ، ثم فارقتنا ومضت وهي تقول :

بكيّت منه عليه  
وحقّه وهو سؤلي  
حتى أنال وأحظى  
هربت منه اليه  
لازلت بين يديه  
بما إتكلت عليه

قال السري ثم غابت عنا فلما كان في بعض السنين حججت أنا ومولاهما فبينما نحن في الطواف مع جماعة إذ سمعت صوتاً حزينا من امرأة تنادي بالبكاء يا سيدي . فلما رأتنا أنشدت :

محبّ الله في الدنيا سقيم  
يهيم بحبه شوقاً اليه  
كذلك كل من يدعي محباً  
يهم بحبه حتى يراه

ثم سقطت مغشياً عليها ، فلما أفاقت أنشدت :

أموت وما ماتت لديك صبابتي  
مناي المنى كلّ المنى أنت لي المنى  
ألسنت دليل القوم إن هم تحيروا  
ولارويت من فرط حبك أوطاري  
وموضع أشواقي ومكنون أسراري  
ومُنقذ من أشقى على جرف هار

فتقدّمت اليها فإذا هي تُحفة . فقلت لها : ماوهبك الله بانقطاعك عن الخلق ؟ فقالت : أنسني بقربه وأوحشني من خلقه . فقلت : ياتحفة ابن المثنى قد مات . فقالت : رحمّه الله وغفر له اني لأرجو له من الله تعالى كل خير ونعيم وسيجزيه الله عز وجل بكل درهم أنفقه في سبيل الله سبعمئة ضعف الى أضعاف مضاعفة . ثم قالت : الهي وسيدي ومولاي أسالك بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والأخرة أن تقبضني اليك . الى كم أبقى في دار الدنيا المحزونة ، الهي قد طال شوقي اليك فعجل ربي قبض روحي اليك يا أرحم الراحمين ومجيب دعوة المضطرين . ثم استقبلت القبلة وتشهدت فماتت رحمها الله تعالى فما أعظم بركة هذه الجارية على الجميع .

(وقال رضي الله عنه) لو أحسستُ بإنسان يريد أن يدخل عليَّ فقللتُ بلحيتي كذا وكذا وأمرَّ يده على لحيته كأنه يريد تسويتها من أجل دخول ذلك الداخل لخفتُ أن يعذبني الله عزَّ وجلَّ على ذلك بالنار . (وكان يقول) إني لأنظر إلى أنفي مراراً مخافة أن يكون وجهي قد اسودَّ .  
(وقال) ما أحبُّ أن أموت حيث أعرف ، فقليل له ولم ذلك قال أخاف أن لا يقبلني قبري فأفتضمَّ .  
(وقال رجل) له رضي الله عنه كيف أنت ؟ فأنشد يقول :

مَنْ لَمْ يَبْتَ وَالْحَبُّ حَشْوُ فَوَّاهِهِ      لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تَفْتَتِ الْأَكْبَادِ  
(وقال الجنيد رضي الله عنه) رفع السري اليَّ يوماً رقعة قال أنظر ما فيها :  
إذا ما شكوتُ الحبُّ قال كَذَّبْتَنِي      فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا  
فلا حبُّ حتى يلصق الجلد بالحشا      وتذبل حتى لا تُجيب المُنْأديا

(وقال) معنى الصبر أن تكون مثل الأرض تحمل الجبال وبني آدم وكلَّ ما عليها لاتأبى ذلك ، كالصابر يحتمل ماكرهته النفوس لا يابى ذلك ولا يسميه بلاء بل يسميه نعمة وموهبة من الله سبحانه وتعالى . (وقال) صلَّيت وردي ليلة ومددت رجلي في المحراب فنوديت ياسري كذا تجالس الملوك ، فقبضت رجلي ثم قلت وعزتك وجلالك لامددت رجلي أبداً . وكان يقول إذا فاتني جزء من وردي لا يمكنني أن أقضيه أبداً . قال الجنيد لأن السري كان متصل التنفُّل . (وقال) أصفى ما يكون ذكري إذا كنت مشغول القلب بالله تعالى . (وقال) مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَ النِّعَمِ سَلِبَهَا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ ، وَمَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الْمَصَائِبُ أَحْرَزَ ثَوَابَهَا .

(وسئلك عن الصبر) فجعل يتكلم فيه فدبَّت على رجله عقرب وهي تضرب بإبرتها وهو ساكن فقليل له لم تُنَحِّمَا عنك ، فقال إني إستحييت من الله تعالى أن أتكلم في الصبر ولا أصبر .  
(وقال) التوكُّل والتعقُّف يمنعان من الذلَّة ، والإحسان والكرم يمنعان من دناءة الأخلاق ، والزهد يمنم من التعب .

(وقال الجنيد) دخلتُ يوماً على السري فقال : ما أحوال الصديقين . قلت : لأدري . قال : ثلاثة يكونوا بما في أيديهم مع إخوانهم سواء ويطالبون نفوسهم بما للناس عليهم وإذا عرض أمران لله عزَّ وجلَّ فيهما رضا حملوا نفوسهم على أصعبهما وأشدَّهما وإن كان فيه تلفُ نفوسهم .  
(وقال الجنيد) سمعتُ سرياً يقول كنتُ ماراً في البرية فأواني الليلك الى جبل لأنفُس فيه . فبينما أنا في جوف الليل ناداني مناد فقال لاتدور القلوب في الغيوب حتى تذوب النفوس مخافة فُوتِ المحبوب . فتعجبتُ فقلتُ : أجنِّي يناديني أم إنس ؟ فقال : بل جنِّي مؤمن بالله سبحانه وتعالى ومعني إخوان . فقلت : وهل عندهم ما عندك ؟ فقال : نعم وزيادة . فننادني الثاني منهم : لاتذهب من البدن القوة إلا بدوام الفتوة . فقلت في نفسي ما بلغ كلامهم .

فننادني الثالث : مَنْ أَنَسَ بِهِ فِي الظلام نُشِرَ لَهُ غداً الأعلام . قال فصعقتُ فما أفقتُ إلا برائحة الطيب وإذا نرجسة على صدري فشممتها فافقتُ . فقلتُ وصية وحكم لله . فقالوا جميعاً : أبى الله عزَّ وجلَّ أن تحيي به إلا قلوب المتقين فمن طعم في غير ذلك فقد طعم في غير مطمَعٍ ونقنا الله وإياك . وودَّعوني ومضوا وقد أتى عليَّ حين ولأزال أرى بركة من كلامهم موجودة في خاطري .

(وقال رضي الله عنه) لا يطيب عيش الزاهد إلا إذا اشتغل عن نفسه ولا يعيش العارف إلا إذا اشتغل بنفسه . (وقال) لت يكمل الرجل حتى يؤثر دينه على شهوته ويهلك حتى يؤثر شهوته على دينه .

(وقال) للمريد عشر مقامات التحبب الى الله عز وجل والتزيت عنده بالصدق ونصيحة الأمة والأنس بكلام الله عز وجل والصبر على أحكامه والإثرة لأمره والحياء من نظره وبذل المجهود في مرضاته والرضا بالقلّة والقناعة بالخمول . (وقال) رأيت الفوائد ترد في ظلام الليل . (وقال) تخليص العمل حتى يخلص أشد من العمل والإبقاء على العمل بعدما يخلص أشد من تخليص العمل . (وقال) لو شفقت هذه النفوس على أبدانها شفقتها على أولادها للاقى السرور في معادها . (وقال) وددت أن أحزان الخلق كلهم عليّ .

(قال الجنيد) بعثني السري يوماً في حاجة فأبطأت عليه فقال "إذا بعثك رجل يتكلم في موارد القلوب في حاجة فلا تبطيء عليه لأنك تشغل قلبه" .

(وقال السري) إني أعرف طريقاً يؤدي الى الجنة قصداً ، فليل وماهي ؟ فقال أن تشتغل بالعبادة وتقبل عليها وحدها حتى لا يكون فيك فضل . (وقال) أعرف طريقاً مختصراً يؤدي الى الله سبحانه وتعالى . فليل وماهو ؟ قال لاتأخذ من أحد شيئاً ولاتسأل أحداً شيئاً ولايكث معك ماتعطي أحد شيئاً . (وقال) لايقدر على ترك الشهوات إلا من ترك الشبهات .

(وقال الجنيد) كان السري يقول لنا ونحن حوله "أما لكم غيرة يامعشر الشباب إعملوا فإن العمل في الشبيبة" .

(وحكى) أنه لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من غزلها فأبطأت عليه يوماً فسألها عن ذلك فقالت : لأن غزلي لم يشتتر اليوم وذكروا أنه مختلط وإن ماظهر منه جيد وماخفي منه ردي . فامتتم السري من طعامها ونودي أن لاياكل من عندها شيئاً . ثم أن أخته دخلت عليه ذات يوم فإذا عنده عجوز تكنس بيته وكانت تأتيه كل يوم بقرصين فاغتمت أخته وأنت أحمد بن حنبل ، فشكت اليه أخاها ، فقال له أحمد بن حنبل في ذلك ، فقال : إني لما امتنعت من طعامها قيص الله عز وجل الي الدنيا تخدمني وتأتيني بقوتي . وقال ابن أبي الورد دخلت يوماً على السري وهو يبكي ودورقه مكسور فقلت له : مالك ؟ فقال : إنكسر الدورق . فقلت : أنا اشتري لك بدله . فقال : من أين تشتري بدله وأنا أعرف الدانق الذي اشتري به الدورق ومن عمله ومن أين أخذ طينه ومن أي شيء أكل عامله حتى فرغ من عمله ؟

وقال حسن الهرخي دفع الي السري قطعة وقال اشتري بها باقلاء من رجل قدره داخل الحانوت ، فطفت الكرخ كله فلم أجد إلا من قدره خارج الحانوت .

(وقال) ثلاث من لم يكن فيه فقد استكمل الإيمان ، من إذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق . ومن إذا رضي لم يخرج رضاه الى الباطل ، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له . (وقال) كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن له وقت ينام فيه وكان ينعب وهو قاعد فليل له بإمير المؤمنين ألا تنام ؟ فقال كيف أنام ؟ إن نمت بالنهار ضيعت أمور الناس وإن نمت بالليل ضيعت حظي مع الله عز وجل .

(وقال الجنيد) مارأيت أعبد من السري أتت عليه ثمان وثلاثون سنة مارؤي مضطجعا إلا في علة الموت . (وقال الجنيد) كنت نائماً عند السري فنبهني وقال لي يا جنيد الساعة رأيت كاني وقتفت بين يدي الله عز وجل فقال لي ياسري فقلت لبيك ربنا وسعديك فقال لي خلقت الخلق فكأنهم ادعوا بمحبتتي ، فخلقت

الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي معي العُشر وخلقت الجنة فهرب مني تسعة أعشار العُشر وبقي معي عُشر العُشر فسَلَطت عليهم ذرّة من البلاء فهرب منهم تسعة أعشار عُشر العُشر ، فقلتُ للباقيين معي لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم ولا من البلاء هربتم فماذا تريدون ، فقالوا إنك لتعلم ما نريد فقلتُ إنني سلّطت عليكم من البلاء بعدد أنفساكم ما لاتقوم له الجبال الرّواسي أتصبرون ، قالوا إذا كنت أنت المُبتلي لنا فإفعل ما شئت . فهؤلاء عبادي حقاً .

(أقول) وهذا داخل تحت قوله صلى الله عليه وسلّم " أول من يدعى يوم القيامة آدم فيقول الله له أخرج بعث النار ، فيقول ربّ وما بعثُ النار . فيقول من كلّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعون " .

(وقال مظهر بن سهل) سمعت ابن علان الخياط وكان قد جرى بيني وبينه ذكر مناقب السري يقول : "كنت يوماً جالساً مع السري فجاءته امرأة وقالت يا أبا الحسن أنا من جيرائك وأخذت ابني الطائف وأخشى أن يؤذيه ، فإن أردت أن تجيء معي أو تبعث اليه . قال علان فتوقعت أن يبعث اليه فقام وكبر وطولاً صلواته فقالت له المرأة يا أبا الحسن الله الله في أخشى أن يؤذى ولدي . فسلم وقال لها أنا في حاجتك فلم يكن إلا أن جاءت امرأة أخرى وقالت لها لقد أخرج عن ولدك اذهب اليه . فتعجب رجل من سرعة إستجابة دعائه فقال له علان لأي شيء تتعجب إشتري كرز لوز بستين ديناراً وكتب على العدل الذي هو فيه ربعه ثلاثة دنانير فارتفع السعر حتى صار الكرز بتسعين ديناراً فأتاه الدلال وقال : أريد ذلك اللوز . فقال : خذهُ . فقال : يكّم ؟ فقال : بثلاثة وستين ديناراً . فقال له الدلال : إن اللوز قد صار بتسعين ديناراً . فقال : قد عقدت بيني وبين الله تعالى عز وجل عقداً لأحلّه لست أبيعه إلا بثلاثة وستين ديناراً . فقال له الدلال : إنني عقدت بيني وبين الله تعالى عقداً أن لا أغش مسلماً لست أخذه منك إلا بتسعين . فلا الدلال إشتراه منه ولا هو باعه فكيف لا يستجاب دعاء من هذا فعله ؟" .

(وقال أحمد بن خلف) دخلت يوماً على السري فرأيت في غرفته كوزاً جديداً مكسوراً ، فقال لي : أردت ماءً بارداً في كوز جديد فوضعت على هذا الرواق ونمت فرأيت في منامي جارية مدنية فقالت لي ياسري من يخطب مثلي ببرد الماء ثم رمته برجلها فانكسر . فاستيقظت من نومي فإذا هو مطروح مكسور " . قال الجنيد فرأيت الخزف المكسور ولم يمسه ولم يرفعه حتى عفا عليه التراب وعلمت أن مخالفة النفس وقمع الشهوات واللذات من دواعي الوصول وشواهد المشاهد .

(وقال السري) لا تركن الى الدنيا فتقطع من الله حبلك ولا تمسح في الأرض مرحاً فإنها عن قريب تبرك . (وقال) لو علمت أن جلوسي في البيت أفضل من خروجي الى المجلس ما خرجت ولو علمت أن إنفرادي عن الناس أفضل ما جالستهم . (وقال) كنت مريضاً بطرسوس فدخل علي ثقلاء يعودوني وأطالوا ثم قالوا إن رأيت أن تدعو لنا فقلت اللهم علّمنا أدب العيادة . (وقال) العارف هو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يتكلم في باطن علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله عز وجل . (وقال) ثلاثة أشياء لا يسكن معها في القلب غيرها ؛ الخوف من الله تعالى وحده ، والحياء من الله وحده ، والأنس بالله وحده . (وقال) أربع من أخلاق الأبدال إستقصاء الورع وتصحيح الإرادة وسلامة الصدر للمخلّص والنصيحة لهم . وأربع يرفع الله بها العبد العلم والأدب والدين والأمانة . وثلاث من أخلاق المؤمن القيام بالفرائض واجتناب المحارم وترك الغفلة . وثلاث من أخلاق الأبرار كثرة الإستغفار وخفض الجناح ومداومة الصدق . وثلاث من أبواب سخط الله

عز وجل اللعب والإستهزاء والغيبة . وأما عمود الدين وذروة سنامه فحُسنُ الظنِّ بالله تعالى . (وقال) اطلب حياة قلبك بمجالسة أهل الذكر واستجلب نور القلب بدوام الحزن والتمس وجود الفكر في مواطن الخوف والحم في المسألة عند وجل القلوب وتزيّن لله تعالى بالصدق وتحبّب اليه بمحبّة تعجيل الإنتقال وإيّاك والتسوييف . ونافس الأبرار في إقامة الفرض ونافس المقربين في إخلاص النوافل وترك فضول الحلال . واطلب حلاوة المناجاة بفرانغ القلب وجمع همّ واستجلب زيادة النعم بكثرة الشكر . (وقال رضي الله عنه) استوصيت بشر بن الحرث بوصيّة فقال : أخاف أن أوصيك بوصيّة فيكون وبالها عليّ وعليك . فقلت : على ذلك . فقال : أنظر بأي بدن توافي القيامة وأنظر من يحاسبك وبين يدي من تقف واعلم أنك مسؤول لامحالة فاعد للسؤال جواباً وللجواب صواباً . والزم بيتك وحاسب نفسك فإذا قدمت يوم القيامة تقول ربّ ما زلت ملازماً لبيتني ومحاسباً لنفسي . فيقول الله عز وجل صدقت . (ثم قال هيهات أني يقول صدقت إلا للصدّيقين) . وأنظر كل خطرة تخطر ببالك تستحيي منها أن يعلم بها جليسك فالله عز وجل أحق وأحرى أن يستحيي منه .

(وقال الجنيد) كنت أسمع السري يقول يبلغ العبد من الهيبة والأنس الى حدّ لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر وكان في قلبي منه شيء حتى بات لي الأمر كذلك ، وذلك لأن الهيبة والأنس حالتان فوق القبض والبسط ، والقبض والبسط فوق الخوف والرجا . فالهيبة مقتضاها الغيبة والدهشة . فكل هائب غائب حتى لو قطع قطعاً لم يحضر من غيبته إلا بزوال الهيبة عنه والأنس عنه . والأنس مقتضاه الصحو والإفاقة ثم انهم يتفاوتون في الهيبة والأنس . وقيل أدنى مرتبة في الانس أنه لو ألقى في النار ماتكدر انسه ، إلا ترى الى قول السري يبلغ العبد من الهيبة والانس الى حدّ لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر . وذلك لأن الانس يتولد من السرور بالله ومن صح له الانس بالله تعالى استوحش مما سواه .

(وقيل لبعضهم) يذوق العبد حلاوة الانس ؟ فقال نعم إذا قطع العلائق ورفض الخلائق وغاص في الحقائق مطلوعاً على الدقائق . (وقال الشبلي) من استأنس بالله عز وجل استوحش من خلقه ومن استوحش من خلقه صار فرداً بين يديه جلّ جلاله . وحالنا الهيبة والانس وإن جلتا فأهل الحقيقة يعدونها نقصاً لتضمينها تغيّر العبد فإن أهل التمكين سمت أحوالهم عن التغيّر فلهم كمال في المحو ووجود في العين فلاهيبة لهم ولا أنس ولا علم ولا حسب .

(وقال السري رضي الله عنه) عمل قليل في سنة خير من كثير في بدعة فكيف بعمل مع هوى . (وقال) من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل . (وقال) كنت يوماً أتكلم بجامعة بغداد فوقف عليّ شاب حسن الشباب فاخر الثياب ومعه أصحابه فسمعني أقول في وعظي عجباً كيف لضعيف يعصي قوياً ، فتغيّر لونه فبانصرف . ولما كان من الغد جلست في مجلسي وإذا بالفتى قد أقبل فسلم وصلّى ركعتين وقال : ياسري سمعتك بالأمس تقول عجباً لضعيف يعصي قوياً فما معناه ؟ قلت : لا أقوى من الله عز وجل ولا أضعف من العبد وهو يعصيه . فنمض وخرج ثم أقبل عليّ من الغد وعليه ثوبان أبيضان وليس معه أحد ، فقال : ياسري كيف السبيل الى الله تعالى . فقلت : إن أردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل وإن أردت الله عز وجل فاترك كلّ ما سواه تصل اليه وليس إلا المساجد والخراب . فقام وهو يقول والله لاسلكت إلا أصعب الطرق وولّى خارجاً . فلما كان بعد أيام جاءني غلمان جماعته فقالوا ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب . فقلت : لأعرفه . إلا أن رجلاً جاءني صفته



كذا وكذا . وأخبرتهم بما جرى لي معه ولأعلم حاله .

فقالوا نقسم عليك بالله متى عرفت خبره عرفنا ودلونا على داره . فبقيت سنة لأعرف خبره فبينما أنا ذات ليلة بعد العشاء الأخرة في بيتي إذا بطارق يطرق الباب فأذنت له بالدخول فإذا بالفتى عليه قطعة من كساء في وسطه وأخرى على عاتقه ومعه زنبك فيه نوى . فقبلني بين عيني وقال : ياسري أعتقك الله عز وجل من النار كما أعتقتني من الدنيا . فأومأت الى صاحبي أن امض الى أهلهم فأخبرهم ، فمضى فإذا بزوجه قد جاءت ومعها ولده وغلماؤه فدخلت وألقت ولده في حجره وعليه حلبي وحللك وقالت له : ياسيدي أرملتني وأنت حي وأيتمت ولدك وأنت حي . فنظر الي وقال : ياسري ماهذا ؟ ثم أقبل عليها وقال : والله إنك لثمره فؤادي وحبيبة قلبي وإن هذا ولدي لأعز الخلق علي غير أن هذا السري أخبرني أن من أراد الله سبحانه وتعالى قطع كل ماسواه . ثم نزع ماعلي الصبي وقال : ينبغي أن يكون هذا في الأكباد الجياوم والأجساد العارية . وخرقت قطعة من كسائه فلف فيها الصبي ، فقالت المرأة : لأرى ولدي في هذه الحالة . وانتزعت منه ، فحين رآها قد اشتغلت به نهض وقال : ضيعتم علي ليلتي بيني وبينكم الله . وولّى خارجاً فضجت الدار بالبكاء . فلما كان بعد مدة أتت عجوز فقالت : ياسري بالشونيزية غلام يسالك الحضور .

فقممت معها فإذا به مطروم تحت رأسه لينة فسلمت عليه ففتح عينيه فقال : ياسري وعليك السلام أتري يغفر الله لي تلك الجنائيات ؟ فقلت : نعم . فقال : يغفر لمثلي أنا غريق ؟ قلت : هو سبحانه منجي القرقي . فقال : علي مظلالم . فقلت : في الخبر أنه يؤتى بالتائب يوم القيامة ومعه خصومه فيقال لهم خلوا عنه فإن الله تعالى يعوضكم . فقال : ياسري معي دراهم من لقطه النوى إذا أنا مت فجهزني بها ولا تعلم أهلي لنلا يغيروا كفني بغيره من مالهم .

فجلست عنده قليلاً ففتح عينيه وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ثم مات رحمه الله . فجهزته بتلك الدراهم . فرأيت الناس يهرعون فقلت ما الخبر ؟ قالوا مات ولي من أولياء الله نريد أن نصلي عليه . فصلينا عليه ودفنناه . فلما كان بعد مدة أرسل أهله يستعلمون خبره فأخبرتهم بموته فأقبلت امرأته باكية فأخبرتها بحاله فسألته أن أريها قبره . فقلت : أخاف أن أن تغيروا أكفانه . قالت : لا والله . فأريتها القبر فبكت وأمرت بإحضار شاهدين وأعتقت جميع الرقيق من الرجال والنساء ووقفت جميع عقارها تصدقت بماله كثير . ولزمت عبادة الله تعالى الى أن ماتت رحمها الله .

(وقال رضي الله عنه) إتق الإخوان ولا تأمنهم على سرك وإحذر إخوان السوء وإتهم صديقك كما تتهم عدوك . (قلت) وما أحسن ما قيل من هذا القبيح :

إحذر عدوك مرة وإحذر صديقك ألف مرة  
فلربما إنقلب الصديق فكان أعرف بالمضرة

(وقال رضي الله عنه) خرجنا يوماً من مكة نريد بعض المواطن ، فلما أصحرتنا رأيت في مجرى السيل باقة بقل فمددت يدي فأخذتها وقلت "الحمد لله رب العالمين" ورجوت أن تكون حلالاً ليس لمخلوق فيها منة . فقال لي بعض من رأني "ياأبا الحسن التفت" فالتفت فإذا مثل الباقة كثير . فقال خذ هذا فقلت الباقة الأولى ليس لأحد فيها منة وهذا بدلائلك فيه منة .

(وقال علي بن عبد الحميد الغضائير) دقت الباب على السري فسمعته من وراء الباب وهو يقول "اللهم أشغل من شغلني عنك بك" ، فكان من بركة دعائه أنني حججت أربعين حجة من حلب ماشياً ذاهباً وأياباً .

(وقال) خير الرزق ما سلم من الأثام في الإكتساب والمذلة والخضوم وكان سليماً من الغش في الصناعة ومعاملة الظلمة . (وقال) أقوى الناس من ملك غضبه .

(ويحكى) أنه قال منذ ثلاثين سنة وأنا في الإستغفار من قولي مرة الحمد لله . قيل وكيف ذلك ؟ قال وقم ببغداد حريق فاستقبلني واحد وقال نجا حانوتك فقلت الحمد لله ، فأنا نادم من ذلك الوقت على ماقلت حيث أردت لنفسي خيراً من الناس .

(وتُقل) عن أحمد بن عمرو أنه قال خرجت مع السري يوم العيد من المسجد فلقني رجلاً جليلاً فسلم عليه سلاماً ناقصاً . فقلت هذا فلان . قال قد عرفته . قلت فلم تنقصه السلام ؟ قال لأنه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إذا التقى المسلمان قُسمت بينهما مائة رحمة تسعون لأبشهما بصاحبه" فأردت أن يكون معه الأكثر .

(قال) في "مجمع الأحباب" أعلم إن هذا فضلٌ جليلٌ جميع منشؤه الورع وقد تضمنت القرية ومطلق الإيثار بها ولا بأس بينهما . أما القرية فهي كعبادة لا يُراد بها إلا الله عز وجل وإبتغاء رضوانه ، وأما مطلق الإيثار بالقرية فتارة تكون للنفس وتارة تكون للغير وكل منهما يقيم على أنواع :

الأول : الإيثار بالأنفس والأروام والأموال كما فعل الصحابة من المهاجرين والأنصار في بذلهم أنفسهم وأرواحهم في الجهاد في سبيل الله عز وجل لتكون كلمة الله هي العليا ، فأقام الله بهم هذا الدين واختارهم لصحبة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وقد تضمنت أقوالهم مع قصدهم كل القصد أيضاً فداء النبي صلى الله عليه وسلم ونصره . فيأحبذا الفداء وما أعظم هذه السعادة وما أكبر هذه السيادة التي امتازوا بها عن سائر الأمة ، فإنها سعادة ليس فوقها سعادة بالنسبة للمؤمنين ، فإن كل من جاء بعدهم من المؤمنين في ميزانهم . فالسعادة التي حصلت لهم برسول الله صلى الله عليه وسلم مانالها غيرهم ، فمهنياً لهم رضي الله عنهم وكانوا أحق بها وأهلها وجميع ما فعلوه هو نية كل مؤمن وسبيله لو وجد إلى ذلك سبيلاً .

وقال تعالى (إن الله يشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) وقال تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم... الآية) ، وقال تعالى (ماكان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم... الآية) وقال تعالى (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين... الآية) . ومن نظر إلى الآيات الكريمة وفي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم علم أنهم قد أخذوا من ذلك بالخط الأوفى وأن إستيفاء ذلك يستدعي مجلدات كثيرة . فمن ذلك خبر الغار وهو مشهور ومببب علي علي فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة وما صنعه طلحة بن عبد الله أحد العشرة رضوان الله عليهم يوم أحد حتى أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان إذا ذُكر عنده يوم أحد قال : "ذاك يوم كان كلُّه لطلحة" . وماكان يفعل أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه حين كان ينسل كنانته ويقول : "وجهي لوجهك يارسول الله الفداء ، ونفسي لنفسك يارسول الله الفداء" . وماقاله حبيب بن عدي لما أخذه المشركون وهم يقطعون لحمه ويقولون له : أنتحب أنك في أهلك ومالك وأن محمداً مكانك ؟

فقَالَ : والله ما أحب أني في أهلي ولا مالي وأن محمداً صلى الله عليه وسلم يشاك بشوكة .  
وماقاله عبدالرحمن بن جحش رضي الله عنه على مارواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : "قال

لي عبدالله بن جحش رضي الله عنه يوم أُحد ألا تدعو الله فخلوا في ناحية فدعا عبدالله بن جحش فقال يارب إذا لقيت العدو فلقيني رجلاً شديداً بأسه شديداً جوره أقاتله فيك ويقاتلني ثم ياخذني فيجدم أنفي وأذني فإذا لقيتك غداً قلت يا عبدالله من جدم أنفك وأذنك فأقول فيك وفي رسول الله فتقول صدقت". قال سعد فلقد رأيته آخر النهار وأنفه وأذنه لملعتان في خيط والنفر الذين قتلوا واحداً بعد واحد وكان آخرهم يزيداً وعماراً وقد أئخت بالجراح . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنوه مني فادنوه حتى وضع خده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات كذلك .

وكذلك المرأة التي مرت على القتلى بأحد لما نعوا أهلها لها وصاروا يقولون هذا أبوك وأخوك وزوجك وهي تقول : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا خير أم فلان فهو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه . فأشير إليه حتى إذا رآته أسرعت إليه وأخذت بناحية ثوبه وهي تقول : بأبي أنت وأمي يارسول الله لاأبالي إذا سلمت عن عطب ، (زدا في رواية وكل مصيبة بعد جلك أي قليل) .

وأما الذين قتلوا وعذبوا في الغزوات وغيرها فخلأق كثيرون وماسار صلى الله عليه وسلم في غزاة ولاغيرها إلا وكانوا عن يمينه ويساره ومن بين يديه وخلفه يقدونه بأبائهم وأمهاتهم وأنفسهم وأموالهم الى غير ذلك مما هو مشهود معروف . والإيثار من هذا النوع واجب على كل مؤمن بالإجماع وقوعه فرض عين بالنسبة الى الجهاد وفرض كفاية بالنسبة الى فداء النبي صلى الله عليه وسلم .

الثاني : من الإيثار أيضاً بالأنفس والأموال الجهاد في سبيل الله من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل الصحابة والتابعون ومن بعدهم من المؤمنين إدامة الجهاد وفتح البلاد . وحالهم في ذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ، لأن الكفار إن دخلوا بلاد الإسلام لأخذها كان الجهاد فرض عين وإلا فهو فرض كفاية . وقد قام المؤمنون والحمد لله بالقسمين أتم القيام ولن يزالوا على ذلك الى أن تقوم الساعة ذلك فضل يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

الثالث : من الإيثار بالأنفس والأموال على سبيل المخاطرة مع ظن السلامة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلفاء والأمراء والسلاطين وغيرهم . وهذا فرض كفاية ولم تزل الأمة سلفاً وخلفاً قائمين بذلك مهما وجدوا اليه سبيلاً كسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح وطاووس بن كيسان وسفيان الثوري وعبدالرحمن بن أبي ذئب وغيرهم .

الرابع : من الإيثار بالأنفس أيضاً القيام لنصرة الدين وقد فعل جماعات من الأئمة امتحنوا في الدين يعني في مسألة خلقت القرآن فاثروا بأنفسهم حفظاً له كالإمام أحمد بن حنبل وأحمد ابن نصر الخزاعي وأبي يعقوب البويطي وغيرهم فبعضهم ضرب وبعضهم قتل وبعضهم سلم . قال أحمد بن حنبل عن أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله ماكان أسخاه لقد جاد بنفسه . وقال أبو يعقوب البويطي لما حمل من مصر الى بغداد مقيداً بقيد فيه سلسلة من رجله الى عنقه نحو أربعين رطلاً : "لئن دخلت عليه لأصدقته وأموت في حديدي هذا حتى يأتي قوم فيعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم" وهكذا وقع . فإنه رضي الله عنه لما أدخل على الواثق صدقه ولم تأخذه لومة لائم . فأمر بحبسهم الى أن مات محبوباً في حديده . وهذا من كرامات الشافعي ومناقب البويطي رضي الله عنهما .

الخامس : الإيثار الواقع بين المؤمنين بعضهم لبعض بالأنفس والأموال وهو كثير . فمن ذلك النفر الثلاثة الذين ماتوا عطشاً في واقعة اليرموك في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة

خمس عشرة وهي : أن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال إنطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعني شربة ماء وأنا أقول إن كان فيه رمقٌ سقيته ومسحتُ به وجهه ، فإذا أنا به فقلت أتشرب فأشار إليّ أن نعم . فإذا رجلاً يقول "أه العطش أه العطش" فأشار إليّ ابن عمي أن "اسقه" فإذا هو هشام بن العاصي . فمضيت إليه وقلت أتشرب فأشار إليّ أن نعم فسمع هشام شخصاً يقول "أه العطش أه العطش" . فأشار إليّ أن "اسقه" فإنتهيت إليه لأسقيه فإذا هو قد مات ، ثم رجعت الى هشام فإذا به قد مات ثم رجعت الى ابن عمي فإذا به قد مات فتعجبت من هذا الإيثار مع شدة الإضرار .

(ومن ذلك) ما حكاه الإمام أبو القاسم الكلاباذي قدس الله سره قال : "سمعت بعض الفقهاء يقول كنت سنة الهرير مع الناس فإنقلبت ثم رجعت وكنت أطوف بين الجرحى فرأيت أبا محمد الجريري رضي الله عنه وكان قد نيف على المائة فقلت : يا شيخ ألا تدعو فيكشف ماترى ؟ فقال : قد دعوت فقال سبحانه تعالى اني فعّال لما أشاء . فأعدت عليه فقال : يا أخي ليس هذا وقت الدعاء هذا وقت الرضا والتسليم . فقلت : هل لك من حاجة ؟ فقال : أنا عطشان .

فجئتُ بماء فأخذه وأراد أن يشرب فنظر الى قوم ينظرون الى الماء فقال : هؤلاء عطاش وأنا أشرب لا هذا شره . فردّه عليّ ومات من ساعته رضي الله عنه" .

(ومن ذلك) واقعة إبراهيم التميمي رضي الله عنه مع الحجاج لما طلب إبراهيم النخعي غلاماً رسولهُ فظنَّ المطلوب إبراهيم التميمي . فجاء وأخذه الى الحجاج فأمر بحبسه فمات في السجن وكان قد علم إبراهيم التميمي أن المطلوب هو إبراهيم النخعي ، فلم يستجز أن يدلّ عليه وفداه بنفسه رضي الله عنهما .

(ومن ذلك) ما حكاه في "بهجة الأسرار" قال حدثنا أبو بكر محمد بن داود قال : "سمعت أبا بكر البويطي وأبا عمرو بن الأزدي يقولان وكانا متأخيين في الله عزّ وجلّ . خرجنا من بغداد نريد الكوفة فلما صرنا ببعض الطريق إذا نحن بسبعين رابضين في الطريق ، فقال أبو بكر لأبي عمرو أنا أكبر منك سنّاً دعني حتى أتقدمك فإن كانت حادثة اشتغل بي عنك ونجوت أنت . فقال أبو عمرو وإن نفسي ماتسامحني بهذا ولكن نكون جميعاً في مكان واحد فإن كانت حادثة كنا جميعاً" . فجازوا جميعاً وسط السبعين فلم يتحركا ومرّاً سالمين قال الشيخ أبو بكر هذا ميراث الموافقة في المحبة لله عزّ وجلّ .

(ومن ذلك) واقعة أبي الحسن النوري رضي الله عنه لما سعي به الى الخليفة في جماعة وأمر بضرب أعناقهم فسبقت نوري الى السياف ، فقال له هذا :

- أتدري الى ماذا تسارم ؟

قال : نعم الى القتل . قال له : وماذا دعاك الى هذا ؟ قال : أؤثر أصحابي بحياة لحظة .

فتحير السياف من هذا الكلام وأوصله الخير الى الخليفة وكان ذلك سبب نجاته ونجاة أصحابه .

(ومن ذلك) ما حكاه ابن سعد في "الطبقات" عن محمد بن عمر بن واقد الأسلي قال : "تضيق مرة في يوم عيد بحيث أن الجارية قالت ليس في البيت ما نفطر عليه . فقصدت بعض أصحابي من التجار في الإستقراض منه . فقال لي : والله ما عندي غير هذا الكيس فيه ألف دينار ومائتا درهم فخذ .

قال فلما جئت الى منزلي جاءني صديق لي هاشمي وذكر حاجة وسألني القرض فدخلت الى الزوجة وأخبرتها خبر الهاشمي فقالت لي : على أي شيء عزمت ؟

قلت لها : أدقم اليه البعض وأترك البعض لحاجتنا .  
فقال : لا والله ما هذا انصاف أنت جنت الى سوقي فأعطاك جميع ما عنده وقد أتاك هاشمي ابن عم رسول  
الله صلى الله عليه وسلم تدفع اليه بعض ما عندك ؟ إدقم اليه الكيس على حاله .  
قال فدفعت اليه الكيس على حاله فلما ذهب الهاشمي الى منزله وجد ذلك التاجر الذي أقرضني جالساً  
على باب داره . فقام اليه وسأله القرض فأخرج له الهاشمي ذلك الكيس بعينه فعرفه فوصل الخبر الي .  
فمضيت الى دار يحيى بن خالد البرمكي وأخبرته الخبر . فقال " يا غلام هات ذلك الكيس " فأخرج كيساً فيه  
عشرة آلاف دينار فقال " ألفا دينار لك وألفا دينار للهاشمي وألفا دينار للتاجر وأربعة آلاف دينار لزوجتك  
لأنها الأكرم " .  
(ومن ذلك ما حكاه أبو الفرج الجوزي) قال : " قال عبدالله ابن أخت مسلم أردتُ الحجَ فدفع اليّ خالي  
مسلم عشرة آلاف درهم وقال إذا قدمت المدينة فأنظر أفقر أهل بيتها وإدفعها اليه . قال فلما دخلت  
المدينة سألت عن أفقر بيت بها فدُللتُ على أهل بيت . فطرقت الباب فأجابتنني امرأة : من أنت ؟  
فقلت : رجلٌ من بغداد أودعتُ عشرة آلاف درهم وأمرتُ أن أسلمها الي أفقر أهل بيت بيت في المدينة وقد  
دُللتُ عليكم فخذوا هذا المال .  
فقال : يا عبدالله ابن صاحبك اشترط أن تدفعها الي أفقر أهل بيت في المدينة وهؤلاء الذين جيراننا بإزائنا  
أفقر منا .  
قال فتركتهم وأتيت أولئك فطرقت الباب فأجابتنني امرأة : من أنت ؟  
فقلت مثلما قلت لتلك فقالت : يا عبدالله نحن وجيراننا في الفقر سواء .  
فقسمتها بينهم .  
(ومن ذلك) أن الأستاذ أبا حفص النيسابوري رضي الله عنه جاء الي منزل الجنيد فقام اليه وعانقه فقال  
له أبو حفص : دعنا من هذا عندك شيء تطعمنا ؟  
قال : أي شيء يشاء الشيخ ؟  
قال : أريد بطيخاً .  
فامر الجنيد بعض أصحابه بإحضار ما قاله . فلما حضر البطيخ قال : يا أخي أحببتُ أن أوثر الله عزّ وجلّ .  
فقال : إني أحبُّ ما تُحب .  
ثم قال الجنيد لبعض أصحابه إحمل هذا مع الشيخ الي أين عزم .  
فقام معه الي أن وصل داراً فدقّ الباب فإذا بشخص من داخل الباب يقول : أدخل إن كان معك بطيخ .  
فدخلنا فإذا بشيخ قاعد وخيش مُرسَل على باب . فقال أبو حفص فوضعت البطيخ وصرفت الذي حملة  
ثم قلت للشيخ : أخبرني عن أمر هذا البطيخ . فقال :  
- وراء هذه الخيشة صبيان وبنات سالوني البطيخ منذ مدة ولم تسامحني نفسي أن أسأل الله تعالى لهم  
في ذلك ثم وجدت البارحة مسامحة أن أسأل الله تعالى فسألته وعلمت إجابة السؤال بوجود المسامحة  
بالسؤال ، فلما وقفت على الباب علمتُ مامعك .  
السادس : الإيثار بالحقوق إذا تضمّت ذلك الإيثار مصلحة راجحة لا مانع منها خاصةً كانت أم عامة . فما  
تضمّت مصلحة راجحة عامة ما فعله سيدي وابن سيدي أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب

رضي الله عنهما حيث ترك الخلافة لمعاوية حقناً لدماء المسلمين . فقد تَضَمَّتْ هذا الإيثار حفظ مَهْمٍ لايحصيهم إلا الله تعالى . وقد صرَّح بذلك الحسن رضي الله عنه . فإنه لما سأله معاوية أن يُعَلِّمَ الناس بتسليم الأمر اليه قام على المنبر وقال بعد أن خطب : "إن الله قد هداكم بأولنا وحقت دماءكم بأخرنا وظهرت المعجزة النبوية حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ابني هذا سيد يصلح الله بينه وبين فئتين عظيمتين من المسلمين" . فأُنظر الى هذا الإيثار ما أعظمه والى نفسه الكريمة ما أسخاها وأكثر تقواها فسبحان مَنْ أعطاهَا . قال تعالى (كُلًّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) . وأفراد هذا النوم كثيرة وضابطه حصول المصلحة الراجحة حيث لامانم منها خاصة كانت أو عامة .

السابع : الإيثار بالقرب البدنية كمن مات وعليه صوم فإن وليه يصوم عنه على التقديم الصحيح الذي يُفتى به . والإيثار بهذا النوم وأمثاله من أعظم القرب وأحسنها لما فيه من تأدية الفرض عن الغير مع تَضَمُّنِ للبرِّ وصله الرحم ، وأفراد هذا النوم كثيرة منها الدعاء للوالدين والأقربين والمشايخ وسائر السلف الصالحين والصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة والترضي عنهم والترحم عليهم والإستغفار لهم . ومنها أيضاً قراءة القران وإهداء الثواب لهم عند مَنْ يرى وصوله . وقد إختاره وأفتى به جماعة من الأئمة من أصحابنا وغير أصحابنا ، وقد تضمن هذا البرِّ وصله الرحم والمعروف .

الثامن : الإيثار بالقرب الجامعة بين البدنية والمالية كالحج مثلاً . فقد قال الأئمة رحمة الله عليهم إذا حجَّ عن أحد أوبوه أو قريبه أو أجنبي تبرعاً له أفضل مما إذا حجَّ عن نفسه تطوعاً ، إتفق الأصحاب على ذلك لما فيه من تأدية الفرض عن الغير مع تَضَمُّنِ البرِّ أو صلة الرحم أو المعروف بسبب المحجوج عنه والإيثار بهذا النوم مستحب مؤكَّد .

التاسع : الإيثار بالقرب المالية فقط وأفراد هذا النوم كثيرة ، كالصدقة عن الأموات من الوالدين والأقارب والأجانب بالطعام والشراب والفاكهة والثياب والخبز وغير ذلك . ولم يزل المؤمنون يعتادون على ذلك وهو أيضاً من أفضل أنواع القرب وأعظمها لما فيه من البرِّ وصله الرحم والمعروف وسدَّ الخلة بحسب المتصدِّق عنه ولا يخفى إستحباب ذلك والله أعلم .

العاشر : من الإيثار أيضاً القرب المالية صدقة التطوم على الفقراء والمساكين من الأقارب والأجانب . وأقسام هذا النوم وتفصيل مسائله وتحريرها تُعرف من محالها ، وأفراد هذا النوم كثيرة منها وهو أعمُّها نفعاً الوَقْفُ والعَتَقُ والتدبير والكتابة وفكُّ الأسارى وإقراض المحتاجين وإنظار المُعَسَّرِينَ والوضع عنهم وإعانة المُكَاتِبِينَ ووفاء دين الغارمين وتجهيز جيش المسلمين للجهاد في سبيل الله تعالى الى غير ذلك . والإيثار بهذا وأمثاله من أعظم القرب وأحسنها وأعمُّها نفعاً لما فيه من الصدقة الجارية الدائمة وتفريج الكربات والبرِّ وصله الرحم وحفظ دار الإسلام وإسداء المعروف وسدَّ خلة المسلمين وتحريز الرقاب ، ولا سيما إن كان والد أو قريباً مع أن الوالد يعتق بمجرد الشراء . وبهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : "لن يُجزى ولدٌ عن والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتق عليه" الى غير ذلك .

الحادي عشر : الإيثار بالسبق في القرية ليحوز السابق بها فضيلة السبق ، وإنما كان ذلك قصداً صالحاً لرجوعه الى النصيحة للمؤمنين والشفقة عليهم كما حكاه الإمام أبو القاسم الكلاباذي قدس الله روحه

عن عثمان الحيري رضي الله عنه أنه استأذن شيخه الأستاذ أبا حفص النيسابوري رضي الله عنه في الكلام على الناس . فقال له : ما يدعوك الى هذا ؟

قال : النصيحة لهم والشفقة عليهم .

قال : وما بلغت من شفقتك ؟

قال : لو علمت أن الله تعالى يعذبني بدل جميع من آمن به ويدخلهم الجنة لوجدت من قلبي رضا بذلك . فأذن له . ثم إن الأستاذ أبا حفص شهد مجلسه من حيث لا يشعر فلما قضى أبو عثمان كلامه قام سائل فسبق أبو عثمان فأعطاه ثوباً كان عليه . فقال الأستاذ : ما وقيت بقولك فأياك أن تتكلم على الناس وفيك هذا الشره . فقال أبو عثمان : وما ذاك يا أستاذ ؟

فقال : أما كان فيك من النصيحة لهم والشفقة عليهم أن تؤثرهم على نفسك بثواب السبق ثم تتلوهم . فطالبهم بتحقيق الصدق وإستواء السريرة والعلاية لتحقيق قوله بفعله . فلما لم ير منه الوفاء بذلك نهاه عن الكلام على الناس . وهذا الذي قاله الأستاذ أبو حفص رضي الله عنه يرجع في الحقيقة الى ما قصده الإمام أبو الحسن السري رضي الله عنه ، حيث أراد أن يكون حظ ذلك الرجل أكبر فقد اتفقا على مشرب واحد بين النصيحة للمسلمين والشفقة عليهم ، إذ كل واحد منهما أراد أن يكون حظ أخيه المسلم من الآخر أكثر وأوفر ، وهذا بمجرده جليل جميل كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

(واعلم) أن مطلق السبق بالقربية لا تقتضي الرجحان على المسبوق لإحتمال أن يأتي المسبوق بمرجع آخر ينغمر فيه ذلك السبق اللهم إلا إذا تساوى الفعلان من كل وجه وكان أحدهما أسبق ، فممن هنا يحصل الرجحان للسابق لحيازته فضيلة السبق والله أعلم .

الثاني عشر : الإيثار بالنصف الأول من الصلاة . وهو خلاف الأولى وقد ينتهي الى الكراهية وإن كان المؤثر هو المفضول ، فلا يكون إيثاره خلاف الأولى . ويستدل على ذلك بما فعله أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه مع ابن أبي مليكة . قال ابن أبي مليكة : "كنت في الصلاة في الصف الأول فلم أشعر إلا وشخص من ورائي قد اقتلعتني من مكاني وأخرجني منه وثبت فيه . فلما فرغت من الصلاة نظرت فإذا هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال :

- لايسؤك والله يا هذا ، إن هذا عهد النبي صلى الله عليه وسلم به الينا وقال صلى الله عليه وسلم ليلى منكم أولو الأحلام والنهي "

ومن هذا النوم الإيثار بالإمامة في الصلاة حيث صم الإقتداء بها وكان المؤثر أفضل فإن إيثاره بخلاف الأولى ، ومسائل هذا النوم كثيرة مشهورة والتقدم فيها إنما هو بالفضائل ومنه إذا وقع تهاجر بين اثنين وكان أحدهما أفضل فإن الأولى أن الفاضل هو الذي يبتديء بالسلام وإزالة الوحشة . فلو أراد الفاضل إيثار المفضول بذلك كان ذلك خلاف الأولى ، ألا ترى الى ما روي عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه لما كان بينه وبين أخيه الحسين بن علي رضي الله عنهما نوم تهاجر كيف أرسل محمد ابن الحنفية يقول له : "يا أخي لولا أنك أحق بالفضل مني لأتيتك وبدأتك بالسلام" فعرف الحسين رضي الله عنه ذلك فجاء اليه وبدأه بالسلام . وقد قال أرباب السير أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما كان بالبصرة جلس على سرير وأجلس الحسن عن يمينه والحسين عن يساره وجلس محمد بن الحنفية دون السرير . فخاف عليه رضي الله عنه ان يجد ذلك الفتى ، فقال :

- يابني أنت ابني وهذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثالث عشر : طلاقة الوجه والبش في وجه أخيك المسلم وزيادة الإستبشار به والإبتهاج له والزيادة في حسن التحية مطلوب . وكلما كان أكثر طلاقة وأحسن تحية وإستبشاراً وإبتهاجاً بأخيه المسلم كان أفضل وأجره أكثر . فلو أراد الإيثار ببعض ذلك ليكون أجر أخيه المسلم أكثر كما قصد سيدي أبو الحسن السري رضي الله عنه كان ذلك قصداً صالحاً وإيثاراً جميلاً حيث أراد لأخيه المسلم أكثر مما أراد لنفسه . فهو إيثار بمجرد حظ نفسه لاتعلق لغير فيه مع مشاركته في الزجر وحصول الفضيلة وإنما إختص ذلك بزيادة الزجر . وإذا علم الله عز وجل من عبده الصدق في قصده فإنه يُثيبه ثواباً آخر ويضاعف أجره بحيث إنه قد يربو على ذلك الأجر الذي أثار به ، فيثابان جميعاً ثواباً وافيةً ذلك لزيادة الإستبشار وطلاقة الوجه وهذا لحسن قصده الصالح الجميل لأخيه المسلم . ومن هنا يظهر لك حسن قصد سيدي السري رضي الله عنه وأنه جليل جليل منشؤه الورع لرجوعه الى الشفقة والنصيحة للمسلمين ويضمن قصده رضي الله عنه أموراً آخر يقصر فهمي عنها . وغاية ما أقول أنه غامض دقيق قد أخذ محاسن الأمور واشتمل على الكمال والتكامل بحصول الأجر الوافر مع المحافظة على العمل بقوله صلى الله عليه وسلم : " الدين النصيحة : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " فرحمه الله ورضي الله عنه ما أكثر عرفانه وأغمص أفعاله وأحسن مقاصده وأظهر برهانه . وهذه الأسرار التي ذكرناها كلها من بركة قصده الصالح أيضاً . لأن النظر فيه أوجب ذلك وهي مجامع أنواع القربات ومعظم مسائلها مع كثرتها راجعة اليها والله أعلم . أه .

( تنبيه تنبيه ) أعلم أن ما فعل سيدي السري رضي الله عنه مع ذلك الرجل الجليل من كونه نقصه في السلام إيثار له بزيادة الأجر إنما يكون حسناً ومطلوباً بالنسبة الى من كان عارفاً عاملاً ، أما من ليس كذلك فلا ، ولا سيما في زماننا هذا فإنه قد يؤدي ذلك الى عكس المقصود من وقوم بغضاء أو شحناء وموضوع السلام الألفة والمحبة . فالصواب الآن عدم استعمال ذلك إلا لعارف أو لعالم والله أعلم .

( توفي رضي الله عنه ) في بغداد يوم الثلاثاء لست خلون من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين . ( وقال ) الأئمة أبو الفرج وغيره قال أبو عبيد بن خرمويه : " حضرت جنازة السري فلما كان في بعض الليالي رأيته في النوم فقلت له ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال غفر لي ولمت حضر جنازتي وصلى علي . فقلت فإني ممن حضر جنازتك وصلى عليك . قال فأخرج درجاً فنظر فيه فلم ير فيه إسمي . فقلت بلى قد حضرت قال فنظر فإذا إسمي في الحاشية " .

( ودُفنت ) في المقبرة الشونيزية وقبره ظاهر معروف والى جنبه قبر الجنيد رضي الله عنهما . ثم تلقى سر هذه النسبة عنه شيخ هذه السلسلة المجللة سيدنا أبو القاسم الجنيد البغدادي نصر الله وجهما .



## أبو القاسم الجنيد بن محمد الزجاج البغدادي رضي الله عنه

هو الحَبير المزيّن بفنون العلم المتوسّم بجلابيب التقوى والحلم المنورٌ بخالص الأيقات المؤيّد بثابت الإيمان العالم بمودع الكتاب العامل بمحكم الخطاب الموقف للبيان والصواب . كان كلامه بالنصوص مربوطاً وبيانه بالأدلة مبسوطاً . وهو نماونديّ الأصل بغدادي المنشأ الزجاج والقواريري نسبة لحرفة أبيه سيد الطائفة ومقدم الجماعة وإمام أهل الخرقه وشيخ طريق التصوف بهلوان العارفين مرجع أهل السلوك في زمنه . فمنّ بعده رُزق من القبول وصواب القول ما لم يقيم لغيره بحيث إذا كان مرّ بشارع بغداد وقف له الناس صفوفاً كالملوك ولم ير في عصره من اجتمع له علمٌ وحالٌ غيره . وكنت إذا رأيت علمه رجحت على حاله وإذا رأيت حاله رجحت على علمه . وناهيك بإمام من العقائد الدينية والأصول الإسلامية أن تعتقد أن طريقه وصحبه طريق مقوم .

(قال) خاتم الأولياء المحمديين الشيخ الأكبر سيّدنا محي الدين في "الفتوحات" هو سيد هذه الطائفة . (وكان) من الفقهاء المتعبدين الشافعية تفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي ، وكان يفتي بحضرتة وهو ابن عشرين سنة ولم تزل أعناق الفريقيين له خاضعين وعلى تبجيله في كل عصر مجتمعين . وقد نقل شيخ الشافعية الإمام النووي في "الروضة" قيل الصيام عنه إن أخذ المحتاج من صدقة التطوع أفضل من أخذه من الزكاة . أخذ التصوف عن خاله السري والحارث المحاسبي . (قال) "قال لي السري شيخي إذا تمت من عندي فمنّ تجالس ، قلت المحاسبي ، قال نعم خذ من علمه وأدبه دمّ عنك تشقيقه للكلام وردّه على المتكلمين . ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفياً ولا جعلك صوفياً صاحب حديث" . قال الغزالي رضي الله عنه أشار إليّ أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوّف أفلم ومن تصوّف قبل العلم خاطر بنفسه ، انتهى .

(وكان يقول) علمنا هذا مقيّد بالكتاب والسنة . (قال) الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه العزيز يريد أنه نتيجة عن العمل عليهما وهما الشاهدان العدلان . (وصحب) هذه الطائفة أربع طبقات كل طبقة ثلاثون رجلاً وانتهمت إليه الرياسة . (وقال) ما أخرج الله علماً إلى الأرض وجعل للخلق إليه سبيلاً إلا وجعل لي فيه حظاً . (وأقام) عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوم وورده كل يوم ثلاثمائة ركعة ، وكان الكتابة يحضرون مجلسه لألفاظه والفقهاء لتقريره والفلاسفة لدقّة نظره ومعانيه والمتكلمون لتحقيقه والصوفيّة لإشاراته وحقائقه .

### ومن فوائده وحكمه:

(قال) لو أقبل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض لحظة كان ما فاتته أعظم مما ناله . (وقال) من لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء ويأخذ أدبه من المتأدبين أفسد من إتبعه . وقيل له ما العارف ؟ قال من نطق عن سرّك وأنت ساكت . (وقال) ما أخذنا التصوف عن القيل والقال بل عن الجوع وترك الدنيا وقطم المألوف . (وقيل له) ما الفرق بين المرید والمراد ؟ فقال المرید تولية سياسة العلم والمراد تولية رعاية الحق ، فإب المرید يسير والمراد يطير وأب السائر من الطائر . (وقال) الإخلاص

بين الله وعبيده ولا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيهلكه . (وقال) الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة والمرائي يثبت على حاله أربعين سنة . (وقال) الإستغناس بالناس حجاب عن الله والطعم فيهم فقر الدارين . (وقال) لايسمي عبداً عاقلاً حتى لا يظهر على جوارحه شيء ذمه ربه . (وقال) بُني الطريق على أربع لا تتكلم إلا عن الوجود ولا تأكل إلا عن فاقة ولا تنم إلا عن غلبة ولا تسكت إلا عن خشية . (وقال) صفاء القلوب على حسب صفاء الذكر وخلوصه من الشوائب . (وقال) كلام الأنبياء عن حضور وكلام الصديقين عن المشاهدة . (وقال) من زعم أنه يعرف الله وهو كاذب ابتلاه بالمحن وحجب ذكره عن قلبه وأجره على لسانه فإن تنبّه وإنقطع إليه وحده كشف عنه المحن وإن دوام السكون الى الحق نزعته من قلوبهم الرحمة عليه وألبس لباس الطعم فيهم ، فتصير حياته عجزاً وموته كمداً وأخرته أسفاً نعوذ بالله من الركوت الى غيره . (وسئل) عن العارف فقال لون الماء لون إنائه أي هو بحكم وقته . (وقال) مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة . (وقال) التصديق بعلمنا هذا ولاية إذا فاتتك المؤنة في نفسك فلاتفتك أن تصدقت بها في غيرك ، فإن لم يصبها وابل فطك . (وقال) يجعل أحدهم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة . (وقال) كنت بيت يدي السري ألعب وأنا ابن سبع والجماعة يتكلمون في الشكر ، فقال يا غلام ما الشكر ؟ قلت ان لا يعصى الله بنعمة . فقال أخشى أن يكون حظك من الله لسانك . فلازال أبكي على هذه الكلمة . (وسئل) ما بال أصحابك إذا سمعوا القرآن لا يتواجدون ولا يتحركون بخلاف ما إذا سمعوا الرباعيات . قال القرآن كلام الله وهو صعب الإدراك والرباعيات كلام المحبين المخلوقين . (وقال) أقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب جل جلاله من القلب والقلب إذا عرى من الهيبة عرى من الإيمان . (وقال) مادام الشاكر يطلب المزيد بشكره فهو غريق في حظ نفسه ، إنما الشكر أن يرى العبد أنه ليس بأهل تناله الرحمة لشهوده كثرة معاصيه . (وقال) إذا صدقت المرید أغناه الله عن حفظ المنقول بنور يجعله في قلبه يفرق به بين الحق والباطل . (وقال) الطريق مسدود إلا على المقتفين آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم . (وقال) طريق التصوف عنوة لا صلح فيه . (وقال) التوحيد الخالص ان يرجع آخر العبد الى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون . (وقال) التوحيد الذي انفرد به الصوفية أفراد القدم من الحدوث والخروج عن كل محبوب يقطعهم عن الله وترك الإعتماد على كل ما علم وأن يكون الحق مكان الكل لا يعول إلا عليه . (وقال) قد طوي علم التوحيد منذ زمان وإنما الناس يتكلمون في حواشيه . (وقال) سبب اضطراب القلب والجوارح عند السماع انه تعالى لما خاطب الذر في الميثاق الأول بقوله ألسن بربكم ؟ استقرعت عذوبة سماع كلامه الأرواح فإذا سمعوا نفماً طيباً حركهم لذكره . (وقال) تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن عند السماع والطعام ومجارة العلم . (وقيل له) ممن استفتت هذا العلم الذي لم يسمع من مشايخنا ؟ قال من تعودى تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة وأوما الى درجة في داره . (وقال) لا يصفو قلب لعمل الآخرة إلا إن تجرد عن حب الدنيا . (وقال) حقيقة المشاهدة وجود الحق مع فقدانك . (وقال) المشاهدة إدراك الغيوب بأنوار الأسرار عند صفاء القلب من الدنس وخلوصه من الأضداد والأغيار فهو في مراقبة الجبار فيصير كأنه ينظر الى الغيب من وراء ستر رقيق من صفاء ستر المعرفة وبرد اليقين . (وقال) إنما لم يطرب الفقراء لسماع القرآن لأنه كلفهم ومواعظ كلفوا بها

وَمَنْ كَلَفَ بِشَيْءٍ لَا يَطْرُبُ بِهِ وَإِنَّمَا طَرَبُوا بِالْقِصَائِدِ لِأَنَّهَا كَلَامُ جِنْسِهِمْ وَمِمَّا عَمَلْتَهُ أَيْدِيهِمْ بِخِلَافِ الْقِرَاءَتِ فَإِنَّهُ حَقٌّ صَدَرَ مِنْ حَقٍّ لَا مَجَانِسَةَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُ . (وقال) العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك . (وقال) لولا أنه روي أنه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ماتكلمت عليكم . (وقال) إن بدت ذرة من عين الكرم والجود ألحقت المسيء بالمحسن وبقيت أعمالهم فضلاً لهم ، فقال ابن عطاء حتى تبدو فقل هي بادية قال تعالى سبقت رحمتي غضبي . (وقال) لو كان العلم الذي أتكلم به من عندي لفني لكن من حق بدأ والى حق يعود . (وقال) من الأعمال ما لا يطلع عليه الحفظة وهو ذكر الله بالقلب وماطويت عليه الضمائر من الهيبة والتعظيم واعتقاد الخوف وإجلال أوامره ونواهيه . (قلت) وهذا هو الذكر الذي فازت به هذه الطائفة النقشبندية قدس الله أسرارهم الزكية دون بقية الطرقات وحسبها بذلك شرفاً وفوراً عظيماً . (وقال) الخشوع تذلل القلوب لعلم الغيوب . (وقال) التواضع خفض الجناح ولين الجانب . (وقال) أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الله في ميدان فكر التوحيد . (وقال) إحفظوا ساعاتكم فإنها زائلة غير راجعة والحسرة على الغفلة وقتها واقعة وصلوا أورادكم تجدوا نفعها في دار الإقامة ولا يغلكم عن الله قليق الدنيا فإن قليقها يشغل عن كثير الآخرة . (وقال) حكايات الصالحين جند من جنود الله يقوم بها أحوال المرديدن ويحيي معالم الغيوب . (وقال) أسرار العارفين وحجة ذلك من الكتاب العزيز قوله تعالى (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) . (وقال) كُنْ فِي بَاطِنِكَ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكُنْ فِي ظَاهِرِكَ مَعَ الْخَلْقِ لِأَنَّ مَنْ فَارَقَ الْخَلْقَ بَجَسْمِهِ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَقَعَّ فِي الضَّلَالِ ، وَمَنْ خَالَطَ النَّاسَ بِسِرِّهِ إِفْتَتَنَ وَحُجِبَ عَنِ الْحَقِّ بِالطَّمَعِ فِي الْخَلْقِ . (وقال) أول مقام التوحيد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله كأنك تراه . (وقال) مواكبة الإخوان رضاع فانظروا متى تواكلون . (وقال) لا يصلح السؤال إلا لمن العطاء عنده أحب إليه من الأخذ . (وقال) الشفقة على الناس أن تعطيه من نفسك ما يطلبون ولا تحمّلهم إلا ما يطيقون ولا تخاطبهم بما لا يعلمون . (وقال) قد ينقل العبد من حال إلى أرقم منها وقد بقي عليه من التي تقل عنها بقية فيشرف عليها من الحالة الثانية فيصححها . (قلت) وهذا مأخذ ما قيل في معنى قوله صلى الله عليه وسلم : " انه ليغان على قلبي واني لأستغفر الله منه في اليوم والليلة سبعين مرة" من أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا ترقى إلى مقام يرى ما قبله غيباً فيستغفر منه .

(وكان) إذا سأل سائل عن مسألة يجيبه ثم يسأله آخر عنها فيجيبه بجواب آخر ويقول : " على قدر السائل يكون الجواب" .

(وقال) مَنْ شَارَكَ السُّلْطَانَ فِي عَزِّ الدُّنْيَا شَارَكَهُ فِي ذَلِّ الآخِرَةِ . (وقال) إذا أراد الله عبداً للمحبة كشف له عن قدر إنعامه عليه وبره إليه وكثرة الأيدي القديمة عنده . (وقال) تنتهي عبادة أهل المعرفة إلى الظفر بنفوسهم . (وقال) على العاقل أن لا يفقد نفسه من ثلاثة مواطن ، موطن يعرف فيه حاله أفي حالة زيادة أم نقصان ، وموطن يستحضر فيه عقله لرؤية مجاري التدبير وكيف تغلب عليه الأحكام ، وموطن يخلو فيه بتأديب نفسه والزامها ما لزمها . (وقال) إن الله كشف لعباده معائبهم في ذكر الظن لهم وعرفهم مقاديرهم بذكر النطفة وأشهدهم عجزهم في تقلبهم ليعرفوا فاقتمهم إليه في كل حال . (وقال) لإبن شريح : طريقنا أقرب إلى الحق من طريقكم ، فطالبه

بالبرهان فقال الجنيد لرجل إرم حجراً في حلقة الفقراء فرماه فصاحوا كلهم الله . ثم قال القه في حلقة الفقهاء فالقاه فقالوا حرام عليك أزعجتنا فقبل رأسه واعتذر . (وقال) لا يرتقي الدرجات من لم يحكم فيما بينه وبين الله أوائل البدايات وهي الفروض الواجبة ثم الأوراد الراتبة ومطايا الفضل وعزائم الأمر ، فمن أحكمها من الله عليه بما بعدها . (وقال) التصوف تجنب كل خلقت أدنى واستعمال كل خلقت سني وأن تعمل لله من غير رؤية العمل . (وقال) من سكن أو شكا لغير الله ابتلاه الله بحجب سره عنه . (وقال) أعلم الناس بالآفات أكثرهم أفة . (وقال) من عرف الله أطاعه ومن عرف نفسه ساء بها ظننه وخاف على حسناته أن لا تقبل .

(وزاره) أبو محمد الجريدي فوجده يصلّي فأطال ، فلامه وقال :

- قد كبرت ووهن عظمك ورتب جلدك فلو إقتصرت على بعض صلاتك .

فقال : طريق عرفنا بها ربنا لانقتصر على بعضها فالنفس ماحملتها والصلاة صلة والسجود قربة ، ولهذا قال تعالى (واسجدوا وقربوا) ومن ترك طريق القرب يوشك أن يسلك به طريق البعد . (وقال) لا تياس من نفسك مادمت تخاف من ذنبك وتندم عليه . (وقال) الورع في الكلام أشد منه في الكسب . (وقال) العلم يوجب لك استعماله فإن لم تستخدمه في مراتبه كان عليك لا لك . (وقال) المرء لا يعاب بما في طبعه . (وسئل) العناية قبل أم البداية ؟ فقال العناية قبل الطين والماء . (وقال) أعلى درجة الكبر وأشدها أن ترى نفسك وأدناه أن تخطر نفسك في بالك . (وقال) إن الله يعطي القلوب من بره بحسب ما أخلصت له في ذكره . (وقال) رأيت في النوم كاني أتكلم على الناس فجاءني ملك فقال ما أقرب مايتقرب إليه المتقربون ؟ قلت عمل خفي بميزات وفي فتولى وهو يقول كلام موفقت والله . (وقال) لقد مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً . (وقيل له) متى يستوي عند العبد حامده وذامه ، فقال إذا تحققت أنه عبد مخلوق . (وقال) الغفلة عن الله أشد من دخول النار . (وقال) بلغني أن يونس عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه وقام حتى انحنى وصلّى حتى أقعد ، ثم قال وعزتك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته شوقاً إليك . (وقال) لا تقوم بما عليك حتى تترك جميع ما لك وليس شيء أعز من الدنيا . (وقال) اليقين استمرار العلم الذي لا يحول ولا يتغير في القلب . (وقال) إذا صدقت الله فأصدقته فإنه تعالى جعل لإبليس على كل شيء طريقاً إلا على صدق الأسرار . (وقال) مارأيت من عظم الدنيا فقرت عينه بها وماحقرها أحد إلا أتته وهي صاغرة . (وقال) التواضع عند أهل التوحيد تكبر . قال الغزالي ولعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه أولاً ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئاً حتى يضعها . (وقال) أتيت مسجد الشونيزية فوجدت جمعاً من الفقراء يتكلمون في الآيات ، فقال فقير أعرف رجلاً لو قال لهذه الإسطوانة كوني ذهباً كانت كذلك فصارت كذلك . (وقال) أحتاج الى الجماع كما أحتاج الى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب . (وسأله الشبلي) فقال له ما حسنات الأبرار ؟ قال سيئات المقربين ثم أنشد :

طوارق أنوار تلوم إذا بدت      فتظهر كتماناً وتُخبر عن جمع

(وسئل) عن العشق ، فقال لأدري ماهو ولكن رأيت رجلاً أعمى عشق صبياً وكان الصبي لا ينقاد له فقال

له الأعمى يا حبيبي ايش تريد مني ، قال روحك ففارق روحه حالاً .

(ومرّ) ببعض دروب بغداد فسمع قائلاً يقول :

منازل كنت تهواها وتألّفها أيام كنت على الأيام منصوراً  
فبكى وقال ما أطيب منازل الألفة والسرور وأوحش مقامات المخالفة لأزال أحثّ الى بدايتي وحدة سعبي  
وركوبي الأهوال طمعاً في الوصول وأنا في أيام الفترة أتأسف على أوقاتي الماضية .  
(وسئلت) على ماذا يتأسف المحبُّ من أوقاته؟ قال على زمان بسط أورث قبضاً أو زمان أنس أورث  
وحشة وأنشأ يقول :

قد كان لي مشرب يصفو برؤيتكم فكدرته يد الأيام حين صفا  
(وقال) مَنْ لم يصلِ عمله باليقين ويقينه بالخوف وخوفه بالعمل وعمله بالإخلاص وإخلاصه  
بالمجاهدة فهو من الهالكين . (وقال) اليقين أن لاتهتم لرزقك الذي كُفيتهُ وتُقبِلُ على عملك الذي  
كُلّفته ، فإن اليقين يسوق إليك الرزق سوفاً حثيثاً . (وقال) الزهد إستصغار الدنيا ومحو آثارها من  
القلب . (وقال) المسير من الدنيا الى الآخرة هيّن على المؤمن وهجر الخلق في جنب الحق شديد  
والمسير من النفس الى الله شديد والصبر مع الله أشدّ . (وقال) الصبر تجرّم المرارة من غير  
تعبيس والرضا دفع الإختيار .

(وسأله جهم) : أنطلبُ الرزق؟ فقال : إن علمتم أي محل هو فأطلبوه . قالوا : فنسأل الله فيه ؟  
قال : إن علمتم إنه ينساكم فذكروه . قالوا : فندخل البيت ونتوكّل ؟ قال : التجربة شك . قالوا : فما  
الحيلة ؟  
قال : تركُ الحيلة .

(وقال) اليقين إرتفاع الريب في مشهد الغيب .  
(وسئلت) عن التوحيد فأجاب بكلام لا يفهم . ففيل له أعد الجواب فباناً ما فهمناه ، فقال جواباً آخر .  
ففيل له هذا أغمض فامله علينا حتى ننظر فيه ونعلمه ، فقال إن كنت أجريه فأنا أملكه . (قال  
سيدنا الشيخ الأكبر) أشار الى أنه لاتعمل له فيه وإنما هو بحسب مايلقي الله مما يقتضيه وقته  
ويختلف الإلقاء باختلاف الأوقات والقوم إنما يوردون مايعطيه الكشف ويمليه الحقّ .  
(وقيل له) أبو يزيد يقول " سبحاني " فقال الرجل استملك فنطق بماهلك به لذهوله في الحق عن  
رؤيته إياه فلم يشهد في الحق إلا الحق .

(وقال) صحبتُ قوماً بالبصرة فأكرموني فقلت مرة أين إزاري فسقطت من أعينهم .  
(ودخل) عليه الشبلي متواجد فقال : إن كنت ترى نفسك في حضرة الله فهذا سوء أدب وإن كنت  
خارجها فماذا حصلت حتى تتواجد ؟ فقال : التوبة ياإمام .  
(وقال) أرقت ليلة فقمتم لوردي فلم أجد ما أجد من الحلاوة . فأردت النوم فلم أقدر فأردت القعود  
فلم أطق ثم إرتج البيت للسقوط فإذا برجل مطروح بالطريق فرغم رأسه وقال : الي الساعة ياأبا  
القاسم .

قلت : بغير موعد ياسيدي ؟ قال : بلى سألت محرّك القلوب أن يحرك قلبك للخروج متى يصير داء  
النفس دواها ؟ قلت : إذا خالفت هواها ؟ فقال : إسمعي يانفس قد أجبتك بهذا سبغاً فأبيت إلا أن  
تسمعيه من الجنيد . ثم إنصرف فلم أعرفه .

(وقال) لأستبشع مايرد علي من العالم فإني أصلت أصلاً هو أن الدار دارُ غمّ وبلاء وفتنة والعالم كلّ

شَرَّ فحكّمهُ أن يلقاني بكلّ ما أكره ، فإن تلقاني بما أحبُّ فهو فضل والأصل الأول . (وقال) من فتح على نفسه باب نيّة حسنة فتح الله عليه سبعين باباً من التوفيق ، ومن فتح على نفسه باب نيّة سيئة فتح الله عليه سبعين باباً من الخذلان . (وقال) الدنيا لحظة إن صدمتها ذهبت وإن هي صدمتك أعمتكَ .

(قال موسى بن علي رضي الله عنه) مشيت يوماً مع الجنيد فلما بلغنا مسجد الشونيزي إلتفت إلينا ووقف وقال : "يامعاشر الشباب جدّوا قبل أن تعجزوا واجتهدوا قبل أن تطلبوا أثراً بعد عين ، فإني تذكرت مجاهدات كانت لنا في هذا المسجد تقبم في عيني بطلتي اليوم" . قال موسى بن علي وكانت حالته إذ ذاك من أعظم أنواع المجاهدات وأنشدوا في المعنى :

أتهجر مَنْ تُحِبُّ وأنت جَارٌ	وتطلبهم وقد بَعَدَ المزارُ
وتبكي بعد نأيهم إشتياقاً	وتسأل في المنازل أين ساروا
تركت سؤالهم وهم حُضُورٌ	وترجوا أن تخبرك الديارُ
فأنت كطالب أثر العيين	وقلبك بالبطالة مستعمارُ
فنفسك لَمْ ولاتلم المطايا	ومت أسفاً فقد خان الحذارُ
سمعت بنايهم فظلمت حياً	فديتُك كيف يهنك القرارُ

(وقال) التصوّف جامعٌ لعشر خصال : التقلُّ من كلّ شيء في الدنيا مع القدرة عليه ، وإعتماد القلب على الله سبحانه وتعالى مع عدم السكون الى الأسباب ، والرغبة في الطاعة بما إستطاع منها ، والصبر عند فقد الدنيا على المسئلة والشكوى ، والتميز في الشبهات والحلال ، والشغل بالله تعالى عمّن سواه ، ودوام الذكر له بالقلب واللسان ، وتحقيق الإخلاص مع الصدق ، وإستواء السريرة والعلانية ، ودوام المراقبة لله مع السكون إليه في جميع الأحوال . فإذا اجتمعت هذه الخصال كان الصوفي في أول مراتب المحبة ثم يرقى الى حالة المشاهدة فيؤخذ منه اليه ويبقى معه في ميدان المحبة والدمشة ، إنتهى . ولم يزد أحد في بيان حقيقة المشاهدة على ما قاله (عمرو بن عثمان المكي رضي الله عنه) وهي : "أن تتولى أنوار التجلي على قلب العارف من غير أن يتخللها ستر وإنقطاع كما لو فرض إتصال البروق في الليلة المظلمة حتى تصير كالنهار لإتصال البروق بها" . فكذا قلب العارف بإتصال أنوار التجلي حتى يصير دائم النهار غائب الليل وأنشدوا :

ليلي بوجهك مششرق	وظلامه في الناس ساري
فالناس في سُدْفِ الظلام	ونحن في ضوء النهار

(وسئل) متى يكمل المحب أحوال العبودية ؟ فقال إذا رأى أن الأشياء كلها لله تعالى وأنه هو المنفرد بالتدبير والخلق والملك (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .

(وقال) إذا صحّت المودة سقطت شروط الأدب . قال في "مجمع الأحباب" إن هذا يستدعي إشارة لطيفة الى أحوال فاز بها العارفون رضي الله عنهم في الصحبة وهي : مع المشايخ بالإحترام والخدمة والتوقير والقيام بأشغالهم . ومع الأقران بالبشر والإنبساط والموافقة والإحسان والكون معهم على حكم الوقت . ومع الأصاغر بالشفقة والإرشاد والتأديب . ومع الأستاذين باتباعهم أمرهم ونهيهم وهي في الحقيقة خدمة لا صحبة . ومع الجمال بتحمّل الصبر وحسن الخلق والمدارة والنظر إليهم بعين الرحمة ومن كان جهله أقوى كان العفو والحلم عنه أولى . ومع الأهل والولد بالشفقة وحسن التأديب

وحثهم على أنواع الطاعات . ومع الإخوة بكل ما يقدر عليه من الموافقة وترك المخالفة ما لم تكن معصية . ومع السلطان بالسمع والطاعة إلا في معصية والإمساك عمّا فيه قدم عليهم ، وأما الدخول عليهم فمَن كان عادلاً فهو من السبعة الذين في الحديث المشهور والنظر إليه عبادة وينبغي أن يدعم له بما قاله سعيد بن المسيّب رضي الله عنه لما وُلِّيَ عمر بن عبدالعزيز للعلماء "أجعلوا نصف دعائكم لأُمير المؤمنين ليسلم عليكم دينكم ودنياكم" ومَن كان ظالماً فالبعد عنه واجب إلا إذا تعيّن كإرشاد وإضطرار فيدخل عليه بحسب ذلك وإذا دخل عليه أمره ونهاه ودعا له بالتوفيق والإعانة إذا علم من حاله أنه يسلم عند القرب منه ، ومع الكلفة كصحة أبي ضمضم رضي الله عنه كان إذا أصبح وأمسي يقول : "اللهم اني وهبتُ نفسي وعرضي لك اللهم اني قد تصدّقت بعرضي على عبادك فمَن شتمني فلاشتمه ومَن ظلمني فلاظلمه" . ثم إن على كل جارحة أدياً تختص به . قال تعالى (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) . وحقيقة هذه الآداب راجعة الى المراقبة ، قال بعض المشايخ الأدب مع الله عزّ وجلّ أن لا تتحرك جارحة من جوارحك في غير رضا الله سبحانه وتعالى .

(حُكِي) عن بعضهم أنه قال نظرتُ الى شخص نظرة شهوة فرأيت في المنام قائلاً يقول "إن الله تعالى يقول الدنيا داري والخلائق فيها عبيدي وإمائي فمَن نظر الى أحد منهم بغير حق فقد خانني" ، فإنتبهت وأليت على نفسي أن لا أنظر الى شخص بعد ذلك إلا على حدّ الأمانة .

(وسُنك) أبو عثمان الحيري رضي الله عنه عن الصحبة فقال توسع إخوانك بمالك ولا تطعم من مالهم وتنصفهم من نفسك ولا تطلب الإنصاف منهم وتكون تبعاً لهم ولا تطلب أن يكونوا أتباعاً لك وتستنكر ما إليك منهم وتستقلّ مامنهم إليك .

(وقيل) الشرف في ثلاث إجلال الكبير ومدارة النظير ورفع النفس عن الحقير .

(وقال) أبو بكر الكتاني رضي الله عنه جرت مسئلة المحبة بمكة في الموسم وكان الجنيد رضي الله عنه أصغرهم سنّاً فتكلّم فيها المشايخ ثم قالوا هات ما عندك يا عراقي . فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال : "عبدٌ ذاهل عن نفسه متصل بربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه قد أحرق قلبه الأنوار الإلهية وصفا شربه من كأس ورده وانكشف له الحقّ من أستار عينه ، فإن تكلم فبالله وإن نطق فمَن الله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكنت فمع الله فهو بالله ومع الله"

فبكى المشايخ وقالوا ما على هذا من مزيد جبرك الله ياتاج العارفين .

وقال أبو القاسم القشيري قدّس الله روحه : "كان الجنيد رضي الله عنه جالساً مع رويم والجريري وابن عطاء فقال الجنيد :

- مانجا مَن نجا إلا بصدق الإلتجاء ، قال الله تعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا... الآية) .

وقال رويم : مانجا مَن نجا إلا بصدق النُّقى قال الله تعالى (ويُنَجِّي الله الذين إتَّقوا بمفازتهم... الآية) .

وقال الجريري : مانجا مَن نجا إلا بمراعاة الوفا قال الله تعالى (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ... الآية) .

وقال ابن عطاء : مانجا مَن نجا إلا بتحقيق الحياء قال الله تعالى (ألم يعلم أن الله يرى... الآية) .

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري : مانجا مَن نجا إلا بمعرفة الحكم والرضا ، قال الله تعالى (الذين سبقت لهم منا الحسنی ... الآية) .

(وسأله) أبو محمد الجريري رضي الله عنهما فقال : مابالُ الإنسان يخفُّ عليه بعض الأعمال ويثقلُ عليه بعضها ؟ فقال : ربما كان ذلك إختباراً من الحقِّ جلَّ جلاله يهب لعبده شيئاً من الأحوال العالية عليه لينظر كيف حفظه لها وكيف تمسكها بها ، فإن صار مُراعياً مستمسكاً بها دائم أوقاته زاده وفتح له في غيرها ونقله الى ما هو أعلى منها وإن كان مضيعاً لها سلبه أياها إذ لا يعرف قدر الموهبة .

(وكان للسري رضي الله عنه تلميذة وكان لها ولد عند المدب فبعث به معلم المكتب الى الشطِّ فغرت . فجاء المعلم الى السري وأخبره بذلك ، فقال له السري : قوموا بنا الى أمه نعرِّبها ونسليها . فلما جلسنا عندها أخذ السري يتكلم في الصبر ثم تكلم في الرضا . فقالت : يَا أستاذ إيش تريد ؟ فقال لها : إن ابنك غرت . فقالت : ابَّ ربي عزَّ وجلَّ ما فعل هذا الى الآن . فأعاد السري الكلام في الصبر والرضا فقالت أمه : قوموا بنا الى الشطِّ .

فقمنا معها فلما إنتهينا الى الشطِّ قالت لنا : أين غرت ابني ؟ قلنا لها هاهنا . فقالت : يا ابني محمد . فأجابها : لبيك يا أمه .

فنزلت وأخذت بيده ومضت الى منزلها . قال الجنيد فالتفت السري اليّ وقال : كيف هذا ؟ فقلت : أقول ؟ قال " قل " . فقلت : إن المرأة مراعية لما لله عليها من الحقوق وحكم من كان مراعياً لأوامر الله عزَّ وجلَّ ومواهبه من الإجتنب والإمتثال أن لا يحدث حادثة تتعلق به إلا أعلمه بها . فلما لم تكن حادثة لم يعلمها فلما قيل لها إنك غرت أنكرت ذلك وقالت إن ربي ما فعل هذا الى الآن .

(وسئل) عن الحياء فقال رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء . (وسئل) عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم "حبك للشيء يعمي ويصم" فقال حبك للدين يعمي ويصم عن الآخرة .

(وقال) رضي الله عنه إذا رأيت الفقير فابتدئه بالرفق ولا تبدئه بالعلم فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه .

(وقال) دخلت يوماً على السري فرأيت عليه همّاً فسألته فقال لي : الساعة استأذن عليّ شاب ودخل فسألني عن التوبة وشروطها فأنبأته ثم قال لي ماحقيقة التوبة ؟ قلت هو أن لا ينسى مامن أجله كانت التوبة . فقال ليس كذلك عندنا . فقلت فكيف هي عندكم ؟ قال أن لا تذكر ما من أجله التوبة . ففي هذا أنا مفكّر . فقلت له ما أحسن ما قال ، ثم قلت : يا أستاذ إذا كنت معك في حال الجفا ونقلتني الى حال الصفا فذكرني للجفا في حال الصفا غفلة .

(وقال) دخلت على السري يوماً فقال لي : كنت أمشي في الجامع فقال لي شاب هل يعلم العبد أن الله عزَّ وجلَّ قد قبله ؟ فقلت لا ، فقال بلى إذا رأى أن الله تعالى عصمه من المعاصي ووثقه لطاعته علم أن الله قد قبله .

(وقال) دخلت على السري أعوده فقلت : كيف تجدك ؟ فقال :

كيف أشكو الى طبيبي ما بي      والذي قد أصابني من طبيبي  
تاك فأخذت المروحة أروحه ، فقال يجد روح المروحة من قلبه وجوفه يحترق من داخل ثم أنشأ يقول :  
القلب منحرف والدمع مستبِق      والكرب مجتمِع والصبرُ مفتَرِق  
كيف القرار على من لا قرار له      مما جناه الهوى والشوق والقلق  
يارب إن كان شيء فيهِ لي فرج      فامننْ عليَّ به صادم بي رمق



(وحكي) أنه ورد عليه في وقت السمام وارد فغيبه فسقط طرف رداءه فوطئه ثم مدّ يده فرفعه فقبل له في ذلك فقال : " غبتُ ثم حضرت فاستحييتُ من الله عزّ وجلد أن أدعي الغيبة في حال الحضور " .

(وقال) الخوف يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني .

(قال أبو بكر الرازي) القبض والبسط حالتان فوق الخوف والرجاء . فإن القبض للعارف من ثمرات الخوف والبسط له من ثمرات الرجاء ، والخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبلي مكروه ومحبوب والقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت يغلب على قلب العارف من وارد غيبي . ثم أنّ كلّ منهما قد يكون قد يكون كاملاً وقد يكون ناقصاً ، فالقبض الكامل وارد غيبي كأنه تقصير وسوء أدب فيستغرق العارف في ذلك حتى ينسد عليه أبواب التنفس . والقبض الناقص وارد غيبي ضعيف كأنه يخاطب العارف بما تتحمّله قوته . أما البسط التام فهو وارد غيبي قوي كأنه يخصّه بتشريف وإقبال ولطف وسرور ، فيجذبه بالكلية حتى يبقى مدهوشاً في بسطه كأنه قد حلّ عنه عقاب الموانع وأطلق في ميادين الإتصاف وكوشف في رياض الجمال والجلال لقوة الوارد . وأما البسط الناقص فهو وارد غيبي ضعيف يؤثر في العارف سروراً ونشاطاً وارتياحاً تأثيراً يبقى معه فيه بقية يتصرف بها في نفسه وغيره فلا يؤثر فيه البسط تأثيراً كلياً لنقصه ، بخلاف الأول فإنه يؤثر فيه تأثيراً كلياً لقوته وإستيلاء سلطات العناية الأزلية على قلبه . وبسط كلّ شخص على حسب قبضه وقبضه على حسب بسطه . وقد يحدث بسطاً لأيعرف سببه وعلاجه وقد يحدث قبضاً لأيعرف سببه وعلاجه التسليم حتى يذهب ذلك الوقت ، لأن تكلف دفعه يحلّ بالأدب ويزيد في ذلك القبض وبالتسليم يزول عن قريب ، قال تعالى ( والله يقبض ويبسط ) . وقد يحدث بسطاً بغتة لأيعرف سببه فيهمز صاحبه ويستقرّه ، وسبيل صاحبه السكون والمقاربة وحفظ الأدب . فإن حالة البسط لها خطر عظيم فليحذر صاحبها مكرراً خفياً يحجبه عن مقامه كما قال بعض العارفين " مُتم علي باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي " . ولهذا قالوا تفّ على البساط وإياك والإنبساط . وقد استعاذ أهل التحقيق من حالتي القبض والبسط لأنهما بالنسبة إلى ما فوقهما من الأحوال فقر وضّر ، ألا ترى إلى قول الجنيد رضي الله عنه الخوف يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني أه .

(وقال) رضي الله عنه كلّ مريد لا يعود نفسه صيام النهار وقيام الليل وخدمة الإخوان فكانه تمنى ما لا يصلح له .

(وقال) الجريري دخلتُ على الجنيد وهو مهتم فقلت : مالك ؟ فقال : فاتني شيء من أورادي . فقلت له : أعدّه . فقال : كيف وهي أوقات معدودة .

(وسئل) عن قوله تعالى ( لايسألون الله إلحافاً ) قال تمنعهم علومهم عن رفع حوائجهم إلا إلى مولاهم سبحانه وتعالى . وقال في قوله تعالى ( وإن يمسسك بصرٌ ... الآية ) قال إذا نزل بالبعد ضرراً ولجأ إليه في كشف ضرره قضيت حاجته وارتفع ضرره والله عزّ وجلّ معبوده فإن النظر في الإعطاء والمنع إلى غير الله شرك وهذا والله أعلم هو معنى النفي والإثبات المذكور في الآية الكريمة .

(وقال) الليل سراج العارفين ويقظة المرئدين وهلاك الغافلين . (وقال) ليس في إجتماع الإخوان أنس لوحشة الفراغ . (وقال رضي الله عنه) ما انتفعت في بدايتي كإنتفاعي بأبيات سمعتها وأنا مارٌّ في درب القراطيس من جارية وهي :

إذا قلت أهدى الهجر لي حلل الضنا      تقولين لولا الهجر لم يطلب الحبُّ  
فإن قلت هذا القلب أحرقه الهوى      تقولني بنيران الهوى شرف القلب

إن قلتُ ما أذنبتُ قلتُ مُجيبَةً      حياتك ذنبٌ لا يُقاسُ به ذنبُ  
(قلت) والذي في حفضي بدل هذا البيت :  
وإن قلت ما ذنبي تقولي مجيبة      وجودك ذنب لا يُقاس به ذنبُ  
وهو بطريقتة الأبيات أليق والله أعلم فصحتُ وصُعقتُ فلم أفق إلا وصاحب الدار قد خرج فقال : مماذا  
ياسيدي ؟

قلت : مما سمعت من جاريتك .

فقال : أشمذك ياسيدي إنما هبةٌ مني إليك .

فقلت : قد قبلتها وهي حرة .

ثم زوجتها لبعض أصحابنا فولدت له ابناً نبيلاً نشأ وحجاً نحو ثلاثين حجة .

(وقال رضي الله عنه) اشتد البلاء برجل من العارفين حتى جر برجله الى المزبلة فرمعه طرفه الى السماء

وقال أنا بعينيك كما ترى فافعل ما شئت وحسبي ماتشأء ، ثم قال :

إذا المُستَهام شكى شجوه      فقد زال عن سنت المُستَهام

فأين الكلوم التي في الحشا      وأين تبرمه في الكلام

(ومرضاً) فوصف علته للطبيب فقبل له ليس هذا شكوى ؟ فقال لا وإنما هذا إخبار عن قدرة القادر جلّ

جلاله . (وسئل) عن الرجل يكون له عند السلطان جاه ويقصده الضعيف المظلوم في أمر قد يجري عليه

في الظلم . فقال لأحب أن أتكلم فيه بشيء ، وذلك إن أقواماً من السلف رضي الله عنهم كلهم كانوا يسارعون

الى مثل هذه الحالة وآخرون من السلف كانوا يتشاقلون عنها مخافة أن لا يسلموا . والذي عندي أن الرجل إذا

تصدهم يرى عندهم من المنكرات أعظم ما قصد له وربما لا يبلغ وسعه أن ينكر هذا فيقع فيه ما يقع وأنا

لأحب أن أتكلم في الجهات كلها ، لأن الرجل ربما رغب في الأجر وحملته نيته على السعي فيه فان تكلمت

لأدري كيف أسلم منه . (وجاءت) امرأة ومعها زوجها اليه فوثقت بباب المسجد وسالت الوقوف بين يدي

الجنيذ لتسأله عن مسألة فلما علم بذلك خرم إليها ، فقالت : ياسيدي إن زوجي هذا يريد أن يتزوج علي .

فقال الجنيذ : إن لم يكن له أربع زوجات يجوز له أن يتزوج عليك . فقالت : ياسيدي لو كان يجوز النظر الى

الأجانب لكشفت لك عن وجهي لتنظر الى حسني وجمالي فتعلم أن من كان عنده مثلي لا ينبغي أن يتزوج

عليها .

فلما سمع الجنيذ هذا الكلام صاح وخر مغشياً عليه . فلما أفات سُئل عن ذلك فقال : " نظرت كأن الجبار

جلّ جلاله يقول لو كان يجوز لأحد أن يراني في الدنيا بعين بصره لكشفت له عن حجابي حتى يراني ليعلم

أن من كان له رب مثلي لا ينبغي أن يحل في قلبه سواي " .

(وعن علي بن أبي منصور الدينوري) قال خرجت الى بغداد ومعني شيء من الدنيا أريد تفرقتة الى

أصحاب الجنيذ وسائر الفقهاء ، فوافينا بغداد ونزلنا في مكان وقصدت الجنيذ لأقضي من حقه . فدخلت

عليه في منزله فسرني وقرّبني بكلامه وحسن لقيه وكنيت أختلف إليه دائماً وأذكره . فلما كان ذات ليلة

رأيت في منامي كأن الخليفة قد جاء يدعوني الى ضيافته فانتبهت وحدثت صاحبي بما رأيت ، فقال

لننظر ما يكون من تاويل رؤياك هذه . فلما كان بعد الفجر إذا بالباب يُطرق ففتحت الباب فإذا الجنيذ

فقمنا اليه وفرحنا بقدمه . فسلم علينا وجلس ساعة يجادتنا ويذكرنا في العلم ثم دعانا الى دعوة في

منزله ، قال فتبسّمت الى صاحبي . فقال الجنيذ : ممّ تتبسّم ؟

فقلت له صورة المنام الذي رأيته واني جلست أنتظر ما يكون من تأويل رؤياي حتى دقَّ الشيخ الباب فلما دعوتنا الى منزلك تيسمت .

فقال الجنيد : اني رايت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعلي بين يديه فجلست بين يديه صلى الله عليه وسلم فاذا برجلين قد جلسا بين يديه وادعى أحدهما على الآخر دعوى في مطالبة بحق ، فالتفت الي النبي صلى الله عليه وسلم وقال لي ياأبا القاسم احكم بينهما فسكت إعظاماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحتشاماً من أصحابه رضي الله عنهم . فأعاد القول ثانياً وثالثاً وأنا أسكت هيبه له وإعظاماً له وإجلالاً ، فقال في الرابعة احكم بينهما فقد وليتكم الحكم بين الخلق . فإنتبهت وأنا مذعور فجننت اليكم أتسلى .

(وقال) جعفر الخدي دفع الي الجنيد درهماً وأمرني أن أشتري له التين الوزيري فاشتريته وجننت به اليه ووضعته بين يديه ، فوضع منه تينة في فمه على أن يفطر عليها ثم وقع عليه البكاء فأخرجها من فيه وأخذ الماء فغسل فمه ، فقلت : ما هذا ؟

فقال : كنت أشتهي منذ ثلاثين سنة فما أكلته فلما كان اليوم غلبتني نفسي بشهوتهما فلما وضعته في فمي إذا هاتف يهتف بي ويقول أما تستحي تركت أكلة لله تعالى ثم تعود اليها فأخرجتها من فمي ورأيت أن ترك العهد خيانة وأن الخؤون لا يكون محبوباً .

(وقال) له أبو عمرو الزجاج أريد الحمر فأعطاه درهماً صحيحاً فشده على منزره فما زال في سعة حتى رجم والدرهم معه . فمد الجنيد يده وتناول منه الدرهم .

(وقال) صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلاثون رجلاً الحارث المحاسبي وطبقته والسري السقطي وطبقته وحسن المسوحي وطبقته وابن الكرني وطبقته فما تواخى إثنان في الله عز وجل . (وجاء) رجل للجنيد فقال له : عرفني في هذا الزمان أأأ لله عز وجل . فأعرض الجنيد عنه حتى أعاد ذلك ثلاثاً . فلما أكثر قال له الجنيد : إن رأيت أأأ يكفيك مؤنتك ويتحمل أذك فهذا لعمرى قليل وإن أردت أأأ في الله تحمل أنت مؤنته وتصبر على أذاه فعندي جماعة أعرفهم لك . فسكت الرجل .

(وسأله) أبو محمد الجريري عن رجل حل به أمر من الأمور فهو يكتم سره ولا يسأل ربه عز وجل كشفه وأخر إذا وقع له شيء من ذلك لجأ الى الله عز وجل بالدعاء والتضرع أيهما عندك أعلى ؟ قال الذي يكتم سره في نفسه ولا يبديه يعلم أن علام الغيوب والسرائر عالم بما هو فيه لا يخفى عليه خافية فيوافق بذلك عمله .

(وقال رضي الله عنه) مانمت على فراش منذ أربعين سنة .

(وقال) خير النساج رضي الله عنه كنت جالساً في بيتي فخطر لي أن أبا القاسم الجنيد في الباب أخرج اليه ، فنفيت ذلك عن قلبي وقلت وسوسة فوقم خاطر ثان كذلك فنفيت ذلك عن سري فوقم خاطر ثالث كذلك فقلت إنه خاطر حق وليس بوسوسة ففتحت الباب فاذا الجنيد قائم فسلم علي وقال ياخير لم لاخرجت مع خاطر الأول .

(وقال ابن علوان) خرجت يوماً الى سوق الرحبة في حاجة فرأيت جنازة فتبعتها لأصلي عليها ووقفت حتى يدفن الميت فوقعت عيني على امرأة مسفرة من غير تعمد ، فألمحت بالنظر اليها فاسترجعت واستغفرت الله تعالى وعدت الى منزلي فقالت لي عجوز مالي أرى وجهك قد اسود فأخذت المرأة فاذا

وجهي أسود فرجعت الى سري أنظر من أين دهيت . فقلت من النظرة فإنفردت في موضع أستغفر الله تعالى وأسأله الإقالة أربعين يوماً . فخطر في قلبي أن أزور شيخي الجنيد فإنحدرت الى بغداد فلما جنت منزله طرقت الباب فقال لي : "أدخل يا عمر وتذنب بالرحبة ونستغفر لك ببغداد" .

(وقال الجنيد رضي الله عنه) دخلت على السري يوماً فوجدت بين يديه رجلاً قد عُشيَ عليه . فقال لي : - هذا رجل سمع آية من كتاب الله فُعشيَ عليه . فقلت : إقرأ عليه تلك الآية . فقرأ فأفافت ، فقال : من أين هذا ؟ فقلت : إن نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام كان ضعفُ بصره في قميص يوسف وكان رجوع بصره في قميص يوسف . فإستحسن السري مني ذلك . (وقال أيضاً) إنك لاتصل الى صريم الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقية . (وقال) الفتوة بالشام واللسان بالعراق والصدق بخراسان . (وقال) كنت واقفاً في مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلي عليها وهناك جمع كثير ينتظرون الجنازة فرأيت فقيراً عليه أثر النُسك يسأل الناس شيئاً . فقلت في نفسي لو عمل هذا عملاً يصون نفسه كان أجمل فلما إنصرفت الى منزلي وكان لي من أوراد الليل فلم أقدر على شيء منها فسهرت قاعداً أفكر في سبب ذلك . فغلبتني عيناى فنمتُ فرأيت ذلك الفقير كأنه على خوان ممدود وقالوا لي كل لحمه فإنك قد إغتبته ، فكشفت لي عن الحال . فقلت إني ما إغتبته وإنما قلت شيئاً في نفسي ، فقالوا هذه غيبة وأنا لانرضى منك بهذا إذهب فإستحل منه . فلما أصبحت قصدت ذلك الموضع مراراً حتى رأيتهُ يلتقط من جانب النهر أوراقاً من البقل الذي يسقط ، فسلمت عليه فرد السلام وقال لي : ياأبا القاسم تعود ؟ فقلت : لأعود ، فقال : غفر الله لنا ولك . (وقال) كان السري يقول لي تكلم على الناس وكنت أجد في قلبي حشمة من الكلام على الناس لأنني كنت أتهم نفسي في إستحقاقي لذلك ، فرأيت ليلة جمعة في منامي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي تكلم على الناس . فإنتبهت وأتيت السري قبل أن أصبح فدققتُ عليه الباب ، فقال " أنت لم تصدقنا حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرَك بالكلام" . فلما كان النهار تعددت في الجامع وانتشر الخبر في الناس أن الجنيد جلس يتكلم . فكان أول مجلسي أن وقف عليّ غلام نصراني متنكراً وقال : أيها الشيخ مامعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله" ؟ فأطرقت ثم رفعت رأسي وقلت له : معناه أنك تُسلم فقد جاء وقت إسلامك . فأسلم الغلام .

(وقال الجريري) قدمت من مكة فبدأت بالجنيد لئلا يتعننى اليّ فسلمت عليه ثم أتيت الى المنزل . فلما صليت الصبح إذا به خلفي في الصف فقلت له : إنما جئت لك لئلا تتعننى . فقال : ياأبا محمد ذاك فضلك وهذا حقك .

(وكان يقول) التصوف هو صفاء المعاملة مع الله عز وجل وأصله العزوف عن الدنيا كما قال حارثة رضي الله عنه عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظلمات نهارى . (وقال) رأيت إبليس في المنام عرياناً فقلت ياملعون أما تستحي من الناس ؟ فقال ياأبا القاسم هؤلاء الناس مابقي من يستحي منهم قوم في مسجد الشونيزي قد أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي . قال فلما إنتبهت جئت الى المسجد فإذا فيه جماعة منهم النوري والدقاق والحيري وقد وضعوا رؤوسهم على رُكبيهم ، فلما رأوني قد أقبلتُ رفعوا اليّ رؤوسهم وقالوا ياأبا القاسم لايفرنك حديث الخبيث . (وكان يقول) إذا رأيت الصوفي يعبا بظاهره فاعلم أن باطنه خراب .

(من دعائه) اللهم يامَنَ هو كلَّ يوم في شأن إجعلني من بعض شأنك يا أرحم الراحمين . (ومنه أيضاً) اللهم اني أسألك أن تعطيني عملاً يكون لك خالصاً وأعوذ بك من كل أمر يسخطك . اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكراً لا يريد بذكرك إلا ابتغاء مرضاتك وما هو لك . اللهم اجعلني ممن يعطي لك ويمنم لك وبك يستعين واليك يلجأ والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً دائماً لا انقطاع له ولا زوال كما ينبغي لكرم وجهك وعز جلالك . اللهم واجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون وكلما سها الغافلون وعلى جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الى يوم الدين وصل على جبريل وميكائيل وإسرافيل ورضوان الله وعزرائيل وسلم . اللهم وصل المكروبيين والروحانيين وسائر الملائكة والمقربين والحفظة والسفرة وجميع الملائكة والمؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين ، صلاة ترضاه وتزكيها وتحبها وكما هم أهل لذلك . اللهم لاتجعل مظلماً في تبعاتنا يوماً فضلاً وكرماً يا أرحم الراحمين . اللهم وبارك لنا في الموت وما بعد الموت إذا نزل بنا إجله يوم حب وكرامة وزُلفى وسرور وإغباط وأوردنا من قبورنا على سرور وفرح وقرّة أعين واجعلها رياضاً من رياض جنّتك ولقناً فيها الحجج وأمناً فيها من الروعات أمنين مطمئنين الى يوم تبعثنا . يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه أمناً من روعات ذلك اليوم وخلصنا من شدائده واكشف عنا عظيم كربهم واسقنا في ظمئه واحشُرنا في زمرة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم الشافع المشفق لأوليائك المقدم على جميع أصفياك . ونسألك أن لاتحاسبنا فإن حاسبتنا فحاسبنا حساباً يسيراً بلا مناقشة . وعاملنا بجودك وكرمك يا أرحم الراحمين واجعلنا من المغبوطيين واعطنا كتابنا بالإيمان وأجزنا السراط مع السرعان ، وثقل موازيننا ولا تُسمعننا لنار جهنم حسيماً ولا زفيراً وأجرنا منها ومن كل ما قرب منها ومن كل ما قَرَّبَ إليها من عمل ونية . واجعلنا بجودك ومجدك وكرمك في دار كرامتك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . واجمع بيننا وبين آبائنا وأمهاتنا وأقاربنا في دار قدسك على أفضل حال وأسرها . وضمّ إلينا إخواننا الذين هم على ألفتنا من كل ذكر وأنثى وبلغهم ما أمّلوه واجمع بيننا وبينهم على أفضل حال وأسرها . وعم المؤمنين والمؤمنات جميعاً برأفتك ورحمتك الذين فارقوا الدنيا على توحيدك كُن لنا ولهم ولياً وكالناً يا أرحم الراحمين تقبّل من محسنهم وتبّ على مسيئهم واغفر لهم وتقبّل توبتهم وتجاوز عن المسرف منهم وانصر مظلومهم واشف مريضهم وتبّ علينا وعليهم توبةً نصوحاً ترضاهم فإنك الجواد الكريم على كل شيء قدير . وكن للمجاهدين ولياً وكالناً وكافياً وناصرهم على عدوهم نصراً عزيزاً واجعل لهم من لدنك سلطاناً نصيراً . واجعل اللهم دائرة السوء على أعدائك وأعدائنا واسفك اللهم دماءهم واجعلهم فينا لإخواننا المؤمنين . واصلح اللهم الراعي والرعية وكل من وليته عليهم وهب لهم العطف والرافة والرحمة لهم وأدم ذلك لنا فيهم ولهم في أنفسهم . اللهم اجعل لنا الكلمة واحقن الدماء وأزل عنا الفتنة واعذنا من البلاء كله . وتولّ ذلك بفضلك من حيث أعلم به ولا تُثرنا في أهل الإسلام سيفين مختلفين ولا تُثرنا بينهم خلافاً ، واجعلنا على طاعتك وعلى ما يقرب إليك فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة وولي الخيرات في الدنيا والآخرة . اللهم إننا نسألك أن تُعزنا ولا تُخذلنا وترفعنا ولا تضعنا وتكون لنا ولا تكون علينا وتجمع لنا سبيل الخيرات كلها أمور الدنيا التي هي بلاغ لنا الى

طاعتك ، ومعونة لنا على موافقتك وأمور الآخرة التي فيها أعظم رغبتنا واليها مُنْقَلِبنا ولا تجعل معولنا إلا عليك فإن ذلك لا يتم لك ولا يصح لنا إلا بتوفيقك . اللهم وهب لنا هيبتك وإجلالك وتعظيمك وما وهبته لخاصتك من صفوة خلقك من حقيقة العلم والمعرفة بك ومُنْ علينا بما مَنَنْت به عليهم من الأثك وكراماتك واجعل ذلك دائماً لنا يامن له ملكوت كل شيء ، وهو على كل شيء قدير . اللهم وهب لنا العافية الكاملة في جميع الأحوال وفي جميع الإخوان والذريات والقربيات وعم بذلك جميع المؤمنين والمؤمنات ، اجر علينا من أحكام أرضها وأحبها وأعونها على كل مقرب من قول وعمل ونية ياسامع الأصوات يعالم الخفيات ويأجبر الأرض والسموات صل على محمد سيد المرسلين وعلى آل محمد أولاً وأخراً وظاهراً وباطناً وسلم تسليماً كثيراً . وأجبن اللهم كما وعدتنا وقد دعوناك كما أمرتنا وافعل بنا ما أنت أهل يأكرم الأكرمين وبأرحم الراحمين ويارب العالمين .

(قال الحافظ أبو نعيم في "الحلية") كان الجنيد قدس الله سرهما يدعو بهذا الدعاء على ممر الأيام . (ومنه) :  
ياذاكر الذكرين بما به ذكروه وياباديء العارفين بما به عرفوه وياموقف العابدين بصالح ما تحملوه من ذا الذي يشغم عنده إلا بإذنه من ذا الذي يذكره إلا بفضلهم .  
(وقيل) له عند النزاع قل لا إله إلا الله قال مانسيته فأذكره .

(وقال أبو محمد الجريدي) كنت واقفاً عند رأس الجنيد عند وفاته وكان يوم الجمعة وهو يقرأ القرآن فقلت له : ياأبا القاسم إرفق بنفسك . فقال : ياأبا محمد ماكنت أحوج إليه مني في هذا الوقت وقد قرب أن تطوى صحيفتي .

(وفي رواية أخرى حضرت عنده قبل وفاته بساعتين فلم يزل تالياً وراكعاً وساجداً حتى فارقت الدنيا) .  
(توفي ببغداد) يوم السبت ثمان وتسعين ومائتين وصلّى عليه ولده وحرز الذين صلوا عليه فكانوا قريباً من ستين ألفاً . (وراه) جعفر بن محمد في النوم فقال له ما فعل الله بك ؟ قال طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم ونفدت الرسوم ومانفَعنا إلا ركعات كنا نركعها في الأسفار .  
(قال) الإمام الرازي فكل أحد يظن أن ما معه من العلوم والأعمال وسيلة الى وجدان ملك الجنة والوصول الى عتبة حضرة الحق تعالى ، فاذا جاء وقت الموت بطلت تلك الأوهام وزالت تلك الأفكار وبقي المسكين على تراب الحرمان وموضع الذلّة والعجز ، انتهى .

(ورؤي) رضي الله عنه أيضاً في المنام فتيك له ما فعل الله عز وجل بك ؟ فقال عاتبني على كل كلمة سبقت مني وذلك أن سنة من السنين اجتبس عنا فيها المطر فقلت مع الناس ماأحوج الناس الى المطر ، فقال الحق جل جلاله أتنبئني بأرضي وتقول محتاجة الى المطر وأنا العليم الخبير وما ننزله إلا بقدر معلوم .  
(وقال الجريدي) كان في جوار الجنيد رجل مصاب في خربة فلما رجعنا من جنازة الجنيد تقدم ذلك المصاب فصعد موضعاً عالياً وقال "ياأبا محمد تراني أرجع الى تلك الخربة وقد فقدت ذلك السيد العارف؟"  
ثم أنشأ يقول :

وا أسفي من فراق قوم	هم المصابيح والعيون
والمدن المزن والرواسي	والخير الأمر والسكون
لم تتغير لنا الليالي	حتى توقفتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب	وكل ماء لنا عيون

ثم غاب عنا فكان هذا آخر العهد به . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المبجلة سيدنا الشيخ أبو علي الرودباري رضي الله عنهما .

## سيدنا الشيخ أبو علي أحمد الرودباري رضي الله عنه

العارف كلّ العارف ، كان من أئمة الصوفية وعلما الشافعية . ساد أهل ذلك المذهب في زمنه حتى أصبح أمثلهم طوع مرامه وقوساً في يده يرمي بها الى غرضه بسهامه . وهو بغدادي الأصل من أبناء الرؤساء والوزراء ونسبه متصل بكسرى . ( وكان ) عالماً محدثاً صوفياً صحب في التصوف الجنيّد والفقّه ابن شريم والحديث إبراهيم الحربي والنحو جماعة منهم ثعلب وكان يفتخر بذلك . أقام بمصر وصار فقيهما ومحدثها وصوفيها يُقصد للأخذ عنه من جميع الأفاق . أتاه جمعٌ من الفقهاء فاعتلّ منهم واحد فأمر أصحابه بخدمته فملؤا فحلف أن لا يخدمه غيره فخدمه بنفسه حتى مات فدفنه ، فلما أراد فتح رأس كفته ليضجعه مستويّاً فتم عينيه وقال "ياأبا علي لأنصرتك بجاهي الى يوم القيامة كما نصرتني بمخالفة نفسك" .  
( وقال ) دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين فسألتهم عن ذلك ، فقالوا في جنازة فتى سمع قائلاً يقول :

كبرت همّة عين طمعت في أن تراكا

فشهق فمات . ( وقال ) إتخذ رجل ضيافة فأوقد فيها ألف سراج ، فقال له رجل أسرفت قال أدخل فكلمنا أوقدته لغير الله فأطفئه فدخل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فبانقطع . ( ومراً ) يوماً على الفرات فعرضت لنفسه شهوة السمك فحذف الماء سمكةً نحوه وإذا برجل يعدو ويقول أشويها لك فشواها له وأكلها . ( ومن فوائده ) الإشارة الإبانة عما تضمنه الوجد من المشار إليه وفي الحقيقة الإشارة تصحيحها العلك والعلك بعيدة عن الوقائم . ( وقال ) لم تكلم أهل التوحيد بلسان التجريد فلم يبق محب إلا مات حالاً . ( وقال ) والاهم قبل أفعالهم وعاداهم قبل أفعالهم ثم جازاهم بأفعالهم . ( وقال ) المرید ما لا يريد لنفسه إلا ما أراد الله والمرید لا يريد من الكونين شيئاً غيره . ( وقال ) المشتاقون الى الله يجدون حلوة الوقت حين وروده لما كشف لهم من روح الوصول الى قربه أحلى من الشهد . ( وقال ) إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق وأمروه بالكسب . ( وقال ) دخلت الأفة في القوم من ثلاثة : سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة . ( وقال ) إكتساب الدنيا مذلة وإكتساب الآخرة عز فواعجباً لمن يختار الذل على العز . ( وقال ) سبحان من لا يشهده شيء ولا يغيب عنه شيء . ( وقال ) لما تشوّقت القلوب الى مشاهدة ذات الحق ألقى اليه الأسماء فسكنت وركنت إليها والذات مستترة الى التجلي الأخرى . ( وقال ) المشاهدة للقلوب والمكاشفة للأسرار والمعاني للبصائر والمرئيات للأبصار . ( وقال ) من نظر الى كمال نفسه مرّة عمي قلبه عن النظر الى شيء من الأكوان على وجه الإعتبار . ( وقال ) ما دعى أحد دعوى إلا لخلوه عن الحقائق إذ لو تحققت بشيء نطقت عنه الحقيقة أغنته عن دعاوى . ( وقال ) من علامة مّقت الله للعبد أن يضجر من طول مجالس الذكر فإنه لو أحب الله تعالى كانت مجالسته ألف سنة كلمحة . ( وقال ) لا ينبغي أن يتصدى لتربية الأحداث إلا الكمل الذين استولت عليهم هبة الله تعالى لعظم سياستهم ، لأن الشباب شعبة من الجن وقد كان أحدهم يربي الحدث حتى تطلم لحيته لا يعلم بذلك إلا من الناس .

(وسئل) عمّت يسمم الملاهي ويقول هي لي حلال لأنني وصلت الى درجة لا يؤثر فيّ الاختلاف ، فقال نعم قد وصل ولكن الى سقر . (قال السبكي) وقد يتوصل بهذا الى زعم أنه كان لا يرى السماء والذي يظهر من كلامه أنه إنما أنكر من هذا القائل إظهاره الوصول الى هذه الدرجة ، فإن الواصل إليها لا يتظاهر بذلك إلا بأدب وليس مراده تحريم السماء ولا إنكار أن بعض الناس لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال ، كيف ومن كلامه أيضاً السماء مكاشفة الأسرار الى مشاهدة المحبوب .

(وقال) أعظم اليقين ما عظم الحق في عينيك وصغر ما دونه عندك وأثبت الرجاء والخوف في قلبك . (وقال) من الإغترار أن تسيء فيحسن اليك فتترك الإنابة توهماً أنك تسامح من الهفوات وترى أن ذلك من أبسط الحق . (وقال) الصول على من دونك عنف وعلى من فوقك حجة . (وسئل) عن التصوف فقال هو صفوة القرب بعد كدورة البعد . (وكان) يقول أدركنا الناس وكانوا يجتمعون لا عن مواعدة ويفترقون لا عن مشورة . (وقال) أظمر الحقّ الأسامي وأبداها للخلق ليسكن لها قلوب المحبين ويؤنس بها قلوب العارفين . (وقال) كيف تشهده الأشياء وبه فنيت ذواتها عن ذواتها . أم كيف غابت الأشياء عنه وبه ظهرت صفاتها . فسبحان من لا يشهده شيء ولا يغييب عنه شيء سبحانه وتعالى . (وقال) التفكر على أربعة أوجه : فكرة في آيات الله وعلامتها تولد المحبة ، وفكرة في وعده بالثواب وعلامتها تولد الرغبة ، وفكرة في وعيده بالعذاب وعلامتها تولد الحياء من الله . ومن نظم :

روحي اليك بكلها قد أجمعت	لو أن فيك هلاكها ما أقلعت
تبكي اليك بكلها عن كلها	حتى يقال من البكاء تقطعت
فأنظر إليها نظرة فلطالما	متعتها من نعمته فتمتعت

وقال :

إن الحقيقة غير ما يتوهم	فانظر لنفسك أي حال تغرم
أتكن في القوم الذين تأخروا	عن حقهم أو في الذين تقدّموا
لا تخدمن فتلوم نفسك حين لا	يُجدي اليك أسف ولا ندم

وقال :

ولو مضى الكلّ مني لم يكن عجب	وإنما عجبي للبعض كيف بقي
أدرك بقية روم فيك قد تلفت	قبل الفراق فهذا آخر الرمق

وكان ببغداد عشرة فتيان معهم عشرة أحداث واجتمعوا بمحلّ فوجّهوا واحداً من أحداثهم لحاجة فأبسطاً فغضبوا ، ثم أقبل وهو يضحك ويبيده بطيخة يقبلها ويشمها . فقالوا ما شأنك ؟ قال : جئت بفائدة ورأيت بشراً الحافي وضع يده على هذه البطيخة ، فلم أزل واقفاً حتى اشتريتها بعشرين درهماً أتبرك بموضع يده . فأخذ كلّ منهم البطيخة فقبلها ووضعها على عينيه ، فقال أحدهم : ما بلغ بيشر هذا ؟ قالوا التقوى والعمل الصالح . قال : اني تبت وأنا على طريقة بشر . وقال كلّ منهم مثله وخرجوا فغزوا طرسوس فاستشهدوا فقال فيهم أبو علي الرودياري صاحب الترجمة :

فلاذوا به من بعد كسل نهاية	لياذ مقرب الخضوع مم الجد
العجز والتقصير عن الواجب الذي	به عرفوه للورد مم السورد
فكان لهم بالفزو في غاية المنى	شكوراً لما أولاه من رتب الحمد

(وكان) يُطعم الفقراء الحلواء واتخذ مرةً حملاً من السكر الأبيض ودعا جماعة من الحلوانيين حتى عملوا



من ذلك السكر جداراً عليه شرافات ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من السكر ثم دعا الصوفية فهدموها وكسروها وانتهبوها وهو يبتسم . ( وكان ) أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة .  
( توفي ) سنة عشرين أو إثنين وعشرين وثلاثمائة ودُفِنَ بالقرافة بقرب ضريح سيدنا ذي النون المصري والروديباري ( بضم الراء المهملة وسكون الواو وداك مهملة وموحدة مفتوحة ) وهو نسبة الى ( رودبار ) في " البيان النافع شرح البرهان القاطم " رودبار بلدة بين جيلان وقزوين سميت باسم نهر هنالك اسمه رودبار بالفارسية عظيم . فهو مركب مما ذكر فما تراه في أكثر الكتب من إيرادها تارة روزباري وأونة رودبازي أو غير ذلك فهو تصحيف . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المجلّة سيدنا أبو علي الكاتب رضي الله عنه .

## سيدنا أبو علي الحسن الكاتب المصري رضي الله عنه

إمامٌ قدره عليّ وبرهاتٍ منهاجه حسناً واضحاً جليّاً ، كان من كبار مشايخ مصر والشام ومن أعظم أهل الحقائق الأعالم وافر العرفان مثمر الأفنان ، أخذ عن أبي علي الرودياري وأبي بكر المصري وغيرهما .  
(ومن كلامه) إذا انقطع العبد إلى الله بكلّيته فأول ما يفيدّه الإستغناء به عن الناس . (وقال) روائع المحبة تفوح من المحبين وإن كتموها وتظهر عليهم وإن أخفوها وتدكّ عليهم وإن ستروها . (وقال) المعتزلة نزهوا من الله من حيث العقل فأخطأوا والصوفية نزهوه من حيث العلم فأصابوا . (وقال) من سمع الحكمة ولم يعمل بها فهو منافق . (وقال) صحبةُ الفسّاق داءٌ ودواؤها مفارقتهم . (وقال) يقول الله عزّ وجلّ من صبر علينا وصلنا . (وقال) إن الله يرزق العبد خلاوة ذكره فإن فرح به وشكر أنسه بقربيم وإن لم يشكره أجرى الذكر على لسانه وسلبه حلاوته . (وقال) إذا سكّن الخوفُ القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه . (وقال) همّة مقدّمة الأشياء فمن صحّ همته أتت عليه توابعه على الصدق والصحة فإن الفروع تتبع الأحوال ومن همّ همته أتت عليه توابعه مهملة ، والمهمّل من الأحوال والأفعال لا يصلح لبساط الحق تعالى .  
(توفي) سنة نيف وأربعين وثلاثمائة ولم أر من ذكر ولادته رضي الله عنه . ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المجلدة سيدنا أبو عثمان المغربي رضي الله عنه .

## سيدنا أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي الزجاجي الصوري القيرواني رضي الله عنه

صوفي جليل كبير عارف عرف صيته أليوب من العبير له الأحوال الماثورة والكرامات المذكورة والورع الوثيق والقلب الرقيق والصفاء التام عن الكدورات والأوهام . (وقد قيل) التصوّف صفاء لا وصف له وعلامة لا نهاية لها . صحب الزجاجي والنهرجوري والدينوري وغيرهم ولم ير مثله في علو الحال وصون الوقت وصحة الحكم بالفراسة وعظم الميبة وجموم الأسرار وطرح الإختيار .  
(وقد قيل) التصوّف سير السرّ مع الله تعالى ، كيف وهو الإمام الذي شهدته بخوارقه أرباب العلم والأعلام ، والصوفي الذي لم تشاهد العيون مثله في اليقظة والأحلام .  
ومن كلامه :

(قال) الإعتكاف حفظ الجوارح تحت الأوامر . (وقال) أبى الملك الجبار إلا أن يختبر أوليائه بتسليط عدوّهم عليهم . (وقال) من أثر صحبة الأغنياء على الفقراء ابتلاه الله بموت القلب . (وقال) من اشتغل بأحوال الناس ضيم حاله ومن مدّ يده الى طعام غني بشهوة لايفلم أبداً . (وقال) عاص نادم خير من طائم مدّم ، لأن العاصي يطلب طريق توبته ويعترف بنقصه والمدّعي يتخبط في خيال دعواه . (وقال) أفواه العارفين لم تزل فاغرة لمناجاة القدرة . (وقال) من لم يسمع من نهيق الحمار مايسمع من صوت العود ودواخل المغنين فسماعه معلول . (وقال) لا يصلح لمخلص معرفة إخلاصه إلا بعد معرفته الرياء ومفارقتها ، إذ لا يعرف الشيء من لا يعرف ضده . (وقال) التقوى الوقوف مع الحدود . (وقال) الصوفي من لا يملك الأشياء إختياراً ولا يملكه شيء إقتهاراً . (وقال) لا تصحب إلا أميناً أو معيناً ، فإن الأمين يحملك على الصدق ، والمعين يعينك على الطاعة . (وقال) للعارف وقت تضيء له أنوار العلم فتبصره عجائب الغيب . (وقال) إذا صحت المحبة تأكد على المحب ملازمة الأدب . (وقال) من لم يدق وحشة الغفلة لم يجد أنس الذكر . (وقال) شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على مايرد على قلوبهم من المعاني . (وقال) من ادعى السمام ولم يستمع من صوت الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح فهو مفتر مدّم . (وقال) قلوب أهل الحق قلوب حاضرة وأسماعهم أسماع مفتوحة .

(وسئل) عن الخلق فقال قوالب وأشباب تجري عليهم أحكام القدرة .

(ودخل) عليه بعض صحبه قرب إحتضاره فقال له : كيف تجدك ؟ قال : أجد مولى كريماً رحيماً إلا أن القدوم عليه شديد .

(وقال) إن الله جعل أنس عبادته في رؤية أوليائه . (وقال) في معنى حديث "أكثر أهل الجنة البله" الأبله في دنياه الفقيه في دينه .

وكان أولاً مقيماً بمكة فسعى به الى العلوية فأخرجوه فعاد الى بغداد ثم نيسابور ، فمات بها سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة . ودخل رجل على الخطابي فأخبره بموت المغربي ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كان في الأمم ناسٌ محدثون فإن يكن في أمتي فعمرؤ" وأنا أقول فإن كان في هذا العصر أحدٌ

فأبو عثمان المغربي ، رواه الخطيب البغدادي . وأوصى بأن يصلي عليه الإمام أبو بكر بن فورك رضي الله عنه .

(وقال) الإمام القشيري سمعتُ الأستاذ الإمام أبا بكر بن فورك يقول : "كنت عند أبي عثمان المغربي حين قَرِبَ أجله وعليّ القَوَالُ يقول شيئاً فلما تغير عليه الحال أشرنا على عليّ بالسكوت ، ففتح الشيخ أبو عثمان عينه وقال : "لم لاتقول عليّ شيئاً" فقلتُ لبعض الحاضرين سلوه وقولوا على ما يسمع المستمع فباني أحتشمه في تلك الحالة . فسألوه فقال : "إنما يسمع من حيث يستمع" ثم توفي رضي الله عنه . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المجللة علي بن عبدالواحد الكركاني رضي الله عنه .

## سيدنا أبو القاسم علي الكركاني رضي الله عنه

صاحب الصفات الكاملة والنفس العالمة الكاملة والمهم الجليلة والمعارف الجزيلة والطريقة المرضية المتبعة والأقوال والأفعال التي لا يخشى منها تبعة . زَهَتْ به الدنيا براريها وبحارها وأشرف منه ليلها ونهارها وتوجّه الناس لمتبته الطاهرة لتحصيل سعادة الدنيا والآخرة . عَطَرَ سيدنا الجامي قَدَس سره السامي باسمه الشريف روضة نفحاته ونضر وجه جمالها بذكر كراماته وبالغ الثناء عليه آية جليلة في معرفة أسرار التربية للمريدين والإطلاع على خواطرمهم ، وله في ذلك وقائم كثيرة منها ما ذكره صاحب كتاب "كشف المحجوب" ، قال :

"حدثت لي يوماً حادثة أشكل عليَّ حلُّها فقصدت زيارة الشيخ أبي القاسم قَدَس الله سرّه فوجدته في مسجد أمام داره وحده ، فلما دنوت منه سمعته يخاطب إسطوانة في المسجد بكلام يحلُّ إشكالي فاستفدتُ منه الجواب قبل أن أسأله . ثم لما جلست بين يديه قلت له : ياسيدي هذا الذي تتكلم به مع الإسطوانة جواب واقعتي التي جنّت أسألك عنها فكيف ذلك ؟ فقال : يا ولدي إن الله أنطق هذه الإسطوانة بالسؤال عن هذه الحادثة مني فأجبتها بما سمعت .

(واجتمع) الشيخ أبو القاسم والشيخ أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير في محلّ ببلدة طوس وجلسا على تخت واحد وجماعة من المريدين وقوف بين أيديهما ، فوقف في سرّ أحد المريدين أنه "ليت شعري مامنلة هذين السيدين" . فالتفت إليه أبو سعيد وقال له : "مَنْ شاء أن ينظر إلى ملكين جالسين على تخت واحد في وقت واحد فليُنظر إلينا" . فلما سمع المريد هذا الكلام رَفَع الله عنه حجابَه وأطلععه على صدق كلام الشيخ وشاهد علو منزلتهما عنده تعالى . وقال هذا المريد في نفسه أيضاً "ليت شعري هل يوجد اليوم على وجه الأرض أعظم من هذين الشيخين؟" . فتوجّه إليه أبو سعيد وقال له : "لوم يجيء كل يوم ويذهب سبعون ألفاً مثل أبي سعيد وأبي القاسم لما كان هذا الملك كاملاً" رضي الله عنهما . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المجلبة سيدنا أبو علي الفارمدي رضي الله عنه .

## سيدنا أبو علي الفضل بن محمد الفارمدي الطوسي

### رضي الله عنه

هو العارف الرحماني والمربي الرباني ، كان نصر الله وجهه عالماً شافعيّاً عارفاً صمدانياً متضلّعاً بمذهب السلف ذا خبرة بمناهج الخلف . وأما التصوّف فذاك عشه الذي منه درج وغابه الذي أله ليثه ودخل وخرج وتفقه على الغزالي الكبير وأبي عثمان الصابوني وغيرهما .

(قال) المولى عبدالعافر رحمه الله كان شيخ عصره منفرداً بطريق في التذكير لم يسبق إليها في عبارته وتهذيبه وحسب تأديته وتأديبه ومليح استعارته ودقيق إشارته ورقيق الفاظه ووقم كلامه في القلوب .

(صحب) القشيري وأخذ عنه حجة الإسلام الغزالي وجدّ واجتهد وكان ملحوظاً من القشيري بعين العناية موفراً عليه منه طريق الهداية حتى فتح عينيه لوامع من أنوار المجاهدة وصار من مذكوري الزمان ومشهوري المشايخ .

(قال) السمعاني كان لسان خراسان وشيخها وصاحب الطريقة الحسنة في تربية المريدين . وكان مجلس وعظه روضة ذات أنواع من الأزهار . تلمذ لأبي القاسم القشيري في الموعظة والتذكير ولأبي القاسم الكركاني وأبي حسن الخرقاني الآتي في السلسلة الثالثة ترجمته في التصوف .

(ومن كلامه) كنت في حال الشبوية مشغولاً بطلب العلم في نيسابور فسمعت أن الشيخ أبا سعيد بن أبي الخير قدس الله سره جاء من بلدة (ميهنه) وعقد مجلس وعظ ، فذهبت إليه فلما وقم بصري على نور وجهه عشقته ووقم في قلبي محبة طائفة الصوفية العلية . (وقال) كنت يوماً في المدرسة فالتفت قلبي لرؤية جمال الشيخ قدس الله سره ولم يكن للشيخ عادة أن يخرج في ذلك الوقت فتربصت وتصبرت على ذلك فلم أقدر على الصبر لحظة . فقممت أقصد محلّ الشيخ فلما وصلت إلى أول السوق رأيت الشيخ ومعهم جماعة كثيرة ذاهبين فتبعتهم وأنا غائب عن شعوري حتى دخلوا محلاً فدخلت معهم وجلست في زاوية من زوايا المحل مستتراً عن عين الشيخ . فلما اشتغلوا بالسماط طرب الشيخ وتواجد وشقّ جبته الشريفة حتى إذا فرغوا من السماط ألقى الشيخ الجبة في الأرض فأخذها المريدون وقطعوها إرباً إرباً ووضعوها بين يديه فحمل الشيخ كماً متصلاً ببنيقة ووضع على حدة ونادى : ياأبا علي الطوسي . فما أجبتهُ . ظلناً منّي أن في مريديه أبا علي الطوسي غيري لأنه لم يكن يراني ، ثم نادى ثانية وثالثة فما أجبتهُ . فأتاني واحد من جماعته وقال : إن الشيخ يناديك . فقممت حينئذ ووقفت أمام الشيخ فأعطاني ذلك الكم مع البنيقة وقال : أنت منّا بمنزلة البنيقة من الكم . فأخذتها وعظمتها وحفظتها في مكان عزيز واتصلت بخدمة الشيخ وحصل لي منه فائدة فائقة وتجليات وأحوال وافرة صادقة .

ولما سافر الشيخ من نيسابور رجعت إلى خدمة الشيخ أبي القاسم القشيري قدس الله سره وكنت كلما حصلت لي حال من الأحوال أذكرها له فيقول لي : اذهب ياولدي واشتغل بتعلم العلم . ولم يزل ذلك الحال يزداد معي يوماً فيوماً وأنا مشتغل بتحصيل العلم مدة ثلاث سنين ، فاتفقت لي أنني

رفعت مرّة القلم من الدواة فخرج أبيض فقمتم حتى وقفت أمام الإمام القشيري وذكرت له ذلك الأمر ، فقال قدّس الله سرّه : نزع العلم منك فإنزع يدك منه والتفت للحال الذي أنت فيه وأسلك طريق القوم . فنقلت أمتعتي من المدرسة الى الخانقاه واشتغلت بخدمة هذا الأستاذ الإمام قدّس الله سرّه .

(وقال) ودخل الأستاذ يوماً الى الحمام فذهبت وحدي الى الحمام وأخرجت عدة دلاء من ماء البئر وملأته ، فلما خرج الأستاذ القشيري منه قال : من الذي ملأ الحمام ماءً ؟ فسكتُ وقلتُ في نفسي اني فعلت قلةً أدب . فسأل مرةً ثانية فما أجبتهُ أيضاً ، فلما سال الثالثة قلت له : أنا ملأتهُ . فقال : يا أبا عليّ أبشرك بأن ما حصلته أنا في مدة سبعين سنة فقد حصلته أنت بدلوٍ واحد .

(وقال) إستولى عليّ مدة المجاهدة عند الأستاذ القشيري يوماً حالاً لم أكن معها شيئاً مذكوراً فذكرت له ذلك ، فقال : يا أبا عليّ ذوقتي ماهو أعلى من هذا يمكن أن يكون ذلك المقام أرفع من مقامي وأنا لأدري طريقه . فلم أزل متشوقاً الى شيخ يوصلني الى أعلى من هذا مدّةً مديدةً وذلك الحال يزيد وقد كنت سمعت بالشيخ أبي القاسم الكركاني ، فتوجهت الى طوس ولم أكن أعرف محلّه . فلما وصلت الى البلدة سألت عنه فوجدته جالساً في المسجد مع جماعة من مريديه فصلّيت تحية المسجد وجلست امامه وكان مطرقاً رأسه وقال : تعال أبا عليّ . فقمتم وسلّمت عليه ثم تعدت فذكرت له أحوالي . فقال : نعم بارك الله لك في بدايتك فانت الآن واصل الى أول درجة من السلوك أما إذا حصل لك تربية فإنك تصل الى درجة عالية . فقلت في نفسي هذا أستاذي ثم أقمت عنده . فبعدها أمرني بأنواع الرياضات والمجاهدات مدة مديدة عقد لي على ابنته وأذن لي بالكلام على الناس .

(وقال) قدّس الله سرّه كان قد حضر الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير من (ميهمه) الى طوس قبل أن يأذن لي الشيخ أبو القاسم بالكلام فذهبت الى زيارته ، فقال لي : يا أبا عليّ إستعدّ فإنه سيفتم عليك فتتكلّم بلسانهم كثيراً كالبلبل . فما مرّ على هذه البشارة زمان حتى أمرني الشيخ بعقد المجلس وفتح لي باب الكلام .

(وقال) حجة الإسلام أبو حامد الغزالي قدّس الله سرّه لقد سمعت الشيخ أبي علي الفارمدي يحدث عن شيخه أبي القاسم الكركاني أنه قال التسعة والتسعون إسماً تصير أوصافاً للسالك وهو بعد لم يصل . (توفي) قدّس الله سرّه سنة سبع وأربعين وأربعمائة . والفارمدي (بسكون الراء المهملة وفتح الميم ودال مهملة) نسبة الى (فارمد) قرية من قرى طوس ، وبواسطة هذا السيد الجليل تتصل كما قدمناه هذه السلسلة العلوية الأولى المعروفة بسلسلة الذهب بالسلسلة الثالثة الصديقية المشهورة الآتية . وقد أن الأوان أن نلوي عنان جواد القلم الى ترجمة أحوال رجال السلسلة العلوية الثانية مستمدين من روحانيتهم المباركة العناية الكافية .

## السلسلة الثانية العلوية للطريقة النقشبندية قدّس الله سرّ ساداتها الزكيّة

تقدّم أن تقديم هذه السلسلة الثانية العلوية كأولى على السلسلة الثالثة الصديقية العلية إنما هو لقرب إتصالها بها وقلّة رجالها وتفرّغاً للكلام على رجال الثالثة لإمتدادهم الى زماننا هذا فيكون الختم بها أليق . وإذ كان كلّ خير منهم فخير الكلّ له منهم وجب ترصيم الكلام بإسمه الأعلى وإن سبقت تكليد السلسلة الأولى به وهو الأولى .



## المبدأ الفياض الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم

قد سلف تشریف السلسلة الأولى العلوية بذكر نبذة من أحواله وأقواله المقدسة المصطفوية ، ولكن تتميماً لنظام هذا السلسلة المجلدة وتعميماً للبركة بإعادة بعض أوصافه مجملة كما مرت مفصلة زينت هذه الأسفار بإسفار أنوار شمس اسمه الكريم توسلاً لخدمته وتوصلاً لمدحته بهذا التنظيم مؤنساً أرباب الألباب بأنس جام إنسجام ثنائى العظيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، فقلت :

فيم مكاناً في الجلال مكيماً  
فيه النبى المصطفى الهادي الذي  
فيه الرسول أبو البتول وعز من  
فيه شفيق الخلق من بظهوره  
فأنظر له وانثر على أعتابه  
واخض جنام الذل واخضع هيبة  
وأطبل وقوفك في رحاب جنابه  
إن عم غم ليس غير قبابه  
فاذا التجأت لبابه تلقى عفوراً  
تلقى المراحم والمكارم والمهدى  
لو تطلب الدنيا وما فيها لما  
فاقبض يديك على عوطف يمنه  
واعرض على أعتابه ماتشتكي  
واذكر له قلباً تقلب في العنا  
فهو الرؤوف بنا الرحيم لنا تعالى  
وهو المحيط بكل شيء رحمة  
يامن تشرقت السموات العلا  
بك ساد كل الأنبياء بالإرتقاء  
ارحم بربك ذلتى من زلتى  
واعذ برأفتك المحيطة بالورى  
واغثه ياغوث الصريم فطالما  
هذا مقام العائد الراجي وقد  
نفسى الفداء لمن بخدمه بابيه  
أعظم به من مرسله أضحى على  
وغدا نبياً للأنعام وأدم  
وبه الوجوش تباشرت لما غدا  
والضب سلم والبعير شكا له

وأفاض من بين الأصابع ماءً  
واختار رب الناس في الدنيا له  
فضلام الشـرك زالك بنوره  
لو لم يكن من معجزات نبينا  
قد جاد قراناً عظيماً لم نجد  
لايعرب الإيجاز عن إعجازه  
لافخر الأ والنبي محمد  
هو سيد الأكوان سر ظهورها  
وأعمهم فضلاً وأطهرهم بصون  
ساري الوجود لكل موجود إمام  
لم تقدر البلغاء قدر مقامه  
حل المدينة فاغتذت لجنايه  
من سام سامي بره بثنايه  
بشرى لكل العالمين بأحمد  
فاذا توسلت الأنعام بجاهه  
هو غوث كل العالمين وفضله  
ولأجله المولى لقد رفع العذاب  
فاذا الشدائد أقصدتك سهامها  
والجأ له متذلاً وبجاهه  
وانظم وقلبك واثق بقبوله  
فتعود من إحسانه الضافي على  
تؤلف الألف مدحاً فييه لا  
صلى وسلم ذو الجلال عليه ما  
والأل والأصحاب أقممار الهداية

أروت من القوم الظماء منينا  
من خير أديان البرية دينا  
والدين بالتوحيد صار متينا  
إلا الكتاب كفي به تبينا  
له في كلام العالمين قرينا  
إذ فاق كل بلاغة تحسينا  
قد زاد فوق سنأمه تمكينا  
من كنزها خير الورى تكويننا  
الله أباء لله وبينا  
الوجود أول قـبابل تعيينا  
بل كان أقصى علمهم تخميننا  
حرمأ وللدن القويم عريننا  
حاشا علاه أن يعود غبيننا  
الصاحب الجاه العظيم نبينا  
قالت ملائكة السما أميننا  
قد فننت الأوه تفنيننا  
فلا يعذبهم وأحمد فينا  
فاقصد لها كهف الورى ياسينا  
متوسلاً وعلى حمأ رهينا  
عقدأ من المديم البديم حسينا  
حسانه طلق اللسان قطينا  
خمسيت أو ستين أو سبعينا  
أفنى وأحيا أشهرأ وسنينا  
كلما حيينت تعقب حيننا

ثم سرى سر هذه النسبة العلية من فخر العالم عليه أفضل الصلاة وأتم التحية الى سيدنا الإمام علي بن  
أبي طالب رضي الله عنه .

## كنز المواهب والمطالب أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه وأمدنا بنوره من كل وجهه

هو لهذه السلسلة المُمدُّ الأعظم وواسطة عقد جواهرها الأنظم . وقد تشرف هذا السفر في أوائله بذكر نبذة من فضائله وشمائله . وقد تلقى هذه النسبة عنه عالم كثير من كبار التابعين وأعظم من سرى إليهم سرها شيخ هذه السلسلة السنية سيدنا الحسن البصري رضوان الله عليهم أجمعين .

## سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه

سيد التابعين الكبار وإمام العباد والأخيار ، أتقن كل فن من علم وعبادة وبلغ أعلى مبلغ في الورع والزهادة ، فصلّى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة وكان أكثر مشيماً حافياً ومع ذلك له هيبه عظيمة . وكان أشبه الناس سريرة بعلانية قولاً وفعلًا ، إن أمر بأمر كان أول عامل به أو نهى عن شيء كان أترك الناس له . وكان كثير البكاء والحزن ماراه أحد إلا ظنَّ أنه حديث عمد بمصيبة . (قال حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه) كان أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء وأقربهم هدياً من الصحابة إتفت العلماء في حقّه على ذلك . وقال الجاحظ يستثنى من كل غاية فيقال فلان أزهد الناس إلا الحسن وأفصحهم إلا الحسن . (ونظر إليه راهبان) فقال أحدهما لصاحبه : ملأ الى هذا الذي سمته كسمت المسيح . فعدلا اليه فالفياه مفترشاً لذقنه ظاهر كفه وهو يقول "ياعجباً لقوم أمروا بالزاد وأذنوا بالرحيل ما الذي ينتظرون" . (وقال) يحقّ لمن علم أن الموت مورده والساعة موعده والقيامة مشهده أن يطول حزنه . (وقال) لا يؤمن أحد بهذا القرآن إلا حزن وذبل . (وقال) أدركت سبعين بدياً لباسهم الصوف لو رأيتهم قلتهم مجانين ولو رأوا أخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا أشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب . (وقال) التفكير يدعو الى الخير والعمل به ، والندم على الشر يدعو الى تركه وليس ما يغني وإن كثر يعدل ما يبقى فاحذر هذه الدار الصارعة الخادعة التي قد تزينت بخدعها وغرت بغيرورها . (وقال) عقوبة العلماء موت القلوب وموتها طلب الدنيا بعمل الآخرة . (وقال) هجران الأحمت قربة الى الله تعالى . (وقال) ابن آدم نفسك نفسك إنما هي نفس واحدة إن نجت نجت وإن هلكت هلكت لن ينفعك من نجا ، كل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار يسير . (وقال) إذا أراد الله بعبد سوء ختم الله بأسوأ عمله ثم توفاه عليه . (وقال) جربنا وجرب المجريون فلم نر شيئاً أنعم وجداناً ولا أضر فقداً من الصبر يداوي الأمور ولا يداوي هو بغيره . (وسئل) أينام إبليس ، فتبسّم وقال : "لو نام لوجدنا راحة" . (وقال) الدنيا دار عمل من صحبتها بالبفض لها والزهد فيها سعد بها ونفعت صحبتها ، ومن صحبتها برغبة ومحبة شقي بها وسلّمته الى ما لا صبر له عليه . (وقال) غداً كل إمري بما يهّمه ومن هم بشيء أكثر من ذكره ومن أثر دنياه على آخرته فلا دنيا له ولا آخرة . (وقال) لو كنت ممن رضي بقتل الحسين وعرضت علي الجنة ما قبلتها حياءً من المصطفى صلى الله عليه وسلم . (وقال) عجباً أمروا بالزاد ونودي فيهم بالرحيل وحبس أولاهم على أخراهم وهم يعود يلعبون ، ابن آدم السكين تحد والتنور يسجر والكبش يعلف ، كفى بالتجارب وبتقلب الأيام عظة وبذكر الموت زاجراً عن المعصية ، ذهب الأيام وبقيت الأثام قلاند في الأعناق . (وقال) ما أعطي رجل شيئاً من الدنيا إلا قيل له خذ ومثله من الحرص . (وقال) أشد الناس صراحاً يوم القيامة رجل سنّ ضلالة فاتبع عليها . ورجل يسيء الملكة . ورجل فارغ استعان بنعم الله على معاصيه . (وقال) المؤمن كالعنيزة يكفيه كف من حشف وقبضة من سويق وجرعة من ماء والمنافق كالسبع الضاري بلعاً وشرطاً وشرطاً لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضله ، وجّهوا هذه الفضول

أمامكم . (وقال) بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الوجود . (وقال) خفت النعال حول الرجال قلماً  
يثبت له قلوب الحمقى . (وقال) عجباً لإبن آدم يغسل الخرا بيده مرة أو مرتين ثم يتكبر ويعارض  
جبار السماء وقد قال (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) . (وقال) لا يغرّنك قول من يقول المرء مع من  
أحب فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم . وقال  
الغزالي قدس الله سره هذه إشارة الى أن ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع .  
(ورأى) ناساً يوم عيد يضحكون ويلعبون فقال : إن الله جعل الصوم مضمار العبادة ليسبقوا الى  
طاعته ولو كشف الغطا لشغل المحسن باحسانه والمسيء باساءاته عن تجديد ثوب أو ترجيح شعر .  
(وقال) مارأيت يقيناً لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت . (وقال) وقد عوتب على  
تخويفه الناس بموعظته إن من خوفك حتى تلقى الأمن خير ممن أمنك حتى تلحق الخوف . (وقال له  
رجل) : بنيت داراً أحب أن تدخلها وتدعو . فدخل فنظرها ثم قال : " خربت دارك وعمرت دار غيرك  
غرك من في الأرض ومقتك من في السماء " . (ومرّ) بدار المهالبة فقال " رُم الطيب ووضعت الدين " .  
(وقال) أدركت قوماً مايطوى لأحدهم في بيته ثوب قط ولا أمر في أهله بصنعة طعام قط وماجعل  
بينه وبين الأرض شيئاً قط . (وقال) ما الدنيا كلها من أولها الى آخرها إلا كرجل نام نومة فرأى في  
نومه مايحب ثم انتبه . (وقال رجل) الفقهاء يقولون كذا . فقال : هل رأيت فقيهاً ، إنما الفقيه الزاهد  
في الدنيا البصير بدينه المداوم على عبادة ربه . (وقال) بلغنا ان الله يقول ياابن آدم خلقتك وتهد  
غيري وأذكرك وتنساني إن هذا لأظلم ظلم في الأرض . (وقال) إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب  
بعضك . (وقال) فضح الموت الدنيا فلم يترك فيها لذي لب فرحاً . (وقال) والله ماأعز أحد الدرهم إلا  
أذله الله . (وقال له رجل) :

- أريد سفراً فأوصني . فقال : حيثما كنت اعز أمر الله يعزك .

(وقال) ضحك المؤمن من غفلة قلبه . (وقال) الإسلام أن يسلم قلبك لله ويسلم منك كل مسلم وكل  
ذي عهد . (وقال) إياكم وما شغل من الدنيا فإنها كثيرة الأشطان لايفتح الرجل على نفسه باب شغل  
إلا يوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشراً . (وقال) رحم الله رجلاً لا يغيره مايرى من كثرة مخالفات  
الناس ، ابن آدم تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك وأنت المعني وإياك يراد . (وقال)  
بنسب الرفيقتان الدنيا والدرهم لاينفعانك حتى يفارقانك . (وقال) ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها  
عن قلبك تبرك إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك . (وقال) لاتخالفوا الله عن  
أمره فإن خلافك عنه عمارة دار قضى الله عليها بالخراب . (وقال) هانوا على الله فعصوه ولو عزوا  
عليه لعصمهم . (وسئل) عن حديث الإيمان الصبر والسماحة ، فقال : الصبر عن معصية الله  
والسماحة بأداء فرائضه . (وقال) فضل الفعال على المقال مكرمة وفضل المقال على الفعال  
منقصة . (وقال) لو نادى مناد بالمسجد ليخرج أفسق الناس وأقلهم حياءً من الله ماسبقني للخروج  
أحد . (وقال) يستعان على دفع وسوسة إبليس بالذكر والقراءة والنفس بالصوم والصلاة والمجاهدة  
والرياضة . (وقال) إذا أذنب عبد ثم تاب لم يزد من الله إلا قرباً ، وهكذا كلما أذنب لأنه دائم السير  
بذنوب وبغيره حتى يصل للأخرة . (وشكا) له رجل قسوة قلبه فقال عليك بمجالس الذكر والإحسان  
لليتميم . (وقال) أدركت قوماً كانوا فيما أحل الله لهم أزهذ منكم فيما حرم . (وقال) طمع العالم في

الدنيا يشينه ويذهب بحرمة من القلوب . (وقال) ذم الرجل لنفسه مدح لها . (وقال) ليس بأخيك من تحتاج الى مداراته . (وكان) إذا تعد بين الناس يقعد ذليلاً وإذا تكلم تكلم رجل أمر به الى النار كأنها لم تُخلق إلا له . (وقال) عبد بنو إسرائيل الأوثان بعد عبادة الرحمن بحبهم الدنيا . (وقال) أرى رجالاً ولا أرى عقولاً وأسمع أصواتاً ولا أرى أنساً . (وقال) خصلتان إذا صلحتا صلح ما سواهما وإذا فسدتا فسد ، الركون الى الظلمة والطغيان في النعمة . (وقال) جمع الله الخير والشر كله في آية واحدة (إن الله يأمر بالعدل والإحسان... الآية) . (وقال) لو يعلم العابدون أنهم لا يرون ربهم يوم القيامة لماتوا . (وكان يقول) لا توبة لقاتل المؤمن عمداً . فسد اليه عمرو بن عبيدة رجلاً وقال قل له وإن كان كافراً فإنه يقول (قل للذين كفروا أن ينتهوا... الآية) وإن كان فاسقاً فإنه يقول (أولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا) فقال للرجل : من أين لك هذا ؟ فقال : إختلج في صدري . قال : محال أصدقني . فقال : عمرو . فقال الحسن : عمرو وما عمرو ؟ وإذا قام بأمر تعد به وإذا تعد بأمر قام به ورجع .

(وقال) من لبس الصوف تواضعاً زاده نوراً في بصره وقلبه ومن لبسه إظهاراً للزهد وتكبراً كور في جهنم مع الشياطين . (وقال) ماكل الناس يصلح للبس الصوف لأنه يتطلب صفاءً ومراقبة . (وقيل له) ما سبب لبسك الصوف ؟ فسكت فقيل ألا تجيب . فقال إن قلت زهد أزيك نفسي أو فقر أو ضيق شكوت ربي .

(ولما بلغه موت الحجاج) سجد وقال اللهم عقيرك وأنت قتلتته فأمت سنته وأرحنا من عمله الخبيث .

(وقال) ذهبت المعارف وبقيت المناكر ومن بقي من المسلمين فهو مغموم . (وقال) إذا أراد الله بعبد خيراً في الدنيا لم يشغله بأهل ولا ولد . (وقال) من شرط المتواضع أن يخرج من بيته فلا يلقي أحداً إلا رأى له الفضل عليه . (وقال) شر الناس للميت أهله ليكون عليه ولا يهون عليهم قضاء دينه . (وقال) لا تشتر مودة ألف رجل بعداوة رجل واحد . (وقيل له) هل في البصرة منافق ؟ فقال لو خرج المنافقون منها لإستوحشت . (وقال) أكرم إخوانك يدم لك ودهم . (وقال) لو نظرت يابن آدم الى سير أهلك لأبغضت غرور أملك وكان ينشد :

ليس من مات فإسترام بميت إنما الميت ميت الأحياء

(وقال) وددت إن أكلت أكلة تصير في جوفي مثل الأجرة فإنه بلغنا أنها تبقى في الماء ثلاثمائة سنة . (وكان) إذا استأذن عليه أحد من إخوانه فإن كان عنده طعام أذن له والأخرج اليه ولا يتكلف فيما حضر . (وقال) كانوا يقولون لسان الحكيم من وراء قلبه إن أراد أن يقول يرجع الى قلبه فإن كان له قال والأمسك ، وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه لا يرجع الى قلبه ما أتى على لسانه يتكلم . (وقال) الناس ينظرون الى الله يوم القيامة كما شاء بلا إحاطة . (وقال) الدنيا مطيتك إن ركبتها حملتك وإن ركبتك قتلتك . (وقال) الناس ينظرون الله يوم القيامة بلا إحاطة . (وقال) ورم العلماء في الدنيا والأموال . (وقال) إذا رأيت في ولدك ماتكره فاعلم أنه شيء تُراد به أنت فأحسن . (وقال) إذا أردت عداوة رجل فإن كان مطيعاً فأياك وإياه فإن الله تعالى لا يسلمه اليك ولا يخلي بينك وبينه وإن كان عاصياً فقد كُفيت مؤنته فلا تتعب نفسك بعداوته . (وقال) كل من إتبع طاعة الله إمتلك مودته

وَمَنْ أَحَبَّ رَجُلًا صَالِحًا فَكَأَنَّمَا أَحَبَّ اللَّهَ . (وقال) مارأينا أحداً طلب الدنيا فأدرك الآخرة بها أبداً بخلاف العكس . (وقال) يبعث الله أقواماً يطلبون هذا العلم حسبةً وليس فيهم نية فيتبعهم بطلبه كي لا يضيع العلم وتبقى عليهم تبعته . (وقال) الإسلام أن تسلم قلبك لله تعالى فيسلم منك كل مسلم . (وقال) المحبُّ سكران لا يفيقُ إلا عند مشاهدة محبوبه . (وقال) يوسف بن اسباط مكث الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وأربعين سنة لم يمزح .

(ودخل) مكة فرأى غلاماً من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد أسند ظهره الى الكعبة يعظُ الناس ، فوقف عليه الحسن رضي الله عنه ثم قال : ما ملك الدين ؟ قال : الورع . فقال : مائة الدين ؟ قال : الطمع . فتعجب الحسن من حسن جوابه مع صغر سنه .

(وقال) لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تُعيبَ الناس بما هو فيك وحتى تبدأ بصلاح هذا العيب من نفسك فتصلحه . فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيباً إلا وجدت آخر لم تصلحه . فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحبَّ العباد الى الله من كان كذلك . (وقال) يا ابت ادم بع دنياك بأخرتك تربحهما جميعاً ولا تبعم أخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً .

(وكتب) الى أمير المؤمنين عمر بن العزيز "خَفُ مما خوَّفَكَ الله منه واحذر مما حدَّرَكَ الله منه وخُذْ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت يأتيك اليقين والسلام" .

(وعن الغزالي قدس الله سره) قال الحسن "يوزن مداد العلماء بدم الشهداء" .

(وقال) إن المؤمن يصبح حزينا ولا يسعه إلا ذلك لأنه بين مخافتين ؛ بين ذنب قد مضى ما يدري ما الله يصنع فيه وبين أجل قد بقي ما يدري ما يصنع فيه من الممالك .

(وكتب) الى عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهما :

"أعلم أن التفكر يدعو الى الخير والعمل به ، والندم على الشر يدعو الى تركه . فاحذر الدنيا الصارعة الخادعة التي تزينت بخدعها وغرت بغرورها وقتلت بأملها وتشوّفت لخطابها ، فهي كالعروس المجلية العيون إليها ناظرة والنفوس لها عاشقة والقلوب اليها والهة ، وهي لأزواجها كلهم قاتلة مالباقى بالماضي معتبر ولا للآخر بما رأى من الأول مزجج . . والناس فيها قسمان : قسم قد ظفر بها فباغتر وطغى ونسى بها المعاد والمبدء واشتغل فيها لبه وذهل عقله حتى زلت قدمه وجاءته أسرع شيء كان منيته فعممت ندامته وكبرت حسرته واشتدت كربته مع ما عالج من سكرات الموت . وقسم مات قبل أن يظفر منها بحاجته فذهب بكربه وغمه فلم يدرك منها طلب ولم يرح نفسه من النَّصَب ، خرجا جميعاً بغير زاد وقدم على غير مهاد . فاحذرهما الحذر كله فإنها مثل الحية ليئ مسها وسُمها يقتل ، وأعرض عما يعجبك فيها لقلّة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما عانيت من فجائعها وأيقنت به من فراقها . وكن أسراً ماتكون فيها أحرّ ماتكون لها فإن صاحبها كلما إطمأن الى سرورها أعقبته بمكروه وكلما ظفر منها بشيء انقلب به . فالسار فيها غار والباقي فيها غدا ضار . وصل الرجا منها بالبلا وجعل البقا فيها الى الفنا ، سرورها مشرب بالحزن وآخر الحياة فيها الضعف والوهن . فانظر اليها نظر الزاهد المفارق . أمانها كاذبة . وأمالها باطلة . وعيشها نكد . وصفوها كدر . وأنت منها على خطر . إما نعمة زائلة وإما بليّة نازلة وإما منية قاضية ، ولو كان الخالق لم يخبر عنها بخبر ولم يضرب لها مثلاً ولم يأمر فيها بزهد لكان حالها قد أيقظ النائم ونبه

الغافل . وكيف وقد جاء عن الله عز وجل زاجر وواعظ فما لها عند الله قدر ولا وزن . وكيف لها وزن وهي لا تزن مقدار حصاة من الحصى ولا قدر ثراة من جميع الثرى ولا خلقاً خلقاً فيما بلغني أبغض اليه منها ولا نظر إليها منذ خلقها مقتاً لها . ولقد عُرِضَتْ على نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلّم سيد الأولين والأخرين بمفاتيحها وخرائنها لا ينقصه ذلك مما له عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها ومامنعه من القبول لها مع كونها لا تُنقصه مما له عند الله تعالى شيئاً إلا أنه علم صلى الله عليه وسلم أنها أبغض الأشياء الى الله تعالى . فابغضها لبغض مولاها إياها وصغر شيئاً صغره الله ووضع شيئاً وضعه الله ولو قبلها كان دليلاً على حبه إياها ولكنه صلى الله عليه وسلم كره أن يحب ما أبغض خالقه وأن يرفع ما وضع مالكه .

ومما يدل على شر هذه الدنيا أن الله تعالى قبضها عن أنبيائه وأحبابه إختياراً وبسطها لغيرهم إختياراً وإغتراراً ، فيظنُّ المفرور بها أنه أكرم بها ونسي المفرور المغبون ما صنم الله تعالى بأنبيائه وأحبابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين : (أما محمد) سيد الخلق صلى الله عليه وسلّم فقد شدَّ الحجر على بطنه من الجوع \* وأما موسى الكليم عليه الصلاة والسلام فرأى خضرة البقل من صافات بطنه من هزاله وماسأل الله تعالى يوم أوى الى الظلّ طعاماً يأكله من جوعه ، ولقد جاءت الروايات عنه أن الله تعالى أوحى اليه أن ياموسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنبٌ عجلت عقوبته \* وأما عيسى عليه الصلاة والسلام روم الله وكلمته ففي أمره عجيبه كان يقول آدمي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف ودابتي رجلي وسراجي بالليل القمر وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وفاكحتي وريحاني ما أنبتت الأرض للسبام والأنعام ، أبيتُ وليس لي شيء وليس أحدٌ أغنى مني \* وأما سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فكان مع ملكه يأكل خبز الشعير في خاصته ويطعم أهله الخشكار ويطعم الناس الدرهم فإذا جنَّ الليل لبس المسوم وغلَّ اليد الى العنق وبات باكياً حتى يصبح يأكل الخشن من الطعام . يفعلون ذلك قربةً الى الله تعالى ويبغضون ما أبغض الله عز وجل ويصغرون ما صغره الله تعالى . ثم جاء الصحابة والتابعون ومن بعدهم من الأئمة الصالحين فسلكوا منهاجهم وألزموا أنفسهم الفكر والعبر ونظروا الى آخر الدنيا وباطنها ولم ينظروا الى أولها وظاهرها ونظروا الى عاقبة مرارتها ولم ينظروا الى حلاوتها وألزموا أنفسهم الصبر عنها . أنزلوا الدنيا بمنزلة الميتة التي لا يحلُّ الشبم منها في حال الضرورة اليها ، فأكلوا منها قدر ما ردَّ النفس وأبقى الروم ومكَّن النوم ، وجعلوها بمنزلة الجيفة التي اشتدَّ نتنٌ ريحها فكلَّ من مرَّ بها أمسك على أنفه منها .

هذه منزلتها عندهم ، فهم يعجبون من الأكل منها شبعاً والتلذذ بها أشراً ويقولون في أنفسهم "أترى هؤلاء لا يخافون من هذا الأكل ما يجدون ريم النتن؟" هي والله يا أخي في العاقبة والعاجلة أنتت من الجيفة الموصوفة غير أن أقواماً استحلوا الصبر على أكلها ولا يجدون ريم النتن والذي نشأ في ريم الأهاب لا يجد نتنهُ ، وكيفي العاقل منها أن من مات وترك مالاً سره إن كان فقيراً أو شريفاً إن كان فيها وضيعاً أو كان فيها معافى سره إن كان فيها مبتلى أو سلطاناً سره إن كان فيها سوقة . والله لو كانت الدنيا من أراد منها شيئاً وجدته في وقته من غير تعب غير انه إذا أخذ منها شيئاً لزمه حقوق الله تعالى فيه وسأله عنه وأوقفه على حسابه لكان ينبغي للعاقل ان لا يأخذ إلا قدر قوته حذراً من



السؤال والحساب .

وإنما الدنيا إذا فكرت فيها ثلاثة أيام : يوم لاترجوه ويوم أنت فيه ينبغي لك أن تعتنمه ويوم يأتي لاتدري أنت من أهله أم لا ولاتدري لهلك تموت قبله ؟ فأما أمس فحكيم مؤدب وأما اليوم فصديق ، غير أن أمس وإن كان قد فجعك بنفسه فقد بقي في يديك حكمة وإن كنت قد أضعته فقد جاءك خَلْفٌ منه كان عنك طويل الغيبة وهو الآن منك سريع الرحلة . (وغداً) في يديك منه أمله فخذ في العمل وترك الغرور بالأمل قبل حلول الأجل وإياك أن تُدخِلَ على اليوم همَّ غده وهمَّ ما بعده ، يكفي اليوم همُّ ، وغداً إذا دخل عليك دخل يشغله . فإنك إذا أدخلت على اليوم همَّ ما بعده زدت في حزنك وتعبك وأردت أن يجمع لك في يومك مايكفيك أيامك ، هيئات كثر الشغلُ وزاد الحزنُ وعظم التعبُ وأضاع العبد العمل بالأمل ، ولو كان الأمل في غدك خرج من قلبك لأحسنت اليوم في عملك واقتصرت .

فَلأصنَّفَ لك الدنيا ساعة بين ساعتين : ساعة ماضية وساعة باقية فالماضية والباقية لاتجد لراحتهما لذة ولا لبلائهما أملاً ، وإنما الدنيا ساعة أنت فيها فالأسف إن صرفتك تلك الساعة عن الجنة وصيرتك غداً إلى النار . وإنما اليوم إن عقلت ضيف نزل بك هو مرتحل عنك ، فإن أحسنت نزله وقراه شهد لك وأثنى عليك بذلك وصدق فيك . وإن أسأت ضيافته ولم تحسن قراه جاءك في عينيك . وهما يومان بمنزلة الأخوين نزل بك أحدهما فأسأت إليه ولم تُحسن فيما بينك وبينه فجاءك الآخر بعده فقال إني جنتك بعد أخي وإن إحصانك يمحو سيئاتك ويغفر لك ما قد صنعت فدونك قد جنتك بعد أخي المرتحل عنك فقد ظفرت بخلف منه ، إن عقلت فتدارك ما قد صنعت وإن ألحقت الآخر بالأول فما أخلقك أن تهلك بشهادتهما عليك . وإن الذي قد بقي من العمر لا ثمن له ولا عدل فلو اجتمعت الدنيا كلها ما عدلت يوماً ولا ساعة بقي من عمر صاحبه ، فلا تبعم اليوم بغير ثمنه ولا يكون المقبور والمدفون أعظم تعظيماً لما في يديك منك . فلعمري لو أن مدفوناً في قبره قيل له هذه الدنيا من أولها إلى آخرها نجعلها لولدك من بعدك يتنعمون فيها من ورائك فقد كنت ليس لك همَّ غيرهم ، أحب إليك أم يوم نُؤثرك فيه بعمل لنفسك لإختار ذلك اليوم ، بل ولو اقتصر على ساعة لإختارها بل لو اقتصر على كلمة يقولها لإختار الكلمة الواحدة . فانتقد اليوم لنفسك وأبصر الساعة وأعظم الكلمة واحذر الحسرة عند نزول الكسرة ولاتأمن أن يكون هذا الكلام حجة عليك نفعنا الله وإياك بالموعظة ورزقنا خير العواقب والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

(ووعظ رضي الله عنه) أصحابه فقال إن الدنيا دار عمل من صحبها بالبُغْضِ لها والزهادة فيها سعد بها ونفعت صحبتها ، ومن صحبها على الرغبة فيها والمحبة لها شقي فيها وأجحف بحظه من الله تعالى ثم أسلمته إلى ما لا صبر له عليه ولا طاقة له من عذاب الله ، فأمرها صغير ومتاعها قليل والفناء عليها مكتوب وأهلها يتحولون عنها إلى منازل لاتبلى ولا يغيرها طول الزمن . لا العمر فيها يفنى فيموتون ولا وإن طال الثوى منها يخرجون . فاحذروا ، ولا قوة إلا بالله ، ذلك الموطن وأكثروا ذكر ذلك المنقلب واقطعوا من الدنيا أكبر همومكم فإنها والله مفضية بأهلها إلى ندامة طويلة وعذاب شديد . فلاتكونن يابن آدم مغترراً ولاتأمنن مالم يأتك الأمان فيه فإن الهول الأعظم أو مقطعات الأمور أمامك ، ويحك ابن آدم ماضرك ما أصابك من شدائد الدنيا إذا خلص لك خير الآخرة فُضم القوم (ألهاكم التكاثر... الآية) . (وقال) إن لأهل التقوى علامات يُعرفون بها : صدق الحديث ، ووفاء العهد ، وصلة الرحم ،

ورحمة الضعفاء ، وقلة الفخر والخيلاء ، وبذل المعروف ، وقلة المباهاة للناس ، وحسن الخُلق مما يقرب الى الله تعالى . (وقال) في قوله تعالى (هاؤم إقرأوا كتابيه) إن المؤمن أحسن الظنِّ بربه فأحسن العمل ، وإن المنافق أساء الظنَّ فأساء العمل . (وقال) مَنْ كان فيه أربع خلال أعاده الله من الشيطان : أن يملك نفسه عند الرغبة والرغبة والشهوة والغضب . (وقال) إن من أعظم الحسرات غداً أن يرى الرجل ماله في ميزان غيره ، أتدرون كيف هذا ؟ رجلٌ أتاه الله مالاً فأمره بإنفاقه في صنوف حقوق الله فبخل به فورثه الوارث ففعل ما أمره الله تعالى ، فهو يرى ماله في ميزان غيره فيالها من حسرةٍ لا تُقال وتوبةٍ لا تُنال . (وقال) إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همم . (وقال) أبى الله أن يعصيه عبداً إلا أذلهُ الله . (وقال) مامت رجل يعرف نعمة الله عليه فيقول الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات إلا أغناه الله وزاده . (وقال) رحم الله رجلاً لبس خلقاً وأكل كسرة ولزقاً بالأرض وبكى على الخطيئة ودأب على العبادة . (وقال) أصبحت بين مطيبتين الليل والنهار يعرجان بك حتى تقدم الأخرة فإما الى الجنة وإما الى النار فمن أعظم خطراً منك .

(وسُئل) عن صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قال " ظمرت منهم علامات الخير في السيماء والسمت والصدقة وحسنت ملابسمهم بالإقتصاد وملابسمهم بالتواضع ومنطقهم بالعمل ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى وإنقيادهم للحق فيما أحبوا وكرهوا وإعطائهم الحق من نفسهم ، ضمنت هواجرهم ونحلت أجسامهم واستخفوا بسخط المخلوقين لرضا الخالق لم يفرطوا في غضب ولم يحيفوا في وجود ولم يجاوزوا حكم الله متمسكين بالكتاب والسنة قد شغلوا الألسن بالذكر وبذلوا لله تعالى دماءهم حين استنصرهم وبذلوا لله تعالى أموالهم حين استقرضهم لم يكن خوفهم من المخلوقين ، حسنت أخلاقهم وهانت مؤنتهم وكفاهم اليسير من دنياهم الى آخرتهم " . (وقال) المؤمن من يعلم أن ما قاله الله عز وجل كما قال ويكون من أحسن الناس عملاً وأشدهم خوفاً لو أنفق جبلاً من مال ما أمّن دون أن يعاين ، كلما ازداد صلاحاً وعبادة ازداد خوفاً يقول لعلّي لأنجو والمنافق يقول سواد الناس كثير وسيُغفر لي ولا بأس عليّ فينسى العمل ويتمنى على الله عز وجل . (وكان) إذا تلا قوله تعالى (لاتغرّنكم الحياة الدنيا ... الآية) يقول مَنْ قال ذا قاله من خلقها وهو سبحانه وتعالى أعلم بها . (وقال) الرجا والخوف مطيبتا المؤمن . (وقال) مامت عبدٌ قُسم له رزق يوم بيوم فلم يعلم أنه قد خيّر له إلا عاجز أو غبي الرأي .

(وعن الأعمش) قال : كنا إذا دخلنا على الحسنة خرجنا ولانعد الدنيا شيئاً .

(وقال) إن المؤمن ليعمل الذنب ولا يزال به كئيباً . (وروى عنه الغزالي) يخرج رجل من النار بعد ألف عام وياليتني أنا ذلك الرجل ، قال الغزالي قدّس الله سره وإنما قال ذلك لخوفه الخلود بسوء الخاتمة . (وقال) إذا حمد المريض الله وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى .

(ولما) وُلّي ابن هبيرة الفزاري العراق وأضيفت إليه خراسان أرسل الى الحسن وابن سيرين والشعبي وذلك سنة ثلاث ومائة ، أيام يزيد بن عبد الملك فقال لهم : " إن يزيد بن عبد الملك يكتب اليّ كتاباً في أمور أعلم أن في إنفاذها الهلكة فإن أطعته عصيت الله وإن عصيته أطعت الله فماترون ؟ " فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه تقيّة . فقال ابن هبيرة : ماتقول أنت يا أبا سعيد ؟

قال : يا ابن هبيرة خَفِ الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله إن الله يمنعك من يزيد وإن يزيد لا يمنعك

من الله وأوشك أن يرسل اليك ملكاً فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرِكَ الى ضيقِ قبرِكَ ثم لا ينجيك إلا عمَلُكَ . ياعمرُ و لا تأمنُ أن ينظر الله اليك وأنت على أقبح ماتعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك نظر مقت فيفلت باب التوبة دونك . يا ابن هبيرة إن تعصب الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصر الدين وعباده . فلا تركبُ دين الله وعباده بسلطان الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

فبكى ابن هبيرة وقام بعبرته وأجازهم وأضعف جائزة الحسن . فقال الشعبي لابن سيرين : سفسفنا له فسفسف لنا .

(ورأى الحسن) يوماً رجلاً وسيماً حسن الهيئة فسأل عنه فقيل إنه يسخر للملوك ويحبونه . فقال لله أبوه مارأيت أحداً طلب الدنيا بما يشبهها إلا هذا .

(وكانت) أمه تقص للنساء ودخل عليها يوماً وفي يدها كراثة تأكلها فقال لها : يا أماه ألق هذه البقلة الخبيثة من يدك . فقالت : يا بني إنك شيخ قد كبرت وخرفت . فقال : يا أماه أينا أكبر ؟

(وُلد) رضي الله عنه في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسنتين بقيتا من خلافته بالمدينة وحنكه بيده .

(وكان) أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وهو من سبي ميسان (بفتح الميم وسكون الياء التحتية وفتح السين المهملة وبعد الألف نون) بليدة بأسفل البصرة واسمه يسار ويلقب بأبي الحسن . (وأمه) خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة رضي الله عنها ثديها تعلقه به الى أن تجيء أمه فدر عليه ثديها فشره ، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك . قال أبو عمرو بن العلاء مارأيت أفصح من الحسن البصري ومن الحجاج بن يوسف الثقفي ، فقيل له فايهما أفصح قال الحسن . (روي) عن الربيع بن أنس قال إختلفنا الى الحسن عشر سنين أو ماشاء الله مامن يوم إلا أسمع منه ما لم أسمع من قبله .

(ونشأ) بوادي القرى وكان من أجمل أهل البصرة ، رأى طلحة بن عبد الله وعائشة ولقي علي بن أبي طالب وسمع ابن عمر وأنساً وأبا بكر وجماعة من الصحابة وسمع خلائق من كبار التابعين .

(توفي) بالبصرة مستهلاً رجب سنة عشر ومائة وكانت جنازته مشهودة ، قال حميد الطويل توفي الحسن عشية الخميس وأصبحنا يوم الجمعة ففرغنا من أمره وحملناه بعد صلاة الجمعة ودفناه فتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به فلم تقم صلاة العصر بالجامع ولا أعلم أنها تركت منذ كان الإسلام . وأغمي عليه عند موته ثم أفاق فقال "لقد نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم" . (وقال رجل) قبل موت الحسن لابن سيرين رأيت كأن طائراً أخذ أحسن حصة بالمسجد ، فقال إن صدقت رؤياك مات الحسن . فلم يكن إلا قليلاً حتى مات الحسن ولم يحضر ابن سيرين جنازته لشيء كان بينهما ثم توفي بعده بمائة يوم .

(وكان) الحكم بن حجل صديقاً لابن سيرين فلما مات حزن عليه الحكم حتى جعل يعاد كالمريض ثم رآه في المنام في قصر على أفضل حال قال فقلت له يا أخي أراك في أحسن حال يسرنني فما صنع الحسن ؟ قال رفع فوقي بسبعين درجة . قلت بماذا قال بطول حزنه . (ورأى) بعض الأولياء ليلة موته أبواب السماء مفتحة وكان منادياً ينادي إلا إن الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض رضي الله عنه . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة سيدنا حبيب العجمي رضي الله عنه .

## الإمام أبو محمد حبيب الفارسي المعروف بحبيب العجمي رضي الله عنه

كان حسن التربية والسياسة وافر الممة والرياسة مُجاب الدعوة محافظاً على الخلوة لإكتساب الجلوة . وكان من التجار ساكني البصرة وسبب إقباله على الأجلة وانتقاله عن العاجلة انه حضر مجلس البصري فالتفت إليه فوعظه فوعظته فوعظته من قلبه . فخرج عما كان يملك وفرقه في سبيل الله حتى لم يبق معه شيء ، فجعل يستقرض على الله عز وجل الى أن كان منه ما كان وجد واجتهد واشترى نفسه أولاً من الله عز وجل بأربعين ألف دينار في أربع دفعات تصدق بعشرة آلاف في أول النهار وقال يارب اشتريت نفسي منك بهذا ثم أتبعها بعشرة آلاف أخرى فقال هذا شكراً لما وفقتني له ثم أخرج عشرة آلاف دينار أخرى فقال يارب إن لم تقبل مني الأولى والثانية فاقبل هذه ثم تصدق بعشرة آلاف أخرى فقال يارب إن قبلت مني الثالثة فهذه شكراً لها .

(وكان) يبكي الليل كله فتقول له أمه ما هذا البكاء فيقول دعيني فإني أريد أن أسلك طريقاً لم أسلكه من قبل .

(ومن كلامه) إن الشيطان يلعب بالقرء كما يلعب الصبيان بالجوز . (وقال) لاتقعدوا فراغاً فإن الموت يليكم . (وقال) إن من سعادة المرء إذا مات ماتت معه ذنوبه .

(وكان) يخلو في بيته ويقول لا قرّة عين لمن لم تقر عينه بك ولا فرح لمن لا يفرح بك ، وعزتك وجلالك إنك تعلم أنني أحبك وأنت فعلت ذلك بي .

(ومن كراماته) أن رجلاً اشتكى إليه ديناً فقال له : اقترض وأنا ضامن . فأتى رجلاً فأقرضه خمسمائة درهم وضمنها أبو محمد فطولب عند الإستحقاق ، فقال لرب الدين : غداً إن شاء الله تعالى تصل اليك . فتوضأ أبو محمد ودخل المسجد ودعا الله تعالى . وجاء الرجل فقال له حبيب : اذهب فإن وجدت في المسجد شيئاً فخذ . فذهب الرجل فإذا في المسجد صرة فيها خمسمائة درهم فوزنها فوجدتها زائدة فأخبره بذلك ، فقال : اذهب فهي لك الذي وزنها وزنها راجحة .

(وعجبت) أمه فذهبت تجيء بنار لتخبزه فأتاه سائل فأعطاه العجيب . فجاءت فقالت : أين العجيب ؟ فقال : ذهبوا يخبرونه . فأكثرت عليه فأخبرها فقالت : لابد من شيء نأكله . فإذا برجل لا يعرف جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزاً ولحماً . فقالت : ما أسرع ماردوه عليك وقد خبزوه وجعلوا معه لحماً .

(وكان) يأخذ متاعاً من التجار فيتصدت به فأخذ مرة فلم يجد ما يوفيه فقال " يارب إن الناس يحسنون ظنهم بي أنت فعلت بي ذلك من سترك علي فلاتخلف ظنهم بي فينكسر وجهي عندهم " . ثم دخل داره فإذا هو بجوالق من الأرض الى سقف البيت مملوءة دراهم . فقال " يارب ليس أريد هذا فأخذ حاجته وترك البقية .

(وقال له رجل) : لي عليك ثلاثمائة . قال : من أين . قال : لي عليك . قال : اذهب الى غد . ثم قال اللهم إن كان صادقاً فأد اليه وإلا فابتليته في بدنه . فجيء به محمولاً مفلوجاً . فقال التوبة . قال " اللهم إن كان صادقاً فعافه " فكانما نشط من عقاب .

(وأذاه رجل) وأغظَ عليه فرغم يديه الى السماء وقال "اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه" فخرَّ ميتاً .

(وأصاب) الناسَ جماعةً فاشتري سويقاً ودقيقاً بنسيئة وعمد الى خرائط فخالها ووضعها تحت فراشه ثم دعا الله عزَّ وجلَّ فجاء أرباب الديون بعد مدة يطلبون الثمن فأخرج تلك الخرائط وقد امتلأت فقال لهم زنوا فوزنوا حقوقهم .

(وقدم) رجلٌ من أهل خراسان وكان قد باع ما كان له وعزمَ على سكنى البصرة فلما قدمها كان معه عشرة آلاف درهم فأراد الخروج الى مكة هو وامراته ، فسأل الناس لمن يودع العشرة آلاف درهم فقبل لأبي محمد . فاتاه فقال : اني قاصد وامراتي الى مكة وهذه عشرة آلاف أريد أن أشتري بها منزلاً بالبصرة فإن وجدت منزلاً ويخف عليك أن تشتري لنا بها فافعل . ثم سافر الرجل الى مكة فأصابته الناس بالبصرة جماعة فشاور حبيب أصحابه أن يشتري بالعشرة آلاف دقيقاً ويتصدت به ، فقالوا إنما وضعها المشتري لمنزل . فقال "أنا أتصدت بها فأشتري له بها من ربِّي منزلاً في الجنة ، فإن رضي والآ دفعته اليه درهم" ، فأشتري بها دقيقاً وخبزهُ وتصدت به . فلما قدم الخراساني من مكة أتى حبيباً فقال : يا أبا محمد اشتريت لنا منزلاً أو تردّها علي فأشتري أنا بها ؟ فقال : قد اشتريت لك منزلاً فيه قصور وأشجار وأثمار وأنهار . فأنصرف الى امراته فرحاً مسروراً فقال "قد اشتري لنا حبيب منزلاً أراه كان لبعض الملوك فإنه قد عظم أمره وما فيه من أشجار وأثمار وأنهار" . ثم أقام الخراساني يومين أو ثلاثة وجاء الى حبيب فقال : يا أبا محمد أين المنزل الذي اشتريت لي ؟ فقال : اشتريت لك من ربِّي منزلاً في الجنة بقصوره وأشجاره وصفاته . فأنصرف الرجل الى امراته أشد فرحاً من الأول وقال لها : إن حبيباً اشتري المنزل من ربّه عزَّ وجلَّ في الجنة . فقالت له امراته : أرجو أن يكون قد وثق الله حبيباً وماقدر ما يكون لبئنا في الدنيا فارجم اليه فليكتب لنا كتاباً بعهدة المنزل . فاتاه فقال نعم فدعى من يكتب له الكتاب :

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشتري أبو محمد حبيب من ربّه عزَّ وجلَّ لفلان الخراساني اني اشتريت له منزلاً في الجنة بقصوره وأنهاره وأشجاره وصفاته بعشرة آلاف درهم فعلى ربّه سبحانه وتعالى أن يدفع هذا المنزل الى فلان الخراساني ويبريء حبيباً من عهده" .

فأخذ الخراساني الكتاب وانطلق به الى منزله وامراته فدفعه اليها . وأقام الخراساني نحواً من أربعين يوماً ثم حضرته الوفاة ، فأوصى امرأته إذا متَّ وغسلتموني وكفنتموني فاجعلوا هذا الكتاب في أكفاني ففعلوا ذلك . فلما دفنوا الرجل وجدوا على ظهر قبره رقماً مطويّاً فيه مكتوب ليس شبيه مكاتيب الدنيا فنشروه فإذا فيه براءة الحبيب أبي محمد من المنزل الذي اشتراه لفلان الخراساني بعشرة آلاف درهم ، فقد دفع ربُّه الى الخراساني كما شرط له حبيب وأبراه منه . فأتي حبيب بالكتاب فجعل يقرؤه ويقبله ويبكي ويروم الى أصحابه ويقول "هذه براءتي من ربِّي عزَّ وجلَّ" .

(وجاءه) رجلٌ فاشتكى وجعاً في رجله وسأله أن يدعوه له وكان في مجلسه ، فلما تفرقت الناس أخذ المصحف وعلقه في عنقه وقال "يا الله لاتسود وجه حبيب ، ثم قال اللهم عافه حتى ينصرف ولايعرف في أي رجله كان الوجع" فوجد الرجل العافية في الحال . فسأله في أي رجلك كان الوجع ؟ فقال لأدري . (وكان) يرى بالبصرة يوم التروية ويرى بعرفه عشية عرفه .

(وجزم) عند الموت جزعاً شديداً وقال "أريد أن أسافر سافراً مسافرتي قطاً وأسالك طريقاً ماسلكته قطاً وأريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته الى يوم القيامة ثم أقف بين يدي الله تعالى فماذا أقول".  
(وكان) مشغولاً بالتعبُّد فلم يعرف له رواية رضي الله عنه وإنما نُسب الى العجم لبقاء لسانه حتى لم يقدر على تجويد القرآن ، نُقل أنه كان يقرأ الحاء هاءً في الحمد لله رب العالمين . (وكان يقول) اني وان كان لساني عجمياً لكن قلبي عربي .  
(توفي) سنة خمس وعشرين ومائة في البصرة ودُفن بها رضي الله عنه ، ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة منه سيدنا داود الطائي رضي الله عنه .

## سيدنا أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي

### رضي الله عنه

الفيقيه الواعي البصير الراوي العابد الطاوي أبصر معتبراً وسبقاً مبتدراً وتشمر منتصباً وانتظر مرتقباً أضناه الفرق وأفناه القلق . (وقد قيل) إن التصوف تشمر لإستبات وتضمّر للحاق . وقد أثنى عليه كثير من الأعيان فقالوا كان رفيع المقدار كثير المرديد والأنصار فسيم الأركان عظيم الشأن واضم المنهاج بحر علمه مترام الأمواج . (أسند) الحديث عن عبدالمك بن عمير وعروة بن هشام والأعمش (وعنه) ابن عليّة وإسحق السلولي وأبو نعيم ومصعب بن المقدم وجماعة .

(قال الذهبي) وكان إماماً فقيهاً ذا فنون عديدة ثم تعبد وأثر الوحدة وأقبل على شأنه وساد أهل زمانه . (وقال غيره) كان يحضر مجلس أبي حنيفة فقال له أبو حنيفة يوماً في تقريره : أما الآلات فقد أحكمناها . فقال له داود : فما بقي ؟ قال : العمل بما علمناه .

فاعتزله وترهّد وتعبد وانقطع لذلك حتى صار في المجاهدة فحلاً من الفحول ، هجر الوطن ووقف المواقف التي تهول وثبت حيث الأقدام تزل والأحوال تحول . (وقال محمد بن بشر) قدم علينا داود الطائي من السواد فكنا نضحك منه فما مات حتى سادنا . (وقيل) إنما سبب توبته أن امرأة جاءت الى أبي حنيفة تسالنه عن مسألة فأجابها فاعجبت بجوابه ثم قالت "هذا العلم فأين العمل ؟" فأثر كلامها في قلب داود فاعتزل وتعبد فصار عظيم الشأن علماً وزهداً وورعاً .

(وأته) بعض رفاقه في الدرس فقال : يا أبا سليمان جفوتنا . فقال : ليس مجلسكم ذاك من أمر الآخرة في شيء . ثم استغفر ثم قام فتركه .

(وكان) إذا خرج مشى في الطريق المهجورة البعيدة فيقال له الطريق من ههنا أقرب فيقول "فر من الناس فرارك من الأسد" . (ومكث) أربعاً وستين سنة أعزب ، قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه فليل كيف صبرت على النساء ؟ قال "قاسيت شهوتهن عند إدراكي سنة ثم ذهبت شهوتهن من قلبي" . قال أبو سليمان الداراني فمن صبر عنهن عند إدراكه سنة لم يعرفهن حلاً ولا حراماً .

(وقال أحمد بن ضرار العجلي) أتيت داود فوجدته في دار واسعة خربة ما فيها إلا بيت ليس فيه باب ، فقلت : يا أبا سليمان أنت في دار وحشة لو اتخذت لبيتك هذا باباً ماتستوحش . فقال : حالت وحشة القبر بيني وبين وحشة الدنيا وأهلها .

(وكان) قد ورث من أمه أربعمئة درهم فمكث يتقوت بها ثلاثين عاماً فلما نفذت جعل ينقص سقوف الدويرة فيبيعها حتى باع الخشب والبوازي واللبن الى أن بقي نصف سقف وكان باب داره مرقوعاً قصيراً لو أن غلاماً وثب لسقط الى الدار .

(وكان) الغالب عليه الحزن فكان يقول بالليل : إلهي همك عطّل عليّ الهموم وحاك بيني وبين الرقاد وشوقني الى النظر ومنعني اللذات والشهوات فأنا في سجنك أيها الكريم . وكان يترنم في السحر بشيء من القرآن فيرى إن جميع نعيم الدنيا في ترنمه تلك الساعة .

(وكان) لا يسرج سراجاً أبداً . وكان يُخبز له ستين رغيفاً يعلّقها بشريط يفطر كل ليلة على رغيفين

بملم وماء ، فجاءته ليلة من الليالي مولاة له بتمر على طبق فأفطر ثم أحيا ليله . فلما جاء وقت الإفطار قال جار له سمعته يحدث نفسه ويقول إشتهيت البارحة تمرأ فأطعمتك وإشتهيت الليلة تمرأ لا ذات داود تمرأ مادام في دار الدنيا ، فما ذاقه حتى مات .

(وقالت له مولاته) : لوطبخت لك دسماً . قال : فافعلي . فطبخت له شحماً ثم جاءت به فقال : ما فعل أيتام بني فلان . قالت : على حالهم . قال : إذهي به اليهم . قالت له : فديتك إنما تأكل هذا الخبز بالماء . فقال : إنني إذا أكلته كان في الحش ، فإذا أكله هؤلاء الأيتام كان عند الله عز وجل مذكوراً .

(وقال أبو أسامة) جئت أنا وابن عيينة الى داود الطائي فقال "قد جئتماني مرة فلاتعودوا اليّ" . وكان لا يخرج من منزله حتى يقول المؤذن قد قامت الصلاة فيخرج فيصلي فإذا سلم الإمام أخذ نعله ودخل منزله . (وقال أبو الربيع) كنت أحب أن أجتمع معه فكان ذلك دأبه فلما طال ذلك علي أدركته يوماً فقلت : أبا سليمان على رسلك . فوقف . فقلت : أوصني . قال : اتق الله وإن كان لك والدان فبرهما ثلاث مرات "ثم قال في الرابعة" ويحك صم الدنيا ثم اجعل الفطر موتك واجتنب الناس غير تارك لجماعتهم .

(وجاء) صديق له فقال له : ياأبا سليمان لو أعطيتني هذه الدنانير فأبضعتها لك لعلها تريح . فما زال به حتى دفعها اليه ثم فكر فيها فلقيه بعد العشاء الأخرى فقال : ارددها علي . فقال : ولم ياأخي ؟ قال : أخاف أن يدخل فيها شيء غير طيب فأخذها .

(وأناه ابن أخيه) فقال : ياعم هل تكره التجار ؟ قال : لا . فقال : أعطني شيئاً أتجرب به . فأعطاه ستين درهماً فمكث شهراً ثم جاء بعشرين ومائة درهم فقال : هذه ربحها . فقال : أنت كل شهر تريح الدرهم درهماً ينبغي أن يكون لك بيت مال أردت أن تخذعني . ثم رمى بها اليه وقال : رد علي رأس مالي . (وقال عبدالرحمن بن عمرو) إستشارني محمد بن عامر في ترك التجارة فأشرت عليه أنا ومحمد بن النعمان أن لايترك ، فكتب الي أخ له ببغداد ما أشرنا عليه فكتب اليه "إن أخويك لم ينصحك إن داود الطائي باع عقدة له فقيه له لو جعلتها في التجارة يدخل عليك منها شيء فقال لا إما أن تسبقني وإما أن أسبقها فجعل ينفق منها ديناراً ديناراً فمات وقد بقي منها دينار فكَفَّتْ به" .

(وعن صالح بن مسلم العجلي) قال دخلت على داود الطائي في مرض موته وليس في بيته إلا دية مقيراً يكون فيه خبز يابس ومطهرة ولبنة كبيرة يجعلها وسادة وهو على التراب وليس في بيته بارية (يعني الحصير) ولا قليل ولا كثير . (وكان) من جيران داود امرأة كبيرة أخته من الرضام فصنعت يوماً ثريدة بسمت ثم بعثت بها اليه حين إفطاره مع جارية لها . قالت الجارية "فأتيته بالقصعة فوضعها بين يديه فسعى لياكل منها فوقف سائل على الباب فقام ودفع اليه القصعة وجلس معه على الباب حتى أكلها . ثم دخل فغسل القصعة ثم عمد الى تمر كات بين يديه ظننت أنه كان أعدّه لعشائه فوضعه في القصعة ودفعها اليّ وقال أقرئها السلام . فأعطى السائل ماجنأه به وأعطاني ما أراد أن يفطر عليه وأظنّه مايات إلا طويلاً وكان قد نحل جداً" .

(وكان) في ليلة مقمرة فقام يمشي على السطم وهو شاخص حتى وقع في دار جار له ، قال فوثب صاحب الدار عرباناً من الفراش وأخذ السيف وظن أنه لص فلما رأى داود رجع ولبس ثيابه ووضع السيف وأخذ بيد داود حتى رده الي داره فقيه له ذلك فقال مادريت وماشعرت . (وقال أبو خالد) مررت أنا وسفياث الثوري بمنزل داود فقال لي سفياث : أدخل بنا اليه نسلم عليه .



فدخلنا فما احتفك بسفيان ولا إنبسط له فلما خرجنا قلت له : ياأبا عبدالله غاظني ما صنع بك . قال :  
أي شيء صنع بي ؟ قلت : لم يحتفك بك ولم يبتسم اليك . قال : إن أبا سليمان لايهتم في مودته أما  
رأيت غيبته عن نفسه هذا في شيء غير ما نحن فيه .

(وقال حماد بن الحنفية) جئت أنا والحسن بن زياد الى داود فقرعت الباب فخرجت عجوز ثم ردت الباب  
ورجعت تستأذن فسمعتة يقول "مادخل من داخل الدار ماأنا والناس وماأنا حتى يأتيني الناس؟" ثم أذن  
لنا . فلما دخلنا عليه قلت له : بلغني يا أبا سليمان أنك تقول "إذا صلى العبد وهو جنب يقوم أعاد ولم  
يعيدوا" . قال : كذا أقول . قلت : إن أبي وأصحابنا يقولون إن عليهم الإعادة .  
قال داود : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال "يعيد ولايعيدون" وما أبالي إذا وافقت عمر بن الخطاب  
بمن خالفت من أهل الأرض من بعده .

(ومر) داود يوماً بموضع فلما وقم نظره عليه خر مغشياً عليه فحمل الى منزله ، فلما أفاق سئل عن  
ذلك . فقال "تذكرت أني كنت قد إغتبت رجلاً في هذا الموضع فذكرت مطالبته إياي بين يدي الله عز وجل  
فلم أملك نفسي لأجل ذلك .

(وقدم) محمد بن قحطبة الكوفة وهو ابن عم داود فطلب مؤدياً يؤدب أولاده حافظاً للقرآن عارفاً بالسنة  
والآثار والفقه والنحو والتفسير والأصول والشعر وأيام الناس . فقبل له مايجمع هذه العلوم إلا داود  
الطائي . فأرسل اليه يعرض عليه ذلك ويسني له الأرزاق فلم يقبل . فأرسل اليه بكرة عشرة آلاف درهم  
صلة فلم يقبلها . فأرسل اليه بدرتين مع مملوكين وقال لهما إن قبلهما فإنهما حران . فلم يقبلهما فقالا  
له إن في قبولهما عتقنا ، فقال لكن في قبولهما رقي ورهن رقبتني في النار أرجع اليه وقولا له يردهما  
الى من أخذهما منه .

(وصام) أربعين سنة لايعلم به أهله وكان خرازاً وكان يحمل غداءه معه ويتصدق به في الطريق ويرجع  
الى أهله ويفطر عندهم عشاءً . (ولقبه) رجل فسأله عن حديث فقال له "دعني فاني أبادر خروج  
نفسي" . (وكان) سفيان الثوري إذا ذكر داود عظم أمره . (وقال) عبدالله بن المبارك وهل الأمر إلا ما كان  
عليه داود .

(وكان يقول) سبقني العابدون وقطم بي وا لهفاه . (وقال) إنما شرع تعلم العلم ليعمل به الطالب  
أولاً فأولاً ، فإذا قطم عمره في تحصيله فمتى يعمل . (وقال) علامة كمال الزهد في الدنيا ترك  
مجالسة أهلها وعبادتهم إذا مرضوا إلا بنية خالصة عن العلق . (وكان) لايتجرأ أن يسأل الله الجنة  
ويقول وددت أن أنجو من النار وأصير تراباً . (وقال) له رجل أوصني فقال عسكر الموت ينتظرك .  
(وقال) له آخر أوصني ، قال "أقلك من معرفة الناس" قال زدني ، قال "إرض بالقليل من الدنيا مع  
سلامة الدين كما رضي بها أهل الدنيا مع فساد الدين" . (وقال) إنما الليل والنهار مراحل ينزلها  
الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم ذلك الى آخر سفرهم ، فإب استطعت أن تتقدم في كل مرحلة  
زاداً لما بين يديها فافعل فتزود لسفرك واقض ماأنت قاض فإنك بالأمر قد بغتك والسلام . (وقال)  
لاتمهر الدنيا دينك فمن أمهرها دينه زفت اليه الندم . (وقال رجل) أريد تعلم الرمي ، فقال الرمي  
حسن لكنها أيامك فانظر بما تقطعها . (وقال) إن كان لك بدينك حاجة ففر من الناس فرارك من  
الأسد ، صغيرهم لايقرك وكبيرهم يحصي عليك عيوبك . (وقال) مسكين ابن آدم قطم الأحجار أهون

عليه من ترك الأوزار . (وقال) إصحب أهل التقوى فإنهم أيسر أهل الدنيا مؤنةً عليك وأكثرهم معونةً لك . (وقال) لسفيان الثوري رضي الله عنهما "إذا كنت تشرب الماء المبرد وتأكل اللذيذ المطيب وتمشي في الظل فمتى تحب الموت والقوم على الله؟" فبكى سفيان .  
(وقال الغزالي قدس الله سره) دخل رجل على داود فقال له : ما حاجتك ؟ قال : جئت لزيارتك . قال : أما أنت فقد عملت خيراً حيث زرت ولكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي من أنت فتزار أم الزهاد أنت لا والله أم الصالحين أنت لا والله . ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقاً فلما كبرت صرت مرئياً والله للمرئى أشد من الفاسق .

(وقال) إني أستحيي من الله أن يراني أخطو خطوة التمس فيها راحة نفسي في الدنيا حتى يخرجني منها . (وقيل له) لو أصلحت سقف هذا البيت . قال "أما علمت أنهم كانوا يكرهون فضول النظر وقد كان في سقف مجاهد خشبة مكسورة لم يشعر بها مدة ستين سنة" . (ودخل) أحد أصحابه مع صديق له على داود رضي الله عنه وهو على التراب فقال لصاحبه هذا رجل زهد . فقال داود "إنما الزاهد من قدر فترك" . (وقال) ما خرج عبد من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه الله بلا مال وأعزه بلا عشيرة وأنسه بلا أنيس . (وقال) كل نفس ترد على همها فمهموم بخير ومهموم بشر . (وقال له رجل) دلني على رجل أجلس إليه . قال تلك ضالة لا توجد .

(وروي) يوماً بشاطيء الفرات واقفاً مبهوتاً ، فقيل له : ما يوقفك هنا ؟ قال : أنظر إلى الفلك تجري في البحر مسخرات بأمره .

(وكان) يقول ما تقول إلا على حسن الظن بالله لإستيلاء التفريط على الأبدان .  
(وقال) حماد له رضي الله عنهما : يا أبا سليمان لقد رضيت من الدنيا باليسير . قال : أفلا أدلك على من رضي بأقل مما رضيت ، من رضي بالدنيا كلها عوضاً عن الآخرة .

(وقال) من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمه ضعف عمله وكل أت قريب ولك ماشقك عن ربك فهو عليك مشؤوم . (وقال) إن أهل الدنيا جميعاً من أهل القبور وإنما يفرحون بما يقدمون ويندمون على ما يخلفون ، فما عليه أهل القبور ندموا ، أهل الدنيا يتقاتلون عليه ويتنافسون .  
(وقيل له) ماتقول في رجل دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بمعروف ونهاهم عن منكر ؟ قال : أخاف عليه سوء . قيل : إنه يقوى . قال : أخاف عليه السيف . قيل : إنه يقوى . قال : أخاف عليه الداء الدفيع العجيب .

(وكانت) النملة تدور في وجهه طولاً وعرضاً فلا يفتن لها من همم والتفكر . (وقال محمد بن الحسن) كنت إذا جئت أسأله عن المسألة فإب وقم في قلبه أنها مما احتاجه في أمر ديني أجابني وإن وقع في قلبه أنها من مسائلنا هذه تبسم في وجهي وقال إن لنا شعلاً عن ذلك .  
(وقيل له) بعدما إنقطع وانعزل كنت تلازم أبا حنيفة وصحبه ثم اعتزلتهم ، قال "إذا كنا دهرنا في جمع الآلات فمتى يكون البناء؟"

(وقال) إنما بغية الأكياس ملك لا زوال له وعيش لا موت فيه . (وقال) صم عن الدنيا وأطير على الموت إذا كان عند المعاينة أتاك خازن الجنان بشرية من ماء الجنة تشربها على فراشك فتخرج من الدنيا وأنت ريان وتنزل القبر وأنت ريان وتخرج منه وأنت ريان ويمكث الناس يترددون في ظلمة

القيامه جياً عطاشاً ماشاء الله وأنت ريان .

(وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه) عزيتُ داود الطائي في أمِّ له ، فقلت له : أهلكَ الله الصبر والإحسان ووهب لك المغفرة والرحمة والهدى وأنا لله وأنا إليه راجعون . فقال : سبيك الناس كلهم الى الموت فمن أبغض الدنيا تبعتهُ ومن أحبها فلتتهُ ومن وثق بها خذلتها فباتت الدنيا فأنها أسحرُ من هاروت وماروت .

(وقال) لو أمّلتُ أن أعيش شهراً لرأيتني قد أتيت عظيماً وكيف أوّمل ذلك وأرى الفجائم تغشى الخلائف في ساعات الليل والنهار .  
(وبلغهم) أنه ذُكر عند بعض الأمراء فأتى عليه ، قال "إنما نبتغي ستره بين خلقه ولو يعلم الناس بعض ما نحن فيه ماذللنا لسان بذكر خير أبداً" .  
(وقال له) شعيب بن طلحة : أريد أن أشتري داراً بقربك ليكثر لقائي لك . فقال : إن مودةً يغيرها قلة اللقاء لمودةً مدخولة .

(وقال) ماتت امرأة بجواري ولم يكن لها كثير طاعة في الظاهر ، فرأيت في النوم كأن قائلًا يقول يا داود إطلع في قبرها فإطّلت فرأيت فيه نوراً عظيماً وفرشاً وطينةً وسرراً عالية ، فقلت يارب بماذا استوجبت هذه المنزلة . فنوديتُ ياداوود استأنست بنا في سجدتها فأنسناها في وحدتها .  
(وجاءه) بعض أصحابه بالفني درهم فقال داود : ياأبا سليمان هذا شيء جاءك الله به لم تطلبه وهو كما علمت حلالاً إنه لمن أمتك ماتأخذون . قال : فما يمنعك منه ؟ قال : لعل تركه ان يكون أنجى .  
(وجاءه) الفضيل بن عياض يوماً فلم يفتح له وجلس خارج الباب وداود داخله يبكي . فقيل لمحمد بن بشر كيف لم يفتح له الباب ، قال قد كان يفتح لهم فكثروا عليه فغموه فحجبهم كلهم فمن جاء كلمه من وراء الباب .

(وإحتج) يوماً فأعطى الحجّام أجرته ديناراً فقال الحجّام : هذا إسراف . فقال : لا عبادة لمن لا مروءة له .  
(وقال) رأيت ولياً من أولياء الله تعالى فقلت : ماغاية بلوغ محبة الله من قلبك ؟ فقال : لو جعل حساب الخلائف كلهم معي لسرّني ذلك ورغبتُ فيه . فقلت : ولم ذاك ؟ قال : ياداوود وهل للعبد مقام أشرف من وقوفه بين يدي الله عز وجل وهو يشاهده ويخاطبه . والله العظيم إن ذلك عندي أشرف الدرجات .

(وقال) إياكم أن يتخذ أحدكم في داره أكثر من زاد الراكب الى البلاد البعيدة .  
(ورأى) بعضهم في المنام كأن قائلًا يقول من يحضر من يحضر ؟ قال فأتيته فقال ماتريد قلت سمعتك تقول من يحضر من يحضر فأتيتك أسالك معنى كلامك ، فقال لي أما ترى القائم الذي يخطب على الناس ويخبرهم عن أعلى مراتب الأولياء فادركه فلعلك تلحقه وتسمع كلامه قبل إنصرافه ، فأتيته فإذا الناس حوله وهو يقول :

مانال عبد من الرحمن منزلةً أعلى من الشوق إن الشوق محمود  
ثم سلم ونزل فقلت لرجل الى جنبي من هذا ؟ قال أما تعرفه ؟ قلت لا . قال هذا داود الطائي فتعجبت من منامي ومما رأيت منه .  
(وكان يقول) كفى باليقين زهداً وكفى بالعلم عبادة وكفى بالعبادة شغلاً . (وقالت له) مولاته :

ياسيدي أما تشتهي الخبز؟ فقال لها : بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية .  
( وسبب مرض موته) أنه مرّ بأية فيها ذكر النار فكرها فأصبح مريضاً فدخل إخوانه وهو يبیت علی التراب وتمت رأسه لينة فلما مات خرج في جنازته ألوف حتى ذوات الخدور وحمل علی سریرین أو ثلاثة فبان السریر كان يتكسر من زحام الناس فيغير وصلی عليه مراراً عديدة .  
(وقال محمد بن عيسى الوائي) رأيت الناس يأتون ثلاث ليال مخافة أن تفوتهم جنازة داود ورأيت الناس كلهم يبكون عليه ماشبهته الأبيوم الخروج .  
(توفي) سنة إثنيتين وستين ومائة في السنة التي توفي فيها إبراهيم بن أدهم رضي الله عنهما . ولما وصلت جنازته الى القبر قال ابن داود السمّاك :

"ما عجب شأنك فإنك ألزمت نفسك الصمت حتى قويتها على العدل وأهنتها وإنما تريد كرامتها . وأدلتها وإنما تريد عزها ووضعتها وإنما تريد تشريفها وأتعبتها وإنما تريد راحتها . وأجعتها وإنما تريد شبعها وأظلماتها وإنما تريد ريها ، وخشنت الملبس وإنما تريد تليينه . وأمتت نفسك قبل أن تموت وقبرتها قبل أن تُقبر وعذبتها قبل أن تُعذب وغيبتها عن الناس لكي لا تُذكر . ورغبت بنفسك عن الدنيا فلم تر لها قدراً ولا خطراً ، وفقهت في دينك ثم تركت الناس جالساً . ما حسبك إلا قد اتبعت العابدين . فما أصغر ما بذلت وما أحقر ما تركت في جنب ما أملت وطلبت . أما أنت فقد ظفرت بروح العاجل وسعدت بعبادة الله عز وجل في الأجل . فلما شهد ربك والبسك رداء عملك لأنك لم تُش ما عملت في سرك فأظهر الله عز وجل اليوم ذلك . فلو رأيت اليوم كثرة من تبعك عرفت أن ربك سبحانه وتعالى قد أكرمك وشرّفك . فقل لعشيرتك اليوم تتكل بالسنتها فقد أظهر الله عز وجل اليوم فضلها . إن ربك سبحانه وتعالى لا يضيع مطيعها ولا ينسى صنيعها شكر لخلقها ما صنع هو بهم فيما أنعم عليهم من شكرهم إياه فسبحانه شاكراً ومجازياً ومثيباً .

(ولما) فرغ ابن السمّاك قام أبو بكر بن عياش على شفير القبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :  
"يارب إن الناس قد قالوا مبلغ ما عندهم مما علموا اللهم اغفر له برحمتك ولا تكلفه الى عمله"  
فأعجب الناس مما قال أبو بكر .

(وقال) محارب بن دثار لو كان داود في الأمم الماضية لقص الله علينا شيئاً من خبره رضي الله عنه ، ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة عنه سيدنا معروف الكرخي رضي الله عنه .

## سيدنا معروف الكرخي

رضي الله عنه

هذا السيد المولى من رجال السلسلة العلوية الأولى وبواسطته تلتقي بها هذه السلسلة وقد حصل لهذا السفر بركة ذكر جملة من مآثره غير مجملة فيما تقدم فلنصرف وجه القلم الى الكلام على رجال السلسلة الثالثة الصديقية الأعلام .

## السلسلة الثالثة الصديقية للطريقة العلية النقشبندية (قدّس الله أسرار سراتها السنية)

تقرر في المقدمة أوله باعث إرجاء هذه السلسلة من انه لإتسام مجال الكلام على ترجمة أحوال رجالها السادة العظام بسبب كثرتهم وإتصالهم بهذه الأيام وتنظيماً لحسنها وتعظيماً لشأنها جوهرتها بذكر اسم جوهره كنز الثقلين وخلاصة الكونين كما صنعت ذلك في السلسلتين السابقتين (أول التعيينات عليه أشرف الصلوات وأكمل التسليمات) قدمت الآن موجب تكرار اسمه المرقم الشأن راجياً دعوة بركته الوفية وراغباً بذلك الى درج القصيدة في هذه الدرج محمدية تشتمل على مدحه والإستغاثة به والإلتجاء الى أبوابه والتحدّث برؤياه في حضرة مناميه :

لَمْ أمدحتَ محمداً بقصيدتي ولكن مدحتُ قصيدتي بمحمد  
لعلي أن أشرف على خدمته وأنظم في سلك مدام رفيم عنبته . والوصول الى القبول مأمول من رحمة  
الرسول عليه من الصلوات أعمها والتسليمات أتمها ، فقلت :

إليك لعلي للمنى أتوصد  
تجمك بالتفصيل ما هو مجمل  
جميم الورى فسي ظلّه تتظلك  
عقول عن العلم اللدني تعقل  
وبجر علوم لا يحد فيمقل  
وفضلك عميم لا يقل في بخل  
عليه أتى يثنى الكتاب المنزل  
مقاماً علياً لم ينله التخيل  
الى الله إلا وهو عنه موكل  
وأعظم بروم للفدا تتواصل  
فوادي فوادي بالبلاء مبلبل  
فماخاب من في بابسه يتذلل  
رفعت اليه عرض حالي ويقبل  
على غير خير الأنبياء لأعول  
عظيم مقام في العلاء لا يملك  
بتبويضها إستغفاره يتكفل  
على العبد بالبشرى ونعم التفضل  
بتقبيل نعل طاب منه المقبل  
كحاضرة أو أدنى به تتجمل  
ملائكة الرحمن تحمي وتحمل

الهي بجاه المصطفى أتوسل  
بجاء رداء الكبرياء الذي به  
حبيبك جار المستجير الذي غدا  
رسول تعالي أن تحيط بوصفه  
له معجزات لا تعد فتنتهي  
وجاه عريض لا يرد مراده  
وخلق عظيم لا نظير له كما  
فسبحان من أسرى به وأناله  
وما من رسول قبله جاء داعياً  
فروحي روجي لإفتداء جلاله  
وسرربي سرربي للنبي محمد  
ودعني أقف ببابسه متذلاً  
لعد رسول الله يقبلني إذا  
ويصرف صرف الدهر عني فانني  
ولسي أمل في فضله مثلك ما له  
وإن سوّد العصيان وجه صحيفتي  
نعم أنعم المختار من محض فضله  
وشرف قدرى شرف الله قدره  
بتقبيل نعل سدره المنتهي غدت  
بتقبيل نعل الهاشمي الذي له

وحوّل عيّن ذلك الهوّل بالتّي  
فاشكره شكراً يليق بفضله  
وأحمّده مادمتُ حيّاً وكيف لا  
وأستغفر الله اليه من الذي  
صلاة صلاة الله ثم سلامه  
مع الآل والأصحاب والتابعين من

تليقت ولولا فضله لا يحوّل  
واشكوله ما قلّ عنه التحمّل  
وأحمدُ نعم المنعم المتفضّل  
حملتُ من الوزر العظيم وأحملُ  
عليه به منه اليه تنزّل  
بدور الهدى من نورهم تتكّمّل

ثم سرى هذا السرّ وتحوّل من إمام الأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خليفته الأول ومن عليه في الدين والدنيا المعوّل سيد سادات الطريق الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

## سيدنا الإمام أبو بكر الصديق رضي الله عنه

ماذا يقول أقلّ العبيد في تنويه من أنزل فيه من القرآن المجيد قوله (وسيجنّبها الأتقى الذي يوتي ماله يتركّي وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) . وقوله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدقت بالحسنى فسنيسره لليسرى) . وقوله تعالى (ثاني إثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) . ولما نزل قوله تعالى (ولم يخاف مقام ربه جنتان) . وقوله تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً) . ولما نزل قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي) قال رضي الله عنه يارسول ما نزل عليك خيراً إلا أشركنا فيه فنزل (هو الذي يصلّي عليك وملائكته) وقوله تعالى (وشاورهم في الأمر) وفي عمر رضي الله عنه عنهما . وقوله تعالى (نزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً) فيه وفي عمر رضي الله عنهم الى غير ذلك .

وورود شأنه من الأحاديث الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم : "ماطلعت شمس ولا غربت على أحد أفضل من أبي بكر إلا أن يكون نبياً" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "حب أبي بكر وشكره واجب على أمتي" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "إن روم القدس جبريل أخبرني إن خير أمتك بعدك أبو بكر" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "الله يكره في السماء أن يخطيء أبو بكر في الأرض" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "ما لأحد عندنا يداً إلا كافأناه إلا أبا بكر ، فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة ومانفعي ما أحد قط مانفعي ما أبي بكر" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "إن من أمت الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربيّ لإتخذت أبا بكر خليلاً ولكن إخوة الإسلام" . ومثل ذلك مما ملئت منه كتب الحديث والآثار .

(وهو رضي الله عنه) أول من أسلم وأول من سُمّي خليفة وأول من جمع القرآن وأول من سمّاه مصحفاً وأول خليفة فرض له رعيته العطاء وأول من اتخذ بيت المال وأول من لقب في الإسلام بالعتيق وأول من نافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأول من أنفق أمواله الجماء الغفير من المسلمين عليه صلى الله عليه وسلم ، وأول من وليّ الخلافة وأبوه حيّ وأول من عهد بها ، وأول من تسمّى بالصديق وأول خليفة ورثه أبوه . وهو ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام وثانيه في الهجرة وثانيه في الغار وثانيه في العرش وثانيه في القبر .

وله رضي الله عنه في الإسلام المواقف العالية وعلى الأمة المحمدية الأيادي المتواليمة منها : قصة صبيحة يوم الإسراء وثباته وجوابه الكفار في ذلك . وهجرته مع النبي صلى الله عليه وسلم تاركاً المال والعيال والأطفال . وفداؤه بنفسه في الغار ، ثم كلامه يوم بدرٍ والحديبية . وثباته حين اشتبه الأمر على غيره ، ففي تأخير دخوله مكة ثم فهمه وبكاؤه بشدة حينما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم "إن عبداً خير له بين الدنيا والآخرة فإختار ما عنده" . ثم ثباته عند المصيبة العظمى بانتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التي خرسَ عندها فحول الرجال . ولذلك قال بعض أهل الكمال إنه أشجع الصحابة في الأقوال والأفعال . وقتاله لأهل الردّة وبعث جيش أسامة في تلك الشدة وقتله مسيلمة الكذاب . وإستخلافه عمر بن



الخطاب . وكم له رضي الله عنه من مواقف وأثر ومناقب لاتحصى ولا تحصر .

(وكان) يقال له الأواه لشدة رأفته وكمال تقواه ، فأعظم به من رفيق صديق توحد في الأحوال بالتحقيق مختار الإختيار من دعاه الى أقوم طريق حتى صار للمحنة هدفاً وللبلاء غرضاً ، وزهد فيما عت له من جواهر وعرضاً . تفرّد بالحق عن الالتفات للخلق حتى جمع بين الجمع والفرد . وقد قيل (التصوّف) الإعتصام بالحقائق عند تباين الطرائق ، وقيل أحوال قاهرة وأخلاق طاهرة وحقائق ظاهرة .

(وأكرم) بسماعه مناجاة جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لم يره وإرسال السلام من الحق تعالى له مع جبريل عليه السلام وقول الله تعالى على لسان جبريل "هل أنت راضٍ عني بفقرك" واختصاصه باسم الصحبة والمعية الخاصة . (وكان رضي الله عنه) يتوصل بعد الوفا الى أربع مواقف الصفا وقد قيل (التصوّف) تفرّد العبد بالواحد الصمد الفرد .

(وكان) من أخلاقه الكاملة وأحواله الشريفة الفاضلة العزوف عن العاجلة للأزوف من الأجلة ، وقد قيل (التصوّف) تطليق الدنيا بتاتاً والإعراض عن منالها ثباتاً . استسقى يوماً فأتي بإناء فيه ماء فغسل فبكى وأبكى من حوله فسكت وسكتوا ، ثم عاد فبكى حتى علا النحيب وتواجد البعيد والقريب ثم أفات من غشيته ومسم وجهه ببردته ، فقالوا : ماهاجك على ذلك حتى ظنك كل منا أنه هالك ؟ قال : كنت مع المصطفى صلى الله عليه وسلم فجعل يدفع عنه شيئاً ويقول إليك عني إليك عني ولم أر معه أحداً ، فسألته فقال "هذه الدنيا تمثّلت لي بما فيها فزجرتها فتنحت وقاتل أما والله لأن إنفلت مني لاينفلت مني من بعدك" فخشيت أن تكون لحقتني فذلك الذي أبكاني .

(وكان) لايفارق الجد ولايجاور الحد وقد قيل (التصوّف) الجد في السلوك الى ملك الملوك . وكان يقدم على المضار لما يؤمل من المسار وقد قيل (التصوّف) السكون الى اللهيبي في الحنين الى الحبيب . وكان يقدم الحقيير معتاضاً للخطير وقد قيل (التصوّف) وقف الهمم على مولى النعم . أتى المصطفى صلى الله عليه وسلم بصدقته فأخفاها وقال هذه صدقتي ولله عندي معاد . وجاء عمر رضي الله عنه بصدقته فأفشاها وقال لي عند الله معاد . فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم ياعمر وترتت قوسك بغير وتر ما بين صدقتي كما بين كلمتيكما .

(وكان) في المصافاة صافياً وفي الموافاة وافيأ ، وقد قيل (التصوّف) استنفاذ الطوق في معاناة الشوق وترجئة الأمور على تصفية الصدور . (وكان رضي الله عنه) أكرم الناس رأياً وأعلمهم بتعبير الرؤيا وأكمل الصحابة عقلاً وأكثرهم صواباً قولاً وفعلاً . وكناه شرفاً وفضلاً قول إمام المرسلين : "إن الله يكره فوق سمائه أن يخطيء أبو بكر الصديق" .

وكان أعلم الناس به وأخوفهم له حتى كان يخرج من جوفه ربح الكبد المشوية . وكان يحتاط في مأكله ومشربه أشد احتياط وإذا أكل أو شرب ما فيه شبهة ثم علمه استقاء بإفراط . شرب لبناً من كسب عبده ثم سأل ، فقال تكنت لقوم فأعطوني فأدخل اصبعه في فيه وتقياً حتى ظن أن نفسه ستخرج ، ثم قال اللهم اني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء . (قال في الأحياء) كان يطوي ستة أيام وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول هذا أورد بي الموارد .

(ومن كلامه رضي الله عنه) لاخير في قول لايراد به وجه الله تعالى ولا في مال لاينفق منه في سبيل الله تعالى ولا فيمّن يغلب جملة حلمه ولا فيمّن يخاف في الله لومة لائم . (ومنه) إذا دخل

العبد العُجَب بشيءٍ من زينة الدنيا مَقْتَهُ الله حتى يفارق تلك الزينة . (ومنه) وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع . (ومنه) مَنْ ذاق من خالص المعرفة شيئاً شغله ذلك عمّا سوى الله واستوحش من جميع البشر . (ومنه) مَنْ مَقَتَ نفسه في ذات الله أمنهُ الله من مقتته . (ومنه) إِيَّاكُمْ والفخر وما فخر مَنْ خُلِقَ من تراب ثم يعود إليه ثم يأكله الدود . (ومنه) لا خير في خير بعده النار ولا شرّ في شرّ بعده الجنة .

(ودخل) رضي الله عنه حائطاً فإذا بطير في ظل شجرة فتنفّس الصعداء وقال "طوبى لك يا طير تاكل وتستظلُّ بالشجر وتصير الى غير حساب ياليت أبا بكرٍ مثلك" .

(وكان رضي الله عنه) إذا مُدِمَّ قال اللهم أنت أعلم مِنِّي بنفسي وأنا أعلمُ بنفسي منهم فاجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون .

(وكان) رضي الله عنه إذا قام الى الصلاة كأنه عود مقطوع لما يعتره من الخشوع .

(وقال رضي الله عنه) وددتُ أني شجرة تُؤْكَل وتعضد ، ولما مرضت قيل الأ ندعو لك طبيباً ؟ قال قد رأيته ، قالوا ما قال لك ؟ قال "قال لي إني فعّال لما أريد" . ثم دعا عمر رضي الله عنه فوعظه حتى أبكاه ، ثم قال إن حفظت وصيتي فلايكُ غائب أحبُّ إليك من الموت وهو أتيك وإن أنت ضيّعتها فلايكُ غائب أبغضُ إليك منه ولست بمعجزه . ثم قال لمن حضر أوصيكم بالله لفقركم وفاقتكم تتقوه وأن تثنوا عليه بما هو أهلُهُ وأن تستغفروه إنه كان غفّاراً والسلام .

(توفي) بين المغرب والعشاء ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة عن ثلاث وستين سنة على الأصح . وفي "تاريخ ابن عساکر" عن الأصمعي قال : قال خفاف بن ندبة السلمي يبكي أبا بكر شعراً ويندبه :

وكلّ دنيا أمرها للفنا  
عارية فالشرط فيه الأدا  
تنديه العين ونار الصدا  
يشكوه سقم ليس فيه شفا  
لم تزرع الجوزاء بقللاً بما  
ذو منزر رنّاش ولا ذو ردا  
مجتهداً شدّاً بارضِ فضا

ليس لحبي فاعلمنه بقا  
والملك في الأقوام مستودع  
والمرء يسمى ولهم راصد  
يهوم أو يقتل أو يقتهره  
إن أبا بكر هو السفيث إن  
تالله لا يدرك أيامه  
من يسم كي يدرك أيامه

وقد أشبع الجلال السيوطي رحمه الله تعالى الكلام على ترجمته مفصلاً في كتابه "تاريخ الخلفاء" فمن أحبّ الزيادة فليرجع اليه . ولما بلغ بي اليرام الى هذا المكان غاص في بحر محبته وصاغ هذه القصيدة في خدمة مدحته رضوان الله عليه :

وطالعهُ جلالاً فسي جلال  
ولم يدروا حراماً من حلال  
ومرّقت بالهدى برد الضلال  
شفيهم الكلف في يوم السؤال  
وبالإحسان حسنت كل حال

تجلّى في السموات الكمال  
وقد ضلّ الورى في ليل كفر  
فأشقرت العوالم من سنائه  
ختم الرسل خير الخلق طه  
فبإيمان أهدى كل هدى

ونال به الصحابة كل فضل  
دعاهم للهداية فاستجابوا  
وحنوا إذ حنوا قلباً عليه  
فما يقضيه يمضيه تعالى  
فمنهم بالشرعية ذو انصاف  
ومنهم من له قدم عظيم  
وذلك هو أعلاهم مقاماً  
أبو بكر خليفة المهدي  
هو الصديق من نال الأمان  
إمام الكل أول من تصدى  
وثبت جاشه وحما حماه  
وأدنى في فداه كل عال  
فكم أفنى صياماً من نهار  
وفادى من أسير ورقيق  
وأوقم فيه أهل الشرك شراً  
فقابل كل مكروه بما لا  
وناضل عن رسول الله يعدو  
وهاجر وهو ثاني اثنين معه  
وقام بنصره لم يأل جهداً  
يكف شرور أهل الكفر عنه  
وشاد دعائم الإسلام  
فاخمد بالخلافة نار خلف  
وثقف بالهدى رمحاً محلي  
وجرد من سيوف الله سيفاً  
رقاب المشركين له قراب  
كان ذبابه بالفتك فيهم  
سقى الله حساماً ماهماً شوقاً  
كان ظباه صبب الأعادي  
لسطوته الملوك الصياد القوا  
وكم ملؤا إذا ذكروه رعباً  
وكم هجروا المضاجع باضطراب  
فدمر كل مرتد وأخياً  
وألقى الأسود العنسي يقفو  
وأنفذ نحو أرض الشام جيشاً  
فشئت شمل قيصر وهو ماهو  
وصال بعزم الله شارقاً

وفضل المصطفى بحر النوال  
دعاه باحتفاء وإحتفال  
الى شرف المعارف والمعالي  
ويفضي للتقدم والتعالي  
ومنهم بالحقيقة ذو إتصال  
من الأمرين فوق الكل عال  
وأعلمهم بحال أو مقال  
وبعد الأنبياء خير الرجال  
بصدق ، والمنى صعب المنال  
لتصديقت النبي بكل قال  
ومال اليه ينفق كل مال  
من الدنيا وأرخص كل غال  
وكم أحيا قياماً من ليال  
لوجه الله كالمولى بلال  
تدك لله الجبال فلم يبال  
يطاق من الرضا والإحتمال  
على أمداً حقه النضال  
ولم تخطر الدنيا له ببال  
ببيض الهند والسمير الطوال  
ويدفع باليمين والشمال  
دعي خير الوري للإنتقال  
وأرضى الكل من صحب وأه  
بحلي كمال وإعتدال  
تجرد عن خلاف الإمتثال  
ورشق دمائم ماء الصقال  
رضيم لم يروم بالفصال  
الى هام العدا بالإغتيال  
ظباء فهي في شغف الوصال  
مقاليد البلاد بلا قتال  
فكيف إذا دعاهم للنزال  
مخافة أن يروه في خيال  
زكاة المال حتى من عقال  
مسيلمة الى أشقى مال  
تولاه أسامة بارتجال  
وأجأه الى ضيق المجال  
وغرباً غير مقلول النضال

فأيدّ دولة الإسلام منه  
وقلّد جيد كك محمدٍ  
أيادي قد جرت بحراً محيطاً  
أيادي لا يكافؤها شكوراً  
وأوصى بالخلافة بعد هذا  
محبّته على العقلاء فرض  
فطوبى للأولي طابت لديهم  
وويل للأولي إنتحلوا عليه  
وكيف يصوغ أن يُصغى إلى  
وإن الله في القرأت أثنى  
وبالحبّ الحقيقي زاد قُرباً  
وبالذكر الخفي لقد تملّى  
ولولاه لصار الناس فوضى  
جزاه الله عنّا كلّ خيرٍ  
ومكّن جنده من مَبِفضيه  
ورضوان من الله تعالي  
وصلّى بالسّلام على نبي

بأيدي لا تميلك إلى الملال  
أيادي أثقلت ظهر الجبال  
فكيف تُقاس بالسحب الثقال  
عن الإسلام الآذو الجلال  
إلى الفاروق حفظاً للمال  
تُنال به النجاة من الوبال  
موارد ودم الصفا في الزلال  
فما أولاهم بالإنتحال  
ماحكي فنة الفناء من المحال  
عليه بما تلاء كل تال  
تحامته الملائكة العوالي  
من العلم اللدنّي الأمالي  
وأحكام الشريعة في إختلال  
يؤدي حقّ هاتيك الفعّال  
بصمّ النعمال على القُذال  
عليه إليه منه بلا إنفصال  
تجلّى في سموات الكمال

ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة منه سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه .

## سيدنا سلمان الفارسي

### رضي الله عنه

الإمام علم الأعلام وابن الإسلام ، الحاكم الحكيم والعالم العليم ، أحد الرفقاء والنجباء ومَن إليه تشتاق الجنَّة من الغرباء . ثبت على القلَّة والشدائد لما نال من الصلَّة والعوائد . (وقد قيل) التصوَّف مقاساة القلق في مراعاة العلق .

(أصله) من قرية من فرس أصفهان من ديار العجم وكان مجوسياً وقد سافر الى أرض الشام وصحب بها رهبان النصراني سنياً عديدة ، ثم سافر الى الروم ووصل الى عمورية وهي بروسه وصحب رهبانها فأخبروه بقرب عهد النبي صلى الله عليه وسلم . فسافر يطلب الدين مع قومه فغدروا به فباعوه لبني قريظة من اليهود . أسلم عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . ثم كوتب فآدى عنه صلى الله عليه وسلم كتابته وأعتقه . وهو عظيم المناقب ولو لم يكن من مناقبه إلا قوله صلى الله عليه وسلم "السباقي أربعة" وعدّه منهم ، وقوله صلى الله عليه وسلم "سلمان منّا أهل البيت" وقوله "إنه أحد الذين تشتاق إليهم الجنَّة" وقوله "إن الله يحبُّ من أصحابي أربعة" وذكره منهم .

(وكان) من أكابر الزهَّاد وتزوج امرأة من كندة فدخل بيتها فوجده منجداً ، فقال "أمحموم بيتكم أم تحولت الكعبة الى كندة ، أوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يكون متاعي من الدنيا إلا كزاد الراكب" فلم يدخل حتى نزم كلَّ ستر في البيت .

(وسئل) عنه علي كرم الله وجهه فقال : "أدرك العلم الأوَّل والأخر بحر لا ينزف" . (ونزل) هو وحذيفة على نبطية فالتمس منها مكاناً يصلِّي فيه فقال "طهر قلبك وصلِّ حيث شئت" فبكى وقال لحذيفة "خذها حكمة من قلب كافر" .

(وكان) إذا جنَّ الليل صلى فإذا أعياناً ذكر الله بلسانه فإذا أعياناً تفكَّر في آيات الله وعظمته ثم يقول لنفسه "استرحت فقومي!" فإذا صلى زماناً قال للسان "استرحت فأذكر!" وهكذا طوال الليل . (وكان) عطاؤه خمسة آلاف درهم وكان أميراً بالمدائن على زهاء ثلاثين ألفاً ومع ذلك يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها ، ولم يكن له بيت يظله وإنما يدور مع الظلِّ حيث دار .

(وكان) إذا خرج عطاؤه فرقه ولا يأكل إلا من كدَّ يده في عمل الخوص . (وكان) يجمع ما عمله بيده فيشتري به لحماً وسمكاً ويدعو المجذومين فيأكلون معه . (وكان) غالب الناس يسخرونه في حمل متاعهم وهو أمير لعدم معرفتهم به ولرثائه حاله فربما عرفوه فيريدون يحملون عنه فيقول لا حتى أوصلكم الى المنزل .

(وكان) يعمل الخوص ويقول أشترى خوصاً بدرهم فأعمله فأبيعه بثلاثة دراهم فأعيد درهماً فيه وأنفق درهماً على عيالي وأتصدَّق بدرهم . (وكان) لا يأكل من صدقات الناس .

(وقال) له بعض غلمانته كاتبني فقال : لك شيء؟ قال : لا . قال : فمت أين تؤدي . قال : أسأل الناس . قال : أتريد أن تطعمني غسالة الناس .

(وهو) سابق الفرس وبلال سابق الحبشة .

(وأصاب) جارية فارسية فقال لها : صلِّاً فقالت : لا . فقال : فاسجدي واحدة . قالت : لا . فقيل له ما تُغني سجدة واحدة . فقال : لو سجدتُ صلّت وليس من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له .  
(وأرسل) أبا الدرداء يخطبُ له امرأة فذكر لأهلها فضله وسابقتها ، فقالوا "أما سلمان فلا نزوجه لكن نزوجه" فتزوجها فخرج . فقال له : قد كان شيء أستحي أن أذكره لك . قال : ماذا ؟ قال : فأخبره بما جرى ، فقال لأبي الدرداء : أنا أحقُّ أن أستحي منك أن أخطبها وقد كان الله قضاها لك .  
(وتفاخرت) قريش عنده يوماً فقال : "لكنني خلقتُ من نُطفة مزرعة ثم أعود جيفة منتنة الى الميزان فإن ثقل ميزاني فانا كريم وإن خفَّ فانا لنقيم" . (وخطب عمر رضي الله عنه) فقال : أنصتوا حتى أسمعكم . فقال سلمان : والله لا نسمعك . فقال : لم ؟ قال : لأنك تفضل نفسك على رعيتك . قال : كيف ؟ قال : عليك ثوبان وعلى الحاضرين ثوب واحد . فقال : مهلاً ياأبا عبدالله .  
ثم نادى يا عبدالله فلم يجبه أحد فقال "يا عبدالله بن عمر" ، قال لبيك فقال له : أنشدك الله أما تعلم أن هذا الثوب الثاني ثوبك ؟ قال عبد الله : اللهم نعم .  
فقال سلمان : الآن نسمع لك ونطيم .

(ودخل) عليه أبو قلابة حال إمارته فوجده يعجب فقال ما هذا ؟ قال : بعثت الخادم في عمل فكرهت أن أجمع عليه عملي . (ودخل) رجلان في حصن بناحية المدائن وهو أميرها فسألما ثم قالا : أنت سلمان ؟ قال : نعم . قالا : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لأدري . فارتابا وقالا لعله غير الذي نريد . فقال : أنا الذي تريدان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجالسته ، وإنما صاحبه من يدخل معه الجنة .

(ودخل) على مريض يعوده وهو في النزم فقال : "أيها الملك ارفقاً به" فقال المريض إنه يقول بكل مؤمن رفيق . (وكتب) إليه أبو الدرداء أن هلم إلى الأرض المقدسة . فكتب إليه إن الأرض لا تقدس أحداً وإنما يقدس المرء عمله وقد بلغني أنك جعلت طبيباً فإن كنت تبرأ فنعماً لك وإن كنت متطبباً فأحذر أن تقتل إنساناً فتدخل النار . فكان أبو الدرداء إذا قضى بين إثنتين فأدبر فنظر إليهما وقال : "متطبب والله أرجعاً الي أعيديا قصتيكما" . (ودخل) على أبي الدرداء في يوم جمعة فقيل هو نائم ، فقال ماله ؟ قال إنه يحيي ليلة الجمعة ويصوم نهارها ، فأمرهم فصنعوا طعاماً ثم قال له كُ ، فقال إني صائم فلم يزل به حتى أكل ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له ، فقال صلى الله عليه وسلم : "عويمر ، سلمان أعلم منك ثلاث مرات - وهو يضرب بيده على فخذ أبي الدرداء - لا تخص ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام" .

(ولما بنى على أهله) قال لها بعدما مسح بناصيتها ودعا بالبركة : "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاني إذا اجتمعت مع أهلي أن أجمع على طاعة الله" فقام وقامت إلى المسجد فصليا ما بدا لهما ثم خرج فقضى حاجته .

(ومن كراماته) أنه خرج من المدائن ومعه ضيف وإذا بظباء تسير في الصحراء وطيور في الهواء فقال لياتني منك طيرٌ وظبي فقد جاءني ضيفٌ أحبُّ إكرامه فاتياه فقال الرجل سبحان الله . فقال له سلمان "تعجب ، هل رأيت عبداً أطام الله فعصاه شيء" . (وروى) الحافظ أبو نعيم قدس الله روحه عن الحارث بن عمير قال : "انطلقت فاتيت المدائن فإذا أنا برجلٍ عليه ثيابٌ رثة ومعه أديم أحمر يعركه فالتفت فرأني

فقال مكانك يا عبد الله ، فقلت لمن كان عندي من هذا الرجل ؟ فقال سلمان . فدخل بيته فلبس ثياباً بيضاً ثم أقبل وأخذ بيدي وصافحني وسألني . فقلت يا أبا عبد الله ما رأيتني فيما مضى ولا رأيتك ولا عرفتني ولا عرفتك . فقال بلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الأرواح جنودٌ مجنّدةٌ فما تعارف منها ائتلفت وما تناكر منها اختلفت .

(ومن كلامه) العلم كثير والعمر قصير فخذ ما تحتاجه لدين ودع ما سواه . (وقال) إنما تهلك هذه الأمة قبيل نقض موثيقها . (وقال) مثلُ القلب والجسد مثلُ أعمى ومُتَعَدِّ ، قال المُتَعَدِّ أرى ثمرة فلا أستطيع أن أقوم إليها فأحملني فحملهُ فأكلَ وأطعمهُ . (وقال) لا تكوننَّ إن استطلعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته . أخرجه مسلم . (وقال) له عبد الله بن سلام إن ميتَ قبلي فأخبرني ما تلقى وإن ميتَ قبلك أخبرك . فمات سلمان قبله فأراه فقال كيف أنت ؟ قال بخير ، قال أي الأعمال وجدت أنعم ؟ قال وجدت التوكُّل شيئاً عجيباً . وفي رواية عليك بالتوكُّل نعم الشيء التوكُّل . (وقال) إنما مثلُ المؤمن في الدنيا كمثل مريضٍ معه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه فإذا اشتهى ما يضرُّه منعه وقال لا تقربه فإنك إن أتيتهُ أهلكَ ولا يزال يمنعه حتى يبرأ من وجعه ، وكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة فيمنعه الله عزَّ وجلَّ ويحجزه حتى يتوفاهُ فيدخله الجنة . (وقال) ثلاثٌ أعجبتني حتى ضحكتم : مؤمِّلُ الدنيا والموتُ يطلبهُ ، وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه ، وضاحكٌ ملءٌ فيه ولا يعلم أساخطٌ عليه ربُّ العالمين أم راضٍ ، وثلاثٌ أجزتني حتى بكيت : فراقُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهولُ المظلم ، والوقوف بين يدي ربِّي عزَّ وجلَّ لأدري إلى الجنة أم إلى النار .

(وقيل له) وقد اشتري وسقاً من طعام يا أبا عبد الله تفعلُ هذا وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال إن النفس إذا أحرزت قوتها إطمأنت وفرغت لعبادة الله عزَّ وجلَّ وينسب منها الوسواس . (وعن) عطية بن عامر قال رأيت سلمان رضي الله عنه أكره على طعام فقال حسبي حسبي فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أكثر الناس شعباً في الدنيا أطولهم جوعاً في الآخرة يا سلمان إنما الدنيا سجنُ المؤمن وجنةُ الكافر" . (وروى أبو الفرج رحمه الله) بسند إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : "حدثني سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : كنتُ فارسياً من قرية من قرى أصفهان تسمى (جي) وكان أبي دهقان قريته وكنتُ أحبُّ خلق الله إليه فلم يزل حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية واجتهدت في المجوسية وكانت لأبي ضيعةً عظيمةً يشتغل في شأن له يوماً فأمرني أن أذهب إلى ضيعته وأوصاني ببعض ما يريد . فخرجت أريد ضيعته فمررتُ بكنيسة من كنائس النصراني فسمعتُ أصواتهم فيها وهم يصلون وكنتُ لأدري ما أمر الناس لأنني محبوب في البيت . فدخلتُ عليهم أنظر ما يصنعون فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبتُ في أمرهم وقلتُ هذا والله خيرٌ من الذي نحن فيه . فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس وتركتُ ضيعة أبي فلم أتها وقلت لهم أين أصلُ هذا الدين ؟ قالوا بالشام . فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله فلما جنته قال : إي بُني أين كنت ، ألم أكن عهدتُ إليك ما عهدتُ ؟ قلتُ : يا أبتُ مررتُ بأناس يصلون في كنيسة فأعجبني ما رأيتُ من دينهم فوالله ما زلتُ عندهم حتى غربت الشمس . قال : إي بُني ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين أبائك خيرٌ منه . قلتُ : كلا والله إنه خيرٌ من ديننا .

فخافني فجعل في رجلي قيدياً ثم حبسني في بيته وبعثتُ الى النصارى أنه إذا قدم عليكم تجاراً من نصارى الشام فأخبروني بهم . فقدم عليهم ركبٌ من الشام فأخبروني بهم . فلما ساروا سرتُ معهم حتى قدمتُ الشام ، فسألتُ من أفضلُ هذا الدين قالوا الأسقف في الكنيسة فجننتُهُ فقلتُ إنني أحببتُ أن أخدمك في كنيسةك وأتعلّم منك وأصلي معك ، قال فادخل فدخلتُ معه . وكان رجلاً سوء يأمرهم بالصدقة ويرغب فيها فإذا جمعوا اليه منها شيئاً إكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع . ثم مات فاجتمعت اليه النصارى ليدفنوه فقلتُ لهم إن هذا رجل سوء وأخبرتهم بخبره قالوا وما علمكُ بذلك ؟ فأريتهم موضع كنزهِ فاستخرجوا منه سبعم قُلالاً مملوءة ذهباً وورقاً . فلما رأوها قالوا والله لاندفننه أبداً وصلبوه ثم رموه بالحجارة . ثم جاؤوا بأخر فجعلوه مكانه فما رأيتهُ رجلاً أفضلَ منه صلاةً وزهداً في الدنيا ورغبةً في الآخرة ودأباً ليلياً ونهاراً على عبادته . فأحببته كثيراً وأقامتُ عنده زمناً ثم حضرته الوفاة فقلتُ له إنني كنتُ معك وأحببتك حباً عظيماً وقد حضرَكَ ماترى من أمر الله تعالى فإلى منَ توصي بي وماتأمرني ؟ قال إي بني والله ما أعلم اليوم أحداً على ماكنتُ عليه ، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ماأمروا به إلا رجلاً بالموصل هو فلان وهو على ما كنتُ عليه فالحقُ به . فلما مات وغُيِبَ لحقتُ بصاحب الموصل فأخبرته بالوصية فقال لي أقمِ عندي . فأقامتُ عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن حضرته الوفاة فقلتُ له إن فلاناً أوصاني إليك أمرني باللحوق بك وقد دنا أهلك فإلى منَ توصي بي وماتأمرني ؟ قال إي بُني والله ما أعلم أحداً على مثل ماكنتُ عليه إلا رجلاً بنصيبين هو فلان فالحقُ به . فلما مات لحقتُ بصاحب نصيبين فجننتُهُ فأخبرتهُ خبري قال فأقمِ عندي فأقامتُ عنده . فوجدته على أمر صاحبيه خير رجل فوالله مالبث أن حضرته الوفاة ، فقلتُ له كما قلتُ للأول والثاني . قال إي بني والله ما أعلم أحداً بقي على أمرنا أن تاتيهِ إلا رجلاً بعمورية (هي مدينة بروسة) فإن أحببتُ فأتته ؟ فلما مات ووري لحقتُ بصاحب عمورية فذكرتُ له أمرِي قال فأقمِ عندي ، فأقامتُ عند رجلٍ على عهد أصحابه فإكتسبتُ حتى كانت لي بقرات وغنيمات ، ثم حلَّ به أمر الله تعالى عزَّ وجلَّ . فلما احتضرتُ قلتُ له مقالتي المتقدمة ، قال إي بُني والله ما أعلم أصبح على ماكنّا عليه أحدٌ من الناس أمرك أن تاتيته ولكنه قد أظلكَ زمان نبيٍّ هو مبعوثٌ بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجر إلى بين حرمين بينهما نخلٌ به علامات لاتخفى يأكل الهدية لا الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعتُ أن تلحقُ بتلك البلاد فافعل . ثم مات فدفنناه ومكثتُ بعمورية ماشاء الله أن أمكث ، ثم مرَّ بي رجال من كلب تجار فقلتُ لهم تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكُم بقراتي وغنيمتي هذه فقالوا نعم . فأعطيتهم إياها وحملوني . فلما قدّموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجلٍ من اليهود عبداً . فكنتُ عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي . ولم تحزن نفسي فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عمٍ له من المدينة من بني قريظة فإبتاعني منه فإحتملني إلى المدينة . فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتُها بصفة صاحبي فأقامتُ بها وبعث الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأقام بمكة ماأقام ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرِّق . ثم هاجر إلى المدينة فوالله إنني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس إذ أقبل ابنُ عمٍ له حتى وقف عليه فقال فلان : قاتلَ الله بني قَيْلَةَ (يعني الأوس والخزرج) الآن والله إنهم لمجتمعون



بقبَاء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعم أنه نبي .  
فلما سمعتها أخذتني العرواء وظننتُ كاني ساقط على سيدي ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لإبن عمه : ماذا تقول ؟ فغضب سيدي ولكمني لكمةً وقال : مالكَ ولهذا أقبل على عملك . قلت : لاشيء إنما أردتُ أن أستثبته عما قال .

وكان عندي شيء قد جمعته فلما أمسيت ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقبَاء . فدخلتُ عليه فقلتُ قد بلغني أنك رجلٌ صالح ومعه أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتم أحقَّ به من غيركم وقربتهُ إليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه كلوا ومسك يده فلم يأكل . فقلتُ في نفسي هذه واحدة . ثم إنصرفت عنه فجمعتُ شيئاً وقد تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجنّتهُ به قلتُ : اني رأيتك لاتأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها . فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه فاكلوا معه فقلتُ في نفسي هاتان اثنتان . ثم جنّتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقم وقد تبم جنازة مع أصحاب له عليه شملتان وهو جالس في أصحابه . فسلمتُ عليه ثم استدرت أنظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي . فلما رأني صلى الله عليه وسلم استديرته عرف أني أستثبت في شيء ووصف لي . فألقى رداءه عن ظهره فنظرتُ الى الخاتم فانكبتُ عليه أقبله وأبكي ، فقال لي تحوّل . فتحوّلتُ فقصصتُ عليه حديثي كما حدّثتك يا ابن عباس . فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع أصحابه ثم شغلني الرّق حتى فاتني معه بدر وأحد . ثم قال صلى الله عليه وسلم ياسلمان كاتب . فكاتبتُ صاحبي على ثلاثمائة نخلة أخببها له بالقفيز - يعني البئر - وباربعين أوقية قال لأصحابه أعيونا أياكم فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين والرجل بخمسة عشر والرجل بعشرة ، يعينني الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب ياسلمان فقفرُ فإذا فرغت أكون أنا الذي أضعها بيدي . فقفرتُ لها وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت منها فجنّتهُ فأخبرتهُ فخرج صلى الله عليه وسلم معي إليهما . فجعلنا نقرب الودي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضعه بيده . فوالذي نفس سلمان بيده ماماتت منها ودية واحدة وأديتُ بقبي عليّ المال . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال ما فعل سلمان الفارسي المكاتب . فدعيتُ له فقال خذ هذه فأدّها مما عليك . فأخذتها فوزنتُ لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأديتهم وعنتتُ . فشهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يقفني معه مشهد .

(ودخل) سعد بن أبي وقاص عليه ليعوده رضي الله عنهما فبكى سلمان ، فقال له سعد : ما يبكيك توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راضٍ وتردُّ عليه الحوض ؟ فقال سلمان : ما أبكي فرعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدَ لي عهداً فقال "ليكن بلغة أحدكم مثل زاد الراكب" وحوالي هذه الأساودة وإنما حوله أجانة وجفنة ومطهرة . فقال له سعد : أوصنا . قال : اذكر ربك عند همك إذا هممت وعند حكمك إذا حكمت وعند يدك إذا قسمت . (ولما) مات بيع متاعه كلّه فبلغ أربعة عشر درهماً .

(وقيل له) أوصنا . فقال : " مَنْ استطام منكم أن يموت حاجاً أو غزياً أو عامراً لمسجد ربّه فليفعل ولا يموتت تاجراً ولا جابياً . (وكان) قد أصاب صرّة مسك أودعها امرأته فلما حضرت الوفاة قال هات مسكاً فأمرتيم في ماءٍ ثم أنضحيه حولي فإنه يأتي الآن زوار ، ففعلت فلم يمكث إلا بقيّة يومه .  
(ثم توفي رضي الله عنه) وذلك سنة ست وثلاثين أو أربع وثلاثين في داء البطن بالمدائن في خلافة عثمان رضي الله عنه وعمره مائتان أو ثلاثمائة وخمسون سنة ، أما الأول فعليه عند المؤرخين المعول . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة منه سيدنا القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

## سيدنا أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين

العالم المُفتي الفقيه الورع الزاهد الحجة النبيه ، كان بغوامض الأحكام فائقاً والى محاسن الأخلاق سابقاً .  
(وقد قيل) التصوّف الفتق للرتق والرفق للفتق . (قال أبو أيوب السخيتاني رضي الله عنه) مارأيت أفضل  
من القاسم ، لقد ترك مائة ألف وهي له حلال . وجاءه أعرابي فقال : أنت أعلم أو سالم ؟ فقال : ذاك منزل  
سالم .

فلم يزد عليه حتى قام الأعرابي ، قال محمد بن إسحاق "كراه أن يقول هو أعلم مني فيكذب أو يقول أنا  
أعلم منه فيزكي نفسه" وكان القاسم أعلمهما .  
(وقال مالك) قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهما لو كان لي من الأمر شيء لوليت القاسم الخليفة .  
(وقال) سفريات اجتمعوا الى القاسم في صدقة قسّمها وقام يصلي فجعلوا يتكلمون فقال ابنه انكم  
اجتمعتم على رجل والله مانال منها درهماً ولا دانقاً . فأوجز في صلاته وقال يابني قل فيما علمت . يقول  
سفريات وصدق ابنه ولكن أراد تأديبه في النطق وحفظه .

(وهو) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وهم القاسم المشار إليه وخارجه بن زيد بن ثابت الأنصاري وسعيد  
بن المسيب وعروة بن الزبير وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة ابن مسعود ولد ابن أخي عبدالله بن مسعود  
الصحابي وأبو بكر عبدالرحمن بن الحرث بن هشام كان الحرث من جملة الصحابة رضي الله عنهم أخو أبي  
جهل وسليمان بن يسار مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخو عطاء وهؤلاء الفقهاء  
السبعة كانوا بالمدينة في عصر واحد وعندهم إنتشر العلم والفقہ في الدنيا . وقد جمعهم بعض العلماء في  
بيتين فقال :

ألا كل من لا يقتدي بأئمة      فقسّمته ضيزى عن الحقّ خارجه  
فخذهم عبيدالله عروة قاسم      سعيد سليمان أبو بكر خارجه

ولولا كثرة حاجة فقهاء زماننا الى معرفتهم لما ذكرتهم لأن في شهرتهم غنية عن ذكرهم في هذا  
السفر . وإنما قيل لهم الفقهاء السبعة وخُصوا بهذه التسمية لأن الفتوى بعد الصحابة رضوان الله عليهم  
صارت إليهم وشهروا بها . وقد كان في عصرهم جماعة من التابعين مثل سالم بن عبدالله بن عمر وأمثاله  
ولكن الفتوى لم تكن إلا لهؤلاء السبعة ، كذا قال الحافظ السلفي . (وقد تقدّم) في ترجمة زين العابدين  
علي بن الحسين رضي الله عنهما أنهما كانا ابني خالة وأن القاسم والدته ابنة يزيد جرد آخر ملوك الفرس  
وكذلك زين العابدين وسالم بن عبدالله بن عمر والقصة مستوفاة هناك .

(ولما مات) عبدالملك بن مروان أسف عليه عمر بن عبدالعزيز أسفاً منعه من العيش وقد كان ناعماً  
فلبس مسحاً سبعين ليلة ، فقال له القاسم بن محمد أما علمت أن من مضى من سلفنا كانوا يحبون  
استقبال المصائب بالتحمل ومواجهة النقم بالتجمل . فراح من يومه في مقطعات من حبر اليمت شراؤها  
ثمانمائة دينار وفارق ماكان يصنع .

(وعن حماد بن زيد) عن أيوب قال سمعت القاسم يسأل عن شيء فيقول لأدري فلما أكثروا عليه قال

والله ما أعلم ماتسألون عنه ولو علمنا ما كتمناكم ولا حلّ لنا أن نكتمكم .  
(وعن عبدالرحمن بن أبي الزناد) عن أبيه قال ما رأيت أحداً أعلم بالسنة من القاسم وكان الرجل لا يعدو رجلاً حتى يعرف السنة .  
(ومن كلامه) لأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله عليه خير له من أن يقول ما لا يعلم . (وكان يقول في سجوده "اللهم اغفر لأبي ذنبه في عثمان" .  
(وعن أيوب) قال رأيت على القاسم رضي الله عنه رداءً قد صبغ بشيءٍ من زعفران ويدم مائة ألف لا يرى لها قدراً .  
(أسند) القاسم الحديث عن عائشة وابن عباس وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم وخرج له السنة وعامة مسانيدهم في المناسك والأحكام وكان أفضل أهل زمانه .  
(وقال مالك) كان القاسم من فقهاء هذه الأمة ولما احتضر قال : كفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وقميصي وإزاري وردائي . فقال ابنه : يا أبت ألا نزيد ثوبين ؟ فقال : هكذا كُفّن أبو بكر رضي الله عنه في ثلاثة أثواب والحي أحوج إلى الجديد من الميت .  
(توفي) في قديد (بضم القاف وفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة) منزل بين مكة والمدينة وكان حاجاً أو معتمراً وذلك سنة ثمان أو تسم ومائة عن سبعين وقد كفّ بصره الكريم . وقال لإبنه : "سُنَّ الترابَ عليّ شَنَّاً وشفَّ على قبري وإلحَفَ بأهلك وإياك أن تقول كان وكان" عليه من الله الرحمة والرضوان . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة منه سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه .

## سيدنا الإمام جعفر الصادق

رضي الله عنه

سببُ سيدنا القاسم الموما إليهم وقد تقدم في السلسلة العلوية الأولى المعروفة بسلسلة الذهب شذرة من الكلام على فضائله وشمائله رضوان الله عليه . ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة بالروحانية منه سيدنا أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي رضي الله عنه .

## سلطان العارفين سيدنا أبو يزيد طيفور بن عيسى بن آدم بن سروشان البسطامي رضي الله عنه

أشهر من أن يُذكر وأعرف من أن يُعرف . كان نادرة زمانه حالاً وتقالاً وأنفاساً وورعاً وعلماً وثقى ووجداً  
وزهداً وناهيك بقول الخوافي هو سلطان العارفين . كان خاتم الأولياء المحمديين سيدنا الشيخ الأكبر محي  
الدين يسميه أبا يزيد الأكبر وهو القائل :

أريدك لا أريدك للثواب      ولكني أريدك للعقاب  
وكل ما ربي قد نلت منها      سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

فانظر الى هذا النفس ما أسماه والى هذا المقام ما أسناه ، أَسْرَجَ له السراج ليلة فقال لأصحابه : إنني أجد  
وحشة في السراج . فقالوا له ياسيدنا استعرنا قارورة من البقال لناثي بالدهن فيها مرة فأتينا فيها  
مرتين . فقال : عَرَفُوا البقالَ وارضوه . ففعلوا فزالَت عنه .

(قال الشيخ الأكبر) وكان حاله التجريد وعدم الإدخار فقال لأصحابه يوماً : "فقدت قلبي فاطلبوا البيت"  
فوجدوا فيه قطف عنب فقال : "رجع بيتنا بيت البقالين" فتصدقوا به فوجد قلبه . (وذكر الشيخ الأكبر)  
أنه كان القطب الغوث في زمانه حيث قال من الأقطاب من يكون ظاهر الحكم ويحوز الخلافة الظاهرة كما حاز  
الباطنة من جهة المقام كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهم ، ومنهم من  
له الخلافة الباطنة ولا حكم له في الظاهرة كأبي يزيد . (وقال في موضع آخر) كان أبو يزيد على قلب  
إسرافيل له الأمر ونقيضه جامع للطرفين وهذا المنصب لا يكون في الزمان إلا لواحد ، انتهى .

(وقال الذهبي) نقل عنه أشياء كبيرة الشأن في صحتها نظر منها "سبحاني ما أعظم شأنني" و"ما هي  
الجنة إلا الله ما النار لأستنذن إليها وأقول اجعلني لأهلها فدا" و"أبلغننا ما الجنة إلا لعبة الصبيان هب لي  
هؤلاء اليهود حتى تعذبهم" ومن الناس من يصحح هذا عنه ويقول قاله في حال سُكْرِهِ . أه .

(قال العلامة أحمد بن حجر) بعد حكايته ذلك قلت أبو يزيد يسلم له حاله والله متولي السرائر ولما تكلم  
في علوم الحقائق لم يفهم أهل عصره كلامه فرموه بالعظائم ونفوه من بلده سبع مرات وهم في كل مرة  
يختل أمرهم وينزل بهم البلاء حتى أذعنوا له وأجمعوا على تعظيمه . (وكان) إذا ذكر الله يببول الدم .

(وقال الشيخ الأكبر) قال بعض المحبوبين لأبي يزيد شربت شربة فلم أضلها أبداً . فقال أبو يزيد  
الرجل من يشرب البحار ولسانه خارج على صدره من العطش فأشار الى أن الحب شرب بلا ري .

(وقال الشيخ أيضاً قدس الله سره العزيز) جربت المخبرين عن الله إذا ضربوا الأمثال لأمر ما فإنه لأبد  
من وقوع ذلك المضروب به المثل . كان أبو يزيد البسطامي يشير عن نفسه أنه قطب الوقت ، فقبل له  
يوماً عن بعض الرجال أنه يُقال فيه أنه قطب الوقت فقال : "الولادة كثيرون وأمير المؤمنين واحد ولو أن رجلاً  
شقَّ العصا وقام ثائراً في هذا الموضوع - وأشار الى قلعة هناك - وإدعى أنه خليفة قتلت ولم يتم له ذلك  
وبقي أمير المؤمنين أمير المؤمنين" . فما مرت أيام حتى ثار في تلك القلعة ثائر ادعى الخلافة فقتل  
ومات له ذلك ، فوقع ما ضرب به أبو يزيد المثل عن نفسه . وكان على قدم المسيح عليه السلام قتل نملة  
خطأ فننخ فيها فأحياها خوفاً من المطالبة .

(وقال) أوقفني الحقُّ بين يديه وقال ياأبا يزيد بأي شيء جئتني؟ قلت بالزُّهد في الدنيا . قال إنما مقدار الدنيا عندي جناح بعوضة فميم زهدت؟ قلت الهي أستغفرك من ذلك جئت بالتوكُّد عليك . قال ألم أكن ثقة فيما ضمننت لك؟ قلت أستغفرك جنتك بك- أو قال بالإفتقار إليك- فقال عند ذلك قبلناك . (وقال) وقفتُ مع العابدين فلم أرَ لي معهم قدماً فوقفتُ مع المجاهدين فلم أرَ لي معهم قدماً فوقفتُ مع المصلِّين والصائمين فلم أرَ لي معهم قدماً . فقلتُ ياربِّي كيف الطريق اليك؟ فقال لي اترك نفسك وتعال . (قال الخواص) فاختصر له الطريق بالطف كلفة وأخصرها فإنه إذا ترك حظَّ نفسه من الدارين قام الحقُّ معه . (ومن فوائده) التي لا تكاد تُحصى : سرُّ في ميدان التوحيد حتى تصل إلى دار التفرُّيد ، وطرُّ في دار التفرُّيد حتى تلحق وادي الديمومية . (وأرسل ذو النون المصري) يقول له "ألى متى النوم والراحة وقد جازت القافلة؟" فقال لمن أتاه : "قل لأخي ليس الرجل من يسير مع القافلة إنما الرجل من ينام إلى الصبح فيصبح أمامهما في المنزل" . فقال ذو النون "هنيئاً له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا" . (وقال) علامة العارف أن يكون طعامه ما وجد ومبيته حيث أدرك وشغله بربه . (وجاء) رجل إلى بابه فدقَّه فقال من تطلب؟ قال أبا يزيد . فقال : "ليس في البيت غير الله" . (ومشى) خلف أبي يزيد رجل من أصحاب ذي النون المصري فقال له من تطلب؟ قال أبا يزيد . فقال يابني أبو يزيد يطلب أبا يزيد من أربعين سنة . فرجع إلى ذي النون وأخبره فغشي عليه . (وفي رواية) قال ذو النون إن أخي أبا يزيد فقد نفسه في حب الله تعالى فصار يطلبها مع الطالبين . (قال العارف المناوي) يشير أبو يزيد عن ذهابه عن الخلق إلى الحقِّ بلا رجوع . (وقال) أمر الله العباد ونهاهم فأطاعوه فلم عليهم خلعاً فاشتغلوا عنه بالخلم واني لأريد من الله إلا الله . (وذكر) عنده الزُّهد فقال : "ما هونهُ زهدتُ في اليوم الأول في الدنيا وما فيها وفي الثاني في الآخرة وما فيها وفي الثالث فيما سوى الله" . (وقرئ عيله) (إن بطش ربك لشديد) فقال بطشي أشدُّ ووجهه كما قال سيدنا الشيخ الأكبر قدس الله سره إن بطش العبد بطش معرَى عن الرحمة فليس عنده حال بطشه من الرحمة شيء ، ويطش الحقُّ بكلِّ وجه فيه رحمة بالمبطلوش به فهو الرحيم له في بطشه . (وسئل) : من أين تأكل؟ فقال : مولاي يطعم الكلب والخنزير أفلا يطعم أبا يزيد؟! (وقال) إنسلختُ من جلدي فرأيت من أنا ، قال العارف السهروردي وأشار إلى النفس الناطقة . (وصلَّى) خلف إمام الجامع فلما سلَّم الإمام قال : يا أبا يزيد من أين تأكل؟ قال : إصير حتى أعيد صلاتي فإنك شككتَ في رزق المخلوق ولا تجوز الصلاة خلف من لا يعرف الرزاق . (وقال) غلظت في بدايتي في أربعة : توهمت أني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه ، فلما نظرتُ رأيتُ ذكره لي ومعرفته بي وحبه لي وطلبه إليَّه كان أولاً حتى طلبته . (وقال) قلتُ يوماً سبحان الله فناداني الحقُّ في سرِّي هل في عيب تنزهني عنه؟ قلت لا ياربُّ . قال فنفسك نَزَّهُ عن ارتكاب الرذائل . فأقبلت على نفسي بالرياضة حتى تنزهتُ عن الرذائل وتحلَّت بالفضائل فصرتُ أقول سبحان الله ما أعظم شأنه من باب التحديث بالنعمة . (وقال) ليس العالم من يحفظ من كتاب فإذا نسي ما حفظ صار جاهلاً ، بل من يأخذ العلم من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني . (وقال) إذا رأيت من يؤمن بكلام أهل هذه الطريق فقل له يدعو لك فإنه مجاب الدعوة . (وقال) قال لي الحقُّ أخرج إلى خلقي بصفتي من رآك رأني . قال سيدنا الشيخ الأكبر هو ظهور صفات الربوبية عليه ألا ترى خلفاء الحقِّ في العباد لهم الأمر والنهي والحكم والتحكُّم وهذه صفة الإله والسوقة مأمورة بالسمع والطاعة . (وقال) حظوظ كرامات الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء ، وقيام كلِّ فريق

منهم من إسم منها : الأول والأخر والظاهر والباطن ، فمن كان حظه من إسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته ، والباطن لاحظ ماحرى في السرائر من أنواره ، أو الأول كان شغله بما سبق ، أو الآخر كان مرتبطاً بما يستقبله .

(وقال) أخذتم عملكم ميّناً عن ميّت وأخذنا عملنا عن الحيّ الذي لا يموت . (قال سيدنا الشيخ الأكبر) فعلماء الرسوم يأخذون خلفاً عن خلف الى يوم القيامة فيبعد النسب . والأولياء يأخذون عن الله ألقاه في صدورهم من لدنه رحمةً منه وعنايةً سبقت لهم عند ربهم . أه .

(وقال) كنتُ في حالة توهمتُ أني وصلت الى غاية الوصال ففاجأني شيخ وقال : "يا أبا يزيد نهايتك بداية القوم" . (وقيل له) هل بلغت جبل قاف ؟ قال : "جبل قاف ليس بغريب بل الشانُ جبل كاف وجبل عين وجبل صاد هذه جبال محيطة بالأرض حول كل أرض جبل بمنزلة حائطها" . (وقال) رأيتُ الحور في النوم فنظرتُ اليهنّ فانتبهتُ وقد سلّبتُ وقتي فأعرضتُ عنهنّ فأنعم عليّ بوقتتي . (وقال) الأولياء لا يفرحون بإجابة الدعوات التي هي عين الكرامات كالمشي على الماء والهواء وطى الأرض وركوب الماء فإن أدعية الكفار تُجاب والأرض تُطوى للشياطين والدجاج والهواء مسخرٌ للطير والماء للحوت فمن أنعم عليه بشيء منها فلا يأمن المكر . (وقال) ما وجدتُ المعرفة إلا ببطنٍ جائع وبدنٍ عارٍ . (وقيل له) حدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك ، فقال : "دعوتها الى الله فنكلتُ عليّ فعزمتُ عليها أن لا أشرب الماء ولا أذوق النوم سنة فأذعنتُ" . (وقال) إنما نالوا ما نالوا بتضييع ما لهم وشهود ما له تعالى . (وقال) حركات الظواهر توجب بركات السرائر . (وقال) ليس العجب من حبي لك وأنا عبدٌ فقير ، بل من حبك لي وأنت ملكٌ تقدير . (وقال) لله عبادٌ لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث بالخروج أهل النار من النار . (وقال) لم أزل ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله أغسل فمي ولساني إجلالاً له . (وقال له رجل) بلغني أنك تمرُّ في الهواء ، فقال أي عجب في طيرٍ يأكل الميتة يمرُّ في الهواء ، المؤمن أشرف من طير . (وقال) طلقتُ الدنيا ثلاثاً سرتُ الى ربّي وحدي فناديتُهُ الهي أدعوك دعاءً من لم يبق له غيرك . فعلم صدقي فأنساني نفسي بالكلية ونصب الخلق بين يدي مم إعراضي عنهم . (وقال) إن في الطاعات من الأوقات ما لا يحتاج الى أن تطلبوا المعاصي . (وقال) مادام العبد يظنُّ في المسلم من هو شرُّ منه فهو متكبرٌ . (وسئل) متى يكون الرجل متواضعاً ؟ فقال إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالاً ولا يرى أن في الخلق من هو شرُّ منه .

(وكان يقول) إذا سئل عن العارف للخلق : أحوال ولا حال للعارف لكونه محييت رسومه وفنيت هويته بهوية غيره . (وقال) دعوت نفسي الى ربّي فأبنت فتركتها ومضيت اليه . (وقال) أشدُّ المحجوبين عن الله ثلاثة : الزاهد بزُهده ، والعابد بعبادته ، والعالم بعمله . مسكينٌ الزاهد لو أن الدنيا كلّها سماها الله قليلاً ما زهد فيها . مسكين العالم لو علم أن جميع ما أوتيته من العلم بعض سطر واحد من اللوح المحفوظ ما نظر لعلمه . (وقال) طوبى لمن كان همهً همّاً واحداً ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه وسمعت أذناه . (وقال) أكثر الناس إشارة اليه أبعدهم منه . (وقال) أقرب الناس من الله أكثرهم شفقةً على خلقه . (وقال) لا يحمل عطايه إلا مطايا المذلّة المروضة . (وقال) العارف من لا يفتّر عن ذكره ولا يملُّ من خلقه ولا يأنسُ بغيره . (وقال له رجل) علمني الإسم الأعظم . قال : ليس له حدٌ محدود وإنما هو فراغ قلبك لوحدانيتته ، فإذا كنت كذلك فأرجم الى أي إسم شئت تسير به من المشرق الى المغرب . (وقال) الجوع سحاب فإذا جام



العبدُ أَمَطِرَ القلبَ الحكمة . (وقال) إذا وقفت بين يدي ربك فأجعل نفسك كأنك مجوسي يريد قطع الزنار بين يديه . (وقال) دعوت الناس الى الله أربعين سنة فما أجابوني فلما تركتهم ورجعت اليه وجدتهم قد سبقوني . (وقال سيدنا الأكبر قدّس الله سرّه) قتل له في هذا المقام أيعصى العارف ، فقال وكان أمر الله قدراً مقدوراً . قال الشيخ وهذا غاية الأدب حيث لم يقل نعم ولا وهذا من كمال حاله وعلمه وأدبه رضي الله عنه . (وكان يقول) الطريقت تقتضي أن الشيخ لا ينسى أهل زمانه فكيف مريده المختصُّ به فإن من فتوة أهل الطريقت ومعرفتهم بالنفوس أنه إذا كان يوم القيامة وظهر ما لهم من الجاه عند الله خاف منهم من أذاهم في الدنيا فأول ما يشفعون فيمن أذاهم . (قال سيدنا الشيخ الأكبر) هذا نصّه وهو مذهبه فإن الذين أحسنوا اليهم يكفيهم عين إحسانهم فهم بإحسانهم شفعاء أنفسهم عند الله بما قدّموه في حقّ ذلك الولي . (وقال) الناس يفرّون من الحساب وأنا أتمناه لعله يقول لي يا عبدي فأقول لبيك ثم بعد ذلك يفعل بي مايشاء . (وقال له رجل) دلّني على عمل أتقرب به الى الله تعالى قال : "أحبب أولياءه ليحبوك فإنه ينظر في قلوبهم الى اسمك في قلب وليه فيغفر لك" . (وقال) لو أذن لي في الشفاعة لشفعت أولاً فيمن أذاني وجفاني . (وقيل له) شهادة أن لا إله إلا الله مفتاح الجنّة ؟ فقال صحيح لكن لا يفتح المفتاح إلا مغلقتاً ومغلقت لا إله إلا الله أربعة أشياء : لسانٌ بغير كذب ولا غيبة وقلبٌ بغير مكر ولا خيانة وبطنٌ بغير حرام ولا شبهة وعملٌ بغير هوى ولا بدعة . (وسمى) رجلاً يكبر فقال : مامعنى الله أكبر ؟ قال الله أكبر من كلّ ما سواه . قال أبو يزيد ليس معه شيء فيكون أكبر منه . قال فما معناه ؟ قال معناه أكبر من أن يُقاسَ بالناس أو يدخل تحت القياس أو تدركه الحواس . (وقال) لم أزل أسوق نفسي الى الله وهي تبكي حتى ساقنتني اليه وهي تضحك .

(وقال) خصصت رجلاً فأكرمتهم فأطاعوك فلم يبلغوا ذلك إلا بك فكان رحمتك إياهم قبل طاعتهم جلّ جلالك ما أعظم شأنك . (وقال) لا يشكو قلب العارف وإن قرّض بالمقراض ولا يبأس منه ولا يأمّن من مكره وإن نودي بالغفران . (وقال) هلاك الخلق في شينين ترك الحرمة ونسيان المنة . (وصلى) ليلة فإضاء البيت كأنه نهار . فقال إن كنت شيطاناً فأنا أمنم جانباً من أن يطعم بي وإن كان من عند الله فأسأله أن يؤخره من دار الخدمة الى دار الكرامة . (وقال) حسب المؤمن أن يعلم أن الله غني عن عمله . (ورأى) رجلاً أبا يزيد في منامه فقال له عظني فقال :

الناس بحر عميق والبعد عنهم سفينة  
وقد نصحتك فاختر لنفسك المسكينة

(وقال) ضحكت زماناً وبكيت زماناً وأنا اليوم لأضحك ولأبكي . (وقيل له) كيف أصبحت ؟ قال لا صباح لي ولا مساء ، إنما الصباح والمساء لمن تقيّد بالصفة ولا صفة لي . (وقال) عرفت الله بنور صنعهم وعرفت صنعهم بنوره . (وقال) الدنيا للعامة والأخرة للخاصة فمن أراد أن يكون من الخاصة فلا يشارك الناس في دنياهم . (وقال) إنما جعلت الدنيا مرآة للأخرة فمَن نظر فيها للأخرة نجا ومَن شغل بها عن الأخرة أظلمت مرآته وهلك . (وقال) لاعتقوبة أشدّ من الغفلة لأن الغفلة عن الله طرفة عين أشدّ من النار . (وقال) لا يكون العبد عاملاً على معنى العبودية حتى تكون إرادته وأمنيته وشهوته تابعة لمحبة الله . (وقال) من نظر الى الناس بعين العلم مَقْتَهُم ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عَدَرَهُم . (وقال) الدنيا لأهلها غرور في غرور والأخرة لأهلها سرور في سرور ومحبة الله لأهل محبته نور على نور . (وقال) من اختار الدنيا على الأخرة غلب جهله ، وفضوله ذكره ، وعصيانه

طاعته . (ودخل) الجامع فوقف على حلقة فقيه وقد سُنك عن رجل مات وخلف كذا فأخذ يصحح المسألة ويضرب الأعداد . فصاح به يافقيه ماتقول فيمَت مات ولم يخلف إلا الله . فنظر اليه القوم وبكو . ا فقال أبو يزيد العبد لايملك شيئاً فإذا مات لا يخلف إلا مولاة . كما كان أولاً فإن أخره يرجع الى أوله ، لأن أوله فرد ومعه الشهادة فإذا كان أخره مثل أوله لم ير مع الله سواء (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) . (وقال) إن لله عبداً لو بدت لهم الجنة بزینتها مع حببهم عنها لضجوا منها . (وقال) أقمتُ عشرين سنة أكافم المجاهدة وأكابد المراقبة ولأجسرُ أن ألبس مرقة ولأتظاهر بالطريق ثم بعد ذلك تواقحت ولبست . (وقال) متي وجدت قلبك مستريحاً ودمعك جامداً وعقلك حاضراً فأنت بعيد من المحبة . (وقال) من أرادهُ وفقهُ ومن أحبه قربه . (وقال) الفائز في محشر الساعة من قام بأوامر وتلقاها بالسهم والطاعة . (وقال) معرفة العوام معرفة العبودية والربوبية والطاعة والمعصية والعدو والنفوس . ومعرفة الخواص معرفة الإجلال والعظمة والإحسان والمنة والتوفيق . ومعرفة خواص الخواص معرفة الأنس والمناجاة والتلطف ثم معرفة القلب ثم السر . (وقال) خلق الله الخلق لإظهار قدرته ورزقهم لإظهار جوده وأماهم لإظهار قهره ويحييهم لإظهار عظمته . (وقال) محال أن تعرفه ثم لاتحبه . (وقال) حاصلهم بعد الغاية رجوعهم الى شيء واحد وهو العفو .

(وقال) التوحيد هو اليقين واليقين معرفتك إن حركات الخلق وسكناتهم فعلُ الله . (وسُنك) معلامة العارف ؟ فقال إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة . (وقال) الزاهد يقول كيف أصنم والعارف يقول كيف يصنم ، وأمل الزاهد في الدنيا الكرامات وفي الآخرة المقامات ، وأمل العارف في الدنيا بقاء الإيمان وفي الآخرة العفو . (وقال) عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشد علي من العلم ولولا إختلاف العلماء لتفتت وإختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد . (وقال) لا يعرف نفسه من صحبته شموته . (وقال) كانت أمي لما حملت بي إذا قُدم لها طعام حلال امتدت يدها له أو حرام انقبضت فالعناية من الأزل . (ورأى) تفاحاً أحمر فقال هذا تفاح لطيف فقبل له أما إستحييت أن تضع إسمي على ثمرة ، فنسي الإسم الأعظم أربعين يوماً ، ثم قال الهي نذرت أن لاأكل من ثمار بسطام ماعشت . (وقال) حسبك من التوكل أن لا ترى لك ناصرًا غيره ولا لرزقك رازقاً غيره ولا لعملك شاهداً غيره . (وقال) الناس تظن أن الطريق أشهر من الشمس وأبين وأنا أسأل الله أن يفتح علي منها ولو قدر رأس إبرة . (وقال) النفس تنظر الى الدنيا والروح الى الآخرة والمعرفة تنظر الى الله . فمن غلبت نفسه عليه فهو من الهالكين ، ومن غلبت روحه عليه فهو من المجتهدين ، ومن غلبت معرفته عليه فهو من المتقين .

(وقال الغزالي رضي الله عنه) قال أبو يزيد رأيت الحق في منامي فقال سلني . قلت وعزتك تعلم أن ليس لي لسان يقدر على النطق الآن . فقال له يحيى بن معاذ الرازي لم تسأله المعرفة ؟ فصاح وقال أسكت ، المعرفة معرفتان معرفة حقيقة ومعرفة حق ، فأما معرفة الحق فقد عرفها المؤمنون بنور الإيمان وأما معرفة الحقيقة فلا سبيل لها قال تعالى (ولا يحيطون به علماً) .

(وكان) يعظ نفسه بنفسه ويقول ياأماراً بالسوء المرأة إذا حاضت طهرت بعد ثلاثة أو سبعم وأنت منذ ثلاثين سنة ماظهرت فمتى تطهرين وإن وقوفك بين يدي الله عز وجل لابد منه فاجتهدى أن تكوني

طاهرة . (وقال) كنت أظن في برّي لأمي اني لأقوم فيه لهوى نفسي بك لتعظيم الشارم حيث أمر ببرّها ، فكنّت أجد لذة عظيمة أتخيل أنها من تعظيم عندي لا من موافقة نفسي . فقالت لي في ليلة باردة إسقني فثقل عليّ وقمتُ بمجاهدة وجنتها بكوز فوجدتها نامت فوقفتُ به حتى انتبّهت . فناولتها وقد بقي في أذن الكوز قطعة من جلد إصبعي لشدة البرد انقضت . فرجعت الى نفسي فقلت لها حبّط عملك لكونك كنت تدعى النشاط في عبادتك ورأيتك تتأقلت عن ذلك . فعلمت أن كلما نشطت فيه من عمل البرّ فعلتيه لا عن كسل وتتأقل بل لذة فإنما هو لهواك لا لله . (وقال) أوقفني الحقّ بين يديه في مواقف كلّها يعرض عليّ المملكة فأقول لأريدها فقال ماتريد ؟ قلت أريد أن لأريد . (وقال) قال لي الحقّ تقرب اليّ بما ليس لي الذلة والإفتقار .

(وقال) دخلتُ على استاذي أبي علي السندي وببده جراب فصبّها فإذا هي جواهر قلتُ : من أين هذا ؟ قال : وافيتُ وادياً فإذا هو يضيء كالسراج فلأته منه . قلتُ : كيف كان وقتك الذي وردت فيه الوادي ؟ قال : وقت الفترة عن الحال التي كنتُ فيها .

(وقال) مددتُ رجلي ليلة في الظلام في محرابي فهتف بي هاتف من يجالس الملوك لايجالسهم إلا بأدب . (وقال) عرفتُ الله بالله وعرفتُ مادون الله بنوره . (وقال) إنما خلم الله النعم على عباده ليُرجعها إليه فعكسوا واشتغلوا بها عنه . (وقال) صفة العارف صفة أهل النار لايموت ولايحيى . (وقال) أولياء الله عرائس في الدنيا والأخرة لايراهم إلا من كان منهم . (وقال) لو شفّعني الله في كلّ أهل عصري ماكان عندي تكبرٌ لأنه شفّعني قطعة طين .

(وكتب) اليه يحيى بن معاذ أنّي سكرتُ من كثرة ماشربت من كأس المحبة . فكتب اليه "هنا رجلٌ يعني نفسه شرب بحار السموات والأرض وماروي بعد" . (وقال له فقيه) عملك هذا أخذته عمّن وممّن ومن أين ؟ قال من عطاء الله وعن الله ومن حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلَّمَ أَوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" . فسكتَ الفقيه . (وسئد) أبو علي الجوزجاني رضي الله عنه عن الكلام المنقول عن أبي يزيد مما لايفهم ، فقال يسلم له حاله ولعله تكلم به على حدّ غلبه أو حال سكر ومثّ أراد أن يرتقي الى مقام أبي يزيد فليجاهد نفسه كماجاهد أبو يزيد ، فهناك يفهم كلام أبي يزيد وأيّكم يجاهد نفسه كماجاهد دعا نفسه يوماً الى عبادة فأبى فمنعها الماء سنة فجاهدوا تفهموا إشاراته . (قال ابن معاذ) رأيتُه في بعض مجاهداته كالفريف ضارباً بذقنه على صدره شاخصاً بعينيه من العشاء الى الفجر ثم سجد عند السحر فأطال سجوده ثم قعد فقال اللهم طلبوا منك فأعطيتهم طي الأرض والمشى على الماء وركوب الهواء وإنقلاب الأعيان وإني أعوذ بك منها ثم التفت اليّ فرأني . فقلتُ ياسيدي حدّثني بشيء قال أحدتُك بما يصلح لك أدخلني الحقّ في الفلك الأسفل فدورني في الملكوت الأسفل فأرانيه ثم أدخلني في الفلك العلوي وطوّف بي في السموات فأراني ما فيها من الجنان ثم الى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سلني عن أي شيء رأيتُه حتى أهبه لك . فقلتُ مارأيت شيئاً حسناً فأسألك إياه . فقال أنت عبادي حقاً تعبدوني لأجلي صدقاً لأفعلن بك وأفعلنّ وذكر أشياء ، قال ابن معاذ : فهالني ذلك وقلت لم لم تسأله المعرفة ؟ قال غرتُ عليه مني لأحبّ أن يعرفه سواه . (وقال) ركبتُ مركب الصدق حتى بلغت الهواء ثم الشوق حتى بلغت السماء ثم المحبة حتى بلغت سدرة المنتهى فنوديت ياأبا يزيد ماتريد ؟ قلتُ أريد أن لأريد .

(وقال الديلمي) سألت عبدالرحمن بن يحيى عن التوكل فقال إذا أدخلت يدك في فم التنين لاتخاف مم الله غيره . فخرجت قاصداً أبا يزيد لأسأله عنه فدققت الباب فقال : "ليس لك في قول عبدالرحمن كفاية ماجئت زائراً وقد أتاك الجواب من وراء الباب" . فلبثت سنة ثم قصدته فقال مرحباً الآن جئت زائراً . (ودخل) مدينة فمرع إليه جميع أهلها فقال : من هؤلاء ؟ قيل قوم رغبوا فيك ، فقال : اللهم اني أسألك أن لاتحجب الخلق بك عنك فكيف تحجبهم عني بك ، ثم صلى بهم الفجر والتفت وقال : اني أنا الله لا إله إلا أنا فأعبدوني فتركوه وقالوا مجنون مسكين . (وصحبه) رجل من الشهود ثلاثين سنة مع صيام أيامها وقيام لياليها ، فقال له : ياسيدي خدمتك وأطعتك ولم يظهر لي شيء مما يودع الحق قلوبكم . قال : يا ولدي لو صمت وقمت ثلاثمائة سنة ماتجد منها ذرة لأنك محجوب بنفسك منقطع برؤيتك طاعتك . قال : دلني على دواء . قال : اذهب واحلق لحيتك وانزع ثيابك وعلق بعنقك مخللة فيها جوز وقل للصبيان من صفعتي صفة اعطيته جوزة ثم در الأسواق كذلك عند من يعرفك . فقال : سبحان الله لمثلي يقال هذا ؟ قال : قولك سبحان الله في معراض ذلك شرك لأنك رأيت عظمة نفسك . فقال : دلني على غير ذلك . قال : لا دواء لك غيره .

(وقيل له) بم وصلت الى ما وصلت ؟ قال : جمعت الأسباب الدنيوية فربطتها بحبل القناعة ووضعتها في منجنيق الصدق ورميتها في بحر اليأس فاسترحت . (وأمر) تلميذاً له بشيء خالفه فلاموه فقال : دعوه فإنه سقط من عين الله . فسرق فمقطعت يده . (وقال أحمد بن حنبل) رأيت رب العزة في النوم فقال يا أحمد كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني . (وقال أبو يزيد) إلهي إنك خلقت الخلق بغير علمهم وقلدتهم أمانة بغير إرادتهم فإن لم تعنهم فمت يعينهم . (وسئل رضي الله عنه) عن السنة والفريضة فقال : السنة ترك الدنيا بأسرها ، والفريضة الصحبة مع الله تعالى ، وذلك لأن السنة كلما تدل على ترك الدنيا والكتاب كله يدل على صحبة المولى لأن كلامه صفة من صفاته تعالى . (وسئل) عن أسباب الوصول ، فقال : إمساك حقائق الأمور وحفظ الصدق مع الإخلاص في جميع الحالات :

بالله ياسطوات هجره لا تعجلي بحلول ضره  
لو قال لي مت طاعة ما عشت بعد سما أمره

(وقال) ظاهر التصديق وباطنه سواء ، وقد اشترك الإيمان والحب في العبد ، فكلما ازداد الإيمان ازداد الحب لله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله . (وقال) يامن بام كل شيء بلا شيء ويامن بشيء بلا شيء بكل شيء ، إن في طاعتك من الأوقات ما يشغلك عن السيئات . (وقال لأمه) : يأمأه هل تناولت شيئاً من الحرام بسببي في وقت رضاعي فإني لا آمن أن يكون وصل إلي شيء وأنا لأعلم فحجبتي ذلك عن ربي عز وجل ؟ فقالت له أمه : لا أذكر إلا أنني دخلت يوماً الى جيراننا ولم أستاذنهم . فقال : إن الله يحاسب عباده على مثقال ذرة ألا ترين الى قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) وهذا أعظم من ذرة ، فأخشى أن يقطعني عن ربي عز وجل . ثم قام وسأل عن القوم وطلب ورثتهم فاستحل منهم لنفسه ولأمه .

(وقال) لرجل صلى في مسجده : إن زعمت أن صلاتك مواصلة فهي مفاصلة ، إن تركتها كفرت وإن شاهدها أشركت . أه . وهذا نظير ما قالوه عن الشبلي رضي الله عنه أنه قام يصلي فوقف طويلاً ثم صلى فلما فرغ قال : ياويلاه إن صليت جددت وإن لم أصل كفرت . (وذكر) عند أبي يزيد الجاه والنفس والمال فقال : إن المؤمن بلا نفس ولا مال ، إن الله يشتري من

المؤمنين أنفسهم وأموالهم (الآية) . (وقال) مَنْ نظر الى الخلق بالخلق أبغضهم وَمَنْ نظر الى الخلق بالخالق رحمهم . أه . وهذا نظير قول العارفين مَنْ نظر الى الخلق بعينه طالت خصومته وَمَنْ نظر إليهم بعين الحق عذرهم فيما هم فيه وجلس في المسجد أربعين سنة .

(قيل) وكانت ثيابه للمسجد على حدة وللبيت على حدة وللخلاء على حدة وكذلك نعله . (وقال) إن الله عزّ وجلّ يقول مَنْ أتاني منقطعاً اليّ جعلت له حياة لا يموت فيها ، وَمَنْ أتاني منقطعاً اليّ جعلت له ملكاً لا يزول ، وَمَنْ أتاني منقطعاً اليّ جعلت إرادتي في إرادته . (وسئد) عن قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ، فقال : هو الأول بكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبون فيها ، والآخر بكشف أحوال الآخرة حتى لا يشكون فيها ، والظاهر على قلوب أوليائه حتى يعرفونه ، والباطن على قلوب أعدائه حتى ينكرونه . (وقال) لا يكون العبد محباً لخالقه حتى يبذل نفسه لله تعالى في طلب مرضاته سراً وعلانية يعلم الله من قلبه أنه لا يريد إلا هو . (وسئد) عن الإسم الأعظم قال : في قولك لا إله إلا الله وأنت لا تكون هناك . (وكان) بقومس رجل مشهور بالورع والزهد فقال يوماً أبو يزيد لأصحابه : قوموا ننظر الى هذا الرجل الذي شهر نفسه بالولاية . فمضوا معه فلما خرج الرجل من منزله ودخل مسجده رمى ببزاقة نحو القبلة ، فقال أبو يزيد : قوموا بنا ننصرف من غير أن نسلم فإن هذا رجل ليس بمأمون على أدب من أدب الشريعة التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين . (وقال) إن الله عزّ وجلّ أنعم عليّ نعماً منها أني رضيت بأن أحرقت بالنار بدل الخلق شفقةً عليهم . (ومنها) أني لم أمسك شيئاً قط . (وقال) ليس للعبد خير من أن يكون فقيراً ليس معه شيء ولا التعب ولا العلم ولا يجيء إلا بالذل والافتقار اليه تعالى . (وسئد) متى يبلغ الرجل حدّ الرجل ؟ فقال : إذا عرف عيوب نفسه واشتغل بإصلاحها . (وقال) منذ أربعين سنة لم أستند الى حائط مسجد أو رباط ، فتيق له : لم لاتستند وفي ذلك رخصة . فقال : قال الله عزّ وجلّ (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) وَمَنْ يعمل مثقال ذرة شراً يره) فهل ترى من رخصة ؟ (وقال) لا شيء أعون على دينكم من تعظيم أخيك المسلم وحفظ حرمة ، ولا شيء أضّر في دينكم من تهاونكم بأخوانكم وتضييع حرمتهم .

(وسئد) عن مقام التحير في المحبة . فقال : إن المحب روم نفسه بمراوح الصفا وجلّها بآردية الوفا بمنازل التفكر في ميدان التذكر قائماً بين الدهشة والحيرة ، إن شاهد الملكوت قصرت نفسه عليه ، وإن شاهد ملك الملكوت افتخرت نفسه عليه . (وأقام) أياماً لم يتكلم مع مخلوق فلما خرج الى حال بسطه سئد عن ذلك ، فقال : تذكرت ابتداء حالي وتقلبي في أنواع البطالات والغفلات ، فعلمت أني كنت مراداً فصرت مريداً فإن من أرادته وفتقه ومنا أحبه قربه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا أراد الله بعبد خيراً حبب إليه طاعته وبغض إليه معاصيه" . (قال) أبو موسى الديلمي : وصحبته سنين فما رأيته مضطجعاً إلا يسيراً وطالما صلى الصبح بوضوء العشاء الآخرة غير أنه يتحسر على ماضى من إجهاده . (وقلت له) : بم أستعين على عبادة الله عزّ وجلّ ؟ فقال : بالله . فقلت : فما علامة الصدق ؟ قال : طاعة الله عزّ وجلّ واعلم أنه لا حسنة أعظم ممن حسنت لقاء الله تعالى . أه -يشير الى قوله تعالى (ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله) .

(وقال) مَنْ لزم العبودية لزمه إثنان يأخذه الخوف ويفارقه العجب من عمله . (وقيل له) ما أعظم آيات العارف ؟ قال : تراه يؤاكلك ويشاربك ويمازحك ويبياعك ويشاريك وقلبه معلق بالله ليس له

همُّ سواه . (وقال) كنت إثنى عشرة سنة حداد نفسي وخمس سنين مرأة قلبي وكنت سنة أنظر إليها فإذا في وسطي زنار ظاهر . فعلت في إثنى عشرة سنة ثم نظرت فإذا في باطني زنار باطن ، فعلت في قطعه خمس سنين ثم بقيت سنة أنظر فكُشف لي بعد عن الخلائف فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات . (وقال) هذا فرحي بك وأنا أخافك فكيف فرحي بك إذا أمنتك ؟ (وكان يقول) ربي أفهمني عنك فأنا لأفهم عنك إلا بك . (وقال) إطلع الله عز وجل على قلوب أوليائه فرأى منهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً فشغله بالعبادة . (وقال) من سمع الكلام ليتكلم به مع الناس رزقه الله فهماً يكلم به الناس ، ومن سمع الكلام ليعامل الله به رزقه الله فهماً يناجي به ربه تعالى . (وقال) العارف فوق مايقول والعالم دون مايقول والعارف ما فرح بشيء قط ولا خاف من شيء قط والعارف يلاحظ ربه والعالم يلاحظ نفسه بعلمه . (وقال) إن الصادق من الزاهدين إذا رأته هبتة وإذا فارقت هان عليك ، والعارف إذا رأته هبتة وإذا فارقت هبتة . (وقال) لأن يُقال لي لم تفعل أحب إلي من أن يُقال لي لم فعلت . (وقال) لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة الأكل والشرب ومؤنة النساء ، ثم قلت كيف يجوز لي أن أسأله هذا ، وهذا شيء لم يسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يجوز لي أن أسأله فلم أسأله ، ثم إن الله عز وجل كفاني مؤنة النساء حتى إنني ما بالي امرأة أتيت أم حائطاً . (وذهب) ليلة إلى الرباط ليذكر الله تعالى على سورة فبقي إلى الصيام لم يذكر ، فتيك في ذلك . فقال : تذكرت كلمة جرت على لساني في حال صباي فاحتشمت أن أذكره بلسان نطق بما نطق . (وقال) ما حصل للأولياء بالنسبة إلى ما حصل للأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا كمثلك زق فيه عسل يرشم من ذلك الزق قطرة فتلك القطرة حصلت للأولياء وما في الطرف للأنبياء .

(وقال) العباس بن حمزة : صليت خلف أبي يزيد الظمير فلما أراد أن يرفع يديه ليكبر لم يقدر أن يقول الله أكبر إجلالاً لإسم الله عز وجل وارتعدت فرائصه حتى سمعت قعقعة عظامه فهالني ذلك . (وقصد) الجامع يوم جمعة وكان في الطريق وحل فزلقت رجله فوضع إصبعه على جدار في الطريق فأمسك نفسه بسببه ، فلما تثبت تفكر في وضع إصبعه على الجدار وقال إن الوقت متمم فنفحص عن صاحب الجدار ليجعلني في حل مما تعاطيت . فأنصرف وتعرف عنه فقيل أنه مجوسي ، فتقدم إلى باب داره وناداه فخرج إليه فأخبره بالقصة وطالبه أن يجعله في حل من ذلك . فقال المجوسي : وفي دينكم هذه الدقة وكل هذا الإحتياط أمنت بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأمنت كل من في داره ببركة ذلك .

(واجتاز) شقيق البلخي رضي الله عنه ببسطام حاجاً فعقد المجلس في مسجد من مساجدها فكان الصبيان يلعبون على بابيه وأبو يزيد فيهم فكان يجيء إلى باب المسجد ويسمع كلام شقيق ثم ينصرف فوقع عليه بصر شقيق قال : "سيكون هذا الصبي رجلاً من الرجال" فصار كما قال .

(وصلى) الجمعة مرة فسمع الخطيب يقرأ (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) ففرح فطار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر ، وقال : يا عجباً كيف يحشر إليه من هو جليسه ؟ أي فإن الله يقول أنا جليص من ذكرني والمتقي ذكر الله ذكر حذر . فلما حشر هو إلى الرحمن وهو مقام الأمان مما كان فيه الحذر فرح بذلك . (قال الشيخ الأكبر) فكان دمع أبي يزيد دمع فرح لا دمع ترحم حيث حشر منه إليه حين حشر غيره إلى الحجاب . (وقال أبو يزيد) لو أن العرش وماحوى في زاوية من زوايا قلب العارف ما حس به أبداً (قلت)

وقد ناقشه الإمام الرباني على هذه المقالة في إحدى مکتوباته الفارسية بما يطول بيانه فراجعه .  
( ولد ) رضي الله عنه سنة مائة وثمان وثمانين ببسطام ( بكسر الباء الموحدة ) بلدة مشهورة من أعمال  
قومس ويقال أنها أول بلاد خراسان من جهة العراق . وقومس ( بضم القاف وفتح الميم وسين ) صقم  
كبير بين خراسان وبلاد الجبل . ثم تقدم أن اسمه طيفور بن عيسى بن آدم ابن سروشان . ذكر ابن الجوزي  
والعارف الجامي ذلك وقال أن جده سروشان كان مجوسياً فأسلم . وكان لعيسى ثلاثة أولاد أبو يزيد  
أوسطهم وأدم أكبرهم وعلي أصغرهم وكانوا كلهم عبّاداً زهّاداً . وقال ابن خلکان هو طيفور بن عيسى بن آدم  
بن عيسى بن علي كان جده مجوسياً فأسلم وكان له أخوان زاهدان عابدان أيضاً آدم وعلي . وكان أبو يزيد  
أجلّهم أه . والله أعلم بالصواب .

( وتوفي ) سنة إحدى وستين ومائتين وله ثلاث وسبعون سنة ولم يثبت محل دفنه ، ولكن أشتهرت له  
مراقد كثيرة ولعلها مقامات له رضي الله عنه . وهو أويسيّ التربية فإنه ربّته روحانية سيدنا جعفر  
الصادق ووصل إليه هذا السرّ الجليل منه بالروحانية كما قدّمنا ، لأن سيدنا جعفر الصادق كانت وفاته سنة  
ثمان وأربعين ومائة وهي قبل ولادة أبي يزيد بنحو أربعين سنة كما رأيت . ثم أتت كل من ربّته روحانية أحد  
السادات يُقال أنه أويسي نسبة لسيدنا أويس القرني سيد التابعين ، فإنه على القول بوجوده هو الصحيح  
المؤيد بالأدلة المعتمدة والكشف الصريح ربّته روحانية سيد العالمين بالخصوص وبشّر به أصحابه ونعتّه  
لهم وأمر سيدنا عمر وسيدنا عليّ أن يسألاه الإستغفار إذا اجتمعوا به وقصته مشهورة بين العلماء رضي الله  
عنهم . ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة من سيدنا أبي يزيد أيضاً بالروحانية سيدنا أبو الحسن الخرقاني  
قدّس الله أسرارهِ الروحانية .

## سيدنا أبو الحسن علي بن جعفر الخرقاني قدّس الله سرّه الصمدانيّ

كان غوث وقته وفريداً في مقاماته ، وبعته قبلة أهل زمانه ، وبحراً يستمد الأولياء من أمواج عرفانه .  
لم يكن يرحل في أيامه إلا إلى مبارك مقامه . بشر به الشيخ العارف الكبير أبو العباس القصاب وأخبر أنه  
سينقلب موسم زيارته والرحلة إليه من بعده إلى الشيخ أبي الحسن وقد كان كما قال .

ومن كلامه : لاتصحب شخصاً إذا ذكرت الله يذكر غيره . (وقال) أطلب الغصّة لتظهر الدموم فإن الله  
يحبّ الباكين . (وقال) كلّ شيء يطلب العبد به الله فالقرآن أحسن منه فلا تطلب الله إلا به . (وقال)  
وارث الرسول هو الذي يُتقدى بأفعاله لا الذي يسودّ وجوه الأوراق . (وقال) قول أبي يزيد أريد أن  
لا أريد هو إرادة . (وقال) قول الشبلي أطلب أن لا أطلب هو طلب أيضاً . (وقال) اليوم لي أربعون سنة  
والله ينظر إلى قلبي ولا يرى فيه غيره ما بقي فيّ لغير الله شيء ولا في صدري لغيره قرار .  
(وقال) منذ أربعين سنة ونفسي تطلب مني جرعة ماء بارد أو جرعة لبن مخيض وأنا لم أمكّنها من  
ذلك إلى الآن . (وقال) العلماء والعباد في الدنيا كثيرون ولكن لا يفيدك إلا أن تكون من الصبام إلى  
المساء في شغل يرضى به الله تعالى ومن المساء إلى الصبام في عمل يقبله الله تعالى . (وقال)  
أنور القلوب ما ليس فيه للخلق وجود ، وأحسن الأعمال ما ليس فيه تفكّر بمخلوق ، وأهل الأرزاق ما  
بذلت جهده في إكتسابه وأحسن الرفقاء من كان حياته مع الله . (وقال مرة لأصحابه) ما أحسن  
الأشياء ؟ قالوا : أخبرنا أنت به . فقال : قلب يذكر الله دائماً . (وسئل) عن الصوفيّ فقال لا يكون  
الصوفيّ بالسجادة والمرقم ولا بالعادة والرسوم ، بل الصوفي هو المحوي الذي لا وجود له . (وقال)  
الصوفيّ من إذا كان النهار لا يحتاج إلى الشمس وإذا كان الليل لا يحتاج إلى قمر أو كواكب . سيادة  
التصوف هو العدم الذي لا يحتاج إلى وجود .

(وسئل) عن الصدق ، فقال هو التكلّم بما في الضمير . (وقيل له) متى يعلم عدم الغفلة عن الله  
تعالى ؟ فقال : إذا ذكر الله تعالى وتحققت بجميع أجزائه من فرقته إلى قدمه أن الله ذاك له . (وقيل له)  
لمن يليق التكلّم بالفناء والبقاء ؟ فقال يليق لشخص لو علّق بخيط من حرير بين السماء والأرض ثم هبت  
ريح عاصفة إقتلعت الأشجار ونسفت الجبال إلى البحار حتى ملأتها لم تحركه من محله .  
(وهو) أويسيّ التريبيّة ربّته روحانية سيدنا أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه . (ذكر سيدنا جلال الدين  
الرومي نضّر الله وجهه في مثنويه) أن :

الشيخ أبا يزيد خرج يوماً مع أصحابه إلى الصحراء ففي أثناء سيره حصل له حال عظيم بلغ منه ما بلغ  
واندهش منه أصحابه ، فلما رجع إلى نفسه سألوه عن سبب ذلك فقال : جاءني نفسٌ عجيب من  
خرقان كالنفس الذي جاء للنبي صلى الله عليه وسلم من قبل اليمت يبشّرني بظهور رجل فيها من  
كبار الأولياء . فسألوه عن اسمه فقال ، اسمه أبو الحسن الخرقاني وبعته لهم بحليته ومقاماته  
وطريقته وإنه يكون أعلى منه مقاماً . ثم بعد وفاته رضي الله عنه بسنين جاء رجل من خرقان إلى  
زاوية أبي يزيد فسأله أصحابه عن اسمه ، فأخبرهم أن اسمه أبو الحسن الخرقاني ، فنظروا إلى حليته



فوجدوه كما قال أبو يزيد فعند ذلك ذكروا له أن الشيخ بشر به وأنه يكون من مرديه ويأخذ الطريق من مرقده الشريف . فقال لهم اني رأيت أبا يزيد في المنام وأخبرني بمثل ذلك . ثم ذهب أبو الحسن الى تربة أبي يزيد وأخذ الطريق من روحانيته وصار يتردد كل صباح الى مقامه ويمرغ وجهه بمبارك ترابه ويبقى واقفاً مع الحضور الى وقت الضحى ويتلقى منه العلوم والمعارف الربانية . (يقول سيدنا جلال الدين الرومي) وذلك إما بأن تتمثل له روحانية الشيخ وإما بطريق الإلهام . وجاء مرة للزيارة على العادة فرأى الثلج قد غمر المقام فغم لذلك وعزم على الإنصراف فحينئذ :  
جاء صوت من مقام الشيخ حي هأنا أدعوك كي تسعى الي  
فعند ذلك حصل ما حصل من عجائب الترقى الى المقامات العالية ولم يزل كذلك حتى صار واحد زمانه ، انتهى .

(وممن أخذ عنه) شيخ الإسلام سيدنا عبدالله الأنصاري وقال في حقه مشايخي في علم الحديث والشريعة كثيرون وأما شيخي في الطريقة فالشيخ أبو الحسن الخرقاني ولولا اني رأيت ماعرفت الحقيقة . (وروي) أن السلطان محمد الغازي ابن سيكتكين رحمه الله زار الشيخ أبا الحسن وجلس عنده ساعة ، ومما قاله له ما يقول الشيخ في حق أبي يزيد البسطامي قدس الله سره ؟ فقال له : الشيخ هو رجل من إتبعه إتهدى ومن رآه إتصل بسعادة لاتخفى . فقال له السلطان : كيف ذلك وأبو جهل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : إنما رأى محمد بن عبدالله ولو أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لخرج من الشقاوة ودخل في السعادة ومصداق ذلك قوله تعالى (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) فالنظر بعين الرأس لا يوجب هذه السعادة بل النظر بعين السر والقلب والمتابعة التامة يورث ذلك . (توفي) ليلة الثلاثاء عاشر من شهر محرم سنة أربعمائة وخمسة وعشرين رضي الله عنه . وخرقان كنعسان قرية من قرى بسطام وتحريك رائه لحن . تلقى سر هذه النسبة الشريفة منه سيدنا أبو علي الفارمدي رضي الله عنه .

## سيدنا أبو علي الفضل بن محمد الفارمدي الطوسي رضي الله عنه

نور حدقة العلماء العارفين ونور حديقة عظماء المرشدين شيخ خراسان وقطب ذلك الزمان وقد مرّ من حديث ترجمته في نهاية سلسلة الذهب ما تحلّت به المسامح وقضى له السامع بالعجب والإعادة من خلاف العادة . ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة منه سيدنا يوسف الهمداني رضي الله عنه .

## سيدنا أبو يعقوب يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين الهمداني (قدّس الله سرّه)

هو أُوحد الأئمة العارفين والعلماء الراسخين والأولياء الكاملين إنتهت إليه في خراسان تربية المريدين واجتمع عنده في رباطه ب(مرو) من العلماء والصلحاء جماعة كثيرة وانتفعوا بكلامه ووصلوا الى أمالهم الكبيرة .

(ولد قدّس الله سرّه) في همدان (بسكون الميم) سنة أربعين وأربعمائة ورحل من همدان وهو ابن ثمان عشرة سنة الى بغداد . (وتفقّه) في مذهب الإمام الشافعي على شيخ الدنيا سيدنا الشيخ إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي صاحب "التنبيه" ولازم مجلس أبي إسحق الشيرازي وقدمه مع صغر سنّه على أقرانه ورفع من قدره حتى برع في الفقه وغيره ولاسيما علم النظر .

(وسمى) من الخطيب وثقافة كثيرة في بغداد وأصفهان وبخارى وخراسان وخوارزم وماوراء النهر وحصل له القبول التام . ثم إنقطع وتزهد وتعبد واشتغل بالمجاهدات والرياضات حتى صار غوث الزمان وغيث الحقائق والعرفان . وعقد له مجلس الوعظ والتذكير في بغداد ثم رحل الى مرو وأقام بها .

(وصحب) الشيخ عبدالله الجويني والشيخ حسن السّماني والشيخ أبا علي الفارمديّ . (وظهر) على يديه كرامات لا تحصى ولا تُحصّر منها : أن رجلاً من جماعته خرج عنه وصار يقم فيه بما هو بريء منه ، فقال الشيخ هذا الرجل يُقتل فقتل . (ومنها) أنه كان يتكلم على الناس فقال له فقيهان كانا في مجلسه "أسكت فإنما أنت مبتدع" فقال لهما : أسكتا لاعتشما فماتا مكانهما . (ومنها) أنه جاءته امرأة من همدان باكية فقالت له : إن ابني أسره الإفرنج . فصبرها فلم تصبر . فقال : اللهم فكّ أسره وعجّل فرجه - ثم قال لها - إذهبي الى دارك تجديه بما . فذهبت المرأة فاذا ولدها في الدار فتعجبت وسألته ، فقال : اني كنت الساعة في القسطنطينية العظمى والقيود في رجلي والدرس عليّ فاتاني شخص فاحتلمني وأتى بي الى هنا كلمم البصر . (ومنها) في "الفتاوى الحديثية" للعلامة ابن حجر الهيتمي قدّس سرّه وحكى إمام الشافعية في زمنه أبو سعيد عبدالله بن عصرون قال : دخلت بغداد في طلب العلم فرافقت ابن السقا في الطلب بالنظامية وكنا نزور الصالحين وكان ببغداد رجل يُقال له الغوث يظهر إذا شاء ويختفي إذا شاء . فقصدنا أنا وابن السقا والشيخ عبدالقادر وهو يومئذ شاب فقال ابن السقا ونحن سائرون لأسألنّه مسألة لا يدرى جوابها . وقلتُ لأسألنّه مسألة وأنظر مايقول فيها . وقال الشيخ عبدالقادر معاذ الله أن أسأله شيئاً أنا بيت يديه أنتظر بركة رؤيته . فدخلنا عليه فلم نره إلا بعد ساعة فنظر الشيخ الى ابن السقا مغضباً وقال : ويحك يا ابن السقا تسألني مسألة لأدري كذا وجوابها كذا اني لأرى نار الكفر تلتهب فيك . ثم نظر اليّ وقال : يا عبدالله أتسألني عن مسألة تنتظر ما أقول فيها هي كذا وجوابها كذا لتحزن الدنيا عليك الى شحمة أذنك بإساءة أدبك . ثم نظر الى الشيخ عبدالقادر وأدناه منه وأكرمه وقال : يا عبدالقادر لقد أرضيت الله ورسوله بحسن أدبك وكأني أراك ببغداد وقد صعدت الكرسي متكلماً على الملأ وكلتا قدمي هذه على رقبة كلّ ولي وكأني أرى الأولياء في وقتك وقد حنوا رقابهم إجلالاً لك . ثم غاب عنا فلم نره . قال فأما الشيخ عبدالقادر فقد ظهرت إمارات قربه من الله وأجمع عليه الخاص والعام وقال قدمي... الخ ، وأقرت

الأولياء في قوته له بذلك . وأما ابن السقا فإنه اشتغل بالعلوم الشرعية حتى برع فيها وفاق كثيراً من أهل زمانه واشتهر بقطع من يناظره في جميع العلوم وكان ذا لسان فصيح وسمت بهي ، فأدناه الخليفة منه وبعثه رسولاً الى ملك الروم ، فرأه ذا فنون وفصاحة وسمت فأعجب به وجمع له القسيسين والعلماء بالنصرانية وناظرهم فأفحمهم وعجزوا . فعظم عند الملك فزادت فتنته فترأت له بنت الملك فأعجبتة وفُتت بها فسأله أن يزوجه لها فقالت إلا أن يتنصر . فتنصر وتزوجها ثم مرض فآلقوه بالسوق يسأل القوت فلا يجاب وعلته كابة وسواد حتى مر عليه من يعرفه فقال له : ماهذا ؟ قال : فتننة حلت بي سببها ماترى . قال له : هل تحفظ شيئاً من القرآن ؟ قال : لا ، إلا قوله ربما يؤد الذين كفروا لو كانوا مسلمين . قال ثم جرت عليه يوماً فرأيته كأنه قد حرق وهو في النزاع فقبلته الى القبلة فاستدار الى الشرق فعدت فعدا وهكذا الى أن خرجت روحه ووجهه الى الشرق وكان يذكر كلام الغوث ويعلم أنه أصيب بسببه .

(قال ابن عسرون) : "وأما أنا فجننت الى دمشق فأحضرنى السلطان الصالح نورالدين الشهيد وأكرهني على ولاية الأوقاف فوليتها وأقبلت علي الدنيا إقبالاً كثيراً ، فقد صدق قول الشيخ فينا كلنا . أه ."

(وذكر الشيخ الأكبر) قدس الله سره في بعض مصنفاته أنه سنة ستمائة وإثنين جاء الشيخ أوحالدين حامد الكرمانى الى منزله في مدينة قونيه وحكى له أن الشيخ يوسف الهمداني أقام في مقام المشيخة والإرشاد في بلادهم أكثر من ستين سنة ، وانه كان يوماً جالساً في زاويته على حسب عادته فخطر بباله الخروج من الزاوية ولم يكن يخرج منها إلا لصلاة الجمعة . فتثقل هذا خاطر عليه ولم يعلم أين يذهب فركب حماراً وأطلق له العنان ليتوجه الى أي جهة أرادها الحق تعالى . فسار الحمار حتى أخرجه ظاهر البلدة وأوصله الى مسجد خراب في البادية ووقف به . فنزل الشيخ ودخل المسجد فوجد فيه شاباً مطرقاً رأسه وعليه هيبة وجلالة . فبعد ساعة رفع رأسه ونظر الى الشيخ فقال له : يا يوسف انه وقعت لي مسألة مشكلة - وذكرها له . فحلها الشيخ ثم قال له بعد ذلك : يا غلام كلما وقم لك مشكل فأتني الى الزاوية واسألني عنه ولا تكلفني الخروج إليك . يقول الشيخ قدس الله سره فنظر الي الغلام وقال : إذا أشكل علي شيء فكل حجر من الأحجار هو لي يوسف مثلك . (قال سيدنا الشيخ الأكبر) فعلمت من ذلك أن المرید الصادق يقدر بقدر صدقه على جذب الشيخ اليه .

(وذكر) الشيخ نجيب الدين علي بن برغش الشيرازي قدس الله سره أنه وجد بعض كراريس من كلام المشايخ في علم الحقيقة ، قال : فلما طالعتها تلذذت بها وطلبت معرفة مؤلفها فلم أعرفه ولا وجدت بقيتها . فتمت ليلة فرأيت رجلاً أبيض اللحية وقوراً مهاباً منوراً للغاية قد دخل الرباط وذهب الى المتوضأ وكان لابساً جبة بيضاء واسعة كتب عليه بماء الذهب آية الكرسي بخط جسيم محيط بجميع الجبة ، فاتبعته فنزع الجبة عنه ودفعها الي فظهر من تحتها جبة خضراء أحسن من الأولى مكتوب عليها آية الكرسي كذلك ، فنزعها ودفعها الي وقال لي إفضهما حتى أتوضأ . فلما أتم وضوءه قال لي : أريد أن أعطيك إحدى هاتين الجبتين فأيهما تختار ؟ فقلت أنا لا أختار بل ماتختره أنت فهو المقبول . فألبسني الجبة الخضراء وليس هو الجبة البيضاء . ثم قال لي : أتعلم من أنا ؟ قلت لا . قال : أنا يوسف الهمداني مصنف الكراريس الذي كنت تطلبه وهي من كتابي المسمى "رتبة الحياة" ولي مصنفات أخرى أحسن مثل "منازل السائرين" و"منازل السالكين" ثم استيقظت من النوم وقد سررت سروراً عظيماً .

(ومن كلامه الدال على علو مقامه) السماء سفر الى الحق ورسول من الحق وهو لطائف الحق

وزوائده وفوائد الغيب وموارده وبوادي الفتح وعوائده ومعاني الكشف وبشارته . فهو للأرواح قوتها وللأشباح غذاؤها وللقلوب حياتها وللأسرار بقاءها . فطائفة أسمعها الحق بشاهد التنزيه وطائفة أسمعها بنعت الربوبية وطائفة أسمعها بنعت الرحمة وطائفة أسمعها بوصف القدرة . فقام لهم الحق مسمعاً وسامعاً . فالسماوات هتكت الأستار وكشفت الأسرار وبرقت لمعت وشمس طلعت . وسماوات الأرواح بإستماع القلوب على بساط القرب بشاهد الحضور من غير نفس تكون هناك . فتراهم في السماء والهيئت حيارى رامقين أسارى خاشعين سكارى . واعلم أن الله خلقت من نور بهائه سبعين ألف ملك من الملائكة المقربين وأقامهم بين العرش والكرسي في حضرة الأنس ، لباسهم الصوف الأخضر ووجوههم كالقمر ليلة البدر ، فقاموا متواجدين والهيئت حيارى خاشعين سكارى منذ خلقوا مهرولين من ركن العرش الى ركن الكرسي لما بهم من شدة الوكاه . فهم صوفية أهل السماء ، فإسرافيل قائدهم ومرشدهم ، وجبرائيل رئيسهم ومتكلمهم ، والحق تعالى أنيسهم ومليكم فعليهم السلام من الله عز وجل . أه .

ثم بعد أن أقام مدة مديدة في مدينة مرو رحل الى هراة وأقام بها طويلاً فسأله أهل مرو العودة إليها . فذهب حتى وصل الى باميان (ببء موحدة فالف فميم فتحيتيت فنون) بليدة بخراسان بين هراة وبغشو . أدركته الوفاة فدُفنت بها ثم بعد حين نُقلت جثته الشريفة الى مرو وجعلت في الحضرة المنسوبة اليه وقبره يُزار ويُتبرك به .

(وكانت وفاته) في غضون شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وخمسائة رضي الله عنه .  
(وللشيخ قدس الله سره) مريدون لا يحصون عدداً وخلفاء أربعة عظام ملأوا الدنيا علماً وهدى :  
الخليفة الأول : شمس فلك الهداية ومُظهر نهاية العناية العالم العارف الشيخ عبدالله البرقي ولد في خوارزم وتوفي في بخارى ومرقده المبارك على رأس تلك شورشان قرب ضريح الشيخ أبي بكر إسحق الكلابادي قدس سره .

الخليفة الثاني : عارف الزمان المتحقق في مقام الإحسان الشيخ أبو محمد حسن بن حسين الانداعي . وكان شيخ وقته ومفرداً في نعته . ولد عام أربعة وستين وأربعمائة . وتوفي سادس عشر من رمضان سنة اثنتين وخمسين وخمسائة . وقبره الشريف في بخارى عند مقام الكلابادي قدس سره .

الخليفة الثالث : الإمام الجليل والولي الشيخ أحمد اليسوي نسبة الى (يسي) بلدة من بلاد الترك ولد وتوفي بها . وهو من عظماء مشايخ الترك وأكثرهم ينسبون اليه ويسمونه أتايسوي . (أتا) في التركية بمعنى الوالد وخلفاؤه لا يحصون عدداً وأشهرهم أربعة :

أولهم : الشيخ سليمان قدس سره من كبار المشايخ ومن كلامه بيت مشهور :  
وكلُّ إمريءٍ تلقاه فالخضر أعتقد وكلُّ الليالي فاعتقد ليلة القدر

ثانيهم : الشيخ سعيد أتا قدس سره .

ثالثهم : الشيخ منصور أتا . وهو من أشبال العارف الكبير باب أرسلان . وكان من كبار علماء الظاهر والباطن تخرج على والده العزيز وتكلم عند الشيخ أحمد بإشارة من أبيه قدس سره . ولما توفي الشيخ منصور قام مقامه نجله المرشد الكبير الشيخ عبدالملك خواجه قدس سره . ثم ناب مناب عبدالملك نجله العالم العارف الشيخ تاج خواجه قدس سره .

رايعهم : الشيخ حكيم آتا . كان من كبار العارفين توفي في خوارزم ومرقده في السور الأبيض يُزار ويُتبرك به واشتهر له خليفتان ؛ (الأول) مولانا حبي آتا قدس سره . و(الثاني) مولانا زنكي آتا بن تاج خواجه الموصى اليه ، كان قدس سره من السادات العظام تربى عند والده . وبعد إنتقاله اتصل بخدمة الشيخ ولم يفارقه حتى توفي قدس سره وكان أسود اللون . (نُقل) أن حكيم آتا كان كذلك فخطر ببال زوجته عنبر آتا يوماً أنه لو لم يكن أسوداً لكان أحسن . فكوشف بذلك فقال لها قريباً تجدين من هو أشد سواداً مني . فلما توفي تزوج مولانا زنكي زوجته عنبر آتا بنت براق خان وأولدها عدة أولاد أجلاء أمجاد وله أربع خلفاء عظماء ؛ أوزون حسين آتا ، وصدراالدين محمد آتا ، والسيد أحمد آتا ، وبردالدين محمد آتا وهم من بخارى وكانوا قد إتفقوا على طلب العلم . فلما أتوا تحصيلهم خرجوا في طلب المرشد ، فلقوا في طريقهم مولانا زنكي آتا وكان يرعى مواشيه فسألهم عن مقصدهم . فلما أخبروه قال إصبروا حتى أنظر لكم مرشداً . فنظر الى الجهات الأربع ثم قال لهم : دُرْتُ العالم كله فلم أجد أحداً يربّيكم غيري . فأما الأولان فسألما اليه أمرهما بلا توقف أصلاً ففتح عليهما في الحال ، وأما الأخيران فقالا في أنفسهما كيف نتبم رجلاً أسود يرعى البقر ونحن مابيت سيد وعالم ولكن لم يسعهما إلا صحبتته فلم ينتفعا به . فتشّفعا اليه بعنبر آتا ، فذكرت ذلك فقال إن سبب عدم إنتفاعهما ماقتلاه في أنفسهما عند لقائي ومع هذا فقد عفوت عنهما . ثم توجه اليهما بنظر إرشاده العالي المم فالحقا صاحبيهما . وكان السيد أحمد آتا من معاصري مولانا الشيخ علي الرامتيني وسيأتي في ترجمته قدس سره ماصداً بينهما من المفاوضة . ومن أشهر خلفاء السيد أحمد آتا مولانا الشيخ إسماعيل آتا كان من كبار المرشدين واستوطن في نواحي خوزيان وهي قرية بين (تاشقند) و(سيرام) . وقد أبتلي بإنكار العلماء عليه فكان يقول إن هؤلاء العلماء أشناني وصابوني . وكان سيدنا الشيخ عبيدالله أحرار ينقل ذلك عنه ويستحسنه . ومن كلامه : "كُنْ في الصيف ظلاً وفي الشتاء ثوباً ووقت الجوع طعاماً" . وكان يقول للمريد : "أنا وأنت أخوان في الطريف فاقبل مني هذه النصيحة وهي أن تتخيل أن الدنيا قبة خضراء ليس فيها إلا الله عزّ وجلّ وأنت ، واذكر الله حتى يغلب عليك التجلي القهري ويفنيك عنك ولا يبقى إلا هو" . ولما توفي ناب منابه نجله الإمام الجليلك الشيخ إسحق خواجه وكان من نواحي (أسيجاب) قرية بين تاشقند وسيرام وهو من كبار العارفين .

(وحكى) الشيخ عبدالله الخجندي أحد أصحاب سيدنا شاه نقشبند قدس الله سرهم العزيز أنه حصل له جذبة قوية فزار مرقده سيدنا الحكيم الترمذي فأمره في الروحانية أن يرجع الى بلاده وأنه سيفتم له بعد اثنتي عشر سنة فرجع الى خوارزم . وأنه بعد ذلك رأى رجلين في المسجد يتذاكران ويبكيان فمال إليهما وأكرمهما ، فقال أحدهما لصاحبه أرى أن هذا الرجل طالب للحق فالأليق أن يكون في صحبة شيخنا . فلما سمع ذلك اضطرب وسألهما عن مكان الشيخ ، فقالا في أسيجاب فقصدته وبقي مدة طويلة عنده ولم يذكر له بشارة الترمذي . قال وكان للشيخ ولد صالح فقال له يوماً : إن هذا الرجل غريب وذو استعداد فينبغي أن يلتفت إليه . فقال : يا بني نصيبه من الشاه نقشبند فكيف نتصرف فيه .

(ومن) أشهر أصحاب الشيخ صدراالدين آتا قدس سره المرشد الإمام الشيخ أيمن بابا . قام مقامه بعد ارتحاله بإشارته في إرشاد الطالبين . وكان من أكابر المرشدين قدس سره ومن أكبر أتباع الشيخ أيمن

المربّي الكبير مولانا علي شيخ قدّس سرّه . كان من الأولياء الكاملين جلس بعد وفاة الشيخ أيمن في مسند الإرشاد حتى إذا لحق بالرفيق الأعلى تصدّر في مقامه . أشهر خلفائه الكرام العارف العالم بالله تعالى مولانا مودود شيخ قدّس سرّه . فناب منابه في إرشاد الخلق الى الحقّ الى أن اصطفاه الله تعالى إليه ، وأشهر خلفائه اثنان :

(الأول) الإمام الجليل كمال شيخ قدّس سرّه . كان كبير الشأن توطن ديار الشاش وحصل به نفع عام جزيل . وهو ممن لقي سيدنا أحرار قدّس سرّه (والثاني) المرشد الكبير خادم شيخ قدّس سرّه . كان من أكبر المربّين هدى الله به كثيراً مما وراء النهر والشاش .

ومن كلامه قدّس سرّه في قوله تعالى (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) قد يحصل للذاكرين قسوة في قلوبهم عند ذكر الله تعالى لأنهم يذكرون الله تعالى بالغفلة والسهو وغلبة الطبع والنفس ، فيحتمل أن يكون قوله من ذكر الله إشارة الى هذا . (ومنه) ما يحصل للمنتهي بعد طي جميع المراتب من الكشف الصوري والنوري يحتمل أن يحصل للمبتدي غير أنه لا يثبت له سبب تنازع الطبع بخلاف المنتهي فإنه إنما حصل له بعد طي مسافة الحجب الظلمانية والنورانية وهو لا يزول . (ومنه) الدليل على صحة الفناء وفناء الفناء إتيان الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم التثاقل من العمل بل يأتي بالأعمال الشرعية بمحبة وسرور .

(وسأله) أحد العلماء عن حال من يرتصون عند السماع بأنه لا يخلو إما أن يبقي عليهم شعورهم أو لا ، فإن كان الأول فإظهار الوجد مع الشعور به قبيح ، أو الثاني فصلاتهم بلا وضوء بعده أقبح . فقال قدّس سرّه : إن من نواقض الوضوء الجنون والإغماء وليس هذا منهما بل العقل الكلّي الإلهي يفيض على العقل الجزئي ويحكم على وجود السالك ، فيكون البدن حينئذ في تدبيره وحمايته ، وللعقل الكلّي قوة أن يحفظ العالم فكيف لا يضبط بدناً فلا يحتاج الى تجديد وضوء أصلاً وله غير ذلك قدّس سرّه .

(ومن أكبر أصحابه) المرشد الكامل الشيخ جمال الدين البخاري . كان من كبار المشايخ وله تمام المعرفة بتربية المريدين . قدم (كاشغر) وأقام في رباط سيدنا سعدالدين الكاشغري . وتوفي ودفن قرب ضريحه قدّس سرّه وهؤلاء السادات كلهم من رجال الرشحات .

الخليفة الرابع : وهو أعظم من تلقى سرّه هذه النسبة الشريفة عن الغوث الهمداني سيدنا الشيخ عبدالخالق العجدواني قدّس الله سرّه العزيز .

## سيدنا الشيخ عبد الخالق ابن الإمام عبد الجميل الغجدواني (قدّس الله سرّه النوراني)

هو صاحب الكرامات التي سارت مسير الشمس والمقامات التي لا يحد سموها إلا الذي يتخبّطه الشيطان من المسبّ . كان عالماً عارفاً صوفياً وبعمود الزهادة والعبادة وفيّاً . (أما الإرشاد) فكان ملكه الأخذ بزمامه وإمامه إذا أتى كل أحد بإمامه وبدر سمائه الذي لا يعتريه النقصان عند تمامه . (وأما التصوف) والزهد والورع المتين وسلوك سبيل المتقين . فهو أشهر من أن يُذكر وأكبر من أن يُنكر . هو رأس هذه الطريقة الشريفة ومنبع طريق الخواجان قدّس الله أسرارهم المنيفة .

(ولد) في غُجدوان بضمّ الغين المعجمة وسكون الجيم بعدها دال مهملة مفتوحة وواو فالف فنون قرية عظيمة على ستة فراسخ من بخارى وبها منشؤه ومدفنه . ونسبه الشريف يتصل بالإمام مالك رضي الله عنه . وكان والده الشيخ عبد الجميل من أكابر علماء ملاطية الروم في الظاهر والباطن والدة من بنات الملوك . (رحل) والده الى ماوراء النهر بأهله لأمر اقتضت ذلك ثم جاء بلاد بخارى وسكن قرية غُجدوان . وقد رأى الخضر وصحبه وبشره بالخواج عبد الخالق قدّس الله سرّه وسماه بهذا الاسم .

(وكان) تحصيله للعلوم في بخارى عند الشيخ العلامة صدر الدين قدّس سرّه ولما برع بالعلوم الظاهرة اشتغل بالمجاهدات والرياضات الشاقة وتحصيل العلوم الباطنة . (ذكر) أنه كان يقرأ تفسير القرآن عند الشيخ صدر الدين قدّس سرّه فوصل الى قوله تعالى (أدعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين) قال للشيخ : ماحقيقة الذكر الخفي وكيف طريقه فإن العبد إذا ذكر بالجهر وبتحريك الأعضاء يطلّم الناس عليه ، وإن ذكر بالقلب فالشيطان يطلّم عليه لقوله صلى الله عليه وسلم : "إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق" ؟ فقال له الشيخ : إن هذا علمٌ لدني وإن شاء الله تعالى يجمعك على أحد من أوليائه ، فيلقنك الذكر الخفي . فكان الخواجه قدّس سرّه ينتظر وقوم هذه البشارة حتى جاء الخضر عليه السلام اليه فقال له "أنت ولدي" . ولقنه الوقوف العددي وعلمه الذكر الخفي ؛ وهو أنه أمره أن ينغمس في الماء ويذكر بقلبه لا إله إلا الله محمد رسول الله . ففعل كما أمره وداوم عليه فحصل له الفتح العظيم والجذبة القيومية ، ثم تسلسلت هذه الجذبة بالذكر الخفي عند الخواجان .

(استطرد) الخواجه بتفخيم الخاء المفتوحة وترسم بالواو ولاتقرأ وإنما هي علامة التفخيم ، وهو فارسي ومعناه الشيخ . ويجمع على خواجان بكاف فارسية وألف ونون والكاف بدل الماء التي في المفرد والألف والنون علامة الجمع .

فكان قدّس سرّه أول من اشتغل بالذكر الخفي في هذه الطريقة ، ولذلك كان رئيسها . ثم لما قدم الغوث الرباني سيدنا يوسف الهمداني بخارى لزم خدمته مدة إقامته في بخارى .

(وروي) عنه أنه قال : لما بلغت إثنين وعشرين سنة أوصى الخضر عليه السلام الغوث الهمداني بتربيتي . فلما قدم بخارى أتيت إليه وبقيت بخدمته حتى عاد الى خراسان ولم يأمرني إلا أن أبقى على ما لقنني الخضر عليه السلام .

(وذكر) الشيخ محمد پارسا أحد أجلاء أصحاب سيدنا النقشبند قدّس سرّهما العزيز في كتابه "فصل



الخطاب " أن طريق الخواجه حجة على جميع الطرق ومقبولة لديهم لأنه كان سالماً طريق الصدق والوفاء ومتابعة الشرع وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومجانبة البدع ومخالفة الهوى . وكان يخفي أحواله عن الناس ويشتغل بالمجاهدات والرياضات الشاقة وتحصيل العلوم الباطنية حتى صار عارف زمانه والمقدم على أقرانه . وامتدت إليه أعين النظار وانتشر صيته في البلدان الكبار ، ورُحِلَ إليه من جميع الأقطار . (ثم سافر الى الشام وأقام بها مدة أعوام وبنى ثم خانقاه ( كلمة فارسية بسكون النون بمعنى الزاوية) واجتمع عليه من المريدين الصادقين خلقٌ كثير . وله رسالة كتبها لولده القلبي المبارك الشيخ أوليا الكبير قد اشتملت من آداب الطريقة والنصيحة الرفيعة والتربية الحسنة الرقيقة على مايجب ايرادها هنا وهي :

يا بني أوصيك بتحصيل العلم والأدب وتقوى الله تعالى . وإتبع آثار السلف الصالح ولازم السنة والجماعة . وإقرأ الفقه والحديث والتفسير واجتنب الصوفية الجاهلين ولازم الصلاة بالجماعة بشرط أن لا تكون إماماً ولا مؤذناً . وإياك والشهرة فإنها آفة . وكن واحداً من الناس . ولا تملُ لمنصب ولو كان محموداً كالقضاء والفتوى . ولا تكن كفيلاً ولا وصياً . ولا تصحب الملوك وأبناءهم والمرد والنساء والمبتدعة والعوام . ولا تبتِ زاوية ولا تجلس بها . ولا تسمع الأنغام إلا قليلاً فإن كثرة السماع تولد النفاق وتُميت القلب . ولا تتمر على أصحاب السمم لأنهم كثيرون . وتلك الكلام والطعام والمنام . وفِرَّ من الناس فرارك من الأسد . والزم الخلوة وأكل الحلال وأترك الشبهات إلا عند الضرورة ، فربما غلب عليك حب الدنيا وفي طلبها يذهب دينك وإيمانك . ولا تضحك كثيراً فإن كثرة الضحك تُميت القلب . ولا تحتقر أحداً ولا تزييتَ ظاهرك لأن تزييت الظاهر من علامة إفلاس الباطن . ولا تجادل الخلق ولا تسال أحداً شيئاً ولا تأمر أحداً بخدمتك . واخدم المشايخ بالمال والجاه والبدن ، ولا تنكر على أفعالهم فإن المنكر عليهم لا ينجو . ولا تغتر بالدنيا وأهلها وينبغي أن يكون قلبك محزوناً ومغموماً وبدنك مريضاً وعينك باكية وعملك خالصاً ودعاؤك بتضرع ولباسك خلقاً . ورفيقك الفقير وبضاعتك الفقه وبيتك المسجد ومؤنسك الحق تعالى .

(ومن إرشاداته القدسية) وإشارات العلية الكلمات الإحدى عشر الفارسية التي بنى عليها طريقة السادات النفسبنديّة قدس الله أسرارهم :

الأولى : وقوف زمني ، أي الوقوف والشعور المنسوب الى الزمان . يعني إطلاع السالك على زمانه المستمر عليه وعلمه بكيفية حاله عند مضيهِ من حيث الحضور المستوجب للشكر والغفلة الموجبة للمعذرة . فالطالب يجتهد كل الإجتهد في أن لا يمضي عليه زمان ولا يجري عليه أن الأ وهو على توجه الى المقصود الأصلي وتنبيه الى أن علم العليم الخبير محيطاً به فلا يعمل من عمل إلا يعلم أن الله شهيد عليه ، إذ يفيض فيه وعلى أي شأن يكون من تحرك وسكون يتيقن أن الله سبحانه تعالى مطلع عليه ، فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وما يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . فالسالك يحاسب أعماله وأحواله في كل يوم وليلة وينظر كيف مرت عليه في ساعاتها بل لحظاتها إن خيراً شكر الله عليه وإن شراً تداركه بالندامة والإنابة إليه . قال سيدنا يعقوب الكرخي : "أمرني سيدي -يعني سيدنا علاء الدين العطار قدس الله سرهما- في حالة القبض بالإستغفار وفي حالة البسط بالشكر" ثم قال : "رعاية هذين الحالين عبارة عن الوقوف

الزمني". وقال سيدنا بهاء الدين شاه نقشبند قدس الله سره العزيز: "هو عبارة عن أن تكون واقفاً على أحوال نفسك، فإن كانت موافقة للشريعة مرضية لله تعالى فأشكره وإلا فاستغفره". ومبنى طريق السالك فيه على حفظ اللحظة الزمانية بحيث يكون واقفاً على نفسه أنه خرج بالحضور أو بالغفلة. والوقوف الزمني عند الصوفية كناية عن محاسبة الأحوال. قال سيدنا بهاء الدين قدس الله سره العزيز وهي أن تحسب كل ساعة مضت بالغفلة وبالحضور فإذا فهمت حقيقة الأمر تعد أن كل الأوقات والأفعال كانت بالغفلة فترجم إلى عمل المبتدي.

الثانية: وقوف عددي، يعني شعور الذائر عند ذكره بعدد الذكر. وهو عبارة عن الذكر الخفي القلبي مع رعاية العدد لا مجرد العدد في الذكر، وذلك لحفظ خاطر وحبسه عن التفرقة. وقال بعض الأكابر من هذه الطائفة العلية كثرة العدد ليست بشرط في الذكر، وإنما العمدة فيه حضور القلب مع المذكور ليرتب عليه فائدة الذكر. وأثره وهو انتفاء الوجود عند النفي وظهور آثار الجذبات الإلهية عند الإثبات. وهذا أول مراتب العلم اللدني. قال سيدنا بهاء الدين قدس الله سره العزيز: "الوقوف العددي أول درجة من درجات العلم اللدني وهو بالنسبة للمبتدي، يحتمل أن يكون معناه ما تقدم، وبالنسبة للواصل أن يقف على سريان الواحد الحقيقي في الأشياء ووقوفه على سريان الواحد العددي في جميع الأعداد الحسابية" كما قيل:

تعدّد هذا الكون والكثرة التي      تلوم خيال كالسراب فخذها  
وما ثمّ إلا واحد جلد ذكره      لنا يتجلّى في المظاهر كلّها

الثالثة: الوقوف القلبي، أي الوقوف المنسوب إلى القلب. وهذا محمول على معنيين: إما وقوف قلب الذائر على المذكور عند ذكره، أي إطلاعهم عليه بحيث لا يغيب عن مراقبته أو مشاهدته بكل حال. قال سيدنا عبيدالله أحرار قدس الله سره العزيز: "الوقوف القلبي كناية عن الحضور مع الحق تعالى على وجه لا يكون معه التفات إلى غيره". وهو شرط لازم في الذكر ويسمى بالحضور والشهود والوصول والوجود. وأما وقوف الذائر في أثناء الذكر على قلبه وهو قطرة دم في وسط قطعة لحم صنوبرية الشكل محاذاة للثدي الأيسر وتسمى محل القوة المتقلبة باختلاف الأفكار والتدبيرات ومداركها والوقوف عليه هو الإطلاع على حاله وإشغاله بالذكر وملاحظة مفهومه وأن لا يخلي عليه سبيلاً للغفلة. قال سيدنا بهاء الدين قدس الله سره العزيز: "الوقوف القلبي بالمعنيين شرط مهم أكثر من الوقوف العددي".

الرابعة: "بنظر برقدم"، بر (بفتح الباء) بمعنى على والمعنى المراد بها عندهم أنه ينبغي للسالك أن يكون نظره إلى قدميه عند المشي لنلا ينظر إلى الأفاق. لأن الناظر إليها يورث الحجاب في القلب، لأن أكثر الحُجُب التي في القلوب هي الصورة المرتسمة فيها من طريق النظر. فهي لدفع تفرقة الأفاق أو لنلا يشتغل عن الذكر بالنظر إلى المبصرات لأن الذائر المبتدي إذا تعلق نظره بالمبصرات اشتغل قلبه بالتفرقة الحاصلة من النظر إلى المبصرات لعدم قوته على حفظ القلب على التفرقة الحاصلة بذلك. أو لنلا ينظر إلى وجوه الأغيار لأن النظر في وجوه الأغيار عند الصوفية من المحظورات، لأن القلوب الصافية مثل المرايا الصقيلة ينطبع فيها ما كان في القلوب القاسية من الأخلاق الذميمة والأفكار الفاسدة بمجرد النظر إلى وجوه أصحابها. أو لنلا يصيب نظره إلى الوجوه الحسان فيفتتن بذلك، لأن النظر سهم من سهام الشيطان، فمن أصابه ذلك إفتنت في

طريق الله . فأمر السالك أن يفضّ بصره بالنظر الى قدميه لنلا يدركه ذلك السهم . ويجوز أن تكون كناية عن التواضع ، لأن أصحاب الكبر والتجبر لا ينظرون الى أقدامهم ، ويجوز أن تكون إشارة الى إتباع السنّة في المشي لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا مشى لا يلتفت يميناً ولا يساراً وكان ينظر الى قدميه متوجهاً الى أمامه مسرعاً في مشيه كأنما ينحط من صيب . ويمكن أن تكون كناية عن علو الهمة لأن صاحب الهمة لا ينظر لسوى الحق سبحانه وتعالى ، كصاحب السرعة في المشي لأنه لا ينظر إلا الى قدميه لنلا يحبط في مشيه . ويحتمل أن تكون إشارة الى سرعة سير السالك في قطع مسافة الوجود الموهوم . يعني كل ما ينتهي نظر السالك اليه يضم قدمه عليه كما قال العارف الكبير سيدنا محمد رويم رضي الله عنه : "أدب المسافر أن لا يجاوز همّه قدمه" . وأشار إليه سيدنا عبدالرحمن الجامي قدس الله سره مادحاً حضرة مولانا بهاء الدين نقشبند بما ترجمته :

لم يخلّ عن نفسه دون الحضور ولم تسبق نواظره الأقدام في السفر  
وذا لسرعة سير فيه قد ركزت فما تخلف رجلاه عن النظر

ولقد أفصح عن هذا المعنى أحسن إفصاح سيدنا الإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي في الخامس والتسعين ومائتين مكتوباته العرفانية ، فقال :

"ليس المراد من قوله النظر على القدم أن لا يجاوز النظر القدم وأن لا يتعداه الى فوق . لأن هذا خلاف الواقع ، بل المراد أن يكون النظر سابقاً للقدم وأن يجعل القدم رديفه ، لأن العروج الى الرتب العالية يكون أولاً للنظر ثم يصعد القدم ، وحينما يصل القدم الى مرتبة النظر يتعلّى النظر الى درجة أعلى منها فيصعد القدم تبعاً له ثم يترقى النظر من ذلك المقام أيضاً على هذا المنوال . ولو قلنا أن المراد من القول المذكور أنه ينبغي أن لا يترقى النظر الى المقام الذي لا يمكن أن يصل اليه القدم فهذا أيضاً غير واقم ، لأن النظر إذا لم يتجاوز المرتبة التي هي غاية سير القدم لكان يفوته أكثر مراتب الكمال . وايضاح ذلك أن نهاية القدم هي غاية مراتب استعداد السالك ، بل نهاية مراتب استعداد النبي الذي هو على قدمه . إلا أن القدم الأولى بالأصالة والثاني بالتبعية لذلك النبي وليس فوق مراتب هذين الاستعدادين مرتبة قدم . وأما النظر فله ذلك لأنه يتقوى حينئذ فتكون نهايته نهاية مراتب نظر النبي الذي هو على قدمه ، لأن النبي يكون لأكمل أتباعه نصيب من جميع كمالاته . فالسالك يترقى قدماً ونظراً أصالةً وتبعاً الى نهاية مراتب استعداد ، ثم يقف القدم ويصعد النظر وحده ويترقى الى نهاية مراتب نظر النبي الذي هو على قدمه . فعلم من هذا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يصعد نظرهم الى مقام فوق مقام قدمهم . وكما أن لأكمل أتباعهم نصيب من مراتب قدمهم فلهم نصيب أيضاً من مقامات أنظارهم . ومقام نظر خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام الذي هو فوق مقام قدمه صلى الله عليه وسلم هو مقام الرؤية . وهذا المقام موعود لغيره في الآخرة ، فما كان لغيره نسيئة كان له نقداً ولكمل تابعيه نصيب من ذلك . ثم نرجع الى أصل الكلام فنقول وإن كان المراد عدم تخلف النظر عن القدم ، أعني أن لا يتخلف النظر بوقت من الأوقات عن مقام القدم فالأخذ بهذا المعنى يمنم السالك عن الترقى . وأما إذا اعتبرنا المعنى المتبادر من ظاهر اللفظ فهو ممكن ويناسب معنى قوله "هوش دردم" لأن الإنسان إذا لم يجعل نظره فوق قدمه في الطريق أثناء مشيه يتشتت بسبب الألوان المحسوسة ، وأما إذا جعله فوق قدمه فإنه يكون للجمع أقرب . اه .

فأنظر هذا النفس ماأحلاه وأنفسه قدّس الله سرّه .

الخامسة : هوش دردم ، هوش بمعنى العقل ودّر بمعنى الظرفية ودم بمعنى النفس . فالمعنى المراد عندهم أنه ينبغي للسالك العاقل أن يحفظ النفس عن الغفلة عند دخوله وخروجه ليكون قلبه حاضراً مع الله تعالى في جميع الأنفاس . لأن حفظ الأنفاس عن الغفلة يؤدي القلب الى الحضور مع الله تعالى . وحضور القلب معه تعالى في الأنفاس إحيائها بالطاعات وإيصالها الى الله تعالى متصفة بالحياة ، لأن كل نفس يدخل ويخرج بالحضور فهو حيّ موصول بالله تعالى ، وكل نفس يدخل ويخرج بالغفلة فهو ميت مقطوم عن الله تعالى . (قال سيدنا عبيدالله أحرار) أهم المهمات في هذا الطريق هو حفظ النفس ومَن لم يحفظ نفسه يقال عنه فلان فقد نفسه . (وقال) سيدنا ومرشدنا بهاء الدين شاه نقشبند قدّس سرّه العزيز أن مبنى هذا الطريق على النفس فينبغي لك أن تحفظ النفس وقت الدخول والخروج بل تحفظ ما بين النفسين :

ياواقفاً عند شط البحر منحبساً      البحر متّسع والشين في طرف  
لاتنظرنّ الى موج الحوادث بل      مم الخضمّ مد الأنفاس لاتقف

(وقال العارف عبدالرحمن الجامي) في أواخر شرم الرباعيات ، قال الشيخ أبو الجناح نجم الدين الكبرى في رسالته "فواتم الجمال" أن الذكر جار في نفوس الحيوانات بأنفسهم الضرورية لأنه وقت خروج النفس ودخوله يخرج حرف الهاء بلا قصد منها وهو إشارة الى غيب الهوية والهاء في لفظ الجلالة هي هذه الهاء والألف واللام للتعريف واللام الثانية للمبالغة أه . فينبغي لك أن تكون حاضراً مع هذا الذكر بأن تكون هوية الحق ملحوظة لك وقت ظهور هذا الحرف حتى يصير ملكك ، فحينئذ لايزول أبداً ولو أردت زواله . وغيب الهوية عند أهل الله عبارة عن الذات المطلقة عن جميع التعيينات . ويجوز أن تكون هذه الكلمة كناية عن انتهاء الغافل عن سنة الغفلة في حال الذكر ، لأن المقصود من الذكر استمرار ملاحظة معناه واستمرار ملاحظة معنى الذكر يؤدي الى تجلّي ذلك المعنى ، وذلك لايمكن إلا بحفظ الأنفاس عن الغفلة لأن حفظها يؤدي الى الحضور والحضور سبب شهود تجليات الحق سبحانه وتعالى ، لأن لله تعالى تجليات بعدد أنفاس الخلق . فمن حفظ أنفاسه عن الغفلات كان حاضراً مع الله تعالى فيصيب من تلك التجليات . ثم اعلم ان حفظ الأنفاس عن الغفلات عسير على السالكين ، فإذا تخللتها الغفلة فلا بد لهم أن يستغفروا الله منها . فالإستغفار يطهرها ويذكّيها وكما أن في قوله قدّس سرّه نظر بر قدم إشارة لدفع تفرقة الافاق كما تقدم كذلك في هذه إشارة لدفع تفرقة الأنفس .

السادسة : سفر در وطن ، أي السفر في الوطن . والمعنى المراد بها عندهم انه ينبغي ان يكون سفر السالك من عالم الخلق الى جناب الحق سبحانه وتعالى ، كما أشار إليه خليك الله عليه الصلاة والسلام بقوله (إني ذاهب الى ربي) ، ومن حال الى حال أحسن منه أو من مقام الى مقام أعلى منه ، كما قال أبو عثمان المغربي قدّس سرّه : "يجب على السالك ان يسافر من عند هواه وشهوته ومراده لا من بلد الى بلد" . وإنما إعتبر أرباب السلوك السفر الظاهري للوصول الى المرشد المربي ، فلما وصل اليه وجب عليه ان يسلم أمره اليه ويقوم عنده ويترك السفر الظاهر حتى يقدر على السفر الباطني وتتم الإرادة .

(وكان) الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي صاحب "نوادير الأصول" قدّس سرّه يمتنع السالك عن السفر الظاهري ويقول مفتاح كل خير ومفتاح كل بركة الصبر في موضع إرادتك الى أن تصح لك الإرادة ، فإذا

صَحَّتْ لك الإرادة فقد ظهرت لك أوائل البركة فأنت في سفر الى الله تعالى سواء سافرت من حيث الظاهر أو لم تسافر . ثم أعلم ان المشايخ إنما منعوا السالكين عن السفر الظاهري لأن فيه المشاق والمحن التي لا يتحملها أهل البدايات لعدم تمكنهم في مقام العبودية والشهود فتؤدي بهم تلك المشاق الى ارتكاب المخالفة في طريق السلوك وترك الفرائض والسنن وتورث في قلوبهم التفرقة . وأما الكاملون فلا تؤثر فيهم تلك المشاق بل يحصل لهم الترقيات الى الدرجات العاليات بسبب تحمل مشاق السفر ومحنته كما كان السلف الصالحون . وإذا استوطنت نفوسهم في محل وحصل لهم الإئتلاف مع الناس سافروا لرفع العادات وترك الراحة وقطم الألفة واختيار الذلة ليحصل لهم التجرد التام حتى يصلوا الى أعلى مقام .

( قال سيدنا الشيخ عبيدالله أحرار ) إن السفر لا يورث المبتدئ إلا التفرقة فينبغي للطالب إذا وجد الشيخ أن يلازمه بصدق المهمة في الخدمة ولا يفارقه إلا بعد التمكن ، فإذا حصل له التمكن يكون سفره وحضره على نية صحيحة :

ما أحسن الضحك الجاري بغير فم ورؤية غاب عنها هيكل البصر  
كُنْ قاطناً ظاهراً والسر مرتحل فالسير من دون رجل أحسن السفر

( وقال العارف الجامي قدس سره ) إن قلب الإنسان إذا زالت منه تعلقات الأكوام وإرادات الطبع البشرية يظهر صفاؤه الأصلي فلا يحتاج الى السير والسلوك ، لأن المراد منه تصفية القلب بل ينطبع فيه كل ما قبله من الكمالات كالمرأة الصقيلة فإنها يظهر فيها صور الأشياء المقابلة لها بلا احتياج الى حركة ، لأن صفاءها أصلي فما يقابلها ينطبع فيها . وقال سيدنا الإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي : " هذه الكلمة المباركة عبارة عن السير الأنفسي ومنشأ حصول إندراج النهاية في البداية الذي هو من خصائص الطريقة العلية النقشبندية . وهذا السير وإن كان موجوداً عند جميع أهل الطرق ولكن لا يتيسر لهم إلا في نهايتهم بعد قطم السير الأفقي . وأما السالك هذا الطريق فابتدأه يكون من هذا السير وفي ضمنه يقطم السير الأفقي . فمنشأ هذا السير في البداية من إندراج النهاية في البداية " .

السابعة : خلوة در أنجمت ، اعلم أن الخلوة أنواع :

(الأول) خلوة في الظاهر . وهي إختلاء السالك في بيت خال عن الناس وقعوده فيه ليحصل له الإطلاع في عالم الملكوت ، لأن الحواس الظاهرة متى احتبست عن أحكامها إنطلقت الحواس الباطنة لمطالعة آيات الملكوت .

(الثاني) خلوة في الباطن وهي التي أشار إليها الشيخ بقوله " خلوة در أنجمت " أي الخلوة في الجلوة . لأن معنى ( أنجمت ) جمعية الناس والمراد بها عندهم انه ينبغي أن يكون قلب السالك حاضراً مع الحق غائباً عن الخلق مع كونه بينهم . فحينئذ تكون هذه الكلمة بمعنى المراقبة . وقيل هي كناية عن كون الذكر مستغرقاً في الذكر القلبي بحيث إذا دخل السوق لم يسمع أصوات الناس بسبب استيلاء الذكر على حقيقة القلب . وقيل هي كناية عن استيلاء النسبة العلية بحيث لا ينافيها معية الخلق ولا يضرها المعاملة معهم . وهذه هي الخلوة الحقيقية كما أشار إليه تعالى بقوله ( رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ) وهي خاصة بالطريق النقشبندي لأن أربابها لا يختلون بالخلوة الظاهرة وإنما خلوتهم من حيث الباطن عند جمعية الناس ، كما قال سيدنا ومرشدنا الشيخ بهاء الدين قدس سره : " الشهرة في الخلوة وفي الشهرة الآفة والخير في الجمعية والجمعية في الصحة بشرط أن تكونوا فانيين بينكم .

(وقال سيدنا عبيدالله أحرار) لو ذكر السالك بجدّ وإهتمام يصل في نحو خمسة أيام الى أن يسمع جميع الأصوات والحكايات وحتى كلام نفسه ذكر الله تعالى . وإنما اختاروا هذه الخلوة اتباعاً للسنة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم اختار الجمعية على الخلوة وقال : "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبرهم على أذاهم خير من المؤمن الذي لم يخالط الناس" . (وقال الشيخ أبو سعيد الخراز رضي الله عنه) ليس الكامل من صدر عنه أنواع الكرامات ، وإنما الكامل الذي يقعد بين الخلق يبيع ويشترى معهم ويتزوج ويختلط بالناس ولا يغفل عن الله لحظة واحدة :

بقلبك كُنْ بالحبِّ منصِباً وَكُنْ      بظاهرك المشهود في زيِّ أجنبي  
وهذا طريق نادر عزَّ أهلك      على أنهم فازوا بأعذب مشرب

(وقال سيدنا الإمام الرباني قدس سره) قوله "خلوة در أنجمن" متفرع عن "سفر در وطن" لأنه متى تيسر السفر في الوطن تيسرت الخلوة في الجلوة . فيسافر في تفرقة الجلوة في وطن الخلوة فلا تجد تفرقة الألفاظ الى حجرة الأنفس سببياً . وهذه الخلوة وإن كانت متيسرة لك منته في سائر الطرق أيضاً ، لكن لما كانت متيسرة في ابتداء هذه الطريق صارت من خصائصه . ومما ينبغي أن يعلم أن الخلوة في الجلوة إنما تحصل إذا كانت أبواب خلوة وطن القلب مغلقة وطاقتها مسدودة . يعني لا يلتفت في الجلوة الى أحد ولا يكون متكلماً ولا مخاطباً إلا أنه يغمض عينيه ويعطل الحواس بالتكلف فإنه ينافي هذا الطريق . نعم يأخي يحتاج السالك لهذا التكلف والتحمل في الإبتداء والوسط ، وأما في الإنتهاء فلا ، بل يكون فرقه جمعاً وغفلته حضوراً ولا يتوهم من ذلك أن التفرقة وعدمها في نفس جمعية باطنه سيان ، هذا ومع ذلك لو جُمع الظاهر مع الباطن ودمع التفرقة عن الظاهر أيضاً كان أولى وأنسب ، قال تعالى امرأ النبي عليه الصلاة والسلام (وأذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتلاً) . وينبغي أن يعلم أنه لا بد من تفرقة الظاهر في بعض الأوقات لأداء حقوق الخلق وهي مستحسنة في بعض الأحيان ، وأما تفرقة الباطن فلا تجوز في وقت من الأوقات إذ الباطن لله خالصاً فصارت ثلاثة أرباع من العبد المسلم لله تعالى الباطن بتمامه والنصف من الظاهر وبقي النصف الآخر من الظاهر لأداء حقوق الخلق إمتثالاً لأمر الحق ، لكن إذا كان هذا النصف لأداء حقوق الخلق يصير لله سبحانه تعالى اليه يرجع الأمر كله .

الثامنة : ياد كَرْد ، (ياد) بمعنى الذكر وأصله كَرْدَنْ وهو مصدر مركب حذفت نونه تخفيفاً . والمراد بها عندهم أنه ينبغي للسالك أن يذكر النفي والإثبات باللسان بعد وصوله الى مرتبة المراقبة كل يوم بعدد معين مثل خمسة آلاف أو عشرة آلاف . وإنما شرطوا ذكر النفي والإثبات باللسان في هذه المرتبة لأن القلب بتعلقه بالعناصر يصدأ بصدأ العناصر . فإذا ذكر النفي والإثبات باللسان ينجلي صدؤه ويترقى في المراقبة حتى يصل الى مرتبة المشاهدة . وقيل هي عبارة عن تكرار الذكر على الدوام سواء كان بالقلب أو باللسان باسم الذات أو النفي والإثبات الى أن يحصل للذاكر الحضور بالمذكور . ويجوز أن تكون كناية عن ذكر الله مطلقاً إذا حصل له النسيان عن الذكر أو الغفلة كما قال الله تعالى (وأذكر اسم ربك إذا نسيت) . (وقيل) المقصود منها ذكر النفي والإثبات بالقلب على الطريقة المعروفة عند السادات النقشبندية وهي أن يغمض الذكر عينيه ويطبّق الفم ويجعل السن على السن واللسان بعرض الفم ويحبس النفس ويذكر بالقلب لا باللسان بأن يبتديء بكلمة "لا" من تحت السرّة ويرفعها الى الدماغ ، وبكلمة "له" من الدماغ الى الكتف ويضرب "إلا الله" مع حركة الرأس على القلب الصنوبري الشكل حتى تتصل حرارته الى الأعضاء كلها . وينفي بالنفي

وجود جميع المحدثات وينظرها بنظر الفناء ويثبت بشقّ الإثبات ذات الحقّ تعالى ناظراً له بنظر البقاء . ويلاحظ الخط الفاصل من الإنتقالات . ويقول بعد ذلك في القلب "محمد رسول الله" ويكررها على قدر قوة النَّفْس ويطلقه من الفم على الوتر المعروف عندهم بالوقوف العددي . ويجب أن يكون هذا الذّكر بغير تصور المعنى حتى يقدر السالك أن يأتي بإحدى أو ثلاث وعشرين مرة في نَفْس واحد . فحينئذ يتصوّر المعنى وهو أن لا مقصود غير الله ، فإن نفي المقصودية أبلغ من نفي المعبودية لأن كلّ معبود مقصود ولا عكس .

التاسعة : باز كشت ، "باز" بمعنى الرجوع و"كشت" بالكاف الفارسية أصله "كشتت" حذفت نونه للتخفيف . والمراد بها عندهم أنه ينبغي للذاكر أن يرجع في النفي والإثبات بعد إطلاقه للنفس الى تخليّ هذه الجملة الشريفة "إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي" . وتخليها يؤكد معنى النفي والإثبات ويورث في قلب الذاكر سرّ التوحيد حتى يفنى عن نظره وجود جميع الخلق ويظهر له وجود الواحد المطلق في المظاهر . ولذلك كان السادات النقشبندية يأمرّون بها المريدين ليتصفوا بمضمونها مع المداومة عليها ، لأن من خاصية هذه الكلمة ظهور سرّ التوحيد وإنكشاف حقيقة التجريد والتفريد . ولايجوز للمبتدئ، إذا لم يجد في قلبه صدق مضمونها أن يتركها بل يقولها تقليداً لمرشده إذ المقلّد يصير محققاً وأثار الصدق تظهر بالتدرج .

(ذكر الشيخ علاء الدين المكتوبار) أحد أصحاب الشيخ سعيد الكاشفري أن الشيخ لما لقّنه أن يقول هذه الجملة الشريفة قال : "وكنتم لأجد في نفسي صدق مضمونها فأغضب من ذلك ، فذهبت ذات يوم عند الشيخ وأنا متفكّر في هذا الأمر . فلما وصلت اليه قال لي الشيخ "روح عند الشيخ بهاء الدين عمر" . فذهبت معه حتى إذا جلسنا عنده قال الشيخ بهاء الدين عمر : كان الشيخ علاء الدولة يقول إن لم يجد الطالب إخلاصاً في الباطن ينبغي أن يذكر هذه الكلمات المباركة مع الذّكر حتى يظهر الصدق في باطنه ببركة التزام هذا الذّكر . فلما سمعت منه هذا الكلام زال عني الإضطراب وظهر لي صدق مضمونها ببركة الشيخ قدّس سرّه" . (وقيل) باز كشت كناية عن رجوع الذاكر الى الله تعالى عند الذّكر بإظهار العجز والتقصير ، لأنه لا يقدر أحد على حقّ الذّكر إلا بإعانتة تعالى . فلذلك ورد "ماذكرناك حقاً ذكرك يامذكور" . وإن الذاكر لا يمكن له الحضور في الذّكر ولا ينكشف له أسرار الذّكر ولا يتيسّر له الوصول الى الله تعالى بالذّكر إلا إذا ذكره به تعالى نفسه . فلذلك كانت كلمة "باز كشت" إشارة الى رجوع الذاكر حال ذكره الى الله تعالى كما تقدم ليحصل له الوصول بالذّكر الى المذكور .

العاشرة : نگاه داشت ، "نگاه" بمعنى الحفظ و"داشت" وأصله "داشتت" حذفت نونه للتخفيف . يريدون بها أن يحفظ السالك قلبه على ملاحظة معنى النفي والإثبات عند الذّكر لنلا تدخله الخواطر ، فإن دخلت فيه الخواطر لا تحصل فيه نتيجة الذّكر التي هي حضور القلب بالمذكور . أو المراد ان يحفظ قلبه عن دخول الخواطر فيه ساعة أو ساعتين أو أقل أو أكثر وهذا المعنى يتحد بالوقوف القلب . وإعلم أن حفظ القلب من دخول الخواطر ولو ربع ساعة أمر عظيم عند الصوفية ، فإن من قدر على ذلك فقد تصوّف . لأن التصوّف هو القدرة على حفظ القلب عن دخول الخواطر فيه وتعطيله عن الأفكار . فمن قدر على هذين الأمرين فقد عرف حقيقة قلبه ومن عرف حقيقة قلبه فقد عرف ربه ، كما قال صلى الله عليه وسلم : "مَنْ عرف نفسه فقد عرف ربه" .

(قال الشيخ قاسم) أحد أصحاب الشيخ عبيدالله أحرار اني لأحفظ الخواطر من طلوع الفجر الى الضحى بحيث لا تكون للقوة المخيلة أثر . (وقال بعض العارفين) حرس قلبى عشر ليال فحرسنى قلبى عشرين سنة . (وقال) الشيخ أبو بكر الكتاني قدس سره : "كنت بواباً على باب قلبى أربعين سنة ومافتحته لغير الله تعالى حتى صار قلبى لم يعرف غير الله عز وجل" .

(وقال) سيدنا الشيخ أبو الحسن الخرقاني قدس سره : "اليوم لي أربعون سنة والله ينظر الى قلبى لا يرى فيه غيره مايقى لغير الله شيء ولا في صدري لغيره قرار" . أو المراد من حفظ القلب من الخواطر عدم ثباتها عند مرورها عليه . (قال الشيخ عبيدالله أحرار) ليس معنى حفظ خاطر أن لايجيء للسالك خاطر أصلاً ، بل أن لايزاحم خاطر حضوره كالحشيش إذا سقط على الماء الجاري فإنه لايمنع جريانه . (وقال) سألت الشيخ علاء الدين العجدواني وهو من كبار أصحاب سيدنا بهاء الدين نقشبند : هل يمكن أن لايجيء خاطر قط ؟ قال : لا . بل تارة يجيء وتارة لايجيء كقولك لآخر "لا تكتن مغموماً تريد لاندنم على غمك لا أن لايجينك غم" . (ويؤيده) ماقاله الشيخ علاء الدين العطار : "وانتفاء الخواطر متمسّر بك متعذّر فاني حرس قلبى من الخواطر عشرين سنة ثم جاءت ولكن مااستقرت" . (وقال بعضهم) لا عبرة للخواطر إذا لم تتمكن وتصير سداً في مجاري الفيض .

الحادية عشر : يادداشت ، والمراد عندهم أنه ينبغي للذاكر أن يحفظ قلبه مع الحضور بالمذكور بعد النفي والإثبات بحسب النفس . وقيل هي كناية عن حضور القلب مع الله تعالى على الدوام في كل حال ، فحينئذ تتحد مع المراقبة . ثم اعلم إن الحضور الحاصل من الذكر والمراقبة والصحبة والرابطة . وكلمة "يادداشت" متحدة من حيث الحقيقة لأن الحضور مشاهدة أنوار الذات الأحدية ، لكنهما مختلفة من حيث الكيف لايعرف ذلك الإختلاف إلا الخواص . (هذا) والخواطر أربعة :

\* خاطر نفساني \* خاطر شيطاني \* خاطر ملكي \* خاطر حقاني

فيلزم السالك أن ينفي الثلاثة ويثبت الحقاني . ومعرفة الخواطر وتمييزها عسير ومما ذكروا في بيانها أن حصول خاطر النفساني من أرض القلب يعني من تحت القلب . وهذه تصح معرفتها لمن تحلى بالتقوى والزهد والورع وأكل الحلال الطيب وكان دائماً مراقباً لخواطره لايتترك الغير يمر به . ثم إن الشيخ قدس سره لما قرب إنتقاله الى الدار الآخرة أذن بتربية المريدين لأربعة خلفاء راشدين :

الخليفة الأول : البحر الحبر العارف والمرشد الكامل المعارف الشيخ أحمد الصديق قدس سره . كان من كبار المشايخ العظام . وهو بخاري الأصل صحب الشيخ عبدالخالق العجدواني قدس سره حتى كمل بدره . ولما رفعه الله تعالى إليه جلس مكانه في دست الإرشاد الى أن توفي قدس سره .

الخليفة الثاني : كبير الأولياء الشيخ عارف أولياء الكبير قدس سره ، وأصله من بخارى . وكان مستغرقاً في تحصيل علم الظاهر فلقى الشيخ مرة في السوق وقد اشتري لحماً وحمله . فقال له : "أنا أحمله عنك" فأعطاه إياه فلما وصل بيته التفت إليه وقال تأتي بعد ساعة حتى أكل الطعام معك . فلما إنصرف لم يجد في قلبه ميلاً للعلم بل وجد منصرفاً لخدمة الشيخ فعاد الشيخ في الوقت . فتقبله وقال له "أنت ولدي" وعلمه الطريق فاشتغل به . وترك الذهاب الى أستاذه فكان كلما رآه أستاذه عنقه وشمته على ترك العلم وأمره بالحضور الى



المدرسة وهو لا يقبل ولا يجيبه بشيء . فاتفقت أن إقترب أستاذه ذات ليلة كبيرة من الكبائر فلما التقيا في النهار أطال لسانه عليه على العادة . فقال له : " ياسيدي كنت في الليل كذا وكذا من الفسق والآن تمنعني عن طريق الحق " . فحجل الأستاذ خجلاً عظيماً وعلم علو مراتب الصوفية وأحوالهم وحضر عند الشيخ عبدالخالق في الحال وتاب وأخذ طريقته وصار من المقبولين لديه . وثبت أن مولانا عارف أوليا إعتكف إعتكاف الخواطر في مسجد "سرصرافان" الكائنة في سوق بخارى أربعين يوماً . وكان سيدنا الشيخ عبيدالله أحرار يستعرب هذا الحال من الشيخ أوليا حتى كان يعضُّ على أنامله . وتوفي في بخارى ودُفنت قرب برج العيار على تل "زيرحصار" قدس سره ومن أشهر خلفائه خمسة :

(الأول) زهرة العارفين الشيخ دهقان القلتي قدس سره . كان آية باهرة في تربية الطالبين وقد قام مقام مرشده من بعده حتى توفي في "قلت" بكسر القاف وتشديد اللام المفتوحة المثناة ، وهي قرية على فرسخين من شمال بخارى .

(الثاني) نخبة العارفين الشيخ ذكي الخدابادي قدس سره . كان من أكابر المرابين ولما توفي الشيخ دهقان قام مقامه حتى أتم أنفاسه المقدسة في قرية "خداباد" من أعمال بخارى وعلى خمسة فراسخ منها . (الثالث) صفوة الصالحين الشيخ "سوكمان" ناب مناب مرشده أيضاً وأتم أعمال الطريقة العلية بمدده . وكان من أكابر أهل الإرشاد وتوفي في بخارى وقبره المبارك عند ضريح شيخه عبدالخالق قدس سره . (الرابع) سلالة العارفين وعمدة المرشدين الشيخ "غريب" . وهو نجل الشيخ عبدالخالق الفجدواني قدس سره . ناب مناب والده بعد إنتقال خلفائه الثلاث وحصل له في الطريق شأن عظيم . فلما قدم محبوب القلوب الشيخ حسن البلغاري كان على كبر سنه وجلالة قدره يتردد دائماً الى حضوره . وسئل عنه مرة فقال : "رأيت كثيراً من الأولياء والمشايخ فلم أر مثله" . وللشيخ غريب أصحاب كثيرون من أشهرهم أوليا يارس والشيخ حسن الساوري والشيخ أوكتمان والشيخ أوليا غريب قدس سرهم . (الخامس) ولي العلماء وعالم الأولياء الشيخ نورالدين قدس سره كان في الإرشاد عمدة أقرانه ولؤلؤة صدفة زمانه .

الخليفة الثالث : العارف الكبير والبحر المنير الشيخ سليمان الكرمني قدس سره . كان من أكابر المرشدين واشتهر له ثلاث خلفاء :

الأول : المرشد الكامل الشيخ محمد شاه قدس سره .

الثاني : الإمام الكامل والعالم العامل الشيخ سعدي الفجدواني قدس سره .

والثالث : خلاصة الأولياء المهديين الشيخ أبو سعيد البخاري قدس سره وقد تعاقب كل من هؤلاء الخلفاء الثلاثة على مقام الشيخ سليمان الى أن توفي أبو سعيد فتاب عنه خليفته العلامة الكبير والمرشد الشهير الشيخ محمد البخاري صاحب كتاب "مسلك العارفين" قدس سره ، وهؤلاء السادات من رجال الرشحات . ورأيت في "سلسلة نامه" للشيخ محمد بن حسين بن عبدالله الغزويني أن من أصحاب الشيخ عبدالخالق نفعا الله به إمام الزمات الشيخ خان البخاري قدس سره .

الخليفة الرابع : شيخ هذه السلسلة وأعظم من سرى إليه سر هذه النسبة المجلدة سيدنا الشيخ عارف الريوكري قدس الله سره العزيز .

## سيدنا الشيخ عارف الريوگري قدّس الله سرّه العزيز

عارف ظهرت أنوار صادق فجره فأشرققت بعد الغروب شمس المعارف في عصره . ولد قدّس سرّه سنة ... في قرية "ريوگريا" بالراء المهملة والياء المثناة التحتيّة والواو الساكنتين والكاف الفارسية المكسورة وقيل تُفتح والراء مهملة . وهي من قرى بخارى على ستة فراسخ من عُجْدَوَان ، ثم أخذ الطريقة عن حضرة العزیزان وقام بأعباء خدمته حتى أذن له بالإرشاد وشهد له بالكمال على رؤوس الأشهاد . ولما أفضت إليه الخلافة ناهز بالعمة الجمّة أسلافه فتصدّر للإرشاد وتصدى ولم يخف المرید من ليلی مراده هجراً ولا صدأ فملاً الأقطار بأعطار بركاته وفتح أبصار الأمصار بأسرار فتوحاته حتى أصبح نور حديقة الحقيقة ونور حدقة هذه الطريقة يُقصد بالرحلة من كل الجهات ، وهو من أعظم رجال النفحات والرشحات . وكانت وفاته في القرية المذكورة سنة (... ) وله عدة خلفاء لم أقف على أسمائهم . ثم تلقى سرّه هذه النسبة الشريفة عنه سيدنا الشيخ محمود الانجیرفغنوي قدّس الله سرّه العزيز .

## سيدنا الشيخ محمود الانجيرفغنوي

### قدّس الله سرّه العزيز

مرشد تفجّرت من بين أصابعه مياه الحكمة . أنعم الله تعالى بوجوده على قلوب هذه الأمة فصقل مراتها من كل ظلمة وغمّة ومزّق عنها بها حجب الأغيار وجعلها بأنواره القدسية من المصطفين الأخيار . فهو أعظم نعمة وأعمّ رحمة .

(كان قدّس سرّه) ممّ جلاله قدره يشتهل بصنعة البناء . فلما أقيم مقام سيدنا الشيخ عارف قدّس سرّه إنقطع لهداية الخلق الى الحق وقد عدل الى الذكر الجهمي منذ مرض أستاذه لمقتضى خلق الوقت وإستمر عليه بعد إنتقاله . وكان أكثر إقامته في مسجد "وأبكي" (بواو مفتوحة فألف فموحدة ساكنة فكاف فنون فباء تحتية) قرية من أعمال بخارى .

وحضر يوماً مجلس علم فأشار الشمس الحلواني الى الشيخ حافظ الدين وهو من كبار علماء الظاهر أن يسأل ماذا ينوي بذكر الجهر ، فقال له : "إيقاظ النائم وتنبيه الغافل ليتوجه الى الله ويستقيم على الطريقة ويخلص التوبة الى الله تعالى التي هي مفتاح الخير وأية السعادة" . فقال له إن نيتك صحيحة تجيز لك الجهر بالذكر . وطلب الشيخ حافظ الدين منه أن يبين له حال من يجوز له ذكر الجهر ليمتاز المحق من المبطّل ، فقال قدّس سرّه : "من وجدتم لسانه مطهراً من الكذب والغيبة ، وجوفه منزهاً عن الحرام والشبهة ، وقلبه مزكّى من الرياء والسمعة ، وسرّه مبراً من التوجه للأغيار فهو المحق" . (وقال) سيدنا الشيخ على الراميتني قدّس سرّه لقي رجل الخضر عليه السلام فقال له : أخبرني عمّن هو في هذا الزمن على جادة الشريعة المطهرة وطريق الإستقامة حتى أتبعه . فقال له : هو الشيخ محمود الانجيرفغنوي قدّس سرّه . (قال) بعض أصحاب الشيخ علي إنه هو الرجل الذي لقي الخضر . وذكر الشيخ أيضاً أنّ الشيخ محمود كان على قدم الكليم على نبينا وعليه الصلاة والتسليم . وعاد قدّس سرّه حضرة الشيخ دهقان قتلتي الى (قلّت) وهي قرية على فرسخين من بخارى ، وكان من كبار خلفاء الشيخ أولياء الكبير البخاري وقد احتضر . فلما خرج من عنده سأل الشيخ دهقان الله تعالى أن يغيّثه بولي من أوليائه في سكرات الموت ، فإذا بالشيخ محمود عاد الى منزل الشيخ دهقان ثانياً وبقي ثمّ حتى التحق بالرفيق الأعلى . (ولد قدّس سرّه) سنة (... ) في قرية انجيرفغني ، و"انجير" بكسر الهمزة وسكون النون وجيم فياء ساكنة فراء مهيّلة اسم للتين بالتركية و"فغني" بفاء معجمة فنون مثناة تحتية قرية من أعمال بخارى ، وله ثلاثة خلفاء :

الأول : مظهر الفيوضات الربانية ومصدر الحقائق الإلهية العارف بالله تعالى مولانا الشيخ حسن الوابكي المعروف بالأمير كلان أي الكبير . الخليفة الثاني : أخوه أمير المرشدين الكرام الشيخ حسين ، المعروف بأمير خورداي الصغير الوابكي قدّس سرّه . فإنه شام ذكره في الأفاف بالولاية والإرشاد حتى تكملّ عنده عدة مرشدين من أشهرهم : العارف بالله تعالى مولانا الشيخ علي الأرغنداني فلقد كان آية في الإرشاد كثير الأصحاب أولي الهداية والإمداد . ومن أكبر أصحاب الأرغنداني العارف الكبير الشيخ أحمد شكر مولانا الدرويش الأوسكني الشيخ علي الراميتني المشهور بالعزيز قدّس سرّه .

## سيدنا الشيخ علي الراميتني

### قدّس الله سرّه العزيز

عَلَّمَ عِلْمَ ما أرفعه ومنهله فضله ماأنفعمه ، فتح من كنوز القلوب أقالها ، أوضح من سنن الغيوب إغفالها الى نفس كم جبر بكسر شهوات النفوس أحوالها ، ومحا عنها بما أوحى لها أحوالها . ونال في دولة العارفين من الفضائل والمفاخر ماصدقت قول القائل "كم ترك الأول للآخر" . فهو لإرشاد القاصرين الى المقامات العرفانية أولى وليّ وإذا لم تكن العلماء أولياء فليس لله وليّ علا في سماء الهداية قدره واسمه فلا يدرك بالعبرة وحده ولا رسمه أنه في أم الكتاب لدينا لهليّ .

(وُلد قدّس سرّه) في قرية "راميتن" وهي (براء) مهملة مفتوحة فألف فميم مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة فنون) قرية على فرسخين من بخارى . ونشأ بها واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية حتى تطلّم منها . إتصل بحضرة سيدنا الشيخ محمود الإنجيرفغنوي فحصل له من المقامات العالية والفتوحات المتوالية ما ملأ به الخافقين إمداداً والغريقتين إرشاداً . وإشتهر بالعزيزات وهي أعظم أية على علو الشان .

(ومن أنفاسه النفيسة) "إعملوا ولا تحسبوا واعترفوا بالتقصير وإستأنفوا العمل" . (ومنها) "إجتهد بالحضور على الدوام لاسيما وقت الطعام وعند الكلام . (ومنها) إن في قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً... الآية) إشارة وبشارة الى التوبة وبشارة بقبولها ، فإن الأمر بها دليل قبولها إذ لو لم يقبلها لم يأمر بها . (وسئل قدّس سرّه) عن المسبوق متى يقضي ما فاتته فقال قبل طلوع الفجر . (وقال قدّس سرّه) في معنى قوله عليه السلام : "إن الله ينظر الى قلب المؤمن كل يوم وليلة ستين وثلاثمائة مرّة" إن للقلب ستين وثلاثمائة منفذ ولكل عضو ستين وثلاثمائة عرق من الأمعاء وغيرها متصلة بالقلب . فإذا تأثر القلب بذكر الله بحيث يصل الى مرتبة تختصّ بنظر الله سرى هذا التأثير الى جميع الأعضاء . فيشتغل كل عضو بالطاعة اللائقة به . ومن نور طاعة كل عضو يصل الفيض الذي هو عبارة عن نظر الرحمة الى القلب . (وسئل قدّس سرّه) عن الإيمان فقال هو القطع والوصل . أخذ هذا الجواب من صنعتته فإنه كان نَسَاجاً وكان معاصراً للعالم الكبير الشيخ ركن الدين وبينهما مفاوضات ومراسلات كثيرة . منها أنه أرسل الشيخ ركن الدين اليه رسولاً يسأله ثلاث مسائل :

الأولى : قال له كلانا نخدم الفقراء والمساكين و نطعم الطعام فما بال طعامك لا تكلف فيه والخلق يشكرونك ويرضون منك ويشكون منّي ولا يرضون ؟ فأجاب قدّس سرّه بأن كثيراً من أهل العطاء يمتنون على المعطى له ولا يتحمل المنّ إلا قليلاً من الناس . فإجتهد في عدم المنّة لاتجد أحداً منهم شاكياً . والمسألة الثانية : قال له سمعت أنّ الخضر قد تولى تربيتك فكيف هذا ؟ فأجابه بأن الذين يحبهم الله يحبهم الخضر . والمسألة الثالثة : قال له سمعت أنك تذكر الله جهراً فمت أين لك ذلك ؟ فأجابه بأنّي أنا سمعت كذلك أنك تذكر الله خفية وماسمعه غيرك يكون جهراً . (وسأله) مولانا سيف الدين فضة ، وكان من أجل العلماء ، فقال له لم تجهر بالخبر ؟ فقال قد اتفقت

العلماء على جواز الجهر بالذكر عند النفس الأخير من الحياة لقوله صلى الله عليه وسلم : "لَقَنُوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله" وعند الصوفية كل نَفَس هو النَّفَس الأخير . (وسأله) مولانا الشيخ بدرالدين الميداني ، وكان من أجل أصحاب الشيخ حسن البلغاري ، قائلاً : بأن الله تعالى أمرنا بكثرة الذكر بقوله جلَّ جلاله (أذكروا الله كثيراً) فمك المراد به ذكر اللسان أو القلب ؟ فقال : للمبتديء ذكر اللسان وللمُنْتَهِي ذكر القلب . لأن المبتديء يذكر الله تعالى بالتكلف والتعمُّل وأما المنتهي فإن القلب إذا تأثر بالذكر صارت جميع أجزائه ذاكرة . فحينئذ يتحقق بالذكر الكثير فتكون أعمال يوم واحد منه بمقدار عمل سنة من غيره . (وقال قدس سره) على المرشد أن يُعلِّم أولاً استعداد السالك وقابليته ثم يلقنه الذكر ويربيه على حسب ذلك . فإن من يتصدى لتربية المريدين وإرشادهم مثل من يربي الطائر . فكما ينبغي له أن يعلم قدر تحمل حوصلته فيطعمه على حسبها كذلك المرشد . (وقال قدس سره) لو كان أحد على وجه الأرض من أولاد الشيخ عبدالخالق الغجدواني موجوداً ماصلاً الحلاج وأنشد بين يديه :

لكل صبَّ أذاب العشق مهجتهُ في كل فرد من الأنفاس عيدان

فقال قدس سره بل ثلاثة أعياد فسأله بيانها . فقال هي التوفيق للذكر ، والذكر ، وقبوله . (وقال قدس سره) ينبغي للسالك أن يكثر من المجاهدات والرياضات ليحصل الأحوال والمقامات . وهناك طريق آخر وهو أن يسعى في تحصيل محبة قلوب أوليائه ، فإن قلوب هذه الطائفة العلية موارد الحكم الإلهية . فيدرك بذلك نصيباً منها وتظهر أحوالهم عليه .

(وسأله الشيخ فخرالدين نوري) وكان من أكابر القوم : ماالسبب في أنه تعالى لما قال في الأزل (أست بربكم) قالوا بلى . فأجابوه ويوم القيامة يقول لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد ؟ فقال قدس سره : السبب في ذلك أنه كان يومئذ وضع التكاليف الشرعية والتكلم من ضروريات الشرع . وأما يوم القيامة ففيه تُرفع التكاليف ويبتدء عالم الحقيقة وليس في الحقيقة تكلم . فباقتضى أن يجيب الحق تعالى نفسه بقوله الواحد القهار .

(وقال قدس سره) أتى الخضر يوماً لزيارة الشيخ عبدالخالق الغجدواني فأحضر له الشيخ رغيفين من شعير فما أكل عليه السلام ، فقال الشيخ : كل ياسيدي فإنه حلال . فقال : نعم غير أن عاجنه لم يكن طاهراً فلا يجوز لي أن أكله .

(وله قدس سره ما معرَّبه) :

من لم تفدك حضور القلب صحبتته وعنك غيم الهوى والنفس وماكشفا  
إن لم تفارقه تحصيلاً لجمعك لم تقبلك روح العزيزان الذي عرفنا

(وله قدس سره ما تعريبه)

إذا رُمَّتِ الحَقُّ دَمَ كَلِّ فَرَقَةِ وفرقة أهل الحق بالصدق فاصحب  
وإن رُمَّتِ إمداد العزيزان فإبانه على السراس والعين سعي تقرب

(ومن خوارقه قدس سره) أنه وقع بينه وبين أحد معاصريه ، وهو السيد آتي ، برودة فصدر منه ذات يوم ما ينافي الأدب بحقه قدس سره . فاتفق أن أغارت طائفة الأتراك ذلك اليوم على البلدة . فنهبوا وأسروا كثيراً من أهلها ومن جملتهم ولد السيد آتي المشار إليه . فلما بلغه خبر ولده علم أن هذا مجازاة له من الله تعالى على ما وقع منه بحق العزيزان قدس سره . فجاءه مسرعاً إلى حضرته واعتذر منه ودعا

الشيخ ومَن كان في مجلسه الشريف من العلماء والمشايخ الى داره . ففهم قدس سره مراده . فلما حضر وأفرش الخادم السفرة وأتى بالطعام ، فقال الشيخ قدس سره : لأمدُ يدي الى طعامه حتى يحضر ولده ويأكل معنا . ثم سكت والجماعة ينظرون اليه ، فإذا بالباب يُطرق ففتحوه فوجدوا الولد قد جاء . ففزح الناس كلهم فزحاً شديداً وأقبلوا عليه يسألونه عن كيفية خلاصه من الأسر ووصوله اليهم ، فقال : أنا لأعلم نفسي إلا أنني كنت في هذا الوقت عند الترك أسيراً ثم وجدتني عندكم . وكان بين البلدين مسافة عشرة أيام فأذعن الحاضرون كلهم لفضله وكرامته على الله تعالى . (ومنها) أن أحد السادات جاء يوماً لزيارته قدس سره ولم يكن عنده شيء يكرم به ضيفه أصلاً . فجلس معه وهو مهتم لذلك فما لبث أن جاءه أحد مرديه وكان أبوه طباًحاً بقصعة من ثريد فوضعها بين يدي الشيخ ، ثم وقف بالذل والإنكسار وقال له : إني صنعت هذه على إسمك فأرجوك أن تتقبلها . فتهملك وجه الشيخ قدس سره سروراً بصدق خدمته وانكساره وأكل هو وضيفه منها . ثم لما إنصرف نادى الغلام وقال له : بارك الله لك في رزقك وتقبل هديتك أطلب مني ما تحب فإنه يحصل لك إن شاء الله تعالى . وكانت همة الغلام عالية جداً فقال له : أقصي مرادي أن أكون مثلك صورة وسيرة . فقال الشيخ : هذا أمر صعب لاتطبيقه . فقال : لأريد غيره . فأخذ الشيخ بيده وأدخله الى خلوته وتوجه اليه بكليته وتفضل عليه بعلي همته . فبعد ساعة خرج الغلام وقد صار كالشيخ صورة وسيرة لايقدر أحد أن يميز بينهما وعاش أربعين يوماً وقيل ثم انتقل الى رحمة الله عز وجل .

(ولما جاءه الأمر الإلهي) بالتحول من بخارى الى خوارزم توجه في الحال اليها . فلما وصلها نزل عند باب سورها وأرسل رسولا الى ملكها يقول له إن فقيراً نساءً قد قصد الدخول الى بلادكم والإقامة بها ، فإن أذنتم له دخل والإرجع . وأمره إن أذن له بالدخول أن يأخذ منه بذلك كتاباً مختوماً بخاتمه . فلما جاءه الرسول وعرض عليه ما أمر به سخر السلطان وأتباعه من كلامه وقال على سبيل الإستهزاء "إن هؤلاء الناس من أولي الحمق والبله فاكاتبوا له بما يريد" . فلما أخذ الكتاب على الوجه المطلوب وأتى به الى الشيخ دخل قدس سره المدينة وطفق يشغل بطريق السادات قدس الله أسرارهم . وكان يخرج كل يوم الى أسواق المدينة ويقف عند أرباب الصنائع فيقول لهم ما أجرتكم في اليوم فيقولون له كذا وكذا ، فيقول لهم أنا أعطيتكم أجرتكم وتعالوا فتوضأوا واجلسوا معنا اليوم واذكروا الله تعالى الى الغروب . فكانت كل من أجابه لذلك ببركة الشيخ وقوة تصرفه يحصل له حال تمنعه عن مفارقتة وتجذبه الى صحبتة ومتابعته . فما مضت أيام إلا وكثر أتباعه ومريدوه فمشى بعض الحساد الى السلطان ووشى اليه بأنه قد أتى الى مدينتكم شيخ قد اجتمع الناس عليه وكثر تلامذته وأصحابه ويخشى من ذلك حدوث خلك في ملكك وفتنة لايمكن أحداً دفعها . فخاف السلطان وأتباعه من ذلك وهموا بإخراجه . فلما بلغه أرسل الرسول المذكور بكتاب الإذن الى السلطان وقال له أطلعته عليه وقل له إنه مادخل إلا بأذنكم فإن شئتم أن تبدلوا حكمكم فإنه يخرج . فلما وصل الى السلطان أعطاه الكتاب وأخبره بمقالة الشيخ . فخجل السلطان خجلاً عظيماً ثم جاء لزيارة الشيخ واعتذر عما صدر منه اليه وأخلص له المحبة فحصل له نفع عظيم على يديه .

(توفي) يوم الإثنين بيت الصلاتين ثامن عشر ذي القعدة الحرام سنة خمسة عشر أو إحدى وعشرين وسبعمائة وقد عمّر مائة وثلاثين سنة . وكان له ولدان عالمان كاملان بلغا في حياته مبلغ الفضل والعرفان . أحدهما الشيخ محمد حُورد (بضم الحاء المعجمة وسكون الواو والراء المهملة والذال المهملة) كان

عمره حين توفي والده ثمانين سنة ، والثاني إبراهيم . ولما احتضر والده أجاز له الإرشاد من بعده فخطر على قلب بعض المريدين أنه لم يجز الشيخ لولده الكبير ذلك مع أنه أكمل وأفضل من الصغير . فقال قدس سره من طريق الكشف إن الشيخ محمد خورد لا يبقى بعدي إلا قليلاً . فمكث بعده تسعة عشر يوماً ثم توفي . وأما الشيخ إبراهيم فإنه عمّر بعده اثنين أو ستة وخمسين سنة . (وله خلفاء أربعة) كانوا في الإرشاد على قدم الخلفاء الأربعة وكل واحد منهم إسمه محمد :

الأول : الشيخ محمد كلاه دوز

الثاني : الشيخ محمد البلخي

الثالث : الشيخ محمد البارودي

الرابع : هو أعظم من سرى اليه سر هذه النسبة المعظمة وشيخ هذه السلسلة المباركة المنظمة الشيخ محمد بابا السماسي قدس الله سرهم .

## سيدنا الشيخ محمد بابا السماسي

### قدّس الله سرّه العزيز

هو عالم الأولياء وولي العلماء . تفرّد في علم الظاهر والباطن وعمّت بركاته كل المواطيء والمواطن . طالما أثار بهمّته من المعارف كل كامن . كيف لا وهو خلاصة خاصة القرن الثامن وفي الإسراء بأسرار الغيوب الحرم الأقصى من القلوب . آية لاينتهي أحد عن هداها وغاية لاينتهي أمد مداها . حجّ إلى حرم كرمه العارفون وطاف بكعبة إرشاده الطائفون ، إذ كان من أعمز خلفاء العزیزان .  
( ولد قدّس سرّه ) سنة ( ... ) في " سيماس " ( بسينين مهملتين أولهما مفتوحة بينهما ميم مشددة وألف ) هي قرية من قرى " راميتت " على ميل منها وثلاثة أميال من بخارى . واشتغل بقراءة العلوم النقلية والعقلية حتى أصبح علامة في كل الفنون . ثم صحب سيدنا العزیزان ودأب على المجاهدات والرياضات . فامتاز على إخوانه بالفیوضات والكرامات وبلوغ خاتم المقامات حتى إختاره خليفة عند وفاته وأمر أصحابه بمتابعته في طاعته مدة حياته .

( بَشْر ) قدّس سرّه بظهور سيدنا الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند قبل ولادته . وذلك أنّه كان كلما مرّ على قريته وهي ( قصر العارفان ) كما سيأتي بيانه يقول لأصحابه إني لأجد من هذه الأرض رائحة عارف إلى أن مرّ مرة على تلك القرية ، فقال لهم إني أرى تلك الرائحة قد زادت . وكان هذا بعد ولادته قدّس سرّه بثلاثة أيام . فما لبث أن جاء به جده إليه . فلما راه قال له هذا ولدي ثم التفت نحو أصحابه وقال لهم : هذا العارف الذي طالما كنت أشير إليكم بأني أجد رائحته من هذه القرية وقريباً إن شاء الله تعالى يصير قدوة للخلائق . وأقبل على السيد الأمير كلال وقال له : إن هذا ولدي فلا تقصّر في تربيته ولننّ تقصرت في ذلك لاتجدني عنك راضياً أبداً . فقام السيد على قدميه وقال : قد قبلت خدمته على الرأس والعين لا أقصّر إن شاء الله تعالى بها أصلاً .

( وكان ) له بستان من العنب كثيراً ما يأتي إليه ويباشر تربية أشجاره بيديه . فكان كلما قطع غصناً يغيب عن شعوره ويبقى كذلك ساعة أو ساعتين حتى يرجع إلى حضوره .

( توفي في سَمَاس ) سنة ( ... ) وله أربع خلفاء :

الأول : الشيخ صوفي السوخاري

الثاني : نجله الشيخ محمود السماسي

الثالث : الشيخ دانشمند علي

الرابع : وهو واسطة عقد هذه السلسلة وأعظم من سرى إليه سرّ هذه النسبة المجلّة الشيخ السيد الأمير كلال قدّس الله سرّه وبوّاه في جنة الرضوان أعلى الأسرة .



## سيدنا الشيخ أمير كلال ابن السيد حمزة قدس الله سره العزيز

زهرة خمائل الشمائل وسدرة منتهى ما يشتهي من المقامات العلوية . صاحب سدة الإرشاد وساحب أذيال الفيوضات والإمداد . كفاء مخدرات الأسرار الغيبية والمربي بأنفاسه الذكية أوابد النفوس الأبية . فهو للشريعة مجددتها وللطريقة سيدها وللحقيقة مشيدتها وللخليفة مرشدتها ومؤيدها نالوا مانالوا من البركات والعلوم الإلهية والإدراكات . وامتازوا في ديوان العارفين بالسيادة الغراء ولاغرو فإن أولياء السادات سادات الأولياء .

(ولد قدس سره) سنة (... ) في قرية سوخار (بضم السين المهملة وسكون الواو والخاء والألف والراء المهملة) وهي على فرسخين من بخارى وتوفي فيها سنة (... ) .

(ذكر) في مقاماته عن والدته رحمها الله أنها قالت لقد كنت وأنا حامل به إذا تناولت لقمة من طعام مشبوه أجد في نفسي أملاً . فلما تكرر معي هذا الأمر التزمت طريق الاحتياط في طعامي . فلم أجد بعد ذلك شيئاً وكنت أرجو أن يجعل الله فيه الخير البركة .

(وذكر) أنه لما بلغ سن الشباب اشتغل بفن المصارعة . فكان يجتمع عليه أرباب الشجاعة وأولو المعاركة والنظارة . فاتفقت ذات يوم أن رجلاً من الواقفين خطر بباله أن هذا سيد شريف فكيف يشتغل بالمصارعة ويسلك سبيل أهل البطالة . فلم يلبث أن غلب عليه النوم فرأى في منامه أن القيامة قد قامت وأنه وقم في وحل عظيم فعرف فيه إلى صدره واضطرب اضطراباً عظيماً وفزع فزعاً كبيراً . فأتى إليه السيد أمير قدس سره وأنقذه من هذه الورطة . ثم أفاق فالتفت إليه حضرة السيد أمير وقال له رأيت همتي وعلمت مامعنى المصارعة .

(ومر) سيدنا الشيخ محمد بابا السماسي مرة هو وأصحابه بمعتركه فوقف عنده . فقال بعض أصحابه في نفسه "كيف يقف الشيخ عند أهل هذه البدعة؟" فالتفت الشيخ نحو أصحابه في الحال وقد كوشف بهذا خاطر وقال لهم : "إن بين هؤلاء رجلاً ينتفع ببركة صحبتته كثير من الناس وينالون أرفع الدرجات فأنا أريد رصيده" . فحانت من السيد أمير نظرة إلى سيدنا الشيخ فبانجذب في الحال إليه قلبه . فلما إنصرف الشيخ تبعه السيد أمير حتى وصل إلى داره . فأدخله معه البيت ثم لقنه الذكر وعلمه أصول الطريق العلية ، وقال له "الآن أنت ولدي" . فلزم صحبتته عشرين سنة مع الإشتغال بالذكر والفكر والعبادة والخلو حتى لم يره أحد هذه المدة في سوق ولا معترك ولا غيره .

(وكان) يجيء كل يوم الإثنين والخميس من سوخار إلى سماس وكان بينهما مسافة خمسة أميال . ولم يزل يشتغل هذه المدة كلها بطريق السادات إلى أن بلغ فيه أعلى الدرجات وعلت نسبته عن أمثاله ، فغاب عن أعين قلوبهم في غيب سماوات التجليات العاليات .

(وولد له) أربعة أولاد السيد الأمير برهان الدين والسيد الأمير حمزة والسيد الأمير شاه والسيد الأمير عمر .

(وكان له) أربعة خلفاء هم : سيدنا القوث الأعظم الشيخ محمد بهاء الدين شاه نقشبند ، ومولانا الشيخ

عارف الديك كراني والد "ديك كران" قرية من قرى بخارى على فرسخين منها ، والشيخ جمال الدين الدهستاني قدس الله أسرارهم . فأوصى كل خليفة من هؤلاء الأربعة بتربية ولد من أولاده على هذا الترتيب :

## أنجاله الأنجاب

(أما السيد الأمير برهان الدين) قدس سره فقد بالغ بتربيته سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه حتى أصبح برهاناً في العلوم الإلهية قاطعاً وكوكباً في فلك السعادة ساطعاً . وكان والده يحبه كثيراً ويقول "هذا برهاننا" ولكن غلب عليه الإنزواء والخلوة والجذبة فلم يشتغل بالإرشاد حتى توفي قدس سره .  
(وأما السيد الأمير حمزة) قدس سره فقد كان أية في الإرشاد وقرّة عين والده من بين أنجاله الأمجاد وكان لا يدعوه إلا بوالدي . ولم يال مولانا عارف الديك كراني جهداً في تربيته وترقيته الى معارج أسرته حتى أصبح فرد زمانه من بين إخوته . لما توفي والده السيد الأمير الكبير رضي الله عنه قام مقامه في تربية المريدين وتحصيلهم أقصى مراد المهتمين . فأفلم على يده خلفاء حنفاء وأصحاب بلا حساب . توفي مستهلاً شوال سنة ثمان وثمانمائة وأشهر خلفائه أربعة :

الأول : صفوة الأولياء وعلامة الأتقياء العارف بالله تعالى مولانا الشيخ حسام الدين ابن عمدة أكابر علماء بخارى مولانا الشيخ حميد الدين الشاشي قدس سره . فإنه كان بالإرشاد أية باهرة الإمداد حتى إن مرزالف بك أكرمه على قبول القضاء فولّيه مدة شهور . ولم يزد ذلك إلا علو همة ورفعة مقام في التربية والحضور . (قال سيدنا عبيدالله إجرار) وقد كان أصحابه يجلسون بعيداً منه في محل حكمه ويستمدون منه الأسرار الإلهية حتى إنني حضرت مرّة هناك فجلست قبالة شبك الملح بحيث أراه ولا يراني فلم أجده غافلاً عن شهود الحق وحضوره ساعة ، بل ولا لمحة كأنه منفرد في نفسه ماعنده أحد مع ما هو فيه من أمور القضاء والأحكام وكان يبالح في ستر حاله نفعنا الله به .

الثاني : نخبة المرشدين الشيخ كمال الدين الميداني قدس سره نسبة الى (ميدان) قرية من قرى قصبه كوفين في ولاية سمرقند . كان من أكابر العلماء بالله أعاد الله علينا من بركاته .

والثالث : والرابع فرعا الشجرة النبوية وزينتا أولي الهداية المصطفوية والعارفان بالله تعالى الشيخ السيد الأمير البزرگ والشيخ السيد الأمير خرد . وهما نجلا أخيه سيد برهان الدين الأكبر المشار اليه آنفاً وكانا من أعيان المربين الكرام .

ومن أشهر أصحاب السيد حمزه المنوّه به أحد عشر مرشداً وهم بالإجمال : مولانا بابا شيخ مبارك البخاري ، ومولانا الشيخ عمر الحداد البخاري قدس سره ، ومولانا الشيخ أحمد الخوارزمي قدس سره ، ومولانا الشيخ عطاءالله السمرقندي قدس سره ، ومولانا الشيخ محمود الحموي قدس سره ، ومولانا الشيخ حميدالدين قدس سره ، ومولانا الشيخ نورالدين قدس سره ، ومولانا السيد أحمد قدس سره ، ومولانا الشيخ علي قدس سره النسفيون .

(وأما الأمير السيد شاه) فقد كان غاية في الفضل وعلو الهمة والإرشاد ومحبة الفقراء وكمال الإستعداد ، وقد أحسن تربيته مولانا يادكار قدس سره حتى صار من كبار العارفين بالله تعالى . (وأما الأمير السيد عمر) قدس سره فقد أجاد في تأهيله لكل كمال مولانا جمال الدين الدهستاني الى أن أشرق في سماء الهداية بديراً تاماً ، توفي عام ثلاث وثمانمائة قدس سره .

## خلفاؤه الكرام

الخليفة الأول : الولي الكامل الولاية عمدة أهل الإرشاد مولانا الشيخ عارف الديك كراني قدّس سرّه . (ولد) في قرية (ديك كران) وتوفي بها . هو إمام كبير الشأن خدم المير كلال حق الخدمة فأثنى عليه وقال "ليس أحد من خلفائي مثل الشيخ بهاء الدين نقشبند ومولانا عارف" . وكان سيدنا النقشبند يبالم بالثناء عليه وقد صحبه ثلاثين سنة على غاية من الأدب في الخدمة ، حتى إذا كان توطأ مولانا عارف من النهر لا يتوطأ من فوق محله وإذا مشى لا يضم قدمه مكان قدمه . وقال سيدنا النقشبند قدّس سرّه :

"سافرت مرتين إلى الحجاز ودخلت زواياها ومدارسها وخلواتها فما وجدت أحداً مثل مولانا عارف أو مقدر ذرة منه ولو وجدت ذلك مارجعت إلى هذه الديار فباني أريد أن ألقى من يكون ظاهره مع الخلق وسرّه فوق السموات السبع" .

(ومن كرامات مولانا عارف) أنه جاء يوم سيل عظيم على قريته فخاف أهلها من الغرق ففزعوا إليه . فخرج وجلس مكان طغيان الماء وقال له : "إن كان لك قوة فأحملني" . فتراجع السيل وسكن الماء . رجع سيدنا النقشبند من الحجاز وتوطن "مرو" فأقبل إليه الناس من كل جانب حتى اجتمع عنده من المريدين عالم كبير . فمالبت أن بعث إليه مولانا عارف يستحثه على الحضور . فسافر مخفياً حتى إذا وصل إليه صرف أصحابه من عنده وقال لهم : "إن لي مع سرّاً" . فلما انصرفوا قال له : إن أجلي قد قرب ولم يبق إلا يومان أو ثلاث وإني نظرت في أصحابي وأصحابك فلم أجد أحداً فيه قابلية تامة إلا مريدك الشيخ محمد يارسا ، فكل ما أودعني الحقّ تعالى فقد أودعته إياه فلا تقصّر في ترتيبته فإنه صاحبك .

فأمر أصحابه أن يتبعوه ثم أوصاه إذا مات أن يغسل إناء الماء بيده ويجلس على هيئة التشهد عند تسخين الماء ويغسله ويكفنه ويدفنه وبعد ثلاث يرجع إلى "مرو" . ففعل كما أوصاه به . ومقامه في (ديك كران) خارج البلدة على طريق هزاره قدّس سرّه . وقد أنتج الله على يده خلقاً كثيراً من أشهرهم الشيخ أشرف البخاري وهو قائم مقامه في رتبة الإرشاد ومولانا الأمير هشار الديك كراني .

الخليفة الثاني : إمام أئمة الهدى وجوهرة العارفين مولانا الشيخ جمال الدين الدهستاني قدّس سرّه .  
الخليفة الثالث : فذلك المرشدين الكبار مولانا الشيخ يادگار الكنسروني قدّس سرّه . (ومن أصحاب حضرة الأمير الكرام) مولانا الشيخ محمد خليفة ، ومولانا الأمير كلان ، ومولانا الشيخ شمس الدين كلال ، ومولانا الشيخ علاء الدين الكنسروني ، ومولانا الشيخ الوارز نسبة إلى "وارزون" من ولاية بخارى ، ومولانا بابا مبارك المرميني ، ومولانا الشيخ محمد الوايكيني ، ومولانا بهاء الدين الطوايسي ، ومولانا جلال الدين الطوايسي ، ومولانا الشيخ سليمان ، ومولانا الشيخ أيمن الكرمنيانيات ، ومولانا الشيخ بدرالدين الميداني وغيرهم ممن لأحصون قدّس الله أسرارهم .

الخليفة الرابع : سيد هذه الطريقة وشيخ هذه السلسلة الأنبيقة وأعظم من سري إليه سرّ هذه النسبة المطهرة فأحياها وزاد عزّها وشرفها وعلاها سيدنا الشاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز .

## الغوث الأعظم سيدنا الشيخ محمد بن محمد بهاء الدين الشاه

### نقشبند الأويسي البخاري قدس الله سره العزيز

بحر من العرفان لا ساحل له نسجت أمواج مواه العلوم الربانية حله ، وفاض على العالمين بحر بره فاروى بأرواح أمداده جميع الكون بحره وبره . كوكب تحلى تاج الإرشاد منه بالدر اليتيم . فله در سحابة الأيام من أم أنجبت إذ إنجابت عن هذا الأمام ، ثم عادت وهي عن مثله عقيم . والشمس وضحاها والأرض وماطلاها لم يدم نفساً إلا بأنفاسه القدسية زكأها ولا نار همة إلا بأسراره المحمدية أذكأها ، ولا ظلمة جهل إلا بأنواره البهائية أخفاها ، ولا شبهة خاطر إلا ببراهينه الجليلة نفاها ، الى كرامات كريمات وآيات عظيما ت طالما أحييت من القلوب مواتها وأتت الأرواح أفتواتها . إرتضم ثدي التصرفات الفوئية وهو في المهد صبياً وتضلم من رحيق مختوم العلوم الختمية بأكواب الارثية . فلو لم تُختم النبوة لكان نبياً . فأعظم به من مجد خفق قلب الخافقين فرحاً به وأصبحت أكاسرة الملوك وقوفاً في رحابه وملأ صيت إرشاده الملأ . فلا وربك لم يبق أحد إلا إستمد من إمداده حتى وحوش الفلا . فهو الغوث الأعظم وعقد جيد المعارف الأنظم . إنزاحت بأنوار هدايته أعيان الأغرار وعادت الأشرار ببركة أسراره من أختيار الأعيان وأعيان الأختيار .

(ولد قدس الله سره) في شهر محرم الحرام سنة سبعم عشرة وسبعمئة في (قصر العارفان) قرية من قرى بخارى على فرسخ منها والألف والنون في العارفان علامة الجمع في اللغة الفارسية . وكانت منازل الولاية في غرته الطاهرة ظاهرة وعلائم السعادة على كرائم أحواله بادية بادرة . أتشفه الله تعالى منذ كان طفلاً بالكرامات الزاهية الزاهرة .

(تلقى) هذه الطريقة العلية في الظاهر من سيدنا الشيخ محمد بابا السماسي ، ثم من بعده صحب السيد أمير كلال . وفي الحقيقة كان أويسياً ربته روحانية مولانا الشيخ عبدالخالق الفجدواني قدس الله سرهم .

### بداية هدايته وهداية بدايته

قال قدس الله سره : أرسلني جدي وكان سني وقتنذ نحو ثمان عشرة سنة الى (سماس) لخدمة العارف الكبير والمرشد الشهير الشيخ محمد بابا السماسي باستدعاء منه لي . فلما نلت الحصول اليه لم يأت وقت الغروب إلا وجدت ببركته بنفسه سكينة وخشوعاً وتضرعاً ورجوعاً . ثم إنني قمت وقت السحر فتوضأت وأتيت المسجد الذي فيه أصحابه فأحرمت بالصلاة فلما سجدت دعوت الله تعالى وتضرعت اليه كثيراً . فمر على لساني في أثناء دعائي الهي أعطني قوة على تحمّل البلاء ومحنة المحبة . ثم إنني صليت الفجر مع الشيخ قدس سره . فلما إنصرفت من الصلاة ألتفت اليّ وذكر لي كل ما صدر مني على طريق الكشف ثم قال لي : "ياولدي ينبغي أن تقول في دعائك الهي أعط هذا العبد الضعيف ما فيه رضاك فإنه تعالى لايرضى أن يكون عبده في بلاء وإن أبتلي حبيبه على مقتضى حكمته يعطه قوة على تحمّله ويطلعه على حكمته فلا ينبغي للعبد أن يختار البلاء فإنه ينافي مقام الأدب" .

(وقال قدس سره) لما توفي حضرة الشيخ محمد بابا السماسي أخذني الجد الى سمرقند فكان كلما سمع بربك صالح من أهل الله حملني اليه وسأله الدعاء لي فكانت تنالني بركتهم . ثم أتى بي الى بخارى

وزوجني بها وكانت إقامتي في قصر العارفان ومن العناية الإلهية أنه وصلت الي قلنسوة العزيزان في تلك الأوقات . فتحسنت أحوالي وقويت آمالي الى أن حظيت بصحبة السيد أمير كلال قدس سره وأخبرني بأن حضرة الشيخ محمد بابا السماسي قدس سره أوصاه بي ، وقال لاتأكُ جهداً بتربية وليد محمد بهاءالدين ولا بالشفقة عليه ولست مني في حل إن قصرت في ذلك . فقال له قدس سره إن أنا قصرت في هذه الوصية فلست برجل ثم وفي بوعده .

( وقال ) قدس سره : "مبتداً يقظتي وتوبتي أنني كنت جالساً مع صاحب لي في خلوة فبينما أنا ملتفت اليه أكلمه إذ سمعت قائلاً يقول لي (أما إن لك أن تعرض عن الكلك وتتوجه الى حضرتنا) فحصل لي من سماع هذا الكلام حال عظيم وخرجت مسرعاً من ذلك البيت لايقر لي قرار . وكان قريباً منه ماء فباغتسلت منه وغسلت ثيابي . وفي تلك الحالة من الإنابة صليت ركعتين طالما مضت علي أعوام وأنا أتمنى أن أصلي مثلهما فلم أتمكن من ذلك .

( وقال قدس سره ) قيل لي في بداية الجذبة كيف تدخل في هذا الطريق ؟ فقلت : على أن يكون كل ما أقوله وأريده . فليل لي كل ما نحن نقوله يجب أن يفعل . فقلت لأطيق ذلك بد إن كان كل ما أقوله يصير أضع قدمي في هذا الطريق وإلا فلا . وتكرر ذلك مرتين ثم تركوني ونفسي خمسة عشر يوماً . فحصل لي بأس عظيم ثم بعد ذلك قيل لي إن الذي تريده يكون . فقلت أريد كل من دخلنا تشرف بمقام الوصول .

### اجتهاداته ومجاهداته

( قال قدس سره ) خرجت يوماً في حال غلبة الجذبة والغيبة هائماً على وجهي أذهب كل مذهب ولطالما تجرحت قدمي من الشوك ، حتى إذا دنا الليل جذبتني زيارة السيد أمير كلال قدس سره ، وذلك في فصل الشتاء وشدة البرد وليس على ظهري إلا فروة عتيقة . فلما وصلت الى منزله وجدته جالساً بين أصحابه فحينما أبصرني سأله عن معرفته بي فقال : أخرجوه من هذا المنزل .

فلما خرجت أوشك أن تنفر مني نفسي وتطغى وتجذب مني عنان الإنقياد والتسليم ، ولكن تداركتني عناية الله ورحمته فقلت إنني لأتحمل كل مذلة في ابتغاء مرضاة الله تعالى وهذا هو الباب فلا مندوحة لي عنه . ثم وضعت رأس التواضع والإنكسار على عتبة العز وقلت لنفسي إنني لأرفع عن هذه العتبة رأسي ولو حصل لي مهما حصل ذلك والتلج ينزل شيئاً فشيئاً علي والهواء شديد البرودة جداً . ولم أزل كذلك حتى قرب وقت الفجر فخرج السيد قدس سره فوقه قدمه الشريف على رأسي . فلما أحس بي رفع رأسي عن العتبة وأدخلني المنزل وبشرني وقال لي يا ولدي إن ثوب هذه السعادة على قدر ذاتك . ثم جعل يخرج بيده الشريفة مافي قدمي من الشوك ويمسح ماأصابهما من الجراحة ويمدني بفيوضاته الوافرة والطاقفه الباهرة قدس الله سره .

( وقال قدس سره ) كنت في بخارى والسيد كلال في (نسف) فوجدت في نفسي داعية لزيارته . فبادرت لذلك في الحال فلما وصلت الى مقامه وسلمت عليه قال لي : يا ولدي لقد جئت في وقت الحاجة فإنا هيأنا المطبخ ونريد من يحتطب لنا .

فشكرته على هذه الإشارة وذهبت وأتيت بالحطب أحمله على ظهري وفيه من الشوك ما فيه وأنا أنشد بيتاً بالفارسية معرّبه :

جمال كعبة مقصودي ينشطني فالشوك كالخز حين أحمله

(وقال) قدّس سرّه توجهت يوماً وأنا في حالة غلبة الجُذبة الى زيارة السيد كلال في (نسف) . فلما أن وصلت الى رباط الجفرائي إذا أنا بفارس في يده عصا جسيمة وعلى رأسه لبدة فدنا مني وضربني بتلك العصا وقال لي بالتركية : "هل رأيت الخيل؟" . فلم أجبه فجعل يعترضني في الطريق ويشوش عليّ مسيري . فقلت له إني أعلم من أنت فتبعني الى رباط قراول ثم دعاني الى صحبتته . فلم ألّفت اليه ولم أكلّمه ومضيت . فلما أتيت الى حضرة الشيخ قال لي : إن الخضر عليه السلام قد لقيك في الطريق فلم لم تلتفت اليه ؟ فقلت له : لأنني لما كنت متوجهاً اليكم لم أشتغل بسواكم .

(وقال نصرّ الله وجهه) كنت أوائل السلوك وغلبة الأحوال عديم القرار أدور الليلك في نواحي بخارى وأزور القبور . فزرت ليلة ضريح الشيخ محمد بن واسم قدّس سرّه فوجدت عنده سراجاً وفيه دهن واف وفتيلة طويلة ، غير أن الفتيلة تحتاج الى تحريك قليل حتى يخرج الدهن ويتجدد نورها . فلما لبثت أن وقعت الإشارة اليّ بالتوجه الى زيارة ضريح الشيخ أحمد الأجهريوي قدّس سرّه . فلما وصلت اليه إذا بسراج هنالك مسرح كذلك وإذا برجلين قد أتيا فربطوا على وسطي سيفين وأركباني حماراً ووجهاه الى ضريح الشيخ مزدخن قدّس سرّه . فلما وصلناه رأيت سراجاً كاللذين قبله فنزلت وجلست متوجهاً الى نحو القبلة فوقم لي في ذلك التوجه غيبة . فرأيت في تلك الغيبة أن الجدار القبلي قد انصدّم وظهرت دكة عالية عليها رجل عظيم المقدار قد أسبل أمامه ستر وحول الدكة جماعة فيهم الشيخ محمد بابا السماسي قدّس سرّه . فقلت في نفسي ليت شعري من هذا الرجل العظيم ومن حوله ؟ فقال لي أحدهم أما الرجل فهو الشيخ عبدالخالق الفجدواني وأما الجماعة فهم خلفاؤه وجعل يشير الى كل واحد منهم ويقول لي هذا الشيخ أحمد الصديق وهذا الشيخ أوليا الكبير وهذا الشيخ عارف الريوكري وهذا الشيخ محمود الانجيرفغوي وهذا الشيخ الراميتني . ولما بلغ الى الشيخ محمد بابا السماسي قال وهذا رأيت في حياتك وهو شيخك وقد أعطاك قلنسوة أفتره؟ فقلت نعم . وكان قد أتى على قصة القلنسوة حين من الدهر فنسيتها . ثم قال وهي في بيتك وقد رفع الله عنك ببركتها بلاءً عظيماً قد كان حلّ بك . فقال لي الجماعة أصغ بسمعك فإن حضرة الشيخ الكبير قدّس الله سرّه يريد أن يتلو عليك ما ليس لك عنه غنى في سلوك السلوك أوله ووسطه الى أن قال : "وأما تلك السرج التي رأيتها على تلك الكيفية فإنما هي لك بشارة وإشارة الى أن لك استعداداً تاماً وقابلية لهذا الطريق غير أنه ينبغي تحريك فتيلة الإستعداد حتى تقوى الأنوار وتظهر الأسرار ، فأدّ القابلية حقها تبلغ الأوطار . وعليك بالإستقامة والثبات على جادة الشريعة المصطرفة في جميع الأحوال والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأخذ بالعزيمة والبعد عن الرخصة والبدعة . وأن تجعل قبلك أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وتفحص عن أخباره وأثاره وأحوال أصحابه الكرام . ثم بالغ بالتحريض والحث على ذلك" .

ولما أن أتم قدّس سرّه كلامه قال لي خليفة الشيخ قدّس سرّه وأية صدق هذه الواقعة أن تذهب غداً عند مولانا شمس الدين الانبيكوتي وتخبره بأن ما يدعيه فلان التركي على السقا هو صحيح والحق مع التركي وأنت تساعد السقا ، فإن أنكر السقا صحة هذه الدعوى فقل له عندي شاهدان : الأول أنك ياسقا عطشان فهو يعرف معنى هذه الكلمة والثاني أنك أتيت امرأة أجنبية فحملت منك فسعيت بإسقاط الحمل ودفنته في الموضع الفلاني تحت كرمة . ثم قال فإذا بلغت هذه الرسالة لمولانا شمس الدين فخذ في اليوم الثاني ثلاث حبات من زبيب وإذهب الى (نسف) لخدمة السيد كلال وستجد في المحل الفلاني من الطريق شيخاً

يعطيك رغيفاً حاراً فخذهُ منه ولا تكلمه وامض في طريقك . فتمرّ على قافلة فإذا جاوزتها إستقبلك فارس فانصحه فإنه ستكون توبته على يديك وخذ معك قلنسوة العريزان الى السيد كلال ثم بعد ذلك حركوني فرجعت الى نفسي .

( يقول قدّس سرّه ) فلما أصبحت ذهبت الى منزلي في ( زيورتون ) وسألت أهلي عن القلنسوة فأتوني بها وقالوا إن لها في ذلك الموضع مدة مديدة ، فلما رأيتهما أتاني حال عظيم وبكاء شديد . فأخذتها وتوجهت ساعتئذ الى أنبيكتة ( قرية من قرى بخارى ) فاتيت مسجد مولانا شمس الدين وصليت معه الصبح ، ثم بلغته ما أرسلت به اليه . فتحير وكان السقا ثمّ حاضراً ، فأنكر صحة دعوى التركي . فأقمت عليه البيّنة السابقة فكذب أمر الفاحشة . فذهب جماعة ممن في المسجد الى ذلك الموضع فحفروه فوجدوا السقا مدفوناً . فطلف السقا يعتذر وبكى مولانا شمس الدين وجماعة المسجد وحصل لهم أحوال عظيمة . ( يقول ) ثم عزمتم في اليوم الثاني على التوجه الى ( نسف ) من الطريق الذي عيّنوه لي في الواقعة وأخذت معي ثلاث حبات من زبيب . فبلغ مولانا توجهي فأرسل اليّ ولطفني كثيراً وقال : إنني أرى أم الطلب قد إستولت عليك وأثرت بك لوعة الحصول على الوصول وشفائك عندنا ، فأقم لنؤدي تربيتك ونبفلك أقصى بغيتك على مقتضى علوّ همتك . فرأيتني أقول له : أنا ولد غيركم ولو جعلتم ثدي التربية في يّ لأقبله . فسكت وأذن لي بالسفر فتحزمت بحزام لي وأمرت شخصين أن يشدّاه من الطرفين ليكون في غاية الإحكام وسرت . فلما وصلت المكان الذي ذكر لي لقيت فيه شيخاً أعطاني رغيفاً حاراً فأخذته ولم أكلمه . ومضيت فإذا أنا بقافلة فسألني أهلها من أين أتيت ؟ فقلت لهم من ( أنبيكتة ) . قالوا متى خرجت منها ؟ فقلت لهم وقت طلوع الشمس ، وكان ذلك عند الضحى . فعجبوا من ذلك وقالوا إن بين القرية وهذا المحل أربعة فراسخ ونحن خرجنا أول الليل ، ثم بارحتهم وسرت . فما نشبت أن إستقبلني فارس فحينما وصلت اليه سلمت عليه فقال لي : مَنْ أنت فإني أجدني خائفاً منك ؟ فقلت له : أنا الذي تكون توبتك على يديه . فتحول بالحال عن فرسه وأظهر كمال التواضع والتضرم وتاب ، وكان معه أحمال من خمر فأهرقها كلها . ثم جاوزته وقد دخلت حدّ ( نسف ) فقصدت مقام السيد أمير كلال فلما تشرفت برؤيته وضعت القلنسوة بين يديه ، فسكت برهة طويلة ثم قال : هذه قلنسوة العريزان ؟ فقلت له : نعم . فقال : صدر الأمر بأن تحفظ ضمن عشرة أغشية . فأخذتها وفعلت كما أمر . وبعد ذلك لقنني الذّكر بالنفي والإثبات خفية وأمرني بالإشتغال به فتابعته على ذلك . ولكوني أمرت في الواقعة بالأخذ بالعزيمة لم أذكر بالجرم . ثم لازمت العلماء لإقتباس أنوار العلوم الشرعية منهم وإقتفاء آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة أحاديثه الشريفة والبحث عن أخلاقه وأحوال الصحابة الكرام والعمل بها كما أمرت . فوجدت لذلك تأثيراً تاماً ونفعاً عظيماً . وكل ما تكلم به حضرة الشيخ عبدخالق قدّس سرّه مرّ عليّ وظهرت لي نتيجة كل أمر في وقته . أه . وبهذا يتبين لك ما تقدّم من انه كان أويسياً ربه روحانية سيدنا عبدخالق قدّس سرّهما .

## إفصاح

قال سيدي الجد قدّس سرّه في "البهجة السنية" من فضل ترجمته سيدنا البهاء قدّس سرّه ما ملخصه : (اعلم) أن من زمن الشيخ محمد الانجيرفغوي الى زمن السيد أمير كلال كانوا يجتمعون للذّكر بالجرم . وكانوا إذا إنفردوا يذكرون خفية . فلما تلقى سيدنا البهاء قدّس سرّه هذه الطريقة العلية إقتصر على الذّكر الخفي . أخذ بالعزيمة حتى كان إذا اجتمع أصحاب الأمير كلال قدّس سرّه وشرعوا بالذّكر يقوم من

بينهم . فكان يشقُّ ذلك عليهم ويسيء بعضهم به الظن وهو لا يلتفت اليهم ولا ينظر الى مراعاة خواطرهم ، مع تمام محافظته على خدمة الأمير قدس سره ورعاية الآداب الواجبة في حقه وكمال الإستسلام والإنقياد لأوامره . والأمير قدس سره يزداد كل يوم التفاتاً إليه واعتناءً بشأنه واهتماماً بتربيته . ولم يزل في صحبته حتى اجتمع ذات يوم أصحاب الأمير قدس سره لعمارة مسجد وكانوا زهاء خمسمائة . فبعد فراغهم جلسوا كلهم عنده فالتفت الى من كان يسيء الظن بحضرة البهاء وينسبون اليه النقص والتقصير عند الأمير وقال لهم : "ك ما تظنون به بالشيخ بهاء الدين إنما هو غلط وغير صحيح فإن الله تعالى قد قبله ، ولكن ما عرفت موه ونظري والتفتاتي اليه كان تابعاً لقبوله تعالى" . ثم دعا به ولم يكن حينئذ حاضراً بل كان ينقل لبين المسجد . فلما حضر قال له : "يا ولدي اني قد وقيت حق وصية الشيخ محمد بابا السماسي قدس سره في شأنك" . ثم أشار الى ثديه وقال له : "إنك قد ارتضعت ثدي التربية حتى نضب ولم تزل قابليتك في علو وإستعدادك في قوة فقد أجزت لك أن تسعى في طلب المشايخ فتستفيد منهم وتستفيد على مقتضى عظمة همتك" . قال سيدنا البهاء فكانت هذه الإشارة من السيد قدس سره سبب ابتلائي .

(وقال قدس سره) ثم صحبت مولانا عارف الديك كراني سبعم سنين ثم مولانا قثم شيخ ونمت ليلة فرأيت الحكيم آقا قدس سره ، وكان من أكابر مشايخ الترك ، وهو يوصي بي درويشاً . فلما إنتبهت بقيت صورة الدرويش في مخيلتي . كانت لي جدة سالحة فقصصت عليها هذه الرؤيا فقالت : "سيكون لك يا ولدي من مشايخ الترك نصيب" . فلم أزل أتوخي لقاء هذا الدرويش حتى لقيته في بخارى فعرفته وكان اسمه خليل غير أنني لم أتمكن ساعتئذ من صحبته . فذهبت الى البيت وأنا مشغول البال . فلما كان وقت المغرب أتاني شخص فقال لي إن الدرويش خليل يريدك . فأخذت في الحال هدية الزيارة وأسهرت بالذهاب اليه .

فلما تشرفت بلقائه أردت أن أخبره بتلك الرؤيا فقال بالتركية : "إني أعلم ما رأيت فلا حاجة الى البيان" . فمال قلبي اليه وحصل لي تأثير عظيم من كلامه ونلت بصحبته أحوالاً عالية ، حتى أن أهل ماوراء النهر قد ولوه بعد مدة عليهم سلطاناً . فماترت ملازمته بل كنت أشاهد منه في أيام سلطنته أحوالاً عظيمة ، فيزداد قلبي حباً به ويزداد هو تربية لي وترقية لأحوالي ورأفة بي . ولطالما علمني من آداب الخدمة ما نفعتني كل النفع في معرفة آداب السير والسلوك . وأقمت في صحبته ست سنين مدة سلطنته ، فكانت في الجلوة مراعيماً لآداب خدمته وفي الخلوة محرم خاصة صحبته . وكثيراً ما كان يقول في حضرة خواص أصحابه : "كل من يخدمني ابتغاء مرضاة الله تعالى يصير عند الناس عظيماً" . وكنت أعلم ماذا أراد بهذا الكلام ومن أراد . فإنه يشير اليّ بأن تعظيم الملوك وإجلالهم لا ينبغي أن يكون لعظمتهم وسطوتهم الظاهرة ، بل لأنهم مظهر جلال مالك الملك سبحانه وتعالى . ثم بعد حين آل ملكه الى الزوال وتحولت بانتقاله الأحوال وأصبح في لحظة ذلك العز والخدم والحشم هباءً منثوراً . فزادني ذلك في الدنيا زهداً وعن أعمالها فتوراً ورجعت الى بخارى وأقمت في زيورتون .

(وقال قدس سره) لقيت أوائل الطلب والجذبة رجلاً من أصحاب الله فقال لي : الظاهر إنك من الأصحاب . فقلت له : إن وجدت شكرت وإلصبرت . فتبسّم وقال : هذا سهل وإنما الأهم أن تكلف نفسك إنفاً إذا فقدت الطعام والشراب أسبوعاً لاتعصك . فتواضعت له وأقبلت عليه وطلبت منه الإمداد . فأمرني بالإشتغال



بجبر الخواطر وخدمة العاجزين والضعفاء والمنكسرين الذين لا يكثر بهم أحد من الناس مع المحافظة على تمام المسكنة والتواضع والإنكسار . فامتثلت أمره وصرفت في ذلك أياماً كثيرة مع الإخلاص في ذلك التذلل . فنهضت بأعباء هذه الخدمة كما أمرني حتى كنت إذا لاقاني في الطريق كلب وقفت حتى يمر هو أولاً لنلا أتقدم عليه . ولم أزل كذلك سبع سنين ، ثم بعد ذلك أمرني أن أشتغل بخدمة كلاب هذه الحضرة بالصدق والخضوع وأطلب منهم الإمداد ، وقال لي : "إنك ستصل الى كلاب منهم تنال بخدمتهم سعادة عظيمة" .

فباغتنتم نعمة هذه الخدمة ولم أله جهداً بأدائها حسب إشارته ورغبةً ببشارته حتى وصلت مرةً الى كلب فحصل لي من لقاءه أعظم حال . فوقفت بين يديه واستولى علي بكاءً شديداً ، فاستلقي في الحال على ظهره ورفع قوائم الأريم نحو السماء ، فسمعت له صوتاً حزيناً وتأوهاً حنيناً . فرفعت يدي تواضعاً وانكساراً وجعلت أقول أمين حتى سكت وانقلب . ( وخرجت ) يوماً من تلك الأيام الى بعض الجهات فوجدت حرباء قد استغرقت في رؤية جمال الشمس . فاعتزاني من مشاهدتها وجد وخطر لي أن أطلب الشفاعة منها وهي في هذا المقام . فوقفت على أتم هيئة من الأدب والإحترام ورفعت يدي فرجعت من استغراقها واستلقت على ظهرها وتوجهت الى السماء وأنا أقول أمين . ثم بعد ذلك أمرني باماطة الأذى عن الطريق . فتأبرت على ذلك سبع سنين بحيث لا يرى أبداً كمي أو ذيلي خالياً من تراب السبل أو أحجارها . هذا وكل ما أمرني به ذلك العزيز فعملت بصدق طوية وإخلاص نية ووجدت منه النتائج النفيسة في نفسي والترقي التام في أحوالي .

( وقال قدس سره ) بت ليلة مع الأصحاب في منزل بزورتنون فاحتلمت فخرجت ليلاً لأغتسل ، وكان ذلك في فصل الشتاء والمياه كلها قد جمدت . فكنت كلما أتيت ماءً أجده جامداً من شدة البرد ولم أجد ماأكسر به الجليد ولا أخبرت بذلك أحداً من أصحابي لنلا أشق عليهم ومامعي الآفروة عتيقة . فلما ينست ذهبت من زيورتنون الى منزلي في قصر العارفان وصرت أفتش على ماأكسر به الجليد ، وماأطلعت أحداً من أهلي على ذلك . فبعد استيعاب المنزل وماحوله وجدت على حافة حوض قرب المسجد إناءً يغترفون به الماء . فجعلت أكسر به الجليد وأصابني مشقة تامة من ذلك حتى تجرحت يدي ثم أخذت به الماء واغتسلت فبردت برداً شديداً ، فلبست تلك الفروة وفي تلك الساعة مع هذا البرد الشديد رجعت من قصر العارفان الى زيورتنون .

( وقال قدس سره ) كنت يوماً من أيام الأحوال في ذلك البستان ( وأشار الى البستان الذي هو الآن محل ضريحه الأنور ) أنا وجماعة من المتعلقين بي . فغلبت عليّ الجذبات الإلهية ولطف العنايةات الربانية واضطربت اضطراباً عظيماً لم أطق معه الثبات ولا الإشتغال وأنا مستريح . فقممت مسلوب القرار وجلست مستقبل القبلة ، فحصل لي وقتنذ غيبة إتصلت بالفناء الحقيقي وحقيقة الفناء في الله عز وجل . ورأيت في صورة نجم في بحر من نور بلا نهاية وإني إنمحيته فيه ولم يبق بي من الحياة الظاهرة أثر . ففزع الحاضرون وبكوا في تلك الحالة عليّ ثم بعد ست ساعات ردت اليّ بشريتي شيئاً فشيئاً .

( ونُقِل ) أنه لما حاصر عسكر القبجاق مدينة بخارى إتخذ أهلها السطوم مبارز من فرط الإزدحام . فكان قدس سره يوماً جالساً مع أصحابه على سطح أمد للصلاة إذ دخل عليه رجلان من طلبة العلم مخلصان لجنابه . فأمرهم قدس سره أن ينظفوا السطوم التي حول سطحه من الأتذار وقال إنني طالما نظفت مبارز

مدارس بخارى .

(وقال قدس سره) لاينفم سالك هذا الطريق إلا البيذل والمسكنة وعلو الهمة فاني أنا ما دخلوني إلا من هذا الباب ومانلت ما نلت إلا من ذلك . (وقال قدس سره ورُفِعَ في الملأ الأعلى قدره) نفي الوجود ، وعدم رؤية النفس في هذا الطريق هو رأس مال دولة القبول والوصول . واني في هذا المقام نسبت نفسي الى كل طبقة من طبقات الموجودات ، فوجدت كل فرد منها في الحقيقة أحسن مني حتى اني وصلت الى طبقة الفضلات ، فرأيت لها منفعة ولم أر لي منفعة . ثم وصلت الى فضلة الكلب فقلت مالها نفع فحكمت على نفسي بانها مثلها ، ثم تبين لي أن لتلك الفضلة نفعاً فحينئذ تحققت أنه ليس لي نفع أصلاً . (وقال قدس سره) طفت ليلة حول زيورتون فوصلت الى أكمة هنالك فورد عليّ حال عجيب . فقبل لي أطلب من حضرتنا ما أردت ، فقلت مع التواضع والخضوع الهي هب لي قطرة من بحار رحمتك وعنايتك . فقيل لي تطلب من كرم حضرتنا قطرة . فاخذني حال أعظم وهزنتني الأريحية وعلو الهمة . فلطمت وجهي لطمة قوية وجدت أهلها أياماً وقلت يا كريم هب لي بحار رحمتك وعنايتك مع القوة على تحملها . فظهر لي على الفور أثر الموهبة والعناية وبركة ذلك بلغت ما بلغت . (وقال قدس سره) وشرف في الدارين قدره ، يوماً لأصحابه يعلمهم علو الهمة : "لستم في حل مني إن لم تكن همتمكم في طلب المقصود أن تضعوا أقدامكم على رأسي وترتقوا" . (وقال قدس سره) في بيان أحوال سلوكه واثار تأثير الإستمداد من روحانية السادة الأمجاد . إن التوجه لروحانية سيدنا أوييس القرني أعظم تأثير في الإنقطاع التام والتجرد الكلي عن العلائق الباطنة والظاهرة والتوجه لروحانية الإمام محمد بن علي الحكيم الترمذي يوجب محو الصفة . (وقال) جامع مناقبه مولانا صلاح قدس الله سره : "كنت عند الشيخ سنة تسع وثمانين وسبعمائة فسمعتة يقول إن لي إثني عشر سنة وأنا على قدم الحكيم الترمذي فإنه كان لا صفة له وأنا الآن لا صفة لي عرف ذلك من عرف" . (وقال قدس سره) وضعنا القدم في هذا الطريق ونحن مائتا شخص . فاجتهدت أن أسبق الجميع فأدركتني عناية الله سبحانه وتعالى فسبقتهم ووصلت الى المقصود .

وله اجتهادات قوية ومجاهدات غير هذه كلية تُعلم من الوقوف على مقاماته نفعنا الله والمسلمين ببركاته . وقد حج ثلاث مرات ومرّ أخيراً بمرور فأقام بها مدة ثم إنتقل الى بخارى وأقام في قصر العارفان وكان يُعرف من قبل بقصر الهندوان . فطار صيت إرشاده كل مطار وقصدت رحابه بالرحلة من كافة الأقطار ، واشتعل به الكون نوراً وتبدلت غيوم القلوب بعلم الغيوب وشرو النفوس سروراً . وأصبح يبث من العلوم الغيبية والأسرار الوهية والمعارف الأحدية والفيوضات المحمدية ما لا يحيط به محيط ، وكيف يحاط بالبحر المحيط وله آيات بيّنات هنّ على جلالته بيّنات .

### بيّنات آياته وآيات بيّناته

(قال قدس سره) في قوله في الحديث القدسي "نفسك مطيبتك فارقت بها" إشارة الى النفس المطمئنة المتشرفة بخلة (إلا مارحم ربّي) . وقد يحصل لبعض الأولياء حال بحيث يصلون في الإنقياد الى مقام إذا أمر بشيء لا يمكنهم المخالفة . (وقال قدس سره) في قوله صلى الله عليه وسلم "أصم الأذى عن الطريق" . المراد من الأذى النفس ومن الطريق طريق الحق كما قيل لأبي يزيد رضي الله عنه (خلّ نفسك وتعال) .

(وسُئِلَ) قَدَسَ سرّه عن إختلاف قول الخلفاء الأربعة الراشدين رضوان الله عليهم فقد قال الصديق الأكبر : "مارأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله" ، وقال سيدنا عمر بعده ، وقال سيدنا عثمان معه ، وقال سيدنا عليّ فيه . وكان ذلك في بغداد في مجلس غاص بالعلماء وكبار المشايخ . فقال قَدَسَ سرّه ما حاصله "إختلاف الأقوال بسبب إختلاف الأحوال" . (وسُئِلَ قَدَسَ سرّه) عن المقصود من السلوك فقال : "المعرفة التفصيلية" ففيل له وما المعرفة التفصيلية ؟ قال من علم وقيل من المخبر الصادق صلى الله عليه وسلم إجمالاً يعلم ذلك بالسلوك تفصيلاً ويترقى في مرتبة الدليل والبرهان الى مرتبة الكشف والعيان . (وقال قَدَسَ سرّه) مَنْ طلب الحق تعالى فقد طلب البلاء . ورد في الأحاديث القدسية "من أحبني ابتليتته" . وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أحبك . فقال إستعد للفقر . وأتاه آخر فقال له يارسول الله إني أحب الله ، فقال إستعد للبلاء . (وقيل له قَدَسَ سرّه) بماذا يطعم أهل الله على الخواطر والأعمال الخفية والأحوال ؟ فقال بنور الفراسة التي أكرمهم الله تعالى بها كما ورد في الحديث الصحيح "أتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله" . (وطُلب منه قَدَسَ سرّه) إظهار الكرامات ، فقال مشيناً على وجه الأرض مم وجود هذه الذنوب أظهر الكرامات .

(وسُئِلَ قَدَسَ سرّه) عن معنى قول بعض السادات "الصوفي غير مخلوق" فأجاب بأن للصوفي في بعض الأوقات حالاً لا يكون فيها هو ، فهذا الكلام بالنسبة الى ذلك الوقت والإ فالصوفي مخلوق . (وسُئِلَ قَدَسَ سرّه) عن قول الجنيد "أقطع القارئ وصل الصوفي من القاريء ومن الصوفي ؟" فأجاب بأن القاريء هو المشغول بالإسم والصوفي هو المشغول بالمسمى . (وسُئِلَ قَدَسَ سرّه) عن قولهم "الفقير هو الذي لا يحتاج الى الله" . فقال المراد منه نفي الإحتياج الى السؤال كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام "حسبي من سؤالي علمه بحالي" . (وسُئِلَ) عن قولهم "إذا تم الفقر فهو الله" فقال هذا إشارة الى الفناء ومحو الصفات وأنشد بالفارسية ما معربه :

مَنْ كَانَ حِينَ لَمْ تَكُن لَمْ يَكُ إِلَّا اللَّهُ  
وَإِذْ فَنَيْتَ مَنْ بَقِيَ لَمْ يَبْقُ إِلَّا اللَّهُ

(وقال قَدَسَ سرّه) إن الأحوال من الشيخ كرامات للمريد . (وذكر) عنده قَدَسَ سرّه الله انه قيل للشيخ أبي الخير قَدَسَ سرّه عند احتضاره : آية آية نقرأ أمام جنازتك ؟ فقال : إقرأوا هذا البيت :  
وأحسن ما في الكون من عين أصله سرور محب من حبيب يوصله  
فقال سيدنا البهاء قَدَسَ سرّه هذا عمل عظيم ليُقرء أمام جنازتي هذا البيت وأنشد بالفارسية ما مضمونه وهو من تعريب صاحب "الرشحات" :

أَتَيْنَاكَ بِالْفَقْرِ لَا بِالْغِنَا وَأَنْتَ الَّذِي لَمْ تَزَلْ مُحْسِنًا

(وقال قَدَسَ سرّه) المراد من قولهم "المجاز تنظرة الحقيقة" أن جميع العبادات الظاهرة والباطنة القولية والفعلية مجاز فما لم يجاوزها السالك لا يصل الى الحقيقة . (وقال قَدَسَ سرّه) كان الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير قَدَسَ سرّه يقول "غب الزيارة مع حضور القلب خير من دوامها بلا حضور" . (وقال قَدَسَ سرّه) ينبغي للمريد إن حصل له في شيخه إشكال أن يصبر على قدر تحمله ولا يسيء إعتقاده فيه ثم إن كان مبتدئاً يجوز له السؤال أو متوسط الحال قالوا لا يسأل . (وخرج) يوماً غلام من المكتب ومعه مصحفه فسلم على سيدنا البهاء قَدَسَ سرّه ففتحوا مصحفه فخرج قوله تعالى (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) فقال أرجو أن أكون ذلك . (وقال قَدَسَ سرّه) الفقراء أهل نقد لا يحوّلون أمورهم الى غد ولذلك

قيل الصوفي ابن وقته . وأنشد بالفارسية ما معرّبه :

مَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ تَبَرَّأَ مِنْ فَتَى      يُوْخِرُ فَعَلَ الْيَوْمَ مِنْهُ إِلَى غَدِ

(وقال قدّس الله سرّه) تصحيح أمور النية مهم للغاية لأن حسن النية من عالم الغيب لا من عالم الكسب . ولذلك لم يُصلِّ أحدٌ كباراً الإسلام يعني ابن سيرين على جنازة الحسن البصري رحمهما الله تعالى ، وقال لم تحضرني النية . وروي عن الشيخ سهل التستري أنه قال : "النية نور لأن النور نور الله والياء يد الله والهاء هداية الله وإن النية نسيم الروم" . (وقال قدّس الله سرّه) يوماً لأصحابه : ما الفقير ؟ فما أجابه أحدهم ، فقال : مَنْ بَاطَنُهُ حَرْبٌ وَظَاهِرُهُ سَلْمٌ . (وقال قدّس الله سرّه) للسالك أن يترك النوافل في بعض الأوقات وذلك إذا أنست الطبيعة بها لنلا تصير له إعادة مألوفة . فإن المقصود أن يكون أنس السالك بمولاه لا بالأعمال . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم "وجعلت قرّة عيني في الصلاة" ولم يقل بالصلاة . (وقال قدّس الله سرّه) إذا تكلم المرید بحال ليس فيه حرّم الله عليه شرف الوصول الى ذلك الحال . وأنشد مجنون بيتاً بالفارسية في حضرته معناه :

كُلُّ الْوَرَى تَهْوَى الْمَلَامَ وَإِنَّمَا      يِرْقَى فِي الْعَلَا مَنْ كَانَ يَهْوَى غَيْرَهَا

فقال قدّس الله سرّه إنا قد استنفدنا الطريق من هذا القائل ثم أمر المريدين بحفظه .

(وقال قدّس الله سرّه) كل من أراد نفسه ما أراد نفسه ومَن أراد غيره فقد أراد نفسه . (وقال قدّس الله سرّه) إن الله خلقني لخراب الدنيا والناس يطلبون مني إعمارها . (وقال قدّس الله سرّه) إن أهل الله يتحملون ثقل الخلق ليتمدّب منهم الخلق ويتشرفوا بالقرب من الله تعالى . فإنه مامن وليّ إلا والله نظر الى قلبه علم ذلك أم لا ، فكل مَنْ لقيه نال بركة ذلك النظر الإلهي . (وقال قدّس الله سرّه) مرآة كل المشايخ لها جهتان ومرآتنا لها ستُّ جهات . (وقال قدّس الله سرّه) أربعون سنة وأنا في ملاحظة مراتبي والعمل بها فلم تغلط مرآة وجودي أصلاً . (وقال قدّس الله سرّه) مَنْ عَرَفَ اللَّهَ لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ . (وقال قدّس الله سرّه) حقيقة الأدب ترك الأدب . (وقال قدّس الله سرّه) إذا أردت مقام الأبدال فعليك بتبديل الأحوال وأنشد بيتاً بالفارسية معرّبه :

مَنْ بَدَّلَتْ أَوْصَافَهُ فَهُوَ الْبَدَلُ      بِخَلَّةِ اللَّهِ غَدَا خَمْرُهُ خُلُّ

(وقال قدّس الله سرّه) في العبادة طلب الوجود وفي العبودية تلف الوجود ولا ينتج العمل مادام الوجود باقياً . (وقال قدّس الله سرّه) الطريق الذي يصل بها العارفون الى معروفهم ويجدونهم دون غيرهم مبنية على ثلاث أمور : المراقبة والمشاهدة والمحاسبة . فالمراقبة نسيان المخلوق بدوام النظر الى الخالق . والمشاهدة واردات غيبية ترد على القلب ولما كان الزمان لا بقاء له لا يمكننا إدراك ذلك الوارد بصفة تقوم ، وإنما ندركه من القبض والبسط . ففي القبض نشاهد الجلال وفي البسط نشاهد الجمال . والمحاسبة هي أن نحاسب أنفسنا عن كل ساعة تمرّ بنا هل مرّت بحضور أو تفرقة . فنعدّ الكل نقصاً ، ثم نستأنف العمل من أوله . (وقال قدّس الله سرّه) إنما ربطوا المحاسبة بالساعة ليتمكن تحصيل مقام أهل النفس في كونه مرّ بحضور أولاً ولو ربطوها بالنفس لم يكن إدراك هاتين الصفتين . (وقال قدّس الله سرّه) السالكون في دفع الخواطر الشيطانية والنفسانية متفاوتون فمنهم مَنْ يراها فيدفعها عنه قبل أن تصل اليه . ومنهم مَنْ يردّها بعد وصولها اليه ، ولكن قبل أن تستقر وتستحكم . ومنهم بعد أن تصل اليه وتتمكّن يسعى في صرفها وهذا لايجدي نفعاً تاماً . غير أنه إذا عرف السالك منشأ ذلك وسبب الإنتقالات اليه لا يخلو من فائدة . (وقال قدّس الله سرّه) معرفة كيفية التحول والإنتقال من حال الى حال في غاية الإشكال . (وقال قدّس

الله سرّه) الوقوف الزماني الذي هو وظيفة السالك أن يكون ناظرًا الى أحواله فيعلم مايجب لكل زمان من الشكر أو العذر ويعامله بما يليق به . (وقال قدّس الله سرّه) ينبغي أن يكون تلقين الذكر من الكامل المكمّل ليؤثّر وتظهر نتيجته . فإن السهم إذا كان من كنانة السلطان يصلح للحماية . (وقال قدّس الله سرّه) لحضرة العزیزان وهو سيدنا الشيخ علي الراميتني طريقان للذكر سرّ وجرم . فاخترت منهما السرّ لأنه أقوى وأولى . (وقال قدّس الله سرّه) الوقوف العددي أول مراتب العلم اللدني . (وقال قدّس الله سرّه) لايمكن من الوصول الى حب أهل الله إلا من خرج عن نفسه . (وقال) مثلاً أهل الله مثلاً الصياد الحاذق الذي يدخل الحيوان الوحشي في شبكته ثم يوصله بحكمته الى مقام الاستئناس .

(وقال قدّس الله سرّه) لهذه الطريقة ثلاثة آداب : أدب مع الله سبحانه وتعالى وهو أن يكون المرید في الظاهر والباطن مستكملًا للعبودية بامتثال الأوامر واجتناب النواهي مُعرضاً عن سواه بالكلية . وأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن يستغفر في مقام "فاتبعوني" ويرعى ذلك في جميع الأحوال وجوباً . ويعلم أنه صلى الله عليه وسلم واسطة الحق وأن كل شيء تحت تصرف أمره العالي . وأدب مع المشايخ وهو لازم للطالبين لأنهم سبب في متابعتها صلى الله عليه وسلم الى مقام الدعوة الى الحق . فينبغي للمرید حضور أو غيبة أن يكون مراعيًا لأحوالهم ومقتدياً بهم متمسكاً بأذيالهم .

(وقال قدّس الله سرّه) على المرشد أن يعلم أحوال المرید في الأزمنة الثلاثة : الماضي والمستقبل والحال ، حتى يمكنه أن يريه . وعلى السالك أن يكون عند اجتماعه بأحد من أحباب الله حافظاً حال نفسه ثم يزين من صحبتته وزمنه السابق . فإن وجد في حاله انتقالاً من نقص الى كمال على حد قوله "أصبحت فالزم" فليجعل صحبة هذا العزیز فرض عين عليه . (وقال قدّس الله سرّه) كل من مال إلينا أو انتسب الى محبتنا بعيداً كان أو قريباً لابد أن نلحظ نسبته كل يوم وليلة ونمدّه من منبع عين الشفقة والتربية بالإمداد الدائم ، إن كان حافظاً لأحواله منقياً لطريق الإمداد من أذناس التعلقات وأوساخها . (وقال قدّس الله سرّه) في قوله في الحديث القدسي : "أنا جليس من ذكرني" إشارة الى بيان حال أهل الباطن . وفي قوله أيضاً : "الصوم لي وأنا أجزي به" إشارة الى الصوم الحقيقي وهو الإمساك عن السوى بكلّيته . (وقال قدّس الله سرّه) المراد من الأمة في قوله صلى الله عليه وسلم : "نصيب أمّتي من نار جهنم كنصيب إبراهيم من نار نمرود" ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم : "لا تجتمع أمّتي على ضلالة" إنّما هي أمة المتابعة . فإن الأمة على ثلاثة أقسام : أمة الدعوة ، أمة الإجابة ، أمة المتابعة . (وقال قدّس الله سرّه) قوله صلى الله عليه وسلم : "معراج المؤمن فيه" إشارة الى درجات الصلاة الحقيقية . وهي أن تكون أكبرية حضرة الحق حالاً للمصلّي عند تحرّمه ويظهر الخضوع والخشوع على قلبه حتى يصل الى مرتبة الإستغراق . وقد كانت هذه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . روي انه كان يظهر لصدره الشريف صوت يُسمع من خارج المدينة وأنه كان له أزيز كأزيز المرجل . (وسأله قدّس الله سرّه) أحد علماء بخارى عما يحصل به الحضور وللعبد في الصلاة . فقال له : بأكل الحلال ومراقبة الحق تعالى خارج الصلاة وعند الوضوء وتكبيرة الإحرام .

(وقال قدّس الله سرّه) في قوله الحديث : "ماكرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله إذا خلوت" إشارة الى أنه ينبغي للسالك أن يكون الخلاء له ملأ وأن ما يفعله في الخلوة رعاية لخلق الخلق اليه بفعله بالخلوة . (وقال قدّس الله سرّه) ورد في الأخبار والآثار وكلام المشايخ الكبار . "إذا أحبّ الله عبداً لم يضره ذنب" . ومعناه أن العبد المحبوب إذا عرف العذر عن الذنب واعتذر به لم يضره . (وقال قدّس الله سرّه) الصلاة

والصيام والمُجاهدة هي طريق الوصول الى الله تعالى ولكن نفي الوجود عندنا أقرب . وهذا وإن كان لابد منه مع العبادة والمُجاهدة أيضاً إلا أنه لا يحصل إلا بترك الإختيار وعدم رؤية الأعمال .

( وقال الشيخ صلاح جامع مناقبه قدّس الله سرّه ) : كان سيدنا البهاء قدّس الله سرّه يوماً مع أصحابه فقال إن التعلق بالسوى حجاب عظيم للسالك ، ثم أنشد بالفارسية بيتاً ومعناه بالعربية :

إن التعلق بالسوى أقوى حجاب والتخلص منه فاتحة الوصول

فخطر ببالي ساعته أن التعلق بالإيمان والإسلام أيضاً كذلك . فالتفت في الحال اليّ وتبسّم ثم قال : أما سمعت قول الحلاج قدّس الله روحه :

كفرتُ بدين الله والكفر واجبٌ لديّ وعند المسلمين قبيحٌ

وكذلك قالوا المعتبر هو الإيمان الحقيقي وعرف أهل الحقيقة الإيمان بأنه ربط القلب بنفي جميع ماتولمت به القلوب من المضار والمنافم سوى الله عزّ وجلّ . أه .

( قلت ) لا يخفى أن الإيمان يرد لمعان منها الجزاء قال تعالى (مالك يوم الدين) وإن أهل الله لا ينظرون في أعمالهم إلا الى الله . قالت رابعة العدوية رضي الله عنها : "ماعدتك طمعاً في جنّتك ولا خوفاً من نارك ولكن لوجهك الكريم" . فصرف العبادة لغيره تعالى شركٌ خفي كما قال سيدنا الشيخ أرسلان الدمشقي : "كلك شرك خفي والكفر به على المخلصين واجب ، لأن من عبده لأجل الجنة والنار فقد عبد الجنة والنار وهو طاغوت وقد قال تعالى (ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى)" . ومما يؤيد ذلك ما نقل أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي قدّس الله سرّه سأله شيخه : بماذا تلقى الله تعالى ؟ فقال له : بفقري . قال له : إذن تلقاه بالصنم الأعظم .

فعبادتهم عبودية محضة لا يشوبها شيء غير الله ، بل لا يرون فيها دخلاً حتى يطلبون الجزاء عليها لتحققهم بقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) على أن (ما) نافية . وأما أهل الظاهر فقد تمسكوا بالأعمال ورتّبوا عليها الجزاء إن خيراً فخير وإن شراً فشرّ وأن العبد ينفعه عمله ويضره . ومشى الحق تعالى ذلك فقال لهم (جزاء بما كانوا يعملون) (ويجزئهم بأحسن الذي كانوا يعملون) فعدم النظر الى الأعمال عندهم قبيح ولعل هذا أحسن مما كتبه الشيخ صلاح هنا والله أعلم .

( وقال قدّس الله سرّه ) كل من وقّف لمخالفة نفسه وإن كان هو في حد ذاته عملاً قليلاً يجب عليه أن يراه عظيماً ويشكر الله تعالى على توفيقه له ، فإن من قال "إذا أردت مقام الأبدال فعليك بتبديل الأحوال" مراده مخالفة النفس . ( وقال قدّس الله سرّه ) كنا في أوائل الحال نرى أنفسنا مطلوبين والغير طالباً والآن قد عدلنا عن ذلك فإن المرشد الأعلى على الإطلاقات هو الله تعالى . فكل من أوجد فيه داعية هذا الطريق وأرسله إلينا يصل اليه من ماله فيه نصيب . ( ودُكر قدّس الله سرّه ) أنه سلم عليه أحد مريديه فلم يرد السلام فأغبر خاطره ، فقال : اعتذروا له بأني كنت وقتئذ متوجهاً بكليتي لسمام كلام الحق تعالى لي فشغلني كلام الحق عن سلام الخلق . ( وقال قدّس الله سرّه ) قوله صلى الله عليه وسلم : "الكاسب حبيب الله" إشارة الى كسب الرضا لا كسب الدنيا . ( وقال قدّس الله سرّه ) كل من سلّم نفسه للحق تعالى وفوض أمره اليه فالتجاؤه لغيره شرك يُعفى عنه العامة دون الخاصة . ( وقال قدّس الله سرّه ) الوصول الى سرّ التوحيد ممكن في بعض الأحيان ، وأما الوصول الى سرّ المعرفة فمشكّل . ( وقال قدّس الله سرّه ) إذا شاكتُ رجلٌ الفقير شوكةً ، فعليه أن يعلم من أي وجه وصلت اليه .

( وقال قدّس الله سرّه ) ينبغي للطالب أن يصحب أصحابنا أولاً مدة حتى تحصل له قابلية صحبتنا .

(وقال قدس الله سره) إن طريقنا من النوادر وهي العروة الوثقى وماهي إلا التمسك بأذيال متابعة السنة السنوية وإقتفاء آثار الصحابة الكرام . ولقد أدخلوني في هذا الطريق من باب الفضل فإني لم أشهد أولاً ولا آخراً إلا فضل الحق تعالى . والعمل فيه يحصل منه فتوح كثير لأن رعاية السنة السنوية من أعظم الأعمال . أه . وبه يعلم معنى قوله قدس الله سره "كل من أعرض عن طريقنا فهو على خطر من دينه" .  
(وسئل قدس الله سره) بماذا يصل العبد الى طريقكم ؟ فقال بمتابعة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . (وقال قدس الله سره) ينبغي للمتوكل أن لا يرى نفسه متوكلاً وأن يخفي توكله في الكسب .  
(وقال قدس الله سره) إنا تحملنا في هذا الطريق الذلة فتفضل الحق علينا من محض إحسانه بالعزة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين . (وبلغه) أن بعض الناس نسب اليه التكبر ، فقال كبريائنا من كبريائه .  
(ويشير قدس الله سره) الى ما أجاب به الجنيد حين سئل عن العارف فقال لون الماء لون إنائه . (وقال قدس الله سره) كل من جرى أخذ الإناء وأخذ الإناء كل من جرى .  
وأياته قدس الله سره بجران ما غترفنا منه إلا قطرة وما إقتطفنا منه إلا زهرة .

### أحوال كماله وكمال أحواله

(كان) قدس الله سره على أعظم قدم من تمام التجرد عن الدنيا وعلائقها ومحض الزهد وفرط الورع في أموره كلها ، خصوصاً في طعامه . فإنه كان يحتاط له احتياطاً عظيماً لا يأكل إلا من شعير وماش يزرعه ويتحرى في بذره وحرثه وسقيه وجوه الحل ، حتى صارت كبار العلماء والعباد يقصدون زيارته للتبرك بطعامه . ولقد بلغ بالتقشف عن الدنيا أنه كان يفرش منزله في الشتاء بأحلاس بالية وفي الصيف بخصفة قديمة . (وكان) يحب الفقراء والفقر ويحض أصحابه عليه وعلى كسب الحلال ويستدل بقوله صلى الله عليه وسلم : "العبادة تسعة منها طلب الحلال وواحد سائر العبادات" . وكان يقول كل ما حصل لي فهو من ذلك . (وكان) يصنع الطعام للفقراء بيده المباركة ويخدم مائدتهم بنفسه الشريفة ، وإذا اجتمعوا للطعام يوصيهم بالمحافظة على الحضور ويؤكد عليهم في ذلك أشد التأكيد . وكلما أراد أحدهم أن يتناول لقمة مع الغفلة ينبهه عن طريق الكشف عليه ويمنعه من أكلها ويقول "صدور الأعمال الصالحة إنما هو من الطعام الحلال إذا أكل مع الحضور ولا يحصل العبد الحضور في جميع الأوقات لاسيما أوقات الصلوات إلا بهذا" .

(وكان) إذا قدم اليه طعام صنع في حالة غضب أو كراهية أو حصل فيه أدنى مشقة بل لو كان وضع فيه أحد ملعقة على هذه الحالة لا يمد يده ولا يمدع أحداً ممن معه أن يتناول منه شيئاً . (روي) أنه ذهب ذات مرة الى غزيبوت فقدم اليه أحد مريديه طعاماً ، فقال له : كان صانع منذ عجت عجينه الى أن أتم طبخه في حالة غضب فلا يليق بنا أن نأكل منه ، فإن كل ما جعل في مثل هذه الأحوال لا خير فيه ولا بركة ، بل يجد الشيطان فيه سبيلاً فكيف ينتج ؟

(ولما توجه الى هراة) صنع الملك حسين رحمه الله وليمة عظيمة دعا اليها أعيان مملكته ومشايخ حضرته وعلماءها إحتفاءً به قدس الله سره ، ووقف بنفسه على المائدة وقال : كلوا من هذا الطعام فإنه حلال إتخذته من ميراثي من أبي وأنا ضميم عهدته يوم القيامة . فابتدروا يأكلون والشيخ لم يمد يده . فالتفت شيخ الإسلام قطب الدين رحمه الله وكان قدوة أهل زمانه وقال له : لم تأكل ؟ فقال له : إن لي حاكماً عرضت عليه هذه القضية فقال لك فيها وجهات إن لم تأكل وسألوك تتقل حضرت سفره الملك ولم

أكل وإن أكلتَ سالوك لم أكلتَ فماذا تقول؟ فتأثر شيخ الإسلام من هذا الكلام تأثراً عظيماً وحصل له حال غريب وأمسك عن الطعام وطلب من السلطان أن يسامحه منه . فتحيّر الملك وقال له : مانصنم بهذه الأطلعمة؟ قال : حتى نسالَ حضرة البهاء . فقال قدّس الله سرّه : إن كان فيه شبهة ففرّقه على الفقراء وإن كان حلالاً فلاشك أن في هراة كثيراً ممن له أشدّ الإحتياج الى لقمة واحدة منه فينبغي أن يُصرف اليهم . فعجب الحاضرون منه قدّس الله سرّه .

(وكان) في سرخس فارسك الملك حسين رحمه الله اليه رسولاً ومعه كتاب "إنا مشتاقون لصحبة الفقراء فماذا تأمرون؟" وكانت عادته لا يذهب الى الملوك ولكن رأى أنه يحصل بمجيء الملك الى سرخس وطوس زحمة عظيمة على الناس فرحمة بهم توجه الى هراة . فلما وصل اليها نزل في زاوية سيدنا الشيخ عبدالله الأنصاري رضي الله عنه فوجد الملك والخدم والحشم والأعيان والعلماء جميعاً ينتظرونه . فاستقبلوه أعظم استقبال وأدخله الملك الى داره وجلس بين يديه . وبعد برهة وضعوا مائدة عظيمة جامعة لأفخر الأطلعمة وأثمنها . فأخذ الحاضرون يأكلون والشيخ لم يأكل . فقال له العلماء : إن في هذه الأطلعمة لحم صيد وهو لا شبهة فيه فكلوا منه . فقال : لا يليق بي أن أكل على موائد الملوك وأنا معتقد جماعة وهذا واحد منهم حاضر فإن مددت يدي لا يدرون من أي طعام أكلت . فقالوا : إن صفة الفقر موروثة لكم . قال : لا بل أدركتني جذبة من جذبات الحقّ توازي عمل الثقلين فتشرفت بهذه السعادة . فقال له الملك : طريقتكم فيه ذكر الجهر والخلوة والسماح . قال : لا . قال : فماذا طريقتكم؟ قال : هو كما قال سيدنا الشيخ عبدالخالق العبدواني قدّس الله سرّه العزيز "الخلوة في الجلوة" . قال : مامعناه؟ قال : هو أن يكون العبد في الظاهر مع الخلق وفي الباطن مع الحقّ . (وأشدد بالفارسية) بيتاً عربيّ في "المناقب" فقال :

ففي باطنك كصاحياً غير غافل وفي ظاهر خالط كبعض الأجانب

قال الملك : أويمكن هذا؟ قال : نعم فإن الله تعالى يقول (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) . فقال له الملك : إن بعض السادات يقول الولاية أفضل من النبوة فأى ولاية أفضل من النبوة؟ قال : ولاية النبي أفضل من نبوته .

ثم ودّع الملك ورجع الى الزاوية فمالبت أن أرسل اليه الملك مع نفر من خواصه أطباقاً عليها أنواع التحف والتمسوا منه أن يقبلها ، فردّها وقال لهم : إني منذ منّ الله عليّ بعنايته لم يقدر أحد في هذا الحال أن يجعل ظهر يدي الى الأرض فإنصحوه أن لا يحدث نفسه بمثل هذا . ثم بعد قطع من اللبك جاءه عبيد زوجة الملك بهدية مشتملة على قميص ومنديك وغير ذلك وذكروا له أن سيدتهم قد خالطت القميص بيدها إحتفاءً به ورجاء قبوله . فردّها فكرروا عليه الإسترحام بقبولها وألحوا في ذلك . فما قبل منها شيئاً ولم يكن لابساً يومئذ إلا ثوباً من صوف وعمامة وكوشاً قديماً . فكانت هيئته هذه سبباً لرسوخ محبة الملك وأهل هراة لجنابه .

(وكان) يصوم أكثر أيامه فإذا جاءه ضيف وكان عنده ما يكرمه به يأكل معه ويقول سرّاً لأصحابه إن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا لا يفرقون إلا عن ذوات . وقال الشيخ أبو الحسن الخرقاني في كتابه "أصول الطريقة ووصول الحقيقة" إن فضل موافقة الإخوان فيما ليس بمعصية ليس أقلّ ثواباً من صوم النفل ومن آداب الصوم إخفاؤه .

(وأهديت) اليه سمكة مطبوخة والفقراء حاضرون وفيهم شاب عابد زاهد كان صائماً فقال له : وافق



إخوانك وافطر . فلم يقبل ، فقال له : افطر وأنا أهبك صوم يوم من شهر رمضان . فأبى فقال له : افطر وأنا أهبك صيام أيام شهر رمضان . فأبى ، فقال : وقم نظير ذلك مع سلطان العارفين أبي يزيد رضي الله عنه فاتركوه فإنه من المبعدين . فنظراً لإستخفافه بأوامر أهل الله تعالى ابتلاه الله تعالى بعد ذلك بالإنهماك في الدنيا والإعراض عما كان فيه من سعادة العبادة .

(والذي وقم لأبي يزيد) هو أنه زاره سيدنا الشيخ أبو تراب النخشي فقدم له الخادم طعاماً فقال له أبو تراب : اجلس وكلّ معي . فقال : إني صائم . فقال : كل ولك ثواب صيام سنة . فأبى ، فقال : كلّ ولك صيام سنتين . فأبى ، فقال أبو يزيد : دعوا من سقط من عين الله . فإنقطع بعد مدة يسيرة وساءت أحواله حتى سرق سرقة قطعت بها يمينه .

(وكان قدس الله سره) إذا زاره أحد أحبابه تولى خدمته بنفسه وإعتنى به كل الإعتناء وخدم دابته أحسن خدمة وقدم لها الماء والعلف بيده المباركة لكيلا يكون في قلب الضيف همٌّ منها لقوله صلى الله عليه وسلم : " هم المؤمن دابته وهم المنافق بطنه " . ويقول نقل عن العريزان قدس الله سره أنه كان يبتيء أولاً بخدمة دابة ضيفه ويقول إنها كانت سبباً لوصله الي وتشرقي به .

(وكان قدس الله سره) إذا أتى الفقراء الى منزله يأتي بالأحجار فيمسم بها وجهه النضير ثم يهينها لهم للإستنجاء ويقول " إن لهؤلاء منة على روعي " . (وكان قدس الله سره) إذا زاره أحد من أصحابه يسأل عن أهله وأولاده ويلاطف كل منهم بما يناسبه ويبحث عن متعلقاته ودوابه حتى دجاجاته ويظهر الشفقة كل بحسبه ويقول كان أبو يزيد رضي الله عنه إذا رجم من الإستغراف يفعل هكذا . (وكان قدس الله سره) مع كمال تجرده وزهد دابه البذل والإيثار فإذا أهدى اليه أحد شيئاً قبله وقابله بأضعافه تأسياً به صلى الله عليه وسلم . وبركته سرت هذه الأخلاق الكريمة الى أصحابه قدس الله أرواحهم .

### كراماته وإكراماته

(قال قدس الله سره) خرجت يوماً أنا ومحمد زاهد الى الصحراء وكان مريداً صادقاً ومعنا المعاول نشغل بها فمرت بنا حالة أوجبت أن نلقي المعاول ونتذاكر في المعارف . فما زلنا كذلك حتى إنجر الكلام بنا الى العبودية ، فقال لي : الى أي مدى تنتهي العبودية ؟ فقلت : تنتهي الى درجة إذا قال صاحبها لأحد مت مات في الحال . قال ثم وقع لي أنني قلت له ساعتئذ مت فمات حالاً واستمر ميتاً من الضحى الى نصف النهار . وكان الوقت حاراً فإنزعجت لذلك وتحيرت كثيراً . ثم أويت الى ظك قريب منه فجلست وأنا في حيرة تامة ثم رجعت الى عنده ، فنظرت اليه فوجدته قد تعير من فرط الحر . فإزددت قلقاً . فألقي الي وقتئذ أن قل (يامحمد احي) فقلت له ذلك ثلاث مرات . فأخذت تسري فيه الحياة شيئاً فشيئاً وأنا أنظر اليه حتى عاد الى حاله الأول . فأتيت حضرة السيد أمير كلال فقصت عليه القصة ، فلما ذكرت له أنه مات وتحيرت من ذلك قال لي : يا ولدي لم لم تقل له احي . فقلت له : لما ألهمت ذلك قلته فعاد حياً .

(ونقل الشيخ علاء الدين العطار) أنه لما قدم ماوراء النهر سلطات عبدالله قرغت الى بخارى عزم أن يخرج الى الصيد في نواحي بخارى وأن يخرج الناس معه . وكان الشيخ في قرية من قرى بخارى فلما خرج أهل تلك القرية خرج معهم فابتدروا الصيد . وأما الشيخ قدس الله سره فقد طلع الى ربوة قريبة منهم وأخذ يرقم ثوبه . فخطر بباله وقتئذ أن الأولياء عزتهم بالله فلذلك وضعت السلطين رؤوسها على أعتابهم . فما تم هذا الخاطر إلا وأقبل عليه فارس متزين بزينة الملوك . فلما وصل عنده ترجل وجاء مع التعظيم

التام والخضوع الوافر . فسلم على الشيخ قدس الله سره ووقف متادباً في ضح الشمس نحو ساعة فرقم الشيخ رأسه اليه وقال : بماذا كنت تشغل ؟ قال : كنت مشغولاً بالصيد فوجدتني قد جذبت الى هذا الجانب بغير إختياري فلما وصلت الى هذا الموضع رأيتكم فمال قلبي اليكم ميلاً تاماً . ثم جعل يتدلك له ويتواضع اليه ويطلب الإمداد منه . فقال له الشيخ قدس الله سره : أتركني فإني فقير كنت في هذه القرية فأخرج عبدالله قرزغ الناس للصيد فرافقتهم فلما لم أكن أصلح لذلك جئت الى هنا . فقال له : لكن ياسيدي أنتم قد صدموني . فقام الشيخ ولبس ثوبه وتوجه الى جهة الصحراء فتبعه الرجل ولم يزل يمشي والرجل يمشي خلفه بتمام الإنكسار حتى نظر اليه الشيخ نظرة هيبية وجلال فوقف مكانه ولم يستطع أن يتبعه أبداً .

( وروي ) عن بعض أصحابه أنه قال كنت في خدمته وهو في بلدة مرو ، فاشتقت لرؤية أهلي في بخارى وكان بلغني أن أخي شمس الدين قد مات ولم أجسر على الإستئذان منه . فخرج لصلاة الجمعة يوماً فلما رجع من المسجد ذكر له الأمير موت أخي فقال له : كيف هذا الخبر وهو حي وهذه رائحته تفوح بل أجد رائحته قريبة جداً . فما تم كلامه إلا وقد وصل أخي من بخارى وجاء فسلم على الشيخ قدس الله سره . فقال : ياأمير هذا شمس الدين فحصل للحاضرين حال عظيم .

( وقال ) سيدنا الشيخ علاء الدين العطار كان قدس الله سره في بخارى وكان المولى عارف أحد أعزائه أحبائه في خوارزم . فكان يتكلم يوماً على صفة البصر مع أصحابه ، فقال في أثناء كلامه " الآن خرج المولى عارف من خوارزم الى جهة السراي ووصل الى الموضع الفلاني من طريق السراي " . ثم بعد لحظة قال خطر في بال المولى عارف أن لا يذهب الى السراي وهامو قد رجع الى جهة خوارزم . فتيقّد أصحابه هذه القصة بتاريخها . فبعد مدة قدم المولى عارف من خوارزم الى بخارى فأخبروه بما ذكر الشيخ قدس الله سره . فقال لهم هذا هو الذي وقع لي بعينه فتعجب أصحابه من ذلك غاية العجب .

( وقال ) مولانا الشيخ عبدالله الخندي كان سبب صحبتي له قدس الله سره انه حصلت لي قبل ذلك بسنين لوعة محرقة وأنا في ( خجند ) سلبت قراري وتعطشت للدخول في هذا الطريق . فخرجت من خجند هائماً على وجهي حتى وصلت الى ترمذ . فذهبت الى زيارة ضريح العارف الكبير محمد بن علي الحكيم الترمذي قدس الله سره وأنا في غاية الإضطراب . ثم أتيت مسجداً على جانب نهر جيحون ونمت فيه فرأيت شيخين مهايين . فقال لي أحدهما هل تعرفنا أنا محمد بن علي الترمذي وهذا الخضر عليه السلام ، لا تتعب نفسك ولا تضطرب فإنه ما أن أوان ما تريد ولكن ستصل اليه بعد اثنتي عشرة سنة في بخارى على يد الشيخ بهاء الدين الذي هو قطب الزمان وقتئذ . ثم أفقت وقد سكن ما بي فرجعت الى خجند . ثم أنني كنت ماشياً في السوق فإذا أنا بتركيبي دخل المسجد فتبعتهما فجلسا يتحدثان فأصغيت لحديثهما . فسمعتهما يتكلمان عن أحوال الطريق فمال قلبي اليهما . فأسرعت فأتيتهما بطعام ، قال أحدهما للأخر هذا فيه لوعة يليف أن يكون في خدمة ولد سلطاننا الشيخ إسحاق . فلما سمعت ذلك استفسرت منهما عن ذلك الشيخ فأخبراني أنه في نواحي خجند . فذهبت اليه في الحال فلاحظني ملاطفة تامة وكان له ولد عليه آثار النجابة والإخلاص . فقال لوالده يوماً : إن هذا المريد منكسر فينبغي أن تصطفوه وتتخذه صاحباً . فيكى الشيخ وقال له : يا ولدي هذا من أولاد الشيخ بهاء الدين ليس لي عليه حكم . فعند ذلك رجعت الى خجند أنتظر زمان ظهور هذه الإشارة . فما مضت مدة إلا ورأيت قلبي قد انجذب الى جهة بخارى

فلم أقدر أن أتأخر لحظة فسافرت إليها . فعندما وصلت قصدت توأ حضرة الشيخ قدّس الله سرّه فلما تشرّفت برؤيته قال : اني أنست يا عبدالله الخجدي بقي ثلاثة أيام حتى تتم مدة الإثنتي عشرة سنة . فأخذني من هذه الإشارة حال غريب وطلع صبح سعادة محبته في أفق قلبي ولم يفهم الحاضرون ماأشار اليه فسألوني عنه . فلما أذقتم الخبر امتلأوا نضرة وسروراً ثم أقبل بالعناية التامة عليّ وقبلني أن أكون عبداً له قدّس الله سرّه .

( وقال سيدنا الشيخ علاء الدين العطار ) كنت عند حضرته في يوم غيم ، فقال لي : هل دخل وقت الظهر ؟ فقلت له : لا ، فقال : أنظر الى السماء . فنظرت فلم أجد حجاباً أصلاً ورأيت جميع ملائكة السموات مشتغلين بصلاة الظهر . فقال : ماتقول هل صار وقت الظهر ؟ فخرجت مما صدر مني واستغفرت منه وبقيت مدة وأنا أجد لذلك في نفسي ثقلاً عظيماً .

( وروي عن أصحابه أنه قال ) أرسلني قدّس الله سرّه يوماً في حاجة فلما رجعت رأيت المريدين وقوفاً في البستان الذي فيه مرقد الشريف الآن وبأيديهم المعاول والمكاتل فداخلني أشدّ الخوف وأخذتني حمى نافض ، ثم بعد ساعة جاء الشيخ قدّس الله سرّه من منزله فقال لي : أراك متغيّراً . فقلت له : منذ وصلت الى هنا إعتراني خوف شديد وماعلمت سببه . فقال : سل الأمير حسين عنه . فسألته فقال : سبب ذلك أنّ المريدين أتوا من الصباح لنقل التراب ولم تكن معهم . قال ثم عاد قدّس الله سرّه الى المنزل لإصلاح طعام المريدين فلم نلبث أن رأينا رجلاً شاباً جاء من جهة منزله الى جهتنا وهو يطير في الهواء ويثب من محل الى محل كالطائر . فلما دنا منا مرّ فوق رؤوسنا كذلك . فطفقنا جميعاً ننظر اليه وعزمنا أن ندم ما نحن فيه من العمل ونتأثره . فبينما نحن كذلك إذا بحضرة الشيخ قدّس الله سرّه قد خرج من المنزل وأشار إلينا أن على رسلكم حتى أجيء اليكم . فحصل لنا رعب عظيم من كلامه . فلما أن جاء ورأى حالنا التفت اليّ وقال : هذه حالك التي إعترتك أولاً وقد إنعكست عليهم . ( ثم قال ) وأما الشاب الذي كان يطير فهو شخص كنت قد رأيته وأنا ذاهب من (نصف) الى بخارى يطير فلما دنوت منه قلت له "كيف تركت صحبة رجال الغيب ووقعت في الألم والحسرة؟" . فقال أنا من البلد الفلاني وقد أدخلوني في صحبتهم فكنا ذات يوم جلوساً على جبل فمرّ بخاطري ذكر الزوجة والولد فكوشفوا بهذا الخاطر فقصدوا أن يذهبوا ويتركوني . فتمسكت في الحال بذيك واحد منهم وسألتهم أن يوصلوني الى محل معمور فاتوا بي الى هذا المكان" . قال قدّس الله سرّه فجنّت به من نفس الى بخارى منذ ستة أيام ووضعت في منزلي ، فلما ذهبت لأهّيء لكم الطعام استأذنتني بالذهاب فأذنت له ثم أردت أن أتيكم بالطعام فرأيت ما حلّ بكم من التفرقة وتشتيت الخاطر فخرجت مسرعاً وأشرت اليكم بما أشرت . ثم قال وقد ظهر عليه تجلّي الجلا : ينبغي للمريد أن يكون راسخ القدم لايزيحه كل شيء ، عما هو فيه ولايتبدل إعتقاده في شيخه بوجه من الوجوه أصلاً حتى لو رأى الخضر عليه السلام لايلتفت اليه . وقال وقد غلبت عليه الهيبة والسطوة مرتبة الطيران سهلة فإن الذباب ليطير في الهواء أيضاً . ثم أمر الأمير حسين رحمه الله وبقية المريدين أن يملأوا المكتل تراباً وأن يتركوه . ففعلوا وأشار الشيخ الى المكتل فمشى بنفسه وأفرغ التراب ورجع الينا بنفسه ، وفعل ذلك مراراً . فقال قدّس الله سرّه هذه الأمور وأمثالها لايعتبار لها عند خواص أهل الله تعالى .

( وحكى سيدنا علاء الدين ) أن الشيخ تاج الدين أحد أصحاب الحضرة البهائية كان إذا أرسله الشيخ الى حاجة من قصر العارفان الى بخارى يعود ببرهة قليلة وذلك أنه كان إذا غاب عن أعين المريدين يطير في الهواء .

قال وأرسلني يوماً في أمر الى بخارى فذهبت على هذه الكيفية فوجدت الشيخ في طريقي فرأني على هذه الحالة فسلبها مني . فلم أقدر بعد ذلك أن أفعلها أبداً .

(وقال الشيخ خسرو) وهو من أجلاء أصحابه قدس الله سره قصدت يوماً زيارة الشيخ قدس الله سره فوجدته واقفاً في البستان على حافة الحوض يتكلم مع شيخ لم أعرفه . فلما سلمت عليه إنصرف ذلك الشيخ الى ناحية من نواحي البستان . فقال لي قدس الله سره "هذا الخضر" مرتين . فلم أتكلم بل سكتُ وبعون الله تعالى لم أجد في نفسي ميلاً اليه لا ظاهراً ولا بائناً . ثم بعد يومين أو ثلاثة رأيته أيضاً في بستان الخانقاه يتحدث مع الشيخ قدس الله سره وبعد مضي شهرين لقيته أيضاً في سوق بخارى فتبسم لي فسلمت عليه فعانقني وباسطني وسألني عن أحوالي . فلما رجعت الى قصر العارفان وتمثلت في أعقاب الشيخ قدس الله سره قال لي إنك إجتمع بالخضر في سوق بخارى .

(وسافر) بعض العلماء مع جماعة من مريدي الشيخ قدس الله سره الى العراق قال فلما وصلنا الى سمنان سمعنا ان هناك رجلاً مباركاً اسمه السيد محمود من مخلصي الشيخ . فقصدنا زيارته جميعاً وسألناه عن سبب اتصاله بالشيخ . فقال "كنت رأيت في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم أو رجلاً جليلاً من الأكابر وهو في مكان جميل والى جانبه رجل مهاب فقلت للنبي صلى الله عليه وسلم ، أو لذلك الرجل الجليل ، مع التواضع والأدب اني لم أتشرف بصحبتك ولم أحض ببركة زمنك والإجتماع بكم وفاتتني هذه السعادة فماذا أصنع ؟ فقال لي ان أردت أن تنال بركتي وفضل رؤيتي فعليك بمتابعة بهاء الدين وأشار الى ذلك الرجل الذي الى جنبه وماكنت قد رأيت الشيخ قبل ذلك . فلما أفقت قيّدت اسمه وحليته على ظهر كتاب . ثم بعد مدة مديدة كنت جالساً على دكان بزاز فرأيت رجلاً عليه نور وهيبة وقد جاء وجلس على الدكان . فلما رأيت وجهه تذكرت تلك الطيبة فحصل لي حال عظيم . فلما سرى عني سألته أن يشرف منزلي فأجاب الى ذلك وقام يمشي أمامي وأنا خلفه فلم يلتفت حتى وصل الى منزلي وهذه أول كرامة شاهدتها منه ، فإنه لم ير منزلي قبل أصلاً . ثم لما دخل قصد حجرة خاصة بي وكان فيها خزانة كتب فمد يده الشريفة واستخرج من بينها كتاباً وأعطاني إياه وقال : ماذا كتبت على ظهره ؟ فإذا هو الكتاب الذي كتبت على ظهره الرؤيا وتاريخها وإذا لها سبع سنين . فصار لي من إطلاع على ذلك حال أعظم من الأول حتى إذا إنجلي عني ما جده قابلي باللطف وقبلي أن أكون من زمرة أصحابه وشرفني بسعادة خدمة بابه .

(ودعاه بعض أصحابه) في بخارى فلما أدت المغرب قال للمولى نجم الدين دأرك : أتمتلك كل ماأمرك به ؟ قال : نعم . قال : فإن أمرتك بالسرقة تفعلها ؟ قال : لا . لأن حقوق الله تكفرها التوبة وهذه من حقوق العباد . فقال : إن لم تتمتلك أمرنا فلا تصحبنا . ففزع المولى نجم الدين فزعاً شديداً وضاعت عليه الأرض بما رحبت وأظهر التوبة والندم وعزم على أن لا يعصى له أمر . فرحمه الحاضرون وشفعوا له عنده وساروا الى محلة باب سمرقند . فأشار الشيخ الى بيت وقال أخرجوا جداره وأدخلوا تجدوا في الموضع الفلاني منه كيساً مملوءاً أمتعة فأتوا بها ، ففعلوا . ثم ساروا الى زاوية هنالك وجلسوا . فبعد ساعة سمعوا نبح الكلاب . فأرسل المولى نجم الدين وبعض أصحابه الى ذلك البيت فوجدوا السرقات قد خرقتوا جداراً آخر ودخلوا فلم يجدوا شيئاً ، فقالوا لبعضهم جاء قبلنا سرقات وأخذوا ما فيه . فعجب أصحاب الشيخ قدس الله سره من ذلك الأمر . وكان صاحب البيت في بستان فأرسل الشيخ صباحاً اليه الأمتعة مع مريد وأمره أن يخبره أنّ الفقراء

مرّوا على بيتك فباطلعوا على هذه القضية فخلّصوا الثياب من السارقين ثم نظر الى المولى نجم الدين وقال له : لو امتثلت الأمر لوجدت حكماً جمّة .

(وروي) عن بعض أصحابه أنه قال : "زارني الشيخ قدّس الله سرّه يوماً فخلّجته خجلاً عظيماً إذ لم يكن وقتنذ عندي فأتيت بحمل دقيق ، فقال لي : اخبز من هذا الدقيق ولا تخبر أحداً بقلته أو كثرته . فأقام عندي عشرة أشهر والمريدون والأحباب يتواردون الى منزلي لزيارته دائماً ونحن نخبز لهم من هذا الدقيق . كل ذلك وهو بحاله ثم اني بعد ذلك أخبرت أهلي وخالفت أمر الشيخ فزال البركة وانتهى الدقيق بأقرب وقت . فكان ذلك أعظم سبب لقوّة يقيني بكمال ولايته وعظيم كرامته" .

(وقال الشيخ محمد زاهد قدّس الله سرّه) كنت ايان السلوك جالساً معه قدّس الله سرّه وكان ذلك في فصل الربيع فباشتمت نفسي البطيخ فطلبتّه منه وفي القرب منا ماء جارٍ ، فقال : اذهب الى ذلك الماء . فذهبت فوجدت فيه بطيخة قطف ساعتها فحصل لي تمام الإعتقاد بحضرتة نفعنا الله ببركته .

(ونقل عن بعض أصحابه) أنه قال لما تشرّفت بصحبته قدّس الله سرّه كان الشيخ شادي أحد أجلاء أصحابه كثيراً ما يعظني وينصحني ويؤدبني ، فما أمرني به أن لا يمدّ أحد منا رجلي الى جهة يكون فيها الشيخ قدّس الله سرّه . فأتيت يوماً من غزيوت الى قصر العارفان في وقت شديد الحرّ لزيارته . فأويت الى ظل شجرة في الطريق فاضطجعت فجاء حيوان فلدغني في رجلي مرتين فقامت وتألّمت ألماً شديداً . ثم اضعجت فعاد مرّة ثالثة كذلك . فجلست أتفكّر في سبب ذلك مدة حتى تذكرت نصيحة الشيخ شادي ووجدت اني قد مددت رجلي الى ناحية قصر العارفان وكان الشيخ وقتنذ ثمّ . فعلمت أن ذلك تاديب لي على ما فرط مني .

(وذكر الشيخ علاء الدين) أنه قدّس الله سرّه أمر الأمير حسينا أن يجمع حطباً كثيراً وذلك في فصل الشتاء فلما تمّ ما أمر به أرسل الله في اليوم الثاني منه ثلجاً عظيماً بحيث نزل أربعين مرة . ثم أن الشيخ قدّس الله سرّه سافر وقتنذ الى خوارزم وفي خدمته الشيخ شادي . فلما بلغا نهر حرام أمره أن يمشي على الماء . فخاف الشيخ شادي فأمره غير مرّة فلم يفعل . فنظر اليه نظرة عظيمة غاب بها عن نفسه برهة فلما أفاق وضع قدمه على وجه الماء ومشى الشيخ خلفه . فلما جاوزه قال أنظر هل ابتلّ شيء من خفك أولاً . فنظر فلم يجد فيه بللاً أصلاً بقدره الله تعالى .

(وقال بعض أصحابه) سبب محبتي له وصحبتني معه قدّس الله سرّه اني كنت يوماً في سوق بخارى في دكان لي فاتى قدّس الله سرّه وجلس الى دكاني وشرع يذكر بعض مناقب أبي يزيد الى أن قال "ومما ذكر في مناقبه أنه قال لو مسّ طرف ثوبي أحداً صار محباً لي ومشغوفاً بي ومشى خلفي وأنا أقول لو حرّكت كمي لجلت جميع أهل بخارى كبيرهم وصغيرهم والهيت بي هائمين بحبي يذرون البيت والدكان ويتبعوني" . ووضع يده المباركة على كمي فوقم بصري حالتنذ على كمي فاعتراني حال غيب فيه عن نفسي ولبثت زمناً طويلاً كذلك . فلما أفقت استولت عليّ سلطنة محبته وتركت البيت والدكان ولزمت خدمته .

(وعن بعض أصحابه) أنه قال سألته قدّس الله سرّه يوماً أن يدعو الله لي أن يأتيني غلام فدعا لي فولد لي ولد ببركة دعائه ثم مات فذكرت له ذلك ، فقال : إنك طلبت منا أن يأتيك ولد وقد أعطاك الله ذلك وأخذته ولكن نرجوه تعالى أن يعطيك ببركة دعاء الفقراء ولديّن يعمرات مدة طويلة فبعد أيام جاءني غلامان

فمرض أحدهما فأخبرته . فقال : هو ولدي فما لك والإشتغال به فإنه يمرض كثيراً ثم يشفى . وكان كما ذكر رضي الله عنه .

( وعن الشيخ عارف الديك كراني ) أحد أجلاء خلفاء السيد أمير كلال قدّس الله سرّه أنه قال ، ذهبنا يوماً لزيارة الشيخ بهاء الدين في قصر العارفان فلما رجعنا الى بخارى كان معنا زمرة من فقرائها . فتكلم منهم على الشيخ رضي الله عنه فنهيناه وقلنا له إنك لاتعرفه ولايجوز لك أن تسيء الظن والأدب مع أولياء الله تعالى . فلم يتفه فجاه زنبور ودخل فمه حلاً ولدغه فتالم الماً شديداً لم يستطمع معه صبراً . فقلنا له هذا من سوء أدبك مع الشيخ . فبكى بكاءً كثيراً ثم تاب وأتاب فبراً في الحال .

( وحاصر ) عسكر صحراء قباغات مدينة بخارى مرة فاشتد البلاء على أهلها وهلك منهم خلق كثير . فأرسل أميرها اليه قدّس الله سرّه نفراً من خاصته بأننا عجزنا عن مقاومة الأعداء بالكلية وفسد كل ما دبّرناه وتقطعت بنا الأسباب ولم يبق ملجأ نلتجىء من هؤلاء الظلمة إلا أنتم فتضرعوا الى الله تعالى أن يخلص المسلمين من أيديهم ، فهذا وقت المساعدة والأخذ باليد . فقال لهم نتضرع اليه تعالى الليلة وننظر ما يفعل رب العزة جل جلاله . فلما طلعت الفجر أخبرهم بأني بَشَرْتُ بانجلاء البلاء بعد ستة أيام فبَشَرُوا أميركم بذلك . فسُرَّ أهل بخارى سروراً تاماً وكان كما ذكرنا فإنه بعد ستة أيام رفع عسكر الأعداء الحصار عن البلدة وانجلوا عن آخرهم .

( وعن بعض أصحابه ) أنه قال تمثّلت مرة بين يدي حضرته قدّس الله سرّه فما مضت لمحّة إلا وقد فقدت الحال التي كنت أجدها من قبل . فقلت في سري لعلي الشيخ رضي الله عنه سلبها مني . فماتم هذا الخاطر إلا والتفت الى أحد أصحابه وقال : " كل ما عندنا فهو حلالٌ لكم وأما صيد الكلب غير المعلّم فهو حرام لايجوز أكله " .

( وقال الشيخ شادي ) لما سعدت بمحبّة الشيخ قدّس الله سرّه سهل عليّ البذل والإيثار فاجتمع عندي يوماً مائة دينار . فتقدم اليّ أهلي في إدارها فلضعف اليقين وافقتهم . ثم ذهبت الى بخارى فاشتريت خفاً كيميخياً وغيره ثم رجعت قاصداً زيارته قدّس الله سرّه في قصر العارفان . فلما تمثّلت بين يديه قال : ذهبت الى بخارى . فقلت : لمصلحة عرضت لي . فقال : إئتني بالخفّ الكميختي وبقية ما اشتريته . فأتيت بها سريعاً ، فقال : وأحضر بقية المائة دينار . فجنّته بما فنظر اليّ وقال : لو شئت لجعلت لك الجبل بحول الله عزّ وجلّ ذهباً ولكن لاينبغي لنا الإلتفات في عالم الفناء الى مثل هذه الأشياء . فإن نظر هذه الطائفة من وراء هذا العالم . فكيف تدخّر وأنت تعلم أن ما كان لك لاينقص منه شيء ، إنني أعظك أن تعود لمثل هذا .

( ولقد ) أحببنا الإقتصار على التيمم بهذا المقدار من كراماته الكبار ومنّ أحبّ الزيادة على ذلك فعليه بالمناقب فإنه يرى العجائب هنالك .

### ندارة حاله عند إرتحاله

( قال المولى محمد مسكين ) وكان من أكابر أصحابه : توفي أحد الصالحين في بخارى فذهب الشيخ قدّس الله سرّه لتعزية أهله فأظهموا هم وأصحابهم جزءاً عظيماً وأفعلاً كرهها الحاضرون ونهوهم عنها وعابوها عليهم . فقال قدّس الله سرّه وقتئذ : " متى حضرني الموت أنا أعلم الفقراء كيف يموتون " . فلم يزل هذا الكلام في مخيلتي حتى مرض الشيخ مرضه الأخير فخرج الى الرباط ودخل خلوته وطلق أصحابه يتواردون

عليه ويلزمونه وهو يوصي كلاً منهم بما يناسبه . ثم رفع يده بالدعاء فدعا ثم مسح بها وجهه ثم لقي ربه .

(وقال الشيخ علي الداماد) وكان من خدمة الشيخ قدس الله سره : "أمرني الشيخ بحفر قبره الأنور فلما أتت أمته وقد خطر لي انه من يخلفه في قومه فرغم رأسه المبارك وقال- لم يزل الأمر على ما ذكرنا في طريق الحجاز إن من أحب متابعتي فليتبم محمد پارساً- ثم انتقل رضي الله عنه في اليوم الثاني منه" .  
(وقال الشيخ علاء الدين العطار) كنا نقرأ عند إحتضار الشيخ قدس الله سره سورة (يس) فلما بلغنا نصفها شرعت الأنوار تسطم فاشتغلنا بالكلمة الطيبة . فتوفي قدس الله سره . وذلك ليلة الإثنين ثالث شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وتسعمائة ، وسنه أربع وسبعون سنة . ودُفن في بستانه في الموضع الذي أمر به . وبنى عليه أتباعه قبة عظيمة ودحووا البستان وجعلوه مسجداً فسيحاً . وأجرى الملوك عليه أوقافاً جمّة وبالغوا في الإعتناء به وترفيه شأنه . ولم يزل كذلك الى يومنا هذا يُستغاث بجنابه ويُكتحل بتراب أعتابه ويلتجأ الى أبوابه نفعنا الله به .

(قال قطب أهل العزلة بركة أهل الزمان الشيخ عبدالوهاب قدس الله سره) لما دُفن حاضرة الشيخ رضي الله عنه فُتح من جهة وجهه المبارك له طاقة الى الجنة . كما ورد القبر روضة من رياض الجنة فدخلت عليه حورياتان وسلمتا عليه وقالتا "نحن منذ خُلقنا لك أكرم الكرماء ننتظر خدمتك" . فقال قدس الله سره إني عاهدت الله تعالى أن لا ألتفت الى شيء من الأشياء مالم أتشرف برؤيته بلا كيف ولا مثال وأشفع بجميع من إتصل بي وسمع مني القول الحق وعمل به .

(وعن أحد فضلاء أصحابه) أنه قال بلغني وأنا في بلاد الكش خبر وفاته قدس الله سره فحزنت حزناً عظيماً وأضمرت في نفسي أن أعود الى المدرسة . ففي تلك الليلة رأيته رضي الله عنه في المنام وهو يقرأ قوله تعالى (أفان مات أو قُتل إنقلبتم على أعقابكم) . ويقول قال زيد بن حارثة . ثم إنتبهت وقد فهمت ما أشار اليه بالآية الكريمة من أنه قدس الله سره لا فرق في إمداده لأصحابه بين حياته ومماته . ولم أفهم معنى قوله "قال زيد بن حارث" . ولم أزل أتفكر في ذلك مدة حتى رأيته قدس الله سره مرة ثانية في المنام ، فقال قال زيد بن حارث "الدين واحد" فعلمت من ذلك أن ما كان عليه قدس الله سره هو الحق وأن أهل الله لا يدلون في حياتهم وبعد مماتهم إلا على الطريق المستقيم وكل ما يظهره فممن الكتاب والسنة وأثار الصحابة الكرام وسير السلف الصالح رضوان الله عليهم .

(وله قدس الله سره) خلفاء حنفاء كثيرون العدد يضيقت عن حصرهم نطاق هذا المجلد من أعظمهم ذكراً وأشرفهم قدراً فخر الأولياء ونخبة الأصفياء :

## سيدنا الشيخ محمد ابن محمد بن محمود الحافظي البخاري المشهور بپارسا قدس سره

كان في العلم والهداية آية وأي آية لم تدرك لها غاية . ولُقِّبَ بپارسا لأنه جاء أيام الرياضة لزيارة الشيخ قدس الله سره العزيز ووقف عند الباب ينتظر نظرة الإبريز . فخرجت جارية فرأته فرجعت فقال لها الشيخ : مَنْ بالباب ؟ قالت : شاب بصورة پارسا ( وهو بمعنى المتعبد ) فخرج الشيخ وقال له : أنت پارسا . فأشْتَهَرَ به وبشَّره بأنه من المرادين وأن كل ما يقوله يقبله الحق تعالى . وكان يعبر عن نفسه في جانب حضرة الشيخ بالمحب المخلص . وقال له عند مرض موته : " كل ما إكتسبته في الطريقة أودعته إياك كما أودع إياك الشيخ عارف الديك كرائي " . وقال في شأنه : " المقصود من وجودي ظهوره " .

وحضر أحد أحفاده لخدمة الشيخ عبيدالله الأحرار فأقبل عليه وعظمه ووقَّره غاية التوقير وقال له : " رأى رجل في المنام سيدنا النقشبند بعد وفاته فقال له ماذا عملت حتى أحصل النجاة ؟ فقال كنت مشتغلاً بحالة ينبغي أن يكون العبد عليها عند آخر نفس من أنفاسه ، يعني بالحضور التام - ثم قال له إن جدك محمد پارسا كان على حاله ، بحيث دخل سيدنا النقشبند يوماً يتنزه في بستانه ، فرأه جالساً على ضفة الحوض مستغرقاً وفانياً في الله عز وجل ورجلاه في الماء . فنزل حضرة الشيخ في الماء وقبَّلَ رجله وقال اللهم إرحمني بحرمة هذه الرجل " .

و(كراماته) !علم أن مرتبته ودرجته فوق أن توصف بكرامة ومقامه أرفع من أن يثنى عليه بخوارق العادة ، لأن وجوده الشريف أعظم كرامة . وقد قيل أنه كان قدس سره كثيراً ما يبالي في إخفاء تصرفاته غير أنه اضطر مرة لإظهار كرامته لو لم يفعلها لوقع على مشايخ سلسلته إهانة عظيمة . وهي أن الشيخ محمد بن محمد بن محمد شمس الدين الجزري قدم في عهد مرزا آق بك الى سمرقند لتصحيح أسانيد المحدثين فيما وراء النهر . فقال له بعض الحساد من أهل الفساد أن الشيخ محمد پارسا في بخارى يحدث أحاديث لا يعرف أحد سندها ، فإت حقت ذلك نلت ثواباً جزيلاً فإلتمس من السلطات حضوره . فلما وصل عقد له مجلساً عظيماً مؤلفاً من شيخ الإسلام يومئذ الشيخ عصام الدين النحوي المشهور والعلماء وسأله عن حديث فرواه بإسناده . فقال له الجزري : لا كلام في صحة هذا الحديث ، لكن هذا المسند لم يثبت عندي . ففرم بذلك حساده ثم ذكر سند آخر لذلك الحديث فأجابه بما أجابه به أولاً ، ففهم قدس سره أن كل سند نقله لا يقبله فسكت لحظة ثم التفت الى الشيخ العصام وقال له : هل المسند الفلاني صحيح عندكم وإسناده معتمد عليه ؟ فقال الشيخ : نعم هو كتاب معتبر عند المحدثين وماتكلم أحد في أسانيده فإن كان سنده فيه فلا كلام لنا فيه . فقال قدس سره : هذا المسند هو في خزانتكم في محل (كذا) تحت كتاب (كذا) وحجمه وجلده (كذا وكذا) وهذا الحديث الذي ذكرته الآن بهذا المسند موجود في الصحيفة الفلانية فأطلبوه . وكان العصام متردداً في وجود هذا الكتاب في خزائنه فلما حضر وجدوا الحديث بإسناده فيه . فتعجب الحاضرون ولاسيما العصام إذ لم يكن الشيخ دخل الى بيته ولا رأى كتبه وخجلوا منه . وبلغ ذلك السلطان فإستحيى من إشخاصه وصار ذلك سبب شهرة مقامه وإعتقاد أكثر العلماء به وكفَّ السنتهم عنه . وكان قدس سره يشتم وهو في بخارى عند ملك خراسان مرزا شاه كثير . فعظم ذلك على ملك سمرقند



خليل مرزا سليل السلطات تيمور وأرسل إليه أن اذهب الى وادي كولك عسى أن يسعد من بركتك جماعة بشراف الإسلام . فاجابه على ذلك على أن يزور مقابر الأولياء أولاً . فزار مقام سيدنا النقشبند فلما فرغ من زيارته ظهر عليه أثر الهيبة والعظمة . ثم زار الأمير كلال ومكث ملياً ثم ركب وضرب فرسه بسوط وصعد على مكان مرتفع وتوجه نحو خراسان وأنشد ما معرّبه :

الك فاقبله لافوقاً تقرّ ولا تحتاً ليعلم من في حلبة الشرف

ثم رجع الى منزله فاذا برسول من قبل مرزا شاه قد جاء بكتاب . فقريء في المسجد الجامع فاذا فيه "أني قاصدك فباستعد للقتال" وأرسل خليل الى مرزا في سمرقند ثم جاء شاه رخ ووقعت الحرب بينهما فقتل خليل مرزا .

ولولم يكن منها إلا ما رواه مولانا الشيخ محمد الفغانزي أحد أجلاء أصحاب سيدنا النقشبند ، أنه كان يخرج من المسجد بعد صلاة العشاء ويقف على الباب متكئاً على عصاه ويتكلم مع أصحابه ثم يسكت . فيغيب عن نفسه حتى يؤذن الفجر فيدخل المسجد لكفى .

(وفاته) خرج حاجاً سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة من بخارى عنه طريق (نسف) فلما وصل نيسابور حصل بأصحابه فتور من خوف الطريق وشدة الحر . ففتح ديوان مولانا جلال الدين الرومي رضي الله عنه متفائلاً فخرج هذان البيتان :

سيروا بتوفيق الإله توجّهوا سير البذور الى بروج سعودها

كك البلاد مبارك في حقتكم لاضير في أغوارها ونجودها

فذهب قاصداً مكة المكرمة حتى إذا أتم الحج والعمرة توجه الى المدينة المنورة متوعكاً . فلم يزل يزداد مرضه حتى وصل اليها ثم توفي ثاني يوم من وصوله عن ثلاث وسبعين سنة . وذلك يوم الخميس رابع عشر ذي الحجة من العام المذكور . وحضر جنازته أهل المدينة وكان يومئذ ثم الشيخ شمس الدين الفناري الرومي رحمه الله تعالى . وركب الحاج ودُفن ليلة الجمعة في البقيع عند قبة سيدنا العباس رضي الله عنه بمشهد عظيم . وكان له اليد الطولى في كافة العلوم لاسيما في علم التصوف ، فإن له فيه تأليفاً عديدة مفيدة فارسية وعربية منها كتاب "منطق الطير" و"فصل الخطاب" .

### لطيفة

قد استخرج بعض أدباء عصره تاريخ وفاته من اسم هذا الكتاب ولكن على طريقة القدماء من وضع التاريخ خلال البيت فنظمته على اصطلاح المتأخرين فقلت :

أيها الراجي جوابي حينما زاد الجوى بي

عند طه المستطاب أرخوا فصل خطابي

وهو بالحب ثوى بي في عالا دار الثواب

وقد أعقب أنجب العلماء وأعلم النجباء الولي الكامل والملامي الفاضل الشيخ حافظ الدين أبو نصر يارسا قدس سره وبلغ في علوم الشريعة والطريقة مبلغ والده العزيز بل كان في نفي الوجود وستر الحال وبذل الموجود أقوى منه حتى لو سُئل عن أقل مسألة يقول للسائل راجع الكتاب فاذا فتح السائل الكتاب تخرج المسألة من أول وهلة .

(توفي) عام خمسة وستين وثمانمائة وله خلفاء كثيرون من أشهرهم ثلاثة :

الأول : الشيخ سليمان الفركتي قدّس سرّه .

الثاني : الشيخ عبدالرحيم النيستاني وكان أبا الشيخ أبي نصر من الرضاع ورفيق درسه .

الثالث : الشيخ بير خلط قدّس سرّه رونه أنه كان في جماعة شمائل شيخه فأذن بالظهر فقام أكثرهم قبل تمام كلامه . فقال سمعت من الشيخ محمد پارسا هذا البيت :

يكون قضاء للصلاة ولا قضا لصحبتنا فالخسر فوق زمانها

ومن أجل أصحاب سيدنا النقشبند بحر المعارف وكل العارف الشيخ خسرو الكرمني قدّس سرّه ، وشيخ الإسلام الإمام العلام الشيخ عبدالعزيز قدّس سرّه ، والحبر الكامل والولي الواصل الشيخ عبدالله الخجندي قدّس سرّه ، والحجة الإيمانية الباهرة والمحة العرفانية الظاهرة الشيخ سيف الدين البخاري قدّس سرّه ، والمرشد كل المرشد مؤيد طريق الحق وأي مؤيد الشيخ لطف الله قدّس سرّه ، ومُظهِر الفضائل الغيبية ومركز الشمائل القطبية الشيخ عزيز البخاري قدّس سرّه ، ونخبة المرشدين المشيدين دعائم الدين الشيخ مسافر الخوارزمي قدّس سرّه كان بركة وقته ومفرداً في نعته ، روي عنه أنه قال : "كنت مشغولاً بحب السماء وأنا في صحبة الشيخ قدّس سرّه فاتفقت يوماً مع أصحابه على إحضار القوال ومعه الدف والناي الى مجلس الشيخ ، فلما حضر استمع له ولم يمنعنا غير أنه قاله (إنكار نيست واين كار نيست) أي لأفعل هذا ولأنكره . ومن أجلهم الغريق في بحار الشهود الذائق أعلى مقامات وحدة الوجود الشيخ أبو بكر الأفسحي قدّس سرّه ، والمحقق الصمداني والمربي الرباني الشيخ محمد الطوابسي الخياط قدّس سرّه ، والمظهر الأظهر الرحماني الشيخ علاء الدين العجدواني قدّس سرّه كان إمام دهره وعارف عصره .

(ومن كلامه) صحبة مشايخ الوقت مغتنم ولو لم يكونوا برتبة القدمات ، فقد قال سيدنا النقشبند الأكبر : السنور الحي أحسن وأنعم من الأسد الميت . ولما توفي خطب الشيخ أبو نصر پارسا خطبة قال في آخرها : "كنا ونحن في جوار الشيخ علاء الدين ببركة توجّهه وحمايته آمين فأصبحنا في خوف النفس بعده" .

(وللشيخ علاء الدين) أصحاب بلا حساب من أشهرهم : (الشيخ بدر الدين الصرافاني) قدّس سرّه نسبة الى صرافان بصاد فراء مهملتين فالف ففاء فألف فنون محلة في بخارى . ومن أجل أصحاب سيدنا النقشبند العالم بالله تعالى المعرض عن سواه الشيخ محمد الفغانزي قدّس سرّه ، والظاهر بأعلى مظاهر السعود مولانا الشيخ أمير محمود القصرمغاني قدّس سرّه ، وقبله توجه المرشدين الشيخ قطب الدين قدّس سرّه ، وكوكب سماء الإرشاد الأكمل الشيخ أفضل الخالدي قدّس سرّه ، وإفتخار الأبرار وزينة العارفين الأخيار الشيخ شادي قدّس سرّه ، وبركة العموم المتحلي بأشرف العلوم الشيخ درويش نيكروز قدّس سرّه ، والعارف الكامل بحر المعارف والفضائل الشيخ سراج الدين كلال الپيرمسي قدّس سرّه نسبةً الى (پيرمسي) وهي قصبة من أعمال بخارى كان من مشايخ سيدنا عبيدالله أحرار يقول قدّس سرّه : "وسمعت ان الشيخ سعد الدين الكاشغري صحبه أولاً فللقنه الذكر بالنفي والإثبات هكذا - وهو أن يبتديء رأس ألف «لا» من تحت السرّة وكروسي «لا» على صدره محاذي الثدي الأيمن ورأس «لا» الثاني على القلب الصنوبري و«له» تتصل بكرسي (لا) محاذي الثدي الأيمن «إلا الله محمد رسول الله» تعتبر متصلة بالقلب . ويحفظ الكلمة الطيبة على هذا الشكل ويكون مشتغلاً على الدوام" ويقول : "كان من عادته انه متى قام يكنس داره جاءه ضيف وربما جاءه والمكنسة في يده . فسألته عن سرّ ذلك . فقال إن لي محباً من

الجان يخبرني بمن أراد زيارتي " . ولكل من هؤلاء الأولياء خلفاء كبراء وأصحاب أتقياء ، وللخلفاء خلفاء  
لايُحصون عدداً ولايُدركون مدداً .  
وأعظم من سرى اليه سرّ هذه النسبة العلية من سيدنا النقشبند شيخ هذه السلسلة الشريفة سيدنا  
الشيخ علاءالدين العطار رضي الله عنه وعنهم .

## سيدنا الشيخ علاء الدين البخاري الخوارزمي العطار قدّس الله سرّه

تاج هام الأولياء الكاملين ونتاج أعقاص العلماء العاملين . ثمرة شجرة العلم ونضرة وجه العالم الإنساني . محيي رفات العرفان ، ومأحي أفات الأغيان . مظهر الإرشاد الخاص والعام ، ومنمك إمداد الخاص والعام . أدلّ دال على الحق للخلف ، وأول ذاك لشوكة الباطل . بالحق تصدّر في دست دولة القطبانية ونهض بأعباء الخلافة الروحانية . فأرّبى بما ربي في نفوس أبحار إخوانه على كبار أقدانه حتى لهج بذكره الكون أرضه وسماؤه وابتهم في عصره الدين ، ولاغرو فهو في الحقيقة علاؤه .

(ولد) قدّس سره سنة (... ) ونشأ في حجر والده على أجمل الأحوال ، ثم لما توفي والده رضي الله عنه ترك ثلاثة أنجال . فخرج من ميراثه لأخويه واختار التجرد لتحصيل العلوم في مدارس بخارى حتى نيف في جميع الفنون وبلغ منها فوق ماتتعلق به الضنون .

(وكان) لسيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز بنت صغيرة فقال لأماها : إذا بلغت فأذيني . فلما بلغت أخبرته فتوجه من قصر العارفان الى بخارى الى المدرسة التي فيها الشيخ علاء الدين قدّس سرّه . فلما أن دخل حجرته لم يجد بها غير خلت حصير ينام عليه وأجرة يتوسدها وإبريقاً مكسوراً يتوضأ منه . فلما أبصر الشيخ سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرهما أكب على قدميه فقبلهما وجعل رأسه عليهما . فقال له : إن لي بنتاً بلغت اليوم والله تبارك وتعالى أمرني أن أنكحك إياها . قال له : إن هذه لسعادة عظيمة أسعدني الله عزّ وجلّ بها غير أنني لأملك ما أنفق في ذلك وحالي كما رأيتم . فقال له : ما كتب الله لكم من الرزق يأتيكم إن شاء الله تعالى فلا تتفكر في ذلك . ثم عقد له عليها . فلما بنى بها أمره بالخروج من المدرسة وأعطاه طبقاً مملوءاً تفاحاً وأمره أن يحمله على رأسه ويجوب الأسواق والأماكن كلها حافي القدم ينادي بأعلى صوته "ياتفام" حتى يبيعه . فوضع الطبق على رأسه ودخل السوق وهو يقول "ياتفام" فلما راه أخواه وكان من أولي المكانة والإحترام غضب لذلك أشد الغضب . فبلغ سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز خبر غضبهما فأمره أن يذهب بطبق التفاح فيضعه قريباً من محل أخويه ويبيعه ففعل كما أمره . وأقام على ذلك مدة حتى لقنّه الذكر الخفي .

(وكان) قدّس الله سرّه يقربه في بداية حاله اليه ، فسأله بعض خواص أصحابه عن ذلك فقال حذراً من أن يأكله الذئب ورجاء أن يصير مظهرًا عظيمًا .

(وقال قدّس الله سرّه) قال لي الشيخ محمد راهين يوماً : كيف قلبك ؟ فقلت : لأعرف كيفيته . فقال : أما أنا فباني أراه كالقمر ليلة ثلاثة . فذكرت ذلك لسيدنا الشاه نقشبند قدّس الله سرّه . فقال : هذا بالنظر الى قلبه . وكان وقتئذٍ وقتاً فوضع قدمه على قدمي فغبت عن نفسي فرأيت جميع الموجودات منطوية في قلبي . فلما أفقت قال : إذا كان القلب هكذا فكيف يتسنى لأحد إدراكه ، ولهذا قال في الحديث القدسي : "ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن" . وهذا من الأسرار الغامضة فهم من فهم .

وذكر سيدنا الشيخ عبيدالله أحرار) إن الشيخ محمد پارساً قدّس الله سرّه كثيراً ما كان يحصل له الغيبة

وقت المراقبة والإستحضار بخلاف الشيخ علاء الدين قدّس الله سرّه فإنه كان من أهل الصحو وهو أتم من الغيبة . ثم إن سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّه أخذ يربيه أولى تربية ويرقيه أعلى ترقية ويهيئه للدخول الى حضرة القرب والوصول والعروج في بروج العرفان والخروج من الفرق الى مقام الفرقان ، الى أن صار فرداً في باب من بين سائر خاصة أصحابه الوارثين لأذواقه العالية وأحواله الحالية . وقد أمره في حياته بتربية بعض مريديه وقال قدّس الله سرّه في حقه "إنه خفف أثقاله وظهر لي ما ظهر ببركة صحبتته وحسن تربيته" . كما ذكر سيدنا الشيخ عبيدالله الأحرار قدّس الله سرّه انه بعد إنتقال حضرة الشيخ الى حظيرة القدس تبعه جميع أصحابه حتى الشيخ محمد پارسا إذعاناً لعلوّ رتبته وقوة تربيته . قال ورأيت بخت الشيخ محمد پارسا انه سمع الشيخ علاء الدين قدّس الله سرّهما في مرض موته يقول : "إن لي بعون الله وببركة سيدنا شاه نقشبند قوة لو توجهت الى جميع الخلائق لجملتهم من الواصلين" .

(واختلف) علماء بخارى في إمكان رؤيته الله تعالى ، فمنهم من نفى ومنهم من أثبت وكانوا جميعاً من مخلصي الشيخ قدّس الله سرّه . فأتوا اليه وقالوا إنا رضيناك حكماً علينا في هذه المسألة . فقال للنافين أقيموا في صحبتي ثلاثة أيام متطهرين ولا تتكلموا بشيء ، ما أصلاً أجيبكم . فلما مضت ثلاثة أيام حصل لهم حال قوي فصعقوا . فلما أفاقوا جعلوا يقبلون قدمه الشريف وقالوا أمناً ان الرؤية حق ثم لم ينقطعوا عن خدمته والمثابرة على تقبيل مبارك عتبته . وأنشد حالئذ بعض المريدين في ذلك المجلس :

من العمى قولهم كيف الوصول الى ذلك الجناب فما في ذلك من طعم  
ضم أكفهم شمم الصفا ليروا أن الوصول اليه غير ممتمنم

ومن أثار أنواره وأنوار آثاره ما وجد بخت سيدنا الشيخ محمد پارسا قدّس الله سرّه : انه رضي الله عنه قال : "التعلق بالمرشد وإن كان تعلقاً بالغير الواجب نفيه في النهاية لكن لما كان سبباً للوصول في البداية وكان اثباته موجبا لنفي ماسواه تعين على كل حال طلب رضاه" .

(وقال قدّس الله سرّه) المقصود من الرياضة إنما هو نفي العلائق النفسانية والتوجه الى عالم الأرواح والحقيقة . (وقال قدّس الله سرّه) المراد من السلوك أن يدم السالك باختياره كل علاقة دنيوية تحجبه عن الله تعالى . ولا يتحقق ذلك إلا إذا عرض على نفسه هذه التعلقات فكما ما استوى عنده وجوده وعدمه فهو الذي لاتعلّق له به ، وما ليس كذلك يُعلم انه له به تعلّق فيعالج نفسه بصرفها عنه . (وقال قدّس الله سرّه) كان سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه إذا أراد أن يلبس ثوباً جديداً يهبه لغيره ثم يستعيره منه ويلبسه . (وقال قدّس الله سرّه) قولهم التوفيق مع السعي هو عبارة عن إمداد روحانية المرشد للطالب بحسب طلبه وقابليته وسعيه على طبق أمر المرشد ، فإنه إذا لم يكن للطالب سعي فلن يتوجه المرشد . ومن عناية الله بي ان الشيخ دادرک وهو من أقدم أصحاب سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّهما أمرني باديء بدء بالسعي والمجاهدة . فمنّ الله تعالى علي بالتوفيق حتى إنني لم أتركه في جميع أوقات صحبة الشيخ ولم أر من ثابر عليه من أصحابه إلا قليلاً . (وقال قدّس الله سرّه) إذا خلا قلب المرشد بأمر مرشده عما سوى حب المرشد وعما يكون مانعاً من حبه وتمكّن من محبته يكون حينئذ قابلاً لورود الفيوضات الإلهية الغير متناهية عليه . فإن القصور لا يكون من الفيوضات بل من الطالب فمتى ارتفعت عنه الموانع لاجرم يصل اليه بهمة المرشد حال يتحير في إدراكها من مقولة "رب زدني فيك تحيراً" . ثم إن في جعل العبد مختاراً حكماً كثيراً فإنه لما تمكنت الموانع الطبيعية منه لزمه أن يلتفت باختياره الى الملائكة وإن كانوا مجبولين على الطاعة والعبادة معصومين من المخالفة مستغرقين في الخوف والخشية ، غير أن كمال

الإعتبار للإختيار في السعادة والشقاوة والترقي والتدلي .

( وقال ) ينبغي للمريد أن يظهر جميع أحواله للمرشد ويتيقن أنه لاينال المقصود الحقيقي إلا برضائه وحبه فيطلب رضاه ، ويعتقد أن كل الأبواب مسدودة دونه ظاهراً إلا ذلك الباب الذي هو مرشده فيفديه بنفسه . وأية المرید الكامل أنه مهما كان عنده من علوم وعرفان وهمة عالية في السلوك والمجاهدة لايجد لها في نفسه أثر ولا قدراً ولايراها إلا بقدر الذرة بالنسبة الى ما عند مرشده . ( وقال قدس الله سره ) لا تُرجى الفائدة إلا لمن يشاهد دائماً قصور أعماله ويعد نفسه من الناقصين ويلتجئ الى كرم الطاف رب العالمين . ( وقال قدس الله سره ) على المرید أن يفوض أموره إن دينية وإن دنيوية كلية أو جزئية لإختيار المرشد وتدريبه ، بحيث لا يكون له أدنى إختيار معه أصلاً . وعلى المرشد أن يفحص عن أحواله فيهتم باصلاحها ويأمره بما ينفعه في معاشه ومعاده فيقتدي به .

( وقال قدس الله سره ) عليك بمراعاة أحوال أهل العلم وإخفاء أحوالك ومقامك عنهم فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم : "أمرت أن أكلّم الناس على قدر عقولهم" . وإياك وإيذاء القلوب الصوفية وإغفال آداب مخالطتهم ، فإذا أردت صحبتهم فتعلم أولاً آدابهم ثم صاحبهم تنتفع بهم والآ فتضر نفسك وقد قيل لا طريق لمن لا أدب له . وكونك مع الأدب خطأ يعني أن رؤيتك لنفسك أنك مؤدب خطأ في الأدب . ( وقال قدس الله سره ) المقصود من التوجيه الى أسماء الجلال التذلل والبياء والمسارعة الى التوبة والإنابة . وعلامة صحة التوبة الميل الى العبادة والمناجاة لا الى المعاصي "فألهمها فجورها وتقواها" . وثمره ذلك انه إذا وجد ميلاً الى مرضاته تعالى يشكره ويمضي وإذا رأى ميلاً لمعصيته يبكي ويلتجئ ، أو يخاف من مقام أن الله لغني عن العالمين . ( وقال قدس الله سره ) الولاية لا تثبت إلا لمن تسلط نفسه عليه ولو وقع منه أدنى قصور يعفى عنه ، قال الله تعالى "إلا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" . ( وقال قدس الله سره ) أولياء الله تعالى لا يخافون من غلبة أحوال الطبيعة كما قيل الفاني لا يرد الى أوصافه . ( وقال قدس الله سره ) ينبغي للمريد أن يكون في الظاهر معتصماً بحبل الله تعالى وفي الباطن معتصماً بالله تعالى فالجمع بينهما لازم .

( وقال ) النعم في زيارة قبور المشايخ على قدر معرفتك بهم . ( وقال قدس الله سره ) القرب من قبور الصالحين له تأثير كبير ، ومع ذلك فالتوجه الى أرواحهم المقدسة أولى منه إذ لا يتوقف تأثيره على القرب والبعد بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : " صلوا عليّ حيثما كنتم" . وشهود صور أهل القبور المثالية عند زيارتهم لا يوازن معرفة صفاتهم . فإن معرفتها أقوى فائدة . ولذلك قال سيدنا شاه نقشبند قدس الله سره العزيز "لأن تكون جار الحق أولى من أن تكون جار الخلق والحق ، وكثيراً ما أنشد :

حَتَّى مَ تَعْبُدَ أَرْمَاسَ الْأَكْبَرِ قَفٍ      وَاعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ تَخْلَصُ وَتَسْتَرْحَمَ

ثم الأدب في زيارة القبور أن تتوجه الى الله تعالى وتجعل أرواح أصحابها وسيلة اليه تعالى ، وهكذا في تواضعك للخلق فتتواضع اليهم ظاهراً واليه تعالى باطناً . فإن التواضع للخلق لا يجوز إلا إذا نظرت الى اليهم بأنهم مظاهر للحق تبارك وتعالى . فيكون التواضع حينئذ الى الظاهر بهم لا اليهم . ( وقال قدس الله سره ) طريق المراقبة أعلى وأرفع من طريق النفي والإثبات وأقرب الى الجذبة . ويصل السالك بدوام المراقبة الى مرتبة الوزارة الباطنية والتصرف في الملك والملوك والإطلاع على الخواطر وتنوير الباطن والنظر اليه بعين الموهبة . ومن التمكن ومن المراقبة تحصل الجمعية وقبول القلوب

ويسمى جمعاً وقبولاً . (وقال قدّس الله سرّه) السكوت ينبغي أن لا يكون خالياً عن ثلاثة أشياء : حفظ الخواطر والتوجه الى الذّكر أو مشاهدة أحوال القلب . (وقال قدّس الله سرّه) حفظ الخواطر متعسّر واجتنابها متعذّر ، فإني حفظت خواطري عشرين سنة ثم جاءت ولكن لم تستقر . (وقال قدّس الله سرّه) أحسن الأعمال في التربية المؤاخذه على الخواطر .

(وكان قدّس الله سرّه) يشكو آخر حياته من الإشتغال بتربية الخلف ويقول إنهم لا يراعون ما يحصل لهم . (وقال له بعض أصحابه يوماً) إن المطلوب في غاية العظمة ومالنا للطلب لسان إلا أن تتفضل علينا به أنت ، فقال : "الإبطاء من القابلية فإنكم تجدون وتضيعون ولا تتقيدون ومن أين جاء لتعلمون" .

(وقال) دوام صحبة أهل الله عزّ وجلّ تزيد في العقل المعادي . (وقال) رؤية أهل الله تعالى سنة مؤكدة في كل يوم أو يومين مع رعاية الأدب ، فإن بعدت الشّقة بينك وبينهم فأكتب اليهم كل شهر أو شهرين جميع أحوالك ولا تترك التوجه الى أرواحهم لنلا تنقطع عن نظرهم . (وقال قدّس الله سرّه) أنا أضمت لكل من دخل هذا الطريق مقلداً أن يصير محققاً ولا بد فإن سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز أمرني بتقليده . فكل ما فعلته وأفعله تقليداً له نتيجة في الحال . (وقال قدّس الله سرّه) لما كانت هذه الطائفة العلية لا تعرف إلا في مقام التلوين علمت إذا أنهم لا يعرفون إلا فيه . من وجدهم في التمكين وقادهم تزندق ، إلا إن رحموه على حقيقتهم ، أه . (مراده) والله أعلم بالمعرفة التقليد كما يؤخذ من كلامه أن ينبغي للسالك أن لا يقلد المرشد إلا في تلوينه وهو عبارة عن التنقل في المجاهدات من الصعب الى الأصعب وفي الرياضات من المتعب الى الأتعب والتقلّب في الأحوال حتى يصل الى درجة الكمال . وأما تقليده في تمكينه وهو إبان إكماله وجريان الأمور الطبيعية عليه بلا تأثير في مقامه من أكل وصوم ويقظة ونوم وممازحة وغيرها قبل وصول السالك الى مقام الكمال . فإنه يورثه الزندقة والهلاك والإنقطاع والإرتباك .

(وقال قدّس الله سرّه) فيه أنا راض عن الشيخ محمد پارسا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم راضياً عن أصحابه .

(وكان) مدة مرضه يتكلم بالوصايا تارة والحكمة تارة والدعاء للخلق أونة والرضا والمحبة والوجد أونة وينشد :

ذواتنا القصب الزاوي وحبكم نار فنوا بها تحرق لذا القصب

(وقال قدّس الله سرّه) عند شدة المرض إنني خدمت رجلاً قوياً صورة ومعنى . (وتكلّم) يوماً في أحوال سفر الآخرة والإقامة في الدنيا وكان ذلك قبل مرضه بخمسة عشر يوماً ، فقال : "إنني اخترت السفر للآخرة ولأرجع عنه" .

(ابتداه) المرض ثاني يوم شهر رجب وانتقل الى بحبوحة الفردوس عشاء ليلة الأربعاء لعشرين خلت منه سنة إثنتين وثمانمائة ودُفِن في جفانيات (بجيم فغين معجمة فالف فنونين بينهما ياء وألف) بلدة من أعمال بخارى . ومقامه يُقصد ويستغاث به رضي الله عنه .

(وراه) بعض من أحبابه من السدة الصوفية في المنام بعد أربعين يوماً من وفاته . فقال له قدّس الله سرّه : "إنما أعطانيه الحق تعالى هو فوق إعتقاد المخلصين" .

(وكان قدّس الله سرّه) قد زار ضريح سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه قبل وفاته بسبع سنين ومعه

زمرة من أصحابه . فرأى أحدهم في المنام خيمة كبيرة قد ضُربت ، قال وعلمت أن هذه الخيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء سيدنا النقشبند ومعه الشيخ علاء الدين الى هذه الخيمة لزيارته صلى الله عليه وسلم وخرجا بعد ساعة فرحين شاكرين وسيدنا شاه نقشبند يقول : "أكرمني الله بأن أشفع لي مائة فرسخ من جهات قبري الأربع والشيخ علاء الدين الى أربعين فرسخاً وأحبائي وأتباعي الى فرسخ" .  
(وله قدس الله سره) خلفاء كثيرون أجلّاء من أعظمهم :

ال خليفة الأول : ولده سيدنا الشيخ حسن العطار . فإن جده قدس الله سره كان يحبه حباً كثيراً ويميل اليه ميلاً كبيراً حتى راه مرة وهو طفل قد ركب عجلًا والأطفال حوله . فقال قدس الله سره : "يوشك أن يركب والملوك والأمراء تمشي أمامه" . فكان كما قال بعد بلوغه قدم خراسان ولقي ملكها مرزا شاه رخ رحمه الله تعالى في بستان باغ زاغان . فقدم اليه بغلة . فلما أراد أن يركبها أخذ الملك عنانها بيده وركابها بيده الأخرى فركب فجمحت به البغلة فأخذ الملك عنانها بيده ومشى أمامه حتى هدأت ، فترجك قدس الله سره وتوجه بوجهه الى بخارى وطأ رأسه الشريف خضوعاً وتواضعاً لروحانية جدّه قدس الله سره العزيز . ثم ذكر للملك بشارته وتحقق كرامته فزاد اعتقاده ومن معه به ولمولانا حسن أحوال وأثار عالية .

(فمن آياته الباهرة) انه كان إذا وقع نظره الكريم أول مرة على الطالب يحصل له الغيبة والفناء اللذان لا يحصلان إلا بأشقة الرياضات وأشدّ المجاهدات ويأمر أصحابه باستحضار رابطة الشريفة فيحصل لهم ذلك أينما كانوا .

(ومن آثاره الشريفة) ما قاله من رسالته الى بعض أصحابه :

"أعلم أن طريق سلوك الطائفة العلية العلانية زاد الله فتوحهم أعلى أطوار سلوك المشايخ رضوان الله عليهم أجمعين وأقرب السبل الى المقصد الأسنى وهو الله سبحانه وتعالى فإنه يرفع حجب التعينات عن وجه الذات الأحدية السارية في الكل بالمو والفناء في الوحدة حتى تشترق سبحات جلالة فتتحرق ماسواه . وفي الحقيقة نهاية سلوك المشايخ بدايتهم لأن أول ما يحصل لهم الغيبة والفناء وسلوكهم بعد الجذبة يعني تفصيل مجمل التوحيد الذي هو المقصود من خلق آدم - ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون- أي ليعرفون . فإن أردت أن تشتغل بورد الباطن فأحضر أولاً صورة شيخك في الخيال حتى تظمر لك نسبة الغيبة فكن متوجهاً مع تربية تلك الغيبة بتلك الصورة الخيالية التي هي مرآة الروح المطلقة الى القلب . فكلما إزدادت الغيبة ينتفي الشعور ويسمى عدماً وغيبة . فإذا ترقيت الى مقام عدم الشعور بما سوى الله تعالى يسمى الفناء ، وظهور صفة الغيبة علامة إزدیاد الأحوال وترقي الدرجات" . كان سيدنا النقشبند يقول للمريدين عند ظهور مقدمة الغيبة : "إذ غبت دعني وإعط نفسك غيبتك" فإذا وردت الخواطر وشوشت عليك الحال فاستحضر صورة شيخك في الخيال فإن اندفعت وإلا أخرج نفسك بقوة ثلاث مرات تم توجه الى الذكر وإلا قُلْ أستغفر الله من جميع ما كره الله قولاً وفعلاً وخطراً وسامعاً وناظراً ولا حول ولا قوة إلا بالله موافقاً لسانك القلب وإلا فقل يا فعال بالتشديد . إنتهى .

(وكان) يتحمل الأمراض كما هي عادة السادة فعزم على أداء الحج فلما وصل الى شيراز وجد مريداً له من أكابر شيراز مريضاً فتحمل عنه مرضه فعوفي ومرض الشيخ وتوفي في ذلك المرض هناك ليلة الإثنين



وكانت ليلة عيد الأضحى سنة ست وعشرين وثمانمائة ونُقل الى جفانيان ودُفِنَ حذاء قبر والده قَدَسَ الله سرهما . وله أصحاب كثيرون من أشهرهم إثنان : الأول نجله الولي الكامل الأنوار سيدنا الشيخ يوسف العطار قَدَسَ الله سره كان آية في الإرشاد والهداية عاصر الشيخ بهاء الدين عمر وكان بينه وبينه مراسلات ألم ببعضها في الرشحات . والثاني ، الكامل الأذواق الشيخ عبدالرزاق قَدَسَ الله سره .

الخليفة الثاني : أعجوبة المرشدين الكاملين الشيخ حسام الدين پارسا البلخي قَدَسَ سره لقنه الطريقة العلية مولانا شاه نقشبند ثم استودعه الشيخ علاء الدين فرباه أكمل تربية ورفاه أعلى ترقية . كان قَدَسَ سره شديد الورع والتقوى والمجاهدة على حفظ أوقاته . قال سيدنا أحرار قَدَسَ سره كان أحرص على وقته من الشيخ بهاء الدين عمر ومن الشيخ زين الدين الخوافي بحيث لا يقبل أحداً إلا وقت القيلولة ، وقلت له يوماً : ما الفائدة في أمرهم بالذُكر عند النهاية ؟ قال : هو لرفع الدرجات .

الخليفة الثالث : كافل المراد للمريد سيدنا الشيخ أبو سعيد قَدَسَ سره كان من كبار أصحابه وبعد إنتقاله صحب شبلة الشيخ حسن قَدَسَ سرهم .

الخليفة الرابع : صاحب المقام السامي الشيخ عبدالله الإمامي الأصفهاني قَدَسَ سره هو من أجَلَّ أصحابه وله رسالة لطيفة في الذُكر ترصعت بها "الرشحات" .

الخليفة الخامس : العالي النظر الشيخ عمر الماتريدي كان مُظهرِ نفائس الأسرار وهو من مشايخ سيدنا أحرار قَدَسَ سرهما .

الخليفة السادس : من بين هلك الطريق وملكه سيدنا الشيخ أحمد مسكه قَدَسَ سره . كان من السادات الكبار وهو ممن لقيه سيدنا أحرار وروى عنه فمن ذلك أنه قال : استأذنت في بداية الأمر من الشيخ بصله أقرابي في بدخاشن ، فلما رجعت وجدت في الطريق نهراً عنده جوار من البادية يفتسلن فخطر لي أن أنظرهن وغلب علي ذلك فنظرتهم تخلصاً من خاطر . فلما أتيت مجلس الشيخ قال لي : من أصولنا المحاسبة على الأوقات فاذا ذكر ماجرياتك . فطفت أعددها له حتى بلغت الى قصة النهر سكتُ . فقال : بقي شيء آخر فقله وأنا لأقوله وأفضحك عند الناس . فقلته فحوَّل وجهه وقال : شاب شاطر . فحصل يل من الهيبة تمام الفناء والفناء التام .

الخليفة السابع : ولي العلماء وعالم الأولياء المرشد الواعظ المؤيد سيدنا أبو الميامين جمال الدين درويش أحمد بن جلال الدين محمد السمرقندي قَدَسَ سره خدم ظاهراً الشيخ زين الدين الخوافي حتى أجاز له وباطناً حضرة الشيخ وببركة صحبتته نال دوام الترقّي والحظ التام في الوعظ . قال سيدنا أحرار ماملخصه :

«كان الشيخ زين الدين يرفع من شأنه ويستحث الناس على حضور مجلس وعظه ثم وقع بينهما ما أوجب أن ينفر زين الدين الناس عنه فحضر يوماً عندي في هراة وقال لي أمرت أن ألتجىء اليك فوجدت الإذن بذلك . فنهضت بأعباء مساعدته حتى عاد قبوله أعظم من الأول بحيث غص المسجد الجامع بجماعته . وكنت أحب كلامه وأحضر كثيراً الى مجلسه الجدير بأن يحضره مثل أبي حفص الحداد والجُنيد والشبلي ، إذ كان يتكلم من الحقائق بالكلام العالي البعيد الإدراك . ولقد اعترض عليه ذلك أصحاب نظام الدين خاموش ، فقلت لهم كلامه هذا بدون إختياره ولكن على حساب استعداد بعض الحاضرين . وحضرت يوماً مجلسه فأظهر أموراً عالية المدارك فافتخر كل الافتخار بذلك وبالغ الإمتنان

على الحاضرين به ظاناً انه من عنده فما أعجبني ذلك منه وقلت في سري من أين لك هذا ولم لاتحمله على أنه استعداد من الحاضرين إذ لو لم تجد قبولهم لذلك من المبدأ الفياض كيف تتكلم كلمة منه . ثم تقنعت بجبتي وجعلت إصبعي في أذني وحبست نفسي وقلت أنا لأسمع كلامك فأنظر كيف تتكلم بالمعارف . ففي الحال حُصر لسانه وعرف أن ذلك مني فجزع جزعاً عظيماً على المنبر ثم التفت وقال هل يجوز حبس لسان أحد وحرمان السامعين ونزل . فإنغمست بين الناس منه» اه .  
(ومن آثاره) ما نقل عن خطه أنه قال :

”كنت في القدس متوجهاً الى حضرة القدوس فقال لي تحنث؟ قلت : كيف أتحنث يارب؟ قال جلاً وعلا : بخلو سرّك عن غيري والتوجه بالكلية اليّ . وسمعت وأنا في بلدة درويش أبداً قائلاً إن قولك أنا ذات شريف ليس كذلك ففهمت منه ان قول الصوفية الوجود المقيّد عين الوجود المطلق تعالى وتقديس ليس كذلك ثم كشف لي بعد الذكر نوراً بسيطاً كانت جميع الكائنات في جنبه كالذرة بالنسبة الى الشمس . فعلمت انه التصديق لذلك ورأيت الشيخ عبدالله الأنصاري في المنام يقول لي أنت ولدي قدّس الله سرّه .

الخليفة الثامن : قدوة العلماء المحققين وصفوة الأولياء المتقين صاحب التصانيف الفائقة والتحقيقات الرائقة العلامة السيد الشريف الجرجاني قدّس سرّه ، نقل مولانا الجامي عنه :  
إني لما إتصلت بالشيخ زين الدين علي كلال خلصت من الرفض ولما وصلت الى الشيخ علاء الدين العطار عرفت الله تعالى . وقال سيدنا أحرار قال مولانا نظام الدين خاموش لما تشرف السيد بلقاء الشيخ وقبله التفت اليه جداً سأله أن يلحقه بأحد أصحابه ليمينه الى صحبتته . فأمره بصحبتني فجلس يوماً في المراقبة ، فحصلت له الغيبة فسقطت عمامته فقامت ووضعها على رأسه . فلما أفاق سألته عن حاله فقال كنت أتمنى أن تصفى مدركتي عن نقوش العلوم الكونية ويفرغ قلبي عن تعلقاته بها لحظة واحدة من العمر فالحمد لله ببركة صحبتكم نلت ماتمنيته ومن عدم شعوري وقم مني هذا لسوء الأدب في حضوركم . اه... .

ولم يزل حتى صار أية باهرة قدّس الله سرّه

الخليفة التاسع : أكمل الخلفاء العارفين وأفضل الأصحاب الصادقين الولي الكبير والمرشد الشهير سيدنا الشيخ نظام الدين خاموش قدّس سرّه ، تشرف أيام تحصيل العلم بنظر حضرة النقشبند رضي الله عنه وخدمته وبعده صحب الشيخ صحبة صادقة حتى حصل بين مسماه وإسمه تمام المطابقة . نقل سيدنا أحرار عنه أنه قال :

كنت قبل إتصالي بالشيخ علاء الدين ذا رياضة ومجاهدة وخوارق فلما قدم سمرقند قصدته فلقيت أولاً مولانا أبا سعيد فقال لي أنت زاهد ورجل لطيف ظريف إن شاء الله تعالى تخلص من هذه اللطافة والزهد والتقوى فكرهت كلامه ، ثم أتيت الى الشيخ فقال لي مثل أبي سعيد غير أنه أعجبني كلامه وفهمت المقصود منه . ففوّضت نفسي اليه وكان قدّس سرّه في الصفاء أيةً عجيبة وله كرامات غريبة . ذكر بعض الأكابر أنه كان في مجلسه فمرّت جارية حسناء من جواريه لحاجة فخطر بباله انه هل يلتفت اليها أو لا . فقال في الحال إحفظوا الخواطر من الألوات فإبأ أولياء الله جواسيس الخواطر يعلمون ما خطر لكم والله تعالى منهم أعلم ، والله لي اليوم أربعون سنة لم أحتمل إذ قيل لي احفظ نفسك منه

فإنه سبب رجوعك ، ومنذ سبع عشرة سنة لم يجب عليّ غسل .

وقوة تصرفه وسرعة بطشه وشدة وطاته وتعام غيرته قد تكفل ببيانها في "الرشحات" . (ومنها) ان شيخ الإسلام عصام الدين النحوي الشهير مرض مرضاً شديداً أشرف فيه على الزوال وكان معتقداً له ، فاتى أولاده اليه يبكون ودعوه ان يعود فذهب وتحمل مرضه . وكان ولده مشهوراً بتسخير الجان وكان نساء السلطان والأعيان يترددون اليه فباتهم أحد أولي الحسد بمحبة أحد نساء السلطان ورُفِع الأمر اليه فنفاه وأتى بالشيخ على غير حالة مقبولة فلما وصل اليه أمر بتخليه سبيله ولم يهتم لذلك مولانا عصام الدين مع انه كان وقتئذ شيخ الإسلام ومقبول الكلام فأخرجه من ضمانته فمات لوقتته . وخرج ولد الغ بك على أبيه مساءً يومئذ فقتله وقال رجل فلان قال في شأنك ما لا يليق فغضب وخطأ خطأ على الجدار فمات الرجل تلك الساعة . وأوغر يوماً صدر الشيخ عليه فاستقدمه من سمرقند الى جفانيان ، فلما وصل جلس بين يديه للمراقبة زمناً طويلاً قال فوجدتني كالحمامة والشيخ كالباز فكنت أفر منه وهو يتأثرني حتى أعجزني فدخلت في حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومُحيت في أنواره . فسمعت من الحضرة النبوية أن نظام الدين مني فلم يقو على التصرف فيّ وقام الى بيته فمرض أياماً لا يعلم أحد سبب مرضه قدس سره .

ولمولانا نظام الدين أصحاب بلا حساب وأشهرهم إثنان : الأول ؛ الولي البركة المربي الكامل مولانا زاده الفركتي قدس سره . والثاني ؛ مظهر التلوين في التمكين المرشد النور المبين سيدنا الشيخ سعدالدين الكاشغري . كانا عالماً عارفاً وظلاً من ظلال الله في الأرض وارفاً ، حصل العلوم وأتقت فنون الفهوم حتى تفرّد . ثم مال لطلب الحق وكان غنياً فتجرّد واتصل بخدمة مولانا نظام الدين وصحبه وكان ملحوظاً بالحفظ الإلهي من حين طفولته .

(حكى) جلّه سيدنا كلال عنه قال سافرت مع أبي في تجارة وفي الركب غلام حسن الوجه في سنّي نشغفني حباً فنزل الركب في رباط وبتّ معه على بساط واحد فلما أطفأ الضوء ونام الناس وقم في قلبي أن أخذ يده فأجعلها على عيني . فقبل وقوم ذلك رأيت جدار البيت قد إنشقت ودخل منه رجل مهاب بيده شمعة فنظر اليّ مغضباً ومرتجفاً فأنشقت الجدار الآخر وخرج منه وغاب فانتبهت وزال عني حبه . (وقال) كنت مع أبي في سفر فبتنا في رباط مع جماعة من التجار جالسين يتحاسبون ويتناقشون وبقوا من الفجر الى نصف النهار كذلك . فغلب عليّ البكاء فعجبوا من ذلك وسألوني ، فقلت : أيها المسلمون جلستم من الفجر الى الظهر وأنا متوجه الى قلوبكم فما رأيكم إلا غافلين عن ذكر الله فيكم رحمة بكم . وأقام في صحبة الشيخ سنين مديدة ثم استأذنه في الحج فلم يأذن له أولاً ثم أذن له فلقي مشايخ وقتته مثل السيد قاسم التبريزي وأبو زيد البوراني والشيخ زين الدين الخوافي والشيخ بهاءالدين عمر . وروى الشيخ سعدالدين وكان من أكابر أصحابه عنه قال : رأيت ذات ليلة دخلت هراة في المنام انه اجتمع أولياء هراة فأخذني واحد منهم وأجلسني في مقام لم أر فوقه غير إثنين الشيخ عبدالله الطاقي والشيخ عبدالله الأنصاري .

(ومن أنفاسه) علم الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم طريق المراقبة بقوله تعالى (ما تكون في وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه) فكونوا مشغوليين فيه فإنه أقرب إليكم من كل شيء ، بل أقرب أيضاً من قولكم انه قريب ؛ لأن حال القرب لاتسعه العبارة . قال رجل لصوفي فلان يتكلم في القرب ، فقال قلّ له قرب القرب عين البعد ، والقرب عبارة عن فناءك فماذا

تسم العبارة .

(وقال) مَنْ طلب الكلك فاته الكلك وَمَنْ كان المولى له فله الكلك . (وقال) في معنى قول مولانا جلال الدين الرومي رضي الله عنه :

معى لا معى المحبوب كل لحظة وهذا وحقُّ الحبِّ من أعجب العجب

لوان رجلاً سلك ألف سنة لا يدرك معنى هو معه لا معه ، فكيف يدرك قرب الحق . لكن قد يعطيه الله بالجد والإجتهد إدراكاً يقينياً يفهم به "إن الله كان معى وكنت غافلاً عنه" فإنه يحصل لأهل الله تعالى يقين لا تردد معه ولا شبهة في وجوده تعالى ومعيته كما لا يكون لأحد ريب في نفسه . فإنه وإن لبس لباساً مختلفاً وأغض عينيه لا ينسى نفسه أصلاً .

(ومن كراماته) وهي كثيرة سرد طرفاً منها في "الرشحات" ما ذكره الشيخ شمس الدين الكوسوي ، وكان يجالسه كثيراً ، قال : وقع لي في الحقائق مشكلات وأردت أن أسافر لحلها ، فقال لي تعال عندي غداً بنية حل مشكلاتك فربما تحل . فأتيت صباحاً الى مجلسه فلما رأيت وجهه وقعت مغشياً عليّ زمناً طويلاً . فلما أفقت سمعته ينشد هذا البيت :

مرآك حقاً لي جواب السؤال وحل إشكالي وما ثم قال

فعدلت عن السفر فسألني أحد أحبائي عما وقع لي يومئذ ، فقلت له لما وقع بصري على حاجبه الأيمن انحل مشكل ولما نظرت الى الأيسر انحل الآخر ومن لذة ذلك زال شعوري فوقعت .

(وقال) الشيخ غياث الدين الحافظ ، وكان من أجلاء العلماء المقربين عند السلطان ، حضرت مجلس الشيخ يوماً وعنده رجل من قوهستان جالس في آخر المجلس والشيخ ساكت فرم رأسه ونادى القوهستاني وأخذ بيده وقال لي هذا وديعتك فعليك بحمايته وإغاثة فقبلت وما فهمت ولا الحاضرون سر وصيته . فبعد مضي خمس عشرة سنة توفي الشيخ قدس سره ثم ظهر رجل في عهد السلطان أبي سعيد يتهم الناس باليهودية عند السلطان ذريعة لأخذ الدراهم منهم . فاتهم هذا وكنت راجعاً يوماً من مجلس السلطان فرأيت قرب باب العراق ازدحاماً فسألت عنه فقبل رجل مسلم أنهم باليهودية فوصلت الى اليه فلما رأني عرفني وقال : يامولاي أنا ذلك القوهستاني الذي أسلمني مولانا سعدالدين في المسجد الجامع اليك . فعرفته وخلصته وذكرت ذلك للسلطان فأمر بقتل ذلك الظالم .

(توفي) بعد ظهر يوم الأربعاء سابع جمادى الآخرة سنة ستين وثمانمائة وله نجلان : الأول : لؤلؤة المجد وفضلكة السعد المرشد الكامل سيدنا الشيخ محمد الأكبر قدس سره . كان حافظاً عالماً عارفاً صاحب سيدنا أحرار فعلمه الذكر وأرسله الى هراة وقال له "لَقَنْتَ مَنْ يطلب من الذكر ولو لم تتم سلوكك فإن والدك لما ذهب الى هراة ما أتت سلوكه فاجتمع اليه الناس فاشتغل معهم باجتهد فتم سلوكه قدس سره . والثاني : عالم المرشدين ومرشد العالمين الشيخ محمد الأصغر قدس سره . كان نادرة زمانه حفظاً وعلماً ورشداً توفي سنة تسعمائة في ديار داوزمن من أعمال بخارى ونُقل الى هراة ودُفن عند قبر والده قدس سره .

(وله خلفاء) مثلك نجوم السماء عدداً وهدى فمن أجلم العلامة الشهير والصوفي العارف الكبير الشيخ نورالدين ملا عبدالرحمن الجامي ابن نظام الدين أحمد بن شمس الدين الدشتي نسبة الى (دشت) محلة في أصفهان نزم جده منها الى جام وكان من العلماء العظام ففوض اليه أمر القضاء والفتوى بها ، وجده الجامي من أولاد الإمام محمد الشيباني صاحب الإمام الأعظم ولد في جام في عهد السلطان شاه رخ ملك العراق وپارس وتخرج في العلوم على والده حتى صار أعجوبة زمانه . ثم اختار صحبة مولانا سعدالدين

وببركته حصل له أحوال وأذواق بأدنى مدة . بهرَ بها رفقاءه وأصبح يترقَى في معارج الكمال حتى أدرك أعلى درجات الرجال كيف لا وقد نال نظر الشيخ محمد پارسا وفخرالدين اللُّرستاني وهو صغير ، ولقي أبا نصر پارسا والشيخ بهاءالدين عمر والعارف الإمام الشيخ محمد الكوسوي ، وتشرفَ بلقاء سيدنا عبيدالله أحرار ولازمه وكان يحبه ويرفم من شأنه وكان يسمم سيدنا كثيراً من الفتوحات المكية ويستشكل عليها محالاً منها فيحلّها له وهو أستاذه في التصوّف .

(قال) صاحب "الرشحات" عزمت على زيارة سيدنا أحرار فرأيتهم في المنام يقول سبحانه الله سبحانه الله العجب أن بحر النور يتموج في خراسان والناس يأتون إلى سمرقند لإقتباس نور سراج . فلما وصلت إلى عتبه فقال : مَنْ رأيت من مشايخ هراة ؟ قلت : مولانا عبدالرحمن الجامي ومولانا محمد الروجي . فقال : مَنْ رأى مولانا عبدالرحمن لا يحتاج للمجيء إلى سمرقند . ثم قال : "سمعت أن مولانا عبدالرحمن لا يقبل المريدمولانا الروجي يقبل . قلت : أجل . فتمثّل قدس سرّه بقول سيدنا الفجدواني "أغلق باب المشيخة وأفتح باب الصحبة" .

(وذكر) مولانا عبدالغفور أن سيدنا الجامي كان لا يلقن الذكر لأحد للطفاته ويقول : "لاقدر أن أحمل ثقل المشيخة" . ثم توجه إلى الحجاز عام سبعم وسبعين وثمانمائة ، فأقبلت عليه ملوك البلاد بالتحف والهدايا والخدمة حتى قضى تفتته وعاد إلى الشام فتلقّى الحديث عن المحدث القاضي محمد الحضيري وأجازه بأسانيد العالية ، ثم عاد أشرف معاد . وله تأليف عظيمة الشأن ونفعها على فضلها أعظم برهان ولو لم يكن منها إلا النفحات وشرم الفصوص لكفى .

وله كلمات قدسية منها :

سئل عن قول الشيخ كمال الدين عبدالرزاق الكاشاني : "بسم الله أي بالإنسان الكامل فقال الإنسان تفسير لفظ اسم لا لفظ الله" . (وسئل) قدس سرّه عن قوله صلى الله عليه وسلم "يؤجر في نفقته كلها إلا شيئاً وضعه في الماء والطين إذ عليه لا أجر" في بناء المساجد ونحوها ، فقال يحتمل أن يكون المراد بالماء والطين عالم الأجساد فإن ماينفقه الإنسان لحفظ نفسه لا أجر له فيه . (وقال) الكهولة آخر الشباب فما صرف العبد به أول شبابه يظهر أثره على الوجه في آخره . (وحضر) مجلسه رجل يدعى الزهد والتقوى فوضعوا المائدة ولم يأتوا بالملح ، فقال : أتتوني بالملح حتى أبديء به . فقال له : الملح موجود في الخبز فكلوا . فرأى أن الشيخ يقطم الخبز بيد واحدة فقال له : هذا مكروه . فقال له الشيخ : النظر وقت الطعام إلى لقمة أخيك وفمه أكره منه . ثم قال الرجل : التكلّم أثناء الطعام سنّة . فقال له : كثرة الكلام أيضاً مكروه . فسكت إلى آخر المجلس .

وله كرامات وافرة وكشف كالشمس السافرة منها إحياء الموتى وتدمير الأعداء والإخبار بالمغيبات وقد أورد بعضها في "الرشحات" .

(توفي) صباح يوم الجمعة ثامن عشر شهر محرم سنة ثمان وتسعين وثمانمائة واستخرج بعض أدباء عصره تاريخ وفاته من القرآن المجيد وهو قوله تعالى (ومن ٩٦ دخله ٦٣٩ كان ٧١ أمناً ٩٢) (سنة ٨٩٨) وولد له أربع ذكور ولم يبق منهم إلا ثالثهم وهو زهرة الأولياء الكاملين :

## سيدنا يوسف ضياء الدين الجامي

(ولد) ليلة الأربعاء تاسع شهر شوال عام إثنى عشر وثمانين وثمانمائة وكان في الذكاء والفضل آية عجيبة . وتوفي يوم الجمعة خامس شوال سنة تسع وتسعمائة قدس سره . ومن أشهر تلامذته وأصحابه عالم الصلحاء ومحقق الأولياء الشيخ رضى الدين عبدالغفور اللاري قدس سره وهو من سلالة سيدنا سعد بن عبادة رضى الله عنه ، تخرّج على يده في سائر العلوم الظاهرة والباطنة حتى بهر أقرانه وقرأ أكثر مصنفاته عليه وكتب مولانا الجامي بعد إتمام شرح الفصوص تمت مقابلة الكتاب مع صاحبي الأخ الفاضل والمولى الكامل ذو الرأي الصائب والفكر الثاقب رضى الملة والدين عبدالغفور استخلصه الله لنفسه وكان الله عوضاً له عن كل شيء في أواسط جمادى الأولى سنة ست وتسعين وثمانمائة وأنا الفقير عبدالرحمن الجامي عفى عنه وله كلمات في الحقائق تدلّ على علوّ شأنه ذكر شذرة منها في "الرشحات" .

(توفي) صبح يوم الأحد خامس من شعبان سنة إثنى عشرة وتسعمائة وراه أحد الصوفية في المنام ، فقال له : "كيف وجدتم في الآخرة ما قاله سيدنا الشيخ محي الدين رضى الله عنه في سرّ التوحيد والمعينة؟" فقال : "ماتقولُ فإن عشق الدنيا بالنسبة الى عشق الآخرة بقدر الذرة . والحب الدنيوي يعتريه الزوال سريعاً لأن حسن عالم الأجسام مركّب من أجزاء مختلفة تتبدّل فينقطع الميل وأما حسن العالم الآخروي فهو من البسائط ولهذا لا تنفنى ولا تتبدّل إذ لاتضاد في أجزائه فيدوم العشق لكن عند فراق الروح للجسد تتألم أياماً بسبب صحبته السالفة فإذا صفت مالت الى العشق الأبدي ونسيتهم" فقال له : "يامولانا ماذكرتموه هو من أسرار الآخرة والموتى ليسوا مأذونين في إفشائه فكيف هذا؟" فقال : "هذا من كلام الجاهل لا أصل له لأن أكثر الناس يرون النبي صلى الله عليه وسلم والعارفين والصالحين ويحققون منهم غرائب أحوال الآخرة وغيرها ولو كان كذلك لما نزل القرآن الكريم ولا وردت الأحاديث المطهرة ببيانها وفضله شمير وتأليفه من أصدق الدلالات على رفعة شأنه قدس سره .

(وممن ذكر) من أصحاب مولانا الكاشغري عالم العارفين وعارف العالمين :

## مولانا شمس الدين الشيخ محمد الروجي

ولد في (روچ) بالراء المهملة والواو والألف والجيم المعجمة قرية على تسعة فراسخ من هراة ليلة نصف شعبان عام عشرين وثمانمائة . وكان لأمه ولد نجيب فمات وهو ابن خمس سنين فحزنت عليه فرأت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها : "لاتحزني فسوف يعطيك الله ولداً طويلاً العمر ذا دولة" فأتاها هذا العزيز فكانت تقول له أنت الذي بشرني النبي صلى الله عليه وسلم بك .

وكان يحب الخلوة في صفر سنه فسمع مرة من والدته أن من قرأ كذا يرى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقرأ ونام فرأى أنه على باب البيت وأمه على دكة الباب تقول له أين كنت ، كنت بانتظارك لأن النبي صلى الله عليه وسلم جاء الى بيتي فهلم نذهب اليه . قال فأخذت بيدي اليه صلى الله عليه وسلم فرأيته جالساً على دكة أخرى وحوله الناس قياماً وقعوداً وهو يبعث بالرسائل الى البلدان ولديه كاتب . قال وأحسبه مولانا شرف الدين الزيارتكاهي وكان من علماء المتقين . فقدمتني أمي اليه وقالت يارسول الله هذا الذي وعدتني به أم غيره؟ فنظر اليّ وتبسّم وقال هذا هو وأمر الكاتب فكتب لي ورقة نحو ثلاثة أسطر وتحتها أسماء الشهود وقرأها وأعطانيها . ثم أفقت فإذا بوالدتي بيدها شمعة في الباب فقالت : رأيت شيئاً؟ فقلت : نعم . قالت : وأنا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما رأيت .

(ولما) تزلّم بالعلوم الشرعية والعقلية مال الى طلب الحث فلقني في هراة الشيخ صدرالدين الرواسي أحد خلفاء الشيخ زين الدين الخوافي ، قال قدّس سرّه لما جنّته وجدته يذكر بالجهر فما مال قلبي لصحبته ثم إهتديت الى الشيخ سعدالدين فلقيته مع أصحابه في سكوت فقلت في نفسي أين هذا السكوت من تلك الغوغاء . فرغم رأسه اليّ وقال تعال . فأتيت فقال : "لوان أحداً في حضور السلطان شاه رخ يناديه بأعلى صوت ياشاه رخ لا يستحسنه ، إنه سوء أدب والأدب أن يقوم بين يديه بالسكوت والسكون" . ثم لقنني الذّكر فلم أبرم أن حصل لي ببركته من الأحوال العالية ما لا يدخل تحت حيطة التقرير .  
(وقال مولانا شهاب الدين اليرجندي) غدوت يوماً الى سيدنا سعدالدين فقال : "أمس فتح عليّ ولد الجمال وحصل له حال غبطة ملكوت السموات والأرض" فعلمت أنه مولانا محمد فبان ولده كان يرعى إبل السلطان . (وقال الروجي) كنت في سقاية المسجد فدخّل عليّ الشيخ وأنا أقرأ المثنوي فقال : ماهذا ؟ فقلت : المثنوي . فقال : لا يحصل لك من قراءته شيء فاسم حتى تظهر معانيه من قلبك . ودخل خلوتي فرأى بيدي مصحفاً فقال : ماهذا ؟ فقلت : مصحف . فقال : هذا من علامات الغفلة والعطلة .  
ثم رحل بعد وفاة أستاذه الى مكة المكرمة فصحب العارف الكبير الشيخ عبدالكبير اليميني قدّس سرّه ثم عاد الى هراة فشام فضله في الإرشاد وانتفع بالوصول الى الله على يده عدد كثير من العباد .  
(توفي) يوم السبت سادس شهر رمضان سنة أربع وتسعمائة وكان آخر كلامه : "الله الله" . ودُفّن عند ضريح مولانا سعدالدين ثم نُقل بعد أربعة أشهر الى قرب مقام سيدنا عبدالله الأنصاري في كازكاه .  
(ومن أشهر أصحاب الروجي) مولانا الشيخ عبداللطيف السياوشاني قدّس سرّه . وممن ذُكر من خلفاء مولانا الكاشغري علامة الصلحاء ودراسة الأولياء :

### الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد اليرجندي قدّس سرّه

ولد في بروجند قرية من بلاد قباين . وكان رأى والده في المنام أنه واقف على طور سينا فجاء شيخ الإسلام الشيخ أحمد جام ، فسلم عليه فقال سيعطيك الله ولداً فسّمه باسمي . يُقال أنه كان مثابراً على التهجّد والضحى والإشراق في صغر سنّه وكانت آثار الصلّام ظاهرة عليه تخرّج على فحول علماء زمانه في كل فنّ حتى صار بحراً ، وقرأ كتب الحديث على الشيخ أبي نصر بارسا ولقي المشايخ كالخوافي والكوسوي وغيره ، ثم لازم الشيخ حتى لقي ربه في حياة مربيه عام ست أو سبع وخمسين وثمانمائة وقبره عند قبر شيخه قدّس سرّه .  
(وممن ذكر أيضاً) شرف الكاملين :

### الشيخ علاءالدين محمد بن المؤمن الأنبيري المكتبدار قدّس سرّه

(ولد) في قرية (أنبير) من قرى قوهستان واشتغل بتحصيل العلم ثم لاحت له بارقة فصحب الشيخ سعدالدين ولازم خدمته حتى تكمل وصار من العارفين الكمل . وبعد وفاته صحب مولانا الجامي ولقي مولانا أحرار . ولما دخلت عليه في هراة قال : من أنت ؟ قلت : رجل فقير من خدام مولانا سعدالدين معيلم صبيان . فقال : لاتصغره فإنه أمر عظيم يترتب عليه فوائد كثيرة .  
ثم رحل الى الحجاز فلقني العارف الكبير الشيخ عبدالكبير اليميني الحضرموتي وحصل منه تمام الإلتفات وغاية الترقّي في المقامات .  
(توفي) قدّس سرّه يوم السبت أواسط جمادى الثاني سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وقبره عند مقام

أستاذة قدّس سرّه .

(ومن أشهر أصحابه) نجله الشيخ غياث الدين أحمد قدّس سرّه . كان من أجلّاء المرشدين وله صاحبان : الأول ؛ نجله الشيخ نظام الدين حسين توفي قدّس سرّه سنة سبع وخمسين وتسعمائة . والثاني ؛ مولانا زين الدين محمود كما منكر ، توفي في قندهار قدّس سرّه ، ومنهم العالم العارف مولانا علي البارودي قدّس سرّه كان كبير الشأن وله تاليف كثيرة في الطريق الأسنى . ومنهم المرشد الصالح مولانا أحمد البارودي قدّس سرّه ، ومنهم الإمام الجليل الشيخ صنع الله الكوزه كياني نسبة الى (كوزه كيان) من أعمال تبريز ، قدم هراة في طلب الحق ولازم الشيخ علاء الدين المكتبدار ثم نجله ثم عاد الى أوطانه وتوفي سنة تسع وعشرين وتسعمائة وسنّه ثلاث وسبعون سنة ، وله أصحاب من أشهرهم سيدنا علي جان بادام ياري قدّس سرّه نسبة الى بادام يار من أعمال تبريز صحب الشيخ صنع الله حتى كمل وتوفي في (أخترين) قرب حلب عام سبع وستين وتسعمائة في نحو عمر السبعين قدّس سرّه . وممن ذكر أيضاً نخبة الأكابر سيدنا الكاشغري أيضاً عمدة الصالحين مولانا حاجي مزاري قدّس سرّه ، وممن ذكر أيضاً من أصحاب الأتقياء الحافظ إسماعيل الروجي قدّس سرّه ، وممن ذكر أيضاً جوهرة العارفين مولانا محمد الجامي أخو سيدنا عبدالرحمن الجامي توفي قبل أخيه قدّس سرّه . وممن ذكر أيضاً سلالة العلماء المواصلين مولانا أحمد الزيارتگاهي قدّس سرّه ، وممن ذكر أيضاً كوكب فلك المرشدين مولانا پير قدّس سرّه . وممن ذكر أيضاً زهرة روض الإرشاد مولانا الشيخ علاء الدين الكرمانلي قدّس سرّه رحل الى مكة المكرمة وتوفي ثم قدّس سرّه ، ومن أصحاب الكرمانلي الكرام الشيخ عبدالغفور الساوجي نسبة الى (ساوه) من بلاد العجم صحب الشيخ في مكة بعد سياحة طويلة ثم بعد إنتقاله توجه الى جهة العجم وجاوز سنّه المائة وتوفي سنة سبع وسبعين وتسعمائة قدّس سرّه .

ال خليفة العاشر : من كبار خلفاء سيدنا علاء الدين العطار شيخ هذه السلسلة المنورة وأعظم من سرى اليه هذه النسبة المصهّرة سيدنا الشيخ يعقوب الجرخي قدّس الله سرّه .



## سيدنا الشيخ يعقوب الجرخي قدّس الله سرّه العزيز

عالم الأولياء وولي العلماء ، ظهر في العالمين بالعلمين ظهور القمرين في أشرف المومنين ، الى أخلاق تبارك الخلفاء وأعظمها ، وأذواق روي عن حضرة الإطلاقات معظما ، أحياء الحقيقة بالشرعية والشريعة بالحقيقة ، وسلك في طريق القوم أقوم طريقة ، وورث علوم الغيوب كما ورث النبوة يعقوب .  
( ولد قدّس سرّه ) في جرخ بجم فارسية ومهملة وخاء معجمة ، قرية من قرى غزني وهي بمجمعتين ونونين بينهما ياء تحتية بلدة بين قندهار وكابل مما وراء النهر سنة (...). ورحل لتحصيل العلوم في هراة ثم الى مصر المحروسة ، وتلقى العلوم الشرعية والعقلية عن علمائها ومن أعظمهم علامة عصره الشيخ شهاب الدين الشيرواني ثم عاد الى وطنه وصحب حضرة سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز إرادة تحصيل علم الباطن .

( قال قدّس الله سرّه ) كنت مخلصاً في المحبة لحضرة الشيخ قبل التشرف بلقائه فلما فرغت من تحصيل العلوم وأجيز لي الفتوى وعزمت على الإنصراف الى الوطن أتيت لزيارته قدّس الله سرّه العزيز فقلت له مع الخضوع : أرجو دوام ملاحظتي بإكسير أنظاركم . فقال : جئتني وقت التوجه الى الوطن . فقلت : إني محبك وخادمك . قال : ولم ؟ قلت : لأنك عظيم الشأن مقبول عند الناس . فقال : إئتني بدليل أحسن من هذا فإنه يحتمل أن يكون هذا القبول شيطانياً . فقلت : ورد في الحديث الصحيح "إذا أحب الله عبداً ألقى محبته في قلوب عباده" . فتبسّم قدّس الله سرّه ثم قال : نحن العزيزان . فلما سمعت منه هذه الجملة دهشت لأنني كنت قد رأيت في المنام قبل ذلك بشهر قائلاً يقول لي "كن مريد العزيزان" ونسيت الرؤيا فانتبهت من كلامه وتذكرتها ثم استأذنته فقال : خلّ عندي شيئاً إذا رأيت تذكرتك . ثم قال ، إني علمت أنه ما عندك ما تدعه فخذ كوفيتي هذه واحفظها فإذا نظرت إليها تذكرتني ومتى تذكرتني وجدتني وإذا اجتمعت بمولانا تاج الدين الكولكي فاحفظ خواترك فإنه من أولياء الله تعالى . فقلت في نفسي أنا قاصد الوطن من طريق بلخ وأين بلخ من كوك . ثم توجهت الى بلخ فحدث لي في الطريق ما اضطرني الى الرجوع الى كوك واجتمعت بمولانا تاج الدين قدّس الله سرّه وتذكرت ثمّ كلام حضرة الشيخ قدّس الله سرّه العزيز وزاد اعتقادي به وحبّي له . ثم إني بعد وصولي الى الوطن رجعت الى بخارى فعمدت الى زيارته قدّس الله سرّه العزيز .

قال وكان في بخارى مجذوب فأحببت أن أتفاءل منه بشيء ، فأتيته بهذا القصد ، فلما رأني قال : أسرع ولا تتوقف . وكان يخط في الأرض خطوطاً فخطر ببالي أن أحسب هذه الخطوط فإن خرجت وترأ كانت إشارة الى صحة هذا الداعية فإن الله وتر يحب الوتر . فحسبتها فإذا هي وتر فبادرت الى صحبة الشيخ رضي الله عنه وعرضت عليه مرادي فلقنني الوقوف العددي وقال راع الوتر يشير الى خط الوتر الذي إتخذته دليلي وحجة لي .

( وقال قدّس الله سرّه ) لما جدّ بي الطلب للتحقق بهذا المشرب جعلت أختلف إليه كثيراً وهو يزداد رحمة بي وشفقة عليّ وأنا أزداد اعتقاداً به وإخلاصاً له حتى تيقنت أنه ليس أحد أفضل منه في وقته .

وفتحت المصحف يوماً للتفاؤل فخرج قوله تعالى (أولئك الذي هدى الله فبهداهم اقتده) وكنت وقتئذ مقيماً في بلدة فتم أباد ، فتوجهت آخر النهار لزيارة ضريح الشيخ سيف الدين البخارزي قدس سره ، فورد علي وأنا متوجه الى الضريح وارد أزعجني فقصدت حضرة الشيخ قدس الله سره العزيز . فلما وصلت عنده وجدته كأنه ينتظرنني وكانت الصلاة قد حضرت . فبعد أداء الصلاة أقبل علي بوجهه الكريم فوجدت له هيبه في نفسي وعظمة في قلبي وجلالة في نظري حتى لم أطق الكلام في حضوره . فقال لي قدس سره ورد في الأخبار "العلم علمان علم القلب وذلك العلم النافع علمه الأنبياء والمرسلون ، وعلم اللسان وذلك حجة الله على خلقه وأرجو الله تعالى ان يكون لك نصيب من علم الباطن . ثم قال ورد في الخبر إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب يدخلونها وينظرون الى هممكم . ثم قال أنا مأمور من جناب الحق تعالى ألا أقبل إلا من يقبله تعالى وسانظر الليل فإن قبلك الحق تعالى قبلك ، فما مضى من عمري ليلة أشد علي منها إذ بت خائفاً قلقاً من أنه هل يفتح لي باب القبول أو لا . فلما طلف الفجر وصليت خلفه إنصرف من صلاته وقال لي "بارك الله بك لقد قبلك الله فقبلتك ثم عدّ مشايخ سلسلة طريقه الى حضرة الشيخ عبدالخالق العجدواني رضي الله عنه ولقنني الوقوف العددي وقال هذا أول العلم اللدني وصل من سيدنا الخضر عليه السلام الى الشيخ عبدالخالق رضي الله عنه . فلم أزل في خدمته وصدق صحبته حتى أذن لي بإرشاد الخلق الى الله تعالى وقال إن ذلك سيكون سبباً لسعادتك .

( وروى ) عنه سيدنا الشيخ عبيدالله أحرار قدس الله سرهما أنه قال : أمرني الشيخ رضي الله عنه بصحبة الشيخ علاءالدين في جفانيان ، فكتب لي أن أتني لصحبته إمتثالاً لأمر الشيخ رضي الله عنه . فقدمت جفانيان ولزمت صحبته حتى توفي قدس الله سره فذهبت الى هلعغو .

( وقال الشيخ عبيدالله أحرار ) كان حضرة الشيخ يعقوب والشيخ زين الدين الخوافي أخوين في تحصيل العلوم في مصر المحروسة على العلامة الشيخ شهاب الدين الشيرواني . فقال لي يوماً : سمعت أن الشيخ زين الدين يعبر رؤيا المريديين ويعتمد عليها وأنت كنت في هراة فهل سمعت بهذا ؟ فقلت له : أجل . وكان وقتئذ أخذاً بلحيته الشريفة فغاب وكان من عادته أنه يغيب أثناء كلامه حتى وصل رأسه الى صدره ثم رفع رأسه بعد ساعة وأنشد ما معرّبه :

أنا إن كنت إلا عبد شمس      وإن حدثت إلا عن سناها  
وما أنا ليد أو عبد ليل      يربى المرء بالرؤيا يراها

( توفي قدس الله سره ) في قرية (هُلَعَتُو) بهاء مضمومة ولام ساكنة وغين معجمة مفتوحة ومثناة فوقية مضمومة وووا ساكنة وهي من قرى الحصار .

( وله ) قدس روحه خلفاء عظماء وأصحاب بلا حساب . وأعظم من سرى سر هذه النسبة المطهرة اليه شيخ هذه السلسلة المبجلة عبيدالله الأحرار رضوان الله عليه .

## سيدنا ناصر الدين عبيدالله أحرار بن محمود بن شهاب الدين الشاشي السمرقندي قَدَسَ اللهُ سرَّهُ

قطب دائرة العارفين وبحر علم لا تنقصه كثرة العارفين . مَلَكَ من أبنار الأنوار الذاتية أحرارها وكشف عن أقمار الأسرار الصفاتية أسرارها ، إذ مال من عهد المهدي الى الكمال . وقد أوتي الحكم صبيّاً وشمر عن ساعد الجد لتحصيل أثيل المجد ، لأنه لو كان العلم في الثريا وما مال الى أهل ولا مال حتى نال من مقامات الأولياء ما نال ، الى تجليات ذاتية وعلوم غيبية وحقائق عليه أحيا بها الله هذا الطريف . فأيد أهله وأيد فضله وجمع شمله ونظم نثار السلف الأسمى . وانتظم في سلك أولي الخلافة الروحانية العظمى وسعى وسعه في إنقاذ القلوب مما مسّها من غمار الأغيار من اللُغوب ، إذ أصبح شمساً ترشد السالكين الى طريق حق اليقين والإطلاع على كنوز المعارف الخفية ومخدرات الحقائق اللدنية .

( ولد قَدَسَ اللهُ سرَّهُ ) في ( شاش ) سنة ست وثمانمائة في شهر رمضان . نُقل أنه حصل لوالده جُذبة عظيمة صرفته عن أعمال الدنيا بالكلية ، فصار يميل للرياضة الشاقة وتقليل الطعام والمنام وترك الإختلاط مع الخواص فضلاً عن العوام . واستمر كذلك أربعة أشهر ففي أثنائها حملت به أمه . فسكن ما به وعاد لحاله وقد بشر به قبل ولادته العارف الكبير سيدنا الشيخ نظام الدين خاموش السمرقندي قَدَسَ سرَّهُ .

( ذكر ) المولى الشيخ محمد السربلي أن الشيخ نظام الدين جاء الى بيت أبيه يوماً قال وكان أبي مخلصاً في محبته والإعتقاد به . فبينما هو جالس للمراقبة إذا صاح صيحة عظيمة فلما إنصرف سأله عن سبب صيحته ، فقال له : ظهر من جانب الشرق رجل يقال له عبيدالله يوشك أن يصير شيخاً عظيم الشأن يسخر الله له العالم كله . قال فلما سمعت إسمه منه جعلت أنتظر ظهوره ، فكنت أول من تشرف باتباعه والإنتظام في سلك أتباعه . أه . وسأذكر من تفصيل أحواله إجمالاً جميلاً مقتصراً على ما هو أقوى وأقوم قبلاً .

### بداية حاله في حال بدايته

كانت سيماء السعادة في أيام الصبا عليه ظاهرة وأنوار الهداية في أسارير وجهه باهرة . ( نقل ) بعض أقاربه الكرام أنه قَدَسَ اللهُ سرَّهُ لم يقبل حين ولد ثدي والدته حتى طهرت من النُفاس . ( وكان قَدَسَ اللهُ سرَّهُ ) يقول : إني حفظت كلاماً كنت سمعته وأنا ابن سنة .

( وقال قَدَسَ اللهُ سرَّهُ ) إني منذ كان عمري ثلاث سنين وأنا في الحضور مع الله تعالى حتى كنت أذهب الى المكتب وأقرأ عند الشيخ وقلبي معلق مع الله تعالى وكنت أحسب أن جميع الناس كذلك . ( لقد ) خرجتُ زمن الشتاء الى الصحراء ففاصت قدمي من النعل في الطين - وكان الوقت شديد البرودة - فباهتمت بنزعم قدمي ففعلت عن الله تعالى بهذا المقدار . وكان ثمَّ رجل يحرق على بقر فجعلت ألوم نفسي وأقول لها انظري الى هذا الحراثت على ما هو عليه من العمل لم يفعل عن الله عز وجل . ولاغرو إذ كان جده لأبيه الإمام الجليل الشيخ محمد النامي وهو من أعظم أصحاب القطب الكبير أبي بكر محمد بن

إسماعيل القفال الشاشي . وتربى في حجر خاله علامة وقته وبركه عصره الشيخ إبراهيم الشاشي قدس  
الله أسرارهم .

(وقال قدس الله سره) أول ما كتب لي خالي للتعليم هذا البيت :

بواطن أهل الله مثل ظواهر فطوبى لمن أبى الخفيات تحقيقاً

ثم لم يالك جهداً في أن أتعلم حتى أرسلني من تاشكند الى سمرقند رجاء ذلك . فكنت كلما ذهبت الى  
الدرس أصابني مرض يمنعي عنه . فذكرت له حالي وإنك إن كلفتنني بالتحصيل ربما أموت . فتوقف  
وقال : "يا ولدي أنا أعلم حقيقة حالك فإذهب وافعل ما تريد" . وأردت أن أقرأ يوماً فرمدمت عياني ولم أزل  
كذلك خمسة وأربعين يوماً فحينئذ تركت ولم أصل في القراءة إلا الى المصباح في النحو .

(وقال قدس الله سره) بت أيام الطفولة عند ضريح الشيخ أبي بكر القفال رضي الله عنه فرأيت في  
المنام سيدنا عيسى عليه السلام فأهويت الى قدميه الشريفتين لأقبلهما . فرفم رأسي وقال لي "لاتحزن  
فانا أربيك" . فقصصتها على بعض الفضلاء فعبرها بعلم الطب فلم أرض بهذا التعبير . وقلت له تعبيرها  
عندي أن عيسى عليه السلام مظهر الأحياء وكل من نال هذا المقام من الأولياء يُقال له عيسوي ، وإذ  
تعمدني بالتربية فلا بد أن أتلك مقام إحياء القلوب . فلم ألبث أن أعطاني الله هذا المقام .

(وقال قدس الله سره) رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في البداية ليلة عند ذيل جبل عظيم عال  
ومعه جم غفير فأمرني أن أحمله فأصعد به الجبل . فحملته الى أعلى على عنقي فأعجبته ، وقال لي صلى  
الله عليه وسلم "إني أعلم أن لك هذه القوة غير أنني أحببت إظهارها للناس" .

(وقال قدس الله سره) رأيت في البداية سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه ليلة قد جاء وتصرف في  
باطني ثم ذهب فتبعته ، فلما أدركته التفت اليّ وقال بارك الله بك .

(وكانت) يغلب عليّ وهم قوي بحيث لا أقدر أن أخرج وحدي ليلاً . فورد عليّ ليلة وارد قوي اضطرنني  
للخروج من الدار وكانت ليلة مظلمة . فخرجت حتى أتيت ضريح الشيخ أبي بكر القفال رضي الله عنه ثم  
ذهبت لزيارة أكثر قبور الصالحين . فذهب وهمي من حينئذ حتى إنني خرجت ليلة لزيارة الشيخ كوي  
عارفان قدس الله سره ، فجلست عند قبره المبارك وكان في مكان بعيد منحرف عن الطريق - وكان يومئذ  
في تاشكند مجنون هائل الصورة بشييم المنظر مزعج الصوت معتاك تخافه الناس جداً حتى عدا مرة على  
شخص فقتله . فبينما أنا جالس ثم للمراقبة إذ حضر ذلك المجنون وجعل يصيح بصوت كريحه أن اخرج من  
ذلك المكان . فلم ألتفت اليه فقطع من شجر هنالك حطباً وجعله حزمة وأتى بها ليوقدها من السراج  
المعلق على الضريح ويلقيها على رأسي . فبحكمة الله تعالى ثارت نسمة فأطفت السراج ، فزاد جنونه  
وأخذ يشتمني أقبح شتم ، ولم يزل كذلك حتى مطلع الفجر . كل ذلك ولم أخف منه ولم أكثر به ولا حصل  
لي تفرقة أصلاً . ثم مضى فأتى السوق فأغتال شخصاً فأخذه فقتلوه .

وعن نجله أن الشيخ كلان قدس الله سره أن عمته (قال) وكانت من النساء العارفات أخبرته أن الشيخ  
رضي الله عنه كان في بداية حاله وهو في تاشكند إذا حصل له قبض يخرج ويدخل من باب الدار ، وكما  
خرج بصورة يدخل بصورة أخرى ويكرر ذلك نحو عشر مرات . فكان كلما دخل بصورة فزع منه النساء اللاتي  
في البيت حذراً من أن يكون أجنبياً ، فيبتسم من ذلك فيذهب قبضه .

## ومن نحلته في رحلته

رحل قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ من تاشكند الى سمرقند فصحب بها الفوئ الأعظم الشيخ نظام الدين الخاموش مدة . ثم قصد بخارى وكان وقتئذ سنّه إثنين وعشرين سنة . فلقني خلال طريقه العارف الكبير الشيخ سراج الدين الپيرمسي في پيرمس (وهي بباء فارسية فتحثية فراء مهملة فميم فسین مهملة) قرية من قرى وابكن على أربعة أميال من بخارى . ولقد رأيته يشغل كل نهاره بالفخار فاذا أقبل الليل جلس في مصلاه جلوس التشهد فلا يتحوّل من جهة الى جهة أصلاً الى الفجر . وكان من المتضلعين في العلوم كلها . أه . (ثم) بعد أن أقام عنده سبعة أيام قدم بخارى فصحب بها الإمام الكبير الشيخ حميدالدين الشاشي والقطب الشهير الشيخ علاءالدين الفجدواني . وكان من كبار أصحاب سيدنا شاه نقشبند قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُما العزيز .

(يقول نَوَّرَ الله مرقده) كان الشيخ المشار اليه يغلب عليه الإستغراق والغيبة حتى كان يغيب في غضون الكلام . وكان حسن الحديث حريصاً على الذكّر والمجاهدة لقيته وقد بلغ التسعين بتقديم الفوقية . فكننت أكثر من زيارته وذهبت مرة لزيارة ضريح سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه ماشياً ، فلما رجعت استقبلني الشيخ في نصف الطريق فقال : حسبت أنك تبيت ثم فأتيت لأجلك . فعدت معه الى الزيارة حتى إذا صلينا العشاء قال لي : هلمّ نحيا هذه الليلة . ثم جلس متوركاً الى طلوع الفجر ولم ينتقل من جنب الى جنب ولا يتأتى مثل هذا الثبات إلا بحضور تام ومشاهدة كاملة وإلا فليس هذا في طوق البشر لاسيما مع كبر السن .

وأما أنا فقد تعبت من كثرة المشي ولم يسعني إلا موافقته في الجلوس . فأقمت مثله الى نصف الليل ثم عجزت فقممت وجئت عنده فجعلت أهمزه ليزول عنّي النوم والكسل . فلما شرعت بذلك قال : أتخفيفاً لأثقالني ؟ فقلت : بل لم أطق الجلوس فأردت أن أخفف عن نفسي وأستريح . وكننت في بداية أمري على غاية من الإضطراب حتى صحبتته فتبدّل الإضطراب بالتمكين . (وكننت) أظن أن مراد المرید موقوف على التفات الشيخ ، فلما صحبتته قال لي عليك بدوام الذكّر والسعي فيه . فإن كل ما يصل بلا مشقة لا بقاء له فابذل الجهد في المجاهدة وتحمل المشاق الزائدة . أه .

(ثم) ذهب الى هراة فلقني بها كبير العارفين السيد قاسم التبريزي قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ وهو من كبار أصحاب سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه .

(يقول قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) صحبت مشايخ كثيرين فلم أر أعظم حالاً منه ولا أكبر ، فإن كل ما حصلته من غيره لم أجده شيئاً بالنسبة الى ما نلت منه . وكننت إذ رأيته أشهد جميع الكائنات تطوف به ثم تدخل في باطنه وتتلاشى . فكننت أتى كل يوم الى بابه ولأدخل عليه إلا في كل يومين أو ثلاثة مرّة . فكان الناس يعجبون لذلك ويقولون لي كيف يكون قد أذن لك بالدخول ولا تدخل ولو أنه أذن لنا لما خرجنا من عنده . وكان يحتجب فلما وصلت اليه أمر حاجبه أن لا يمنعني في أي وقت ما أتيت .

(وسألني) أول مالقيته : ما اسمك ؟ فقلت : عبيدالله . فقال : عليك التحقّق باسمك ، وقال لي ، أتعلم لم لا تظهر المعارف والحقائق في هذا الزمن ؟ لأن ظهورها موقوف على التصفية وهي موقوفة على حلّ الطعام فلما فُقد فُقدت فلم تظهر المعارف وكيف تظهر من القلوب الساهية المظلمة الالاهية .

(ورأيت ليلة) كاني في طريق واسم عظيم يتشعب منه طرقت عديدة كلها ضيقة ورأيت الشيخ زين

الدين الخوافي واقفياً على طريق من تلك الطرق ، فجاء وأخذ بيدي وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "السماع أهل لأهل الله" . ثم أحب ان يذهب بي الى قريته فما مال قلبي اليه . فبينما نحن كذلك إذ طلعت علينا مولانا السيد قاسم قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ من طريق واسع راكباً على فرس أبيض فقال لي هذا الطريق يوصلك الى المدينة فلم أوصلك اليها ، وأردفني خلفه ومشى على ذلك الطريق .  
(ونقل) عن الشيخ فتح الله التبريزي أنه قال : صحبت حضرة السيد قاسم قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ وبي ميل عظيم لتحصيل علم التصوف حتى كنت أتفكر في بعض الأوقات في مسألة واحدة من العشاء الى الفجر . فبينما أنا جالس عنده يوماً قال لي " ذكر كلام القوم وحكاياتهم وإن كان فيه فوائد جملة إلا أن باب المقصود لا يفتح بمجرد القيل والقال والسماع ، بل هو موقوف على الخدمة والرياضة والمشقة والممة . فإن شئت أن تنال ما ناله الأولياء فتمسك بأذيال هذا الشاب" . وأشار الى الشيخ عبيدالله "فإنه أعجوبة الزمان وعن قريب يستنير العالم بنور سره وتحيا القلوب الميتة حياة أبدية ببركته" . فما زلت أتقرب ذلك حتى أتى في عهد السلطان أبي سعيد الى سمرقند فذهبت لزيارته غير مرة وشاهدت منه أكثر مما قاله السيد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ .

(ولقي) في هراة أيضاً الإمام الجليل الشيخ بهاء الدين عمر الخراساني قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ يقول ما أعجبني من بين أحوال مشايخ خراسان إلا حال الشيخ عمر وطوره . فإنه كان يجلس لملاقات الناس يومه كله وكل من أتى عنده كلمه بما يوافق حالته وعقله وصناعته ولا يميز نفسه عن إخوانه إلا في الرياضة فقط .  
(ثم) صحب سيدنا الشيخ يعقوب الجرجي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . (يقول نور الله مرقداه) لما سمعت به وأنا ذاهب الى بخارى عزم منصرفي منها على زيارته . فوصلت الى جفانيان فمكثت بها مريضاً عشرين يوماً ، وكان أهلها ينكرون على الشيخ فصاروا يفتابونه عندي . فضعف إعتقادي به من كلامهم ثم قلت في نفسي إنني جئت من مسافة بعيدة فلا ينبغي أن أرجع قبل لقائه . فذهبت اليه فالتفت الي التفتاتاً تماماً ثم ذهبت في اليوم الثاني فغضب غضباً شديداً ، ففهمت تلويحاً أن ذلك من الإصغاء لكلام المنكرين والعزم على ترك زيارته . فلما سكت عنه الغضب عاد الى التفتات السابقة وجعل يذكر سبب إجتماعه بسيدنا شاه نقشبند ومد يده الي وقال : بايعني فتوقفت عن أخذها لبياض كان في جبهته كالبرص . فلما شعر بذلك قبض يده ثم ظهر على طريقة الخلع واللبس بصورة حسنة مهابة فزال عني إختياري ثم مد يده وأخذ بيدي وقال : قال لي الشاه نقشبند حين بايعني يدك يدي فممت أخذها فقد أخذ يدي فأنت أخذ بيد الشاه نقشبند فبايع ولا تتوقف . فبايعته ثم علمني طريق الخواجكات بالنفي والإثبات وهو المسمى بالوقوف العددي . وقال : هذا ما وصل الي من حضرة الشاه نقشبند وإن شئت أن تربى الطالبين بطريق الجذبة فلك الخيار .

(وروي) أن بعض أصحاب الشيخ يعقوب قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ قال له الآن لقتته الطريق وتخيره في تربية السالكين بين الجذبة والذكر فكيف هذا ؟ فقال هو رجل كامل لا يحتاج إلا الى الإذن فإن الله أعطاه غاية القوة ومن أراد أن يجيء عند الشيخ فليكن مثل هذا . فإن الأسباب فيه موفرة والمعدات مستحضرة هيا السراج والفتيلة والزيت وترقب الكبريت .

### ومن تفرده في تجرده

(قال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) كنت على عهد ميرزا شاه رخ في هراة لأملك فلساً حتى مررت يوماً في سوق

الملك فأتاني سائل يسألني صدقة تجاه دكان طباخ . فأتيت الطباخ فأعطيته عمامتي ، وكانت قد تمزقت كل ممزق حتى صارت كالفتايل وقلت له : "إغسل بهذه القدر وأطعم هذا السائل" . فأطعمه ورد إلي عمامتي ، فما قبلتها ومضيت .

(وكنت) أوائل السفر الى هراة في الشتاء مع مولانا مسافر قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ وكان من أصحاب حضرة مولانا شاه نقشبند رضي الله عنه في خلوة واحدة لها باب الى الطريق وأرض الطريق أعلى منها . فكان إذا نزل المطر تمطليء من ماء الطريق وطينه وثيابي رقيقة جداً لاتدفع البرد ، فأكابد من ذلك مشقة عظيمة . وبقيت في هراة خمس سنين في صحبة الشيخ بهاءالدين عمر فما ذقت من عنده شيئاً إلا مرتين . مرة كانت عند وليمة ومرة كان صائماً فأفطر على تفام فأعطاني قسماً منه .

(قال) وكان في هراة رجل رئيس الصيَّام والصيَّارفة ومحباً للسادة الخواجكان قد تلمذ للشيخ محمد پارسا ، فبلغه أنني لاأكل من طعام أحد في هراة احتياطاً . فجاءني مستهل شهر رمضان وحلف علي بالطلاق أن لاأكل إلا عنده . فحذراً من وقوم الطلاق عليه صرت أكل من بيته . وكان على غاية من الأدب والشفقة والخدمة ولم يكن لي وقتنذ قدرة على مكافاته . فلما أقدرنى الحق تعالى كان توفي فأرسلت الى ولده عشرة آلاف دينار وغيرها .

(وكان قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) لايقبل هدية أحد أصلاً حتى أن الرجل الصالح العديم النظير الشيخ أحمد الكاريري -أحد خواص العارف الشهير الشيخ سعدالدين الكاشغري قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ- أهدى إليه بعد إنتقال الشيخ جبة من صوف أبيض رقيق وكانت من مال حلال . فقال هذه هدية رجل صالح كان ينبغي أن ألبسها غير أنني الى هذا اليوم لم أأخذ من أحد شيئاً ولا قبلت هدية أحد . فاعتذروا لي منه ، ثم ردها مع هدية منه اليه .

### من إخفاء أحواله في إنماء أمواله

(قال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) كنت أتردد وأنا متجرد في هراة لزيارة السيد قاسم التبريزي كثيراً فكان إذا أكل الطعام يعطيني سؤره ويقول لي : "ياشيخ زاده ستصير دنياك قبابك" وكنت يومئذ لأملك شيئاً ، إنتهى .

وكان الأمر كما بشر . فإنه لما خرج من تاشكند مع خاله الى سمرقند كان سنه عشرين سنة فبقي أربع سنوات يختلف الى المشايخ من أهل ماوراء النهر . ثم عزم على هراة فأقام بها خمس سنين . ثم عاد الى وطنه وسنه تسع وعشرون سنة واختار الإشتغال بالزراعة ، فما تيسر له الأفدان من بقر شركة شخص آخر . فبارك الله في زراعته حتى نمت نمواً عظيماً . (قال) صاحب "الرشحات" ولقد سألت مرة بعض خدامه عن عدد أماكنت زراعته فقال هي أكثر من ألف وثمانمائة مزرعة . (ونزلت) يوماً في قرية (قرش) عند عامل زراعته ، فسألته عن عدد مزارعه . فقال لي أنا عامل مزرعة واحدة من ألف وثلاثمائة مزرعة . فسألته عن عدد فدادين المزرعة فقال ثلاثة آلاف فدان .

### من رأفته العامة للخاصة والعامة

(قال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) نزلت في سمرقند في مدرسة قطب الدين الصدر ، فوجدت فيها أربعة في الحمى . فجلعت أخدمهم وأغسل ثيابهم وأمتعتهم فمن فرط المشقة أصابتني الحمى ، واني ذات ليلة وأنا في الحمى أتيت بأربع جرار من ماء وغسلت لهم الأثواب والبسط ولم أترك خدمتهم . (وكنت) وأنا في هراة أذهب الى حمام الشيخ عبدالله الأنصاري ، فأخدم الناس فيه لأميز بين الحر

والعبد ، والغني والفقير في الخدمة حتى إني دلّكت يوماً ستة عشر نفراً وماأخذت من أحد شيئاً أصلاً . وإن السادات كانوا ينظرون الى الوقت فيعملون بمقتضاه ويشغلون بالذكر والمراقبة حيث لم تكن خدمة لأحد . فإذا احتاج مسلم لخدمة أثروها وذلك أن الخدمة سبب لقبول القلوب وهو مقدّم على الذكر والمراقبة . وظن بعض الناس أن الإشتغال بالنوافل أولى من الخدمة وليس كذلك . فإن نتيجة الخدمة المحبة وميل القلوب لأنها جُبلت على حبّ مَنْ أحسن إليها وفرّق بين ثمرة النوافل وثمره الخدمة . ولهذا كان سيدنا شاه نقشبند وأتباعه قدّس الله أسرارهم لايقبلون خدمة أحد بسهولة ، لأن الخدمة والتواضع من الإحسان وحب المحسن أمر جبليّ وعلى قدر حبه يكون التعلّق به . والتعلّق حجاب فلايريدون التعلّق بأحد بوجه من الوجوه ، بل كانوا يسعون في أن يخدموا ولايستخدموا .

(يقول حضرة الشاه نقشبند رضي الله عنه) ماأخذت هذا الطريق من الكتب بل من الخدمة وهذا فائدتها . ويقول كل أحد يدخل من باب وأنا دخلت من باب الخدمة ، فمن أحبه أمره بالخدمة وأنشد بالفارسية بيتاً معرّبه :

الى شرفات العرش يوصلك الخدم فاسلم منها مارقتُ سلماً قدم

(وكان قدّس الله سرّه) شديد المراعاة للأداب الظاهرة والباطنة في كافة أحواله وأحيانه خلوة وجلوة . فقد قال أبو سعيد الأوبهي رحمه الله تعالى إني صحبته خمساً وثلاثين سنة لم أفارقه قط فماريته تلك المدة إذا أكل عنباً أو تفاحاً أخرج من فمه نواة أو قشرة ولا رأيته تتأب أو إستنثر أو أخرج من فمه بصاقاً أو صدر عنه مما يكره . وكذلك قال صاحب "الرشحات" قدّس سرّه وأنه لم يره يجلس متربحاً قط لا في خلوة ولا في جلوة .

### ومن آثاره في إيثاره

نُقل أنه توجه بأصحابه أيام الربيع الى بلاد (كش) فلما أقبل الليل نزل قرب الجبل ولم يكن معهم إلا خيمة واحدة فضربت له . فما لبثوا أن جاءت السماء بماء منهمر وذلك بعد العشاء . فخرج قدّس الله سرّه من الخيمة وقال لأصحابه ادخلوها فإن لي شكاً في طهارتها وشدد عليهم فدخلوها وبقي قدّس الله سرّه ظاهر الخيمة والمطر تصب فوق رأسه حتى طلّم الفجر . فبعد صلاة الفجر أسرّ الى بعض أصحابه إني إستحييت أن أستظل في الخيمة وأصحابي تحت المطر .

(وخرج) يوماً في شدة القيظ الى مزرعة وماكان عند الزرام إلا خيمة واحدة فنصبت له . فقبل أن يشتد الحرّ خرج فركب فرسه وقال لأصحابه اجلسوا إني أريد أن أنظر الى الأرض وزرعها . فجعل يدور هكذا وهكذا وإذا اشتد عليه الحرّ يأوي الى بعض المغارات وربما كان رأسه في الظل وجسده في الشمس . ولم يزل كذلك حتى برد الهواء فرجع الى أصحابه وقد علموا انه لم يقصد بذلك إلا إراحتهم وإيثارهم .

### ومن كراماته في كلماته

(قال قدّس الله سرّه) في قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) كمال الحمد أن يحمّد العبد ويعرف أنه لا حامد إلا هو تعالى وأنه هو عدم محض لا رسم له ولا اسم ولا فعل ، وإنما يبتهم سروراً بكونه تعالى جعله مظهراً لصفاته .

(وقال) في قوله تعالى (وقليل من عبادي الشكور) الشكور في الحقيقة مَنْ يشاهد المنعم في النعمة . (وقال قدّس الله سرّه) في قوله تعالى (وأعرض عمن تولى عن ذكرنا) أي أعرض عمن إستغرف



واستهلك في ذات الله تعالى . فلا يذكره وإن حصل له فتور في الشهود فلا تكلفه بالذكر . أه .  
(قلت) واليه يشير ختم الأولياء المحمديين الشيخ الأكبر محي الدين رضي الله عنه بقوله :

بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب  
وترك الذكر أفضل منه حالاً فبات الشمس ليس لها غروب

(وقال قدس الله سره) في قوله تعالى (وكونوا مع الصادقين) هذه المعية إما حسية : وهي مصابيحهم  
ومجالستهم ، فمنت داوم على ذلك نور الله قلبه بانوار باطنهم وأنعم عليه بالتحقق من أخلاقهم . وإما  
معنوية : وهي أن يكون متوجهاً لروحانيتهم رابطاً قلبه بهم بحيث يكون مستحضراً لهم غيبة وحضور .  
فإنه إذا أحكم هذا الارتباط القلبي انعكس عليه جميع أسرارهم . أو المراد من هذا الأمر الواجب الإمتثال أن  
الطالب ينبغي أن يربط قلبه بالصادق وهو من تنزه عن الغير والسوا . يُقال رمح صدوق أي لا إنحراف فيه  
ولا إعوجاج . أي فلا ينبغي أن يلتفت الى شيء آخر حتى التجليات الأسمائية والصفاتية . أو المراد كُن عاشقاً  
واصحب العشاق لا غير . فإن كان أستاذك نحوياً فلا بد أن تصير نحوياً أو محوياً فمحوياً :

جليس إمام النحو يرتقي وصاحب قيس المحو يبرم في المحو

لأن الله تعالى قد أعطى الإنسان صفة التأثير والتأثر بالصحة . فلا عمل أنعم ولا أجذب للأحوال منها  
بدليل جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلات .

(وقال) في (لا إله إلا الله) بعض الأكابر هي ذكر العوام (الله) ذكر الخواص وهو ذكر خواص الخواص .  
وعندي أن (لا إله إلا الله) ذكر خواص الخواص لأنه لا نهاية لتجلياته تعالى ولا تكرار فيها . ففي كل أن ينفي  
صفة ويثبت صفة فلا يخلو أيد الأبدان من نفي وإثبات . (وقال قدس الله سره) في قوله تعالى (قل الله)  
المراد أن يكون العبد متوجهاً الى الذات البحث لا إلى الصفات . (وقال قدس الله سره) في قوله تعالى  
(يا أيها الذين آمنوا آمنوا) أي يأيها الذين ربطوا قلوبهم بالله تعالوا آمنوا إن هذا منه تعالى لا منكم .  
(وقال) في قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) يحتمل أن يكون  
قوله تعالى ظالم لنفسه إشارة الى من من نفسه عن اللذات وما أعطاها مرادها في جميع الأحوال ، فصار  
مستعداً لقبول الفيض الإلهي . وحينئذ يكون مقدماً على المقتصد وهو مقدم على السابق . أه .

(قلت) ذكر هذا المعنى ختم الأولياء المحمديين الشيخ الأكبر محي الدين رضي الله عنه وفرق بين  
الظالم لنفسه والظالم نفسه . واستدل لأول هذه الآية وللثاني بقوله تعالى (بل كانوا أنفسهم يظلمون)  
فقد ظلم نفسه وإن الأول سعيد والثاني ضده .

(وقال قدس الله سره) في معنى قوله تعالى (لمن الملك اليوم) يحتمل أن يكون المراد بالملك قلب  
السالك . فإنه إذا تجلى الحق تعالى على قلبه بالتجلي القهري يمحو منه الغير والسوء والسوا فلا يبقى فيه  
إلا هو . فلا جرم يسمع في هذا القلب (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار . وسبحاني ما أعظم شأني . وأنا  
الحق . وهل في الدارين غيري) ونحو ذلك من هذا المقام . (وقال قدس الله سره) يوماً لأصحابه لم  
لاتدخلون الأسواق وتعملون عملاً ينفع الناس فاسعوا ليحصل لكم شهود الأهمية في الكثرة . فقد قال  
بعض المشايخ في معنى قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) أي أعطيناك شهود الأهمية في الكثرة . (وقال  
قدس الله سره) في خلال الكلام على تفسير قوله تعالى (كل يوم هو في شأن) أن للبقاء بعد الفناء  
معنيين : أحدهما أن السالك بعدما يتحقق ويتمكن في شهود الذات ويرجم من الإستغراق والغيبة الى  
الحضور والحس يصير مظهر تجليات أسماء الأفعال ، ويجد في نفسه آثار الأسماء الكونية ويميز بينها

ويحصل له خط خاص من كل اسم . ثانيهما أن يجد في نفسه في كل أن وجزء لا يتجزأ من الزمان أثراً من الآثار الذاتية التي لا توجد في خارج الأعيان أننا فأننا يشاهد هذه الآثار المتنوعة الملتوية في نفسه . وباعتبار اختلافها يميز أزمتهما وهذا نادر لا يكون إلا قليلاً وأهله في كل زمان على غاية العزّة وكل يوم هو في شأن تؤيد ما ذكرنا .

(وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) في معنى حديث (سَدُوا كَلَّ خَوْخَةَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ) قال المحققون أنه كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه كمال النسبة الحبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأشار بهذا الحديث الى أن جميع الطرق مسدودة لا توصل إلا طريق الحب . والمراد من الرابطة محبة الشيخ المستحق للمشيخة وطريق السادة النقشبندية المتصل بأبي بكر رضي الله عنه مبني على هذه المحبة فما هو إلا حفظ هذه النسبة . (وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) في قول علي رضي الله عنه "لو كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا زِدْتُمْ يَقِيناً لَوْلَا إِمْتِنَانُ الثَّانِي لِإِمْتِنَانِ الْأَوَّلِ" . فيكون اليقين دائم الإزدیاد لأن كشف الغطاء لا يمكن ، إذ ثبت عند المحققين أن الذات لا تنكشف إلا في تجلّي الصفات أي لا تظهر إلا في مظهر . فلما لم تنكشف الذات كما هي ، فلا جرم أنه يكون اليقين في إزدیاد . (وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) في معنى قول أحد الأكابر "لو أقبل صديق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فما فاتته أكثر مما ناله" . إن هذه الطائفة تصل الى مقام تتضاعف فيه كمالاتها السابقة كل نفس . ومنه ما حُكي أن بعض المحبوبين ذكر عند الخليفة أنه ظهرت طائفة من الزنادقة قد ظلوا فإن تأمر بقتلهم تنكأ أجراً عظيماً وتخلص الناس من طغيانهم . فلما أحضروا الى دار الخلافة أمر بقتلهم فأخذ السياف بيد أحدهم ليقتله . فقام واحد منهم وقال له أقتلني أنا أولاً . فلما أخذ بيد الثاني قام آخر منهم وقال بل أقتلني أنا أولاً . فلما رأى مبادرتهم الى القتل عجب منهم وقال : من أي طائفة أنتم فإنكم لمشتاقون الى الموت . قال : نحن من أهل الإيثار وقد وصلنا الى مقام نكتسب في كل نفس ضعف الكمالات السابقة . فكل منا يؤثر الآخر ولو بلحظة من الحياة ليغفم تلك الكمالات . فرغم أمرهم الى الخليفة فلما تحققت أحوالهم تنبّه وقال : إن كان هؤلاء زنادقة فليس لله على وجه الأرض صديق . ثم اعتذر إليهم وأعادهم الى وطنهم بكرامة السلامة وسلامة الكرامة .

(قلت) هذه القصة وقعت لأبي الحسين النوري وجماعته كما تقدم في ترجمة السري السقطي في بحث الإيثار .

(وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) في معنى قولهم "أهل الأحوال يتبرأون من الأحوال" ليس الإستغراق والإستهلاك من أسباب الترقّي إذ تقرر أن الترقّي يكون بالعمل وقد تعطلت المستغرق عن العمل ، وإنما الإستغراق والإستهلاك من الأمور الأخروية ظهر معجلاً . فمن لم يحصل له في الدنيا حصل له في الآخرة على وجه أتم وأكمل . فلهذا يتبرأ أهل الأحوال منها . (وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) كتب الشيخ محمد پارسا رضي الله عنه إن حقيقة الذكّر عبارة عن تجليه سبحانه وتعالى لذاته بذاته في عين العبد من حيث اسمه المتكلم . ولا يكون هذا إلا بذكر دائم في زمن طويل الى أن يحصل له دوام الحضور . فإن زال بعد ذلك عنه هذا الحال فهو ممن أنعم الله عليه . (وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) الصلاة التي هي أفضل الأعمال تختلف باختلاف البقاع . فإنها في أماكن الفسق والفجور غيرها في مواضع العبادة والحضور ، ومنه يظهر كون الصلاة في البيت الحرام بسبعين ألف صلاة في غيره .

(وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) التصوّف أن تحمل أثقال الكلال وتضع أثقالك على أحد لا ظاهراً ولا باطناً . (وقال

قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) للشهود معنيين أحدهما شهود الذات منزهاً عن الظهور في لباس المظاهر . وثانيهما شهوده في المظاهر والمجالي بوصف الوحدة . وتسمية طائفة الصوفية شهود الوحدة في الكثرة ، وهذا مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد البعثة . (وقال قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) عجبت لمن يقول لاتنظر لمن قال وأنظر لمن قال فإن القائل والمتكلم هو الله تعالى في المظاهر والمجالي .

### ومن آدابه لأصحابه

(قال قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) إن أهل الإرادة قليلون جداً ، كتب شيخ عظيم لمثله "إن كنتم تعلمون مريداً فأرسلوه اليّ" . فأجاب "ليس لدينا مريد فإن تريد شيئاً نرسل لك ما تريد" . (وقال قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) قال مولانا ركن الدين الخوافي وكان فاضلاً لا نظير له في عصره محباً لهذه الطائفة : "إنني لأرجو النجاة من أعماله إلا بأمر واحد وهو أنني أتيت يوماً بأحجار لأجل استنجاؤ الشيخ زين الدين بن كلال فمسحتها بخدي أولاً ثم قدمتها له" . (وقال قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) لما أراد الشبلي رضي الله عنه الدخول في طريق الصوفية - وكان أبوه حاكماً في مدينة واسط - تاب وأتاب على يد الشيخ محمد خير النساج . فأرسله الى الجنيد رضي الله عنهما . فقال صاحب كتاب "كشف المحجوب" ما أرسله لكونه ليس له قدرة على تربيته بك رعاية للأدب مع الجنيد إذ كان الشبلي من أقاربه . فأمره الجنيد أن يكتسب ويرد المضالم التي وصلت اليه في زمن حكومة والده الى أهلها من كسبه سبم سنين ، ثم بتطهير الخلاء وتهيئة الأحجار والماء للإستنجاؤ سبم سنين . فبعد أربعة عشر سنة لقنه الذكر وأدخله الرياضة .

(وقال قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) قال بعض الأكابر إن بعد العصر ساعة هي أفضل الساعات فينبغي الإستغفال فيها بأفضل الأعمال . فقال قوم أفضل الأعمال المحاسبة وهي أن يحسب العبد أعماله كلها فما وجد من طاعة شكر الله تعالى عليه وما وجد من معصية إستغفر الله تعالى وتاب . وقال آخرون أفضل الأعمال أن يصحب شخصاً ينتفي ببركة صحبتته عنه كل ماسوى الله تعالى ويميل الى الله تعالى وينجذب .

(وقال قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) في معنى قولهم صحبة الأضداد موجبة للتفرقة . إن أبا يزيد رضي الله عنه وجد يوماً تفرقة فقال لأصحابه : أنظروا هل في مجلسي أجنبي ؟ فنظروا فما وجدوا أحداً . فقال : دققوا النظر فإنه إذا لم يكن أجنبي فكيف حصلت لي التفرقة . فلما بالغوا بالتفتيش وجدوا عصا رجل أجنبي فرموها . فعادت له جمعيتها . (وجاءه قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) رجل من أصحابه يوماً فقال له الشيخ : إنني أجد رائحة أجنبي ، ثم قال للرجل : لقد تحققت الآن إنما منك فلعلك لابس ثوب أجنبي . فقال له : نعم . فخرج ونزع ذلك الثوب ثم رجم وجلس عنده .

(وقال قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) التوحيد عند صوفية هذا الزمان أن يذهبوا الى الأسواق وينظروا الى المرد ثم يقولوا نشاهد الجمال المطلق . فأعوذ بالله من هذا الشهود فإنه لما قدم السيد قاسم التبريزي الى هذه البلدة - يعني سمرقند - كان أصحابه يذهبون الى السوق وينظرون المرد ويقولون مثل ذلك . فكان السيد يقول عنهم أين خنازيرنا أين كلابنا . ففهمت من فحوى كلامه انه كان يراهم كذلك .

(ونقل قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ) عن حضرة سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه قال : رأيت في مكة المكرمة زادها شرفاً وكرامة رجلين أحدهما رفيع الهمة وثانيهما دنياً جداً . أما دني الهمة فرجل رأيت في المطاف قرب الباب ملتزماً جدار الكعبة بصدرة وباسطاً يديه يطلب من الله تعالى غيره . وأما علي الهمة فشاب لقيته في سوق منى قد اشتري وباع بخمسين ألف دينار وماغفل عن الله طرفه عين ولقد خرج الدم مني غيرة منه .

(وجلس) رجا في مجلسه قَدَسَ اللهُ سرَّهُ منكساً رأسه للمراقبة . فغضب منه وقال هكذا جلس رجا في مجلس مولانا نظام الدين -أي الخاموش- قَدَسَ اللهُ سرَّهُ فقال له : "ارفع رأسك فإني أرى الدخان يخرج من فيك فمالك والمراقبة إنما ينبغي لك أن تحمل الماء والأحجار للإستنجاء وتكنس الخلاء سنين عديدة حتى يصير لك استعداد لأن أتكلّم بك . فأين أنت من المراقبة" .

(ونقل قَدَسَ اللهُ سرَّهُ) عن السيد قاسم التبريزي رضي الله عنه أنه قال : "كنت يوماً في مجلس مولانا زين الدين التاييادي ، فجاءه رجا صومياً . فقال له الشيخ : أنت تحبّ شيخك أم الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه . قال : بل أحبّ شيخي أكثر . فغضب مولانا منه غضباً شديداً حتى قال له : يا كلب . وقام فدخلك بيته ثم خرج وقد ذهب عنه الرجا . فقال لي يافلان تعال نذهب الى هذا الرجا الصومى ونعتذر منه . فذهبت معه فوجدناه أثناء الطريق راجعاً الى زيارة الشيخ ثانياً ، فقال له : يامولانا إنما رجعت لأفيدكم حالي . إن لي مدة مديدة وأنا أعمل بأقوال الإمام الأعظم فما زالت عني صفة من الصفات المذمومة . وصحبت هذا الرجا أياماً قليلة فزال عني جميع الخصال المذمومة . فما المانع من أن أحبه أكثر من الإمام . نعم إن كان لايجوز شرعاً أتركه وأتوب منه . فاعتذر اليه مولانا غاية الإعتذار واستحسن رأيه .

(وحدّث بعض أصحابه) يوماً نفسه في مجلسه بأن الشيخ قَدَسَ اللهُ سرَّهُ يتوجه اليّ الآن ويتصرّف بي ، فقال له في الحال : كمال التصرف لا يكون مالم تفتّ فيّ أو أفنّ فيك ، كما قال الشيخ عبدالله الأنصاري رضي الله عنه : "كنت رجلاً فخرجت في طلب عين الحياة فوصلت الى أبي الحسن الخرقاني رضي الله عنه . فوجدتها عنده فشربت منها كثيراً حتى ما بقيت لا أنا ولا الخرقاني" .

(وقال) قال الشيخ أبو سعيد قَدَسَ اللهُ سرَّهُما تكلم سبعمائة من المشايخ على ماهية التصوّف وأحسنها وأتمّها "التصوّف صرف الوقت فيما هو أولى به" . (وقال) قال الشيخ نظام الدين قَدَسَ اللهُ سرَّهُما : ينبغي للشيخ أن يلبس اللباس الفاخر ويظهر للمريدين بصورة جميلة مع العظمة والوقار لنلا يكون محتقراً في أعينهم فتضعف رابطته . فإنه لا سبب لحصول مقصود السالك إلا الرابطة مع الشيخ ، ولذلك أمر صلى الله عليه وسلم بتسريح اللحية وغيره .

(وقال قَدَسَ اللهُ سرَّهُ) سألت أكابر علماء سمرقند أن الإنسان إذا رأى في منامه أن إله قد مات فما تعبيره ؟ فقالوا من رأى أنه مات النبي صلى الله عليه وسلم فيعبّر بتقصيره في متابعتة ، إذ موت النبي موت شريعته وهذا مثله . قال قلت ربما يعبر بأن من كان له حضور مع الله تعالى يزول حضوره وشهوده ، إنتهى .

وقال صاحب "الرشحات" قَدَسَ اللهُ سرَّهُ سمعت مولانا الشيخ نورالدين عبدالرحمن الجامي نور الله مرقدته يقول : "يحتمل أن يؤخذ تعبيره من قوله تعالى -أفمن اتخذ إلهه هواه- بأن الرائي كان متبعاً هواه فمات إلهه أي هواه فتدلُّ رؤياه حينئذ على زيادة الحضور" .

(وقال قَدَسَ اللهُ سرَّهُ) لا أقدر أن أسكن بلدة فيها شريف إذ لا أقدر على أداء حق تعظييمه . فقد روي عن الإمام الأعظم رضي الله عنه أنه قام يوماً في خلال درسه وقعد غير مرة وما علم الحاضرون ماسبب ذلك حتى سأله بعضهم . فقال غلام من الشرفاء يلعب بين هؤلاء الأطفال . فكنت كلما وقم بصري عليه أقوم إجلالاً له وإذا غاب عني أجلس .

(وقال قَدَسَ اللهُ سرَّهُ) المكرُّ مكرات : مكرُّ بالعوام وهو أن ينعم الله على العبد مع إستغراقه في

القصور . ومكرٌ بالخواص وهو إبقاء الوجد والأحوال عليه مع تركه للأدب . (وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) لو أن صوفياً صاحب وجد وحال مشى في طريقه فوجد فيه كلباً فأقامه حتى يمشي مستريحاً ولم يتغيّر حاله بعد هذا الفعل ، فليعلم أن هذا مكر من الله تعالى . (وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) متى وجدت من صحبة أحد جمعية خاطر والتوجه الى الله تعالى فدمع الذكر إذ المقصود منه حصول النسبة وقد حصلت .

(وقال) مادمت تشير بالهاء وهو والدروف فأنت عبد الحروف لاتنتج شيئاً فاجهد في أن ترفع الغبار وحجب الأعيان من طريقك وتصير عبداً تذكره بلا هاء ولا واو . (وقال) إن حصل لك حضور بصحبة أحد فطريق حفظه أن تحتجب مايكرهه . (وقال) ينبغي لمن أراد المجيء عند هذه الطائفة أن يجيء بالإفلاس التام ظاهراً وباطناً لا الغنى لئلا يحرم من بركاتهم . (وقال) حاصل هذه الطريقة العلية الإقبال على الله تعالى دائماً إقبالا لا تكلف فيه .

(وقال) قيمة المرء بقدر إدراكه حقائق القوم . وكان يتكلم يوماً بالحقائق والمعارف والدقائق وكان أحد أصحابه متوجهاً بكليته الى إستماع كلامه . فقال له أنت تحب الكلام فقط ولا يفتح باب المرام بإستماع الكلام بل اعمل بما تسمع ينفعك .

(وقال) إذا زال لون النقوش الكونية من مرآة المدركة فما ثم إلا الذات . (وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) دفع الخواطر الرديئة والمقتضيات الطبيعية لا يحصل إلا بأحد أمور ثلاثة . أولها : أن يشتغل بما قرره السادات في الطريقة العلية مع اختيار رياضة طريقتهم ومجاهدتهم . ثانيها : أن لا يرى لنفسه حولاً ولا قوة بحيث يتحقق أنه لا يقدر أن يزيد حجاباً مالم يزل عنه تعالى . فيتضرع اليه سبحانه وتعالى حتى يخلصه من الحجب . ثالثها : أن يكون متوجهاً الى شيخه يستمد منه ويعتقد أنه لا يقدر أن يتوجه الى الله تعالى إلا بواسطته . وهذا أقرب الطرق وأسهلها وأحسنها . ولا بد أن يصل من هذا الطريق الى المقصود الأصلي الحقيقي .

(وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) تقليد الطعام والمنام في البداية يحرق الدماغ ويحرم من إدراك المعارف الإلهية والحقائق . ولهذا يقيم الغلط في كشف بعض أهل الرياضة . وأما صاحب السرور والإنبساط فلا يتضرر بالسهر ولا يجف منه دماغه . فقد ذكر الشيخ علاء الدين الفجدواني نور الله مرقدته أن سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه جاء الى الطوائسي يوماً ومعه نفر من أصحابه . فلما غربت الشمس أمر الشيخ محمد الخياط والشيخ محمد الطوائسي - وكانا من المخلصين - أن يأخذا مَتَّ معه اليهما ويخدماهم . وجلس بعد صلاة المغرب على مكان مرتفع ثم طلب الطوائسي فسأله عما هياه للأصحاب ، فقال : مرادي أن أقدم لهم دجاجاً وأرزاً . فقال : أحضر الدجاج لأنظر اليه أهو سميت أو لا . فلما حضر جعل يمسه بيده المباركة ويقول (مليح . مليح) وقال لمن معه : اذهبوا الى بيت أخيكم وكلوا وناموا واحضروا لي في وقت الفجر . (وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) البعد الصوري لأهل الرابطة لا يمنم القرب المعنوي .

### بوارقه وحوارقه

(روى) الشيخ ناصر الدين الأتراري - وكان من أجل أصحابه - عنه قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ أنه قال : "رأيت في المنام قائلاً يقول لي سيكون للشريعة المحمدية بامدادك ترويح عظيم وقوة كاملة" . فلما استيقظت وقع في قلبي أن هذا لا يكون إلا بإعانة الملوك . قال فلماذا تحول قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ الى سمرقند مقر السلاطين وذلك في عهد السلطان عبدالله بن مرزا شاه رخ - وكنت في خدمته . فلما

وصل اليها جاء رجل من أمراء السلطان لزيارته فقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ له : إنني أتيت لملاقاة السلطان ، فلعلك تكون وسيلة لهذا الأمر فتناك تمام الثواب والأجر . قال : إن سلطاننا رجل شاب مستغن عن الكل وملاقاته لاتخلو من عسر ولاينبغي للمشايع مثل هذا الأمر . فقال له وقد ظهر عليه الغضب : أنا ماجنت إلا بأمر الله وإن لم يأت سلطانك يأت غيره إن شاء الله تعالى . ثم لما إنصرف الأمير من عنده كتب قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ اسم السلطان على الجدار بالمداد ومسحه بريقه الأطهر ثم قال لأصحابه : هلمّ نرجع الى تاشكند الى أن يأتي سلطان آخر . فرجعوا ذلك اليوم فبعد أسبوع مات ذلك الأمير ولم يمض شهر إلا وجاء السلطان أبو سعيد من أقصى بلاد التركستان وقتل السلطان عبدالله مرزا وجلس على سريه .

(وقال) أحد أجلاء أصحابه : كنا في الفرقة ذات يوم جالسين في حضوره قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ فدعا بدواة وقرطاس وكتب أسماء كثيرة ، ثم كتب اسم أبي سعيد في كاعد مخصوص ووضع في عمامته ، فقبل له : من هذا الذي وضعت اسمه في عمامتك ؟ فقال : هذا رجل أنا وأنتم وأهل تاشكند وسمرقند وخراسان سنصير من رعيته . فبعد برهة بلغنا خبر توجه السلطان أبي سعيد من تركستان الى سمرقند ولم يكن أحد سمع من قبل ذلك باسمه . قال وكان أبو سعيد قد رأى في المنام الإمام الكبير سيدنا الشيخ أحمد اليسوي -وهو من أعظم خلفاء الغوث يوسف الممداني- يشير الى الشيخ عبيدالله قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ أن يقرأ الفاتحة على نية إمداده ونصره . فسأله عن اسم الشيخ فأخبره به . فاستيقظ وقد وعى صورته واسمه . فاستحضر رجلاً من أهل تاشكند فقال : أ يوجد في بلادكم رجل اسمه عبيدالله عزيز الوجود . فقال له : نعم . فقصده الى تاشكند فلم يجده فتوجه الى الفرقة فلما دنا منها خرج الشيخ قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ لملاقاته فلما راه عرفه وترجّل في الحال وقال : والله إن هذا هو الذي رأيته في المنام . ثم أقبل وقبّل يد الشيخ ورجله . فرحّب به قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ والتفت اليه إلتفاتاً تاماً فأنجذب قلب السلطان اليه ثم سألته قراءة الفاتحة ، فقال له : الفاتحة تُقرأ مرة واحدة . فاستأذنه بالتوجه الى سمرقند . فقال له : إن كنت تريد نصرة الشريعة المطهرة والعدل بيت الرعية فبسم الله والفتح معك . قال : إن أريد إلا ذلك . قال : فاذهب فأنت في عصمة الله وقد حصل المراد ثم إذا لقيت العدو فصابره حتى تأتي قطعة من الطير الغرابيب من ورائكم فعند ذلك هاجمه تظفر به .

فلما التقى الجمعان كانت الغلبة أولاً لجيش عبدالله مرزا لكثرتهم وقلة أولئك . فالتفت أبو سعيد ورأه فرأى الغرابيب مقبلة . فزحف على العدو فهزّمه وسقط فرس عبدالله مرزا في الطين فأدركوه فقتلوه . فاستولى السلطان أبو سعيد على ملكه ثم استدعى الشيخ قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ الى سمرقند . فجاء اليها وأقام بها هو وأصحابه قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ .

(وبلغ) السلطان أبا سعيد أن مرزا بابر حفيد شاه رخ قصد من خراسان بمائة ألف فارس لياخذوا ثار عمه ويستخلص ملكه . فذكر ذلك للشيخ رضي الله عنه وشكا من قلة عدده وعدده . فقال له لاتخف . فلما قرب مرزا بابر من سمرقند استشار أبو سعيد أمراءه فأشاروا اليه بالرجوع الى تركستان . فتهيأ للرحيل فلما بلغ الشيخ قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ ذلك أتى اليه وثنى عزمه عن ذلك وقال : أنا إن شاء الله تعالى أكفيك عدوك . فلما نازل مرزا بابر سمرقند وقم البواء في عسكره فطلب من الشيخ رضي الله عنه أن يأتي الى معسكره لعقد المصالحة . فهمّ بذلك فأبى عليه السلطان أبو سعيد وقال : أخاف أن يستميل قلبك بالخدعة

والحيل فتبقى عنده ، وأنا أموري كلها دنيوية وأخروية منوطة بأمركم مفوضة لنظركم . ثم سمع قدس الله سره أن مرزا بابر يقول نحن لم نقصد سمرقند إلا لسببي نسائهم وأبنائهم . فأعرض حينئذ عن التوسط بينهما ، وقال : إن في سمرقند رجالاً صالحين وعباداً عباداً زاهدين فقد توجهت لدفعه عنها رحمة بهم . فلم يلبث أن انصرف خائباً خاسراً .

(وروي) أن ميرزا بابر كان من المتصوفة فكان يضطجع وقت الحصار على جدار الحصن ويقول : العارف لا همّة له العارف لا همّة له ويكررها . ثم يقول : إن لم أخذ سمرقند فليس الشيخ عبيدالله من العارفين لأنه يكون قد ردني بهمته والعارف لا همّة له . فرفع ذلك إليه قدس الله سره ، فقال : كأنه ما فهم معنى هذه العبارة فإن مرادهم بها أن العارف من فنيت ذاته وصفاته في ذاته تعالى وصفاته فلم يبق له لا اسم ولا رسم فما يصدر منه لا ينسب إليه . قال تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) وإلا فإن الأنبياء كنوم وهود عليهم الصلاة والسلام صدر منهم بتسليط القوة القاهرة على قومهم ما هو أعظم من ذلك .

(ولما) أفضت سلطنة سمرقند إلى مرزا أحمد أحد أولاد أبي سعيد من بعده شاع أن أخاه ميرزا محمود عازم على منازلته في سمرقند . فكتب إليه الشيخ رضي الله عنه :

"أما بعد فإني أستوهبك سمرقند التي سماها الأكابر البلدة المحفوظة فلا تقصدها بأذى إذ لا يليق بكم ولا يوافق رضا الحق تعالى ولا يطابق شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم . وما كتبت اليكم إلا لمحبتتي لكم وابتغاء نفعكم فأنا خادمكم المؤدي حق الخدمة . والعجب أنكم قبلتم كلام أهل الأهواء ولم تقبلوا كلامي . مع أن في مدينة سمرقند كثيراً من الفقراء الصالحاء والعباد الزهاد . فالحذر من أن تتعرض لهم فيدعون والعياذ بالله عليك فيستجاب لهم . والفقير لارب له بذلك إلا نصحك والسلام" .

فما قبل وأقبل بجيش جرار فنزل على المدينة فأتى السلطان ميرزا أحمد إلى الشيخ قدس الله سره فاستأذنه بالخروج من سمرقند . فلم يأذن له وبشره بالنصر وتكفل له بالظفر . فإطمأن قلبه فادخله وجلس رضي الله عنه عند بابها وأحضر له ناقه سريعة السير مع زاد أيام وقال له متى دخل ميرزا محمود من باب السور إركب أنت والجيش وأخرج من باب آخر . فسكن ما به وهدا روعه ثم إنه رضي الله عنه دعا بثلاثة من أعظم أصحابه وقال لهم : إصعدوا سطح باب السور تلقاء العدو ولا تنزلوا حتى ينصرفوا وإلا فلا مقام لكم عندي ولا تقربون . ففعلوا ، فلما تصاف الجيشان إقتتلا من الصباح إلى وقت الضحى ، فكاد أن ينقلب جيش سمرقند . فأرسل الله تعالى ريحاً عاصفة أثارت قتالاً كنهراً منه الجو ، فلم يستطع الراكب أن يثبت على دابته ولا الماشي أن يخطو خطوة . وكان السلطان محمود في غار مع أمراء أجناده فسمعوا من داخل الغار صيحة هائلة مات من هولها أربعمائة شخص وأزالت شعور الباقين . ففر ميرزا محمود فراراً فظلياً . فاتبعهم أهل سمرقند نحو خمسة أميال وأوسعهم سبياً وسلباً وطعنوا وضربوا ثم رجعوا . فنزل حينئذ أصحاب الشيخ عن ظهر السور وأخبروه بذلك . فقال لميرزا أحمد أخرج الآن لمسندك وإطمئن على سرير سلطنتك ، فخرج شاكراً بربّه قدس الله سره .

(قال) صاحب "الرشحات" إن الله تعالى أعطى الشيخ قدس الله سره من تسخير الملوك له وإطاعته ما لم يعط أحداً من قبل ، حتى إنه قال ذات مرة :

لو أنني تصدّرت للمشيخة ما بقيت لأحد من مشايخ العصر مريداً ولكن الله أمرني بامر آخر ، وهو إنقاذ

المسلمين من شرّ الظلمة وأيدي المخالفين ، ولهذا خالطت السلاطين إبتغاءً تسخيرهم لنفم المسلمين . (وقال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) أيضاً أعطاني الحق تعالى في التصوف قوة عظيمة بحيث لو أرسلت ورقة الى ملك الخطا وهو يدعي الألوهية لجاى حافياً بلا توقف . ومع هذا لا تصرف في ملكه تعالى بقدر ذرة ، بل أقف عند حد أمره عز وجل . فإن من آداب هذا المقام أن تكون إرادتك تابعة لإرادته جلّ وعلا لا العكس أه .

قال ويشهد ذلك ما وقع منه عند مصالحته للملوك الثلاثة . وذلك أنه ورد الى سمرقند خبر بأن السلطان محمود والسلطان عمر شيخ تحالفا على منازلة أخيهما السلطان أحمد في سمرقند وخرجا بعسكر كثيف جداً حتى نزلا في ضاحية رضا شاه رحية (محل منسوب لشاه رخ) . وخرج السلطان أحمد فعسكر بها أيضاً وسأل الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ الصحبة . فأجاب رجاءً أن يصلح الله بين هاتين الفئتين العظيمتين . فأقاموا أربعين ليلة يرقب كل منهم الآخر . فقال للسلطان أحمد : لم أتيتم بي الى هذا المكان ؟ إن كان مرادكم الحرب فإني لست من أهله والصلح فلم هذا التأخير ؟ فقال : سيدنا ومولانا الرأي رأيكم فقد فوّضت أمري اليكم فافعلوا ماتشاؤون فإني لا أخالف لكم أمراً .

قال فتوجه قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ الى معسكر الفئة الثانية فخرج الملكان لإستقباله وبالغا في تكريمه وإجلاله . فالتفت اليهما بكليته وألجأهما الى الصلح فامتثلا أمره غير متوقفين . فلما كان من الغد أمر أن يتميأ جيش الملوك الثلاثة ويبقى كل جيش في محله وينصب خباءً وسط الجيوش وإستدعى الملوك الثلاثة اليه . فحضروا . فلما تلاقوا عانق ميرزا أحمد مع أخيه ميرزا محمود ، وأخذ بيد ميرزا أحمد فمسم بها وجه أخيه ميرزا عمر شيخ . فبكوا بكاءً كثيراً حتى أبكوا الجم الغفير ثم أجلسهم تحت الخباء . وكان لمجلسهم هبة عظيمة ترتعد منها فرائص الجبال والعساكر من حولهم وقوفاً صفاً مترقبين لو حصل ما يوجب الحرب لإنقضوا على بعضهم كالسيل الجارف . قال فوضعوا المائدة وأكلوا جميعاً ، ثم طلب الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ ارتجالاً من ميرزا أحمد أن يتنزل لأخيه ميرزا محمود عن مدينة تاشكند . فأجابه بالحال لذلك . فختم المجلس بالتبرك بفاتحة الكتاب ثم إنصرف كل منهم بجيوشه الى حاضرة سلطنته شاكربت أياديه وبره قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ .

(وعن الشيخ مصطفى الرومي رحمه الله) وكان من خدمة تجارته أنه قال : مررت مرّة عند منصرفي الى سمرقند على مدينة (سير) من أعمال سمرقند ، فلقيت أميرها (ميرك حسن) . فقال لي : أنت رجل صالح ومرادي أن أرسل الى الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ رسالة ، فهل تقدر أن تؤديها . فقلت : نعم . فقال : قلّ له إنه مابقي في ملك ميرزا أحمد إلا بلاد قليلة فهلاً أخذتها وخلصتنا منها . فلما بلغته ذلك تمعّر وجهه الشريف وغضب غضباً شديداً ، ثم قال : يأمرني الكلب أن أكون سلاًخاً . فدخل بيته فجعل أصحابه يلومونني على ذلك . ثم بعد خمسة عشر يوماً وقع من ميرك حسن أمر أغضب السلطان فأمر به فسُلك حياً .

(وتوجه قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ يوماً الى بلدة (القرشي) فاتاه أحد خدام إبله وهو قره أحمد العربي وهو يبكي ويقول : إن السيد أحمد سارد أذاني كثيراً وظلمني . فتأثر رضي الله عنه من ذلك تأثراً كلياً ولم يتكلم . فلما رجع الى سمرقند إستقبله الأمراء وفيهم السيد أحمد المذكور . فلما اجتمعوا عنده توجه اليه وقال له : أنت تضرب خادمي وتؤذيه فاعلم أنني أنا كذلك أعرف طريق الضرب والأذى . وطرده من مجلسه ولم يزل مغضباً الى وقت العصر لا يكلم أحداً . فبعد أسبوع مرض السيد أحمد فلما إشتد مرضه أرسل الى السلطان



بأنني وقع مني سوء أدب في جانب سيدنا ومولانا فباعثذروا لي منه واسألوه أن يعفو عني . فأرسل بعض أمرائه المقبولين عند الشيخ قَدَسَ اللّهُ سرَّهُ إليه في ذلك . فقال له يطلب مني السلطان إحياء الموتى وأنا لست عيسى فمات ذلك اليوم .

(وله رضي الله عنه) خوارق غريبة وكرامات عجيبة أقلّما ما إطلعت عليه من انقياد سلاطين ماوراء النهر ووقوفهم إما في رحابه وإما بين يديه . وأما كشفه عن المغيبات وإخباره عن الخفيات مما أفرده العلماء بالتأليف كصاحب "الرشحات" فهو أجلك من أن يُحصَر ويُحصَى فالعمر يستقصر دونه ولا يُستقصى . (توفي رضي الله عنه) وقت العشاء ليلة السبت سلخ شهر ربيع الأول سنة ثمانمائة وخمسة وتسعين في قرية (كمان گران) بعد أن حمَّ تسعة وثمانين يوماً . قال بعض الأكابر وحكمة مرضه هذا المقدار أن سنَّه الشريف تسعة وثمانون سنة وفي الحديث الشريف "حمى كل يوم كفارة سنة" . وذكر نجله الشيخ محمد يحيى وجمُّ غفير من أصحابه الحاضرين أنه خرج عند نَفَسه الأخير من بين حاجبيه نور باهر طمس ضوء الشموع . وقد زُلزلت سمرقند وقت صلاة الجمعة عند اشتداد مرضه . فعلم الناس أن الشيخ قد أن احتضاره ووقت العشاء عند خروج روحه الزكية أيضاً وكان قد حضر السلطان أحمد بعساكره وقت الغروب . ثم يوم السبت حملنا نعشه المبارك الى محلة الشيخ (كفشير) بكاف فناء فشين فياء فراء .

(ودُفِن) في محوطة ملايان (ج : ملا) أي مدفن العلماء وبنى عليه أنجاله قبة عظيمة هي محط رحال الرحمات العميمة ، وسنَّه الشريف نحو تسع وثمانين سنة وله شبّان من أنجب الأشبال قد بلغا في حياته مبلغ أكابر الرجال :

الأول ؛ الشيخ عبدالله وكان يدعى بخواجكان ، خواجه أي شيخ المشايخ وبالشيخ كلان . (وكان الشيخ قَدَسَ اللّهُ سرَّهُ) يعظّمه ويقربه لفضله وعلمه وعلو أذواقه وشهوته ووفور عرفانه . ولقد أراد يوماً زيارة أبيه وكان بيته في قرية أخرى . فلما إتصل بالشيخ خبر مجيئه وضع عمامته على رأسه ولبس خفته وجبته ثم استقبله وأتى الى حجرته وقدمه على أصحابه وجميع من في حضرته من العلماء ، وسكت لحظة ثم قال له تكلم بما يستفيد منه الناس . فأظهر التواضع له واعتذر منه فأخذ تفسير القاضي البيضاوي رحمه الله وقرأ له آية فابتدر الشيخ كلان يتكلم عليهما من المعاني الظاهرية والإشارات الغيبية والحقائق الباطنية بما بهر به عقول أهل المجلس . ولم يستطع أحد أن يوجه أدنى اعتراض عليه . ثم حضر الطعام فأكلوا ثم استأذنه بالذهاب فخرج رضي الله عنه مشيعاً له الى الباب . ولم يزل ملجأ كل مريد ومعاذ الخائف من كل شيطان مريد حتى توفي والده المكرّم وحصل له في مدة استيلاء الأوزبك على سمرقند ما أوجب خروجه الى (اندجان) . فتبوأها حتى إنتقل الى الجنان وقد نيّف على الستين ودُفِنَ ثمَّ قَدَسَ سرُّه .

وقد أعقب سبعة أنجال أنجاب كلهم علماء هادون أولياء مرشدون : أولهم ؛ الشيخ نظام الدين عبدالهادي قَدَسَ سرُّه . كان تحفة الزمان وبركة الأقران . قدم الى القسطنطينية في عهد السلطان بايزيد خان ونال منه تمام الحظوة . ولما توفي أعقب نجلاً عالماً صالحاً ومرشداً فالجاً وهو الشيخ قاسم ولد زمان مولانا أحرار وحظي ببركة وجوده . وقدم القسطنطينية والشام قَدَسَ سرُّه . ثانيهم ؛ الشيخ خاوند محمود قَدَسَ سرُّه . لقنّه جده الذّكر وهو ابن إحدى عشرة سنة وبشّره بأنه سيكون في مقامه وكان كما أشار رضي الله عنه . رابعهم ؛ الشيخ عبدالعليم قَدَسَ سرُّه . خامسهم ؛ الشيخ عبدالشهيد قَدَسَ سرُّه . سادسهم ؛ الشيخ أبو

الفيض قدّس سرّه . سابعهم ؛ الشيخ محمد يوسف قدّس سرّه .

الثاني : الشيخ محمد يحيى . وكان الشيخ قدّس اللّهُ سرّه يحبه محبةً مفرطة حتى أقامه مقامه آخر حياته مع أنه أصغر أُنجاله . وكان لا يخاطب في حضوره أحداً غيره وكثيراً ما كان يتكلم معه في الحقائق والمعارف الإلهية . وكان إذا خلا به يذكر قصة شهادة سيدنا الحسين عليه السلام ويقول له : "إنك على قدمه وسينالك نصيب وافر من استعداده" . فبعد إنتقاله رضي الله عنه إستولى السلطان بخت خان مستهلم محرّم سنة ست وتسعمائة على تخت سمرقند وانتزع جميع ما كان للشيخ قدّس اللّهُ سرّه وأمر بخروج الشيخ محمد يحيى الى خراسان . وكان قد سعى به عنده رجل من العلماء خدم أباه ثمانية وعشرين سنة ، فلم يلتفت اليه ولا لقنه الذّكر . وكان من عادته قدّس اللّهُ سرّه أنه إذا اطلع على باطن أحد أنه يتولى الرياسة لا يعلمه الطريق كما قال لأصحابه حينما شفّعوا عنده في قاضي اندجان ، وكان قد خدمه كذلك : "أني أنظر الى باطن الناس فمن كان فيه طلب الرياسة والجاه ولو بعد عشرين سنة لا يعجبني أن لقنه الذّكر" . فأرّخ أصحابه ذلك . فبعد عشر سنين وقم كما أخبر رضي الله عنه .

قال في "الرشحات" حتى إن ذلك العالم قال لي يوماً : نفسي تحدّثني أن أخذ سكيناً فأجعلها في أحشائي أو أحشاء الشيخ لأنني اتخذت كل الوسائل لإستجلاب رضاه فما أمكن . وبقي يخدمه الى أن إنتقل . فلما جاء التاتار مال اليهم ونال جاهاً عظيماً ورياسة كاملة . فيوم خروج الشيخ يحيى قدّس سرّه قال أحد الأمراء الأخبث للسلطان إن له أتباعاً كثيرة في خراسان فإن وصل اليها ربما تجددت الفتنة والفتنة أشد من القتل فأقتله هو وأولاده فما قبل . فألحوا عليه فقال أنتم أعرف بتدبير أمر الملك فافعلوا الأصلم ، ثم أرسل الى الشيخ خفية يخبره بذلك وبعث له دابة تمشي كل ليلة ثلاثين فرسخاً وقال له أنمُ بنفسك الى خراسان وأنا أرسل اليك ثقلك بعد . فماقبل وقال للخادم قل له : "حصل لك الأجر والثواب فجزاك الله عنا خيراً غير أنني مبشّر من والدي بالشهادة فلعل هذا وقتها" . ثم خرج بمن معه فلما أن جاوز تاشكند قال سبحان الله لقد كدنا أن نجاوز سمرقند فأبى بشارته والدي مع اني على يقين أن بشارته لا تتخلف . فبينما يسير في صحراء قرية (كراب) إذ خرج عليه ثلاثمائة فارس من الأوزبك فسقوه هو وولديه زكريا والشيخ عبدالباقى كأس الشهادة وأعادوا ما بقي من أولاده وهو الشيخ محمد أمين وأتباعه وأثقاله الى سمرقند . وحمل بعض أحبائه المخلصيت تلك الهياكل المقدّسة الى سمرقند الى محلة الشيخ كفشير ودفنهم عند الشيخ رضي الله عنه . وكان لجنارتهم هول عظيم ومشهد كبير حشر له الناس من كل جانب وبكى دماً عليهم الأقراب والأجانب . وكان مولانا الشيخ عبدالرحمن الجامي معتقداً له ويقول إن نسبة الخواجكان والجذبات النقشبندية غالبية عليه والنسبة العلمية على الشيخ كلان قدّس اللّهُ سرّه .

(وأما) أصحابه فلا يحصون عدداً ولا يدركون مدداً ، من أعظمهم ولي الشرفاء وشريف الأولياء مولانا السيد حسين قدّس سرّه . كان من أعلم أصحابه وأقدمهم أتى والده به الى حضور الشيخ وعند الشيخ ظرف من عسل فبادر اليه فتبسّم الشيخ وقال له : ما اسمك يا غلام ؟ فقال : عسل . فقال : قابليته قوية قد ذاق العسل وفنى فيه حتى نسي اسمه فإن ذاق غيره صار كذلك . ثم تقبله وأقبل عليه بتربيته وأرسل به الى المكتب . فلما ختم القرآن المجيد أمره بتحصيل العلوم . فأصبح من العلماء المتبحرين ، ذلك والشيخ يمدّه بأنواره القدسية ويهتم لترقيته الى المراقي الإلهية حتى وصل الى مرتبة الكمال ، بل الى درجة الإكمال . وله فضائل وفيرة وكشف كالشمس في الظهيرة .

(قال) صاحب "الرشحات" لما قدم مولانا أحرار الى كفتشير جعلت تزوره السلاطين والأمراء وأعيان سمرقند فلم تصل الأحابب والفقراء اليه . فخطر لي أنه لو اختار سيدنا العزلة لكان أحسن فإن الطالبين ينتفعون أكثر . وذهبتُ ساعتئذ الى السيد حسن فإذا عنده علماء سمرقند يقابلون معه كتاب "أحياء العلوم" ، فلما رأني سكت مدة ثم توجه اليّ وقال : قال بعض العلماء ذهبت لزيارة سيدنا أحرار قدّس الله سرّه وأنا أقول في نفسي لو أن الشيخ يترك الوعظ ويختار الخلوة وعدم الإختلاط مع السلاطين والأغنياء لكان أولى في مخالطتهم من التفرقة وقلة التوجه للطالبين . ثم التفت اليّ وقال : أنت عالم فاضل وفاقه قد وقعت لي مسألة مشكلة أحب أن تحلها ، وهي أن رجلاً مقبول الكلمة عند المبتدعة والظلمة فهو يخلص المسلمين من ظلمهم ويزيد البدع وعوائد الجبارين من بينهم ، فهل يجوز له ترك الإختلاط بهم واختيار الخلوة والعبادة أو لا . وأي الأمرين أهم بالنسبة اليه وأولى . فقلت : ترك العزلة بك النوافل والحالة هذه فرض عليه . فتبسّم مولانا أحرار وقال : أنت تفتني بهذا ثم تعترض . فدفع السيد حسين قدّس سرّه بهذه الحكاية ذلك الخاطر عني .

(ومن أشهرهم) مولانا قاسم قدّس سرّه ، وهو من أجل أصحابه المقبولين عند جنابه ، وكانت الأصحاب الأعزة تسميه ظلّ الشيخ لملازمته له وفنائهم عن نفسه وبقائه به ، حتى إنه أثر الشيخ بالحياة على نفسه حين مرض فشفي الشيخ ومات هو . وذلك يوم الإثنين لستّ خلت من ذي الحجة عام أحد وتسعين وثمانمائة كما سيأتي ذلك في ترجمة مولانا محمد الزاهد قدّس سرّه . ولما توفي حزنت عليه الشيخ وقال قدّس الله سرّه في شأنه أنه لانظير لمولانا القاسم في التجريد والفناء . وقال الإشتغال بالذكر أولى من التوجه ليحصل الفناء والتجريد الباطني الذي كان عليه مولانا قاسم . قال الإمام الغزالي : "السلوك يعني السير اليه تعالى لا يتيسر بلا إعراض وإقبال وهو معنى الكلمة الطيبة لاله إلا الله" .

(ومن أكرمهم) المير عبدالأول قدّس سرّه ؛ هو صهره الأطهر والوارث لسرّ نوره . إشتغل برابطته سبع سنين مع رعاية الآداب والشروط المقررة ولم ينك التفاته ، بل كان كلما وقع عليه نظره أقامه من مجلسه وأظهر الغضب لرؤيته . ثم عطف عليه لما تحققت من ثباته وصدق محبته وزوجه بابنته فأولدها ثلاث بنين هم (المير كلان والمير ميان والمير خورد) وبناتان . (توفي) في أوائل شهر ذي الحجة عام خمسة وتسعمائة قبل إشتهاد سيدنا يحيى بأربعين يوماً .

(ومن أعزهم) مولانا جعفر قدّس سرّه . كان عالماً عاملاً وعارفاً كاملاً يغلب عليه الإستغراق حتى إن الشيخ كلفه للإشتغال بالزراعة ليخفف ذلك عنه فمأفاد . يقول قدّس سرّه مال قلبي إبان طلب العلم الى طريقة الصوفية فرأيت في المنام سيدنا أحرار فقلت له متى يصل العبد الى الله تعالى ؟ قال إذا فنى عن نفسه . فلما إنتبهت تشرفت بزيارته ولم أكن زرتّه قبل . فلما جلست قال : يامولانا جعفر أتعرف متى يصل العبد الى الله تعالى ، إذا فنى في عبوديته . (توفي) عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة وصلّى عليه الشيخ وشيعه وجلس حتى دفنوه قدّس سرهم .

(ومن أكبرهم) مولانا برهان الدين الخلتاني قدّس سرّه . البحر الزاخر في علم الباطن والظاهر . صحب الشيخ أربعين سنة سافراً وحضراً ولما مرض عاده الشيخ قدّس سرّه وأخذ يتكلم عنده على قوله الله صلى الله عليه وسلم "جددوا إيمانكم بقول لاله إلا الله" . فقال : "المراد بجددوا أن يحصل للعبد كلما كررها إنجذاب ومحبة لله تعالى" . قال الحكيم الترمذي يفهم من الأمر بالتجديد أن الإيمان يُخلق وخلقته عدم الوله

والإنجذاب والمحبة من العبد . فينبغي للطالب أن يزداد محبة وشوقاً إليه كلما قال هذه الكلمة . (توفي)  
بعد إنتقال مولانا جعفر بأسبوع قدّس سرّه .

(ومن أعرّفهم) مولانا لطف الله الختلافي قدّس سرّه . كان في العلوم الظاهرية بحراً وفي الأسرار  
الباطنية بديراً . وكان الغالب عليه البسط بحيث لا يتكلم إلا متبسّماً . وكان الشيخ يمازحه كثيراً حتى قال له  
مرة : يامولانا لطف الله أي امرأة تختار إن أردت أن تتزوج ؟ فقال : الحلوة الخضرة . فقال له : قد أخطأت إذ  
بعد أيام تزول حلاوتها وتبقى خضرتها ، ثم قال ، التزوج بلاء عظيم للطالبين . وقال التزوج مادة الهوى  
وحرص النفس فاترك الحرص وكن مع الله تعالى .

(يقول مولانا لطف الله) رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقت الطفولية في صورة لم أر لها في  
الجمال نظيراً . فلما تشرفنت بلقاء الشيخ قال إن بعض الناس يرى النبي صلى الله عليه وسلم في صور  
مختلفة ثم نظر اليّ في أثناء كلامه . فرأيت على الصورة التي رأيت النبي فيها فلزمت صحبتته . وكان  
يوماً في يده "شرح المنازل" للشيخ عبدالرزاق الكاشي وبعض العلماء يسأله عن مسائل منه . فقلت في  
مسألة يحتمل أن يكون المعنى كذا . فلم يقبله فغضب وتكلم كلاماً وجدت كأن جبالاً وقم عليّ من ثقله .  
فنظرت الى وجهه فرأيت أن نوراً سطع من جبهته وشرع يزداد حتى ملأ البيت والدار . فداخلني رعب كاد  
أن يقتلني ثم جعل يخف شيئاً فشيئاً حتى عاد الى حاله الأول . وكنت معه في سفر وكان راكباً على فرس  
سريع وأنا على فرس بطيء المشي فتقدمت عليه لنلا أتخلف عنه . فلما وصل اليّ ضربته بسوطه وقال :  
"ليست دابتك سريعة ؟" فصارت أسرع ما يكون .

(ومن أكبرهم) مولانا شيخ قدّس سرّه ؛ كان ملازماً للذكر بحبس النفس . يقول قدّس سرّه إنني أذكر  
بالنفي والإثبات في نفس واحد خمسين مرة مع ملاحظة الوقوف القلبي والعددي ولايضيق نفسي  
ولايظهر أثر على وجهي . وقد فوّض الشيخ إليه أمور دنياه . قال فحصل لي تفرقة من الإشتغال بالدنيا  
بعدما نلت جمعية الخاطر . فذهبت مرة لحضوره أشكو اليه ذلك وأنا مغموم منه . فلما وصلت قال قدّس  
سرّه : يامولانا الشيخ إن الخلوة في الجلوة في هذه الطريقة أصل عظيم مبني على طريق الخواجكان وهو  
مأخوذ من قوله تعالى (رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) . ونسبتهم محبوبة والمحبوب لا يكون  
إلا مستوراً إذ المحب غيور فينبغي أن تستر هذه النسبة بشغل من أشغال الدنيا . فصرت أتضرع في نفسي  
اليه إنني لأقدر على ذلك . فقال : وجه الهمة حتى يعطيك الله تعالى قوة الجمع . ثم توجه قدّس سرّه اليّ  
في غضون ذلك فتمكّن منّي الجمع بحيث صار النوم واليقظة والأشغال الدنيوية والاخروية عندي سواء ولله  
الحمد . (توفي) أواخر سلطنة شيبك خان ودُفِن في محوطة ملايان قدّس سرّه .

(ومن أعلمهم) مولانا سلطان قدّس سرّه . كان من أجلاء العلماء وعلماء الأجلّاء . جمع علوم الظاهر الى  
فهوم الباطن . يقول قدّس سرّه : ذهبت في خدمة الشيخ الى (ماتريد) فأردت وأنا ماشٍ معه أن أشتغل  
بالمراقبة والتوجه فلم يتيسر لي . فاشتغلت بالنفي والإثبات فحصل لي الحضور واللذة . فلما وصلنا  
وجلست معه قال لي بعد لحظة : هل اشتغلت بالنفي والإثبات ؟ قلت : نعم . قال : لما جلست ظهرت  
نسبته . ففهمت أن الحضور مع الله تعالى وإن كان واحداً ولكن يختلف باختلاف السبب ولايظهر هذا الفرق  
إلا لأخصّ الخواص من الأولياء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(ومن أفضلهم) مولانا أبي سعيد الاوبهتي قدّس سرّه . هو من أكابر العلماء العارفين . لازم خدمته

خمساً وثلاثين سنة . يقول قدّس سرّه : سبب هدايتي أني كنت في مدرسة (ميرزا الغ بك) مشتغلاً بتحصيل العلم فحصل لي يوماً ملك من المطالعة ورأيتني مائلاً لطلب الحق وصحبة المشايخ . فرأيت أحد أحبائي من الطلبة فقلت له : من أين وماهو حالك ؟ قال كنت في جبل النور في صحبة الشيخ الياس العشقي - وبالغ في مدحه . فقصدته فمررت على مدرسة سيدنا فإذا به قد جاء راكباً ونزل على باب المدرسة . فقلت في نفسي أنا لم أره قط فأزوره أولاً ثم أذهب الى جبل النور . فدخلت على أثره الى المدرسة فجلس على دكة كبيرة مع أصحابه فجلست لتلقاءه . فسكت لحظة ثم أنشد بالفارسية بيتاً عربيه صاحب "الرشحات" بقوله :

في صحبتي كُنْ ولا تقصد الى جبل فلا معاذ تراه اليوم في جبل  
فتأثرت من سماع هذا البيت ، وقلت في نفسي إن يكن أنشده من أجلي فليعد مرة أخرى . فتوجه اليّ قال : ياأبا سعيد هذا البيت من كلام الشيخ خجند . وأعاده ثم قام وركب وذهب وقد جذب قلبي اليه . فتحيّرت في نفسي وجعلت أقول إنه لايعرف اسمي فكيف ناداني وقرأ هذا البيت . فخرجت فلقيت بعض الأحباب ، فقلت له أذهب الى مدرسة مرزا الغ بك وقل لقيّمها أن جميع ما في حجرتي من كتب وغيرها هو له فليتصرف فيها . ثم مضيت فجلست عند باب الشيخ فبقيت سنة كاملة لم يلتفت اليّ ظاهراً وباطناً . فكان يزداد الإنجذاب والترقي يوماً فيوماً . ثم بعد سنة أقبل عليّ . أه . وله كلمات في المعارف قدسية منها ماقرّس به سورة (الإخلاص) بقوله :

"إن أول موجود أوجده الله تعالى بلا واسطة شيء هو التعيين الأول . ولما كان إظهاره من المبدأ الفيّاض يشبه الولادة قال تعالى لم يلد نفيّاً لشبه الولادة ولما ظهر تعالى في المظاهر الإلهية بحسب الذات والأسماء والأفعال . وكان هذا الظهور يشبه المولودية قال تعالى " ولم يولد " نفيّاً لشبه المولودية ولما جعل الحقّ تعالى هذا النوع الإنساني مظهر جميع أسمائه . إن الله خلق آدم على صورته أو صورة الرحمن . فكان مرآة ذاته الأقدس الذي هو "الله أحد الله الصمد" صفته . وكان هذا التوهم كقرآ نفى هذه المشابهة بقوله " ولم يكن له كفواً أحد " .

وقال قدّس سرّه :

"ذهبت وأنا صغير مع أبي الى مجلس الشيخ شمس الدين محمود الكوسوي . فسمعته يقول في قوله تعالى (أحسن كما أحسن الله اليك) أظهرك فعلمك تعالى بقوله أحسن كما أحسنت أي أفنّ في حتى تكون باطناً أو ظاهراً ثم طفق يتكلم بكلام من الحقائق الإلهية لشدة غموضه غلب النعاس على أكثر الناس . فقال مالك لا تسمعون كلامي وتنعمسون وإني لو كلمت سقّف المسجد لتأثر من كلامي ووعظي - وأوما الى السقّف وكان من خشب فباضطرب الخشب وتحرك كما تتحرك الأرض من الزلزلة . ففر أكثر الناس الى ظاهر المسجد ومن كان قرب المنبر أخذ بقوائمه ثم سكت زمناً طويلاً حتى تراجع الناس فعاد لكلامه قدّس سرّه .

(ومن أفضلهم) مولانا الشيخ حبيب البخاري التاشكندي . كان من المقربين والوارثين لما كان عليه من المعارف الغالية والأخلاق العالية . وقد فوّض اليه خدمة المائدة فنال بذلك من توجهاته أعظم فائدة قدّس سرّه .

(ومن أحبهم) مولانا نورالدين التاشكندي . كان من نظره الشريف بمكانه وله تمام الارتباط برباطته

الشريفة . فقال له بعض الأصحاب الإشتغال بهذا في الصلاة كاد أن يكون كفراً فاتركه من التحريم الى التسليم . ثم توجه اليه بعد فبلغ ذلك الشيخ فقال : كيف إذا خطر ببال المصلي فرس أو عبد أو سبب دنيوي في الصلاة لا يكفر وإذا ربط قلبه بمؤمن يكفر ؟ ووقع في سمرقند طاعون وأصيب الشيخ قدس سره به فاستنذنه أن يفتديه بنفسه . فأبى وقال " أنت شاب ولك أهلك ومارأيت من الحظوظ شيئاً " . فقال ليس لي أمنية بشيء ولا نفع لأحد وأما وجودكم الشريف فهو مظهر النعم في الدنيا والآخرة فقد فديتكم بنفسي . فانتقل مرضه اليه وتوفي بعد ثلاثة أيام وشفى الشيخ قدس سرهما . ومَرَّ الشيخ بقبره وهو راكب مع أصحابه فرأى بعض أهل الكشف منهم أن مولانا نورالدين إنقلب في لحده وتوجّه وجهه الشيخ فقال له مولانا نورالدين : " توجه الى القبلة " فتوجه .

(ومن أحسنهم) مولانا زاده الشيخ محمد عبدالله الأترزي قدس سره . كان من المنتسبين الى الطريقة العشقية أولاً ثم تشرف بخدمة الشيخ ونال عنده أعلى المراتب . وكان يغلب عليه الإستغراق . روي أن الشيخ كان في حجرة بعض أصحابه فظهر في مجلى جلالي بحيث كل من دخل عنده يحصل له الغيبة . فلما أحضروا الطعام كان مولانا زاده مستغرقاً فحركوه فما أفات ، فقال الشيخ : " تريدون أن تحضروا مولانا زاده أما علمتم أن كل أحد يستمد مني من الأحوال قدر إستعداده وتشرف مولانا زاده الآن بحال أذهله عن الكونين ، فلو علم أحد حاله نسي الطعام من غيرته " . (ثم) إستأذن الشيخ قدس سره بالحج فبعدما قضى فريضته قدم دمشق وأقام بها وانتقم به خلق كثير وبها توفي قدس سره .

ولمولانا زاده صاحب جليل هو ملا محمد البخدشي قدس سره . كان من كبار المرشدين والأولياء المحمديين . قام بعد وفاة أستاذه في دمشق الشام مقامه . فهدى الله به كثيراً من خلقه . ولما قدم السلطان سليم خان العثماني الى دمشق ذهب الى زيارته مرتين وأخلص له المحبة . وليلة وفاة الشيخ رأى السلطان في المنام وودعه . ولما أفات دعا له وبعث بسلامه اليه ثم توفي وذلك في سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة في دمشق قدس سره .

(ومن الطفهم) مولانا ناصرالدين الأترزي قدس سره هو الأخ الصغير لمولانا زاده الأترزي كان من خدامه وموقع نظر إكرامه . قال : كنت قبل التشرف بخدمته أتعشقت غلاماً جميلاً فلما حظيت بسعادة صحبتته في تاشكند خطر لي وقت الربيع الذهاب الى سمرقند لرؤية الغلام وحضور موسم النوروز معه . فإستأذنت الشيخ فأبى ثم خرج يوم النوروز الى الصحراء فخرجت معه وأنا على غاية من القبط والميل الى الذهاب الى سمرقند لذلك . فأخذ باقة من أزهار وأعطانيها وقال : يامولانا ناصرالدين أما تستحي من الصحبة وتذكر الغلام والخروج معه الى موسم النوروز . فحصل لي من الخجل ما لا مزيد عليه . فلما إطلع على حالي توجه اليّ فزال ما بي وتبدل حب الغلام بحبه قدس سره .

(ومن أعظمهم) مولانا هندو خواجه التركستاني قدس سره . كان في كثرة الذكر آية وأي آية ، نال بها أحوالاً عجيبة وأطواراً غريبة حتى رآه سيدنا أحرار يوماً في الصحراء يطير مع الطيور في الهواء فما أعجبه بل أغضبه ، ثم سلبه فسقط الى الأرض وإنخدش بعض أعضائه وارتضّ وعاد كالعوام بلا حال ولا مقام . فكان يبكي بين يديه ويتضرّع ليلاً ونهاراً اليه حتى مرت سنة كاملة عليه . ولفرط الألم والضيق فرط منه ما لا يليق فقال له : إن لم ترد لي حالي أقتلك وأقتل نفسي ولأبالي . كل ذلك وهو معرض عنه . ولقد مرّ مرة في طريق مظلم فتبعه مولانا هندو بسكين وأهوى بها اليه . فتبدّ الشيخ بصورة راعي غنم ، فغاب هندو

خواجه عن شعوره . فأخذ الشيخ السكين وعاد الى صورته الأصلية وتبسّم وقال : ليت شعري لو ضربتك ماذا تفعل . فوضع رأسه على قدميه وطفقت يبكي ويتلملم ، فعفا عنه بشرط أن يخفي حاله ولا يظهر ما سلف منه . (وكان قدّس سرّه) جليلاً وقوراً يتلألاً وجهه من عظمة الحضور الإلهي نوراً وكان ينشد :

في كل لائحة وجه الحبيب بدا      فانظره في كل وجه يأخا الهمم  
كذلك وجهك مرآة له وسوى      ذاك المحيا فلا يبدو لغير عمي  
لو كنت ذا نظر شاهدت صورته      لديك من رأسك الأعلى الى القدم

وهو من أولاد مشايخ تركستان قدّس سرّه .

(ومن أفضلهم) مولانا فخرالدين الشيخ علي ابن الشيخ حسين الصفّي الواعظ . هو مؤلف "الرشحات" قدّس سرّه . كان عالماً عارفاً ومرشداً كاملاً . وله في الوعظ كلام عليه آثار الإخلاص والتأثير الكثير . أصله من (سبزوار) توطّن هراة ولما فرغ من التخلّم بالعلوم الفضائل . تشرّف بخدمة الشيخ ولازم صحبته وآلف كتابه المسمّى "رشحات ماء عين الحياة" توسلاً لترجمته . وكان لفظه "رشحات" تاريخاً لتمام التأليف إذ هو بحساب الجمل تسم وتسعمائة . وكان من كبار العارفين بالله تعالى . (توفي) ظاهر هراة ونُقِل نعشه اليها وذلك سنة تسم وثلاثين وتسعمائة .

(ومن أقدمهم) مولانا حبيب النجار التاشكندی قدّس سرّه . لزم صحبة الشيخ زمناً طويلاً وحظي بسعادة قبوله .

(ومن أعلامهم) مولانا السيد علي الكردي الشهيد قدّس سرّه . كان من العلماء الأتقياء أصله من (العماديه) وقدم لخدمة الشيخ ولازمه سنين عديدة . وكان يعلم أحد أنجاله العلوم . ولما توفي الشيخ رحل الى قزوین وأقام عدة سنين ينعم الطالبين ويرشد السالكين . ولما بلغ خبره الأوزبك الأوباش سقوه كأس الشهادة وذلك سنة خمس وعشرين وتسعمائة . وللسيد أصحاب ستة ورثوا بركته :

(الأول) الشيخ أبو سعيد ابن الشيخ بايزيد الخلخاني قدّس سرّه . لقي السيد وفاز ببركة خدمته وأذن له في الإرشاد وتوفي في قزوین سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة . (الثاني) مولانا شاه القزويني قدّس سرّه تشرّف بملازمة السيد ونال إذنه بالهداية والتربية . وكان يقول في شأنه لانظير لشاه في هذا القطر . وتوفي بقزوین سنة تسم وأربعين وتسعمائة . (الثالث) مولانا الشيخ علي القاضي القزويني الحسيني قدّس سرّه . تشرّف بتربية السيد وأدرك مقامات صحبته النافعة . وكان من أكابر علماء قزوین وكبرائها توفي في قزوین قدّس سرّه . (الرابع) مولانا الشيخ عبدالله القزويني قدّس سرّه . وصل الى خدمة السيد وقام بواجب خدمته حتى تشرّف بإكمال المنازل ثم استأذنه بالحج وذهب من طريق بغداد . فأدركه الموت في بابان فدُفِنَ ثم قدّس سرّه . (الخامس) مولانا الشيخ نفيس الحكيم الفردي قدّس سرّه . كان يغلب عليه الإستغراف والفناء الأتم . توفي في قزوین وقبره مشهور بها . (السادس) مولانا القاضي مرك القزويني الخالدي نسبة الى سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه . كان عاملاً متبحراً رفيع الشان ، ولما استولى الأوزبك على قزوین قتلوا الخالديين وهو معهم قدّس سرّه .

ومن أكبر أصحاب سيدنا أحرار أربع رجال كبار أولو مقام جليک كلهم يسمى إسماعيل :

أولهم ؛ مولانا الشيخ إسماعيل الفرکتی نجل مولانا سيف الدين المناري ، أحد أجلاء أصحاب سيدنا النقشبند قدّس سرّه ومرّ خبره في أصحاب المنوّه به ، وصل الى خدمة الشيخ في تاشكند . فبالغ

بالإلتفات اليه حرمة لوالده وتعظيماً لشأن صحبته . ونال بهمته أعلى مراتب الرجال . وأخوه سليمان الفركتي من أخص أصحاب الشيخ محمد پارسا وقد تقدم . ثانيهم ؛ مولانا إسماعيل القمري قدس سره . كان عالماً متبحراً وعاملاً تقياً . قدم من هراة الى سمرقند وإغتنم خدمة الشيخ ، ولكن كانت نسبة العلم غالبية عليه . كان مع الشيخ مرة في قرية (شادمان) هو وأصحابه حضور عنده ويبد الشيخ شرح تائية ابن الفارض للشيخ سعيد الفرغاني قدس سره بخط مولانا محمد پارسا ، فقال لأصحابه "أريد أحداً يكتبه اليّ بخط النسخ فاروني خطوكم" . فمن جملة من تقدم للكتابة الشيخ إسماعيل المشار اليه فكتب -زد رغياً تزدد تحبباً- وأراه إياه . فلما قرأ الحديث قال : يامولانا إسماعيل إنك كنت مالاً من دوام صحبتي حتى طلبت الغب ، فقم الى المدرسة واشتغل بالتدريس لتخلص من ذلك . ثم أمر مولانا لطف الله ومولانا سلطان ان يذهبا به الى مدرسة المدينة ، فلذلك حرم ملازمته . ثالثهم ؛ الشيخ إسماعيل الشمسي قدس سره . وكان هو والقمري من أترك تبريز وقدموا على الشيخ معاً فللقب بالشمس فرقاً بينه وبينه . صحب حضرة الشيخ مدة ثم أرسله كرفيقه الى المدرسة . فجلس للتدريس بها الى آخر العمر . رابعهم ؛ مولانا الشيخ إسماعيل الشيرواني قدس سره . كان عالماً تقياً ومرشداً ولياً قدم من هراة لزيارة الشيخ خاصة وقد بشر أصحابه بمقدم رجل مستعد . فكان هو ذلك وحيث كان القمري والشمسي في خدمة الشيخ وقتئذ لقب بإسماعيل الثالث . ولما حضر مجلس الشيخ كان عنده عنب فأمره أن يأكل فأخذ خصلة واحدة ورجع الى موضعه . فنظر اليه فغاب عن نفسه وعن العالم وسقط العنب من يده وبقي زمناً طويلاً كذلك . فلما أفات شد منزره للخدمة ولزمه سفرأ وحضراً . ولما توفي رحل الى مكة المكرمة وجاور ثم حتى لحق بالرفيق الأعلى وذلك سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة .

(ومن أصدقهم) مولانا الشيخ عبدالله السربلي قدس سره .

(ومن أراضهم) العارف بالله تعالى مولانا الشيخ عبدالله الإلهي قدس سره ولد في (سماونه) ناحية من نواحي ولاية (كرميان) من بلاد الأناطول وقدم على أعتاب الشيخ ، فثابر على خدمته حتى أحرز شرف المقامات الإلهية . ثم عاد الى بلاد الروم وحل في قصبه (يكيجه، وأرطال) فطار صيت إرشاده في الأقطار وقصد بالرحلة من كل الجهات حتى توفي سنة ست وتسعين وثمانمائة . وتربى عند الإلهي سادة من كمل الرجال أشهرهم العارف بالله (مولانا السيد أمير أحمد البخاري) قدس سره . كان من أكابر الأولياء صحيح النسب ، وهو من سلالة سيدنا الشيخ محمود الفغنوي قدس سره . قدم من بلاد العجم مع مولانا الإلهي الى تاشكند ثم تلقى النسبة من سيدنا أحرار ، وكان يبجله ويجله حتى دخل عليه مرة والشيخ في شغل فبالتفت فراه إعتذر اليه وقال : لم نقم بواجب تعظيمك فإني كلما رأيتك أشاهد منك نور النسبة النبوية ونور السلالة الفغنوية . ولما أتم مرامه لحق بمولانا الإلهي بإشارة من الشيخ الى بلاد الروم ولازمه الى أن توفي فقام مقامه في تكميل الطالبين وهداية الراغبين . ثم توجه الى الحج فلما قضى تفثه أتى القسطنطينية فقضى بها نحبه ، وذلك في جمادى الآخرة سنة إثننتين وعشرين وتسعمائة نور الله ضريحه . ولمولانا السيد الأمير خلفاء كبراء عارفون بالله تعالى من أشهرهم ثمانية :

الأول ؛ سيدنا الشيخ مصلح الدين الطويل قدس سره . أصله من كرة النحاس في (قسطنون) . وكان من أكابر العلماء وكبار الأولياء المكرمين . وهو من مريدي سيدنا الإلهي ثم تكمل عنده حتى أصبح



أمة وحده . والثاني : العارف بالله تعالى سيدنا الشيخ عابد جلبلي القرمانلي قدّس سرّه . كان أيضاً من مريدي شيوخه ثم أتم سلوكه لديه حتى صار آية في الصالحين وهو من سلالة كبير الأولياء ووليّ الكبراء حضرة مولانا جلال الدين الرومي رضي الله عنه . والثالث : مولانا الشيخ بدرالدين بابا قدّس سرّه . لازم خدمة الشيخ حتى أصبح من العارفين . وبعد إنتقاله إستوطن مدينة (أدرنه) فكان لها بديراً منيراً مجاب الدعوة وبركة الأنام مرشد الى الله تعالى على الدوام ، حتى توفي ودفن بها تنوّر مرقدّه . والرابع : سيدنا الشيخ محمود جلبلي قدّس سرّه . كان من مريدي أستاذه ثم حظي عند مولانا السيد بإتمام المقامات ببركة خدمته وزوجه بابنته وأقامه مقامه من بعده وصار ممن يشار اليه بالولاية والإرشاد في كل الجهات . توفي عام ثلاثة وثلاثين وتسعمائة . والخامس : مولانا الشيخ لطف الله الاسكوبي . ولد وثوى في مدينة (اسكوب) من بلاد الروم . وكان متبحراً في علمي الظاهر والباطن ثم بنى صومعة في قسبة كوهستان وأقام بها حتى لقي الله تعالى . وقد هدي الى الله به أم كثيرة وأسلم على يده زمرة من رعاة الغنم الكفار لعظم ماكانوا يرونه من عبادته وهو في صومعته جزاه الله خير جزائه قدّس سرّه . السادس : سيدنا الشيخ محمود بن عثمان بن علي اللامي قدّس سرّه . تشرف بخدمة الشيخ وكان من ذوي الواجهة والقبول عنده ، وله اليد الطولى في كل فضيلة لاسيما في النظم والنثر . ومن أثاره الماثورة ترجمة "نفحات الأنس" من لسان الفرس الى التركية . توفي في مدينة (بروسه) سنة ثمان أو تسع وثمانين وتسعمائة في محلة جكر . والسابع : سيدنا الشيخ حكيم جلبلي قدّس سرّه . حظي بشرف صحبة الشيخ وتوفي بالقسطنطينية نور الله مرقدّه . والثامن : مولانا الشيخ خضر بك جلبلي نجل أحمد باشا قدّس سرّه . من علماء الظاهر العظام في بروسه وعليه وظائف عالية . فتركها وقدم القسطنطينية وصحب الشيخ حتى صار من الأولياء الكرام قدّس سرهم .

وأكثر هؤلاء الثمانية من رجال "الشقائق النعمانية" وترجمتهم ثمّ مستوفاة . ومن أعظم أصحاب سيدنا أحرار شيخ هذه السلسلة وأعلى من سرى اليه سرّ هذه النسبة المجلبة سيدنا الشيخ محمد القاضي الزاهد قدّس سرّه .

## سيدنا الشيخ محمد الزاهد القاضي السمرقندي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزِيزَ

خلاصة المتقين المتقنين وفذلك المرشدين الراشدين وصفوة الأولياء الزاهدين . ألفت إليه الخلافة الربانية إقليديها وأولته السلطنة الروحانية طريفها وتليدها . جمع بين العلوم الإلهية والشرعية واستوعب فضائل الطريقة والحقيقة ، فأصبح مصدر الواردت اللدنية ومظهر العلوم والمعارف الغيبية . فهو المفرد العَلَمُ في العِلْمِ والقلم ، الذي قام بأعباء الأسرار والامداد وتدبير دولة إرشاد العباد . فتبارك مَنْ شَيَّدَ بالإلهامات الصادقة قدره وسدَّ بالكرامات الخارقة أمره وأتمَّ في أوج عرفانه بين أقرانه بدره .

(كان) قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ من أولياء أصحابه وعيبة أسرارهِ وقبلة خطابهِ ووارث علومهِ وأنواره . صنَّفَ كتاباً في ذكر فضائلهِ وخصائصهِ وشمائلهِ سَمَاهُ "سلسلة العارفين وتذكرة الصديقين" يقول فيه قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ :

"إني انتظمت في سلك خدمته سنة ثلاث وثمانين ولم أزل حتى إنتقل سنة خمس وتسعين . فكانت مدة تشرُفي بخدمته اثنتا عشرة سنة والحمد لله على ذلك" . (وكان) سبب إتصالي بجنابه أي خرجت مع رجل من طلبة العلم اسمه الشيخ نعمة الله من سمرقند نقصد هراة لطلب العلم ، فلما وصلنا الى قرية (شادمان) أقمنا فيها أياماً من شدة الحر . فبينما نحن كذلك إذ حضر اليها سيدنا الشيخ رضي الله عنه وقت العصر . فذهبنا لزيارته ، فسألني : من أين أنت ؟ فقلت : من سمرقند . فطُفِقَ يحدثنا أجمل الحديث وذكر خلال كلامه جميع ما أكننته في سري فرداً فرداً ، حتى أخبرني عن سبب سفري الى هراة . فلما وجدت ذلك تعلَّقَ قلبي به كل التعلُّق . ثم قال لي : إن كان مقصودك طلب العلم فهو متيسر هنا . فتيقنت أنه مامت خاطر إلا وقد إطلع عليه هذا . ولم يخرج من قلبي محبة السفر الى هراة . فلما كوشفت بذلك قال لي لاتذهب الى القرشي بل الى بخارى . ثم إنصرفت وجئت صباحاً لأستنذنه ، فقال لي أحد أتباعه أنه مشغول بالكتابة . فتربصت قليلاً فلما فرغ قام من مقامه وأقبل نحوي ثم قال : أخبرني بجلية أمرك ، هل مرادك من هراة تحصيل الطريق أو العلم . فدهشت من جلالتة وسكت . فقال له رفيقي : بل الغالب عليه الطريق وإنما جعل طلب العلم تستراً . فتبسّم وقال : إن كان كذلك فهو أفضل وأحسن . ثم أخذني الى جهة البستان فلم نزل نسير حتى غبنا عن أعين الناس ثم وقف ، ومنذ أخذ بيدي جاءتني غيبة امتدَّتْ معي حتى استغرقت زمناً طويلاً . فلما أفقت رجم يحدثني رضي الله عنه ثم قال : لعلك تقدر أن تقرأ خطي . وأخرج من جيبه ورقة فقرأها وطواها ودفعها اليّ وقال : احفظها . وإذا فيها :

"حقيقة العبادة خضوع وخشوع وإنكسار يظهر على قلب ابن آدم من شهود عظمة الله تعالى . وهذه السعادة موقوفة على محبة الله تعالى وهي موقوفة على إتباع سيد الأولين والآخرين عليه من الصلوات أكملها ومن التحيات أتمَّها . وهو موقوف على معرفة طريقه فلزم لذلك بالضرورة مصاحبة العلماء الوارثين لعلوم الدين ، وتلقي العلوم النافعة منهم حتى تظهر المعارف الإلهية المنوطة بمتابعته صلى الله عليه وسلم . ومجانبة علماء السوء الذين إتخذوا الدين وسيلة لجمع الدنيا وسبباً

للجاه ، والمتصوفة الرقاصين وأهل السماء الذين يتناولون مايجدون من حلال وحرام ، وعدم الإصغاء للمسائل المخالفة لعقائد أهل السنة والجماعة من مشكلات علم الكلام والتصوف والسلام" .

ثم رجع الى مجلسه وقرأ الفاتحة ورخص لي بالسفر الى هراة . فتوجهت كما أمرني قاصداً الى بخارى . فما سرت خطواتي إلا وتبعني بكتاب الى حضرة الشيخ كلان نجل الإمام الجليل مولانا سعدالدين الكاشغري قَدَسَ اللهُ سِرَّهُمْ ، وإذا فيه : "عليك بملاحظة أحوال حامل هذا الكتاب ومحافظته من مخالطة الأغيار" . فلما رأيت منه ذلك أخذ بمجامع قلبي محبة وإخلاصاً ولكن ما إنثنى عزمي ، بل أخذت الكتاب ومضيت . فوجدت في أثناء الطريق زحمة تامة ودغدغة أفراس الى بخارى . فلما وصلت اليها رمدت عيني رمداً شديداً . فلما شفيت تهيأت للسفر فأصابتنني حمى مزعجة جداً . فنظرت حينئذ في نفسي أنني إذا سافرت ربما أهلك . فرجعت عن ذلك العزم وانقطع أمني من السفر وعزمت على الرجوع الى خدمة حضرة الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ حتى إذا وصلت الى تاشكند أحببت أن أزور الشيخ الياس العشقي بما أولاً . فأودعت ثيابي وكتبي ودابتي عند أحد الأحابب وذهبت . فلقيني أحد خدامه فقلت له ارجع معي لنزور الشيخ . قال وأين دابتك ، قلت قد أودعتها عند فلان . قال اذهب فات بها الى داري ثم نمضي للزيارة . فبينما أنا راجع إذ سمعت قائلاً يقول لي " قد فُقدت دابتك بما عليهما" . فتحيرت وتغيرت وجلست أتفكر في ذلك فوقع في قلبي أنه يحتمل أن يكون ذلك لعدم رضا حضرة الشيخ بهذه الزيارة ، فإن السادات رضوان الله عليهم لهم غيرة عظيمة على أتباعهم . فكيف يكون الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ متوجهاً إليك هذا التوجه وأنت تقصد زيارة غيره فلا بد أن تُصاب بأكثر من ذلك . فأعرضت عنها وعقدت النية على زيارة سيدنا ومولانا قبل كل شيء . فما تم هذا الأمر إلا وجاءني شخص فقال لي : وجدت الدابة وما عليها . فأتيت الى مَنْ أودعتها عنده ، فقال لي : يا محمد اني كنت ربطت دابتك ههنا فبعد لحظة غابت عن نظري . فطفقت أفتش عنها فما وجدت حتى ينست منها . ثم رجعت فوجدتها واقفة وسط السوق بين الناس ولم ينقص مما عليها شيء مع ما في السوق من كثرة الإزدحام . فعجبت لذلك كل العجب ، ثم أخذتها وتوجهت الى سمرقند . فلما وصلت الى عند حضرة الشيخ رضي الله عنه تبسم وقال "أهلاً وسهلاً ومرحباً" فلم أفارق عتبته بعد .

(وقال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) كان رضي الله عنه إذا تكلم بالحقائق كثيراً ما يوجه خطابه اليّ ، وسألني مرة فقال : هل أنت إذا سمعت مني الكلام على الحقائق تغير حقيقتك التي تلقنتها من أبيك في صباك وتلقيتها من أستاذك ورسخت في قلبك ؟ قلت : لا . قال : إذا أنت أهل لسماعها .

(وكتب فيه أيضاً) "إن سيدنا ومولانا مرض مرة فأمرني أن آتيه بطبيب من هراة . فجاءني مولانا قاسم قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ وقال : يامولانا محمد أسرم في ذهابك وإيابك فإني لأستطيع أن أرى سيدنا ومولانا مريضاً . وحرصني تحريضاً تاماً . فلما جئت بالطبيب وجدت الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ قد شفي ومولانا قاسم قد توفي . وكانت مدة غيابي عنه خمساً وثلاثين يوماً فسألت الشيخ عن سبب وفاته فقال : "جاءني ذات يوم فقال : اني قد فديتك بنفسي . فقلت له : لاتفعل هكذا ، فإن المتعلقين بك كثيرون وأنت رجل شاب . فقال : ماجنتك مستشيراً في هذا الأمر بل قررته في نفسي وصممت عليه وجئت وقد قبل الله مني ذلك . ولطالما راجعته في ذلك ونهيته عنه فما قبل وما زال مصرّاً على جوابه الأول وانصرف . قال ففي اليوم الثاني إنتقل مرض الشيخ بعينه الى مولانا قاسم وتوفي به . وذلك يوم

الإثنين لستَ خلت من شهر ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وثمانمائة . وبرا الشيخُ برءُ تاماً فلم يحتج للصليب الذي أتيت به " .

(ولما احتضر) سيدنا ومولانا رضي الله عنه اجتمع عنده جميع أولاده وأحفاده وأصحابه الخاصة والعامة . فقال لهم "ليختار كل منكم إما الغنى وإما الفقر" فقال له الشيخ محمد قدس الله سره : إختياري إختيارك . فقال : أنا أختار الفقر . ثم التفت الى خازنه وقال له اعطه أربعة آلاف شاهرخيه ليستعين بها على مؤنة الفقراء الذين يجتمعون عنده ويتفرغ لخدمتهم .

(وله) أصحاب كالنجوم في هداية الخصوص وبركة العموم أعظمهم إثنان :

الأول : العارف بالله تعالى مولانا الخواجي الكاسپاني قدس سره نسبة الى قرية (كاسپان) في جانب ولاية الأخصى . قدم بعد إستيفاء حظه من كافة العلوم على أعتاب الشيخ ونال ببركته أعلى منازل الأولياء الكاملين . ثم استوطن (دهبيدة) من أعمال بخارى يرشد السالكين ويدعو الى الله تعالى المؤمنين حتى لقي ربه ، وذلك سنة تسع وأربعين وتسعمائة . ولمولانا الكاسپاني أربع أصحاب وخلفاء أحباب وهم : العارف بالله الشيخ دوست الصحاف قدس سره وأصله من ولاية الأخصى . خدم أعتاب الشيخ حتى صار من كبار المرشدين الكاملين ثم رحل الى بلخ وتوفي بها عام أربعة وسبعين وتسعمائة قدس سره . والعارف بالله الشيخ خرد قدس سره ولد في (أرجاكت) من ولاية الأخصى وخدم رحاب مولانا الكاسپاني بصدق وإخلاص ، فنال من مقامات العرفيت أعلاها ومن منازل الأولياء أسناها . ولم يزل يدعو الخلق الى الله حتى إنتقل ، وذلك عام ستة وتسعين وتسعمائة في (أرجاكت) نور الله مرقده . والعارف بالله تعالى الشيخ محمد إسلام الجويباري البخاري . نشأ بها ثم لما أدرك من الفضائل قصارى مرامه قدم لأعتاب سيدنا القاضي محمد ولازم خدمته ونال نظره وهمته . ولما توفي إتصل بخدمة مولانا الكاسپاني فصار بأدنى مدة من أكابر أصحابه . وكان بركة زمانه وسيد أقرانه أشتهر بالولاية إشتهار الشمس وصار أية في الإرشاد حتى إنتقل الى حظيرة القدس ، وذلك في صفر سنة إحدى وسبعين وتسعمائة في بلدة (سمتين) من أعمال بخارى عن ثمان وثمانين سنة نور الله ضريحه . ولمولانا الجويباري ثلاثة أصحاب وهم : نجله العارف بالله تعالى الشيخ كلان قدس سره ، تخرج على يدي والده وسلك عنده حتى بلغ مبلغ الكبراء من الأولياء . ولما توفي قام مقامه في إرشاد الخلق الى طريق الحق نور الله روضته . والإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي قدس الله سره وهو أيضاً من أصحاب الخواجه محمد الباقي وسيأتي في نظم السلسلة بعد الشيخ محمد الباقي ذكر ترجمته مفصلاً نفعنا الله به . والعارف بالله تعالى الشيخ يونس الترك قدس سره . كان من أجل أصحاب مولانا الجويباري وكان كبير الشأت رفيع القدر في الإرشاد والإمداد والبركة للعباد نور الله مثواه .

الثاني : من خلفاء مولانا محمد القاضي قدس سره شيخ هذه السلسلة وأعظم من سرى اليه سر هذه النسبة المجللة ابن أخته سيدنا الدرويش محمد قدس سره .

## سيدنا الدرويش محمد السمرقندي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزِيزَ

غوث الأولياء الأعلام وغيث علماء الإسلام ، المُشْرِقُ فِي الْمَغْرِبِ والمُشْرِقُ نور بركته والمُشْرِقُ على دولة الإرشاد وإرشاد دولته . تربي في حجر خاله ونال مزيد فضله وأفضاله بما تَضَلَّم من العلوم الشرعية وإرتضم من ثدي التربية الربية الى أن ارتوى من الحقائق الإلهية والمعارف الغيبية وصار بما أوحى اليه هو المعوَّل عليه .

واشتهر من بعده بالولاية العظمى والعلم الأسمى والقدر العلي والفضل الجلي حتى عرف في أيامه بالدرويش ولي . ولما حوى من الهدى ماحوى ومال على محو الضلال كالسيل إذا إنهال والنجم إذا هوى ماضلاً صاحبه وماغوى ، بل جمع من الخواطر أشتاتها ووصل من العزائم بتاتها وأحيا من النفوس أمواتها وقدر فيها من الخير أقواتها ، حتى غدا بركة زمانه وإنسان عين الإرشاد وعين إنسانه .  
( توفي ) في ( ... ؟ ) سنة ( ... ؟ ) وله أصحاب كثيرون كلهم هادون مهديون . وأعظم من سرى اليه سرّ هذه النسبة المصمّرة شيخ هذه السلسلة نجله المبجل سيدنا محمد الخواجكي الإمكنكي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ .

## سيدنا محمد الخواجكي الأمكنكي السمرقندي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزِيزَ

خلاصة خاصة الأولياء وارث علوم الأنبياء ، فهو الإمام المتففق على جلالة منزلته والمرجو بركة فضله . ولد في ( ... ؟ ) سنة ( ... ؟ ) وتخرج على حضرة والده . وفاز بطارف مجده وتالده الى علوم كالجبر الزاخر ومعارف كم تركها الأول للآخر . ولم يزل في بدايته بعين هدايته ملحوظاً وفي فلك سلطنة تربيته محظوظاً حتى صار لمناقبه لوحاً محفوظاً لا يدم فضيلة جليته إلا أحصاها ولا ضيعة وضيفة إلا أقصاها ولا مقامات عالية إلا طواها ولا أسراراً غالية إلا حواها ولا أذواقاً غامضة إلا جلاها . فكان تلو والده كالشمس وضحاها والقمر إذا تلاها . جلس في دست الخلافة بعده وبذل في إحياء القلوب جهده ولبس خلعة القبطانية فلا ذرة في العالم إلا وهو يمدّها بالروحانية . فأشرق في همته بدر هذا الطريق وصار فريق خيره خير فريق وطار صيت إرشاده ووفور إمداده وبعد مداه . فهرع الناس الى إقتباس هدى أنواره وأنوار هداة حتى صار بابه محط رحال العارفين وقبلة قلوب الصلحاء المتقين ومستغاث الطالبين عليه من هيبه الكرامات والكشف أكبر جلالة ، ومن عظمة التجليات الذاتية مايدل على سمو مقامه في الحضرة الإلهية أكمل دلالة .  
( والخواجكي ) اسمه الكريم وهو نسبة الى خواجه وأبدلت هاؤه كافاً على عادة الفرس . وقال في " شرم سلسلة الذهب " وفي ذلك الإسم مدم عظيم . ( والإمكنكي ) نسبة الى ( إمكنه ) بكسر الهمزة وسكون الميم وفتح الكاف والنون ثم هاء أبدلت كافاً كذلك قرية من قرى بخارى . وله خلفاء كاملون أولياء . وأكمل من سرى اليه سرّ هذه النسبة العلية شيخ هذه السلسلة الشيخ محمد الباقي رضي الله عنه وعنهم .

## سيدنا الشيخ مؤيد الدين محمد الباقي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ العَزِيز

العارف الفاني بالله والباقي بذاته الراقي في أوج الشهود الى أوج مقاماته . كان سرّاً من أسرار الله وأية من آياته . جمع بين شرفي العلوم والمعارف وجرّ على طرفي بحر العلاء المطارف . أتاه الله من العلمين والتصرف في العالمين ما يدلّ على سموّ قدره عنده وإنه يحشر يوم القيامة أمة وحده . وما أقصر لساني وأصغر بنان بياني في ترجمة من قال في شأنه سيدنا الإمام الرباني مجدّد الألف الثاني ما نصّه :

القائم مقام المشايخ العلية والنائب مناب الأكابر النقشبندية الواصل الى نهاية النهاية ، البالغ أقصى درجات الولاية . قطب مدار الخلائق كاشف أسرار الحقائق الفرد الكامل في المحبة الذاتية المحقق الجامع لكمالات الولاية المحمدية . مسند أهل الإرشاد والهداية مرشد طريق درج النهاية في البداية ، زبدة العارفين قدوة المحققين شيخنا وملادنا ومولانا الشيخ الأجلّ والعارف الأكمل محمد الباقي أبقاه الله تعالى . اه .

( ولد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ ) في نواحي كابل من بلاد العجم التابعة لسلطنة الهند ونشأ بها . ثم قدم الهند لأمر من الأمور الدنيوية ، فأدركته جذبة من جذبات الحق قوية . فأعرض عن الدنيا وأربابها وجدّ في تلقي العلوم عن سادات العصر وفضلاء كل مصر والأخذ عن العارفين والإستفاضة من قلوب الأولياء وروحانية المرشدين ، حتى صار في المعقول بحراً وفي المنقول حبراً وفي كل فضيلة فرداً . ولم يال في السياحة جهداً الى أن وصل الى مدينة سمرقند ، واتصل بحضرة الخواجي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . فتلقى منه حضرة طريق النقشبند فرقى في أقرب أوقاته الى أعلى درجاته . وكانت تربيته روحانية غوث الأبرار سيدنا الشيخ عبيدالله أحرار قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ وشرف في الملأ الأعلى قدره . ثم أجاز له تربية المريدين وإرشاد المسترشدين وأمره بالعودة الى الهند وبشره بتربية شمس سرهند أعني الإمام الرباني . فرجم اليها وتوطنت مدينة (دهلي جهات آباد) فملأها بالإيمان والعرفان والأسرار والأنوار والإمداد والإرشاد . وما انتشرت في جميع الأقطار الهندية عوارف معرفة الطريقة النقشبندية إلا من أرج رياض فضله ، إذ ما كانوا يعرفونها من قبله . فأقبلت اليه الأمم بما جذبهم به من علو الهمة وقوة التصرفات الإلمية والخصائص المحمدية حتى صار كل من يقيم بصره الشريف عليه أو يحضر مجلس ذكره أو يجلس بين يديه يحصل له الغيبة والفناء من أول وهلة . وإن لم يحسب في الظاهر أهله وربما إنكشف له عن عالم الملك والملوكوت بلا مهلة .

( توفي ) يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وألف في مدينة دهلي وله أربعون سنة وأربعة أشهر وقبره الشريف بها على غربها عند أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم يُستغاث به . ( وخلفاؤه ) أكثر من أن تُذكر ، من أكملهم خلاصة الأولياء العارفين الشيخ تاج الدين العثماني الهندي معرّب "الرشحات والنفحات" قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . والعارف بالله تعالى المير حسام الدين قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . وأعظم من تلقى سرّ هذه النسبة المطهرة منه شيخ هذه السلسلة الإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي رضي الله عنه .

## الإمام الرباني مجدد الألف الثاني سيدنا الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزِيزَ

درة إكليل الأولياء العارفين و غرة جبين الأصفياء الغرّ المحجلين ، كنز فضائل السلف والخلف وجامع فرقان المحامد والمكارم والشرف . طور التجليات الذاتية وسدرة منتهى العلوم الأحدية ومنهل معارف الوراثة المحمدية ، ومظهر إرشاد الحقائق الأحمدية وفضلكة العلماء بالله عزّ وجلّ ، والقائم بأمر الله بلا وجل الذي تشرفّ العصر بوجوده وتبسم ثغر الدهر عن جود سعوده وسعود جوده . المرشد الكامل المكمل والمنقذ المخوف المؤمل ، بك أكمل المرشدين ومرشد الأكمليين . داعي الخلق بالحق الى الحق القطب الأوحد والعلم المفرد الإمام الرباني مجدد الألف الثاني سيدنا ومولانا الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي ابن الشيخ عبدالأحد بن زيت العابدين بن عبدالحى بن محمد بن حبيب الله ابن الإمام رفيع الدين بن نور بن نصيرالدين بن سليمان بن يوسف بن عبدالله بن إسحق بن عبدالله بن شعيب ابن أحمد بن يوسف بن شهاب الدين المعروف بفرخ شاه الكابلي ابن نصيرالدين بن محمود بن سليمان بن مسعود بن عبدالله الواعظ الأصغر ابن عبدالله الواعظ الأكبر ابن أبي الفتم بن إسحق بن إبراهيم بن ناصر بن سيدنا عبدالله بن أمير المؤمنين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثاني سيدنا عمر الفاروقي رضي الله عنه وعنهم أجمعين .

( ولد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ ) يوم عاشوراء سنة إحدى وسبعين وتسعمائة في بلدة (سهرند) (بسين مهملة فهاء فراء مهملة ودال مهملة) كذا أوردها حفيده الشيخ محمد مظهر في ترجمته . وفي بعض نسخ السلسلة الشريفة سرهند بتقديم الراء على الهاء . ولعل الأولى هي الأولى لأن صاحب الدار أدرى وهي مدينة من أعمال الاهور في الهند .

### عنوان شأنه وشأن عنوانه

تلقى العلوم كلها معقولها ومنقولها عن والده المشار اليه وعن غيره من محققي زمانه واشتغل بالطرق الثلاث القادرية والسهروردية والچشبية على والده قَدَسَ اللهُ سِرَّهُما حتى أذن له بالإرشاد والإستخلاف في الطريق المنوّه بها وهو ابن سبعة عشر سنة . فمازال مشتغلاً بنشر العلوم والمعارف وتربية السالكين وهداية المريدين وإرشاد الطالبين وفي نفسه شغف عظيم وميل قوي لتحصيل نسبة الطريقة العلية النقشبندية ، لعلمه بفضلها على سائر الطرق وعلوّ نسبتها على كلّ النسب ، حتى اجتمع بغوث الزمان العارف بالله تعالى سيدنا الشيخ محمد الباقي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . وقد كان أرسله شيخه القطب الكبير والإمام الشهير سيدنا محمد الخواجي الإمكنكي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ من بخارى الى الهند . فأخذ عنه الطريقة النقشبندية ولازمه ففاز بأعلى المرام في مدة شهرين وبضعة أيام ، حتى شهد له شيخه قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ بالمرادية والمحبوبة والكمال والتكميل وفوض اليه تربية مريديه ، بك طلب منه الإمداد لنفسه . وقال في حقه إنه القطب الأعظم . فتصدّر للإرشاد وهداية العباد وعمّ نفعه كل حاضر وباد :

أتته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها  
فلم تك تصلح إلا لـه ولم يك يصلح إلا لها  
فلورامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها

### سعود وجوده ووجود سعوده

أخبر بوجوده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " يكون في أمتي رجل يقال له (صلة) يدخل بشفاعته كذا وكذا" أخرجه السيوطي في "جمع الجوامع" ويدل لذلك ماكتبه قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ في أحد مكاتيبه : "الحمد لله الذي جعلني صلة بين البحرين ومقتبساً لأنوار النَّبِيِّينَ" .

(وذكر) الشيخ المير حسام الدين أحد خلفاء إمام العارفين شيخه الشيخ محمد الباقي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام على المنبر وهو يثني على الشيخ أحمد السمرندي ويقول اني أباهي وأفتخر بوجوده في أمتي وإن الله تعالى جعله مجدداً أمتي .

(وقد بشر بظهوره) كبار الأولياء أيضاً كما ذكر ذلك في المناقب ، (فمن ذلك) مانقله مولانا الشيخ بدرالدين السمرندي عن قدوة العلماء العارفين بالله الشيخ أحمد الجامي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ انه قال : "يجيء من بعدي سبعة عشر رجلاً من أهل الله يسمون أحمد آخرهم يخرج على رأس الألف هو أعلاهم" . وأجمع الجماء الغفير من أهل الكشف على أن المراد به صاحب الترجمة قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ .

(ومنه) ما قاله مولانا الخواجي الإمكنكي لخليفته الشيخ محمد الباقي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُما أنه يخرج رجل من الهند يكون أمام عصره يصير فتوحه على يديك ، فأسرع إليه فإبأه الله منتظرون قدومه . فلما توجه من بخارى الى الهند واجتمع به المحدد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ وأخذ عنه قال له أنت ذلك المبشر به (وقال أيضاً) لما وصلت الى سمرند رأيت في الواقعة رجلاً قبيحاً لي أنه قطب زمانه ، فلما رأيتك عرفتك بتلك الحيلة والصورة .

(وقال له أيضاً) لما دخلت سمرند وجدت هناك مشعلاً يوقد في غاية العظم والعلو حتى كأنه بلغ عنان السماء وقد امتلأ من نوره شرقاً وغرباً والناس يستوقدون منه سراجاً سراجاً . قال وهذا هو شأنك . (ومنه) إن صفوة الأولياء العارفين شيخ أبيه الشيخ عبدالأحد في الطريق القادري الشاه كمال الكتيهلي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . أودم عند حفيده العارف بالله تعالى شاه أسكندر جبة مباركة مورثة كما قيل عن الغوث الأعظم الشيخ عبدالقادر الكيلاني رضي الله تعالى عنه ، وقال إحتفظها حتى يظهر صاحبها . فلما ظهر المجدد أمره في الواقعة أن يوصلها إليه أخبره أنه أهلها فلم يوصلها ثم خاطبه في سره ، فلم يفعل فعاتبه في الثالثة . فأتى بها إليه وألبسه إياها ، فنال بذلك من الأحوال العظيمة ما نال .

(ومنه) أن تاجر جليلاً معروفاً بالصدق والأمانة وعليه سيما الصلاح ذكر أنه كان في بدايته عظيم الاعتقاد والمحبة للغوث الأكبر سيدنا الشيخ عبدالقادر الكيلاني رضوان الله تعالى عليه . قال وكان يظهر لي أحياناً ويبشرنني بأمور نفيسة ويفيثنني في مهماتي . فقال لي يوماً في الواقعة : إنك وإن نلت مني مدداً عظيماً ولكنك لا بد لك من شيخ في الظاهر . فقلت له : الى من أرجع ؟ قال : الى الشيخ أحمد السمرندي فإنه اليوم الجامع بين الظاهر والباطن وهو قطب زمانه . فلما اجتمعت به رأيت عجائب الكرامات وغرائب الكمالات .

(ودخل) رجل من أكابر أولياء بلخ الى سمرند فلما رأى الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ قال اني كنت في بلخ .



فحضرت جنازة قد اجتمع لها كافة أولياء ماوراء النهر من السلف والخلف مثل العارف الكبير والقطب الشهير سيدنا الشيخ عبدالخالق الجعدواني والغوث الأعظم سيدنا الشيخ محمد بهاء الدين النقشبند رضي الله عنه ووقفوا ينتظرون قدوم الأقطاب . فبينما هم كذلك إذ جاء رجل جليل المقدر باهر الأنوار فقدّموه فأهمهم . فسألت عنه ففيل لي إنه الشيخ أحمد السهرندي .

### سلوك الملوك وملوك السلوك

(قال قدّسَ اللهُ سرّه) أعلم أن العناية الإلهية جذبتني جذب المرادين أولاً ، ثم يسّرت لي طي منازل السلوك ثانياً . فوجدت الله سبحانه أولاً عين الأشياء ، كما قاله أرباب التوحيد الوجودي من متأخري الصوفية . ثم وجدت الله في الأشياء من غير حلول ولا سريان ثم وجدته سبحانه معها بمعيرة ذاتية . ثم رأيته بعدها ثم قبلها ثم رأيته سبحانه ومارأيت شيئاً وهو المعنى بالتوحيد الشهودي المعبر عنه بالفناء . وهو أول قدم توضع في الولاية وأسبق كمال في البداية . وهذه الرؤية في أي مرتبة من المراتب المذكورة تحصل أولاً في الأفاق ، ثم ثانياً في الأنفس . ثم ترقّيت في البقاء الثاني وهو ثاني قدم في الولاية . فرأيت الأشياء ثانياً فوجدت الله تعالى عينها بل عين نفسي . ثم وجدته تعالى في الأشياء بل في نفسي ثم مع الأشياء بل مع نفسي . ثم قبل الأشياء بل قبل نفسي ، ثم بعد الأشياء بل بعد نفسي . ثم رأيت الأشياء ومارأيت الله تعالى أصلاً . وهي النهاية التي هي الرجوع الى البداية والعودة الى مرتبة العوام . وهذا المقام هو أتم مقامات دعوة الخلق الى الحق وأكمل منازل التكميل والإرشاد لتمام المناسبة للخلق المقتضية لكمال الإفادة والاستفادة .

(وقال قدّسَ اللهُ سرّه) لما صحبت القائم اليوم مقام المشايخ العلية والنائب مناب الأكابر النقشبندية الواصل الى نهاية النهاية البالغ أقصى درجات الولاية . قطب مدار الخلائق كاشف أسرار الحقائق . الفرد الكامل في المحبة الذاتية المحقّق الجامع لكمالات الولاية المحمدية . مسند أهل الإرشاد والهداية . مرشد طريق درج النهاية في البداية . زبدة العارفين قدوة المحققين شيخنا وملاذنا ومولانا الشيخ الأجلّ والعارف الأكمل محمد الباقي أبقاه الله تعالى . حصل لي ببركة توجهه الجذبة التي تشعبت بعد الإستهلاك في صفة القيومية . وتشرّفت باندرام النهاية في البداية . ثم حصلت لي مراتب السلوك ووصلت الى النهاية التي هي عبارة عن الوصول الى الاسم الرب بمدد أسد الله الغالب كرم الله تعالى وجهه . ثم ترقّيت القابلية التي هي عبارة عن الحقيقة المحمدية بمدد الشيخ بهاء الدين شاه نقشبند قدّسَ اللهُ سرّه العزيز الى مقام إجمال تلك القابلية وهو مقام الأقطاب المحمدية بمدد الروح المقدّسة النبوية . وفي أثناء ذلك حصل لي مدد يسير من الشيخ علاء الدين العطّار قدّسَ اللهُ سرّه . ولما وصلت الى ذلك المقام أعطيت خلته القطبية من الحضرة المحمدية ثم جذبتني العناية الإلهية فعرجت الى مقام الأصل الممتزج بالظل الذي فوق مقام الأقطاب المختص بالأفراد . ثم أدركتني العناية الصمدانية فأوصلتني الى مقام الأصل الخاص . وفي هذا العروج وصل الي من الغوث الكيلاني قدّسَ اللهُ سرّه العزيز مدد عظيم وتصرف قوي أوصلني الى مقام أصل الأصل . ثم نزلت الى العالم المعبر عنه بالسير عن الله بالله . فمررت إذ ذاك على مقامات مشايخ السلاسل سوى النقشبندية والقادرية . فاستقبلوني بالتعظيم والإكرام وألقوا علي من نفائس نسبهم وخصائص مواجيدهم وإنكشفت لي حقائق كل منها وتفاوت درجاتها . وكان حصول العلوم اللدنية من روحانية الخضر على نبيينا وعليه السلام قبل وصولي الى مقام الأقطاب المذكور سابقاً . وبعد

الوصول الى ذلك المقام يأخذ الواصل العلوم من حقيقة نفسه كل ذلك بوراثته صلى الله عليه وسلم .

### بروج عروجه وعروج بروج

(قال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) كثيراً ماكان يُعرج بي فوق العرش المجيد ولقد عُرِجَ بي مرة . فلما ارتفعت فوقه بقدر ما بين مركز الأرض وبينه رأيت مقام الإمام شاه نقشبند رضي الله عنه . ورأيت فوق ذلك قليلاً مقامات بعض المشايخ منهم الشيخ معروف الكرخي والشيخ أبو سعيد الخراز رضي الله عنهما ، والبعض في مقامه وتحتهم والشيخ نجم الدين الكبري والشيخ علاء الدين العطار وسائر المشايخ دونه . وفوق هذه الدرجات مقام أئمة أهل البيت والخلفاء الراشدين وكافة الأنبياء . وفوقهم على طرف مقام نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام ، ومقامات الملائكة على الطرف الآخر ومقامه صلى الله عليه وسلم أرفع وأعلى . واعلم أنني كلما أريد العروج يتيسر لي وربما يقم من غير ما قصد .

### إكراماته وكراماته

ولقد خصه الله تعالى بفضيلة نشر العلوم اللدنية ، وبيان مراتب الولاية والنبوة والرسالة وكمالات أولي العزم ودرجات الخلة والمحبة وإظهار أسرار الذات والشؤون الإلهية بما لم يسبق إليه الى أذواق شريفة عالية ومذاهب لدنية عالية لو لم يكن منها إلا رتبة تجديد الألف الثاني لكفى .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) روى أبو داود عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها" . لكن بين من يجدد المائة ومن يجدد الألف من الفرق كما بين المائة والألف بل أعظم من ذلك . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) بشرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنك من المجتهدين في علم الكلام ويغفر الله بشفاعتك لألوف يوم القيامة وكتب لي خط الإرشاد بيده الشريفة وقال : "لم أكتب لأحد قبلك مثله" . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) العلوم والمعارف الصادرة عني هي خارجة عن طور الولاية وإنما هي مقتبسة من مشكاة أنوار النبوة على مصدرها الصلاة والسلام . جددت بتجديد الألف الثاني بطريق التبعية والولاية تعجز أرباب الولاية كالعلماء عن إدراكها ، لأنها وراء علوم العلماء ومعارف الأولياء ، بل علوم هؤلاء بالنسبة الى تلك العلوم قشر وتلك العلوم لبابها لاتخالف الشريعة ، بل هي أساس الدين وخلاصة علم الذات والصفات تعالت وتقدست وماتكلم بها أحد من العظماء ولا الكبراء ، إستأثر الله سبحانه بها هذا العبد . فصاحب هذه العلوم والمعارف مجدد . والمجدد هو الذي لايفيض من الحق على جميع العالم مدة تجديده شيء إلا بواسطته .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) قد كشف لي التوحيد الوجودي وألقيت علي علوم كثيرة ومعارف جمّة ورقائق وأفية من هذا المقام ولاحت لي معارف مظهر الصفة العملية الشيخ الأكبر رضي الله عنه . وتشرّفت بالتجلي الذاتي الذي بينه الشيخ وجعله نهاية العروج وخصه بخاتم الولاية مفصلاً موضحاً . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) كشفت لي خفايا المتشابهات القرآنية وأسرار المقطعات الفرقانية . فوجدت تحت كل حرف منها بحراً من العلوم الدالة على الذات العلية ، لو أظهرت شيئاً منها لقطع مني الحلقوم . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) أطلعني الله على أسماء من يدخلون في سلسلتنا من الرجال والنساء الى يوم القيامة وإن نسبتني هذه تبقى بواسطة أولادي الى يوم القيامة ، حتى إن الإمام المهدي سيكون على هذه النسبة الشريفة .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) كنت مرة في حلقة الذكر مع أصحابي فخطر لي أنني في تصور ونقص ، فألقي

التي في الحال "إني قد غفرت لك ولمن توسل بك اليّ بواسطة أو بغير واسطة الى يوم القيامة". (قال قدس الله سره) كان تكويني من بقية طينة حبيبه صلى الله عليه وسلم . (وقال قدس الله سره) أريت الكعبة المطهرة تطوف بي تشريفاً منه تعالى وتكريماً لي . (وقال) بشرني الحق تعالى بأن من صليت على جنازته غفر له وأنه من وضع في قبره تراب من قبوري لأيعذب . (وقال) أطلعني الله على قبور الأنبياء المبعوثين الى أرض الهند بحيث أرى أنواراً ساطعة من قبورهم .

(وقال) ألقى اليه أن هذه الخصائص والكمالات التي أوتيتها لاينالها أحد غيرك الى زمن المهدي عليه السلام . (وقال) إن الله تعالى أعطاني قوة عظيمة في أمر الهداية بحيث لو توجهت الى خشية يابسة لاخضرت .

(وكتب اليه بعض المشايخ) إن المقامات التي تدعيها هل نالها الصحابة أو لا وعلى الأول هل نالوها دفعة واحدة أو تدريجاً؟ فأرسل اليه إن الجواب موقوف على حضورك . فحضر فتوجه اليه بجمعية المقامات . فترامى في الحال على قدميه وقال : "أمنت أن جميع المقامات كانت تحصل للصحابة رضوان الله عليهم بمجرد نظره صلى الله عليه وسلم" . (ودعا) للإفطار في شهر رمضان المبارك عشرة من مريديه فأجابهم فلما كان وقت الغروب حضر عند كل واحد من العشرة في أن واحد وأفطر عندهم . (وأمر السلطان) يوماً بقتل رجل فالتجأ الى حضرته وطلب منه أن يكتب له براءة من القتل ، فكتب له ذلك . فلما بلغ السلطان لم يقدر أن يتعرض له هيبةً منه قدس الله سره .

(وقصد) زيارته رجل من بلاد شاسعة فأتى سهرند ليلاً وبات عند أحد المنكرين على الشيخ قدس الله سره وهو لا يشعر ، فسأله عن سبب شخوصه الى سهرند ، فقال له : جئت لزيارة الشيخ . فجعل يطعن فيه ، فلما رأى الرجل ذلك خاف وصار يستغيث به قدس الله سره ويقول في سره "ياسيدي اني جئت لطلب الحق وهذا يصدني عنه" ثم نام . فلما كان وقت الفجر إذا بصاحب البيت قد مات ليلاً . فأسرم الرجل الى الشيخ وأراد أن يعرض عليه الخبر . فنظر اليه وتبسّم وقال : ماضى في الليل لا يذكر في النهار .

(وأتاه) مجذوم يطلب منه الدعاء فدعا له فشفى في الحال . (وقال نجله الأكبر) خازن الرحمة سيدنا الشيخ محمد سعيد قدس الله سره : كثيراً ماكان يخبرني الشيخ نفعنا الله بالأمر خيراً كان أو شراً قبل وقوعه ، فيقم كما يقول بلا تفاوت أصلاً .

(وقال الشيخ رضي الله عنه) جاءتني روحانية أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه ، فقالت اني بعثت اليك لأعلمك علم السموات . (واجتمعت) بروحانيات الإمام الأعظم أبي حنيفة وأساتذته وتلامذته والإمام الشافعي وأساتذته فأمدوني بأمادهم وأفاضوا عليّ من بركاتهم حتى استفرقت في أنوارهم . (وريتني) روحانية حضرة السادات النقشبندية والقادرية والچشتية والسهروردية فتحليت بنسبتهم الخاصة حتى صرت لو أردت أن أربي السالكين بنسبة كل واحد منهم لفعلت .

### محنة المنحة ومنحة المحنة

لقد جرت عليه قدس الله سره سنة الله في عباده المخلصين من ابتلائهم بايذاء الظلمة وإنكار أهل الظاهر عليهم ليُرفم عنده من جليل شأنهم ويعظم لهم أجراً ، وذلك لما رأوا من عظيمة ظهوره وإشتمار فضله في الدنيا . وعموم نفعه وإمتداد سلسلته المطهرة من الهند الى ماوراء النهر والروم والشام والمغرب . ثم إنه قدس الله سره كانت ترد له الكتب من أتباعه في كل جانب مشحونة بالمسائل العلمية

المتعلقة بالطريق العلية وحقائق الصوفية . فيجيب قَدَسَ اللّهُ سرَّهُ عنها بما أفاض الحقّ تعالى عليه من توضيح لما قاله أهل الله عزّ وجلّ تارة ومناقشة تارة أخرى وتسليم له لموافقته لكشفه وإظهار اختيار مرة أخرى انه خالف الشيخ الأكبر رضي الله عنه في وحدة الوجود وأبا يزيد رضي الله عنه في قوله "لو أن العرش وما حواه مائة ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به . وأظهر حقيقة الكعبة القران والصلاة وفصل مقامات العارفين وأذواقهم" . وذكر أن الحقّ تعالى جمع له بين القطبية والفردية والمحدثية والولاية الخاصة الناشئة من المحببة والمحبووية وخصّه بدوام التجلّي الذاتي وأشبع الكلام على كل مسألة بما لايسم الموفق إلا الوقوف عليه والتسليم له مما لم يسبق اليه . وربما تكلم على آية كريمة أو حديث شريف من طريق الإرشاد ، فاجتمع من ذلك ثلاثة مجلدات ضخمة تكتب بماء العيون . فابتعد بعض علماء عصره على كلام وقع منه فيها يُشعر بأن مقامه أعلى من مقام الصديق الأكبر رضوان الله عليه . ورفعوا الأمر الى السلطان نورالدين جهانكير . فلما حضر عنده قال له : أحتق مايقولون ؟ قال : نعم إلا أن ذلك بطريق التبعية لا الأصالة . فهو من قبيل ما إذا طلبتم أدنى الخدم لتسروُن اليه حديثاً . فلا يصل هذا الخادم الى مقامكم الأبعد الأبعد طي منازل الأمراء . ثم يعود الى محله الأول ، فلا يلزم أن يكون مقامه فوق مقام الأمراء . فارتضى السلطان منه بذلك الجواب . فلما أبصر المنكرون أنه قد أخفقت سعيهم فيه قال بعضهم للسلطان ألم تر تكبر هذا الشيخ ، فإنه ماسجد لكم وقت دخوله بك ولا تواضع المتواضع المتعارف مع أنكم ذلك الله في أرضه وخليفته في خليقته . فاستفزّه الغضب وأمر بسجنه في حصن (كُوَاليار) (بكاف مضمومة فواو فألف فلام ساكنة فتحتية فألف فراء مهملة) من أمنع حصون الهند وأشهرها . وكان السلطان شاه جهان ابن السلطان جهانكير مخلصاً للشيخ قَدَسَ اللّهُ سرَّهُ جداً ، فقبل أن يحضر عند والده . أرسل اليه أفضل خان والشيخ عبدالرحمن المفتي مع كتب من الفقه يقول له : "جوز العلماء سجدة التحية للسلطان فأنتم إن سجدتم له عند لقائه فأنا أضمت أنه لا يصل اليكم منه ضرر" . فلم يقبل منه بل قال : "هذه رخصة والعزيمة أن لا يسجد لغير الله تعالى" . وليث في السجن ثلاث سنين ، ثم أخرج به بشرط أن يقيم في معسكره ويدور معه . فأقام كذلك ثلاث سنين أيضاً ، ثم أطلقه فعاد الى سهرند والعود أحمد . (وذكر نجله الأكبر قدس سرّه) أن سبب إطلاقه انه كان مع ما عليه الحصن من الحصانة والحرس الشديد المحدث به من كل الجوانب يخرج رضي الله عنه لصلاة الجمعة ، فيصلي ثم يرجع ولا يعلمون من أين يخرج . فلما رأوا منه ذلك أخرجوه من السجن ثم أطلقوه مطلقاً وإذ لم يمكن مدة حبسه أن يرشد الناس بنفسه جعل يرشدهم بكتبه نفعنا الله تعالى به .

### نفحة من طيب عطره ورشحة من صيب قطره

(قال قَدَسَ اللّهُ سرَّهُ) أعلم يا أخي إن الذي لا بد منه وكلفنا الله به امتثال الأوامر واجتناب النواهي لقوله تعالى (ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) . وإذ كنا مأمورين بالإخلاص في ذلك وهو لا يتصور بدون الفناء بغير المحبة الذاتية وجب علينا أيضاً سلوك طريق الصوفية الموصلة للفناء والمحبة الذاتية حتى نتحقق حقيقة الإخلاص . ولما كانت طرق الصوفية متفاوتة بالكمال والتكميل ، كان كل طريق تلتزم فيه متابعة السنّة السنية وأداء الأحكام أولى وأنسب بالاختيار . وذلك الطريق هو طريق السادة النقشبندية قدس الله أسرارهم العلية . فإن هؤلاء الأكابر إلتزموا في هذه الطريقة متابعة السنة واجتناب البدعة . لاجوزون العمل بالرخصة ولو وجدوا ظاهراً أن له نفعاً في الباطن . ولا يتركون الأخذ بالعزيمة ولو علموا

صورةً أنه مضرٌ بالسيرة . ويجعلون الأحوال والمواجيد تابعة للأحكام الشرعية والأذواق والمعارف خادمة للعلوم . ولايستبدلون الجواهر النفيسة الشرعية مثل الأطفال بجوز الوجد وزبيب الحال . هذا حالهم على الدوام ووقتهم . مُحيت نقوش السوى من بواطنهم بحيث لو تَلَكَّفوا ألف سنة أن يتذكروها لايتيسر لهم ذلك التجلّي الذاتي ، الذي هو لغيرهم كالبرق دائم لهم . والحضور الذي يعقبه غيبة لا إعتبار له عند هؤلاء الأعزة رجال لاتلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حالهم . ومع ذلك فطريقهم أقرب الطرق قطعاً وموصلة البتة . نهاية غيرهم مندرجة في بداية هؤلاء الأكابر ونسبتهم المنسوبة الى الصديق الأكبر رضي الله عنه فوق نسب جميع المشايخ لا يصل الى ذوق هذه السادة فهم كل أحد :

أولئك أبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريير المجامع

وأى مناسبة بين أخصّ الخواص وبين كل زرّات ورقاص ولو ملئت الدفاتر في بيان خصائص أولئك الصفة . وكالاتها لكان قطرة من بحر لانهاية له .

(وقال قدّس الله سرّه) السير والسلوك عبارة عن الحركة في العلم وهو من مقولة الكيف ، فلا مجال للحركة في الجسم هنا . (فالسير الى الله تعالى وهو السير الأول) عبارة عن الحركة العلمية التي هي السير من علم الأسفل الى علم الأعلى ، ومن ذلك الأعلى الى أن ينتهي بعد طي علوم الممكنات كلها وزوالها بأسرها علم الواجب تعالى ، وهذا هو المعبر عن نفسه بالفناء . (والسير في الله تعالى هو السير الثاني) عبارة عن الحركة العلمية في مراتب الوجود من الأسماء والصفات والشؤون والإعتبارات والتقدّيسات والتنزيهات الى أن ينتهي الى المرتبة التي لا يمكن التعبير عنها بعبارة ولا يشار اليها بإشارة ولا تُكنّى بكناية ولا يعلمها عالم ولا يدركها مدرّك . وهذا السير يسمى بالبقاء . (والسير عن الله تعالى وهو السير الثالث) عبارة عن الحركة العلمية التي هي التنزّل من علم الأعلى الى علم الأسفل ، وهكذا الى أن يرجع الى الممكنات وينزل عن المراتب الوجودية كلها ، وهو العارف الذي نسي الله بالله ورجع عن الله مع الله وهو الواجد الفائق الواصل من المهجور القريب البعيد . (والسير في الأشياء وهو السير الرابع) عبارة عن حصول علوم الأشياء تدريجياً بعد زوالها في السير الأول . فالسير الرابع مقابل للأول والثالث للثاني كما رأيت . فالسير الى الله والسير في الله لتحصيل الولاية التي هي عبارة عن الفناء والبقاء . والثالث والرابع لتحصيل مقام الدعوة المختصة بالرسول عليهم الصلاة والسلام ولكل التابعين نصيب منه أيضاً كما قال تعالى (هذه سبيلي أدمعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) .

(وقال قدّس الله سرّه) أعلم أن مشايخ الطريقة النقشبندية قدّس الله أسرارهم اختاروا السير في الإبتداء من عالم الأمر ويقطعون في ضمنه عالم الخلق . بخلاف مشايخ سائر الطرق فإن إبتداء سيرهم من عالم الخلق ثم بعد طي عالم الخلق يضعون القدم في عالم الأمر ويصلون الى الجذبة . فلهذا صارت الطريقة النقشبندية أقرب الطرق . فلاجرم نهاية الغير مندرجة في بدايتهم . (وقال قدّس الله سرّه) إنما اختار أكابر هذه الطريقة السير من عالم الأمر إبتداءً ورأوا أن ذلك أنسب وأولى ، لأن الترقّي إنما يكون من الأدنى الى الأعلى لا على العكس . وعالم الأمر أدنى وعالم الخلق أعلى ، ماذا أفعل هكذا مراد الواحد الصمد ما كشفوا سرّ هذا المعنى لأحد . ونظروا في سائر الطرق الى الصورة . فرأوا عالم الخلق أدنى فشرعوا في الإرتقاء من الأدنى الصوري الى الأعلى الصوري . وما عرفوا أن حقيقة الأمر بخلاف ذلك . فإن الأدنى في الحقيقة أعلى والأعلى أدنى ، فإن النقطة الأخيرة التي هي عالم الخلق أقرب الى النقطة الأولى التي هي

أصل الأصول ، وماتيسر هذا القرب لنقطة أخرى غيرها .

( وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ ) الولاية عبارة عن الفناء والبقاء وهي إما عامة وإما خاصة . ونعني بالعامة مطلق الولاية وبالخاصة الولاية المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية . والفناء فيها أتمَّ والبقاء بها أكمل . وَمَنْ شُرِّفَ بِهِ النعمة العظمى فقد لَانَ جِلْدَهُ للطاعة وإنشرح صدره للإسلام وإطمأنت نفسه عن مولاها ورضي مولاها عنها وسلم قلبه لمقلِّبه وتخلَّصت لمكاشفة حضرة صفة اللاهوت وشاهدها سره مع ملاحظة الشؤون والإعتبرات . وفي هذا المقام يتشرف بالتجليات الذاتية البرقية ويتحير خفية بكمال التنزه والتقدس والكبرياء ، ويتصل أخفاه إتصلاً بلا كيف ولا ضرب من المثل . ( وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ ) المانع من سرعة تأثير بعض سالكي هذه الطريقة العلية ووجدانهم اللذة والحلاوة التي هي مقدمة الجذبة ، مع أن ابتداء سيرهم من عالم الأمر هو أن عالم الأمر فيهم ضعيف بالنسبة إلى عالم الخلق الذي فيهم . ولا يزال هذا الضعف فيهم حتى يقوى عالم الأمر فيهم عن عالم الخلق . والذي يناسب لعلاج هذا الضعف في هذه الطريقة العلية التصرف التام من المرشد الكامل . وفي سائر الطرق تقديم تزكية النفس والمجاهدات والرياضات الشاقة الموافقة للشريعة المحمدية على صاحبها الصلاة والتحية .

( وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ ) إعلم أن أصل كلِّ بلاء إنما يكون من الإبتلاء بالنفس ، ومتى تخلَّص الإنسان منها تخلَّص من الإبتلاء بما سواه تعالى . فإن كان يعبد الأصنام فإنما يعبد نفسه في الحقيقة (أفرايت من اتخذ إلهه هواه) . خلَّ نفسك وتعال . وكما أن الخروج عن النفس والمرور عنها فرض ، كذلك الدخول إليها والغوص فيها لازم . فإن الوجدان إنما يكون فيها ولا يكون في الخارج عنها . السير الأفريقي بعد في بعد والسير الأنفسي قُرب في قُرب . فإن كان هناك شهود فني النفس أو معرفة فكذاك أو حيرة فكذاك . وليس في خارج النفس موضع قدم . فخالي الذهن يفهم الحلول والإتحاد من هنا ويقم في ورطة الضلال . إذ الحلول والإتحاد كفر والخوض في هذا المقام بالفكر قبل التحقق ذوقاً حرام . ( وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ ) إعلم أن مراتب الكمال متفاوتة بحسب تفاوت الإستعدادات . والتفاوت في الكمال قد يكون بحسب الكمية وقد يكون بحسب الكيفية وقد يكون بهما معاً . فكمال البعض مثلاً بالتجلي الذاتي ، وكمال الآخر بالتجلي الصفاتي ، مع تفاوت بين جداً بين هذين التجليين وبين أربابهما . وكمال البعض بسلامة القلب وتخلَّص الروح وكمال الآخر بهما وبالشهود السري أيضاً . وكمال الثالث بهذه الثلاثة وبالحيرة المنسوبة إلى الخفي . وكمال الرابع بهذه الأربعة وبالإتصال المنسوب إلى الأخرى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وبعد حصول الكمال في أي مرتبة كانت من المراتب المذكورة . فبما رجوع تهقري أو ثبات واستقرار في ذلك الموطن . فالأول هو مقام التكميل والإرشاد ورجوع من الحق إلى الخلق للدعوة . والثاني هو موطن الإستهلاك والعزلة عن الخلق .

( وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ ) إعلم أن فيض الحق تعالى على الدوام للخواص والعوام سواء كان من قسم الأموال والأولاد أو من جنس الهداية والإرشاد من غير تفاوت . وإنما نشأ التفاوت من القبول وعدمه (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) . فالشمس تشرق على الثوب وعلى القصار إشراقاً واحداً فيسود وجه القصار ويبيض الثوب . وعدم القبول لهذا السبب إعراض عن جناب الحق تعالى . فإن المُقبل عليه كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي (من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً) . والمُعرض يُعرض عنه كما قال صلى الله عليه وسلم "فأعرض فأعرض الله عنه جزءاً وفاقاً" . قال تعالى (فأذكروني أذكركم)

و(نسوا الله فنسيهم) . وفي الحديث "إنما هي أعمالكم أحصيها لكم من غير زيادة ولا نقصان كما تدينون تدان" . فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

(وقال قدس الله سره) إن إزالة المرض القلبي في هذه الفرصة اليسيرة بالذكر الكثير من أهم المهمات . وعلاج العلة المعنوية في هذه المهلة القليلة من أعظم المقاصد . والقلب المبتلى بالغير لا يرجى منه خير . لا يقبلون هناك إلا سلامة القلب وخلص الروح . ونحن هنا دائماً في تحصيل أسباب ابتلائهما . هيئات هيئات (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) .

(وقال قدس الله سره) في مبحث النفي والإثبات ؛ الكمال هو أن يكون شهود مرتبة الوجوب أيضاً مثل شهود مراتب الإمكان داخلاً تحت لا . فلا يحظ في جانب الإثبات إلا التفوه بكلمة المستثنى . والحق أن الفطرة العليا والهمة القصوى طالبة لمطلب عظيم لا تتناول إليه الأيدي ، بل لا يصل غبار الإدراك إلى ذيله . الرؤية الأخروية حق ، ولكن تصورهما يفنيني . الناس مسرورون بالرؤية الأخروية الموعودة وليس ابتلائي بسوى غيب الغيب همّتي بكلّيتها أن لا يخرج المطلوب من الغيب إلى الشهادة أصلاً ولا من السماء إلى الشهود ، ولا من العلم إلى العين . ماذا أفعل هكذا خلقوني .

(وقال قدس الله سره) قال عليه الصلاة والسلام : "ما حدث قوم بدعة إلا رُفِعَ مثلها من السنة" . وعن حسان رضي الله عنه قال : "ما بدت قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إلى يوم القيامة" . بناءً عليه فبعض البدع التي قال العلماء إنها حسنة إذا تأملتها تجدها رافعة لسنة . مثلاً قالوا في تكفين الميت العمامة بدعة حسنة مع أن هذه البدعة رافعة لسنة . فإن الزيادة على العدد المسنون الذي هو ثلاثة أثواب نسخ والنسخ عين الرفع . وهكذا إرسال المشايخ العذبة من الجانب الأيسر استحسنوها والسنة في العذبة أن تكون بين الكتفين فظاهرة غاية الظهور . إن هذه البدعة رافعة لسنة . وكذلك ما استحسنه العلماء في نية الصلاة من التلّفظ بها باللسان مع وجود إرادة القلب . والحال أنه ما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام لا برواية صحيحة ولا ضعيفة ولا عن الصحابة الكرام ولا التابعين العظام أنهم أتوا النية باللسان بل كانوا يكبرون تكبيرة التحريم حين تقام الصلاة . فالنية باللسان بدعة ويسمونها بدعة حسنة . والفقير يعلم أن هذه البدعة رافعة للفرض فضلاً عن السنة . فإن أكثر الناس يكتفون في جواز ذلك باللسان ولا يبالون بغفلة القلب . فيكون قد ترك في ضمن ذلك فرضاً من فرائض الصلاة ، الذي هو النية بالقلب فيؤدي ذلك إلى فساد الصلاة . وعلى هذا القياس سائر المبتدعات والمحدثات فإنها زيادات على السنة ولو بوجه من الوجوه ، والزيادة نسخ والنسخ رقم .

(وقال قدس الله سره) أعلم أن الولاية عبارة عن الفناء والبقاء والخوارق من لوازمها ، ولكن ما كل من كانت خوارقه أكثر تكون ولايته أتم وأكمل . بل تكون خوارقه أقل ولايته أتم وأكمل . ومدار كثرة الخوارق على شينين وهما : أن يكون الصعود في وقت العروج أكثر والهبوط في وقت النزول أقل ، بل الأصل العظيم في كثرة ظهور الخوارق هو قلة النزول كيف ما كان العروج . لأن صاحب النزول ينزل إلى عالم الأسباب فيجد الأشياء مربوطه بها ويرى فعل المسبب من ورائها ، والذي لم ينزل أو نزل ولكنه لم يصل إلى الأسباب فنظره مقصور على مسبب الأسباب والأسباب قد ارتفعت عن نظره . والحق سبحانه يعامل كل أحد على حسب ظنه . فيقضي أمر من يرى الأسباب بها ، ويقضي أمر من لا يرى الأسباب بدونها . قال تعالى في الحديث القدسي (أنا عند ظن عبدي بي) ولطالما كان يخطر ببالي أنه ما السبب في كون

الخوارق التي ظهرت على يد الشيخ عبدالقادر رضي الله عنه لم تظهر على يد كثير من كَمَلِ الأولياء السابقين حتى أطلعني الله تعالى على سر ذلك ، وهو انه كان عروجه أعلى من أكثر الأولياء ، وفي جانب النزول كان نزوله الى مقام الروم الذي هو فوق عالم الأسباب .

ومما يناسب هذا المقام ما حكى ان الحسن البصري رضي الله عنه كان واقفاً على شاطئ النهر ينتظر السفينة فجاء حبيب العجمي رضي الله عنه فوجده واقفاً ، فقال له : ماذا تنتظر ؟ قال : السفينة . فقال له : وأي حاجة الى السفينة أما لك يقين . فقال الحسن : أما لك علم . ثم مشى حبيب على الماء وبقي الحسن حتى ركب السفينة . فلما كان الحسن نازلاً الى عالم الأسباب عاملوه بها وحبيب لم ينزل فعاملوه بدونها . والفضل للحسن فإنه صاحب علم جمع بين علم اليقين وعين اليقين وعرف الأشياء كما هي . وفي نفس الأمر جعلت القدرة مستورة خلف الحكمة وحبيب العجمي صاحب سكرٍ وله يقين بالفاعل الحقيقي من غير أن يرى للأسباب مدخلاً . وهذه الرؤية غير مطابقة لما في الواقع . فإن توسط الأسباب كانت وحاصل . وأما شأن التكميل والإرشاد فهو بعكس طريق ظهور الخوارق . فإن في مقام الإرشاد كلما كان نزوله أكثر كان في الإرشاد أكمل ، لأنه لا بد من حصول المناسبة بين المرشد والمسترشد وذلك منوطاً بالنزول .

وإعلم أنه كلما كان الصعود أعلى يكون الهبوط أنزل . فلهذا لما كان ترقّي نبينا عليه الصلاة والسلام أعلى وأرقى من ترقّي جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان نزوله أقوى من الجميع . فكانت دعوته أتمّ ولذلك أرسل الى كافة الأنام . فإنه بسبب نهاية النزول حصل المناسبة بالجميع ، فصار طريق الإفاضة فيه أتمّ . وربما تحصل الإفاضة من المتوسطين في هذا الطريق أكثر من المنتهين الذين مارجعوا . لأن مناسبة المتوسط للمبتدئ أكثر من ذلك فمدار كثرة الإفاضة وقتلها على الهبوط والرجوع لا على الإنتهاء وعدمه . وههنا دقيقة وهي : كما انه ليس من شرط الولاية علم الولي بنفسه ولايته كما هو المشهور ، كذلك ليس من شرطها علمه بخوارقه . فربما ينقل الناس عنه خوارق شتى وهو لا علم له بها . وكان شيخنا قدس الله سره يقول : "العجب أن الناس يأتون الي من الأكناف والأطراف فبعضهم يقول رأيناك في مكة وبعضهم يقول رأيناك في بغداد فيُظهرون الصحبة والمعرفة والحال أني ماخرجت من بيتي فما هذا الإفتراء" .

(وقال قدس الله سره) مايفهم من عبارات بعض الصوفية منه أنه تعالى محتاج اليها في ظهور كمالات الأسماء والصفات هو كلام ثقيل على الفقير جداً . فإن المقصود من خلقهم حصول الكمالات لهم لا كمال عائد الى جناب قدسه تعالى . ويؤيد هذا المعنى آية (وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أي ليعرفون . أي لحصول المعرفة لهم التي هي كمالهم ، لا كمال عائد الى جناب الحق سبحانه وتعالى . وما ورد في الحديث القدسي من قوله تعالى (فخلقت الخلق لأعرف) المراد منه أيضاً معرفتهم لا اني أصير معروفاً وبواسطة معرفتهم أحصل كمالاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(وقال قدس الله سره) في تحقيق إحاطة الحق وسريانه : إعلم أن إحاطة الحق سبحانه وتعالى بالأشياء أو سريانه فيها كإحاطة المجلد بالمفصل وسريانه فيه . كالكلمة مثلاً فإنها سارية في جميع أقسامها من الإسم والفعل والحرف . وكذا في أقسام الأقسام من الماضي والمضارع والأمر والنهي والمصدر واسم الفاعل والمفعول والمستثنى المتصل والمنقطع والحال والتمييز والثلاثي والرابعي والخماسي والحروف الجارة والناصبة ، والحروف المختصة بالأفعال والحروف المختصة بالأسماء ، والحروف الداخلة عليهما الى غير ذلك



من الأقسام الحاصلة من التقسيمات غير المتناهية . فهذه الأقسام كلها غير الكلمة ، بل كلها إعتبارات مندرجة تحت الكلمة ما زادت في تفصيلها وتميزها عن الكلمة . وفي تميز بعضها عن بعض غير إعتبار العقل في الذهن . وأما في الخارج فليست إلا الكلمة ، فلماذا صمّ الحمل . ولكن لكل مرتبة من المراتب اسم يختص بها وأحكام لا توجد في غيرها . مثلاً الدال على المعنى بالإستقلال مع الإقتران بالزمان فعل وبغير الإقتران اسم ، وغير الدال على المعنى بالإستقلال حرف . وكذا المقترن بالزمان الماضي فعلاً ماضٍ وبالزمان الحال والإستقبال فعل مضارع . وما وجد فيه علتان من العلق التسعة المشهورة فغير منصرف وإلا فمنصرف . وحروف عملها الجرّ جارة وحروف عملها النصب ناصبة . فإطلاق اسم مرتبة على مرتبة أخرى وإجراء أحكام إحداها على الأخرى كإطلاق الفعل الماضي على المضارع والمنصرف على غير المنصرف والجارّة على الناصبة مع كون المراتب كلها ليست إلا الكلمة ضلالة محضة وخروج عن الصراط السوي . إذا تقرر هذا فنقول والله سبحانه أعلم : إن لكل مرتبة من مراتب تنزل الوجود سبحانه وتعالى اسماً مختصاً بها وأحكامها لا توجد إلا بها . فالوجوب الذاتي والإستغناء الذاتي مختص بمرتبة الجميم والألوهية . والإمكان الذاتي والإفتقار الذاتي مختص بمرتبة الكون والفرق . والمرتبة الأولى مرتبة الربوبية والخالقية ، والمرتبة الثانية مرتبة العبودية والمخلوقية . فلو أطلق اسم مرتبة على مرتبة أخرى وأجريت أحكام مختصة بمرتبة على مرتبة أخرى لكان زندقةً صرفاً وكفراً محضاً . والعجب من بعض الملاحدة والزنادقة أنهم كيف يخلطون المراتب بعضها ببعض ويجرون أحكام بعضها على بعض . فيصفون الممكن بصفات الواجب ، والواجب بصفات الممكن ، مع علمهم بتميز صفات الممكن الذي هو مرتبة واحدة بعضها عن بعض وإختلاف حكم كل واحد منها ، وعلمهم بعدم زوال ذلك التمييز وذلك الإختلاف وكل ذلك في مرتبة واحدة . فإنهم يعلمون بالبدهة مثلاً أن الحرارة والإشراق من صفة النار المختصان بها ولا توجد واحدة منهما في الماء ولا يوصف بهما الماء . وكذا البرودة والرطوبة المختصتان بالماء ولا توجدان في النار . وكذا يميزون بالضرورة بين أزواجهم وأمهاتهم ويحكمون بتفرقة أحكامهما والله الهادي الى سبيل الإرشاد .

(وقال قدّس الله سرّه) ورد في الحديث الشريف "العلماء ورثة الأنبياء" فالعلم الذي بقي عن الأنبياء نوعان : علم الأحكام وعلم الأسرار . والوارث هو الذي يكون له من كلا النوعين نصيب والذي يكون له نصيب من نوع واحد فليس بوارث . إذ الوارث له نصيب من جميع أنواع تركة المورث لا من بعض دون بعض . والذي له نصيب من نوع واحد داخل في الغرماء الذين تعلّق نصيبهم بجنس حقهم . وكذلك ورد في الحديث "علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل" فالمراد من العلماء (العلماء الوارثون لا الغرماء الذين أخذوا نصيباً من بعض التركة) . فإن الوارث بواسطة القرب والجنسية يقال أنه مثل المورث بخلاف الغريم فإنه خال عن هذه العلاقة . فالذي لا يكون وارثاً لا يكون عالماً إلا أن نخصّ علمه بنوع واحد فنقول عالم بعلم الأحكام . والعالم المطلق هو الذي يكون وارثاً ويكون له من كلا نوعي العلم نصيب وافر . وأكثر الناس يظنون أن علم الأسرار عبارة عن علم توحيد الوجود وشهود الوحدة في الكثرة ومشاهدة الكثرة في الوحدة وكناية عن معارف الإحاطة وسريان الوجود والقرب ومعيته تعالى على النهج المكشوف والمشهود لأرباب الأحوال . حاشا وكلاً أن تكون هذه العلوم والمعارف من علم الأسرار وتليق بمرتبة النبوة . فإن مبنى هذه المعارف سكر الوقت وغلبة الحال المنافي للحضور . علم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سواء كان علم الأحكام أم علم الأسرار كله صحو في صحو مآزجه شمة من السكر . إنما هذه المعارف من أسرار الولاية للذين لهم

قدم راسخ في السُّكْرَ لا من أسرار النبوة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وإن كان لهم ولاية ولكن أحكامها مغلوبة ومضمحلة في جنب أحكام النبوة .

(وقال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) أعلم أن كل مسألة يكون فيها خلاف بين العلماء والصوفية إذا تأملت ودققت النظر تجد الحق مع العلماء . وسر ذلك أن نظر العلماء بواسطة متابعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نافذ الى كمالات النبوة وعلومها . ونظر الصوفية مقصور على كمالات الولاية ومعارفها . فتكون العلوم المأخوذة عن مشكاة النبوة أصوب قطعاً من العلوم عن رتبة الولاية .

(وقال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) أعلم أن السماء والوجد ينغم جماعة متصفين بتقلب الأحوال ومتسمين بتبدل الأوقات ، فوقتاً حاضرون ووقتاً غائبون ، ووقتاً فاقدون ووقتاً واجدون ، وهم أرباب القلوب في مقام التجليات الصفاتية ينتقلون من صفة الى صفة ويتحولون من اسم الى اسم . وتلون الأحوال نقد وقتهم وتشئت الآمال حاصل مقامهم يستحيل في حقهم دوام الحال ويمتنع استمرار الوقت فزماناً في قبض وحيناً في بسط . فهم أبناء الوقت والمغلوبون وأرباب الأحوال والمقهورون ، فتارة يعرجون وأخرى يهبطون . وأما أرباب التجليات الذاتية الذين خلصوا من مقام القلب بالكلية ووصلوا الى مقلبه وحُرُّوا عن رِقِّ الحال الى محوِّله ، فلا يحتاجون الى السماء والوجد فإن وقتهم دائم وحالهم سرمدى بل لا وقت لهم ولا حال ، فهم آباء الأوقات وأرباب التمكين وهم الواصلون الذين لا رجوع لهم أصلاً ولا فقد لهم قطعاً . فمن لا فقد له لا وجد له .

(وقال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) أيها الأخ رأس هذه الطريقة العلية ورئيس هذه السلسلة السنية الصديق الأكبر الذي هو بعد النبيين أفضل البشر رضي الله عنه . وبهذا الاعتبار قال أكابر هذه الطريقة أن نسبتنا فوق جميع النسب إذ نسبتهم عبارة عن الحضور الخاص ونسبتهم وحضورهم نسبة الصديق وحضوره ، الذي هو فوق جميع النسب والحضورات . ومن خصائص هذه الطريقة العلية إدراج نهايتها في بدايتها . قال الشيخ النقشبند قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ العزيز :

"نحن أدرجنا النهاية في البداية . فإن قيل إذا كانت نهاية غيرهم مندرجة في بدايتهم فماذا تكون نهايتهم ؟ وأيضاً إذا كانت نهاية غيرهم الوصول الى الحق فإلى أين يكون سيرهم عن الحق وليس وراء عبادات قرية ؟ فالجواب أن نهاية هذه الطائفة العلية إن تيسر هي الوصل العريان الذي علامة حصوله اليأس عن حصول المطلوب . فافهم فإن كلامنا إشارة لا يدركها إلا الأقل من الخواص بل أخص الخواص . وإنما ذكرت علامة هذه السعادة العظمى لأن جماعة من هذه الطائفة تكلموا في نهاية هذا الطريق وتخيلوا أنها هي الوصل العريان . وجماعة أخرى ظنوا أنها هي اليأس من حصول المطلوب ، وإذا عرض عليهما جمعاً كادوا يعدون ذلك من جمع الضدين وأنه محال . فالذين يدعون الوصل يقولون اليأس حرمان والذين يدعون اليأس يقولون الوصل عين الفصل . وكل ذلك من علامة عدم الوصل الى تلك المنزلة العلية . غاية ما في الباب أن بارقة من ذلك المقام العالي برقت على بواطنهم . فجماعة تخيلوها الوصل وأخرى اليأس ، وهذا التفاوت من تفاوت استعداداتهم . فيناسب استعداد طائفة الوصل ويوافق استعداد طائفة اليأس . وعند الحقير أن استعداد اليأس أحسن من استعداد الوصل وإن كان الوصل واليأس هنا متلازمين . وفهم من هذا جواب الاعتراض الثاني أن الوصل المطلق أمر والوصل العريان أمر وشتان ما بينهما . ونعني بالوصل العريان رفع الحُجُب كلها ، ولما كان أعظم

الحُجُب وأقواها التجليات المتنوعة والظهورات المختلفة ، فلا بد أن تنقضي تلك التجليات والظهورات بتمامها ، سواء كان التجلي والظهور في المرايا الأمكانية أو المجالي الوجودية فأنهما في نفس الحجب سواء وإن كان بينهما تفاوت في الشرف والرتبة فذلك أمر خارج عن نظر الطالب .

فإن قيل يلزم من البيان أن يكون للتجليات نهاية . والحال أن مشايخ الطريقة صرحوا بأن التجليات لا نهاية لها ؟ فالجواب أن التجليات لا نهاية لها على تقدير وقوع السير الى الأسماء والصفات على سبيل التفصيل . فعلى هذا التقدير لا يتيسر الوصول الى حضرة الذات ولا يحصل الوصل العريان ، والوصول اليها موقوف على طي الأسماء والصفات على سبيل الإجمال . فيكون حينئذ للتجليات نهاية . فإن قيل التجليات الذاتية أيضاً قد قيد بأنها لا نهاية لها فكيف يصح لكم أن تقولوا بأنه لها نهاية ؟ فالجواب إن التجليات الذاتية لا تكون بدون ملاحظة الشؤون والإعتبارات . إذ التجلي بدون هذه الملاحظة لا يمكن والذي نحن في صدد بيانه أمر وراء التجليات صفاتية أو ذاتية . إذ لا يجوز إطلاق التجلي في ذلك الموطن أي تجلّ كان . لأن التجلي عبارة عن ظهور الشيء في المرتبة الثانية أو الثالثة أو الرابعة الى ماشاء الله . وهنا سقطت المراتب بالكلية وطويت المسافة بالتمام .

فإن قيل إن تلك التجليات بأي إعتبار تكون ذاتية ؟ فالجواب أن التجليات إن كانت مع ملاحظة معانٍ زائدة على الذات صفاتية . أو مع ملاحظة معانٍ غير زائدة على الذات فذاتية . ولهذا قالوا إن ظهور الوحدة هو التعيين الأول وليس بزائد على الذات تجلّ ذاتي . ومطلبنا حضرة الذات التي لا محل لملاحظة المعاني معها أصلاً ، سواء كانت زائدة أو لا . إذ المعاني قد طويت على طريق الإجمال وتيسر الوصول الى الذات . وينبغي أن يعلم الوصل في ذلك الموطن مثلك المطلوب بلا كيف ولا كيفية أيضاً ليس الوصل المتعارف . فإنه لا يليق بذلك الجنب المقدس تعالى وتقدّس ، ولا سبيل لذي الكيف الى اللاكيف "لا يحمل عطايا الملك إلا مطاياها" . وماتكلم أحد من مشايخ هذه الطريقة على نهايتها ، بل تكلموا على بدايتها وقالوا إن نهايتها مندرجة في بدايتها . فإذا كانت بدايتها ممتزجة بالنهاية فينبغي أن تكون النهاية مناسبة لتلك البداية . وهو الذي إمتاز هذا الفقير باظهاره فله سبحانه الحمد والمِنَّة على ذلك . (أيها الأخ) الواصلون الى هذه النهاية من هذا الطريق ومن سائر الطرق أقل قليل يكاد إذا عدّت أفرادهم أن يستبعده الأقربون فضلاً عن إستبعاد الأبعدين وإنكارهم وحصول هذا الكمال ووصول نهاية النهاية إنما كان بركة إتباعه عليه الصلاة والسلام .

(وقال قدّس الله سره) في بيان الفرق بين الصحابة والأولياء ومنشأ كل منهما : إعلموا أن القرب المنوط بالفناء والبقاء وبالسلوك والجُذبة ، هو قرب الولاية الذي تشرف به أولياء هذه الأمة . والقرب الذي تيسر للصحابة الكرام في صحبته عليه الصلاة والسلام قرب النبوة الذي حصل لهم بالتبعية والوراثة . وليس في هذا القرب فناء ولا بقاء ولا جُذبة ولا سلوك . وهذا أعلى وأفضل من قرب الولاية بمراتب . فإن هذا القرب قرب أصل وذلك قرب ظل وشتان بينهما ، ولكن لا يصل فهم كل أحد الى ذوق هذه المعرفة . وربما شارك الخواص العوام في فهمها . نعم إن وقّع السير والعروج الى ذروة كمالات قرب النبوة من طريق قرب الولاية فلا بد من الفناء والبقاء والجُذبة والسلوك . فإن هذه مقدمات ذلك القرب ومبادهيها . وأن وقع من جادة قرب النبوة فلا يحتاج فيها الى المقدمات المذكورة . والصحابة الكرام ساروا من جادة قرب النبوة الذي لا تعلّق له بتلك المقدمات . وهذا الفقير كتب في رسائله إن معاملتي وراء السلوك

والجُذبة ووراء التجليات والظهورات . فالمراد منه هذا القرب والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسد ربنا بالحق .

(وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) أعلم أن المعارف التي تناسب مقام الولاية شطحات المشايخ وعلوم تُخبر عن التوحيد والإِتِّحاد ، وتنبيء عن الإحاطة والسريان ، تشير الى القرب والمعية وتشعر بالظلية والمرآتية وتثبت الشهود والمشاهدة . وبالجملة فمعارف الأولياء الفصوص والفتوحات المكية ومعارف الأنبياء الكتاب والسنة . ولاية الأولياء تخبر عن قرب الحق تعالى ، وولاية الأنبياء تخبر عن أقربيته تعالى . ولاية الأولياء تدل على الشهود ، وولاية الأنبياء تثبت نسبة مجهولة كيف . ولاية الأولياء لاتعرّف الأقربية والجمالة ماهي . وولاية الأنبياء مع وجود الأقربية تعرّف القرب عين البعد والشهود نفس الغيبة .

(وقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) أعلم أن الشريعة والحقيقة متحدان في الحقيقة لا تغاير بينهما ولا فرق إلا بالإجمال والتفصيل . فالشريعة إجمال والحقيقة تفصيل . وبالإستدلال والكشف فالشريعة إستدلال والحقيقة كشف . وبالغيب والشهادة فالشريعة غيب والحقيقة شهادة . وبالتعمُّ وعدمه فالشريعة تعمُّ وتكَلَّف والحقيقة لا تعمُّ فيما ولا تكَلَّف . فالأحكام والعلوم التي ثبتت وتبينت بموجب الشريعة الغراء هي التي تتبيّن بعينها بعد التحقُّق بحقيقة حق اليقين وتتكشف بالتفصيل وتظهر من الغيب الى الشهادة . ويرتفع تمحل العمل من البين وعلامة الوصول الى حقيقة حق اليقين مطابقة علومه ومعارفه لعلوم الشريعة ومعارفها . مادامت المخالفة موجودة ولو بأدنى شعرة فذلك دليل على عدم الوصول . وكل خلاف وقع من كافة مشايخ الطرقات للشريعة فهو مبني على سُرِّ الوقت وهو لا يكون إلا في أثناء الطريق . والمنتهمون الى نهاية النهاية كلهم في الصحو والوقت مغلوب لهم والحال المقام تابع لكمالهم . فتحققت أن مخالفة الشريعة علامة على عدم الوصول الى الحقيقة . وما وقع في عبارات بعض المشايخ من أن الشريعة قشر والحقيقة لب . فهذا الكلام وإن كان مُشعراً بعدم إستقامة قائله ولكن يمكن أن يكون مراده أن المجمع بالنسبة الى المفصل حكمه حكم القشر بالنسبة الى اللب وأن الإستدلال بالنسبة الى الكشف كالقشر بالنسبة الى اللب . وأما الأكاير أولوا الأحوال المستقيمة ، فإنهم لايجوزون الإتيان بمثل هذه العبارات الموهمة ولايفرقون بينهما إلا بما ذكرنا . (سُئِلَ) الشيخ النقشبند قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ ماالمقصود من السير والسلوك ، فقال : " أن تصير المعرفة الإجمالية تفصيلية والإستدلال كشافياً رزقنا الله سبحانه وتعالى الثبات والإستقامة على الشريعة" اه .

(وتأليفه) الحافلة كافلة لنشر عوارف معارفه والبرهنة على عظمة مواهب مشاربه . أجلاً مكتوب باللغة الفارسية وتقدّمت الإشارة إليه و"رسالة إثبات النبوة" و"رسالة المبدأ والمعاد" و"المكاشفات الغيبية" و"آداب المريدين" و"المعارف اللدنية" بيّن فيها أحواله ومقاماته الخاصة . ورسالة في الرد على الشيعة وتعليقات على "عوارف المعارف" وشرح الرباعيات لعبدالباقي وغيرها . فمن له لوعة على عزة المطلوب فليرجم إليها فإنه يجد فيها ماتسجد له القلوب .

(توفي رضي الله عنه) سابع عشرى صفر الخير سنة أربع وثلاثين وألف وسنّه ثلاث وستون . ودُفِن في مدينة سمرند وجاء تاريخ وفاته رفيع المراتب . ولقد نظمت هاتين الكلمتين فقلت :

الإمام الرِّيَّاني لما توفي جاء تاريخه (رفيع المراتب) ١٠٣٤هـ

وله من الخلفاء العارفين فئة كثيرة من أجلهم :

العارف بالله تعالى مولانا الشيخ حميد قدّس سرّه . أرسله الى بلاد بنكاه وأعطاه نعله المباركة ، فقضى بها الحوائج وشفى بها المرضى وكانت له آية عظيمة . والمرشد الكامل مولانا الشيخ حسن البركي قدّس سرّه . والعارف بالله تعالى الشيخ نور الفتني قدّس سرّه أخبر سيدنا المجدد رضي الله عنه أنه من رجال الغيب النجباء . والإنسان الكامل الشيخ بديع الدين السهارنفوري قدّس سرّه رأى في واقعة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له أنت سراج الهند . والعالم بالله تعالى الشيخ أحمد البركي قدّس سرّه . ربّاه سيدنا المجدد عطر الله تربته في جمعة وأمره بإرشاد بلاده خراسان . وصفوة الأولياء الشيخ محمد طاهر اللاهوري قدّس سرّه . إنتهت اليه رياسة الطريقة في لاهور ورأى في واقعة أنه في الروضة المطهرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثه ويكلّمه ثم بشّره بأن من يابِعك فهو مغفور له ومن رأى وجهك نجا من النار . والولي الكامل مولانا السيد الشيخ آدم البنوري قدّس سرّه . كان إذا توجه للمريد بل إذا لقّنه الذكر يوصله الى فناء القلب . ولقد قبله الحقّ تعالى وأعطاه طريقة جديدة تسمى الأحسنية . فهدى الله به أكثر من ألف وتكمّل على يده ألف خليفة وبشّر بلواء أخضر يوم القيامة يستظل في ظله من توسّل به ويغفر له . ولما قدم المدينة المنورة وسلّم على جدّه فخر الأمم صلى الله عليه وسلم سمع منه رد السلام ومدّ اليه يده المقدّسة وصافحه وقال يا ولدي كن في جوارى ، فبقي في المدينة حتى لقي ربه . وقطب زمانه السيد الشيخ نعمان البدخشي قدّس سرّه . بلغ استيلاؤه بالإرشاد على قلوب العباد أن خاف السلطان منه على ملكه وكتب له المجدد قدّس الله سرّه لقد قابل هلاك هلاك شمس الهداية فبانعكس عليه جميع أنوارها فصار بداراً كاملاً . ورأى في واقعة رسول الله صلى الله عليه وسلم يثني على حضرة المجدد ويقول كل من قبله الشيخ أحمد قبله رسول الله وكل من رده رده الله ورسوله وكذلك أنت يا ولدي . وكعبة الإرشاد الشيخ محمد الصديق البدخشي قدّس سرّه . ومنهل الإمداد مولانا الشيخ أحمد الديبيني قدّس سرّه . وتحفة الواصلين الشيخ عبدالحى البلخي قدّس سرّه . والإمام الجليل مولانا مزمل قدّس سرّه . وبحر العرفان الشيخ هاشم الكشمي قدّس سرّه . وزينة أهل الله الشيخ يار محمد قديم الطالقاني قدّس سرّه . وروضة الصلاح الشيخ محمد أشرف الكابلي قدّس سرّه . وزبدة الكاملين الشيخ حسن عبدالكريم الأبدالي قدّس سرّه . ونفحة العرفان الشيخ صفر أحمد الرومي قدّس سرّه . والعلامة الواصل العارف الكامل الشيخ عثمان اليمنى قدّس سرّه . وعالم الأولياء في وقته الشيخ عبدالعزيز النحوي الحنبلي قدّس سرّه . وبحر المحققين العارف بالله مولانا الشيخ علي المالكي قدّس سرّه . ومظهر العلوم الإلهية مولانا الشيخ علي الطبري الشافعي قدّس سرّه .

وغيرهم من أهل الفضول والمعارف ممن إنتشر ببركتهم وبأصحابهم في العالم أنوار الشريعة وأسرار الحقيقة قدّس الله أرواحهم الطاهرة .

( وأما أنجاله الأنجاب ) فهم بين نجباء وأقطاب ؛ أكبرهم شمس المعارف العالم العارف شيخ السلسلة القادرية الشيخ محمد سعيد خازن الرحمة قدّس سرّه ، وقطب الأولياء العارف وأعظم المرشدين المكملين شيخ هذه السلسلة النقشبندية وأكمل من سرى اليه سرّ هذه النسبة المحمدية سيدنا الشيخ محمد المعصوم العروة الوثقى قدّس سرّه .

## سيدنا الشيخ محمد المعصوم العروة الوثقى قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ

العروة الوثقى والقُدوة الأتقى بين الشريعة والحقيقة والفرق بين الضلالة والهداية ، والمرشد كل المرشد والوارث بالفرض والرد مجد المجدد .

( ولد قَدَسَ سِرَّهُ ) سنة سبعم وألف وارتضم ثدي العرفان من والده المرفم الشأن حتى تضلم من علوم الخواص وخواص العلوم ما أوجب نفعه عموم الإخلاص وإخلاص العموم . ثم جلس من بعد المجدد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ في دست الإرشاد وإمداد العباد . وكان سنه حالتئذ ستة وعشرين سنة ، فطار صيت فضله كل مطار وإنهلت بركاته على الأقطار كالأقطار . فحجبت الأروام الى حرم قدسه الأحمى ، ولبت الألباب دعوة توجهه الأسمى ، ووقفت النفوس على عرفات عرفانه أمانة بالإحرام عن السوى من حرمانه ، وحلت برمي جمرة عقبة الأغيار في منى إحسانه مستفيضة بطواف كعبته من فيض امتنانه .

### نبذة من تفصيل أحواله وجميل أقواله

كان الشيخ رضي الله عنه ولياً منذ الولادة ، فإنه لم يقبل الثدي في رمضان وتكلم بالتوحيد وهو ابن ثلاث سنين . فصار يقول "أنا الأرض أنا السماء" أنا كذا أنا كذا هذا الجدار حتى هذه الأشجار حق . وحفظ القرآن في ثلاثة أشهر واشتغل بتحصيل العلم والطريق ، فبلغ فيهما درجات الكمال وسنه سبعة عشر سنة . فتصدر للإرشاد والإفادة مع كمال الإستقامة ونهاية الورع والتقوى والتمسك بالسنة المطهرة والأخذ بنصية العزيمة واجتناب سبل البدع ووجوه الرخص .

( وشهد له ) والده رضي الله عنهما في صغره بعلو الإستعداد وقال : " كان قدوم محمد المعصوم كثير البركة فإني تشرفت بعد ولادته بخدمة شيخي - يعني سيدنا محمد الباقي قَدَسَ سِرَّهُ - فنلت هذه العلوم والمعارف . وإنه من المحبوبين ومستعد للولاية المحمدية " . وقال : " حال محمد المعصوم في تحصيل نسبتي كحال شارح الوقاية ألفها جدّه سبقاً سبقاً وهو في ميدان حفظها يجري طلقاً طلقاً " . ( وقال يوماً قَدَسَ اللهُ سِرَّهُما ) إنني أرى نفسي نوراً سارياً في كل ذرة من ذرات العالم والعالم يتنور به كالشمس . فقال يا ولدي أنت تصير قطب وقتك فاحفظ ذلك عني . ( وقال ) له يوماً إن فيك نصيباً من الأصالة وقد اندمج في جبلتك بقية من طينة الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم . فهذه المحبوبة الذاتية من أثارها . ( وقال رضي الله عنه ) أجد نفسي وهذا الولد من زمرة السابقين الذين قال تعالى فيهم ( ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين ) . ( وقال رضي الله عنه ) إن خلعة القيومية التي كانت علي قد أفرغت على محمد المعصوم . ( وقال له ) يا ولدي أن علاقتي وارتباطي بهذا المجمع - يعني به العالم - كان بسبب القيومية وقد أعطيتها فتوجه الى المكونات بالشوق التام وقريب رحلتي أه .

( وله قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ ) مكتوبات عالية تضمنت غوامض أسرار ودقائق عرفان وحل مشكلات والده مجموعة في ثلاث مجلدات ضخمة ، وقد رأيتها مترجمة بالتركية . ومنها ما نقله حفيده الشيخ محمد مظهر معرباً بقوله حققنا الله سبحانه وإياكم بكمال الإنقطاع والتخلي اليه عما سواه بحيث لا يبقى منه في الباطن عين ولا أثر ليحصل التبتل التام المشار إليه في قوله تعالى ( وتبتل اليه تبتلاً ) عن نفسه

وعن سائر لطائفك المتعلقة بالخلق والأمر وعن الكمالات الوجودية الراجعة اليها وحقيقة التقوى . إنما هذا هو التبتيد والإنقطاع وكان قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) إيماء الى ما ذكرنا ، أي الذين آمنوا صورة وإنقطعوا عما سوى الله وتخلّوا اليه سبحانه وتعالى وانخلعوا عن العوائق والتقييدات متوجهين الى حضرة الإطلاع حق الإنقطاع والإنخلاء ، بحيث لا يبقى من ذواتكم وكمالاتكم الراجعة اليكم أثر . ويسري فناؤكم في لطائف الخلق والأمر كلها . ولاتموتنَّ قبل الموت (إلا وأنتم مسلمون) ، أي مشرفون بالإسلام الحقيقي دائماً في جميع الأحوال لدلالة الإسمية على الدوام . وكان في الآية الكريمة حثّ على دوام الموت والفناء ليكون الإسلام والبقاء المترتب عليه دائماً . بخلاف صاحب التجلي البرقي فإنه لم يمت موتاً دائماً ليصير هذا التجلي أيضاً في حقه سرمداً .

وينبغي أن يُعلم أن التجلي البرقي ليس من التجلي الذاتي الصرف في شيء ، وإنما هو تجلُّ ذاتي بملاحظة شأن الهي هو سريع الإستتار والزوال . والذات إذا تجلّت لا إستتار لها (واعتصموا بحبل الله جميعاً) أي بالحقيقة الجامعة الكلية المعبر عنها بالحقيقة المحمدية ، ليصير الإعتصام بهذا الحبل ذريعة للوصول الى حضرة الإطلاقات . (ولاتفرّقوا) بتفرّق الأسماء والأعيان الجزئية . فإن الأسماء الجزئية والطرق المتفرقة مالم تنته الى حضرة الإجمال لم تصل الى حضرة الإطلاقات . (واذكروا نعمة الله عليكم) بعد أن جمعكم في الحقيقة الجامعة (إذ كنتم أعداء) بتفرّق الأسماء . إذ مقتضى بعضها يعارض البعض الآخر . (فألف بين قلوبكم) بأن جمعكم في حقيقة واحدة جامعة وجعلكم على قلب واحد قلب محمد صلى الله عليه وسلم . (فأصبحتم بنعمته إخواناً) متوآدين من حقيقة واحدة أخذين منه الفيض ، كما يأخذ الإخوان من الأم . أه .

(وقال قدّس الله سرّه) العارف الكامل المشرف بالبقاء الذاتي يشاهد جماله في مرايا العالم . ويرى نفسه كلاً وإجمالاً والعالم مظاهره وتفصيله . ويعاين ذاته سارياً في أفراد العالم محيطاً به إحاطة الكل في أجزاءه . (وقال قدّس الله سرّه) القيوم في هذا العالم خليفة الله تعالى ونائب منابه ، والأقطاب والأوتاد والأبدال والأفراد مندرجون تحت ظلاله . وأفرد العالم كلها متوجهة اليه وهو قبلة توجههم علموا ذلك أولاً ، بل قيام العالم بذاته الشريفة . لأن أفراد العالم مظاهر الأسماء والصفات وكلها أعراض وأوصاف . ولا بد للعرض والوصف من جوهر وذات يقوم به وسنّة الله جارية بإعطاء العارف التمام المعرفة بعد قرون متطاولة نصيباً من ذاته المقدسة (يعني من تصرفات الذات) قلت مراده والله أعلم بالقيوم ما هو مرادف للإنسان الكامل . فإنه أعم من القطب بمعنى الغوث . أو مراده به ما هو بمعنى القطب كما يفهم من قول والده في مبشرات «أنت تصير قطب وقتك» . وعليه فيكون المراد بالقطب في قوله والأقطاب الخ... ما عليه مدار أي شيء كان ، كقولهم قطب في الرُهد وقُطب الورم . أو هو اصطلاح له في معنى القيومية ولسيدنا الشيخ الأكبر رضي الله عنه في الجزء الثاني من "الفتوحات المكيّة" في بيات القيومية ما يخالف هذا . فأنظره فإنه لا نظير له .

(ومنها) مانقله صاحب "كنز الهدايات" في (الهداية الخامسة) عنه أنه (قال قدّس الله سرّه) :  
" الوجود مع كمالاته التابعة له مخصوص بالواجب تعالى . وما يتراءى في الممكن من الوجود وتوابعه ، فهو مستفاد منه تعالى ومستعار للممكن . والذاتي للممكن هو العدم وما فيه من الظهور فبواسطة انعكاس الكمالات فيه . وبهذا تميّز عن سائر الأعدام . فالممكن بهذا الطور الوجودي تصور نفسه كاملاً ومبدأ للخيرات وأدعى للإشتراك والإستقلال وأقبل عليه وأعرض عن أصله . فإذا أراد الحق سبحانه

بالسالك المستعد فضلاً منه أن يخصه بتقريبه اليه تعالى يعطيه هذه المعرفة ، حتى يعرض السالك نفسه ويقبل على ذلك الجناب الأقدس ويحيل الكمالات المستعارة على الأصل ويتخلص من الشرك الخفي ودعوى الإستقلال .

( وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ ) ينبغي أن يُعلم أن الأقدام في فناء النفس متفاوتة تفاوتاً كلياً وقلماً يوجد صاحب دولة يصل الى حقيقة ذلك . وإن كان أكثر أهل السلوك يتوهمون ويتعقلون هذا المعنى ويغوصون في بحاره عند المراقبة ، فيستخرجون منها درراً ويستكثرون عند غلبة الشوق والمحبة قليلاً التخلص والنجاة الحاصل لهم ، ذلك بطريق إندراج النهاية في البداية وبانعكاس أشعة أنوار الشيخ الكامل . وأما مَنْ تحققت بكمال هذا التخلص على قدر الطاقة البشرية فإنه قليل . وما لم يصل السالك الى حقيقة ذلك التخلص لاتحصل له النجاة الكاملة من إثبات ألوهية نفسه ، فإنه يثبت ألوهية نفسه بتكرار كلمة التوحيد . وهذا جاءه من جهة إثبات صفة الكمال أما لنفسه ولو أحياناً نادراً . وأما لبعض اللطائف دون بعض أو مما يقرب من الإثبات .

( وسُنِدَ قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ ) هل يتعرض الشيطان لسالك هذه الطريق أو لا ؟ فقال : قال الشيخ عبدالخالق العُجْدَوَانِي رضي الله عنه إن لم يصل السالك الى حد فناء النفس يجد الشيطان اليه سبيلاً عند الغضب . وأما السالك الواصل الى فناء النفس فلا يكون له غضب بل غيرة وعند الغيرة يفر الشيطان .

( وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ ) في تحقيق الفناء والعدم والفرق بينهما إسمعوا العدم الواقع في عبارات أكابر هذه السلسلة العلية عبارة عن ورود وجود الإسم الإلهي ، الذي هو مبدأ تعيين العارفين من وراء الحجب بطريق الجذب والحب على مدركة العارف ، بحيث يستتر في جنب ذلك وجوده ويفيب عن نفسه وأوصافه ، فلا يجد شيئاً من ذلك . فوجود العدم عبارة عن التحقق بذلك الوجود . أي الوجود والبقاء المترتبين على الدعم . ويحتمل أن يكون الوجود عبارة عن التحقق بحالة العدمية . يعني ظهور صفة العدمية في السالك . وهذا العدم ووجود العدم بمعنى الفناء والبقاء في جهة الجذب . وليس لهذا الظهور دوام فلايدوم الفناء والبقاء المترتبين عليه أيضاً . فلايؤمن عود ذلك السالك الى البشرية . ومتى حصل هذا الظهور فإن وجود السالك يتوارى وإذا توارى الظهور فوجود البشرية يعود . والفناء الحقيقي عبارة عن إستيلاء وجود المطلوب على العارف . فحينئذ يجد العارف أوصافه وأخلاقه ظلال أوصاف المطلوب وأخلاقه . بحيث يحيل كل ذلك إحالة سديدة على ذلك الجناب ويصير خالياً من جميع المنتسبات . فلاتجد نسبة ما اليه سبيلاً أصلاً . ووجود الفناء عبارة عن البقاء المترتب على هذا الفناء المذكور . ومن هنا يكون العارف بسبب الولادة الثانية موجوداً بالوجود الموهوب . وهذا الفناء والبقاء يلزمهما العدم ولايعودان الى وجود البشرية . ففي الصورة الأولى إستتار وفي الصورة الثانية إنتفاؤه وشتات ما بينهما . لأن المستتر قد يظهر ويعود والزائل لايعود . والأول ليس من المطالب ولا الولاية مربوطة به . والثاني من المطالب وشرط للولاية . وكثيراً ما يقع للمطالب خلط الأول مع الثاني ، فيظن نفسه فانياً فناءً حقيقياً موجود العدم ويجسبه كاملاً ولايهتدي الى هذا الفرق . وهذا من جملة مزال أقدام السالكين . ولذلك لابد له بعناية الله جلّ سلطانه من شيخ كامل مكمّل تربى بطريقي الجذب والسلوك ووصل الى النهاية ليخلص هذا العاجز العديم القوى من هذه الورطة ويدلّه على نقصه ويهديه الى الفناء الحقيقي .

( وفي الهداية السادسة ) قال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ إذا ترقى السالك من هذا المقام وتحقق بالذي فُقد هو فيه



وتخلّف بأخلاقه ووصل الى حفا اليقين وارتقى من الفناء الى البقاء . فحينئذ يتجلّى له حسن الإسلام ويتخلّص من الحيرة والدهشة والهيام . فيجده به لا بنفسه وعلمه إذ هما قد فنيا . قال الله سبحانه وتعالى (أَوَمَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) وفي الحديث (مَنْ قَتَلْتَهُ فَأَنَا دِيَّتُهُ) . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) مايرى في الواقعات من التحلّي بالهلي والتكلل بالآلي واليوافيت هو تبشير بالبقاء . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) إذا رأى السالك إحاطة الأنوار به وحلول بحار الأنوار فيه وكون كل جزء من أجزاءه جزءً من أجزاء النور . فذلك يمكن أن يكون من البقاء . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) في الولاية الصغرى ليُعلم أن العمدة في حصول كمال الولاية الصغرى المراقبة والأذكار القلبية من ذكر اسم الذات والنفي والإثبات . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) فناء النفس على وجه الكمال يتضمن فناء الروح والسر الخفي والأخفى . لأن النفس رأس هذه اللطائف سواء قبل الفناء أو بعده ، خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) كمال فناء النفس إذا التحق عدمها الإضافي الذي هو مرآة للصفات الكمالية التي التحقت بالأصل حيث لم يبق في السالك غير هذا العدم بالعدم المطلق . فحينئذ لا يبقى للمعارف عين ولا أثر لا تبقي ولا تخر . وبعد هذا بمقتضى " مَنْ قَتَلْتَهُ فَأَنَا دِيَّتُهُ " معاملة البقاء . وأما معاملة الولاية الكبرى فهي أمام السالك بعد والفناء والبقاء وإن كان لهما صورة في الولاية الصغرى ولكن حقيقة لهما في الولاية الكبرى وأظن أن لحوق العدم الخاص بالعدم المطلق من خصوص هذه الولاية .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) في كمال النبوة المرتبة الرابعة أفراد الذات تعالت وتقدّست عن الأسماء والصفات لأن محبة الذات لا ترضى بشركة الصفات وإن لم يتصور انفكاك الصفات عن الذات لا عكسه أبداً . لكن بمقتضى المرء مع مَنْ أحب للمحب مع الذات معيته بحيث لا يلاحظ الصفات ثمة أصلاً . فإنفكاك الذات عن الصفات إنما هو في الشهود والمحبة المثمرة للمعية المذكورة لا في الخارج . ونفس الأمر وهذا الكمال ناشيء من كمال النبوة وحصوله بالأصالة للأنبياء عليهم السلام وبالتبعية والوراثة للخوادم من أتباعهم . ولا يلزم من حصول كمال النبوة لبعض الأفراد من الأمة بالتبعية والوراثة أن يكون ذلك البعض نبياً أو مساوياً للنبى . لأن حصول كمال النبوة غير حصول منصب كما حققه شيخنا المجدد قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) مادام سير السالك في الأصول فله حظ من الشوق والحلاوة والمعرفة فيطيل لسانه في بيات المعارف والأسرار وإثبات نسبة الإحاطة والسريرات ونسبة الأصالة والظلية والمراتب وأمثال ذلك . ثم إذا ترقّت المعاملة من الأصول الى ما فوقها وترك الأصل كالظلك كلّ لسانه واستترت عنه النسبة السابقة ماللتراب ورب الأرباب . فتنتفى عنه تلك المعرفة والحلاوة التي كان يجدها . فحينئذ إن كان فيه علم والتذاذ فذلك أمر آخر أنسب ما يعبر عنه الجهل والحيرة من لم يذق لم يدرك وليس ذلك من قبيل الجهل والحيرة التي يعرفها العوام ، بل هو أمر آخر مالم يتحقق به لم يدرك على وجه التمام . فإن هذا الجهل له ألف مزية على العلم . وهذا الخوف والحيرة له رجحان عظيم على الشوق والحلاوة ، وهذا من قبيل مدح الشيء بما يشبه الذم .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) الشهود والمشاهدة حيث يوجد الظلك والإدراك والوصل من معاملات الأصل ، فإذا ترقّى من الظلال وبقي الأصل كالظلك في الطريق واتصلت بالغيب المغيب . فحينئذ تكون المعاملات السابقة هباءً منثوراً ، فيتبدل الإيمان الغيبي وينقلب ما كان من اللذة والحلاوة والذوق والشوق الى المرارة والألم والحزن . فقد كان صلى الله عليه وسلم متواصلاً بالأحزان دائم الفكرة ولذة هؤلاء الأكابر متعيّدة

بالطاعات مقصورة على العبودية والعبادات . فإن كان غيرهم متلذذاً بالشهود مفروراً بخيال الوصال ، فأولئك الأكابر قد غضوا أبصارهم عن الشهود وتصوّروا أن هذا الوصال خيال وإطمأنوا بالغيب الذي له على الشهود آلاف من المزية وشدوا حزام الهمة للعبودية . فيرون إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام أحسن من التجليات وأوقع من الظهورات ، والخشوع والنظر الى محل السجود أذ من المشاهدة والشهود . ثم يأتي بعد ذلك مقام ليس للعمل فيه نتيجة ولا للإعتقاد فيه أثر . فالترقي هناك بمجرد الفضل والإحسان . ثم قال وهذا المقام بالأصالة مخصص بالأنبياء من أولي العزم وللأفراد من أممهم نصيب من ذلك . ثم فوق هذا كمال يترقى فيه من التفضل الى المحبة . فالترقي في حصول هذا الكمال منوط بالمحبة المحضة ، وفي المحبة كمالات المحبوبة . فظهور كمالات المحبة الذاتية بالأصالة مخصص بالكليم عليه السلام . وظهور كمالات المحبوبة مخصص بالحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم وغيرهما تطلقاً رجاء في هذين الكمالين .

( وهذه ) ذرة من سعة أذواقه وأخلاقه وشذرة من معادن اقواله وأحواله وضعتها نموذجاً لبيان علو قدره وبرهاناً لإثبات عظيمة شأنه وفخامة أمره . وإلا فالفكر أحصر من أن يحيط بفضائله ، واللسان أقصر من أن يمتد الى عدّ شمائله .

( توفي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ ) تاسع شهر ربيع الأول سنة تسعة وتسعين وألف في ( سرهند ) وله كرامات وهي أظهر من الشمس وأشهر من الخمس ، منها :

\* إن أحد خلفائه الكرام الخواجه محمد صديق كان في سفر على فرس فجفلت فسقط الى الأرض وبقت رجله في الركاب وجعلت الفرس تعدو به حتى أيقن بالهلاك . فاستغاث بحضرة القيوم ، قال فرأيته حضر وأوقفها وأركبني .

\* ومنها أن الشيخ محمد صديق المشار اليه وقع في البحر ولم يك يعرف السباحة فكاد أن يغرق ، فناده مستغيثاً به . فحضر وأخذ بيده وأنقذه من الغرق .

\* ومنها انه رضي الله عنه كان جالساً يوماً مع أصحابه في رباطة إذ ابتلّت يده الشريفة وكمه الى إبطه ، فعجبوا من ذلك وسألوه عنه فقال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ : " استغاث بي رجل من المريدين تاجر كان راكباً في السفينة وقد كادت أن تغرق ، فخلصتها من الغرق فابتلّ لذلك كمّي ويدي " . فوصل هذا التاجر بعد مدة وحدث بهذا الأمر كما أخبر الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ .

\* ومنها أنه ظهر في زمانه ساحر مجوسي يوقد النار ويدخلها هو ومن يطيعه فلا تحرقهم . فإفتنت الناس به فتنة عظيمة . فأمر حضرة الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ بإيقاد نارٍ عظيمة وأمر أحد مريديه فدخلها واشتغل بالذكر فصارت عليه برداً وسلاماً فبُهِتَ الذي كفر .

\* ومنها ما ذكره الشيخ عبدالرحمن الترمذي أحد أصحابه ، قال : جئت مع اخواني لزيارة جنابه العالي ، فأعطى كل واحد منهم أثراً من لباسه تبركاً إلا أنا ، فلما صرت الى وطني غلب علي الحزن والغم لحرمانني من هذا الفضل الجزيل ، وإذا قد شام في البلدة خبر قدومه قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ اليها . فخرج الناس لإستقباله وخرجت معهم فرحاً فرحاً شديداً . فلما بارحت البلدة رأيت حضرة الشيخ راكباً على فرس أبيض . فقال لي : لاتحزن وخذ قلنسوتي تبركاً . فلما أخذتها غاب هو والناس عن عيني وبقيت القلنسوة في يدي .

\* ومنها أنه جاء أعمى يلتمس منه أن يدعو الله له في ردِّ بصره . فأخذ من ريقه ومسح به على عينيه وقال : اذهب الى بيتك وافتم عينيك . ففعل فعاد بصيراً بإذن الله .

\* ومنها أنه ذُكر عنده رجل من الرافضة بأنه يسبّ حضرة الشيخين رضي الله عنهما جهرًا . فغضب غضباً شديداً وكان بين يديه بطيخ فأخذ السكين وقال : اذبح هذا الخبيث . ثم أمر السكين على البطيخ فمات الرافضي من وقته .

\* ومنها ما قاله قدّس الله سرّه : اني كنت متوجهاً ليلة النصف من شعبان الى معرفة نسبة أهوالي ونسبة أحوال بعض المريدين الحاضرين وقتئذ عندي . فمالئنا أن عرج بنا على أبهم هينة وأعظمها ، بحيث لم يحصل لي مثل ذلك العروج من قبل . فألقي اليّ أنه لم يقم مثل هذا العروج لأحد فظهرت لي نسبة عالية المرتبة للغاية . ثم أعلمت أنها نسبة المخلصين وأنها هي النسبة التي أثبتتها تعالى لبعض المرسلين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام بقوله (إنه كان من عبادنا المخلصين) . ثم عوملت ماعوملت ثم أتتني بخلع عالية الشأن بعضها فوق بعض فتشرّفت بالأفضل منها ووزم ما يليها على من معي على تفاوت درجاتهم وتفاضل أقدامهم الأفضل ثم الأفضل . ثم كُشفت أشياء لو أظهرت منها شيئاً لقطع مني الحلقوم والسلام على من إتبع الهدى .

\* ومنها أنه حينما حينما حج البيت الحرام وزار النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما دخلت الحرم وشرعت في الطواف رأيت جماعة من الرجال والنساء على غاية الحسن يطوفون معي بإشتياق وتقرب شديد بحيث يقبلون البيت ويعانقونه في كل وقت . أقدامهم على الأرض ورؤوسهم بلغت عنان السماء . فظهر لي أن الرجال ملائكة والنساء حور .

(وقال رضي الله عنه) رأيت أن الكعبة المعظمة تعانقني وتقبّلني بإشتياق تام وكُشف لي أن تلك البركات والأنوار ظهرت مني وزادت حتى ملأت الصحراء وأحاطت بجميع الأشياء وإن محبتها لي سبب التحقق بحقيقة الكعبة الربانية . ورأيت ثم كثيراً من الروحانيين حضوراً في كل وقت كالخدم بين يدي السلطان . (وقال رضي الله عنه) لما فرغت من طواف الزيارة جاءني ملك بكتاب قبول الحج من رب العالمين . (وقال رضي الله عنه) دخلت المدينة المنورة فلما وقفت تلقاء الوجه الأوجه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من الحجرة المطهرة وعانقني وحصل لي لحوق خاص به صلى الله عليه وسلم . وكذلك حصل لي عند زيارة الشيخين رضوان الله عليهما وشاهدت عليّ وقتئذ خامّة صفراء فعلمت أنها من حضرة عمر وعليها خلعة حمراء ففهمت أنها من حضرة الصديق رضي الله عنه . ثم عند الإنصراف شرّفت بالخلعة العالية الخضراء فألممت أنها من عند سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . (وقال قدّس الله سرّه) كُشف لي أن سائر الممكنات من العرش الى الثرى محتاج الى الحبيب صلى الله عليه وسلم وهو بكمال إستيفائه اللازم للمحبوبية يفيض على كل فرد على حدة . (وقال قدّس الله سرّه) جرى بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم من المعاملات ما لو أشرت الى بعض منها لقطع مني البلعوم وذبح الحلقوم ، حتى أنني وجدت كل صلاة صلّيت بها عليه وكل قصيد مدّيت به راجعاً الى نفسي ، فقال ولده : حجة الله ياسيدي أن الكُمون والظهور هما الفناء والبقاء أو هما شينان أخرات . فقال رضي الله عنه : هما الفناء والبقاء ، وتمييزان عنهما بالخصائص التي لا توجد فيها .

(وقال قدّس الله سرّه) ولما تشرّفت بزيارة أهل البقيع رأيت من آل البيت والأزواج والأصحاب رضي

الله عنهم عناية خاصة وخلعاً مخصوصة وظهرت نسبتي ثم ظهوراً عجيباً للغاية إذ رأيت جميع العالم من العرش الى الثرى منوراً من نوري . (وقال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) غلب عليّ وقت الوداع الحزن والبكاء فرأيت سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم قد خرج من حجرته المطهرة وخلم عليّ خلعة فاخرة وتاجاً مثل تاج الملوك مكللاً بأحسن الجواهر . وظهر لي أن هذه خلعة خاصة من ألبسة ذاته المقدسة لا كالخلم السالفة شرفني بها من كمال كرمه صلى الله عليه وسلم .

وبالجملة فقد كان قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ آية من آيات الله العظام نور الله به العوالم وهدى الخلائق . (قيل) أنه تلقى الطريقة العلية النقشبندية منه تسعمائة ألف وبلغ عدد خلفائه سبعة آلاف كلمهم أولياء عظاماً لأنه كان يوصل الطالب في أسبوع واحد الى الفناء وفي شهر الى كمالات الولاية ، وأوصل بعضهم بتوجه واحد الى جميع المقامات . (فمن أجل خلفائه) :

\* عالم زمانه وبركة أوانه الولي الأسمى والمرشد الأسنى مولانا الشيخ محمد حنيف الكابلي قَدَسَ سِرُّه . كان ذا تصرفات قوية وبشارات عظيمة أوصل ببركة صحبتته الى الأحوال الشريفة والمقامات السنية أوفياً من الرجال . (وممن ذُكر) الإمام الجليل والمرشد الكامل التكميل العارف كل العارف مولانا الشيخ محمد صديق الپيشاوري قَدَسَ سِرُّه . أنقذ الله به الناس من لجة الضلالة الى ساحل الهداية والإرشاد حتى أصبح أكثرهم كاملاً مكملاً . (وممن كراماته) أنه توجه الى شجرة يابسة فإخضرت وأثمرت لوقتها وله خلفاء حنفاء (وممن ذُكر) ولي الخلفاء وخليفة الأولياء العلامة الدراكة الشيخ حبيب الله النجاري قَدَسَ سِرُّه . كان من أعظم مشايخ خراسان وماوراء النهر وقد روج الطريقة في تلك الممالك ترويحاً تاماً . قيل أنه أذن بالخلافة لأربعمئة رجل وبشرهم بالكمال والتكميل . (وممن ذُكر) نخبة الأولياء وكعبة الأتقياء الشيخ محمد مراد البخاري الشامي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . فرغ القيوم من تربيته في أسبوع واحد بحيث صار كاملاً مكملاً ثم أرسله الى الشام . فحصل له قبول عظيم وكمك عنده خلف كثير . وقد ترجمه حفيده في " خلاصة الأثر " بما يسر الناظرين . (وممن ذُكر) زبدة الكاملين وعمدة العلماء العاملين الشيخ ملا موسى اللنكرهاري (لنكرهاري - موضع من نواحي كابل) . أظهر الله هذه الطريقة العلية ببركته في تلك النواحي إظهاراً تاماً . (وممن كراماته) أن الله تعالى خصه بالتصوف في حياته وبعد مماته . من ذلك أن من لدغته حية يُقرأ على محل لدغتها اسمه الشريف فيشفى من بركته وذلك جار الى يومنا هذا . (وممن ذُكر) العالم الكبير والمرشد الشهير مولانا الشيخ آدم السندي قَدَسَ سِرُّه . ألفت اليه المشيخة مقاليدها في بلاده . (وممن ذُكر) صاحب المعارف العالية والهمم الكافية والفضائل الواقية مولانا الشيخ أرغوان الخطائي قَدَسَ سِرُّه . أشتهر في تلك المملكة إشتهاراً عظيماً بالإرشاد والهداية والإمداد وألقى اليه العباد زمام الإنقياد حتى دخل السلطان (كاشغر) في طريقه وصار من جملة مريديه وفريقه . (وممن ذُكر) زهرة المرشدين وزهوة العلماء المحققين الشيخ محمد أميت البدخشي قَدَسَ سِرُّه . بلغ في المشيخة في بلاده المقام المتين . (وممن ذُكر) أكبر أولي الإرشاد وخواص أصحاب الهداية للعباد الشيخ حافظ الصادق قَدَسَ سِرُّه . بلغ من علو قدمه أن أرسله حضرة الشيخ لإرشاد سلطات الهند (عالمكير) وأتباعه . فأرشدهم الى الحق وهداهم بمنه وكرمه الى إتباعه . (وممن ذُكر) صفوة أهل التحقيق في طريق العلوم وعلوم الطريق صاحب التصانيف النفيسة في المعقول والمنقول الشيخ محمد باقر الاهوري مؤلف " كنز الهدايات " ، وهو كتاب بديع

رتبه من كلام الإمام الرباني والعروة الوثقى على مراتب السلوك وهو عربي العبارة طالعته واستفدت من آثاره جزاه الله خيراً .

\* (وممت ذُكر) المرشد الكامل والعالم العامل الشيخ نجم الدين السلطانفوري قدس سره . (وممت ذُكر) الشيخ الأفاضل والمرشد الأكمل مولانا مير محسن السيالكوتي قدس سره . (وممت ذُكر) العارف الهمام والمرشد الإمام مولانا الشيخ عطاءالله السورتني قدس سره . (وممت ذُكر) عالم الصلحاء وصالح العلماء الشيخ كلان السمرقندي قدس سره . (وممت ذُكر) أعلى الخلفاء قدراً وأعظمهم علماً وسراً مولانا الشيخ عبدالرحمن القراسماني قدس سره . (وممت ذُكر) ذو الأنفاس الروحانية والأخلاق الإيمانية مولانا الشيخ علي اليميني قدس سره . (وممت ذُكر) خلاصة العلماء الأمجاد ومظهر أهل المعارف والمشاهد الشيخ حامد قدس سره . (وممت ذُكر) كوكب الفضل والأفضال المُشْرِق في سماء عظماء الرجال مولانا الشيخ عمر الشافعي اليميني قدس سره . (وممت ذُكر) بدر المعالي السننية والأنفاس المدنية مولانا الشيخ زين العابدين المدني قدس سره . (وممت ذُكر) روضة العلم والعرفان الباسمة في المجد أزهارها الحسان مولانا الشيخ يوسف الملتاني قدس سره . (وممت ذُكر) نجم الإرشاد الثاقب ومنهل العموم اللدنية والمواهب مولانا الشيخ عبدالله القنوجي قدس سره . (وممت ذُكر) علم المعارف والمعاني وخلاصة الأيام والليالي مولانا الشيخ إسحق التركستاني قدس سره . (وممت ذُكر) عين أعيان الأولياء وإنسان عين الأصفياء مولانا الشيخ أحمد البخاري قدس سره . (وممت ذُكر) رحلة الشيخ والشاب وحرم الألباب مولانا الشيخ أبو تراب قدس سره . (وممت ذُكر) مورد الأذواق الإلهية ومعهد الأطوار الربانية مولانا الشيخ عبدالله المغربي الصوفي قدس سره . (وممت ذُكر) صاحب الأخلاق المصطفوية وساحب أذياب الفضيلة الصفوية مولانا الشيخ الحاج مصطفى البنكالي قدس سره . (وممت ذُكر) قاعده السلوك الى ملك الملوك مولانا الشيخ عبدالله الكولابي قدس سره .

وغيرهم كثيرون ممت رفعوا أعلام الهداية ونشروا أسرار الطريق ما محا ليد الغواية وهم أكثر من أن يحصون عدداً قدس الله أسرارهم العلية .

(وأما أنجاله الأنجاب) فهم ستة أنجاب عجاب نور الله الأتاليم السبعة بأنوارهم وجعل كل واحد منهم من أكبر الأقطاب كما بشر المجدد رضي الله عنه والدمم بذلك ، فقال إن أولادك يكونون مثلي :

\* الأول ؛ علامة العارفين وكعبة أهل حق اليقين سيدنا الشيخ محمد صبغة الله قدس الله سره . (ولد) عام اثنتين وثلاثين وألف في حياة جده العزيز رضي الله عنه ، فقال إني أجد منه رائحة الأصالة فسموه (صبغة الله) . ثم تلقى علمي الظاهر والباطن عن حضرة والده حتى بلغ من العلوم غايتها ومن المقامات الإلهية والكمالات المجددية نهايتها . وصار له رسوخ تام في الورع والتقوى وإستقامة كاملة على الطاعات والعبادات كآبيه وجده . (ومرض) قدس الله سره في حادثة سنه مرضاً شديداً وصل به الى حد اليأس من حياته . فقال جده المجدد قدس الله سره العزيز لأهله : "لاتخافوا عليه فإنه يكون معمرًا ذا إرشاد وهداية عظيمة وكأني به وهو شيخ كبير بيده عصا حوله ألوف من الطلبة" . فكان كذلك فقد عاش أكثر من تسعين عاماً . ثم لما أذن له والده العزيز بالخلافة رحل الى بلدة كابل . فصار تطب تلك الديار وحصل له قبول عظيم وأقبل عليه السالكون من كل فج عميق . فصار أكثرهم بهمة العلية من أولي الأحوال والولاية الكاملة . (وله قدس سره كرامات وتصرفات عجيبة) منها أنه جاءه مرة سائل

فلم يجد ما يعطيه فنظر الى مدر مرمرى هناك فإنقلب ذهباً فأعطاه إياه . توفي سنة إثنين وعشرين ومائة ألف .

\* الثاني ؛ المظهر الأحمدى والوارث المحمدى سيدنا الشيخ أبو القاسم شرف الدين حجة الله محمد نقشبند قدس سره . (ولد) عام أربع وثلاثين وألف . وقال حضرة المجدد رضي الله عنهما : " ولدك هذا نظيري في كمالات قرب الحق " . وقال حضرة عمه العارف الكبير مولانا الشيخ محمد سعيد خازن الرحمة قدس سره : " إني لأظن أن هذا الولد كأبيه وجده ذو كمال في الظاهر والباطن " . وكانت آثار الولاية تلوح على جبينه وهو صغير . قرأ علوم الظاهر على حضرة والده فأتقنها قبل بلوغ الحلم . ولم يزل يتبحر فيها حتى كاد أن يدرك رتبة الإجتهاد في الفقه والحديث والتفسير وطالما أتى في أسرار معاني القرآن المجيد بالعجائب والفرائب . ثم أتم مقامات السلوك على حضرة والده ، فنال بأقرب وقت أعلى الدرجات وبلغ في منصب الإرشاد غاية الغايات ، فأصبح ذا شأن عظيم ومقام كريم . وكان والده العزيز بجله ويقربه حتى قال مرة في حقه " كلما جاء هذا الولد عندي أحب أن أقوم تعظيماً له " . (وكتب) لوالده مرة : " إني تشرفت في هذه الأيام بالهامات غريبة ومخاطبات عجيبة فقبل لي أنت من أوليائي وأنت من عبادي الصالحين وأنت من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ورأيت يوماً أن وصولي الى جناب قدسه وتعالى بلا واسطة أحد وإذا بصورتكم المباركة قد ظهرت بيننا . ووجدت نفسي قد إتحدت بجنابكم فهناك ظهر تنزل الحق سبحانه وتعالى بلا كيف بتجلي الخير والبركة العظيمة . فأرجو التصديق على هذا من حضرتكم " . فكتب اليه قدس الله سرهما : " إني سررت بكتابكم وقد بلغت ترقياتكم الى مرتبة مشاركتي في المعاملات فما الحاجة الى التصديق على كشفكم ومع ذلك فتصديقت في تصديقي " . (ثم كتب) له أيضاً بعض كلام في الحقائق الإلهية ألقى اليه . فأجابه رضي الله عنهما بأن : " هذه المعارف التي تصدر عنكم مخصوصة بالإمام الرباني وهي أسرار المقطعات القرآنية قد أتحمكم الله تعالى بها من محض فضله . وقد شرفني رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلعة مرصعة وتاج مكلل ، هي خلعة قطبية الإرشاد القيومية . فالحمد لله أبشركم بأنكم أعطيتم تلك القطبية والقيومية . فبارك الله لكم فيما أعطاكم " . وبالجملة فقد كان حجة الله البالغة على خلقه . ومن أشهر خلفائه :

\* قطب الإرشاد والخير حفيده شمس الدين أبو البركات ، الشيخ محمد الزبير نجل الشيخ أبي العلاء شبل قدس الله سرهم . (ولد) عام ثلاث وتسعين وألف وكان في صباه قوي الإستغراق بحيث كانت تغلب عليه الغيبة أثناء تحصيل العلم . حفظ القرآن وقرأ جميع العلوم وسلك عند جده . فصار بأقرب أن من الأولياء الكاملين وهو خاتمة المشايخ من أولاد الإمام الرباني أيد الله هذه الطريقة العلية وهدى ببركته السالكين الى مقامات القرب والكمال . وكانت إستقامته على العبادة وإتباع السنة السنوية فوق طاقة البشر . والتمس منه أحد طالبي الحق سبحانه وتعالى أن يتوجه اليه بتمام النسبة المجددية . فقال له رضي الله عنه : " إن ذلك عظيم الثقل مما يعجز البشر عن تحمله فليس بممكن " . فالح الطالب عليه فتوجه اليه وألقى جميع النسبة عليه . فلم يقدر على تحملها ولحق بالله عز وجل . واحتضر أحد أصحابه وكان ذا عيال كثيرين وصبية صغار . فلما عاد غلبت عليه الرحمة فأخذ المحتضر الى صدره فشفي وعاش سنين ثم توفي يوم وفاة الشيخ ، لأنه كان قيم حياته وذلك سنة إثنين وخمسين ومائة ألف قدس الله سره .

\* والثالث ؛ من أنجال الإمام المعصوم قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ تاج هام الأولياء الكاملين وعقد جيد العلماء العاملين سيدنا الشيخ مروح الشريعة عبيدالله محمد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . (ولد) سنة سبعم وثلاثين وألف وأهم حضرة والده حيث ولادته هذه الآية (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) . وكان في العلم والعمل والتقوى والورع عديم النظير . ونال ببركة حضرة والده أسنى مقامات الوصول والقرب الإلهي ، حتى صار قطب وقته وإستفاد من فيوضات إمداده خلق كثير . وكان والده العزيز يحبّه جداً ويقول له : "إنك تسير معي كهاتين -ويشير الى السبابة والوسطى- عروجك ونزولك معي سواء" . وبشره أيضاً بالأصالة وبلغ من التواضع والوقار والتمكين الغاية القصوى ولم ينقل أنه قابل أحداً بمكروه . (وجاء مجذوم) يسأله الدعاء له بالشفاء فسقاه ماء وضوئه فشفي في الحال . (وتعرض) لأحد أحبائه شعبان عظيم فاستغاث به فرأه قد حضر عنده وقتل ذلك الشعبان . (وكانت) الطلبة تزدهم على حضور حلقة درسه صباحاً ومساءً بحيث لا يبقى في حضرته مع إتساعها محل للجلوس أصلاً . (توفي) عام ثلاث وتسعين وألف قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ .

\* والرايم ؛ مظهر العلوم والمعارف الربانية ومفخر الأولياء المعصومية الشيخ محمد شرف قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . (ولد) سنة ثمان وأربعين وألف وحصل العلوم بأسرها من معقول ومنقول وفروم وأصول حتى صار مفرد زمانه وأوحد أقرانه . صنّف الحواشي المفيدة على الكتب المتداولة في أكثر الفنون . ولما أتت تضلعه في كافة الفضائل قال له والده العزيز : "ياولدي إنه بقي من عمري سنتان والفرصة قليلة فهلم أتوجه إليك توجهاً واحداً يفوق بعناية الله وبركة المجدد سنين" . فتوجه إليه وألقى نسبة الولايات الثلاثة والحقايق السبعة عليه . فتلقى تلك الأحوال والأسرار بقلب ثابت وقدم راسخ . وذلك أعظم دليل على قوة تصرف والده العزيز حيث رقاها من تجليات الأفعال والصفات والشؤون الى تجليات الذات بتوجه والتفات واحد وعلى كمال استعداد ولده الجليل لقبول هذه التجليات التي تدك لها الجبال الرواسي . فاشتغل بهداية السالكين مع كمال الإستقامة على طريقة أبائه من الورع والتقوى حتى أصبح مرجع الطالبين ومؤمل المسترشدين وملجأ اللائذين . (سأله) مريض شديد المرض أن يدعو له بالشفاء فقرأ عليه شيئاً فعاد كأنما نشط من عقال . (توفي) سنة سبعم عشرة ومئة وألف قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ وكان آخر كلامه "حسبنا الله ونعم الوكيل" .

\* والخامس ؛ نتيجة أولياء العلماء وفضلهم العلماء الأولياء بركة هذا الطريق الشيخ محمد الصديق قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . (ولد) عام سبعم وخمسين وألف وبرع في تحصيل علمي الظاهر والباطن من حضرة والده ، وخصه الله بالترقي الى جميع المقامات العالية . وحج البيت الحرام وفاز بعناية إلهية وتفضيلات نبوية وحصل له قبول عظيم في تلك الأماكن المطهرة . فأقام مقامه خلفاء لإرشاد العباد من أشهرهم : العارف النبوي السيد عبدالله باحسين العلوي شيخ الإمام الكبير المقام الشيخ محمد ابن عقيلة صاحب المسلسلات الجليلة قَدَسَ اللهُ سِرَّهُما . ثم إنتقل الى أهله مسروراً ثم بنى رباطاً في مدينة (دهلي) وتصدّر لهداية العالمين . فقصدته الأمراء والفقراء وازدهم على بابهم العلماء والشرفاء حتى دخل سلطان الهند (قزح سير) في طريقه . وكان ذا علم وحلم وتواضع وأخلاق حسنة وبذل تام . وله كرامات كثيرة شهيرة . (توفي) عام ثلاثين ومائة وألف في دهلي ونُقل الى سهرند . فكان يسمى عند الأذان من نعشه إجابة المؤذن قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ .

\* والسادس ؛ شيخ هذه السلسلة الطاهرة وأولى من سرى إليه سر هذه النسبة الباهرة سيدنا الشيخ محمد سيف الدين الفاروقي المجددي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ .

## حضرة سيدنا الشيخ محمد سيف الدين الفاروقي المجددي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ

الكريم ابن الكريم محيي الطريف القويم والصراط المستقيم بعزيمة عظيمة عمرية وهمّة أحمديّة مجدديّة . الإمام الجليل والسيف الرباني الصقيل . (ولد) سنة خمس وخمسين وألف في سمرند وتربى هذا العصام في حجر والده المعصوم ، وتفدّى بالبان تلك المعارف والعلوم حتى أربى الفرع على الأصل في الفضل . وتأهل لتربية أبناء العصر ونعم الأهل وأنجب حال صباه . فلا عجب إذا فاق أباه ، فقد إستمسك بالعروة الوثقى ورقى على معراجها الأرقى . وفي حياة أبيه النبيه جلس على عرش الهداية وترجم . واقتفى أثر سلفه الصالح وتتبع . فشاه أركان الإرشاد وألقى إليه العباد مقاليد الإنقياد . فأصبحت أعتاب بابه محط رحال الوافدين وموارد إرشاده سائفة للواردين . وصار في سماء كواكب العارفين بدرأ وفي دولة العلماء بالله صدراً الى حل رموز عرفانية وفتح كنوز ربّانية . ونشر علمي الباطن والظاهر وحشر فضائل الأوائل والأواخر ، وحلو أخلاق وعلو أذواق تشهد بكمال وراثته وأنه ثالث ثلاثته .

(وقدم) بأمر والده العزيز بك بأمر الله تعالى الى مدينة (دهلي) لترويج الشريعة الغراء، ونشر أنوار الطريقة الزهراء . فتلمذ له السلطان (محمد عالمكير) بإرادة صادقة واعتقاد صحيح وانتظم الوزراء والأمراء العظام في سلك خدمه . وطفق يُحيي السنّة المصحّرة ويؤيد الشريعة المقررة وينصر أعلام الإسلام ويمحو آثار الظلم والعدوان . وببركة صحبتته وفّق الله تعالى السلطان المُشار اليه الى تنفيذ ما دأب الشيخ عليه من صون المحارم ودفن الظالم عن المضالم وصلاح حاله كل الصلاح . فحفظ الكتاب المجيد في سن الشيخوخة ولازم إحياء الليالي والإشتغال بالطريقة العلية . فغلبت عليه نسبة لطيفة الأخفى وإطلم على مبدأ تعينه صفة العلم . فكتب الشيخ الى والده العزيز أحوال السلطان ، ففرح بذلك فرحاً عظيماً وصدّف بنظره الكشفي على ذلك وسلّمه .

(وكان قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) يبالغ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبالغة عظيمة بحيث ما نقل عن أحد المشايخ الغابرة مثلها حتى لقبه والده رضي الله عنه بـ(محتسب الأمة) . فإنه كان لايسم بمُنكر في الهند إلا أزاله وماصير لحظة واحدة عليه . فعظّم جاهه وفحل أمره وكبر شأنه وشرف قدره وبلغ من سمو مقامه أن السلاطين والأمراء كانوا لايجلسون في مجلسه ، بل يقفون بين يديه بالأدب التام . وله كرامات وافرة وخوارق باهرة) منها :

أن رجلاً من الواقفين لديه خطر بباله أن الشيخ متكبر ، فالتفت اليه وقد كوشف بخاطره فقال له : "تكبري من كبرياء الحق تعالى" . (ومنها) أنه أنكر عليه ذلك مُنكرٌ آخر ، فرأى في منامه أنه جماعة العسس أخذوه وجعلوا يضربونه ضرباً اليماً ويقولون له أنت تنكره على حضرة الشيخ وهو محبوب الحق سبحانه . فاستيقظ من شدة الضرب وتاب وانغمر في جماعة الشيخ . (ومنها) أنه كان يسكن في رباطه ألف وأربعمائة سالك فيغذي كل واحد منهم على وفق رغبته . (ومنها) أنه سمع ذات مرة من بيت جاره صوت مزمار . فتأثر تأثراً تاماً حتى خرّ مغشياً عليه ورضخت يده رخصة شديدة . فلما أفاق قال : "يزعمون أنني خال من العشق ، بل هؤلاء ليسوا بعاشقين حيث يصبرون على السماء" .



(ومنها) أن مجذوماً طلب منه الدعاء بالشفاء فنفت عليه فشفي لوقتته .  
(توفي) سنة خمس وتسعين وألف ودُفِنَ في بلدة سهرند نور الله مرقدته . (وله) خلفاء حنفاء ملأوا  
البلاد إرشاداً والعباد إمداداً من أشهرهم : المرشد الكامل سيدنا شاه عباس قدس سره . والإمام الجليل  
الشيخ صدرالدين الصوفي قدس سره . والعارف بالله الشيخ أبو القاسم قدس سره . وبدر فلك الإمداد  
سيدنا الشاه عيسى قدس سره . ومن أعظمهم وأكرمهم شيخ هذه السلسلة المنورة وأكمل من سرى إليه  
سر هذه النسبة المطهرة سيدنا الشيخ السيد نورمحمد البداوني قدس سره .

## سيدنا الشيخ السيد نورمحمد البداوني قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ

سيد ملاً الأعلى نوراً وذكراً حميداً ماثوراً والعالم الأدنى مبروراً وسعيماً مشكوراً ، حيث أفرغ على السرائر الحائرة سروراً والقلوب الغافلة حضوراً . فأصبح مظهر كل فضيلة جليلة ووسيلة الى الله تعالى ونعم الوسيلة . تحنُّ أروام السالكين لتوجهه الأقدس وتحنو على إستنشاق نفسه الرحماني الأنفس . أظهر الله الشريعة والحقيقة في أيامه ظهور البدر ليلة تمامه . فكم أحياء من سنَّة دُرست وقطم من بدعة غُرست .

(ولد) قَدَسَ سِرُّه سنة (...؟) وربِّي في مهدٍ أشرف مهدي سيدنا السيِّف الصقيِّد الهندي ناهلاً من مناهل فيضه النقشبندي . فشبَّ على ما تربي ونال ببركته أعلى المقامات قريباً ، وافترخ به فريق الطريف شرقاً وغرباً . فأنظر كيف سلَّم نفسه للسيف لينال شهادة السعادة وسعادة الشهادة ويحيا الحياة الأبدية (مَنْ قَتَلْتَهُ فَنَا دِيَّتَهُ) . فأدرسته العناية الأزلية فأصبح في البلاد الهندية سراجاً وهاجاً تقصده الناس أفواجا ، رجاء اقتباس أنواره والفوز بأسرار بركته وبركة أسرارهِ . جلس من بعد سيده خير مؤيد لطريق إرشاده ومرشده ، وجدد ذكره الجميل وخذ ولاغرو فهو نور محمد :

همام إذا ما فارقت الغمد سيفه وعايينته لم تدر أيهما النصلُ

وإذ كان فرع الشجرة النبوية الزاهرة وطراز عصابة آل البيت الطاهرة ، فلا عجب أن أمسى بابه قبلة للأولياء وأعتابه رحلة للأتقياء وأنظاره جلاء قلوب الراغبين ووجوده مظهر تجليات حضرة الغني عن العالمين .

(توفي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) سنة خمس وثلاثين ومائة وألف .

(وكان) قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ كامل الورع والتقوى ملازماً لمطالعة كتب السير والشمائل والأخلاق النبوية متأسياً بها . أدخل مرة رجله اليمنى الى بيت الخلاء قبل اليسرى فإنقبض ثلاثة أيام من مخالفته السنَّة . فجعل يتضرع ويلتجئ الى الله تعالى حتى بذل قبضه بسطاً . وغلب عليه في أواسط أمره الإستفراغ خمسة عشر سنة . فكان لا يفيق إلا وقت الصلاة ثم يغيب . وكان يحتاط أشد الإحتياط في أكل الحلال ، حتى أنه كان يخبز بيده الشريفة أقرصاً ويأكل عند شدة الجوع منها كسرات ويشتغل بالمراقبة ، فإذا فرغت خبز غيرها وعاد للمراقبة . وكثرة مراقبته تقوَّس ظهره . وقد لازم خدمة الشيخ سيف الدين عدة سنين ثم خدم الشيخ محمد حسن الحافظ نجح علامة زمانه المحدث الكبير الشيخ عبدالحق . وكان الحافظ من أجل خلفاء الإمام المعصوم أعواماً عديدة حتى بلغ في الولاية أعلى درجات الكمال .

(وكان يقول) منذ ثلاثين سنة لم يخطر ببالي شيء من أمر الأغذية بل أكل وقت الحاجة ما تيسر . وكان لا يتناول من طعام الأغنياء ويقول إنه لا يخلو من ظلمة . وكان إذا إستعار كتاباً من غني لا يطالع فيه إلا بعد ثلاثة أيام ويقول : "إن ظلمة الأغنياء قد تلبَّست بظلمته ودقَّتْهُ" . وورد عنه كلمات قدسية تثبت جلالة رتبته العلية .

وظهر على يده المباركة كرامات جلَّت في بابها عن المشاركة . منها ما نُقل عن أجل أصحابه سيدنا حبيب

الله المظهر قدّس سرّه : أنه كان إذا ذكره يبكي ويقول لأصحابه يا حسرة عليكم أنتم ما رأيتم حضرة السيد قدّس سرّه لو أدركتموه لجددتم إيمانكم بكمال قدرة الله تعالى حيث خلق مثل هذا العزيز . وكان يقول عنه أيضاً إن كشف حضرة السيد كان على غاية الصحة يدرك بالبصيرة ما لا يدركه بالبصر . فإنه وقم بصري في الطريق على امرأة أجنبية فلما وقفت بين يديه قال : "إني أجد منك ظلماً الزناً" . ولقي شارب خمر يوماً . فلما جاءه قال : "إني أجد منك رائحة الخمر" . ومنها أنه أتته امرأة يوماً فقالت له : ياسيدي إن الجنّ قد اختطفت ابنتي وقد عملت لردّها أعمالاً كثيرة فما نفم فأعثنني . ففكر ساعة ثم قال : تجيء ابنتك في الوقت الفلاني . فجاءت في ذلك الوقت فسألوا البنت عن كيفية مجيئها . فقالت : كنت في الصحراء فإذا بشيخ أخذ بيدي وأوصلني الى هنا .

وتكلم عنده فئة عظيمة هم من كيد النفس وقيّد الهوى أتمّ تميمة من أكملهم شيخ هذه السلسلة المجلّة ، وأولى من سرى اليه سرّ هذه النسبة المفضلة الشيخ شمس الدين حبيب الله جان جانان المظهر قدّس سرّه .

## سيدنا الشيخ شمس الدين حبيب الله جان جانان مظهر قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ

كان شمس السعادة الأبدية وحبيب الله جلّ جلاله ونجيبه روم أرواح أهل اليقين ورواح أرواح الدائقين وكعبة آمال الفريقين وعلماً من أعلام النبوة . إذ أظهر في إعلاء الدين المحمدي وإحياء الطريق النقشبندي المجدي غاية العناية والقوة . فأعلى الله أعلامه وشرف في الدارين مقامه .  
( ولد ) قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ عام ثلاثة عشر ومائة وألف ، فمبّت عليه نسائم جذبة من جذبات الحق ، فوصلته بمراحم صفوة أشرف الخلق السند المؤيد السيد نورمحمد . ففتح عيون بصيرته ببركة أنوار سريته وسقاه من سر العلوم المكتوم كأس الرحيق المختوم . فأخذ عن نفسه وسرى به من الأنفس الى الأفاق . فمالبث أن صعقت ثم أفاق فعرج به على معراج قدسه وأظهره من عالم الغيب على أسرارهِ واتحفه بكرامات مقاماته في طور أطواره . ثم رده فلم يجد غيره فرجع من حيرة الى جهالة ومن جهالة الى حيرة ، لم يزل يلحظ بأنوار تصفيته ويتدلّى به الى مراتب الرُجُل حتى بلغ الغاية في الكمال وخلص من المحو الى الصحو ومن الوصل الى الفصل . هنالك أدن له بإرشاد العباد الى سبيل الرشاد والصراط السوي والطريق القويم القوي ، وأوصى له بالخلافة . فنهض بأثقالها بعده وأشرقت شمس الهداية في برج سعده . ثم اتصل بأعتاب كل من الأولياء الكاملين سيدنا الشيخ محمد أفضل ثم سيدنا الشيخ حافظ سعدالله ثم سيدنا الشيخ محمد عابد السنامي رضوان الله عليهم أجمعين ، فإزداد كماله وتمّت أماله . فتموّجت من بعدهم بالعرفان بحراً وظهر في سماء القلبية كالشمس ظهراً وقُصد بالرحلة من كل مكان وإزدحمت على أعتابه الرُكبان . فوسم الجميع حرم رحمته وشملتهم بركة همته وهمّة بركته وأصبحت به الديار بيتاً معموراً تطوف به ملائكة الأرواح أصلاً وبيكوراً .

( مفصل المجلد ) كان قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ منذ ولد تتلأ أنوار الهداية وأثار النجابة في ناصيته . وقد جبّل على العشق للجمال والشغف التام به والمحبة له . كان في حجر مرضعته وهو ابن ستة أشهر فأخذته امرأة جميلة الى حجرها فعشقتها فكان إذا فارقتها بكى . واشتهر في الناس تعشقه للمظاهر الجميلة وهو ابن خمس سنين . فلما بلغ تسع سنين رأى سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام فشرّفه بأنواع الكرامات . وكان وهو في هذا السنّ كلما ذكر أبو بكر الصديق رضي الله عنه يحضر صورته ويراه بعينه وكذلك يرى الإمام الرباني . فاعتنى والده بتربيته وبالغ في تعليمه فنون العلوم وعلوم الفنون . فما بلغ في السنّ ثمانية عشر سنة إلا وفاق وبرع في كل فن . فحذبه الحقّ تعالى الى خدمة حضرة السيد نورمحمد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . فتلقّى عنه الطريقة العلية النقشبندية وبتوجه واحد جرت لطائفه الخمسة . فلازم خدمته مع كمال الصدق والإشتغال بالرياضات الشاقة والخلوّة في الصحارى والبراري والإقتصار على التعلّي بورق الأشجار والإكتفاء من اللباس على ما ستر العورة مدة أربع سنين .

ونظر مرة في المرأة فرأى صورة شيخه بدل صورته . ثم لما توفي حضرة السيد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ جعل يختلف الى قبره الأنور ويستفيد منه ويستفيض مدة سنتين . ثم أدن له بالروحانية أن يرجع الى مرشد حي . فرجع الى المرشد الكامل والولي الواصل سعدالله المعروف بـ ( شاه كلشت ) وقطب الإرشاد الشيخ محمد

الزبير . فاعتذرا له بعدم إحالة تربيته لهما . فحضر عند حضرة العارف الكامل الشيخ محمد أفضل أحد خلفاء سيدنا حجة الله نجل الإمام المعصوم ومن خواص الإمام الكبير الشيخ عبدالأحد المعروف بدليل الرحمن نجل الشيخ محمد سعيد خازن الرحمة قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُمْ . فقرأ عليه كتب الحديث النبوي . فكان في أثناء الدرس يحصل له تمام الإستغراق في النسبة المحمدية ويشاهد كمال الإلتفات من حضرته النبوية ببركة صحبتة الشيخ وحضوره . فصار له شيخ الحديث والصحة ، حيث فاز منه بفوائد جمّة في الظاهر والباطن . فلما تمّ له في خدمة هؤلاء المشايخ عشرين سنة صحب حضرة المربي الأوحد الشيخ حافظ سعدالله ، وهو من كُمل خلفاء سيدنا الشيخ محمد صديق . فلزمه اثنا عشر عاماً وحصل له قوّة عظيمة في عرض النسبة وإتسام الباطن . ولم يتوجّه له في هذه المدة إلا توجّهاً واحداً لكبر سنّه وضعفه . فقد كان عمره وقتئذٍ نيفاً وثمانين سنة . ثم صحب شيخ الشيوخ حضرة الشيخ محمد عابد السنامي الصديقي أجلكم خلفاء الشيخ عبدالأحد المومى اليه قَدَسَ سِرُّهُ . وأتم السلوك الأحمدى على يده . وهذا العزيز تتصل سلسلته بسيدنا الشيخ محمد سعيد خازن الرحمة أحد أنجال المجدد المار ذكره قَدَسَ سِرُّهُ . فلذلك صار حضرة المظهر جامعاً لفيض الطريقتين المعصومي والسعيدي . فكان يُكتب في سلسلة النقشبندية اسم حضرة سيد نورمحمد ومشايخه وفي السلاسل الأخر القادرية والسهروردية والچشتية اسم الشيخ محمد عابد المُشار اليه ومشايخه السعيدية .

(وكان) يقول حصلت الولايات الثلاثة وكيفياتها وعلومها وإراداتها من حضرة السيد نورمحمد ، ونلت الكمالات الثلاثة والحقايق السبعة وغيرها من حضرة الشيخ محمد عابد في مدة سبعين . ثم رقّاني سنة كاملة من أولها الى آخرها بالسير المرادي . فصارت لي قوّة عجيبة في حالات كل مقام . وشرفني بخلافة الطريقة القادرية والچشتية السهروردية وخصّني بضمائنه ورقّاني من الولاية الإبراهيمية الى الولاية الخاصة المحمدية . فرأيت حالتنذ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقائي . ثم رأيتّه جالساً في محلي وأنا في مجلسه ثم رأيتّه في المحليين .

(وقال رضي الله عنه) كنت مرة عند حضرة الشيخ محمد عابد فقال : "إن الشمسين تقابلتا كمالاً بحيث لا تتميزان من كثرة أنوارهما ولو التفتتا الى تربية الطالبين لأنارتا العالمين" . وقبّل مرة ركبتي من فرط تواضعه وقال لي : "ليس في أصحابي مثلك وكثرة حبك لله ورسوله تنال الطريقة بتوجهك عزاً عظيماً ولقبك عند الله شمس الدين حبيب الله" . وأحال اليّ تربية بعض أصحابه ووضع حضرة السيد نورمحمد قَدَسَ سِرُّهُ نعلي قدامي وقال لي : "أبشّر بالقبول التام عند الله تعالى" . (وكان) الشيخ محمد أفضل قَدَسَ سِرُّهُ يقوم تعظيماً لي ويقول : "إني أعظمكم كمالات نسبته" . (وكان) الشيخ حافظ سعدالله قَدَسَ سِرُّهُ يقول لي : "أنت محل نظري" .

(وقال) الشيخ العلامة الولي المحدث الشهير قَدَسَ سِرُّهُ : "الدنيا في نظري كالقرف و ليس في الدنيا الآن أحد مثل حضرة المظهر قَدَسَ سِرُّهُ" . ولما إنتقل مشايخه الأربعة المُشار اليهم زَيَّبَ مسند الإرشاد بجلوسه المبارك وروّج الطريقة العلية بوجوده المسعود . فشَدَّتْ إليه الرجال الرّجال و بقي في دست الهداية أكثر من ثلاثين سنة على أتم حال من الإستقامة على إتباع السنّة السنية وإحياء أثار الطريقة الأحمدية والزهد والورع وعدم الركون الى الدنيا وأهلها .

(وكان) يختار الفقر على الغنى ويحب الكفاف لنفسه وأصحابه ويدعو الله لهم بذلك . ولم يقبل من

غني شيناً من الدنيا ، بل كان يأخذ أحياناً من أخلص مريديه . وكان قدس الله سره دائم الخمول والعزلة مابنى رباطاً قط ولا بيتاً أبداً مع شدة الإحام أغنياء وقته عليه . وكان له محبة عظيمة في المشايخ لاسيما الإمام الرباني وكثيراً ما كان يقول : "ما وجدت شيناً إلا بمحبة المشايخ" .

(وقال قدس الله سره) إختيار الطريقة لقلبة حب الحق تعالى وقد يوهب المرید ذلك بمحض فضله وسبحانه والآ فدوام الذكر بشرائطه فرض ، ولا تنفتح عين القلب إلا بكثرة الذكر . فإن ورد حال أو إستفراق خلال الذكر وجبت المحافظة عليها فإذا ذهبت يُشرع في الذكر مع التصرع التام ، ويلزم ذلك مدة حتى يحصل له دوام الإستفراق وهو المطلوب . (وقال قدس الله سره) حاصل هذه التكاليف كلها تهذيب الأخلاق على وفق مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم إذ قال : "بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" . (وقال) العمل بالعزيمة في هذا الزمان صعب جداً لفساد المعاملات وعدم إمكان تطبيقها على قواعد الشريعة . فالأخذ بظاهر الفتوى مع اجتناب البدعة غنيمة عظيمة .

(وله) نفعنا الله به كرامات عظيمة وتصرفات جسيمة وكشوفات صحيحة عن الأمور الكونية وأحوال أهل القبور والحقائق الإلهية ، مما لا يمكن حصره وقد جمعها سيدنا العارف بالله تعالى الشيخ عبد الله الدهلوي رئيس خلفائه العظام قدس الله سره في كتاب مخصوص رأيته وطالعته وهو في اللغة الفارسية .

(فمن كراماته العالية) إنه سافر مرة مع نفر من أصحابه بغير زاد ولا راحلة . فكانوا إذا نزلوا منزلاً تأتيهم الموائد من الغيب . فأمرت السماء يوماً مطراً شديداً وهبت ريح عاصفة ، فاشتد البرد عليهم فتأذوا منه . فقال قدس الله سره : "اللهم حوالينا ولا علينا" فأنجلي عنهم السحاب وجعل يصر حولهم ببركة دعائه .

(وكان) له جار يحبه فاجتضر فغلبته الشفقة ، فقال قدس الله سره : "يارب لا طاقة لي على فراقه فباشفه شفاه عاجلاً" . فكانما نشط في الحال من عقال . وكان في جواره رجل يبسم الأفيون في دكان له ، فقال يوماً لأصحابه : "قد كدرت ظلمة الأفيون صفائي" . فتبادر أصحابه الى تلك الدكان فهدموا بعنف . فلما بلغه قال : "الآن إزداد تكدري بسبب هذا الإحتساب إذ من أجلنا جرى هذا الأمر المخالف للشرع ، فإنه كان الأولى بحقنا أن ندعوه برفق للتوبة من هذا العمل ، فإن أبى نمنعه بشدة" . ثم أمرهم بإحضاره الى حضرته فبعد فحص طويل أحضر فأظهر له تمام اللطف وإعتذر اليه مما فرط من أصحابه وطلب منه العفو عن تلك الجرأة وأنعم عليه . فلما رأى الرجل منه ذلك تاب الى الله في الحال وصار من مخلصي جنابه .

(وقال قدس الله سره) زرت مرة سيدي الشيخ حافظ محمد محسن قدس الله سره فحصلت لي غيبة فرأيت جسده المبارك بحاله وأكفانه كلها صحيحة لم يؤثر التراب فيها إلا بطرف من جهة أسفل قدميه . فسألته عن ذلك فقال : كنت أتيت بحجر من غير إذن صاحبه ووضعته مكان الوضوء ناوياً أنه متى جاء صاحبه أعيده اليه . فوضعت قدمي عند الوضوء عليه فأثر التراب من شؤم هذا العمل في قدمي كما ترى . قال والحق أنه بقدر ماترتقى القدم في التقوى تترقى في الولاية .

(وغضب) مرة من رجل فقال قدس الله سره : "إني رأيت كل المشايخ الى حضرة الصديق الأكبر رضي الله عنه قد عرضوا عنه" . فمات الرجل ثالث يوم من غضبه . (وجاءه) أحد أصحابه فقال : ياسيدي قد حبس أخي في البلدة الفلانية فادمم الله في خلاصه . فقال قدس الله سره : أخوك ماهو بمحبوس وإنما صدر منه مخاصمة وخلي عنه وقد كتب إليك كتاباً يصل إليك . فكان كما أخبر بلا تفاوت . (ورأى) شخص في

منامه ميتاً له يُعَدَّبُ في قبره . فسأله أن يدعو له بالمغفرة فدعا له وبشَّره بأن الله تعالى قد غفر له فأرى الميت في منامه ، فقال له اني نجوت من عذاب الله تعالى بدعاء حضرة المظهر قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . (وكان كثيراً ما يبشِّرُ أصحابه ببشائر عالية فأنكر بعض القاصرين ذلك فكوشف بإنكارهم ، فقال لهم : "إن لم تصدقوني فإختاروا حَكَمًا من الأولياء المتقدمين فيحضر ويصدّقني" . فقالوا الحَكَمُ الأعظم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال مرحباً ، فتوجَّهوا ثم قرأ الفاتحة وراقب هو والمُنكرون فأرأوا في المراقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لهم ببشائر المظهر صحيحة وزجر المنكرين عليه . (وقال سيدنا الشيخ محمد أفضل ) أعطى حضرة المظهر مقام القطبية فهو في هذا الوقت مدار الطريقة العلية . (ومن مکتوباته) العرفانية ما معرَّبه سُنك عن قول بعض الأكابر : "إذا لم ير الصوفي نفسه أقبح من كافر الإفرنج فهو أقبح من كافر الإفرنج ، فكيف يستقيم معنى هذا الكلام مع أن الصوفي لا يكون إلا مؤمناً أو عالماً متقياً مدركاً حال صحوه وإفاقته لأوصافه وأخلاقه ومناطق تفضيل فرد على آخر من أفراد النوم الواحد ، إنما هو هذه الأوصاف والأخلاق لا ذات الشخص وحقيقته . فالصوفي مع علمه باتصاف الكافر بالكفر والمعاصي واتصافه هو بالإيمان وغيره من الفضائل كيف يمكنه أن يرى نفسه أقبح ، ولو تكلف ذلك لزم عليه أن يعتقد أن تلك الفضائل أقبح من تلك الرذائل . وهذا الإعتقاد بديهي الفساد شرعاً وعقلاً؟"

فقال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ : "ياسيدي إن مذهب ساداتنا المجددية أن حقائق الممكنات مركبة من أعدام إضافية وظلال صفات حقيقية . يعني أن هذه الأعدام بمقتضى تقابلها مع الأسماء والصفات حصل لها ثبوت في العلم الإلهي وصارت الأنوار مرابا الأسماء والصفات ومبادي، تعيينات العالم . والذي في الخارج هو ظلُّ لها ، أعني ظلاً خارجاً حقيقياً موجوداً بوجود ظلِّي بصنع الله تعالى ، فبناءً على تركيبها من العدم والوجود صارت مصدر آثار الخير والشر . فمن جهة العدم الذاتي كسب الشر ومن جهة الوجود الظلي كسب الخير . ولا يخفى أن الإنسان إذا نظر الى مرآة مملوءة من أنوار الشمس فمن أول وهلة يقع بصره على أنوار الشمس لا على المرآة لإختفائها وإستتارها في الأنوار . وإذا نظرت هذه المرآة الى نفسها ترى من أول نظرة تعينها المرآة لا الأنوار ، لأن نظرها يتعلقت بالظاهر . فالصوفي إذا وقع بصره على ظاهر الأشياء الشريفة والخسيسة إنما يرى جهة الوجود الظاهر فيها ، الذي هو مصدر الخير . وإذا نظر الى نفسه يقع بصره على جهة العدم الذاتي له ، الذي هو منشأ الشر ويراه عارية عن الخير والكمال مطلقاً . وإن الخير والكمال مستعار ومكتسب من جهة الوجود لا من نفسه . فلا جرم يتحقق أن نفسه أقبح من كافر الإفرنج ومن كل خسيس . فعلم من هذا مقصود القائل بذلك القول "إن الصوفي الكامل هو الذي لا ينسب الخير والكمال لنفسه أصلاً" ويعلم أنه مستعار وهذا هو معنى الفناء التام وحاصل الشهود الصحيح . وإن نظر الصوفي الى جهة الوجود والأنوار المستعارة وغاب عن نظره مرتبة عدمه الذاتي يتناول في الدعوى فيقول أنا الشمس . وهذا سر قول الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله "أنا الحق" فإنه وإن كان معذوراً في ذلك نظراً لقلبة السكر عليه ، بحيث لم يمكنه الفرق بين جهتي العدم والوجود ، ولكنه مخطيء في هذه الرؤية . وقد وقع في هذا المقام مثل هذه الأغلاط من كثير من السالكين إلا من عصمه الله تعالى ببركة حبيبه صلى الله عليه وسلم . ومنها في الجمع بين كلامي المجدد رضي الله عنه في حقائق الممكنات .

قال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ : كتب لي أنه كشف لسيدنا المجدد في حقائق الممكنات أن في مرتبة الواحدية التي هي عبارة عن تفضيل الكمالات الإلهية ظهر في مقابلة كل صفة كمال ثبوت وتميز عدما الإضافي في

خزانة العلم الإلهي . ففي مقابلة صفة العلم عدم العلم المعبر عنه بالجهل وفي مقابلة صفة القدرة عدم القدرة المعبر عنه بالعجز ، وقس على هذا . فصارت هذه الأعدام المتميزة بسبب هذه المحاذاة والمقابلة مجالي ومرايا تلك الحقائق ومبادئ تعينات العالم ، وهذه الممكنات بمنزلة المرايا لتلك الحقائق وتلك العكوس والظلال بمنزلة الصور الحائلة فيها . وبناء على هذا الإمتزاج صارت أعيان الممكنات الخارجة- التي هي على طبق تلك الحقائق- مصدراً للأثار وقابلة لكل من الوجود والعدم . وبهذا الوجه صارت مصدراً للخير والشر .

وأنه كشف له أيضاً أن مبادئ تعينات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الصفات التي هي أصول الظلال المذكورة وواجبة الوجود . فيلزم أن لا يكون للعدم دخل في حقائق حضرتهم مع أنه من الممكنات . وحقيقة الممكن كما حققه رضي الله عنه لا تكون بدون إمتزاج بالعدم . فكيف وجه المطابقة ؟ والجواب ياسيدي إنه حيث تقرر المقابلة والمحاذاة بعين الأعدام المتميزة ووجودات الصفات المقدسة في مرتبة العلم الإلهي ، كانت الأعدام مجالي الصفات والصفات أيضاً مرانياً تلك الأعدام . غير أن الأمر في هذا المقام بالعكس ، فالصفات هنا بمنزلة المادة والأعدام بمنزلة الصور الحائلة فيها . فوقع وجه العدم في هذه الصورة ضعيفة ووجه الوجود قوية . وبهذا الوجه كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومين ولم يكونوا مصدر شر . وأما وجودهم الخارجي ، فهو قابل لكل من العدم والوجود . ومن هذا القدر من دخل العدم في حقائق حضرتهم لأجل ثبوت الإمكان كافٍ والسلام .

### تفصيل أحواله في وقت إنتقاله

غلب عليه الشوق الى الرفيق الأعلى قبل أيام من وفاته وأظهر كمال الملل من توجه خاطره الى أهل هذه الدار الفانية وكثرة إستغراقه في كل لحظة في مشهوده الله تعالى . وزاد في العبادة على وظائفه المعتادة في تلك الأيام وازدحم السالكون على أبوابه يدخلون الطريقة أفواجاً . فكان يوجد في حضوره أكثر من مائة رجل ، فعين للقاء الناس وقتين فقط . وقد بلغت آثاره وأنوار توجهاته الشريفة تمام الترقى وطلب أحد أصحابه ( ملا نسيم ) الإذن منه بالسفر الى وطنه فقال له : لقاءنا معكم بعد الآن غير معلوم . فأثرت هذه الإشارة الى قرب إنتقاله في القلوب وأفاضت الدموع من العيون . وكتب الى أحد خلفائه ( الملا عبدالرزاق ) : "أني تجاوزت الثمانين وقد دنا الأجل ، فتذكرني بخير الدعاء" . وكذلك حرر لغيره من الأعداء بما يفيد وقوم هذا الأمر المحتوم .

( وقال قدس الله سره ) يوماً مظهراً لنعم الله تعالى الموجبة الشكر عليه : "إنني لم يبق في قلبي أمر رجوت الحصول عليه إلا وقد نلته بتفضلات الله تعالى . شرّفني بالإسلام الحقيقي ووهبني حظاً وافراً من العلم والإستقامة على العمل الصالح وكل ما يلزم في مشيخة الطريقة من التصرف والكرامات والكشف ، إلا الشهادة الظاهرية التي لها مقام في القرب الإلهي درجة عالية . فإن أكثر مشايخي قد شربوا كأس الشهادة وأما الفقير فإني كثير العجز والضعف فلا قوة لي على الجهاد . فحصل هذه المرتبة في الظاهر متعسر والعجب ممن لا يحب الموت . الموت موجب للقاء الله تعالى . الموت سبب لزيارة فخر العالم صلى الله عليه وسلم . الموت يوصل الى مشاهدة الأولياء . الموت يجلب السرور بملاقة الأعداء . وإني لمشتاق لزيارة أرواح كبراء الدين الطيبة ومتوقم كثيراً للتشرف بلقاء حضرة المصطفى وخليف الرحمن عليهما الصلاة والسلام ، وزيارة أمير المؤمنين الصديق الأكبر والإمام حسن المجتبي وسيد الطائفة الجنيدي ، وحضرة شاه نقشبند



وحضرة المجدد رضي الله عنهم . فإن لقلبي محبة خاصة بخدمة هؤلاء الأكابر . أه ."

فجلى الله تعالى له عروس هذا الرجاء على منصّة الإجابة والإجراء ، وبلغه درجة الشهادة حتى جمع بين شهادة الظاهر وشهادة الباطن ، التي هي في اصطلاح الصوفية عبارة عن مرتبة الفناء بالله تعالى . وارتقى في درجات القرب الى أعلى عليين ، وذلك بعدما مضى قطع من ليلة الأربعاء سابع شهر محرم سنة خمس وتسعين ومائة وألف . صفقت جماعة على باب حضرته فأخبره الخادم بأن نفراً أتوا لزيارتكم . فأمره أن يدخلهم . فدخل ثلاثة أشخاص من المغل (أي المجوس) . فقام من مضجعه ووقف لهم فقال له المغل : أنت مرزا جان جانان ؟ قال : نعم . فقال له رفيقاه أيضاً : بلى هو مرزا جان جانان . فأخرج خنجراً وطلعه به فاصابت خاصرته قريب قلبه . فنظراً لكبر سنّه وعجزه لم يتحمّل ذلك ووقع على التراب . فلما كان وقت الفجر أرسل له الحاكم (نجف خان) طبيباً إفرنجياً وأمره أن يقول له إن مرتكب هذه الجناية العظيمة لم يعلم ومتى تحققت يجري قصاصه . فردّ الطبيب وأرسل إليه أنه : "إن قضى الله بشفاء هذه الجراحة تشفى على كل حال فلا حاجة الى طبيب آخر . وإن علم مرتكب هذا الأمر فهو في حلّ مني واعفوا عنه أنتم أيضاً" . فبقي ثلاثة أيام وهو يزداد ضعفاً حتى صار لا يسمع صوته ، ثم في صبح اليوم التالي وهو يوم الجمعة قال لي : إنه قد فاتني إحدى عشرة صلاة وجسدي كلّ مضرّج بالدم ولا أقدر أن أرفع رأسي وقد قالوا إذا عجز المريض عن أن يرفع رأسه لا يكلف لأداء الصلاة بالإيماء بطرفه وحاجبه ويجوز له تأخير هذا فماذا تعلمون في هذه المسألة ؟ فقلت له : الحكم كما ذكرت . فلما إنتصف النهار رفع يده وهو يقرأ سورة الفاتحة كما قرأها سيدنا شاه نقشبند في مثل هذا الوقت . فلما كان وقت العصر قال لي : كم بقي من النهار ؟ فقلت : أربع ساعات . فقال : إذا المغرب بعيد . فلما كان المغرب من ليلة عاشوراء تنفّس الصعداء مرتين أو ثلاثاً ثم لحق بالرفيق الأعلى رضي الله تعالى عنه وجزاه الله عن المسلمين خير جزاء .

وقد استخرج الأدباء لوفاته تواريف كثيرة أحسنها تاريخان : الأول قوله تعالى (أولئك ٦٧ مم ١١٠ الذين ٧٩١ أنعم ١١١ اللهم ٦٦) (سنة ١١٩٥هـ / الناشر) . والثاني قوله صلى الله عليه وسلم في حقّ أحد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم : "عاش ٣٧١ حميداً ٦٢ مات ٤٤١ شهيداً ٣٢" (سنة ١١٩٤هـ / الناشر) . ورأى أحد السادات بعد إنتقاله في منامه أن القرآن المجيد قد ارتفع نصفه الى السماء ووقع في الدين المتين فتور . قال سيدنا الشيخ عبدالله الدهلوي قدّس سرّه فعبرتما بأنها مصدّقة لقول الشيخ قدّس سرّه : "يتوقف العروج الى مقامات الطريقة بعدنا ومهما ترقى أهل هذا الطريق لا يصلون الى مقام الولاية" . فإنه بعد وفاته بستة عشر سنة رأيت مريدي خلفائه وسمعت عن أحوال هذه الطريقة الموجودين في البلاد البعيدة أنهم يحسبون الوصول الى أحوال وكيفيات الولاية القلبية غنيمة ، والوصول الى أحوال المقامات العالية بعيداً جداً عن الإدراك ، بل حتى يرون الوصول الى الولاية القلبية متعسراً والله أعلم . والحق أن وجوده المبارك كان آية من آيات الله تعالى وعلى طبق اسمه الكريم فإن (جان جانان) هو روح الأرواح أرشد الله ببركته ألوفاً وتكلم منها فئة عظيمة خمسون منهم وصلوا الى نهاية المقامات الأحمدية وأجلّهم رشداً وأسبقهم عمداً :

\* العلامة النحرير والعارف الكبير والوليّ الشهير الشيخ ثناءالله العثماني الباني پتي قدّس سرّه . فإنه كان بحراً في العلوم المعقولة والمنقولة ولا سيما في الأصول والفقه ، فإنه بلغ درجة الإجتهد فيه وله التصانيف المفيدة في التفسير والحديث والفقه والتصوّف . أخذ الطريقة العلية من حضرة سيدنا

الشيخ محمد العابد قدّس سرّه واشتغل عنده حتى وصل الى مقام الفناء القلبي . ثم بأمر من شيخه المشار اليه تشرّف بخدمة حضرة الشيخ واشتغل بالسلوك فاتمّ مراتبه في خمسين توجهاً من الشيخ قدّس سرّه . وفرغ من تحصيل علم الظاهر والباطن في ثمانية عشر سنة فتصدّر للمهادية والإرشاد ولقبه حضرة الشيخ قدّس سرّه بـ(عَلَم المهدى) . وكان يقول عنه : "نسبتي ونسبته في العلوّ سواء وهو روح مجسم من الديانة وهو مروجّ الشريعة ومنورّ الطريقة وملكيّ الصفة ، والملائكة تعظّمه . ولو سألني الله تعالى يوم القيامة بأي تحفة أتيتني ؟ لقلت له بثناء الله الپاني پتي . أه . " وهو من سلالة كبير الأولياء الشيخ جلال الجشتي ونسبه متصل بأمرير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه . والپاني پتي (پياء فارسية فآلف فنون فياء تحنية فياء فارسية فتاء فوقية) نسبة الى (پاني پت) بلدة من أعمال الهند . (وممن ذكر) العالم الإمام والوليّ العليّ المقام السيد مير مسلمان قدّس سرّه . فإنه مع كونه شريك حضرة الشيخ في تحصيل العلوم وخدمة المشايخ كلها عكف على خدمته وحصل فوائد جمّة . وكان الشيخ قدّس سرّه يحترمه ويقول كثيراً في حقّه : "إن نظر الطاف السادات الكبار محدقةً به" . (وممن ذكر) المرشد الكبير والعالم النحرير الشيخ فضل الله أخو الشيخ ثناءالله المشار اليه . تلقى الطريقة عن حضرة الشيخ بعد إتمام تحصيل العلوم الظاهرة وصرّف الهمة للسلوك على يده حتى فاز بأعلى المقامات . وقد توفي قبل أخيه المشار اليه فحزن عليه حزناً كبيراً فأثابه في المنام فقال له ياخي لم هذا المقدار من الغم والألم والله تعالى يقول في كتابه العزيز (الآ إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وما أكرمنا الله تعالى في هذه الدار من الراحة والنعم أجلاً من أن يحصي . (وممن ذكر) الشيخ الجليل والمرشد الذي ليس له مثيل مولانا الشيخ أحمد الله نجل الشيخ ثناءالله المشار اليه . حصل العلوم جميعها على والده العزيز وتشرّف بتلقّي الطريقت العلية عن حضرة الشيخ قدّس سرّه وصار من أخصّاء أصحابه . فنال ببركة أنظاره أعلى مقامات الوصول حتى صدق عليه في الظاهر والباطن قول القائل "الولد على سرّ أبيه" . (وممن ذكر) أكرم المرشدين وأعلم الأئمة العارفين الشيخ محمد مراد قدّس سرّه . كان من أخصّ خدامه . فلزم اعتابه خمساً وثلاثين سنة . وقال الشيخ في حقّه : "ليس في أصحابي من يساويه في علو النسبة" . (وممن ذكر) أخ المشار اليه الإمام الكبير والواصل المنير الشيخ عبدالرحمن قدّس سرّه . بلغ ببركة توجّهات حضرة الشيخ أعظم الأحوال . وكان كثير الإستغراق عظيم الهيبة بحيث لا يراه أحد إلا عظّمه وكرّمه . (وممن ذكر) أقدم خلفائه وأعظم أخصّائه العارف الكامل السيد الشيخ مير عليم الله الكنكوثي قدّس سرّه . كان مع كماله في مقامات الوصول لاتسكن لوعته ولا ترقأ دمعته . (وممن ذكر) زبدة العارفين ونخبة العلماء العاملين الشيخ مرادالله المعروف بغلام كاكي كاكات . كان له في العلم والعمل مقام كريم وفي الإرشاد شأن عظيم . وكان من أجلاء خلفائه الذين نالوا بيّمت تربيته نهاية المقامات في الطريق العالي . وبعد فوزه بالخلافة ذهب الى بلاد (بنگاله) فحصل له هناك شهرة عظيمة ونال به أهلها السعادة الأبدية . (وممن ذكر) عمدة الخلفاء القدماء ونخبة كَمَل أصحابه العلماء الشيخ محمد إحسان نجل الشيخ حافظ محمد محسن من ذرية الشيخ عبدالحق قدّس سرّه . كان يغلب عليه أيام صباه الجهل والزيغ في العقيدة والانحراف عن الطريق المستقيم . فرأى في المنام حضرة الشيخ يأكل حليياً وأرزاً فأعطاه بقيته بيده المباركة . فلما أصبح أنعم الله عليه بالتوبة وشُرّف بالإرادة وتلقّى هذه الطريقة العلية عنه فصار من

الكاملين . (وممن ذكر) أخوه أكمل المرشدين وأفضل الخلفاء المكملين الشيخ غلام قدّس سرّه . كان من أخصّ أصحابه وزبدة أحبّابه . وقد نال ببركته مقامات نسبة أولئك السادات وله في الذكر شأن عظيم . (وممن ذكر) العلامة الهمام أكبر المرشدين العظام الإمام الكبير الشيخ محمد منير قدّس سرّه . كان من أجلّ خلفائه . عكف على خدمته في الزاوية مع تمام الإنقطاع سنين حتى كان يصرف الليل كله بالمراقبة . وهو من أهل الكشف والوجدان . بلغ أعلى مقامات الولاية واجتمع عليه كثير من الطالبين . وممن أخذ عنه الطريقة وصار من الكاملين سيدنا الشيخ عبادالله من ذرية حضرة إمامنا الكبير الشاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز المترجم من سلالة العارف الكبير الشيخ فريد كنج شكر عمدة الطريق الجشتي قدّس سرّه . وقد توفي في حياة الشيخ فحزن عليه حزناً شديداً لما له من المنزلة الزلّفي عنده . وكان يقول في حقه : "إنه كان قوي النسبة ولو اجتمع عليه القطب لإستفاد منه" . (وممن ذكر) علامة أيامه ومرشد أنامه الشيخ قلندر نجش قدّس سرّه . كان من خُصّ أصحابه وزبدة خلفائه . تلقى العلوم الظاهرة والطريقة العلية عن حضرته . وأجاز له بعد بلوغه فيهما درجات الكمال لتدريس العلوم والإرشاد المطلق . وكان له مهارة تامة في علم الطب . فأصبح ببركة توجّهات حضرة الشيخ طيبب الأروام والأجسام . وكان حسن الصوت وترتيل القرآن المجيد ، فلذلك كان يقدّمه في التراويم للإمامة ويسرّ بقرائه . وكان يأتي كل عام لزيارة الشيخ مرة نظراً لبعده أوطانه حتى توفي قدّس سرّه . (وممن ذكر) العارف كل العارف الشيخ مير نعيم الله قدّس سرّه . صحب الشيخ محمد أفضل وخدم خليفته الشيخ محمد أعظم قدّس سرهما . ثم لازم خدمة الشيخ حتى أتمّ سلوك المقامات الأحمديّة . فأجازه قدّس سرّه بالطريقة العلية . فجعل يشترك بالإرشاد وتدريس العلوم . وكان عالماً أديباً مجوداً حسن الصوت تلقى علم القراءة عن الشيخ عبدالغفور سند . وكان يؤمّ حضرة الشيخ في التراويم فيحصل له من حسنة قراءته حظ كثير . وقال له يوماً : "كلّ قدم سرت به في طريق الحقّ ورضا الله تعالى الينا فقد وضعته على أعيننا ولو لم تاتوا من أوطانكم لما حصلت لحلقة المراقبة جمعية ولا بركة" . توفي في حياة الشيخ قدّس سرهما . (وممن ذكر) عظيم الخلفاء وخليفة العظام الشيخ ثناءالله السبهنلي (بسين مهمله فموحدة فنون معجمة فهاء فلام) . كان عالماً محدثاً قارئاً تلقى علم الحديث والقراءة عن حضرة شاه ولي الله المحدث والطريقة العلية عن الشيخ موسى خان خليفة حضرة الشيخ قدّس سرّه . ثم أمر بخدمة شيخه فنال على يده أعلى الكمالات الباطنية وأدرك نهايات مقامات السلوك . فأجازه بالإرشاد وتعليم الطريق للعباد فأنقطع في بلدته سبهنل لتدريس العلوم ونشر اعلام الإرشاد . وكان صبوراً مستقيماً على العمل بالعلم ذا أخلاق محمديّة وأطوار عالية . تكمّل على يديه كثير وحصل للناس منه نفع كبير . وسيأتي في ترجمة حضرة مولانا خالد قدّس سرّه أنه لما وصل الى مدينة لاهور قصد قصبة فيها المولى المعمر ثناءالله النقشبندي . فزاره وبات تلك الليلة عنده فرأى في منامه أن الشيخ يجره بأسنانه الشريفة فلم ينجّر معه . فلما أصبح قال له الشيخ قبل أن يقصّ عليه الرؤيا : "إذهب الى أخينا الشيخ عبدالله الدهلوي" . ودعا له وانصرف . فلا أدري أهو ذا أم الشيخ ثناءالله المارّ ذكره . (وممن ذكر) العالم الأكبر والمرشد الأبرم يوسف المظهر الشيخ مير عبدالباقي قدّس سرّه . كان له حظٌ من العلوم وقدم عالٍ في الطريق . خدم حضرة الشيخ سنين وفاز بأشرف أطوار الوصول . وكان له في علم تعبير الرؤيا باع طويل حتى أحال الشيخ جميع

استخارات أحبائه إليه ، فكان يقيم كما يقول . وحجَّ البيت الحرام وحظي بزيارة خير الأنام خمس مرات وفاز بعناية تلك الحضرة العلية . (وممن ذكر) العالم الفاضل المرشد الجليل الشيخ خليفة محمد جميل قدَّس سرُّه . إشتغل بتحصيل العلوم ومهَّمَّ بالطلب ثم تشرَّف بخدمة الشيخ ، ففتَح عليه باب الوصول الى تمام مقامات السير والسلوك حتى صار في أمور الشريعة والطريقة العلية آية باهرة . فأجازته إجازة عامة بالإرشاد . فإشتغل بعلاج أمراض الظاهر والباطن ثم توفي في زمن حضرة الشيخ قدَّس سرُّهما . (وممن ذكر) ولي الخلفاء وسلالة الأولياء محمد بهيك الفاروقي من ذرية سيدنا الإمام الرباني . تلقى الطريقة العلية بعد تكميل عموم العلوم عن حضرة الشيخ ورزق حظاً وافراً من نسبة آبائه العظام . فلما بلغ أقصى المرام في مقام السلوك وسلوك المقام أدت له بالإرشاد العام . وكان له كرامات باهرة . ذُكر أنه لما دخل الكفَّار الى سهرند أرادوا أن يخربوا مزارات الأولياء الأحمديَّة ، فجأؤوا الى قبره وحفروه وأرادوا أن يخرجوا جسده الشريف . فلطم أحدهم لطمَةً عنيفة فمات في الحال ، ففروا جميعاً وتركوا ذلك .

(وممن ذكر) بالإجمال نخبة المرشدين المعوَّل عليه الشيخ عبدالحق أخو المشار اليه قدَّس سرُّه وعمدة الخلفاء الأكارم الشيخ محمد سالم قدَّس سرُّه . وأكمل الخلفاء البررة الحنفاء الشاه رحمه الله قدَّس سرُّه . والوليَّ الأوَّاه الشيخ محمد شاه قدَّس سرُّه . وعارف الزمان الشيخ مير ميبين خان قدَّس سرُّه . ومنقذ السالكين الشيخ مير محمد معيت قدَّس سرُّه . وزبده الخلفاء الفرر الشيخ مير علي الأصغر المعروف بمير مكمهور قدَّس سرُّه . وصائم الدهر وملك الذكر وأقدم خلفاء حضرة الشيخ في علوِّ المراتب الشيخ محمد حسن عرب قدَّس سرُّه . كان ورده كل يوم أربعين ألف تهليلة لساناً وعشرة آلاف بحبس النَّفْس جناناً . وألف مرَّة سورة الإخلاص والإستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وظيفته ، فكانت آيته (وأذكروا الله ذكراً كثيراً لعلكم تفلحون) وحسبه مقالته الشيخ في شأنه : "إنه ماأتاني في حياتي كلها إلا رجل واحد يطلب الله تعالى ويجاهد في سبيله وهو الشيخ حسن عرب" . وصفوة المرشدين الشيخ محمد قائم الكشميري قدَّس سرُّه . تلقى الطريقة العلية من حضرة الشيخ موسى خان في بخارى . ثم تكمل عند حضرته بأمر من شيخه قدَّس سرُّه .

(ومنهم) علامة المرشدين الكاملين الشيخ قطب الدين قدَّس سرُّه وهو من أتباع الشيخ موسى ، ثم أتم سلوكه عند حضرة الشيخ حتى صار من أكابر الأولياء . (ومنهم) بحر العلوم ويدر الفهوم زينة مرشدي الدنيا الشيخ غلام يحيى قدَّس سرُّه . (ومنهم) شمس سماء المحققين وخلاصة الفقهاء المحدثين المرشد الكامل الشيخ غلام محي الدين سليل غوث الثقلين سيدنا عبدالقادر الكيلاني رضي الله عنهما . (ومنهم) خير خلفائه الفائزين برضاه العلامة الشيخ نعيم الله البهراجي قدَّس سرُّه . (ومنهم) أكمل من سار الى مولاه فنال مناه من مقامات الوصول والمناجاة الولي الكامل الشيخ كليم الله البنكالي قدَّس سرُّه . (ومنهم) ركن شريعة المسلمين وحصن الطريق الحصين الشيخ مير روم الأمين قدَّس سرُّه . (ومنهم) صاحب المقام الرفيع الشيخ محد شفيع قدَّس سرُّه . (ومنهم) العارفين الكاملين الشيخ محمد واصل والشيخ محمد حسين قدَّس سرُّهما . (ومنهم) المُشرِّق في الفضل كالنيرين المرشد الكامل الشيخ غلام حسين التهانيسري قدَّس سرُّه . (ومنهم) المرشدين الأرسدين والوليَّين الأحمديين الشيخ عبدالكريم والشيخ عبدالحكيم قدَّس سرُّهما . (ومنهم) العارف

العالي الشان الشيخ نواب إرشاد خان قدّس سرّه . (ومنهم) المتفرّد في دولة الإرشاد بالإتقان الشيخ غلام مصطفى خان قدّس سرّه . (ومنهم) المرشد الكامل القويّ المدد العلامة الشيخ أخون نورمحمد القندهاري . (ومنهم) الحائز في علوّ المقام الوجه البسيم المرشد الأقوى الشيخ ملا نسيم قدّس سرّه . (ومنهم) المرتقي في مدارج الوصول الى أعلى الأذواق العلامة الفقيه الشيخ ملا عبدالرزاق قدّس سرّه . (ومنهم) المربيّ الجليل الشيخ ملا جليك قدّس سرّه . (ومنهم) غريق تجليات مولاه العلامة الشيخ ملا عبدالله قدّس سرّه . (ومنهم) أسبق المرشدين الى معالي الأمور العالم الولي الصالح الشيخ ملا تيمور قدّس سرّه . كان آية من آيات الله تعالى ، قوي التصرف أسلم على يده من الكفار كثير وتاب من الرفض ببركته جم غفير ، وتكمّل عنده جمع غزير من جملتهم ملا أوليا ، وملا إبراهيم ، وشاه لطف الله ، وملا سيف الدين ، ومحمد خان ، وخواجه محمد عمر ، وخواجه يونس ، والشيخ قطب الدين ، والشيخ أمين ، والشيخ غلام حسين وغيرهم ممن إمتازوا بالمقامات الإلهية قدّس سرهم . وبالجملة فقد تربى على يد حضرة المظهر الجماء الفقيرا ، فنالوا بصحبته فضلاً كبيراً . ومن أعظمهم نفعا وأكثرهم جمعا شيخ هذه السلسلة الغراء وأكبر من سرى اليه سر هذه النسبة العلية سيدنا الشيخ عبدالله الدهلوي قدّس الله سرّه .

## سيدنا الشيخ عبدالله الدهلوي المعروف بشاه غلام علي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ

شاه العارفين ومليك المرشدين الكاملين مُظهِر سِرِّ الهداية واليقين المحقق بمقام التلوين في التمكين . شيخ مشايخ الديار المندية ووارث المعارف والأسرار المجددية . سَيَّاح بحار التوحيد سَيَّاح قفار التجريد . قلم الطرائق وغوث الخلائق ومعدن الحقائق . نال قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ من العلوم الإلهية ما نال ، ومن المقامات العلية ما لا يخطر ببال ، وذلك أن هذا العزيز بعدما بلغ سنَّ التمييز أكبَّ على تحصيل الفضائل والتجلي بأحسن الشرائع ، حتى صعد بهمته الى سماء علوم الرسوم فتناول من ثرياتها أعظم النجوم ، الى أن أصبح في كل علم إماماً فزاد إقداماً على الترقى في المعالي واهتماماً . فصعد النظر الى قمر المعارف فرأى نوره مستمداً من شمس أستاذه العارف . فقصد على جنائب العزم جنبه ويمم بالهمم الكبار رحابه . فأقبلت به نسمة القبول على حرم محارم الوصول الى ذلك المقام المأمول مقام المرشد العظيم . فحنا عليه بقلبه السليم حنو المرضعات على الفطيم ، وجعل يمدّه بمدده الروحاني ويربّيه بنفيس نَفْسِهِ الرحماني . ويرقيهِ الى مدارج الأخيار وبقية أعيان الأغيار ، حتى إذا جذبته الى مقام حق اليقين وانتهى به الى سدره منتهى المقربين ، عاد الى عالم الشهادة وقد خلم عليه خلم السيادة . وأصبح من غيث إحصانه غوث زمانه . فعهد اليه بعده بارشاد المسترشدين عنده . فوقى عهده وصدق وعده وكان خير خلف لأشرف سلف . قام بتأييد الشريعة المحمدية وتجديد معالم السنّة السنية ، وأداء حقوق الحقائق وإحياء جميع الطرائق القادرية والسمروردية والكبروية والجشّية والنقشبندية رافعاً لواءها بين الخلائق . فأقبلت القلوب تستظل بظلّه ولبت الألباب نداء فضلّه ، وانتهت اليه رتبة الإرشاد ورحلت اليه الأبدال والأوتاد ، فنال ببركته كل مرید أقصى المراد .

### شذرة من خبره وذرة من أثره

(ولد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) عام ثمان وخمسين ومائة وألف في قصبه (بتاله) ضلع پنجاب وجاء تاريخ ولادته (مظهر جود) . وهو من آل البيت الكرام غير أنني لم أقف على نسبه الشريف . وكان والده الشريف الشاه عبداللطيف عالماً عارفاً صالحاً زاهداً كبير الشأن قادري الطريقة تلقّاها عن العارف الكبير الفائز بصحبة الخضر عليه السلام الشاه ناصرالدين القادري قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . واشتغل بالرياضات والمجاهدات التامة وكثيراً ما كان يخرج الى الصحراء فيذكر الله تعالى ويتغذى بالنبات . بقي مرة أربعين يوماً لم يكتحل طرفه بنوم ولم يذقت الطعام إلا قليلاً ومع ذلك لم ينو الصيام مقاومة لرعونته نفسه . وكان له إنتساب أيضاً للطريقة الجشّية والشطارية .

(ورأى في منامه) قبل ولادة الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ سيدنا علياً كرم الله وجهه فقال له : " سمّ ولدك باسمي " فلما ولد سمّاه علياً إلا أنه لما بلغ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ سنَّ التمييز سمّى نفسه تادياً غلام علي . (ورأت) أمه في المنام رجلاً جليلاً يقول لها سمّيه عبدالقادر ، قال مترجمه الشيخ عبدالغني المعصومي : ويمكن أن يكون هذا العزيز هو الغوث الكيلاني رضي الله عنه وسيأتي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمّاه في المنام عبدالله .

وكان قدس الله سر في الذكاء آية باهرة ، حفظ القرآن المجيد في شهر واحد وأكب على تحصيل العلوم معقولها ومنقولها حتى أصبح عالم عصره . ولما كان والده في خدمة شيخه مولانا ناصرالدين قدس سره أرسل إليه يطلبه من الوطن ليتلقى الطريقتي القادري عنه . ففي ليلة وصوله توفي الشيخ . فقال والده كنا طلبناك لتأخذ عنه الطريقتي فما قدر الله ذلك فلأن أي محل تنسبت منه عرف الإرشاد فأقصده . فلقي أكبر مشايخ الطريقة الجشتية وقتنذ في دهلي كالشيخ ضياءالله والشيخ عبدالعدل خليفتي الشيخ محمد زبير والشيخ ميردرد ابن الشيخ ناصر ومولانا فخرالدين والشاه نانو والشاه غلام وغيرهم من السادات . ولازم حضورهم حتى إذا بلغ سنه اثنتين وعشرين سنة أتى من نفسه الى خانقاه حضرة ميرزا جان جانان قدس سره وسأله الدخول في الطريقتي المجددي ، فقال له : عليك بالمحل الذي فيه الذوق والشوق وأما هذا المحل فما فيه إلا لحس الحجر بلا ملح . فقال له : هذا أقصى مرادي . فقال له : بارك الله بك . ثم تقبله .

(وكتب) هو في بيان أحواله قدس سره ، فقال :

إني بعد تحصيل علم الحديث تشرفت في أعتاب حضرة الشهيد قدس سره . فبايعني على الطريقة العلية القادرية بيده المباركة ولقنني الطريقة العلية النقشبندية . فتشرفت بالحضور في حلق الذكر والمراقبة عنده خمسة عشر سنة حتى تفضل على هذا الحقيق بالإجازة المطلقة في الإرشاد العام . وقد ترددت في أول الأمر في أنه هل يرضى الشيخ عبدالقادر الكيلاني رضي الله عنه أن اشتغل في الطريقة النقشبندية أولاً . فرأيت في واقعة جالساً في مكان وحضرة الشاه نقشبند في مكان تلقاه ، فخطر لي حينئذ أن أحضر عند شاه نقشبند . فقال الغوث الكيلاني في الحال المقصود هو الله تعالى فإذهب بلا مضايقة . (وكان) لي جهة تعيش فتركها فاشتدت عري الفاقة علي فاعتصمت بالتوكل واتخذت سجية . ولم يكن عندي يومئذ غير خلف حصيد أفترشها ولينة أتوسد بها فبلغ بي الضعف أقصاه ، فلفرط ما نالني أغلقت باب حجرتي وقلت هذا قبري حتى يأتي الله بالفتم أو بأمر من عنده . فمالبث أن فتم الله تعالى على يد من لا يعرفه فمكثت في زاوية القناعة خمسين سنة . أه .

قيل لما أغلقت باب الحجره وقال ما قال أدركته العناية الإلهية فجاءه شخص وقال له : إفتح الباب . فقال : لأفتح . فقال : إن لي معك شغلاً فافتح لي . فلم يفعل فألقى إليه من خصاص الباب جملة من الدراهم الهندية المعروفة بالروبية وذهب فمكث ذلك اليوم لم تنقطع الفتوحات عنه .

(ولما) توفي حضرة الشهيد قام مقامه في مسند تربية المريدين وإرشاد الطالبين فأكب الناس عليه وشدوا الرحال إليه من أماكن بعيدة من الروم والشام والعراق والحجاز وخراسان وماوراء النهر ، بل من أقصى أرض الخطا الى غاية أرض المغرب . بعضهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كحضرة مولانا خالد والشيخ أحمد الكردي والسيد إسماعيل المدني . وبعضهم بإشارة من السادات كالشيخ محمد جان . والبعض برويتهم له في المنام . وكان موصوفاً بأعلى مراتب الأخلاق الحميدة . وكان من السخاء بحيث كان يوجد في رباطه دائماً ولا ينقص عن مائتي مريد إلا قليلاً ، وكان يقدم لهم كفايتهم على أتم وجه ولم يدخر لغد قط . ومن الحياء والتواضع بأنه لم يظلم مائة رطله أبداً . ولم ينظر في وجهه في المرأة وإذا دخل الى داره كلب ليظلم شيئاً يقول : "الهي من أنا حتى أكون واسطة بينك وبين أحبائك فأسألك بحرمة مخلوقك هذا وكل من تصدني إلا رحمتني وقربتني اليك" . وكان من التمسك بالسنة المطهرة ما لا يدرك شأوه . ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لا يهاب معه الأمراء والملوك كما يعلم ذلك من مطالعة مکتوباته ،

حتى أنه لما حضر السيد إسماعيل المدني بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحابه وأحضر معه بعض آثار نبوية بإشارة منه عليه السلام أن يضعها في المسجد الجامع الذي في دهلي . فوضعها عرض ذلك إلى حضرة الشيخ ، فقال له "إنه وإن تكن بركات فخر العالم صلى الله عليه وسلم في ذلك المكان محسوسة ولكن لا يخلو من ظلمة الكفر ففتشوا ذلك المكان" . فإذا هو فيه صور بعض الأكابر فرفعوا الأمر إلى السلطان وأزالوا التصاوير منه .

( وحضر ) لأعباه نواب شمشير بهادر رئيس ملك بنديك كهند وعلى رأسه قلنسوة النصارى ، فلما رآه الشيخ تغيظ منه وأغلظ له القول ومنعه من الجلوس عنده . فقال له الرئيس : إذا كنتم تنتقدون بهذا المقدر فلا أحضر بعد . فقال له : لا أعادك الله إلى مجلسنا . فقام وهو غضبان ثم لم يبرح أن تحوّل إلى ناحية من الرباط ونزع القلنسوة ودفعها إلى خادمه ثم حضر خاشعاً وتلقّى الطريقاً عن الشيخ قدس سره . ومن التجرد والزهد أنه عرض عليه السلطان مراراً أن يعيّن لرباطه ما يفي بنفقته ، فلم يقبل . وكذلك عرض عليه نواب الأمير خان والي بلدة (توك وسرونج) فأمر الشاه رؤوف أحمد أن يكتب إليه "إنا لانبذ وجه القناعة والفقر وكيف والرزق مقدر" . وكثيراً ما كان يقول قد قبض على أذمتنا الوعد الإلهي في قوله تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدن) ، فقد أخبرنا الله تعالى بأنه كفانا مهمات الدين والدنيا . أه . فكانت نفقات الرباط من وجه الغيب .

( وكان ) قليل النوم جداً فإذا قام إلى التمجّد أيقظ النوام ثم يتمجّد ويجلس للمراقبة ويتلو من كلام الله تعالى ما شاء . وكان ورده كل يوم عشرة أجزاء ثم يصلي الصبح جماعة في وقت الغلس ثم يلتفت إلى حلقة الذكر والمراقبة إلى وقت الإشراق . وكان رباطه لا يستوعب المريديين لكثرتهم . فلذلك كان يكرر الأذكار لطائفة بعد طائفة ثم يجلس لقراءة الحديث والتفسير إلى قرب الزوال . فيتناول الغداء . وكان إذا أرسل إليه أحد الأغنياء طعاماً نفيساً لا يأكله ، بل يكره أن يأكل منه المريدون وإنما يهديه لجيرانه ومن كان حاضراً عنده من أهل البلدة وربما ترك أواني الطعام في مكانها يأخذها من شاء فبأكلها . نعم لو أرسل إليه شخص دراهم ولم يكن مقلنة شبهة يخرج أولاً زكاتها على مذهب الإمام الأعظم من جواز إخراج زكاة المال إذا بلغ النصاب قبل الحلول لأن صدقة الفرض أفضل من النفل . ثم يعمل فيما بقي حلواً وغيرها ويرسل بها إلى فقراء الشاه نقشبند وفقراء والده ، ويؤدي ما كان من دين في نفقة رباطه ويعطي من قصده من ذوي الحاجة . وربما يأخذ الشخص من هذه الدراهم شيئاً في حضوره فيطعم عليه ويعرض بوجهه عنه ولا يتعرض له . (وقد) سرق شخص له كتباً ثم أتاه منها بكتاب يبيعه إياه فأثنى عليه ونقده الثمن ، فقال له أحد أصحابه : ياسيدي هذا من خزانة الله وعليه علامة . فتأذى منه وأسكته وقال : هلاً يكتب الكاتب أكثر من كتاب واحد .

ثم بعد تناول الغداء يقيه قليلاً ويشغل بمطالعة الكتب الدينية والحقائق وغيرها والتحرير الضرورية . ثم إذا صلى الظهر قرأ درسي حديث وتفسير إلى العصر فيصلّي ثم يقرأ حديثاً وتصوّفاً كمكتوبات الإمام الرباني و"عوارف المعارف" و"رسالة القشيري" . ثم يجلس في حلقة الذكر والتوجه إلى الغروب . وبعد صلاة المغرب يتوجه لخواص السالكين ثم يتناول العشاء حتى إذا صلى العشاء أحيا عامة ليله بالذكر والمراقبة . فإذا غلبه النوم اضطلع في صلاّه وربما نام وهو جالس ولم يعلم أنه مدّ رجليه لفرط حيائه كما تقدّم .



(وكان) لا يجلس إلا محتبياً كما نُقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وكبار الأولياء كالغوث الكيلاني حتى توفي على هذه الحالة . (وكان) حريصاً على إخفاء الصدقة . فإذا فتح عليه بشيء يقسمه على الفقراء وهم في المراقبة لنلا يشعر أحد منهم بالأخر . (وكان) يلبس الخشن من الثياب ولو أهدى إليه ثوب نفيس باعه واشترى عدة أثواب وتصدت بها وهكذا في غير ذلك ، ويقول لأن يكتسي جماعة خير من واحد . وورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها أخرجت يوماً إزاراً ورداءً خشنين وقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين . (وكان) شديد الشفقة على المسلمين ويكثر من الدعاء لهم وأكثر ما يكون في جوف الليل . وكان له جار يسمى حكيم قدره الله يصرف أكثر أوقاته في غيبته . فحُبس يوماً فسعى كل السعي في خلاصه ولم يذكر ذلك له . (وكان) مجلسه مجلس سفيان الثوري لأترفع فيه الأصوات ولأنتمك المارم مبرءً عن حديث الدنيا فلا يذكر فيه الأمراء ولا الفقراء . وقد استغاب بعض الحاضرين في مجلسه شخصاً فزجره وقال أنا أحقُّ بما قتلته منه . ونال شخص في حضوره من سلطات الهند وكان صائماً فقال : " وا أسفاه لقد فسد صومي " . فقبل له أنتم ما ذكرتم أحداً بسوء . فقال نعم ولكن سمعت والذاكر والسامع في الإثم سواء .

(وكان) عاشقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانياً فيه بحيث إذا سمع اسمه الكريم اضطرب وغاب . وقد أحضر له خادم أقدمه يوماً ماءً للتبرك وقال له : أنت منظور رسول الله صلى الله عليه وسلم . فارتعد عند سماع هذا الكلام ثم قام فقبل الخادم وقال له : مَنْ أنا حتى أكون منظور رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبالغ في إكرامه . (وكان) شديد الحرص على إتباعه صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله قوي التمسك بالسنة دؤوباً على مطالعة حديثه حتى توفي وسنت الترمذي على صدره . ولم يبلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل شيئاً إلا وتأسى به حتى أتى مرةً بجبهة معز فطُبخت له وأكل منها اقتداءً به . (وكان) له في القرآن المجيد ذوق عظيم كثير التلاوة له كثير المحبة لسماعه وكان يحب سماعه من أحد خلفائه العظام الشيخ أبي سعيد المعصومي ويتأثر كثيراً بليغاً . فإذا ازداد من السماء إضمحلاً وتلاشى وقال له : " حسبي لا طاقة لي بأكثر " . ويحب سماع أشعار القوم والمثنوي ويحصل له من ذلك وجدٌ غير أنه كان لثباته وكمال تمكنه لا يظهر عليه ويقول : " رقص أبو الحسين النوري يوماً والجنيدي جالس ، قال إنما يستجيب الذين يسمعون " ، فقال الجنيدي : " وترى الجبال جامدة وهي تمرُّ مرَّ السحاب " فالجنيدي كان في غاية الثبات . (قال المترجم) قد تظهر في الطريقة المجددية أحياناً نسبة الطريقة الجشتية الموروثة عن حضرة المجدد . وقد نُقل عنه مع كمال تمكنه حالات ذوق وشوق لذلك . أه . (وبلغ) من نزاهة الطبع أنه لو دخل عليه شخص يشرب التنباك يتأذى منه ويأمر بالمجمرة فيطيب المحل . وكانت تفوم رائحة زكية من مجلسه فيخرج من عنده ويقول هذه روحانية النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد السادات قد ظهرت .

### من كلمات كمالته وكمالات كلماته

(قال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) يكون في كمالته الوصول الوصل العريبات وليس للسالك فيه غير اليأس والحرمان إذ كلما يكون الوصول يفنى الحصول . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) الطريقة النقشبندية عبارة عن أربعة أشياء : عدم الخطرات ، ودوام الحضور ، والجذبات ، والواردات . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) طالب الذوق والشوق لم يطلب الحق تعالى . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) ينبغي للطالب أن يميز كل وقت ماذا يرد عليه من العبادات كل وارد على حدة ، فيعلم أي كيفية حصلت له من الصلاة وأي نسبة ظهرت من التلاوة وما الذي ناله من

الذوق في درس الحديث الشريف والذِّكر الجمري ، وكذلك ما حصل له من الظلمة في الطعام المشبوه . وعلى هذا القياس في بقية الأعيان .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) من الطعام ما فيه رضاء للنفس ومنه ما فيه أداء لحَقِّها . فما فيه رضاءها الغذاء النفيس الكثير ، وما فيه حقها هو ما تقوى به على أداء الفرائض والسنة . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) كما إن طلب الحلال فرض على المؤمنين كذلك ترك الحلال فرض على العارفين . (وقال) الصوفي هو التارك للدنيا وللآخرة وراء ظهره والمتوجه الى الله تعالى . (وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) الخطرات تضر في الولاية لا في كمالات النبوة ، فإن عمر رضي الله عنه يقول : "إني لأجهزُ الجيش وأنا في الصلاة فلا تمنم خطرات القلب مشاهدة الشمس" .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) مشرب السادات الجشتية الذين سكروا من خمرة الذوق والمحبة السمام والطرب إرادة أن يلون الشوق أرواحهم ألواناً ويرفعون النقاب عن وجه محبوبهم . ومشربنا معشر المتوسلين بالسلسلة النقشبندية المرتشفين كأس المودة الحديث والصلاة رغبة أن تتنوع الأذواق على قلوبنا أنواعاً .

(وقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ) لا يخفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الجامع لجميع الكمالات ، غير أنه كان ظهور كماله في كل وقت في أفراد الأمة بما يناسب استعداد ذلك الوقت . فالكمال الذي نشأ عن جسده الشريف من الجهاد والعبادة والصبر على المشاق من الجوم وغيره ظهر للصحابة رضوان الله عليهم . والكمال الذي نشأ عن قلبه المقدس من الإستغراق والفناء والذوق والشوق والتواجد وأسرار التوحيد الوجودي ظهر على لسان حضرة الجنيد قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ لأولياء الأمة . والكمال الذي نشأ عن لطيفة نفسه المطننة من الإضمحلال والإستهلاك في نسبة الباطن ظهر لأكابر النقشبندية في زمن مولانا شاه نقشبند قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ . والكمال الذي نشأ عن إسمه الكريم محمد ظهر في زمن حضرة المجدد قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ .

(وقال) في لفظ الفقير حروف تشير الى أحوال . فالفاء للفاقة والقاف للقناعة والياء لليأس مما سوى الحق تعالى والراء للرياضة . فإذا إتصف الفقير بها نال فضل الحق وقربه ويمنه ورحمته ، وإلأبتلي بالفضيحة وقهر الحق واليأس من قربه والرد من باب . (وقال) ليلة الجوم عندنا ليلة المعراج .

(وقال) لا بد في هذا الطريق من أربعة أشياء : دين سالم ، ويقىن سالم ، ويد مكسورة ، ورجل مكسورة . (وقال) لما كانت الأنوار والبركات تفيض عند الدعاء تسمرت معرفة علامة أثر الإجابة . فقال بعضهم إن حصل في اليد ثقيل فهو علامة على الإجابة والذي أراه أن إنشراح الصدر هو علامة عليهما .

(وقال) البيعة على ثلاثة أوجه : بيعة لأجل التوسل الى المشايخ الكرام ، وبيعة لأجل التوبة من المعاصي ، وبيعة لأجل كسب النسبة . (وقال) الخطرات على أربعة أقسام : شيطانية وهي من اليسار ، نفسانية وهي من الفوق يعني الدماغ ، ومَلَكِيَّة وهي من اليمين ، وحقانية وهي من فوق الفوق . (وقال) كل الكمالات الممكنة في الإنسان دون النبوة ظهرت في حضرة المجدد .

(وقال) الرجال على أربعة أنواع : النوم الأول ليسوا برجال وهم طالبو الدنيا . والثاني رجال وهم طلاب الآخرة . والثالث شبان الرجال وهم طالبو الآخرة والمولى . والرابع أفراد وهم طالبو المولى . (وقال) الأولياء ثلاثة : أرباب كشف ، وأرباب إدراك ، وأرباب جهل . (وقال) الفائزون بمقام حضرة المجدد قليلون ولو توجه الى جميع الأولياء الوجودية لأوصلهم الى جادة الوحدة الشهودية . (وقال) مَنْ أحب لقاءنا لبس لباسنا

واختار طورنا .

(وقال) أرواح عامة المؤمنين يقبضها ملك الموت وأما قبض أرواح خاصة الخاصة فلا دخل للملائكة فيه . قال المترجم لعله مأخوذ من قوله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت) وقوله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها) . (وقال) العقل النوراني هو الذي يستدل على المقصود بلا واسطة والظلماني هو الذي يحتاج في طريقه الى مصباح هداية المرشد . (وقال) ينبغي للطالب أن لا يغفل لحظة واحدة عن ذكر مطلوبه . (وقال) حب الدنيا رأس كل خطيئة ورأس الخطايا الكفر . (وقال) زوال العين هو أن لا يقدر السالك على قول (أنا) ، كما قال سيدنا الشيخ عبيدالله أحرار قول (أنا الحق) سهل وزوال أنا هو الصعب . (وقال) ينبغي للسالك أن يترك في ابتداء القلب النوافل ويكتفي بالفرائض والسنة المؤكدة . (وقال) الطريقة المجددية تستمد من أربعة أبحر : النسبة النقشبندية والقادرية والچشتية والسهروردية ، لكن الأولى هي الغالبة . (وقال) كُفر الطريقة هو ارتفاع التمييز وعدم النظر لغير ذات الحق . يقول منصور الحلاج :

كفرت بدين الله والكفر واجب لدي وعند المسلمين قبيح  
قلت) وقد تقدم لنا في ترجمة حضرة مولانا وسيدنا الغوث النقشبند قدس الله سره العزيز الكلام على هذا البيت فليراجع .

(وقال) من أحب أن يخدم خدم المرشد . (وقال) جمع السعدي الشيرازي - وكان ممن نال مقام الفناء - في الطريقة السهروردية التصوف في بيتين وهما :

مرا پير داناي مرشد شهاب داوند زفر مودبر بر روي آب  
يكي أنك بر خویش خودبين مبا دكر أنك بر غير بدبين مباش

والشاهد في البيت الثاني ومحصله : لا تنتظر الى نفسك بعين العجب ولا الى غيرك بعين الإحتقار . (وله) قدس الله سره رسائل متعددة نافعة جداً كشف فيها للطالبين مسائل مهمة في الحقائق والمعارف ، ومكتوبات شريفة مشتملة على نصائح ومواظب جمّة منها :

إنه قال : "إن التخلّف بالأخلاق الحسنة واجب على كل أحد ، وهي الحلم والتواضع والشفقة والنصيحة والموافقة للأصحاب والإحسان والمداراة والإيثار والخدمة والألفة والبشاشة والكرم والمروءة والتودد والمودة والجدود والعفو والصفح والسخاء والحياء والوفاء بالعهد والسكينة والوقار والثناء ، والدعاء الى الله تعالى دائماً وحسب الظن وتصغير النفس وإحتقار ما عندك وإستعظام ما عند غيرك . وأما المقامات فأولها الإنتباه ثم التوبة ثم الإنابة ثم الورع ثم محاسبة النفس ثم الإرادة ثم الزهد ثم الفقر ثم الصدق ثم الصبر ثم الرضا ثم الإخلاص ثم التوكّل . وأما الأحوال فمن ذلك المراقبة ثم القرب ثم الرجاء ثم الخوف ثم الحياء - وهو حصر القلب عن الإنبساط - ثم الشوق ثم الأنس ثم الطمانينة ثم اليقين ثم المشاهدة ، وهي آخر الأحوال واليها الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" . ومن ذلك ماكتبه في إجازته للشيخ أبي سعيد المعصومي والشيخ بشارق الله ولغرابه أسلوبها نقلتها بتمامها فقال :

"بعد الحمد والصلاة . من المعلوم أن المقامات والإصطلاحات التي هي في طريقة الإمام الرباني مجدد الألف الثاني مقررة ينبغي أن تُشاهد في كل درجة منها كصفات وأحوال وأنواع وأسرار تلك الدرجة ، والأفباختيار الطريقة عبث فلم إضاعة العمر . وإن لم تكن المقامات العشر التي أولها التوبة وأخرها

الرضا لازمة للباطن ، فما الفائدة من هذه الطريقة . فإنه يحصل في سير لطائف عالم الأمر كيفيات كثيرة . ففي سير لطيفة القلب المفيدة لمراقبة الأحذية الصرفة بعد مراقبة المعية يحصل الفناء والإستغراق وقطم العلائق والأمال وغيرها . وفي سير لطيفة النفس المفيدة لمراقبة الأقربية والمحبة يحصل الإستهلاك والإضمحلال وفناء (أنا) وغيره . وفي سير عالم الخلق ينهل الفيض الإلهي أعلى العناصر الثلاثة ماعدا عنصر التراب . وتوجد المناسبة لتجليات إسم الباطن والملا الأعلى وتهذيب اللطيفة القلبية ، ويصير الإحسان في الكمالات الثلاثة بالصفاء ولطافة نسبة الباطن وتحصل في الحقائق السبعة وسعة الأنوار وبداهة الأمور النظرية وزيارة حضرات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وثبوت أذواق المحبة الذاتية . فإن أدرك سالك هذه الطريقة هذه العلوم والمعارف فهو مبارك ، والآ فقد اكتسب العُجب والأناية فويل له . وكل شيء يحصل في الصحبة من هذه الحالات فهو حسن والآ فهو تحقير الطريقة ويلحق المشايخ من ذلك الشخص عار والمريدين عجب وترذيل للطريق . ودعوى الإنتظام في سلك المشايخ هداهم الله سبحانه وتعالى الى رضائه وإشتياق لقائه أمين . وإذ قد وصل ولله الحمد صاحباي حضرة المولوي بشارقة الله وحضرة الحافظ أبو سعيد سلّمهم الله تعالى وجعلهم سُرْجاً لإشاعة أشعة الطريقة لهذه المقامات ، والمرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتفضل على بقية أصحابي الأعماء وأحبابي وعلى هذا الذليل المقصّر بالتوفيق للإستقامة وإتباع السنّة ومحبة المشايخ والتّركّ والإنزواء والياس من الخلق والترقي لهذه الحالات ، فإني مع تمام الخجل أكتب لأن المرشدين يكتبون في الإجازات هاتين الكلمتين فأقول : يد هذين العزيزين التي هي أحسن من يدي هي يدي ، وبيعة خدمتهم التي هي أقوى ذريعة للسعادة والنجاة بيعتي بارك الله بهما ، بشرط أن يُعرضوا عن أهل الدنيا ويلازمون بقدوم مكسورة باب الحق مع صدق الوعد الكريم المطلق جلّ سلطانه . فإنهم أركان طريقي وتربية توجّهات حياتي . اللهم وفقني وإياهم لمرضاتك ومرضات حبيبك صلى الله عليه وسلم واجعل آخرتنا خيراً من الأولى " .

### ومن معاليه في مرآئيه

(وقال قدّس اللّهُ سرّه) رأيت في المنام المير روم الله أحد مخلصي حضرة جان جانان الشهيد قدّس اللّهُ سرّه يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في إنتظارك فأسرعت من فرط الشوق للتمثل في خدمته . فعانقني صلى الله عليه وسلم . فوجدت نفسي على هيئة ثم تحولت الى حضرة المير كلال قدّس سرّه . (ونمت) ليلة قبل صلاة العشاء فإذا به عليه الصلاة والسلام قد حضر ونهاني عن ذلك وتوعدني . (وزارني) صلى الله عليه وسلم مرة ثم ذهب فحزنت لفراقه وجعلت أحثو التراب على وجهي . فوجدت ظلماً من هذا الفعل المنكر . (ورأيت مرة) في المنام فقلت يارسول الله أنت قلت (من رأني فقد رأى الحق) ، فقال نعم .

(وكنت) مثابراً على قراءة أذكار وإهداء ثوابها لمقامه المقدّس فتركتها مرة . فرأيت صلى الله عليه وسلم بالهيئة التي وردت في شمائل الترمذي قدّس سرّه فعاتبني على ذلك . (واعتراني) مرة خوف شديد من النار فرأيت صلى الله عليه وسلم قد شرف منزلي وقال لي من يحبنا لا يدخل النار . (ورأيت) صلى الله عليه وسلم فقال لي أنت إسمك عبدالله وعبدالمهيمن . (ورأيت) مرة فسماني العبد الصالح . (وقلت) مرة يارسول الله فقال لي لبيك . (وسمعت) في سرّي الخطاب الإلهي ثلاث مرات وأنا في

المدرسة ومرتين في الخانقاه .

(ورأيت) مرة أن في صورة وجهي قدر إصبعين من صورة وجه سلطان المشايخ ، يعني نظام الدين أوليا قدّس سرّه ، ولم يتشوّه بذلك . (ورأيت) أن شخصاً قد أتاني بقميص المشار اليه وقال لي هذا شيخكم . فقلت له بل شيخي مرزا جان جانان . فكرّر عليّ ذلك ثم قال سلطان المشايخ شيخكم في الصحبة .

(ورأيت) أن حضرة الشاه نقشبند قدّس اللّهُ سرّه العزيز قد حضر ودخل في قميصي . (ورأيت) رجلاً جليلاً جاء وجلس اليّ فسألته عن اسمه فقال بهاء الدين . (ورأيت) شخصاً قد أتاني بخلعة وقال لي إن الغوث الأعظم قد أهداها لك عناية بك . (قال المترجم) وكان حضرة مولانا خالد وقتند ثم فذكرها له . فقال له هذه تكون خلعة القطبية ، فقال قدّس اللّهُ سرّه مع التواضع التام أنا لم أبلغ هذا المقام . أه .

(ورأيت) حضرة المجدد قدّس اللّهُ سرّه مرة فقال لي أنت خليفتي . (وكنيت يوماً) في خلوتي ففاحت رائحة زكية جداً عطّرت المكان فلم أنظر اليّ فوق وإذا بروح معطرة منوّرة قد أحاط بها نور مثل نور الشمس قد حلّت فوق رأسي . فتحيّرت بمعرفة ذلك ثم خطر لي أن هذا التجمل خاص بروح سيد العالم صلى الله عليه وسلم أو روح الغوث الأعظم . (وذهبت) لزيارة حضرة الشيخ محمد الباقي بالله قدّس سرّه . فلما جلست رأيت قد قام وطفق يتوجّه اليّ فدخل وقت الظهر فقامت مسرعاً ثم تحسّرت على قيامي حسرة لاتوصف . (وزرت) يوماً حضرة الشيخ قطب الدين قدّس سرّه . فلما وقفت عند مقامه قلت شيء لله شيء لله . فرأيت حوضاً مملوءاً ماءً والماء ينسقم من جوانبه وألقي اليّ أن صدرك قد مليء من النسبة المجددية ليس لغيرها فيه محل . (وزرت) يوماً حضرة سلطان المشايخ . فلما توجّهت للإستفاضة منه قال لي إنك قد نلت الكمالات الأحمديّة . فقلت أحب أن تتفضّلوا عليّ بنسبتكم وتوجّهت اليه . فوجدت صورته عين صورتي وصورتي عين صورته ، فأنصرفت محظوظاً للغاية .

(وحضرت) تذكّار وفاة الشيخ محمد الزبير قدّس سرّه فرأيت قد حضر وهو يقول : عليكم بكثرة العبادة فإنها في هذه الطريقت لازمة حتى يفتح لكم باب من التصرف . فقلت له : بماذا نلت هذه المنزلة ؟ فقال : بكثرة العبادة .

(ورأيت) سيدة النساء -يعني جدته فاطمة الزهراء عليها السلام- قد أتت منزلي وقالت إني بعثت لأجل زيارتك . (وأكلت) يوماً طعاماً مشبوهاً فرأيت حضرة الشهيد قدّس اللّهُ سرّه يستقي ، ويقول لا ينبغي الأكل من كل مكان . (وألقي) اليّ مرة إنا أعطيناك منصب القيومية وأعطيناك طريقة جديدة . (وقلت) يوماً ياشيخ عبدالقادر ، فقبل لي بأرحم الراحمين شيء لله . (وألقي) اليّ أن سلطان المشايخ قد أرسل خلفاءه اليّ (دكهن) فارساً أنت اليّ كابل وبخارى . (وطلبت) مرة توسيم منزلي فألقي اليّ أنه لأهل لك ولا عيال فأني حاجة لذلك . (وطلبت) مرة من جاري مكانه فألقي اليّ لم تكلف جارك للخروج . (وأخذت) مرة بالتهيؤ للحج فألقي اليّ إن بقاءك ههنا أحسن .

### شذرة من كراماته وخوارق عاداته

لا يخفى على سالكي الطريق الإلهي وطالبي الفيض الامتناهي إن أعظم الكرامات وخوارق العادات محبة الله تعالى وإتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان له قدّس اللّهُ سرّه في هذين المقامين المرتبة العليا . ومن أعظم كراماته تصرفه في باطن المرديد والقاء الفيوضات والأسرار في صدورهم .

وما صدر عنه من ذلك لا يسهه التحرير وتضييق عنه حوصلة التقرير . فكم أوصل الى مقام التكميل من الرجال منيب فصار من أهل الواردات والجذبات والتمكين . وناك بتوجهاته الأحمديّة المقامات الإلهية والأحوال العالية أمم لا تُحصى .

وأما تصرفاته وكشوفاته وحل المشكلات وقضاء الحاجات فإنها كثيرة جداً طالما بها فُرِجَت كُرْبٌ وحلّت عقد . وكانت كراماته وإلهاماته وخوارقه مقتبسة من نور معجزاته صلى الله عليه وسلم . وكثيراً ما رآه في المنام جماعة أنه يلقنهم الطريقت فحضرُوا الى أعتابه وبلغوا المقامات العالية وعادوا الى أمكانهم . وكان ينقل كل واحد من المريدين مع كثرتهم المفرطة من مقام الى مقام ويرقيهم من حال الى حال ويوصله بقوة توجهاته في أيام قليلة الى ما لا يُنال بسنين كثيرة .

أما مَنْ تاب على يده من العصاة فصاروا من أهل الإستقامة ، ومَنْ أسلم من الكفار فجم غفير . (من ذلك) أنه حضر مجلسه غلام من البراهمة المجوس جميل الصورة فوَقَم عليه بصر الشيخ قدس سره فنزِع في الحال ربقة الكفر من رقبته ونطق بالشهادتين وحلّى جيبه بعقده الإسلام وذهب . (ومرض) خادم أعتابه المولوي الشيخ كرامة الله قدس الله سره بذات الجنب . فوضع يده المباركة عليه وتوجه بهمته العلية اليه فبرأ في الحال . (ونظر) مرة الى سفينة وهي جارية فوَقَمَت من فورها . (وكان) أحد أصحابه الكرام الشيخ أحمديار قدس سره مسافراً في تجارة له فرأى منصرفه من سفره حضرة الشيخ قدس الله سره قد دنا من دابته وقال له : "أسرع واسبق القافلة فإن في الطريق قطاعاً يريدون أخذ القافلة" . ثم غاب فأسرعت حتى سبقت السيارة . فجاء القطار فنهبوا القافلة ونجوت ولم أزل حتى دخلت داري سالماً . (وذكر) حضرة زلف شاه قدس الله سره أنه أتى قاصداً زيارة حضرة الشيخ نور الله مرتدّه من مكان سحيق . فرأى رجلاً مهاجراً فأرشده قال : "فقلت له مَنْ أنت ، قال أنا ذلك الرجل الذي تريد زيارته ووقع لي ذلك مرتين" . (وذكر) الشيخ أحمديار المومى اليه أنّ حضرة الشيخ قدس الله سره توجه يوماً لتعزية امرأة صالحة من مريديه بينت لها كبيرة وهو في خدمته ، فقال لها : عوضكم الله عنها بغلام . فقالت له بلا توقف : ياسيدي اني عجوز عقيم وبعلي شيخ كبير والولادة في هذه الحالة مخالفة للعادة . قال : إن الله تبارك وتعالى لقادر . ثم خرجنا من دارها فدخل سيدنا الى مسجد في جوارها فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى لها ، ثم التفت اليّ وقال : اني دعوت الله وظهر لي أثر الإجابة فيأتيها غلام . فكان كما أخبر قدس الله سره ، فلم تلبث أن ولدت غلاماً وعاش سنين عديدة ولله الحمد .

(ومرضت) امرأة من أقارب المير أكبر علي أحد أصحابه الكرام قدس سره ، فبالتمس من حضرته قدس الله سره أن يدعو الله تعالى لها بتخفيف مرضها فلم يفعل . فألح عليه فقال له : "لاتبقى هذه المرأة أكثر من خمسة عشر يوماً" . فبقدر الله تعالى توفيت يوم الخامس عشر لكن كان يتوجه على المير علي لها برفم المرض خلال ذلك فلم ينفد . فلما حضر الشيخ جنازتها قال إن بركات توجه المير ظاهرة عليها . (وعاد) قدس الله سره يوماً الحكيم نامدارخان فوجده في حالة النزاع وقد أغمضت عيناه وذهب شعوره . فسأله أهله أن يتوجه الى الله بدفع مرضه . فنظر اليه قدس الله سره فعاد اليه إدراكه وفتح عينيه وكلمه برهة بكلام كثير ثم قام . فلما وضع قدمه المبارك في باب داره قضى الحكيم نحبه رحمه الله تعالى . (وحبس) عم ميان أحمديار أحد أصحابه الكرام على مال للسلطان فجاء اليه وهو يبكي وذكر له ذلك . فقال له قدس الله سره : أرسل أحدًا يخرجك من الحبس . فقال : كيف ذلك وقد أحيطت القلعة بالمحافظين

من العساكر ؟ قال : ماذا عليك إذهب بأمرى أحضره! قال فذهبتنا وأخرجناه من الحبس ولم يعترضنا من الحرس أحد .

(وأتى) رجل من بخارى الى الهند على طريق كابل فعبر في بحر الأنك ففرقت له جمل عليه أمتعته وتجارته فنذر لحضرتة إن أخرج الله له ماله رغيغين . فأنقذ الله ذلك من الغرق ، فلما تشرف برحابه عرض له ذلك ، فقال له قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ : وهل وفيت بنذكرك ؟ قال نعم . (ومرض) ولد المولوي الإمام الفضل رحمه الله تعالى مرضاً شديداً فرأى في منامه ان حضرة الشيخ قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ أتى اليه وسقاه شراباً . فأصبح وقد شفي من مرضه فقدم هدية جسيمة لجنابه العاليي فقبلها وقال هذه ثمرة سعينا في الليل . (وأتى اليه شخص) فقال له : ياسيدي قد مُقد ولدي منذ شهرين فادعو الله أن يرده علي . فقال له : إن الولد في دارك . فتحير الرجل وقال له : أنا الآن جنت من الدار . فقال قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ : هو في الدار . فإمتثالاً لأمره ذهب الى الدار فوجد الولد ثم .

(ولما) تولى الحكيم ركن الدين خان الوزارة العظمى أرسل اليه يوصيه بأحد أعزائه ، فلم يحتفل بوصيته فتغير خاطره الشريف عليه فعزل ولم يتول بعد قط . (وتغير) خاطره الكريم على والي دهلي فعزل حالاً . (وقدم) نفر من خلفائه من سفر فقبل أن يصلوا قتلوا لبعضهم إذا وصلنا وتشرفنا بتقبيل قدمه المطهرة فماذا نؤمل منه . فقال أحدهم أنا أريد سجادة وقال الآخر تاجاً وقال غيره غير ذلك . فلما تمثلوا في أعتابه أعطى كل واحد ماتمناه . (وكان) له سقاً فمرض واشتد مرضه حتى قارب النزح فحمله أحد أصدقائه وأتى به اليه وقت السحر فتوجه اليه فشفي .

(وقال المولوي كرامةالله) أحد أصحابه الكرام قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ : لازمت خدمة حضرة الشيخ قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ مدة ورأيت العجائب والغرائب . فمن ذلك أني قمت من بين الجماعة مرة بعد صلاة الفجر وهو زمن المراقبة والذكر فأخذت كتابي لأقرأ درسي فنظر اليّ شزراً وقال اجلس . واشتغل ففرط مني أن قلت "إنما تصدتم لأنال النسبة بلا محنة والألمكنني تحصيلها في كل مكان" . فقال لي : اجلس فبحق بهاءالدين لألقين إليك النسبة بلا محنة . وتوجه اليّ في الحال فغبت عن نفسي وسقطت وكأنه أخرج قلبي من صدري . ثم بعد زمن أفقت فإذا به فرغ من الذكر وقد أصابتنى الشمس وكان خواص أصحابه حينئذ حاضرين كالشاه أبي سعيد قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ فخلجت منهم . فقالوا : مالذي إعتراك ؟ فقلت لهم : غلبني النوم . فتبسّموا .

(ووقع) في دهلي قحط فخرج قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ الى صحت مسجده فجلس فيه وكان شديد الحرارة من الشمس وقال : "يارب لأبرم جالساً حتى تسقينا المطر" . فمطر الناس لساعتهم . (وسالته) امرأة أن يعطيها ما تطعم مريضاً فأعطاها خبزاً وقطعة لحم . فلما وصلت الى دارها إنقلب اللحم حلواً ومات مريضها ثم صار ذلك علامة على موت مريض يرسل به اليه . (وطلب) من جارة له وكانت رافضية مكاناً لتوسعة الرباط فما رضيت بالبيع وأطالت اللسان في شأنه . فرفم طرفه الى السماء وقال : "يارب سمعت كلامها" . فلم يلبث أن وقع في أفتارها وذريتها الموت حتى لم يبق إلا واحد منهم . فوهبت ذلك المكان لحضرتة .

(وجلس) رجل مبتدم عند قبر حضرة الشيخ محمد الباقي بالله رضي الله عنه فمُنم فما إمتنم ، فقال له الشيخ : "بحق بهاءالدين أن لاتقدر على الجلوس" فأخذه الحمى النافض في الحال . فقام مضطراً ومات

في اليوم الثالث . الى غير ذلك ومَن أراد الزيادة فعليه بكتاب "الجواهر العلوية" لمولانا الشاه رؤوف أحمد المعصومي ، فإن فيه العجب العجاب .

### أحوال إنتقاله وإنتقال أحواله

(كان قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) يقول : إني أحب الشهادة في سبيل الله تعالى ولكن أتذكر ما حصل للناس في شهادة شيخنا مرزا جان جانان رضي الله عنه من البلاء ، إذ قُحطوا ثلاث سنين ومات بذلك خلق كثير ووقع قتل وحروب لا تُعد . فأتركُ سؤالها . وقد غلب عليه اليواسير آخر مرضه . وكان الشيخ سعيد وقتنذ في مدينة (لكهنوء) فارسك اليه في برهة يسيرة كتباً كثيرة يحثه على الحضور ليكون قائماً مقامه ، وأن يستخلف مكانه نجله الشيخ أحمد السعيد أحد خلفاء حضرة مرشد المكرم . فترك أهله وأتى مخفياً ، فلما تشرف بلقائه قال له : كان مرادي إذا لقيتكم أن أبكي كثيراً ولكن أتيتني في وقت لا يمكنني فيه ذلك . ثم التفت بكليته اليه وأوصى له بخلافة الإرشاد العام . وكان من عاداته المستمرة أنه إذا حصل له شائبة مرض أوصى قلماً وأكد لساناً بمداومة الذكر وتحسين الأخلاق وتقوية النسبة الشريفة ومجاملة المعاملة مع الجميم ، والإعراض عن الإعتراض بـ(لو) و(لم) على مجاري القضاء ، وملازمة الإتحاد مع الإخوان والتفرغ للعبادة بالفقر ، والقناعة والرضا والتسليم والتوكل . فجدد هذه المرة تلك العادة المستمرة وقال : "إذا إنقضى الأمر فأحملوني الى المكان الذي فيه الآثار النبوية التي في جامع دهلي واطلبوا لي من صاحبها الشفاعة" .

(وقال) لما احتضر سيدنا الشاه نقشبند قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ قال : "لأرى من الأدب أن تُقرأ أمام جنازتي الفاتحة أو آية مطهرة أو تُذكر كلمة التوحيد ، ولكن أنشدوا هذين البيتين :

مفلسانيم امده در كويتو شـيء لله أز جمال روي تو  
دست بكشا جانب زنبيل ما أفرين بر دست وبر پهلوي تو

وكذلك أقول فأنشدوا أمام جنازتي هذين البيتين :

وفدت على الكريم بغير زاد من الحسنات والقلب السليم  
فحمل الزاد أقسبح ما رأينا إذا كان القحوم على الكريم

فلما كان وقت الإشراف من يوم الإثنين ثاني عشر صفر أمر بحضور أبي سعيد من داره سريعاً فنظر اليه ثم وضع رأسه في صدره وهو جالس على هيئة الإحتباء وقتنذ ، فالتفت بالرفيق الأعلى . فمُسل بأموه الأنوار وكُفَّتْ بأثواب الأسرار وحُمل على أطراف الأصابع الى المسجد الجامع . وقد انفضت لأجله المجامع وهُرعت لرباطه الناس حتى غصت بالمشيعين الجواد والشوارع . فصلى عليه الإمام أبو سعيد ووضعوه تبركاً عند الآثار النبوية . ثم أتوا به الخانقاه فدفنوه في الجانب الأيمن من البقعة المباركة التي ضمت مرشده الشهيد . وكان لمشهده في دهلي يوم مشهور .

(وظفقت) أدباء المند تعمل الخاطر لإنشاء نديه ورثائه بأنفس القصائد وأبدم التواريخ كلها بالفارسية الإ تاريخيت ؛ أحدهما نثر وهو (نور الله مضجعه) . وثانيهما ضمت مقطوعة بالفارسية وهو قوله تعالى (في روم وريحان وجنات نعيم) . فنظمتها تبركاً به فقلت في الأول :

حضرة القطب الدهلوي رغب الحق مرجعه  
فلمذا إذ أرخسوا نور ٢٦٥ لله ٦٦ مضجعه ٩١٨



وقلت في الثاني :

الدهلوي الشاه عبدالله  
أرّخه في روح ٣٠٤ وريجات ٢٧٥  
الغوث العظيم  
وجنات ٤٦٠ النعيم ٢٠١

ومن ذلك بيت فيه تاريخ ولادته وحياته ووفاته قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ .

(مظهر ١١٥٨) جود جاء مدة عيشه (إمام ٨٢) قضى قل (نور الله مضعمه ١٢٤٠)

(وله قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) خلفاء حنفاء هم علماء الأولياء وأولياء العلماء ملأوا الخافقين إرشاداً والثقلين

إمداداً . ومن أجلهم مجداً وأكبرهم جداً :

العارف بالله تعالى الشيخ الشاه أبو سعيد ، نجل العارف الكبير الشيخ صفي القدر شبل العارف الكبير الشيخ عزيز القدر فرم العارف الكبير الشيخ محمد عيسى نتيجة العارف الكبير الإمام معصوم خلاصة العارف الكبير الإمام الرباني قَدَسَ اللهُ سِرَّهُمْ . (ولد) في بلدة مصطفى آباد وتُعرف بـ(رامپور) مدينة على ثمان مراحل من دهلي عام ستة وتسعين ومائة وألف وعليه آثار الولية والنجابه ، ثم تربى في حجر والده العزيز- وكان من العارفين الزاهدين الوارثين للمعالي المجددية المتمكنين في الحديث والتفسير والحقائق وغيرها . وتخرّج على يده وعلى مفتي تلك الديار يومئذ العلامة شرف الدين وعلى العلامة المحدث رفيع الدين وأخيه العلامة الشاه عبدالعزيز ابن المحدث الكبير الشاه ولي الله ، وعلى المحدث العلامة ثناء الله پاني پتي حتى صار عالماً مفسراً متقناً لكل الفنون . وتلقى الطريق المجددي النقشبندي عن والده قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ ولازم خدمته والإستفاضة من أنوار أسرارهِ حتى توفي عام ست وثلاثين ومائتين وألف . ثم قدم دهلي وحظي بشرف خدمة حضرة الشاه عبدالله قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . فقدمه وعظّمه وربّاه وكلمه حتى إذا حضرت الوفاة عهد اليه بالخلافة من بعده . فثابر على القيام بأعبائها نحو تسع سنين وحصل على يده نفع كبير وتكمّل عنده خلق كثير . ثم توجه سنة تسع وأربعين الى الحجاز فاستقبله العالم العامل والمرشد الكامل سيدنا الشيخ محمد جات شيخ الحرم المكي وقتئذ وأحد خلفاء حضرة الشاه الدهلوي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ وأعيان البلد الحرام وأكرموا نزلهُ . فلما أتمّ تفثهُ إعتراه داء البطن واشتدّ عليه المرض فلم يزل في مكة المكرمة وبواعث أشواق الزيارة تزداد أنا فأناً حتى وجد في نفسه أدنى خفة فقصد المدينة المنورة . فاستقبله الإمام الجليل والمرشد الكامل التكميل السيد الشيخ إسماعيل المدني-أحد أجلاء خلفاء سيدنا القطب الدهلوي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ- ومعه جماهير أهل المدينة المنورة ، ورفعوا من شأنه وبالغوا في خدمته . فزار تلك الحضرة المحمدية وفاز بالمشول في هاتيك المعاهد النبوية . ثم عاد مكرماً الى أوطانه وقد أخذ يتزايد مرضه يوماً فيوماً . فلما وصل الى بلدة (لونك) على إحدى عشر مرحلة من دهلي ثاني عشر شهر رمضان غلبه الضعف ، فتخلّف ثمّ لذلك . فمازال المرض يزداد الى يوم عيد الفطر . فتوفي بعد الظهر من يوم الأحد عام خمسین ومائتين وألف . فجُهِزَ ووضع في تابوت وحمل الى دهلي ودُفِنَ الى جنب حضرة مرشده الشيخ عبدالله الدهلوي . فلما أرادوا لحدّه أخرجوه من تابوته ، فتضوّعت منه رائحة زكية عطّرت الأرجاء حتى كأنه جهز ذلك الوقت قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . (وممن ذُكِرَ) نجله العالم الفاضل والمرشد الكامل الشيخ أحمد سعيد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . (ولد) في غرة ربيع الأول عام سبعة وعشر ومائتين وألف في (رامپور) . وتربى من أول يوم في مهد والده المعلوم وارتضع منه ثدي المعارف والعلوم . وتخرّج على يد العلامة الأوحد المولوي فضل الإمام والعلامة الشيخ سراج الدين المفتي السالف البيات في

المعقول والمنقول وغيرهما . وتلقى فن الحديث والكتب الستة وغيرهما عن تلقى عنهم والده بروايتهم لها عن والدهم الشيخ ولي الله عن الشيخ أبي طاهر محمد المدني عن والده الشيخ إبراهيم الكردي عن الشيخ أحمد القشاشي عن الشيخ حمد الشناوي عن شمس الدين الرملي بسنده المشهور في ثبته ، وطرفاً من الحديث والتصوّف بأجمعه عن مرشده سيدنا الشيخ عبدالله الدهلوي . وتلقن الطريقة العلية عن والده في حضور المرشد المعظم . فالتفت إليه وألقى أكسير نظره العالي عليه وجعل يقربه ويجلسه في حلقة الذكر منذ كان سنّه عشر سنين ويقول هو بمنزلة ولدي . ولم يزل يلحظه بأنفاسه الرحمانية ويحفظ بهمته المحمدية حتى بلغ مبلغ الكمال ونال درجة الفحول من الرجال . فاذن له بالإرشاد وخلفه خلافة عامة وأثنى عليه وأدرجه في زمرة كبار أصحابه الأمجاد . فقال قدّس الله سرّه في حقه : "أحمد سعيد ابن حضرة أبي سعيد قد قارب والده بحفظ القرآن المجيد وتحصيل العلوم العقلية والنقلية وتحصيل النسبة المجددية العلية" . (وقال) في شأنه أبو سعيد أسعده الله وأحمد سعيد جعله الله محموداً ورؤوف أحمد رأف الله به وبشارة الله بشره الله بقبوله ، سلّم الله هؤلاء الأربعة الأكابر المرتبطين بالمودة التي هي أحسن من ارتباط القرابة ، وبارك فيهم وجعلهم سبباً لترويج الطريقة وأكثر أمثالهم . (ثم) لما أن دُعِيَ حضرة الشيخ قدّس الله سرّه والده من رامپور الى دهلي أمره أن يخلفه مكانه . فلما توفي والده قدّس الله سرّه قام مقام الحضرتين وأرشد الله به عدداً لا يحصى من الفريقتين ، لاسيما في أضلاع الهند وغزني وكُلُّ حصّل من حضرته بقدر استعداد حوصلته . وله خلفاء كثيرون نعم الله بهم العباد وأحيا ببركتهم أكثر البلاد . ولما ظهر في بلاد الهند ما ظهر من الفساد خرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ومعهم أخواه الشيخ عبدالغني والشيخ عبدالغني واستوطنوا المدينة المنورة ، وذلك سنة أربع وسبعين ومائتين وألف . واشتغل بالطريقة العلية كل الإشتغال ونال أعلى مقامات القبول والإقبال . ثم توفي في تلك الأماكن الطيبة ثاني ربيع الأول عام سبعة وسبعين ومائتين وألف . ودُفِن في البقيع عند ضريح أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في مشهد عظيم لم يتخلف عنه أحد . وقد قيل في تاريخه (عاش سعيداً مات شهيداً) أي سنة ١٢٧٧ هـ . فإنه توفي غريباً بداء البطن والحمى ، وممن أرخوا وفاته العالم الجليل الإفادة الشيخ عبدالجليك براده أحد أجلاء أعيان المدينة المنورة فقال :

قضى قطب الأقطاب الشهير بأحمد      سعيد إمام العلم والحلم والهدى  
منار الطريق النقشبندية التي      لها جده في الألف أضحي مجدداً  
ومدّ حلّ في القبر ناديت أرخوا      سعيداً شهيداً في الجنان مخلداً (١٢٧٧هـ)

وقال غيره :

هوى البدر فباغبر وجه الوجود      وأينم بالزهر روض اللخود  
وقطب الهدى مذ قضى أرخوا      لأحمد تُهدى جنات الخلود (١٢٧٧هـ)

ومت أحب الوقوف على تفصيل أحوال هذا العزيز وأحوال والده وخلفائهما وكرامتهما وكلماتهما فليرجع الى "المقامات الأحمدية السعيدية" تأليف ولده الشيخ محمد مظهر ، فإنه يرى العجائب .

(وممن ذُكر) نخبة المرشدين وعمدة المؤدبين المربين المولوي الشيخ محمد شريف قدّس سرّه . حصل العلوم في رامپور وتشرف بخدمة الشيخ قدّس الله سرّه ، فأتّم سلوكه ثم ذهب فنال في بلاد ضلعة پنجاب وكشمير غاية القبول والإقبال وتمدّب ببركته خلق كثير . ثم توفي في بلدة

(هوشيارپور) فنقل الى سرهند ودُفنت قرب مقام الإمام المعصوم قَدَسَ سرهما . (وممن ذُكر) العالم الجليل والمرشد النبيل الشيخ ملا خدابردى التركستاني قَدَسَ سرهُ . لازم حضرة الشيخ ملازمة قوية حتى أذن له بالإرشاد في الطريقة النقشبندية . فعاد الى بلاده وانتقم أهل البلغارية نفعاً عظيماً جزاه الله خير جزائه . (وممن ذُكر) الشيخ ملا علاء الدين قَدَسَ سرهُ . كان نادرة المرشدين ومؤملاً المسترشدين . تلقى الطريقة العلية عنه قَدَسَ اللهُ سرهُ ، فأحسن تربيته وزاد في دولة الوصول الى الله ترقيته . ثم أذن له بالإرشاد العام ، فتوجه الى پيشاور . فأيقظ الله به نفوساً غفلاً وفتح به قلوباً غلغلاً وفازوا ببركته بخير الدنيا والدين . (وممن ذُكر) رفيع الهمم والمراتب الولي الكامل الشاه سعدالله صاحب قَدَسَ سرهُ . تشرف في خدمة أعتابه وأتم مقامات السلوك في رحابه . فأذن له بالإرشاد في كل البلاد فتوجه الى الحجاز ثم عاد الى دكهن حيدرآباد ورفق علم هذا الطريق المتين . فأصبح عموم أهلها من المخلصين . وكان كريم الطبع بحيث كان يوجد في رباطه دائماً من المريدين نحو مائة وخمسين مريداً ، كل ذلك مع الإعراض والإنقطاع عن أبناء الدنيا والإقبال على رب العالمين . (وممن ذُكر) العالم الرباني والولي الكامل الملا عبدالكريم التركستاني قَدَسَ سرهُ . قدم من ضلعة أنك على أبوابه ، فرباه وهذبته وكمّله وأوصله الى الله تعالى . ثم أذن له بخلافة الإرشاد وأعادته الى بلاده فأرشد الله به الجم الغفير . ثم قصد البيت الحرام فحج وعاد . ففي أثناء الطريق قضى نحبه ففاز بشهادة الغربة . (وممن ذُكر) مظهر الإمداد الموفور الولي الكامل الشيخ مرزا عبدالغفور الجرجوي قَدَسَ سرهُ . تشرف بخدمة حضرة الشيخ في عنفوان شبابه ، فنال من جنبه تمام الإلتفات والتربية في سلوك جميع المقامات . وكان له في سلب المرض الحسي والمعنوي النظر الإكسيري . وكثيراً ما كان حضرة الشيخ يرسل اليه المرضى فربما يشفي الله المريض بتوجه واحد . ودخل الطريقة يوماً شخص فأرسله حضرة الشيخ اليه لتبنيه لطائفه . فتوجه له مرة واحدة فجرت لطائفه ثم أعاده الى الشيخ فعرف ذلك منه بمجرد النظر اليه وأخبر أصحابه . ومن كراماته أنه سرقت لإبنته مال فأخبرته فقال هو في المكان الفلاني . توفي في بلدة (جرجه) ودُفنت ثم قَدَسَ سرهُ . (وممن ذُكر) المرشد الأرشد والولي الكامل الأوح الشاه رؤوف أحمد قَدَسَ سرهُ . تشرف بالسلوك عند حضرة الشيخ قَدَسَ اللهُ سرهُ حتى بلغ أعلى الوصول وصار آية باهرة في إتقان العلوم الظاهرة الى ذوق بالمعارف الإلهية ونفَسَ بالشعر الهندي والفارسي نفيس . وهو الذي جمع مقامات وكلمات حضرة الشيخ في تأليف سماه "الجواهر العلوية" ولم أره بعد . ونسبه يتصل بالإمام الرباني بواسطة أصفه أبناء سيدنا الشيخ محمد يحيى قَدَسَ اللهُ سرهُ . ثم لما تام بخره وانتهى سيره أذن له بالإرشاد . فذهب الى بلدة (بهوپال) ، فأقبل عليه أهلها بالقبول من أمير وفتير وسطم بها نور الطريق وحصل له بهدايتهم تمام التوفيق . ثم عام أحد أو اثنين وخمسين قصد الحرميت الشريفين ، فتوفي في السفينة حذاء يللم . ففاز بشهادة الغربة وهنالكَ دُفنت قَدَسَ سرهُ .

(ومن أعظمهم) المرشد الكامل والولي الواصل المولوي بشارة الله قَدَسَ اللهُ سرهُ . خدم أعتب حضرته حتى حاز معالي نسبته . وفاز بشرف خلافته وهو من الأربعة الماري البيان . (ومن أجّهم) خليفة العلماء وعالم الخلفاء المولوي المحدث الشيخ كرم الله قَدَسَ سرهُ . تشرف والده بالإسلام وصار من مريدي الشيخ فخرالدين ولأجله صنّف الشاه عبدالعزيز تفسيره المشهور . قدم على رحاب حضرة

الشيخ وبذل قصارىهمة في تحصيل النسبة العلية . فظفر بالمرام وخلفه خلافة عامة . وكان له في فن القراءة اليد الطرلى بحيث تلمذ له ولطلبته جميع أهل دهلي . وقد حج البيت الحرام أولاً . وتوفي في الطريق ثاني مرة قدس سره . (ومن أفضلهم) روض الأنوار وبحر الأسرار المولي الشيخ عبدالرحمن شاهجان پوري قدس سره . خدم كثيراً من الأكابر فلم يحظ بالمراد ثم حضر الى خدمة الشيخ نفعنا الله به . فسلك حتى ملك عرش الخلافة . وكان في الزهد والإنقطاع عن أبناء الدنيا وعدم الإلتفات الى السوى أية عجيبة . وكثيراً ما رغب نواب فرخ آباد بخدمته وإكرامه فلم يلتفت اليه أصلاً . وله خلفاء أولو نسبة قوية وكشف ووجدان صحيح حصل بهم في شاهجان پور للطريقة العلية رواج عظيم . (ومن أكرمهم) صاحب الأنفاس القدسية والممم النقشبندية العلية المير طالب علي المشهور بالمولوي عبدالغفار قدس سره . قدم بعد تحصيل العلوم الدينية على أعتاب حضرة الشيخ لكسب النسبة المجددية فنال ببركته مرامه . وقصد البيت الحرام ثم توطن زبيد ، فصلا بأسراره وأنواره نفع عام للعبيد حتى أتم بها أيامه . (ومن أحسنهم) العالم الجليل والمرشد النبيل الشيخ السيد إسماعيل المدني قدس سره . تلقى الطريقة العلية عن حضرة مولانا خالد قدس سره أولاً . ثم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الواقعة مرة ، فقال له إذهب الى دهلي وتلق النسبة المجددية من شاه غلام علي . فبادر بالإمتثال وحضر في الحال . فقام قدس الله سره بأعباء تربيته وإعتنى به حتى تأهل لخلافته وصار من أهل الأوقات العالية والمقامات السامية . ثم عاد الى الحرم المدني المطهر وقد قدمنا عند ذكر كرامات حضرة الشيخ نور الله مضجعه أنه حضر معه أثراً نبوية وجعلها في المسجد الجامع في دهلي وأخبر الشيخ . فقال إنه يوجد في مكانها ظلمة الكفر . فدققوا النظر فإذا فيه تصاوير بعض الملوك فأزيلت . (ومن أسعدهم) دليق حيرة الطالبين وشفاء غليل العشاق الصادقين صفوة المرشدين الهادين المهديين مرزا رحيم بيك المسمى بمحمد درويش العظيم أبدي قدس الله سره . تشرف بخدمة حضرة الشيخ متجرداً عن علائقه بالكلية . فسلك حتى أتم سلوكه وفاز بالإجازة والخلافة الروحانية ثم لبس مسحاً أسود وتوجه الى بخارى لزيارة سيدنا ومولانا شاه نقشبند قدس الله سره العزيز . وساح في أكثر بلاد الإسلام مثل الروم والمغرب والحجاز والعراق والشام وهندستان وماوراء النهر وخراسان . ولما قدم سليمانية الأكراد في حضرة مولانا خالد قدس الله سره . فشكى له عدم وجود المرشد الى الله تعالى فأخبره بوجود مرشده القطب الدهلوي وأنه الغوث الأعظم والمرشد الأكبر وأنه أشار الى قدوم عالم من بلاد الروم اليه وقال له أرجو أن تكون أنت فهلم أوصلك الى حضرته . فشرح الله صدر حضرة مولانا الى خبره وسار الدرويش محمد في خدمته حتى وصلا الى دهلي فجزاه الله خير الجزاء . وتكلم بعض الناس في حقه عند حضرة مولانا خالد بما لايلئم فأراه الله إياهم على صورة الخنازير . فزاد اعتقاداً بحضرة الدرويش محمد . وليبت تسعة أشهر في معيته ثم عاد لسياحته وكان له جراءة تامة عند الملوك والأمراء في الحسبة وقدم راسخ في الإرشاد نفع الله به كثيراً من العباد في أكثر البلاد . ولو لم يكن من مناقبه إلا إندراج حضرة مولانا وأصحابه في صحيفته لكفى . ثم ألقى عصا التسيار في مدينة سبز (بسينت فموحدة فزاي معجمة) أي المدينة الخضراء وهي من أعمال بخارى وتزوج من أهلها وتمذهب للإمام الشافعي رضي الله عنه . وحصل له بها ظهور عظيم بخدمته للصادر والوارد وأحبه واليها محبة مفرطة مع الإخلاص التام . فأغبر يوماً خاطر أحد حكام تركستان من والي

سبزه فهدس على الشيخ سمّاً فقتله إغاضةً للوالي ففاز بسعادة الشهادة قدّس سرّه . (ومن أنفسهم) نور شمس العلماء ونور روض الخلفاء الأخوند شير محمد قدّس سرّه ، تشرف بعد التخلّم من العلوم الشرعية بتقبيل عتبة حضرة الشيخ وتلقى الطريقة العلية واشتغل بتحصيل المقامات المجددية حتى أدرك مناه بالخلافة والإذن بالإرشاد . ولفرط استغراقه في الذكر والخدمة طرأ عليه الذموم عن المسائل العلمية بحيث صار يعسر عليه أسهل تركيب في النحو . ثم التفت الى العلم لكليته وجعل يقرأ للطلاب دروس الفنون ويأمرهم بالتقوى وفعل الخير . فإنتتم منه خلق كثير ثم غلب عليه الضعف فترك التدريس وباع كتبه كلها وعكف على تلاوة القرآن المجيد وصلاة الفرائض . وإذ صارت الهند دار حرب كره المقام بها . فهاجر الى الحجاز فتوفي في الطريق في بلدة (ملتان) ووقم أجره على الله عزّ وجلّ . (ومن أكملهم) كعبة الإرشاد وعرفات العرفان شيخ الحرم المكي العلامة الجليل محمد جان قدّس سرّه . حظي بعد تحصيل جميع العلوم بحضرة الشيخ قدس الله سره ودخل الرياضة غير مرة . كان يذهب كل يوم لزيارة حضرة الشيخ قطب الدين قدّس سره سبع مرات نهاراً ويتعبّد الليل كله ثم يحضر صباحاً ومعه قلة من ماء هنالك طيب لحضرة الشيخ . ولم يزل كذلك حتى إغتئم بركة الإذن بالإرشاد والخلافة المطلقة . ثم عاد الى مكة المكرمة فلقي من الإشتغال بالطريق أولاً شدة عظيمة . ثم ألقى الله عزّ وجلّ في قلوب الإمرء محبته والإعتقاد به فأظهر شعار الطريق وانتشرت خلفاؤه في أكثر بلاد الروم حتى وصلوا الى الإستانة العلية ، فحصل لهم القبول التام . وبلغ أمره والدة السلطان الغازي عبدالمجيد خان ، فإعتقدت به وأمرت ببناء رباط له في الحرم المكي . فتحوّل اليه وواظب على خدمة المريدين من كل صادر ووارد وإغاثة الطالبين حتى عمّ نفعه وتمّ بدره . وتوفي في حدود سنة ست وستين ومائتين وألف .

(ومن كراماته) ما ذكره خادمه فقال : كان لي غلام مراهق مريضاً شديداً أشرف فيه على الهلاك . فحملته الى رباطه ليلاً فإذا هو في المراقبة فوضعتهم أمامه وسألته أن يدعو له بالشفاء . فتوجه بنظره الشريف اليه فعافاه الله تعالى . (وذكر بعضهم) أنه أحب يوماً امرأة حتى كاد أن يهّم بالفاحشة فذكر ذلك له وقال له : إني لم يبق بيني وبين إقتراف الكبيرة شيء وإن أصبت ذلك كان عاراً عليكم عند الله تعالى . فإهتّم لأمرى كل الإهتمام وقال لي : قل لا حول ولا قوة إلا بالله . فقلت : سبحان الله إني أقولها دائماً . فقال : قل ذلك بقولي . فقلتها فكانه حيل بيني وبين تلك المرأة بالسدّ الأسكندري وزالت قوة الشهوة مني ثلاث سنين .

(ومن أسعدهم) صاحب الممم العالية والأنفاس القدسية الغالية السيد أحمد الكردي قدّس سرّه . تلقى الطريق عن حضرة مولانا خالد في بغداد ، ثم رأى سيد العالم صلى الله عليه وسلم يشير اليه بقصد دهلي . فحضر الى حضرة الشيخ وسلك عنده مقامات الطريق العلية حتى أتمّها . فأجازهُ وخلفهُ وعاد فمرض في خلال الطريق ، فرأى فخر الكائنات عليه أشرف الصلوات والتسليمات فعلمه صيغة صلاة . فصلى بها فشفاه الله تعالى . (ومن أنجبهم) شمس فلك الأسرار الربانية وبدر أفق المعارف الفهوانية الشيخ السيد عبدالله المغربي . قدّم على حضرة مولانا خالد قدّس سرهما ثم أدرك فضل التشرف بالحضرة الدهلوية ونال أماله بعد بذل قصارى الجهد بتحصيل الرياضات الشاقة والمجاهدات القوية من الجناح العالي ، وخلفه وأذن له بالإرشاد في كافة البلاد . (ومن أحسنهم) تاج هام المرشدين وعقد جيد المهتدين الشيخ ملا پير محمد قدّس سره . قبل عتبة حضرة الشيخ وفاز بنظره الشريف

وسلم على يديه حتى أتمّ المقامات . وكان له إستغرافات عجيبة . زار مقام سيدنا جات جانان الشهيد قدّس الله سرّه مرة ، فبقي جالساً من أول الليل الى آخره بحيث هطلت الأمطار فوق رأسه ولم يتحرّك . ثم تفضّل عليه بالخلافة وأذن له بالإرشاد فنزل كشمير وحصل ببركته لأهلها نفع كبير . (ومن أذكاهم) روم العلوم والإسرار وروم أئمة الهداية الأبرار الملا الشيخ محمد الغزنوي قدّس سرّه . أقبل على شريف رحاب حضرة الشيخ وأخلص في خدمته والإشتغال بسلوك طريقته حتى بلغ المراد ، فأذن له بالإرشاد . فعاد الى غزنيّة وأرشد كثيراً من المريدين وخلف زمرة منهم . ثم ذهب الى البيت الحرام وانتقل بالوفاء الى دار السلام . (ومن أعزهم) خلاصة أهل القلوب والمرشد الى علّام الغيوب الشيخ المولوي محمد جات الهروي قدّس سرّه . صرف العزم في سلوكه تحت أنظار حضرة الشيخ حتى ملك منزلة الخلافة العليا . وعاد الى وطنه فهدى الله به في هراة وتندهار الجمّ الغفيرا ، ونالوا بأنفاسه المباركة من إرشاده خيراً كثيراً . (ومن أوددهم) الإمام الرقيم الشان نخبة علماء الخلفاء الأعيان الشيخ محمد عظيم قدّس سرّه . تشرف بالوفود الى رحاب الشيخ وبذل المهمة بنوال النسبة المجددية حتى عطف عليه بالخلافة السنية . ثم بعد إنتقال حضرة الشيخ توجه الى الحج فتوفي ثم . (ومن أولاهم) العلامة الصالح والولي الفالح الشيخ المولوي نور محمد قدّس سرّه . إنتظم في سلك خدام أبواب حضرة الشيخ ووجه أقصى الإهتمام بالرياضات والخلوات حتى منّ الله تعالى عليه بالفتح والهّم حضرة المرشد أن يتعطف عليه بالإذن والإرشاد وينظر اليه بعين الإسعاف والإسعاد . ذكر إنه قال قدّس الله سرّه في شأنه أربع هم فخر المريدين : المولوي محمد ، والمولوي محمد جات ، والمولوي محمد عظيم ، والمولوي نور محمد . وكل واحد منهم كان بحراً زاخراً في العلوم كلهما . (ومن أرجحهم) زينة جبين العابدين وتوريد وجنة المرشدين الزاهدين الشيخ مرزا مراد بيك قدّس سرّه . خصّه الله بمنقبة خدمة حضرة الشيخ وقبوله والميل اليه بالتربية والترقية الى مقامات الولاية . ففاز من علو همة الأستاذ بالمنى وأذن له بالإرشاد وخلفه . وكان لفرط زهده يسميه جنيد الوقت . وكان ذا نسبة قوية إنتفم به عالم كبير . توفي زمن حضرة الشيخ ودُفن عند قدم حضرة الشهيد قدّس سرهما . (ومن أسعدهم) تحفة المرشدين ونخبة الصلحاء المهتدين الشيخ محمد منور قدّس سرّه . حاز شرف الخدمة ونال المقامات السنية بعلو الهمة . فأذن له حضرة الشيخ بالإرشاد وأسعده بالفيوضات والإمداد حتى صار له نسبة تامة نفع الله بها الخاصة والعامة . (ومن أنجبهم) عمدة الصالحين وبركة المرشدين الشيخ ميان قمرالدين قدّس سرّه . كان من كبار الطريقة القادرية وكثير الإنكار على الطريقة المجددية . فما نشب أن تقدم من پيشاور الى خدمة حضرة الشيخ منقاداً وأخلص في خدمة أعتابه والإشتغال بالسلوك والرياضات تحت قبابه . فأنعم عليه بالإجازة والخلافة العظمى . وعاد الى أوطانه شاكراً محض إحسانه . (ومن أصدقهم) الإمام الممام فذلّكة المرشدين العظام الشيخ خليل الرحمن قدّس سرّه . وهو خادم حضرته الخاص بعبّته . وكان قدّس الله سرّه له التفات كبير لجهته وإعتناء تام بتكميله وتربيته . وهو على قدم الإستقامة بالتمثّل بين يديه والقيام بأعباء خدمته حتى نال شرف النسبة المجددية . وتوفي زمن حضرته شهيداً ودُفن تحت قدم حضرة الشهيد قدّس سرهما .

وله قدّس الله سرّه عدة خلفاء غيرهم ممن عجز اللسان عن حصرهم والقلم عن سبرهم وأشرفت بهم الدنيا وفازوا من الهداية بالمقامات العليا . ولو لم يظهر من آثاره ويصدر عن بحار أسرارهِ إلاّ شيخ هذه السلسلة المصونة وأعظم من سرى اليه سرّ هذه النسبة المكنونة قطب العارفين وشيخ مشايخنا حضرة مولانا خالد العثماني السليمانى لكفى شرفاً .

حضرة سيدنا ومولانا أبو البهاء ضياء الدين الشيخ خالد بن  
حسين الشهرزوري العثماني الشافعي النقشبندي القادري  
الكبروي الجشتي المجددي  
قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزِيزَ

العالم كل العالم الذي فاق علماء الأفاق وشهد بفضله العالم على الإطلاق . والعارف كل العارف مطلم  
أنوار بدر الطريقة الذي لايعتريه سرار والمطلم على أسرار الحقيقة وحقيقة الأسرار . والمرشد كل المرشد  
من سرى سره في الأنام سريان الأروام في الأجسام . أحيا بهمته القوية من النفوس الغوية ما أحيا ،  
وبكلماته الولوية ما لو لم تُختم الدعوى النبوية لكان وحيًا ، ونشر من العلوم الشرعية ما طوى ذكر السلف ،  
وأظهر من المعارف الإلمية ماخفي على كثير من الأولياء . عرف ذلك من عرف كما قلت :

والغيث أدم جوده إنشائه	الغوث صم وجوده إن شائه
والشمس نوراً فأنظروا نظراءه	البحر علماً والسما مكانة
ورأى ماأثره يجد ما شائه	من شاء أن يلقي الفضائل كلها
وعظمت أفعاله أسمائه	فازت بما فازت عزائمهم الكبار كيف السلوك
والله قدس في الكتاب علاه	الى ملوك صفاته
ودعاه إلا واستجاب دعائه	لم يبق فخر في البرية باهر
إن كان يقبل أن يكون فدائه	نفسي الفداء له وعين سمادتي

فهو عالم الأولياء الكاملين وولي العلماء العاملين ، انتهى اليه في المعقول والمنقول علم الفروع  
والأصول . أما بعد صيت أرشاده وإمتداد بركة إمداده فهو ظاهر في الربيع الغامر ظهور الجدور . فتبارك من  
جعله قطب دائرة الهداية وغوث أدراج النهاية في البداية ، وجدد به القرن الثالث عشر ومنحه الإقبال  
والقبول بين البشر . فلاغرو أن افتخرت الأرض بوجود سعوده وسعود وجوده وأدخرت السماء جبالاً من ثواب  
نفعه وتقواه وجوده .

(ولد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ) على ماحققه سيدي الوالد الماجد في حواشيه على "البهجة السننية" لسيدنا الجد  
قَدَسَ سِرَّهُ ، سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف في قصبة (قرداغ) ، وهي من أكبر أعمال بابان على خمسة  
أميال من السليمانية ذات مدارس كثيرة وحدائق بهيجة وأمواه غزيرة . وبابان صقم بني كرد بن عمرو بن  
عامر المنسوب الى قحطان ، وظهرت منذ بدا إشارات على أنه قطب زمام الأولياء .

### بدو صلاحه ونمو إصلاحه

(نشأ) قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ في هذه القصبة في حجر والده الجليلك سليل الولي الكامل پير ميكائيل شش  
أنكشت -أي ذي الأصابع الست العثماني- نسبة الى أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .  
ووالده السيدة الطاهرة يتصل نسبها بالولي الكبير پير خضر الفاطمي الشهير نسباً وحالاً في بلاد الأكراد :

وأناس كان النبي أباهم هم أناس من المعالي عيون  
علويون محتداً وفخاراً كل فخر لديهم فهو دون

وقرأ في بعض مدارسها القرآن و"المحرر" للإمام الرافعي في مذهب الشافعي و"متن الزنجاني" في الصرف وقليلاً من النحو وبرع بالنثر والنظم قبل بلوغ الحلم متخذاً الزهد شعاره والتجرد ثاره والجوع مطيته وعدم الهجوم وسيلته ، والإنقطاع سميماً والهمة سراجاً منيراً . ثم رحل الرحل العديدة الى البلاد البعيدة وحصل في العلوم فنون الفهوم . ثم عاد الى نواحي وطنه فقرأ على العالمين الكبيرين والفاضلين النخريين السيد الشيخ عبدالكريم وأخيه عبدالرحيم البرزنجي وعلى المحقق الصالح الملا محمد صالح ، والعلامة ملا ابراهيم البياري والفهامة الشيخ عبدالله الخرياني . ثم ذهب الى أنحاء كوي وحرير فقرأ "الجلال على تهذيب المنطق" بحواشيه على الإمام اللوذعي والنخري الألمي الملا عبدالرحيم الزياتي المعروف بملا زاده وغيره عن غيره . ثم انقلب الى السليمانية فقرأ فيها وفي نواحيها "الشمسية" و"المطول" و"الحكمة" و"الكلام" وغير ذلك على علمائها الأعلام . وقدم بغداد فقرأ "مختصر المنتهى" في الأصول . ورجع الى محله الماهول .

حدثني الوالد الماجد عن الجد الأجد عنه قدس الله سره أنه لما قدم بغداد أول مرة وزاره عظماء العلماء ورأوا من علمه الزاهر ما يحسد عليه الأوائك الأواخر - وكان يومئذ يشرب الدخان - حتى إذا خرجوا من عنده بالفوا بمدمحه وحمدته غير أنهم انتقدوا ذلك عليه . فلما بلغه صنع طعاماً ثم دعاهم اليه . فقبل أن توضع المائدة قال لهم هلم نتذكر في فائدة وأخذ يبحث في أن الأصل في الأشياء الحظر أو الإباحة حتى توصل الى الدخان . فمابرم يناظرهم فيه حتى ألزمهم القول بطله بالبرهات . فلما سلموا بذلك أتى بمعدات التبغ وكسرها هنالك . (وقال قدس الله سره) حيث تبين لكم في الشرع أمره فاشهدوا أنني أبطلته . وإنما فعلت ما فعلته لئلا يمر في اعتقادكم أنني ما تركته إلا لانتقادكم . ثم لم يمسه قط ومن فهم غير ذلك فهو غلط .

وكان حيث حل من المدارس هو الأتقى الأورم السابق في ميادين التحقيق كل فارس . لايسئل عن مسألة من علوم الرسوم إلا ويجيب بأحسن جواب ، ولايختبر بعويصة من "تحفة" ابن حجر أو "تفسير البيضاوي" إلا ويكشف عن خرائد الفوائد النقاب ، وهو يستفيد ويفيد ويقرر ويحرر فيجيد :

يقول لسان الحال من كل سائل لي البشر إذا وقيت خير وسائل  
إذا رمت للإشكال حلاً وجدته يقول إقترح ما شئت منا وسائل

الى إنصاف وذكاء خارق وقوة حافظه بذهن حاذق . وإذا دفت في درسه على ما أراد يعجز أساتذته عن إرضاء ذهنه الحاد . وطالما ألقى السؤال واستشكل الاشكال ، فلم يكن للمجيب عنه إلا هو في الحال ، هذا مع تصاغره لدى أسياده وأقرانه وتجاهله عن كثير من المسائل مع إتقانه ، حتى أنه كان يقرأ من الكتب الصعبة ما لم يصل إذ ذاك الى قراءته بتحقيق يتحير فيه أهل مادته . فباشتهر خارق علمه وطار في الأقطار صيت تقواه وذكائه وفهمه . فرغب الأمير المحسان ابراهيم باشا والي بابان كذا في "أصفي الموارد" وفي "المجد التالذ" أنه عبدالرحمن باشا - ولعل الراغب أكثر من واحد - في نصبه مدرساً قبل التكميل في بعض المدارس ، وأت يوظف له الوظائف ويخصه بالنقائس . فلم يجبه زاهداً فيما لديه من الحطام واعتذر له بأني لست أهلاً لذلك المقام .

ثم رحل بعدها الى سنندج ونواحيها وقرأ العلوم الحسابية والهندسية والأصطرابية والفلكية على العالم



المدقق قوشجي عصره وجغميني مصره الشيخ محمد قسيم السندي . وكمل عليه المادة على جري العادة ورجع الى الأوطان قاضي الأوطار وصيته أقصى الأقطار طار . فوُلِّيَ بعد الطاعون الواقع في السليمانية سنة ثلاثة عشر ومائتين وألف تدریس مدرسة أجب مشايخه السيد الشيخ عبدالكريم البرزنجي - وكان قد توفي في الطاعون المذكور . فشرع يدرّس في العلوم ويحقق المسائل والفهوم غير راكن الى الدنيا ولا الى أهلها مقبلاً على الله تعالى تبتلاً اليه بأصناف العبادات فرضها ونفلها . لا يتردد الى الحكام ولا يحابي أحداً بتبليغ الأحكام ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم . نافذ الكلمة محمود السيرة أخذاً بالعزائم حتى صار محسود صنفه عزيزاً في وصفه . مع الصبر على الفقر والقناعة في استغراق الأوقات بالإفادة والطاعة . الى أن جذبته سنة عشرين ومائتين وألف شوق الى الحج الى بيت الله الحرام وتوق زيارة روضة خير الأنام :

جذبته من التقي جذبات لتري عينه ربي الحرمين  
ودعاه الهوى قلبي سريعاً لمثولي في تينك الحضرتين

فتجرّد عن العلائق وخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله الصادق . فرحل هذه الرحلة الحجازية من طريق الموصل وديار بكر والرها وحلب والشام واجتمع بعلمائها الأعلام وصحب في الشام ذهاباً وإياباً العالم الهمام شيخ القديم والحديث ومدرس الحديث الشيخ محمد الكزبري رحمه الله تعالى وسمع منه وأخذ عنه . فقرّب به عيناً وفاز بما لديه من علوم الإسناد وإجازات المسلسلة الجليلة المفاد . وصحب كذلك تلميذه الأخص الأصفى الشيخ مصطفى الكردي رحمه الله تعالى . فأجازته كشيخه بأشياء منها الطريقة العلية القادرية . ثم خرج منها على جادة العزائم ممتعاً بأرغد عيش وأنعم حال دائم . فوصل المدينة المنورة ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم بقصائد فارسية بليغة محررة . ومكث فيها قدر ما يمكث الحاج وصار حمامة ذلك المسجد الوهاج .

(يقول قدّس الله سرّه) :

وكنّت أفنّش على أحد من الصالحين لأتبرك ببعض نصائح لعلّي أعمل بها كل حين . فلقيت شيخاً يميناً متريضاً عالماً عاملاً صاحب استقامة وإرتضا . فاستنصحته استنصاح الجاهل المقصر من العالم المتبصر . فنصحتني بأمر منها : ألا تبادر في مكة بالإنكار على ما ترى ظاهره يخالف الشريعة . فلما وصلت الى الحرم وأنا مصرّ على العمل بتلك النصيحة البديعة بكرت يوم الجمعة الى الحرم لأكون كمن قدّم بدنة من النعم . فجلست الى الكعبة الشريفة أقرأ الدلائل إذ رأيت رجلاً ذا لحية سوداء عليه زيّ العوام قد أسند ظهره الى الشاذروان ووجهه اليّ من غير حائل . فحدّثتني نفسي أن هذا الرجل لا يتأدّب مع الكعبة ولم أظهر عيبه . فقال لي : يا هذا أما عرفت أن حرمة المؤمن عند الله تعالى أعظم من حرمة الكعبة ، فلماذا تعترض على استدياري الكعبة وتوجّهي اليّ ، أما سمعت نصيحة من في المدينة وتأكيدك عليك . فلم أشك أنه من أكابر الأولياء وقد تسترّ بأمثال هذه الأطوار عن الخلق . فإنكبت على يديه وسألته العفو وأن يرشدني بدلالته الى الحق . فقال لي : فتوحك لا يكون في هذه الديار . (وأشار بيده) الى الديار الهندية وقال : تأتيك إشارة من هناك فيكون فتوحك في تلك الأقطار . فأيسست من تحصيل شيخ حرمين يرشدني الى المرام . ورجعت بعد قضاء النسك الى الشام ، أه .

فاجتمع ثانية بعلمائها وحلّ في قلوبهم محلّ سويدائهما . ثم أتى الى وطنه بعد قضاء وطره بالبركات . وباشر تدريسه بزيادة على زهده الأول وعده الحسنات الأول سينات مستقيماً على أحسن الأحوال متشوقاً

الى مرشد يسلك عنده طريق فحول الرجال الى أن أتى السليمانية نجم الهداية العرفانية مولانا مرزا رحيم الله بك المعروف بمحمد درويش العظيم أبدي . أحد أجلاء شيخه الأعظم القطب الدهلوي قُدس سره . فاجتمع به وأظهر إحتراماته وإشتياقه لمرشد كامل يوصله الى إربم . فقال له إن شيخاً كاملاً مرشداً عالماً عارفاً بسائر منازل السائرين الى ملك الملوك خبيراً بدقائق الإرشاد والسلوك ، نقشبندى الطريقة محمدى الأخلاق عالماً في علم الحقيقة . فسر معي حتى نزل الى خدمته في جهن آباد . وقد سمعت منه إشارة بوصول ملك تم الى المراد . فانتقش القول في قلبه وأخذ بمجامع لبه وعزم على المسير بالتجريد تاركاً منصب التدريس بلا تردد لمن يريد :

حب السلامة يثني عزم صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل  
لو كان في شرف الماوى بلوغ المنى لم تبرم الشمس يوماً دارة الحَمَل

فرحل سنة أربع وعشرين ومائتين وألف الرحلة الأخرى الهندية من طريق الري يطوي بأيدي العيس بساط البيد أسرع طي . فوصل طهران وبعض بلاد إيران والتقى مع مجتهدهم إسماعيل الكاشي المتضلم بضبط المتون والشروح والحواشي . فجرى بينهما البحث الطويل بمحضر من جمهور طلبة إسماعيل . فأفحمه إفحاماً أسكتهم وأنطق طلبته بأن ليس لنا من دليل . وقد أشار الى هذه القضية في قصيدته الآتية العربية التي مدح بها شيخه عند وصوله الى رحابه العلية . ولما أفحمه غالطه بأشياء كلية (منها) أنه قُدس سره وقد كان وقف على تفاسير الشيعة من أن قوله تعالى (عفا الله عنك لم أذنت لهم) نزلت عتاباً مع أبي بكر رضي الله عنه . فقال الشيخ للكاشي : ماتقول في عصمة الأنبياء عليهم السلام . فقال الكاشي : كلمم معصومون . قال الشيخ : فما تقول في قوله تعالى (عفا الله عنك لم أذنت لهم) والعفو يستلزم الذنب . فقال الكاشي : هذا عتاب مع أبي بكر لا مع النبي صلى الله عليه وسلم . قال الشيخ : فإذا أخبر الله تعالى بأنه قد عفا عن أبي بكر فأنتم معاشر الشيعة لم لاتعفون عنه . فأنبهت الكاشي وخجل خجلاً عظيماً .

ثم دخل (بسطام وخرقان وسمنان ونيسابور) وزار إمام الطرائق البحر الطامي الشيخ أبا يزيد البسطامي قُدس الله سره العزيز ومدحه بمنظومة فارسية . وزار من في تلك البلاد من الأولياء الأمجاد حتى وصل الى طوس وزار بها مشهد السيد الجليل المانوس نور حدقة البيتوك والمرضى الإمام علي الرضا . ومدحه بقصيدة غراء فارسية أذعت لها الشعراء الطوسية . ولظهور البدع فيها عجب الإرتحال والقيام الى تربة شيخ مشايخ الجام شيخ الإسلام الشيخ أحمد النامقي . فزاره ومدحه بمقطوعة فارسية بديعة . ثم دخل بلدة هراة من بلاد الأفغان واجتمع مع علمائها بالجامع . فجاروه في ميدان الإمتحان فوجدوه بحدراً لا ساحل له وأقر كل منهم بالفضل له . ولما رحل عنهم ودعوه بمسير أميال لما شاهدوه فيه من بديم الحال :

ومودم أمست هراة لذن ناي تبكي عليه بدمعها الهتان  
تمشي على أقدامها أشرافها وتود أن تمشي على الأجان

فسار في مفاوز يضل فيها القطا ويخفت قلب الأسد مخافة خوارج الأفغان المقتحمين مهالك السطا :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

حتى وصل قندهار وكابك ودار العلم پيشاور ، فاجتمع بجم غفير من علمائها الأكابر وامتحانوه من علم الكلام وغيره بمسائل رأوه فيها كالسيل الهائل والغيث الهاطل . ثم الى بلاد لاهور فسار منها الى قصبه فيها العالم النحرير والولي الوقور أخو شيخه في الطريق والإنباء الى مولاه الشيخ المعمر الولي ثناء الله

النقشبندي . فطلب منه الإمداد ببركة دعاه . (قال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) :

فبِتْ فِي تِلْكَ الْقِصْبَةِ لَيْلَةَ فَرَأَيْتَ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ قَدْ جَذَبَنِي مِنْ خَدِي بِأَسْنَانِهِ الْمُبَارَكَةَ يَجْرِنِي إِلَيْهِ وَأَنَا  
لَأَنْجِرَ فَلَمَّا أَصْبَحْتَ قَالَ لِي مَنْ غَيْرُ أَنْ أَقْصَ عَلَيْهِ الرَّؤْيَا : سِرُّ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى خِدْمَةِ أَخِينَا  
وَسَيِّدِنَا الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ مَشِيرًا إِلَى أَنْ فَتَوْحِي سَيَكُونُ عِنْدَ الشَّيْخِ الْمَقْصُودِ . وَهَنَالِكَ تَوَخَّذِ الْمَوَاطِئِ  
وَالْعَهْودِ وَتَنْجِزِ الْوَعُودِ . فَعَرَفْتَ أَنَّهُ قَدْ أَعْمَلَ هَمَّتَهُ الْبَاطِنِيَّةَ الْعَلِيَّةَ لِيَجْذِبَنِي إِلَيْهِ . فَلَمْ يَتَيْسَّرْ لِقْوَةَ  
جَاذِبَةِ شَيْخِي الْمَحْوَلِ فَتَوْحِي عَلَيْهِ . فَرَحَلْتُ مِنْ تِلْكَ الْقِصْبَةِ أَقْطَعُ الْأَنْجَادَ وَالْوَهَادَ إِلَى أَنْ وَصَلْتُ دَارَ  
السُّلْطَنَةِ الْهِنْدِيَّةِ دَهْلِي الْمَعْرُوفَةَ بِجِهَانِ أَبَادٍ بَعْدَ مَسِيرِ سَنَةٍ . وَلَقَدْ أَدْرَكْتَنِي نَفْحَاتُهُ وَإِشَارَاتُهُ قَبْلَ  
وَصُولِي بِنَحْوِ أَرْبَعِينَ مَرْحَلَةً وَهُوَ قَدْ أَخْبَرَ قَبْلَ ذَلِكَ بَعْضَ خَوَاصِ أَصْحَابِهِ بِوَفُودِي إِلَى أَعْتَابِ قِتَابِهِ ، أَمْ :

لَا تَنْكُرِ النِّفْحَاتِ إِنْ هِيَ أَسْرَعَتْ	مَنْ مَرَّ شَدَّهَا لِقَلْبِ مَرِيئِدِهِ
سِرَّ الشَّيْخِ إِذَا سَرَتْ أَنْفَاسُهُ	شَمَلَتْ فَوْادَ قَرِيبِهِ وَبَعِيدِهِ
لَا يَبْلُغُ الْمَجْذُوبُ غَايَةَ قِصْدِهِ	إِنْ هَامَ فِي تَيْسِهِ السُّلُوكِ بِبَيْدِهِ
إِلَّا إِذَا جَذِبَتْ مَوْلَاهُ قَلْبَهُ	نَفْحَاتِ أَرْبَابِ الْهُدَى مِنْ جَيْدِهِ

وليلة دخوله بلدة جهان آباد أنشأ قصيدته العربية الرنانة من بحر الكامل يذكر فيها السفر وسائلاً لمدم  
شيخه قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ الْأَنْوَرِ وَسَائِلًا مِنَ اللَّهِ الْقَبُولِ وَالشُّكْرِ عَلَى نِعْمَةِ الْوَصُولِ ، فَقَالَ :

كَمَلَتْ مَسَافَةَ كَعْبَةِ الْأَمَالِ	حَمْدًا لِمَنْ قَدَّمَ بِالْإِكْمَالِ
وَأَرَامَ مَرْكَبِي الطَّلِيمِ مِنَ السَّرَى	وَمَنْ إِمْتَوَارَ الْحَطِّ وَالتَّرْحَالِ
وَأَزَامَ عَنِّي قَيْدَ حُبِّ مِوَاتِنِي	وَعِلَاقَةَ الْأَحْبَابِ وَالْأَمْوَالِ
وَهَمُومِ أَمَهَاتِي وَحَسْرَةِ إِخْوَتِي	وَعَمُومِ عَمٍّ أَوْ خَبَالِ خَالِ
وَتَشَاخُتِ الْأَقْرَانِ فِي رُتَبِ الْعُلَا	وَمَلَامَةِ الْحُسَّادِ وَالْعَدَالِ
وَأَعَاذَنِي مِنْ فِرْقَةِ أَقْكَاتِهِ	وَأَجَارَنِي مِنْ أَمَةِ جُهِمَالِ
وَهُمْ رَوَافِضُ أَذْرَبِيَّةِ جَبَانَ الْأُولَى	هُمْ أَشْنَمُ الْمَخْلُوقِ فِي الْأَفْعَالِ
وَمُضْلِمَا الْكَاشِي إِسْمَاعِيلِ إِذْ	قَدْ حَارَ لَمَّا شَبَّ نَارَ جِدَالِ
سُحِقًا لَهُ مِنْ مَدَمٍ مَتَزَخْرَفِ	بُعْدًا لَهُ مِنْ مَنَكْرِ مِضْلَالِ
وَعُلَاةِ فُرسٍ فِي حَدِيثِ مَسْنَدِ	قَدْ بَشَّرُوا بِإِطَاعَةِ الدَّجَالِ
وَشَرُّ أَهْلِ الطُّوسِ مِنْ سَمَوِ الرِّضَا	وَنَفُوسِهِمْ سَمَّوْا أَحِبَّةَ آلِ
وَمَنْ هَمَزَارَةَ وَالبُلُوجِ ذَوِي الشَّقَا	وَتَمَرَّدِ الْأَمْرَاءِ وَالْأَقْيَالِ
وَمَنْ الْأَفْغَانَةَ الْأُولَى جَبَلُوا عَلَيَّ	خَوْضِ الْمَفَاسِدِ وَاقْتِحَامِ قِتَالِ
وَفَسَادِ قُطَامِ الطَّرِيقِ بِخَيْبَرِ	وَمَنْ الْمَجُوسِ وَمَا لَهُمْ مِنْ وَالِ
مَنْعُوا الْأَذَانَ دَعَايَةَ الْإِسْلَامِ إِذْ	ضَلُّوا وَخَاضُوا أَبْحَرَ الضَّلَالِ
وَهَجُومِ أَمْوَاجِ الْبِحَارِ زَوَاخِرًا	وَأَذِيَةِ الْمَكَّاسِ وَالْعَمَمَالِ
وَمَنْ الْمُتَلَثِّمَةَ الْعُلُوجِ وَطَفَاهَا	مَامَثَلَهُمْ فِي الْأَرْضِ عَالِ غَالِ
وَأَنَالِنِي أَعْلَى الْمَآرِبِ وَالْأَمَانِي	مَنْ لِقَاءِ الْمُرْشِدِ الْمَفِضَالِ
مَنْ نَوَّرَ الْأَفْئَاتِ بَعْدَ ظَلَامِهَا	وَهَدَى الْخَلَائِقَ بَعْدَ طَوْلِ الضَّلَالِ

الشاه غلام علي القرم الذي  
تمثيـله ماسـاغ إلا أنه  
هويم فضـل طود طول شـامخ  
نجم الهدى بدر الدجى شمس التقى  
كالأرض حلماً والجبال تمكناً  
عين الشريعة معدن العرفان  
قطب الطرائق قدوة الأوتاد بل  
شيخ الأنام وقبلة الإسلام صدر  
هاد إلى الأولي يهدى مختلف  
محبوب رب العالمين من اقتدى  
كم من جهول كان مكبول الموى  
كم من ولي كامل من صدّه  
كم منكر جلاله عنه لوى  
معطي كمال جميع أهل نقيصة  
أخفاه رب العرش جل جلاله  
يامن بمكة حوله در طائفاً  
ومبيت خيف دم وركض محسّر  
واسكن بذا الوادي المقدس خالفاً  
حجر مقامك بالمقام بلا صفا  
مالسعي ملتزم لغير رضائه  
من شام لمعاً من بروق دياره  
أنست من تلقاء مدين مصره  
فهجرت أهلي قائلاً لهم امكثوا  
ونوبت هجران الأحببة كلهم  
فطوى منازل في مسيرة منزل  
فنسيت أصحابي على ميثاقهم و  
من لي بتبليغ السلام لإخوتي  
سلب الهوى لبي فما في خاطري  
قد حان حين تشرقي بوصاله  
يارب لأحسبني ثناءك أنه  
والله لو أعطيت عمراً خالداً  
وأتيم لي في كل منبت شعرة  
وأميط عني النفس والشيطان كي  
فصرفت عمري كله في حمده  
ماأقدرن على كفاء عطية  
أين العطايا وهي غير عديدة

من لحظة يحي الرميم البالي  
ماناقش الأدباء في التمثال  
ينبوع كل فضيلة وخصال  
كنز الفيوض خزانة الأحوال  
والشمس ضوءاً والأسماء معالي  
والإحسان والإيقان والأفضال  
غوث الخلائق رحلة الأبدال  
للعضام ومـرجع الأشكال  
داع إلى المولى بصوت عال  
بهدها أصبح قدوة الأمثال  
نجاه من لحظ كحل عقاب  
قد صد عنه عجائب الأحوال  
فأذاقته المولى أشد نكال  
ومزيد نقص جميع أهل كمال  
في قبلة الإعراز والإجلال  
واهجر حجازاً إن سمعت مقال  
ومنى مني والرمي للأميال  
نعلي هو الكونين باستعمال  
من طوف حضرة كعبية الأمال  
مالطوف إلا حوله بحلال  
بمشام روض الشام كيف يبالي  
ناراً تهيج الببال بالبابال  
أرجع اليكم غب الإشتمال  
وركبت متن الأجرد الصمال  
وأها لجار سائح شملال  
مواعدي من فرط شوق جمال  
ويبسط غدر العذر والإهمال  
غير الحبيب وشوق وطيف وصال  
من لي بشكر عطية الإيصال  
سففه على من شم ريم زوال  
وتركت غير الحمد كل فعال  
ألفا لسان في ألوف مقال  
لايلهيان بخطر في الببال  
بشرا شرى أبداً بلا إهمال  
فضلاً عن التفضيـل بالإجمال  
كيف التشكر وهو بعض نوال

أم كيف أحمدُ ناظماً أو ناثراً  
سلب التجوُّز وهو أبلغ في الثنا  
إله الخلائق في نعوت كماله  
فالعجز نطقي والتحيير فكرتي  
فكما قضيت هنا في أشهر  
ووهبت إقداماً على طي الفلا  
ورحمتنا بالحفظ من أفاقها  
فارزق إله العالمين بحقه  
وأمدنا بلقائه وبقائه  
زد من حياتي في إطالة عمره  
وأجعلن مسعوداً بحسن قبوله  
زد كل يوم في فؤاد وقومه  
وأمتت مرضياً لديه وراضياً  
والحمد للرب الرحيم المرتجى  
ثم الصلاة على الرسول المجتبي

ذاتاً ترقّت عن حضيض خيال  
مني تقدّسه عن الأمثال  
سبحانه من خالق متعال  
ما ينبفي الآسكوت بحال  
طياً لبعده مسافة الأحوال  
ونزول غور وارتقاء جبال  
ومنحمتنا أمناً من الأحوال  
أدباً يليق بذا الجناب العالي  
وعطائه ونواله المتوالي  
أدم الوري بحماماه تحت ظلال  
وإمحت ما يرضيه من أعمال  
مادمت حياً في جميع الحال  
عنه يجدي مفاز مال  
القادر المتقدّس الفعّال  
خير الوري والصحب بعد الأهل

وما أثبتته هنا في روايتها هو الصحيح المعوّل عليه . وما وقع في ديوانه وغيره لا يخلو من عائلة التحريف في أكثر أبياتها فلا ينظر اليه . ثم مدحه بقصيدة فارسية أطنب فيها غاية الإطناب وأتى من المعاني المخترعة باللباب . ولوان لها محلاً من الإعراب لأوردتها في هذا الباب . وبعد وصوله تجرد ثانياً عن حوائج السفر وأنفقها كلها على المستحقين ممن حضر . ثم أخذ الطريقة العلية النقشبندية من حضرة الشيخ قدّس الله أسرارها الزكية واشتغل بخدمة الزاوية والذكر الملقن بفرط المجاهدة . فلم يمض عليه خمسة أشهر إلا وصار من أهل الحضور والمشاهدة وبشره شيخه ببشارات كشفية قد تحققت بالعيان ، وحلّ منه محل إنسان العين من الإنسان مع كثرة تصاغره بالخدم وكسره لدواعي النفس بالرياضات الشاقة وتكليفها خطم العدم . وماتت له سنة حتى صار الفرد الكامل المصفي الواصل الى المقام الأعلى والمشهد الأنور الأجلّى مع الرسوخ في الدراية والفناء والبقاء الأتمين ، والوصول الى مقام الولاية الكبرى بلا ميين . كما شهد له بذلك الشيخ قدّس سره عند أصحابه وفي مكاتباته المرسلة اليه بخطه المبارك بعد رجوعه الى العراق . فعند ذلك خلفه الخلافة التامة وأذن له بالإرشاد في الطرائق الخمسة العلية :

الأولى النقشبندية : بتلقيه لها عن رجال هذه السلسلة المسطرة الزكية .

والثانية القادرية : بتلقيه لها أيضاً عن سيدنا الشيخ جان جانان المظهر عن سيدنا الشيخ محمد عابد السنامي عن سيدنا الشيخ عبدالأحد عن والده الشيخ محمد سعيد خازن الرحمة عن والده سيدنا الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي المعروف بالإمام الرباني مجدّد الألف الثاني عن سيدنا الشاه سكندر عن سيدنا الشاه كمال الكيتاهلي عن سيدنا الشاه فضيل عن سيدنا السيد كدا رحمان الثاني عن سيدنا شمس الدين عارف عن سيدنا كدا رحمان الأول عن سيدنا شمس الدين الصحراني عن سيدنا السيد عقيل عن سيدنا السيد بهاء الدين عن سيدنا السيد عبدالوهاب عن سيدنا السيد شرف القتال عن سيدنا السيد عبدالرزاق عن سيدنا السيد الشيخ عبدالقادر الكيلاني عن سيدنا أبي سعيد المخزومي

عن سيدنا الشيخ أبي الحسن الهنكاري عن سيدنا الشيخ أبي الفرج يوسف الطرسوسي عن سيدنا الشيخ عبدالواحد بن عبدالعزيز اليميني عن سيدنا أبي بكر الشبلي عن سيدنا وسيد الطائفة الجنييد البغدادي عن سيدنا السري السقطي عن سيدنا معروف الكرخي عن سيدنا الإمام علي الرضا عن سيدنا الإمام موسى الكاظم عن سيدنا الإمام جعفر الصادق عن سيدنا الإمام محمد الباقر عن سيدنا الإمام زين العابدين عن سيدنا الإمام حسين عن سيدنا الإمام حسن عن سيدنا الإمام علي المرتضى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والثالثة السهروردية : بتلقية لها عن سيدنا جان جانان مظهر الشهيد عن سيدنا الشيخ محمد عابد عن سيدنا الشيخ عبدالأحد عن سيدنا الشيخ محمد سعيد عن سيدنا الإمام الرباني مجد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي عن سيدنا الشيخ عبدالأحد عن سيدنا الشيخ ركن الدين الكنكوهي عن سيدنا الدرويش محمد بن قاسم الأودهي عن سيدنا الشيخ بدهن البهرايجي عن سيدنا الشيخ أجمل عن سيدنا الشيخ جلال الدين عن سيدنا الشيخ ركن الدين عن سيدنا الشيخ صدرالدين عن سيدنا الشيخ بهاءالدين زكريا الملتاني عن سيدنا الشيخ شهاب الدين السهروردي عن سيدنا الشيخ ضياءالدين أبي النجيب السهروردي عن سيدنا الشيخ وجيه الدين عبدالقادر السهروردي عن سيدنا الشيخ عبدالله عمويه عن سيدنا الشيخ يارمحمد عن سيدنا الشيخ أحمد الأسود الدينوري عن سيدنا الشيخ ممشاد الدينوري عن سيد الطائفة الجنييد البغدادي عن سيدنا السري السقطي عن سيدنا معروف الكرخي عن سيدنا داود الطائي عن سيدنا حبيب العجمي عن سيدنا الحسن البصري عن سيدنا علي المرتضى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والرابعة الكبرى : بتلقية لها عن سيدنا جان جانان عن سيدنا نورمحمد البداوني عن سيدنا سيف الدين عن والده سيدنا الإمام المعصوم عن والده سيدنا الإمام الرباني عن والده سيدنا الشيخ عبدالأحد عن سيدنا الشيخ ركن الدين عن سيدنا الشيخ عبدالقدوس الكنكوهي عن سيدنا الشيخ الدرويش محمد عن سيدنا الشيخ بدهن أحمد الجوينوري عن سيدنا الشيخ حميدالدين السمرقندي عن سيدنا الشيخ شمس بن محمود عن سيدنا الشيخ أبي عطار عن سيدنا الشيخ أحمد سيد عن سيدنا باباكمال عن سيدنا الشيخ نجم الدين الكبرى عن سيدنا الشيخ عمار الياس عن سيدنا الشيخ أبي النجيب السهروردي عن سيدنا الشيخ أبي بكر الخير النساج عن سيدنا الشيخ أبي القاسم الكركاني عن سيدنا الشيخ أبي عثمان المغربي عن سيدنا الشيخ أبي علي الكاتب عن سيدنا الشيخ أبي علي الرودباري عن سيدنا الجنييد البغدادي عن سيدنا السري السقطي عن سيدنا معروف الكرخي عن سيدنا الإمام علي الرضا عن سيدنا الإمام موسى الكاظم عن سيدنا الإمام جعفر الصادق عن سيدنا القاسم بن محمد عن سيدنا سلمان الفارسي عن سيدنا أبي بكر الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والخامسة الجشتية : بتلقية لها عن عن سيدنا جان جانان المظهر عن سيدنا الشيخ محمد عابد عن سيدنا الشيخ عبدالأحد عن سيدنا الشيخ محمد سعيد عن سيدنا الإمام الرباني عن والده سيدنا الشيخ عبدالأحد عن سيدنا الشيخ ركن الدين عن سيدنا الشيخ عبدالقدوس عن سيدنا الشيخ محمد عارف عن سيدنا الشيخ أحمد عارف عن سيدنا الشيخ عبدالحق الردولوي عن سيدنا الشيخ جلال الدين الپاني پتي عن سيدنا الشيخ شمس الدين الترك الپاني پتي عن سيدنا الشيخ علاءالدين بن علي صابر عن

سيدنا شيخ الإسلام الشيخ فريدالدين كنج شكر عن سيدنا الشيخ قطب الدين بختيار الكاكي عن سيدنا الشيخ معين الدين حسن السبجزي الجشتي عن سيدنا الشيخ عثمان الهاروني عن سيدنا الشيخ شريف الزندني عن سيدنا الشيخ مودود الجشتي عن سيدنا الشيخ ناصرالدين يوسف الجشتي عن سيدنا الشيخ أبي محمد الجشتي عن سيدنا الشيخ أبي أحمد أبدال الجشتي عن سيدنا الشيخ أبي إسحق الشامي عن سيدنا الشيخ ممشاد علو الدينوري عن سيدنا الشيخ هبيرة البصري عن سيدنا الشيخ الشيخ حذيفة المرعشي عن سيدنا الشيخ إبراهيم بن أدهم عن سيدنا فضيل بن عياض عن سيدنا عبدالواحد بن زيد عن سيدنا الحسن البصري عن سيدنا علي المرتضى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأجاز له رواية جميع ما يجوز له روايته من حديث وتفسير وتصوّف وأحزاب وأوراد .

(واجتمع) بإشارة من الشيخ بالعالم المحدث الواعظ الصوفي صاحب التأليف النفيسة في التفسير ومترجم "التحفة الإثنى عشرية" التي ليس لها في الرد على الروافض نظير ، الشيخ المعمر المولى عبدالعزيز الحنفي النقشبندي ، نجل العالم العامل المسند المحدث الفاضل صاحب كتاب "القول الجميل في سواء السبيل" الشيخ ولي الله ابن العارف الشهير الشيخ عبدالرحيم النقشبندي الحنفي - أحد أصحاب المرشد الكامل السيد عبدالله خليفة الشيخ الكامل آدم البنوري خليفة الإمام الرباني قدس الله تعالى سره . فأجاز له رواية الكتب الستة وبعض الأحزاب وكتب له إجازة لطيفة وصفه فيها بقوله : "صاحب المهمة العلية في طلب الحق" . ثم أرسله الشيخ قدس الله سره بأمر مؤكد لم يمكنه التخلف عنه الى بلاده ليرشد المسترشدين ويربي السالكين بأنقن إرشاده وشيعه بنفسه نحو أربعة أميال عن جهان آباد . فسار في طريق البر والبحر خمسين يوماً لايفتدي بغير الحضور والذكر ، حتى خرج من بندر مسقط الى نواحي شيراز وأصفهان يعلن الحق أينما كان . وكثيراً ما تجتمع بعض الروافض لضربه وقتله بعد عجزهم عن أجوبة أدلة عقله ونقله . فهجم عليهم بسيفه البتار فنكصوا على أعقابهم وولّوا الأدبار . ثم أتى همدان وسندج فوصل السليمانية سنة ست وعشرين ومائتين وألف . فاستقبله أعيان وطنه بكمال الإحتفال والإحتفاء . وقدم في تلك السنة بإشارة من شيخه بلدة الزوراء ليزور الأولياء أيام وزارة المرحوم سعيد باشا ابن سليمان باشا . فنزل في زاوية الغوث الأعظم سيدنا الشيخ عبدالقادر الجيلي رضي الله عنه وابتدأ هناك بإرشاد الناس على أحكم أساس . فمكث نحو خمسة أشهر ثم رجع الى وطنه بشعار الصوفية الأكابر مرشداً في علمي الباطن والظاهر .

### فساد الحساد

ولما اطردت سنة الله في الذين خلوا من قبل أن يجعل حساد الكلك من تفرّد بالفضل ، وكلما كان الكمال والمحبووية الإلمية أشد ، كان الإنكار والحسد أشد . هاج عليه بعض معاصريه ومواطنيه بالحسد والعدوات والبهتان ووشوا عليه عند حاكم كردستان بأشياء تنبو عن سماعها الأذان ، وهو بريء منها كلها بشهادة البداة والعياض :

قل لقوم حسدوه سؤدداً      كم رأينا من شريف حسدا  
فتسامى للمعالي وهووا      تحت رايات علاه سجداً  
فلم يقابل صنيعهم إلا بالدعاء لهم وحسن الصنيع ، فلم تخب نارهم ومازاد إلا شرهم وشرارهم :  
كل العداوات قد ترجى إزالتها      إلا عداوة من عاداك عن حسد

فخلّاهم وشأنهم في السليمانية ورحل الى بغداد سنة ألف ومائتين وثمانية وعشرين مرة ثانية . ونزل في المدرسة الإحسانية الأصفهانية وعمرها بعد الخراب بالعلوم والأدكار أناء الليك وأطراف النهار . فألف أحد المعروفين من المنكرين ( هو معروف البرزنجي الأتي ذكره ) الذي تولى البهتان كبيراً وغروراً رسالة ملئت منكرات من القول وزوراً وأرسلها مع سعاة الفساد الى سعيد باشا والي بغداد . متخذين الجراءة فيها على تكفيره لتنفيره منه سبباً ( كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ) فلما قرأ الوزير الرسالة المذكورة ألقاها من يده وقال : " إن لم يكن حضرة الشيخ خالد مسلماً فمت المسلم ؟ سبحان الله ما صاحب هذه الرسالة إلا مجنون أو أعمى الله تعالى بصيرته من شدة حسده نعوذ بالله نعوذ بالله " . وأمر بعض العلماء برد ذلك الافتراء . فابتدب له عمدة علماء الملة الشيخ محمد أمين أفندي مفتي الحلة بتأليف رسالة طعن بأسنة أدلتها إجازهم . فولت لهم الأدبار لا ينصرون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، وختمت باختام علماء بغداد وأرسلت الى المنكرين . فسلكتهم بالسنة حداد فإنطفت نارهم وإنطمست آثارهم :

من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضيغ

ورجم بعد هذه الأمور الى السليمانية محفوفاً بالكلمات الإحسانية . ذكر أكثر ذلك العلامة الشيخ محمد بن سلمان البغدادي النقشبندي في " الحديقة الندية " . وإنما اخترتها مع أسبابها تيمناً بتعلق نظر حضرة مولانا بها كما أثبتته سيدي الجد الأجد في خطبة البهجة السنية .

( قلت ) ثم اعترف معروف بإفترائه وتشقّم اليه قدّس سرّه مع جملة أحبائه فقبل به شفاعتهم وكتب له ما أوجب مسرتهم . ونصّه :

" من العبد المسكين والفقير المستكين الى جناب سيدي الجامع لشرفي العلم والأدب ، الحائز لكرامتي الحسب والنسب سيدنا ومولانا معروف سامحه بفضل الكريم الرؤوف ( وبعد ) ؛ فقد بلغني ما وصّيتم به أخي ملا حسين القاضي وأمرتموه بتبليغه إلينا من حسن العبارات ولطائف الإشارات ، ثم ما ألقينتموه مع قرة عيني العالم العامل السيد إسماعيل من مكارم الأخلاق والإشتياق الى التلاق وإظهار الأسف على ما صدر منكم في حق الفقير على سبيل الإتفاق بسعاية أرباب الأغراض وأهل الشقاقت ، والإعتذار عن جميع ما جرى به اليراع في رسالتكم المعهودة الناشئة عن تقليد الوشاة وعن عدم الإطلاع . المهيجة عند بعض عوام المريدين لفرط الوحشة وشدة النزاع الحاكمة على هذا المسكين بأمر تنبو عن استماعها الأسماع من إستحلال المحرّمات والكلمات الدالة على الكفر وداعية الإستيلاء على القبايع ، وغير ذلك مما لا يليق بشأن الأوغاد والرعام وتفصيله لا يخفى على ذهنكم الوقاد وطبعكم النقّاد . وإني لبريء عما نسبتم إليّ من فنون المثالب والفساد والإفساد وأمرتم السيد المذكور أن يستكتب مني الوكة تنطق ببراءة الذمة من جميع ما صدر وغبر وجرى به القلم بمقتضى القضاء والقدر لتصير مفتاحاً لأبواب الإنثلاف ومصباحاً لدياجير المرء والخلاف . وبلغني من السفسيريّ تصميمكم على الإمساك فيما بعد عن أمثال ما مضى من النزاع والمناصرة ، وملأفة ما فات بطيب التحاب وحسن المعاشرة ، وتبديل المعارضة والمنافرة بالمفاكحة والمسامرة . فسرتني هذه الحكاية غاية المسرة وحمدت الله تعالى على هذه النعمة مرّة بعد مرّة ، شكراً لمن بدل الشقاقت بالإتفاقت وهياً أسباب الوصول بعد طول فراق أدامنا الله على هذه النية وأتم لنا بمئة هاتيك الأمنية . ثم الأمر بإرسال



المكتوب إمتثلناه وهو أحسن المطلوب ونريد جوابه على أبلغ أسلوب . وأما الإبراء فهو يصدر مني ليلاً ونهاراً وأفصحت به في المحافل جهاراً كما قرع سمعكم مراراً . وأما حب الإلتنام وترك الإختلاف فأمر يشتاق إليه أهل الإنصاف . فيمكن بمن يدعي له قدم في طريق التصوف ولو بالجداف ، ولا يخفى عليكم أن السبب الأصلي لهذه الوحشة إنما هو ترك التردد وتقليد أقوال الناس . فإن صمّ م ابلغني عنكم فعليكم بالإعراض عن الكلمات المؤدية الى الشك والوسواس ، فإن أحوال أهل الفقر وراء العقل والعلم يدرك بالقياس . وبعد اللتيا والتي يضمن لك هذا المسكين أن ثبت قدمك وما طغى قلمك بعد اليوم أن ترى نتائج لا يحمل أكثرها السفير وتزيد على حوصلة التقرير والتحريير :

ومن بعد هذا ما تدق صفاته وما كتبه أحظى لدي وأجمل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"

وأخبرني الوالد الماجد انه وقع لحضرة مولانا خالد وهو في دمشق الشام نظير ما وقع له في بغداد من بعض الفنام . وذلك انه كان أرسل من أتباعه رجلاً اسمه عبدالوهاب السوسي لبحث الطريقة العلية في دار السلطنة السنية ، فمالبث أن اعتقد فيه شيخ الإسلام وجمهور علمائها ووزرائها العظام ، فزاع بصره ومال الى حب الشهرة . فبلغ أمره الشيخ ، فاستحضره واستخلف غيره واستتابه . فأضمر المكر وأظهر الإنابة . فأطلعه الله على جلية أمره بأن وصل اليه مراسلات بخطه الى القسطنطينية تُنبئ عن مكره . فطرده طرداً عاماً من طريقته وكتب بقلمه المبارك ثلاثة كتب الى إخوانه في دار الخلافة بحقيقته ، ونص الأول :

"بعد السلام من العام الأول الفقير تيرات من عبدالوهاب لما ظهر منه من الأمور المخالفة للطريقة والشريعة ، وإنه صار سبباً للدسائس التي اختلقها المتشيعون حتى توهم كثير من الناس في حقنا أموراً لاتليق بأردال العوام . وأردت أن أكتب هذا الى الأستانة العلية صينت عن البلية ليعلم الناس انه مطرود عن الطريقة ، فلايلتفت اليه أحد لنلا يصير مظهر الجلال سادات الطريقة البهية البهائية . فتوسل بي وجعل روحانية مشايخ السلسلة شفيحاً أن لاأكتب هذا وحلف الأيمان المؤكدة أنه يكتب هذا المضمون بخطه . ثم ظهر أنه بلغ تقريراً مع بعض المرسلين من طرفه وتحريراً الى بعض المخلصين أنه كان بعض إخوانه في الطريقة إفتروا عليه عندي . ثم ظهر إفتراؤهم لدي وإنه صار هو مثل الأول وأكثر حتى أت بعضكم ترك طلب الدعا والمكاتبة الى بعض أهل الطريقة رعاية لجانبه والمرء يعذر لجهله . فالآن أخبركم بأني وجميع رجال السلسلة تيرانا من عبدالوهاب ، فهو مطرود عن الطريقة . فكل من تصادق معه لأجل الطريقة فليترك مصادقته ومكاتبته وإلا فهو بريء من إمداد هذا الفقير وإمداد السادات الكرام . ولأرضى أن يكتبني ولا أن يستمد همتي بعد وصول هذا المكتوب اليه وأنت مأمور بإيصاله الى كل مخلص . فمَن كان يريد الطريقة فليظهر البراءة منه ومَن كان يريد نفسه فلايلومن إلا نفسه إذا هلك مع الهالكين ."

ونص الثاني :

"بسم الله الرحمن الرحيم . من العبد الفقير خالد النقشبندي الى منظوره فلان سلام يرجى وصوله ودعاء يؤمّل قبوله ، أما بعد . فليكن معلوماً لكم أنّ عبدالوهاب رجل أخلّ بكثير من أصلي الطريقة والشريعة ، وجعل نور الولاية الى جلب جيفة الدنيا والإعتبار عند أهلها ذريعة ، وصار سبباً في الأستانة العلية صينت عن البلية وفي العراق وغيرها إنكار الناس . وتولّد من حركاته الأوهام والوسواس وأكثر

ما صدر منه سبب تعظيم جنابك له مع المبالغة التي أوردته مورد الغرور . وترك من حقوق تربيتي عليه وظلمت منه المخالفة الكثيرة غاية الظهور . فصدرت الإرادة الإلهية بطرده عن الطريقة لأسرار لاتخفى على أهل البصائر . والغرض أنني ما أَرْضَى بعد وصول هذا المكتوب اليك أن تخاطبه بنقير ولا تطمير ، والآ فلا يبقى لك علاقة مع سادة السلسلة ولا مع هذا الفقير . فأخبرتكم رعاية لحق محبتك لئلا يصيبك مكروه . ولا ينبئك مثلُ خبير وسائر المخلصين والأحباب مخاطبون بعين هذا الخطاب والسلام ."

ونص الثالث :

"بسم الله الرحمن الرحيم . من العبد المسكين خالد النقشبندي الى جماعة الإخوان . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد . فاعلموا انه ظهرت الإرادة الإلهية بطرد عبدالوهاب عن هذه الطريقة العلية . فلاتذكروا اسمه في الختم والسلسلة فإنه خلاف رضاء السادة الكبار . ومن توقف من المأذونين بختم الخواجان في هذا فليترك الختم . وليس من عادتي أن أكتب بنفسي طرد أحد ، لكن بسبب كثرة دسائس عبدالوهاب خفت إذا أمرت أحداً بالتحريم اليكم من أن يبلغكم أن الكاتب لم يكتب برضا فلان ، وإنما كتب ما كتب عن حسده وهواه . فأخبرتكم بخطي لئلا يبقى عندكم ريب . وكل من بقي له أدنى علاقة معه حساً ومعنى فقد بريء من إمداد الفقير ومشايخه ، ومن أنذر فقد أعذر ولا ينبئك مثل خبير وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا البشير النذير ماهبت القبول وصار مريداً لأهل الطريق ومورد الرد والقبول . إنتهى ."

فطارت عنه تلك الأنوار وذهبت وضاعت عليه الأرض بما رحبت . فنزح الى المدينة المنورة واجتمع على بعض الفجرة :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طُويت أتاح لها لساناً حسود

ولفقوا من قول الزور والبهتان رسالة بتكفيره لما زعموا بأنه يدعي رؤية الجان وأرسلوها الى دمشق مع أحد هوام الأكراد العوام يقال له إسماعيل الزلزومي . فلما وصل اليه توسل بعض خدام الشيخ بكل وسيلة جميلة واستحضرها لحضرته الجليلة ليظهر عليها . فطار خبرها الى والي الشام فأمر بتشهيره في البلدة وتعزيره . فمروا به وهو كذلك من تحت قصر الشيخ قدس الله سره . فحانت منه الى الطريق نظرة فأمر بتحويله الى رحابه وتطهيره وتخويله حلة من ثيابه وأدناه منه . فقبل الرجل رجله ، فعفا عنه . (وانتهض) علامة المحققين أمين فتوى الشام السيد الشيخ محمد أمين عابدين - وكان من أخص أحبائه المعتقدين رحمه الله تعالى - لتأليف رسالة في الرد على أولئك المعتدين سماها "سل الحسام الهندي لنصرة مولانا الشيخ خالد النقشبندي" . فحسم ذلك الحسام دعواهم وقصم ظهورهم وقواهم وخذل من نصرهم وأواهم (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) .

(ونظير ذلك) ما كتب بعض مشايخ حلب الى ساكن الجنان السلطان الغازي محمود خان يحذره على مملكته من قوة شوكته بما حشد من العدد والعدد . فكاد أن يسبق السيف العذل ويبلغ الكتاب الأجل لولا أن ألهمه الله عز وجل . فاستشار في ذلك الإمام الممام مكي زاده مصطفى عاصم أفندي شيخ الإسلام . فقال له يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) . فأرى أن ترسل لإستكشاف حاله معتمداً وليتلف ولا يشعرت به أحداً .

فأنفذ إليهم رجلين قد تحلّيا بحلية درويشين جليلين . فلما وصلا إليهم وقد أخفيا الأمر وأظهره الله عليه أحسنَ لهما الوفادة وأكرمهما فوق العادة ودعاهما إلى طعامه قدّسَ اللهُ سرَّهُ . وأطلعهما بوسيلة تأخر الطعام وتسليتهما برؤية كيفية بيوت الشام على مساكن داره حجرة حجرة . فلما لم يجدا فيهنّ سوى أثاث الإقامة ، علما أنّ ذلك منه أكبر كرامة . فقبّلا قدميه وأوضحا الأمر إليهم وأخذا عنه الطريقة العلية وأبيا أن يرجعا إلى القسطنطينية . فقال بك الأولى أن تعودا فتفيدا حضرة السلطان ما أرسلتما إليه ، ومَن شاء فليرجع بعد فلا جناح عليه . فلما رفع الرجلان صحة الأمر إلى السلطان حمد الله عزّ وجلّ وشكر شيخ الإسلام على ما فعل . ثم عاد أحدهما إلى خدمته وتوفى ودُفِنَ بدمشق في تربته .

### عوداً على بدء

ثم لما رجع كما تقدم إلى السليمانية ومعها الخلفاء من فحول علماء بغداد وغيرهم وعليهم أبهة الأنوار الفهوانية ، ورأى أميرها محمود باشا ابن عبدالرحمن باشا طاب ثراهما ما جُبِلَ الشيخ قدّسَ سرّه عليه من إقبال العباد من كل البلاد إليه والتجائهم إلى مقامه واغتنائهم بإنعامه الروحاني والجسماني ، بنى له زاوية ومسجداً ليكونا للعلوم والمعارف مصدراً ومورداً وتحرّى أوجه الخلل للنفقة في ذلك ورتّب الرواتب الكافية لكل طالب مواظب بها وناسك سالك . فأبى الشيخ ما أجراه فألحّ عليه حتى أرضاه . فشرع بالإرشاد كما أرشد في بغداد فأقبلت إليه أهل الهمم كالعالم الرباني الشيخ إسماعيل الشيرازي ، والفاضل الكامل الشيخ أحمد الاغربوزي وغيرهم من أقصى البلاد أهدأً ومن أقربها من لا يحصون عدداً . فطُفِقَ يربّي سالكهم ويرشد ناسكهم ويدرس كافة العلوم ويحيي رسوم الأولياء وأولياء الرسوم ، لا يشغله الخلق عن الحق ولا الجمع عن الفِرَق ، حتى أصبح بابيه محط رحال الأفاضل ومخيم أهل الحاجات والمسائل . وقد مدحه أدباء عصره وقتنذ بقصائد فرائد عربية وفارسية ومؤلفات بديعة الأسلوب تأخذ بمجامع القلوب . فمن النوع الأول قصيدة صاحب "الحديقة الندية" القافية القافية التي أوردتها سيدي الجد في "البهجة السنية" :

تبدّت لنا أعلام الهدى حقاً      فصار لشمس الدين مغربنا شرقاً

وهي طويلة جميلة تدل على براعته النبيلة وغيرها من المدائح الجليّة . ومن النوع الثاني كتاب "أصفي الموارد من سلسال مولانا خالد" للعالم والأديب والمنشيء الفريب الشيخ عثمان بن سند النجدي البغدادي . فإنه شحنه بالقصائد الباهرة والفقر الزاهرة ، غير أنه مازاد على ما ذكره الشيخ محمد بن سليمان في الحديقة الندية في ترجمة أحوال حضرة مولانا قدّسَ سرّه . وقد تصفحته كله ونقلته من نظمه هنا بعض أبيات لطيفة في الجملة ورأيت من أحسن ما فيه قوله :

وأدر لي من سُلّاف القوم جاما  
خبراً تفصم رياه الخزاما  
ضمّوهن مع الصبح السلاما  
وسط القلب وهم فييه كلاما  
لثمك الترب لهم يُشفي السقاما  
أن يمست الثفر للحب الرغاما  
لم يمّت في حب من يهوي المراما  
تحیی عرفاناً وإن ذقت الحماما

أيها اللائم دم عنك الملاما  
وارو لي من نشر أخبارهم  
واسأل الأروام أن يهـببت هل  
إنني شب بهم إذا أثخنوا  
عفر الخد على ما وطنوا  
إن عزّ الصب في شرع الهوى  
مُت بمن أحببت لم يدرك فتى  
إن تمّت في حب من أحببت

فُرْزُ بِاقْبَالِ عَلَيْهِمْ تَلَقَّهْمُ  
فَازَ بِالْإِقْبَالِ مِنْهُمْ شَيْقُ  
يَاخْلِيلِي بِسَلْمِ أَسْمَادَا  
إِنْ أَجْفَانَا أَسَامُوا بِالْحَشَا  
يَارَعَى اللَّهَ أَوْيَقَاتًا مَضَتْ  
إِذْ لِيَالِينَا قَصَارَ بِهِمْ  
فَقَضَى الدَّهْرَ بِابِعَادِهِمْ  
يَا أَوْيَقَاتًا قَدَامًا لِي ارْجِعِي  
أَرْجِعِي لِي زَمَنًا بِالْمَنْحَنِ  
زَمَنًا قَضِيَّتَهُ فِي قَرَبِهِمْ  
لَأَتَحَاشَى فِي التَّصَابِي نَفْرَا  
أَنَاظِمًا أَنْ لَوْصَلَتْ مِنْهُمْ  
لِذَلِكَ خَلَمَ عِذَارِي فِيهِمْ  
شَامَ طَرْفِي بَارِقًا مِنْ صَوْبِهِمْ  
نَفِدَ الصَّبْرَ وَمَا لِي جَلَدُ  
قَسَمًا مَاسَامَ أَذْوَادِ الْكُرَى  
قَلْبِي الْمَضْنَى أَمَا هُمْ أَرْتَعُوا  
وَهُمُ السَّاقُوكَ كَأَسَا لَوْ سَقُوا  
لَاتَحَدُّ عَنْ مَهِيمٍ قَدِ أَوْضَحُوا  
أَوْ سَمَّوْهُ لِكِرَامٍ هَجَبُوا  
جَرَدَ وَاللَّهِ مِنْ نِيَّاتِهِمْ  
أَعْمَلَ الْعَيْسَ الْمِرَاقِيكَ إِلَى  
كَمْ قَرُوا اللَّهَ مِنْ ضَيْفٍ سَرَى  
لَمَعَتْ فِي طَرْفِي نَارٌ لَهُمْ  
وَنَحَاهَا يَقْتَتِفِي أَثَارَهَا  
لَاعَجَبُ إِنْ نَارًا أَوْقَدُوا  
فَهِيَ نَارٌ وَهِيَ بَرْدٌ لِلْحَشَا  
لَاتَلَمَّ مِنْ أَسْكَرَتْ أَحْبَابَهُمْ  
إِنْ أَحْبَبُوا وَاللَّهِ إِنْ أَسْكَرَتْ  
فَاسْقِنِيهَا سَحْرًا وَاللَّيْلَ قَدِ  
أَوْ إِذَا مَا لَفَجَرَ أَبْدَى غَيْرَةً  
وَأَدْرَهَا فِي أَنَاسٍ خَلَعُوا  
وَاسْتَدَارُوا وَأَوْلَهُمْ قَطْبَ إِذَا  
جَبَلًا تَحْسَبُهُ فِي حَلْقِهِ  
رُتْبَةً قَدِ أَكْسَبَتْ أَبْهَةً  
قَالَ لِلدُّنْيَا أَبْعِدِي إِنِّي إِمْرُؤُ

سَادَةٌ يَلْقَوْنَ بِالْبِشْرِ كِرَامًا  
لَمْ يَسِمِ فِي رَوْضَةِ الْجَفْنِ مِنْمَا  
مَقَلَّةٌ تَسْبِقُ بِالْوَدْقِ الْغَمَامَا  
فَتَقَّتْ مِنْ حَبَّةِ الْقَلْبِ الْكَمَامَا  
وَعَقُودَ الْوَصْلِ قَدِ رُقَّتْ إِنْتِظَامَا  
وَأَمَانِينَا يُولِينِ الزَّمَامَا  
وَسَقَانَا لِلضَّنَا جَامًا فَجَامَا  
وَأَدِيرِي مِنْ صَفَاهُمْ لِي الْمَدَامَا  
إِذْ وَجُوهَ الْعَيْشِ يَغْرِبُنِ إِبْتِسَامَا  
يَغْبِقُونِي الْأَنْسَ كَهْلًا وَغَلَامَا  
نَقَلَ السَّلْوَانَ أَوْ ذَامَ وَالْمَامَا  
مَرَجِعَ لِلْحَبِّ أَيَامًا قَدَامَا  
فَبِخَلْعِي لِعِذَارِي أَتَسَامِي  
فَحَكَى الْمَزْنَ إِنْهَمَارًا وَإِنْجَامَا  
مَذْ نَضُّوا عَنْ وَجْنَةِ الْمَجْرِ اللَّثَامَا  
فِي رَبِي طَرْفِي لَدُنِ اللَّيْلِ شَامَا  
فِي رَوَابِيكَ مِنْ الْوَجْدِ سَوَامَا  
جَبَلِي نَعْمَانَ مِنْ فِيهَا لَهَامَا  
وَنَفَّوْا عَنْهُ رِعَاءًا وَلِنَامَا  
زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَأَوْلُوهَا إِنْطَامَا  
أَوْجَهًا تَهْدِي إِلَى اللَّهِ الْأَنَامَا  
رَبِّعَهُمْ تَلَفَّهُمْ حَيًّا كِرَامَا  
لَاظِمًا بِالْعَيْسِ بِاللَّيْلِ الْأَكَامَا  
مَذْ رَأَاهَا شَقَّ بِالْعِزْمِ الظَّلَامَا  
مَبْرَدًا بِالقَرَبِ لِلْقَلْبِ الضَّرَامَا  
قَرَبَهَا يَطْفِيءُ لِلصَّبِّ الْأَوَامَا  
فَتَنْوَرُهَا مَتَى إِشْتَقَّتْ إِلَى مَا  
قَلْبِهِ الْمَضْنَى فَا مَسَى مَسْتَهَامَا  
قَرَقَفَ القَرَبِ إِلَى مَوْلَى تَسَامَا  
نَظَمْتَ يَمْنَاهُ لِلزَّهْرِ النِّظَامَا  
أَشْبَهْتَ مِنْ خَالِدِ الْفَضْلِ إِبْتِسَامَا  
مَذْ حَسَّوْا مِنْهَا عَنْ الشَّرَابِ إِحْتِشَامَا  
صُرْمَ القَوْمِ مِنَ السُّكْرِ إِسْتِقَامَا  
وَهُوَ كَالسَّحْبِ إِذَا مَرَّتْ تَرَامَا  
وَاحِدًا فَاقَفَ بِمَا فِيهِ لَهَامَا  
مَنْمَ الْأَلْمَاطِ أَنْ تَرْنُو الْحَطَامَا

بذل الروم لإحياء الهدى  
 عفت ما يفنى لما يبقى فلي  
 مازج التوحيد مني خلداً  
 لم يرم قلبي مذ صم الموى  
 رام مني مهجةً أهرقها  
 مذ سقاني قهوةً أسكرني  
 هو أفناني وأبقاني فمما  
 من يذق مما سقاني نغمة  
 دونكم يأهل عصري مشرباً  
 فردوه واحتسوا من خمرة  
 قدمته يد سري فارشفوا  
 فأجابوا صوت داعية الي  
 زمراً تتلو اليه زمراً  
 فتخلفت لحظ قاءد  
 غيبر أني أتمنى أن أرى  
 إذ سرت لي من صبا أنفاسه  
 أيهما الداعي الي الله أزم  
 صبك المضى فلو أسمدته  
 إن تسليمك يحيي رمقاً  
 لاتؤاخذك لحرب صدّه  
 ولك الفضل عليه ماسرى

وقوله :

ليالينا بالرقميتين وحاجر  
 مضى فيك أنس رق صم باؤه لدن  
 سقانا زجاج الحب قرقف مشرب  
 فنينا عن الأشباح حتى كأننا  
 هوى دق معناه دعانا برمزه  
 فلباه منا كل من رق شوقه  
 لقد ضمنتنا مقلة الحب ماقها  
 صفونا فلا أقداء في ما أداره  
 فلذاتنا في الحب أمست أفالها  
 وكم لامنا فدم الطبام ولو درى  
 عذيري ممن لامني في سلاقة هي  
 مشعشة أبدت حبابا هو التقى  
 بها نفس مقتول الموى تعشقت  
 هم رشف فوها والظلام رواقه

وثني عن مورد الغي اللجاما  
 هممة تطلب مايسمو مقاما  
 شم نبراساً لما فيه أقاما  
 غير ما ود الذي أصبى وراما  
 ما أرى الوجد به إلا حساما  
 وأراني كل مارمت إماما  
 ألف الإفناء والإبقاء التماما  
 ينظر الحق ولا خلق تسامى  
 ندب السلاك أن يسمعوا الي ما  
 قدم ماملك القدم الفداما  
 فعلام البعد عن خمري علاما  
 رشف ما يذهب للقلب الأواما  
 كلهم خاض له البحر وعاما  
 عن رنوى ذلك البدر التماما  
 ذلك النور وإن كان منامنا  
 نحة رقت فهاجت لي الغراما  
 برنو عن حشا الصب السهاما  
 كنت أرسلت مع الريح سلاما  
 منه فابعثه لي بقى مستهاما  
 وخطوب أوهنت منه العظاما  
 منك رشد يبهرك المسك ختاما

سقاكن تجاج الرضا بالمواطر  
 نزلت للذات الموى بالنواطر  
 سكرنا بها عن كل باد وحاضر  
 من الراح أروام وأوهام خاطر  
 الي رشف صهباء له بالخواطر  
 وعاناه منا كل صاقي السرائر  
 فها كلنا للحب إنسان ناظر  
 علينا من الصهباء أطف دائر  
 رواتم في روض من الأنس زاهر  
 بمحبوبنا ألقى لنا بالمعاذر  
 الروم بك واللب من جسم ذاكر  
 ورقت كأنفاس الشمول لسائر  
 الفنا فكم فنيت منها نفوس أكابر  
 سرادقهم عن كل خب وماكر

فغابوا عن الأجسام والكل حاضر  
فكم واصلوا ليلاً بصيبي وشوقهم  
فلم يبق للأكوان رسم لديهم  
فمات إسقنيها قهوة قادرية  
وهات إسقنيها والندامي أكارم  
وهات إسقنيها لم يندس مزاجها  
وهات إسقنيها من يدي عاصرها  
لقطب له الأذكار صمباء وارد  
من النفر القوم الذين وجوههم  
وأبيض نظار بعينهم  
وموقد نار يهتدي بشعاعها  
وكم قائل هذا ابن عثمان (خالد)  
رموز له أضحت رموز الواصل  
تخلف فيه الواصفون فقائل  
وأخر هذا البدر لولاه نير  
سقى من سقى من طالبيه صلافة  
دعت للهدى منه علوم زواجر  
زواجر يرويها عن الخضر سر  
فيا حاسديه إنه الشمس فانظروا  
نسبت إلى القوم الذين تسنموا  
فكانوا بذى النورين أفضل مشر  
لعبد مناف أحرزوا كل سؤدد  
فيا قردانم إفرح فإنك مطلم  
ومعدن عرفان سما بمعارف  
معارف أضحت للجنييد مطالب  
فدمع عنك ما قال الحواسد إنما  
إذا أخذته نشأة الذكر خالد  
أبان لنا نهج السلوك فأصبحت  
فلم يبق في بيدائه غير مهتد  
فديناه بالأروام إذ كان للتعق  
رياض التقي لولاه روض زهرها  
تخببرنا منه العلوم بأنه

يلاحظه ساقبيه منه بناظر  
اليه ثنى منهم زمام الضمائر  
لأن شاهدوا محبوبهم بالبصائر  
فلست على ترك احتسائها بقادر  
لدى روضة أضحو لها كالأزهر  
بفدم ولم تقدم بغير سرائر  
براووق أذكار بأقيم سامر  
سوى الله لم يرمق بإنسان خاطر  
إلى الحق تهدي كل سار وسائر  
ضمائر غيب نيران المظاهر  
سراة سراة للهدى بالشرائر  
أراه فضيلاً أو أويص بن عامر  
إلى الله سبباقت لعز المائر  
هو القطب لولاه أنه ذو مواطر  
مع الشمس نساخ خضاب الدياجر  
من الذكر لم تدنس براحه عاصر  
إذا زخرت لم تبق در الداخر  
جريت فحاييت النهى بالجواهر  
لأشبهاه فضلك لسن ذات نظائر  
بعثمان أكوار العلى والمفاخر  
إذا ما دعوا كانوا أنوف العشائر  
صميم ومجد لم يكن بمفاخر  
لبدر تسامى عن وجود مناظر  
أوبد لم تدرك بأعمال خاطر  
وإن كنت للجيلي سر السرائر  
هو الفوت كم غاث النهى بالمواطر  
لدى السكر رضوى كل سام وسامر  
مناهجه تهدي لأسنى الذخائر  
ولم يبق في ظلمائه غير سائر  
هو الروح فانشقه بأنف خواطر  
لما كنت في العصور ذات أزاهر  
هو البحر لولاه أنه غير زاخر

ومن هذا النوم "الأساور العسجدية في المائر الخالدية" للعالم الفاضل المرشد الكامل خليفة حضرة مولانا  
في بلاد الحسا الشيخ حسين الدوسري قدس سره ، فإنه رتبته على أربع مقالات أسندها الحامد الأمين مع  
نبهات شبه المقامات . غير أنه وضع لكل مقالة خطبة توصل فيها بالأسود والأحمر إلى ما أحبه . ثم ختم

المقالة بقصيدة فريدة فيها هذه الحالة . وسأورد لك طرفاً من كلامه تستدلّ به على لطيف مرامه . قال  
في المقالة الرابعة :

”بسم الله الرحمن الرحيم (الحمد لله الذي أنقذنا بخالد)ص نوره المديد(د الإمداد) من ظلمات الإلحاد  
و(سا)ئر مكا(ئد الأ)عداء والحساد ، ومَنّ علينا با(فرا)غم الوسم في أخذ الزا(د) ليوم المعاد بواسطة  
(قائد الأوتاد) الأكبر (بحر البحور) الزاخر (بدر الوجود) الظاهر و(شمس السعود) لأولي البصائر .  
فأكرم (بخالد)م ثوب المعرّة الكائن من صدفة الزمان عين الدرّة الراقي من مقام الإحسان ذروة الطور  
متقمصاً بقميص النور المزيك حنا(د) ، المظاهر بظهور بدر (النجابة) في سماء الصبابة ل(كامل)ي  
(الإنابة) ، المشرفين على الخواطر حين تدريس (أرييس العصابة معدن الإصابة) في هاتيك القدسية  
الحضائر بحبوة الجليل المانّ بها على عبده الجميل الفاضل ذي البام الطويك في معالم التنزيل سيدنا  
المحقق وشيخنا المدقق الشيخ إسماعيل (اتمّ الله عليه نعمه) السنية (وبنعيم قريبه نعمه) في  
الحضرة العندية (وأعلى رتبته مع الاسبقين) أولي لخصوصية (وقدمه) على اللاحقين في إخلاص  
العبودية أمين . (قال فلما سمع مقاله) صعرّ خده عنه وأماله وتنكر عليه وأظهر لقوله الملالة ،  
فأدركته شفقة الأبوة عليه ، فالتفت ناظراً إليه فقال : أي بني أما قلت لكم لاتذكر لي إسماً ولا تجعل  
في ذلك الدفتر رسماً وإجعلني نسياً منسياً عسى أن لأكون بدعاء محبوبي شقيقاً ؟ فقال له جعلت فداك  
دائماً إنما جعلتك خادماً ولأقدام المحبوب لاثماً ليجري عليك الطافاً ومراحماً فلاتكن لي لائماً . فقال إذا  
كان هذا قصدك لأستعطف قلب المحبوب أن ينجح سعدك فتلحق من قبلك ولتقدم على من بعدك .  
فأروعني بعض ما أمليته في المحبوب من الإنشاء والإنشاء مما يعرفك أني ذبّيت في محبته الفؤاد ،  
وهجرت الأهل والأولاد ودابت الليل والنهار وأجريت الدموع الغزار . واشهد علي أني فارقته بعض حين  
فأبديت الحنين والأنين ونُحت ولا نياحة فاقدة الجنيت . فنأديته وهو مني قريب وأنا منه بعيد  
ياحبيبي إن البعاد شديد يا حبيبي أنت فائدتني وما غيرك لي بمفيد ، يا حبيبي أنت البادي بالفضل  
وأنت بالفضل تعيد ، يا حبيبي أنت والله مرادي وحق ذاتك وأنا لك مريد ، يا حبيبي لأنوحنّ عليك مدة  
حياتي ولا أترك النوم والتعديد . ثم أنشد يقول :

فلا ريب أني بالغرام أبوم  
نصيبني أني من هواك طريم  
تلمي وفي ردّ الجواب تصحيم  
ورسمك فيهما ذابم وذبيم  
إذا طاف مسك النسك منه يفوم  
مفالطتي تغدو به وتروم  
وتوهم تعريضاً وأنت صريم  
تمنّ وإن شطّ المزار تلوم  
وجفني من وجدي عليك قريم  
فقلبي على سرّ الغرام شحيم  
ومالي وحالي دونه لأبيم  
دواماً ومن فرط الزفير جريم

حبيبي أني من نواك أنوم  
وأعرب عن معنك جمدي وإن يكن  
وما حاجتي بالحجّ لولاك محرما  
ولولا منائي في منى ما أتيتها  
وذاك يمين للذي أنت سممه  
وهذا حجاب رسمه الوهم أنت في  
أتحجبني بي لست أنت ولا أنا  
وتنعت لي لا وهي إلا وأنت لي  
وتزعم أني من هواك بمعزل  
لنن كانت الأجنان مني سخية  
أبوم به لكنني لأببيحه  
حبيبي أما القلب فهو مروع

وأما صباباتني سلمت فإنها  
وأما كآباتني وقيت فكم لها  
فلا يبعدن الله ما منك جاءني  
لهما كل متن لي عليه شروم  
بقلبي محل والمحل فسيم  
على أي نوع كان فهو مليح

ليت شعري هذه المظاهر من بدها وما حدها ومن يمدّها وعن جمالك ما يصدّها . أرؤيتها إياك سواك أم دهاها هواها فما عقلت هداها . لعمري إن هذه الممالك المعمورة بك عين السراب وما عمارتها بها إلا الخراب ، ولولاك لظهر عوضها المحاف والذهاب أنت فيها بائن وما أنت عنها بائن ، والغبي يعرض عنك ولها يعائن ، ما على هذا الظهور من مزيد . فكيف به تصور ولعل هذا النور ما يفيد لمن عيونه عور ، ما أدري ما حال بينك وبينه وما الذي أعمى عينه وأي شيء جعلك غينه . والله لو أحببته لأريتك أنه فأتخذك فنه وأردف عليك حسرة بأنه . فيا منّ ظهر جماله المكتوم في جميع الأشباح ، من كان في طلبك يقعد ويقوم كيف لاتعتريه الهموم في المساء والصبح . ومن غدا في محبتك ورام كيف لاتتوالى عليه الأفرام ؟ بحر محبتك عميق وكم نجا من غرق فيه من سباح . ما حبك شيء هين يحصل بغير بذك الأرواح :

منه حب غير حزن وسرور  
يدخل الأول في طي الأخيير  
ذاقم الذائق فاسأل عن خبير  
واستوى الأمر أن يابدر البدر  
أو فرزد قلبي من حر السعير  
إنما (أنت) الذي أهواه نوري  
من شهيق واحتراق وزفير  
صائد الأساد معشوق الصدر  
وهو الفئاتن ربّات الخدور  
كامل الإحسان والحسن الخطير  
فتنى نجيت من كل الشورور  
خالص الحب وافرا (د) النظير  
تهوى تهوى بي لظى أنت مجيري  
وقد أقصم نطقي عن ضميري  
الى المحبوب ذود مم درير  
فهو الناطق عني بحضوري  
كسحاب هلا بالمزنا الغزير  
تي محيط مشرق خير منير  
كيف لا والبذل من كيس الأمير  
الهوى وهو محل للبدور  
سجدت للجمع في جمع كبير  
غدا الحاضر أو ذا نفخ صور

ما الصب مستكن في الضمير  
ذال وقت وذا وقت وقصد  
ولعل العكس يجري فيهما  
فإذا ما اجتمعا هذا وذا  
فأجرني يا حبيبي من لظى  
(ف) الحظ (المقصد مني) أبدا  
فأنا الولهان ملأن المشا  
وأنا المفتون في ظبي النقا  
وأنا الطائش في حب الرشاشا  
ذي صفات أنت موصوف بها  
فاتني كم فتني فيك الهوى  
فالرضا في مرضي (إذ غرضي  
أنا أهوى كلما تهوى فإنا  
أترى أضرب عنك الذكر صفحا  
قائلًا إني جميل في جميل  
أنا إن يبلغ كلامي مسمما  
كيف لاتهمل عيني أدمعا  
وضياء الوجه من كل جها  
ذا مقال العكس من نفس الوعا  
كيف لاتأخذ قلبي جذبات  
أي شمس بزغت من مشرق  
أين أمسى مرأ ويأتي غدا ذا



أو ما تنظرني مجتهداً  
إن عينا تنظر الآن غداً  
ويحها كيف يوافقها الكرى  
كل شهد من شهود موجب  
ماأراه مذهباً لي في الموى  
أين حسيبي لك إن كنت أرى  
كك وقت أنا والله أرا  
من لعيني أن ترى وجهك يا  
كل شيء يتهمدي حده  
فلهذا حسنت حبي في البطو  
فهو مقصودي الذي وجهت وج  
فادعني إن شئت عبداً للجما

إذ أنا المشرف في كل أموري  
طبق ما تنظر من قول البشير  
كيف لاتصنم كالعبد الشكور  
لجمود تحت طيات الخدور  
وهو عندي في سلوكي نهم زور  
باختياري هادئاً فوق السرير  
ك به فرداً أعلى سروري  
د لها ياقمري يانور نوري  
قلأ أن يسلم من ستمر الظهور  
ن بدا كالشمس من خلف الستور  
هي له في غيبتتي مثل حضور  
ل وإن شئت فللوجه المنير

ألا وأن من قصر نظره منك على الجمال يا حبيب بغية الآمال ، وتخلّى بك عن القواطع الأيام والليال  
وتخلّى من إحسانك بسواطع الخصال ، وتشرف من امتنانك بخلم الإقبال وصف في طلبك مواع  
الوصال ، وحلأ بإنزالك إياه من إقليمك في مدينة النوال ، ودخل معك في خدر الشوق وقال ، وغردت  
في حديقة عشقه لك بلابل البلبال ، وصادف كؤوس محبتك على هذه الحال فشراب أرتالاً بعد أرتال ،  
وتحكمت منه النشوة فمال كيف لاينقدم منه زناد الإشتعال ، ويخلم في مقدس وادي مديحك النعال ،  
ويشرح في تحقيق وصف معانيك على رغم شانيك لأولي الغرام بأدت مثال ، وأرق وأرق قريض  
يفوق الزلازل ويقول على الإرتجال ، في أن هيجان الحال :

رو قلبي صرف الهوى السلسال  
فالهوى والغرام والعشق والشو  
فتنور بحري الذي أسفر الكو  
حين يبدو على الوجود تراه  
رافلاً في البهاء على أمة الع  
مدمني السكر من كؤوس مناجا  
مالك الحسن والمحاسن والإحس  
فبمذري إذ تفننت في مد  
هو في حسنه غريب عجيب  
كم على حسنه النفوس تفاننت  
ماعلى من به إضمحل ملام  
وهل الحب غير ما سلب العاق  
وهل الحب غير ما زلزل الأعض  
وهل الحب غير ما أمطر الأطف  
ماعتذار المحب في عدم النو

وارو عني مديد مدم الجمال  
قا شعاري وحرفتي واحتياالي  
ن بأشراق نوره المتلالي  
جامعاً فرقت طالبين المعالي  
شق الميامين زمرة الإنتحال  
ة الحسب يسبب جم النوال  
ان والجمود والندا والكمال  
حي له في غريب كل مثال  
بائن عن نظائر الأمثال  
وقناء النفوس خير الخصال  
وهل الحب غير الإضمحلال  
ك بتكرار لبسسه المتوال  
اء بالوجود أعظم الزلزال  
ان من سحب دموعها السيال  
م وسكب الدموع والإنحلال

أترى يسكن الحبيب فؤاداً  
وبورد النوام يجهر ليلاً  
طالب الوصل طيب الأصل يجري  
ولعمري إن الوصال مُحال  
ليس للوصل غاية منتهاه  
إذ هو الآن مثل ما كان لكن  
فإذا نحتُ فاعرفوا لي نواحي  
فمجيب وليس عندي عجيب  
ما أرى غير واكف الدمع يروي  
أو ما أنت أيها البدر في الخد  
أو ماهذه البلاد أضأت  
هذه غاديات سكر حمياً  
هذه غاديات نور محياً  
تسكر الدنّ تمطر المنّ تجري  
وهل الحزن فيك يا باهر الحس  
ته وألب جموع حسنك إنني  
ولقد قلت فيك أسفار مدم  
وبودي يمر فيك زماني  
إنما أنت مالك القلب والرو  
أنا رويت علم ظلم ثنيايا  
وتضاعت من علوم مزايا  
كم رأيت الحبور تغرف من جد  
ورأيت الصدور تصدر من نو  
ملك الحسنت أنت يا حسنت  
فألى باب فضلك الرحب أمت  
أملّ الأملون منك فمأخا  
أي مال إلا ومفتاحه في  
وبه كم فككت قييد أسير  
فنجبا إذ لجأ إليك وهل غدي  
أنت ربّ البها كريم السجايا  
أنت جمّ النداء الجميل الموالي  
أنت ذو الطول حيث لاحول إلا  
شرم شعري عريشه من يواقيد  
فلها هذا ينمّ جمّ المعاني  
كلُّ شيء إليك ينمى حلال  
وبحق أقول أنت الذي من

لم تلج فيه حرقّة الإشتعال  
ونهاراً مكرراً وموالي  
في مجاري الموى بثوب الموالي  
مع أنني طمعت في ذا المُحال  
عدم الفصل وهو غير وصال  
كان خاف فبان بعد انصقال  
وإذا صحتُ فاتركوا لي حالي  
فيض دمعِي كفيض مزن العزالي  
صادياً من زلال صرف الجمال  
ر ولا خدر أنت بدر الكمال  
بضياء الحبيب ذي الأفضال  
ه الذي ميّزت ببذل النوال  
ه الذي حيّرت عقول الرجال  
سحب الحزن من قلوب خوال  
من سوى الفدنّ والمنا المتوالي  
جامم الشوق ساحب الأذيال  
تليت في الإبكار والأصوال  
وبذكراك كل قبيلي وقالي  
م ومعنى معنى الشروم الطوال  
ك عن الوجد قرب أن الزوال  
ك كما لا يخفك صدق مقالي  
رك ذي النور مئتمّات اللالي  
رك بالوفر من عصور خوالي  
الملك فلا ريب أن ذكرك عالي  
تتجاري بعامل الأمال  
بوا وأبوا على نجائب مال  
كفك البسط كفّ قابض حالي  
أسر الوهم قلبه في المحال  
رك حصن يحمي من الأوحال  
فاصل الوصل واصل الإنفصال  
سحب المنّ يا ضياء الموالي  
أن ينادى بالقول يا ذا الجلال  
تك يبني فهو الغريب المثال  
من مثاني كشف الحرام الحلال  
وجلال أروع كرعِي جمالي  
حرف معنك كوكبي وهالي

ك فقدم مجادل الجمال  
كيف أرضى يعيش أهل الهزال  
كيف أمشي في أهل الضلال  
بانعكاسي فممت سواك ومالي  
تلفني أنت صاحب المكيال  
ونصييري إذا ينادي نزال  
أنت تحدي سلافتي من زلالي  
بجهدي حمداً على كل حال  
ت فذاً لي وأنت مبدئي مقالي  
أنت قصدي في حلّي وترحالي

مذهبي الحق أنت تعرفه فيدي  
وإذا ما أزال خصبك محلي  
وإذا ما أزال نورك حاكلي  
وإذا عنّا في سماءك بدري  
لا تكلني وزن نضاري وكلني  
أنت بدري وأنت شرفتي قدري  
أنت ذخري وأنت صاحب خدري  
أنت إنجيني الممادم أحمدك  
أو تجدد لي بالشكر أشكرك مادام  
ياحبيباه والحبيب مجيب

(قال حامد) فقلتُ أي نيهان والله لقد أزلت عني الأحزان وهيجت علي الأشواق ، وأودعت قلبي الإحتراف  
زيادة على ما كان بما أتيت من هذه النقول التي تحير العقول . ما أرى هذه الأسجاع والقصائد إلا للعقول  
مصاندة . وكأنني بها من مدارج مكرك ومن نتائج فكرك . لكنني لأكلفك الإخبار عنها لأن المقصود حصل منها  
فهل بقي عندك في الخريدة شيء من المقالات المفيدة ؟ (قال) فتبسّم ثم تنسّم وقال : أي حامد مكر  
يعرفك بعيبك ويبصرك بترقيم جيبك نعم المكر ، وفكر يعمل في جذب قلبك الى مشاهدة حيك ما أجله  
من فكر . ثم قال نعم بقيت مدحتي الجديدة لمحاسن محبوبتي العديدة ، وهي هذه أنشاتها لما سرى في  
أحشائي الحب ودبّ ونهض قلبي لداعي الغرام وانتدب ، وتعرض لوارد الهيام وارقتب ونوديت في محافل  
العرب بالهائم الصقب ، فكان لي أشرف لقب فناديت حينئذ بلسان من على الدنان أكبّ ولاتقهقر  
ولاتنكبّ فقلت :

ولديك راقسود العناب  
من خمرك حبك ما طلب  
من غير حسنك وانقلب  
لاتعتبوه إذا أكبّ  
أولي النباهة قد سلب  
فإن يحنّ فلا عجب  
صهبا المحبة فانتحب  
وتارة أنا المحب  
مم الجنان فما اضطرب  
ونام من فسرط الكرب  
كي يطفي اللمب  
فما عليه إذا إنسلب  
من نور وجهك ما احتجب  
ذوق اللذاذة والطررب  
ياجميل إذا إنسلب

صدي المتيم والتهب  
فنحا جمالك راجياً  
فقدنا وقد رفض الهدى  
وإذا الهوى سلب القوي  
أوليس حسنكم عقول  
وبدوا وقد غمر الوجود  
لاغروا إن لعسبت به  
طورا يقبول أنا المحب  
ولربما خرس اللسان  
ولربما غنى وصمام  
ولربما ولي من الحسرات  
وبهائم وجهك من راه  
ولكون لو يبدو له  
لرأيته يهتز من  
يكفي المحب الى جنابك

فعليه عند أولي الغرام  
 ولعشق حسنك عند أرباب  
 فلأوليئك مدحمة  
 أنت الذي ملكَ الجمال  
 أنت الذي سكر الزلال  
 والخمر فيك أراه قد  
 والبدر جاء اليك يرجو  
 والشمس تأمل أن تزيد  
 والنار ترعد خشية  
 وأنا الذي أرجو أراك  
 والماء يخشى أن يصير  
 والريح مضطرب الحشا  
 فيكون ماءً أو تراباً  
 ولأنت أجمل ما رأيت  
 وأجلك من ليس الرداء  
 وأعز من فوق السرير  
 فأعقل كلامي إنما  
 وتلا كتاب العاديات  
 وأفاد شرم المرسلات  
 وأجاد فائدة الحواشي  
 ولقد صرفت اليك حاجاتي  
 والأعجمي القلب ينكر  
 وشبيهه الأشقى فقل  
 لو كان يبصر ما نفى  
 الله أصدق قبائل  
 صلى عليه الله ما

الصرّف حُبك قد وجب  
 المييام هو الأحب  
 غمراً تُخطُ بماء الذهب  
 جميعه أتى ذهب  
 بفيك حين هو إنسكب  
 سكر الزمان وما أهب  
 منك نوراً أن تهب  
 ضيائها خوف العطب  
 أن يبسد نوركم تصب  
 مع الجمال فلا عجب  
 هوى يطير من الرهب  
 من أن يحلّ به الغضب  
 أو حديداً أو خشب  
 ومن رأيت من العرب  
 مع الإزار وما إعتصب  
 على أعلى الرُتب  
 أنت الذي خطب الخطب  
 وللمقانب قد كتب  
 على الخميس بما طلب  
 والفروم بما أحب  
 وأنت هو السطلب  
 مدحتي وأخو الريب  
 تبّت يدها أبو لهب  
 صدق الحديث وما كذب  
 وحبيبه زاكي الحسب  
 غيبت توالى وإنسكب

ثم إنه قدّسَ اللهُ سرّه عاد إلى بغداد ثالث مرة ونزل في المدرسة الإحسانية التي جُددت لحضرته  
 الضيائية . فأخذ ينشر ما طوى من العلوم الدينية ويطوي ما نُشر من الرسوم الدينية ويحيي ما فني من  
 السنة السننية ، ويُظهر ما خفي من المعارف اللدنية إلى إفاضة أنوار وإفاضة أسرار . فبانتقاد إليه علماءؤها  
 وعظماؤها ووزراؤها وأمرؤها وأصبحت به بغداد ملتقى البحريين ومطعم القمريين وشام فضله شرقاً  
 وغرباً ففرت إليه الناس عجماً وعرباً فطفق يربّيهم بنفّسه الأنفّس ، ويمدّهم بامداد نظره الأقدس ، حتى  
 إذا تكمل أحدهم بعث به إلى أهل الأقطار ليحيي موات قلوبهم بفيضه المردار . ولقد أقدمَ أقدمَ خلفائه  
 الأعلام جدّي لوالدتي الشيخ أحمد الخطيب الأربيلي قدّس سرّه إلى دمشق الشام . وكان عالماً عاملاً متفنناً  
 ومنشئاً شاعراً محسناً ومرشداً كاملاً متقناً ، ذا كرامات مشهودة ومقامات محمودة . وله عندي رسالة في  
 الطريق تشهد برسوخ قدمه وعلو قدره وهممه . فلما وصلها ولقي أهلها ونشر بينهم أعلام الإرشاد ألقوا

إليه بحذافيرهم مقاليد الإنقياد ، بحيث لم يبق حاضر ولا باد إلا وأخذ الطريف عنه ، أو طلب الإمداد والبركة منه . أولهم مفتيها الهمام خاتمة الأكابر الأعلام حسين أفندي المرادي رحمه الله تعالى . فامتلت به دمشق نوراً وأصبح علمُ علمه وعمله منصوراً . فكتب إلى الشيخ قَدَسَ اللهُ سرَّهُ شرح فتح الباري عليه وحبب الشام وأهلها إليه . فإنشر صدره الكريم لهذا الشرح في الحال وتوجه إلى الله تعالى في ذلك . فورد الإذن الإلهي بالإرتحال فتفضل الحق تعالى على أهل الشام وأنعم أذهبت عليهم قبول إقبال هذا القطب المعظم ، واختارها مطلع أنواره ومهبط أسرارهِ . فأبقى أهلها في مدينة السلام وحضر مع السيارة من طريق (الدير) إلى الشام . فدخلها سنة ثمان وثلاثين بخدمه وحشمه وجملة من العلماء الخلفاء والمريدين . ونزل في خلوة السادة الغزيين التي في جامع بني أمية . فلم يألوا جهداً بالقيام بخدمته حتى زوجهُ السيد إسماعيل أفندي بشقيقته السيدة عائشة التقية . ثم أمر بإحضار أهلها من الزوراء ، وأرسل الشيخ إسماعيل الأثرائي يستقبلهم إلى حلب الشهباء . فذهب ينشر خلال الطريق أسراراً وينثر على كل فريق في البلاد أنواراً ، حتى وصل إلى حلب وقد خلَّب من القلوب بإرشاده ما خلَّب وجذب من الأرواح إلى الطريق ما جذب . إلى أن قدم إليها الحرم المحترم وقد توفى معمم في (أرفه) سيدي شهاب الدين نجح الحضرة .

فرجع إسماعيل إلى الشام ، فتملك وجهه بوصولهم من مدينة السلام . ثم اشترى داراً رفيعة في محلة القنوات وتحول إليها ووقف بعضها مسجداً وأقام فيه الصلوات الخمس بالجماعات . فغصت أبوابه بالزحام وهُرم إلى خدمته الخاص والعام وصارت رحابه مهبط جباه السالكين ، وأعتابه معترك شفاه الناسكين ، والوزراء عند قبابه وقوفاً ، والفضلاء على محبته عكوفاً ، يدخلون في طريقه أفواجاً فيفيض عليهم من بحار أنواره أموجاً . تتوارد عليه المراسلات من أعيان الدولة المنصورة وأمراء عامة الأقطار المعمورة ، والقصائد الغراء من كبار الشعراء . فمنها ما مدحه به عمدة العلماء الأجلة الشيخ محمد الجملة الخلوتي الدمشقي مؤرخاً عام وصوله إلى دمشق الشام فقال :

والنور والإشراق منها صاعدٌ  
تهتَزُّ من طرب وهنٍّ موائدُ  
والزهر يحدِّقُ والعنا متباعدُ  
وعليه من حُلِّي الكمال فرائدُ  
قالوا ضيَاء الدين هذا خالدُ  
سبب الإرشاد فنعم ذلك الماجدُ  
سطاوته وهو الإمام الواحدُ  
وأنت السيِّ منافع ونفـوائدُ  
وإنحلَّ ما هو قبلك ذلك عاقدُ  
بالله وهو مجاهد ومكابدُ  
يدري بذا الشهم الذكي الواجدُ  
وبه عليه فيهِ منه شاهدُ  
متحقق متضلِّم ومجاهدُ  
والفضل لا يخفيه إلا الحاسدُ  
من فيضه ماخاب فيهِ القاصدُ

أضحت دمشق ببهجة ومسرّة  
والطير غنى والغصون رواقص  
والوقت طاب وهيمنت أهل الصفا  
مذ حلَّ بالشام الشريفة سيّد  
فسألت عنه بين أرباب الهدى  
وهو المجدد بل هو الداعي إلى  
فلقيته فوجدته كالليث في  
فدهشت منه محبةً ولطافة  
وأزيت عن قلبي الصدا بلقائه  
عالي الجناب فياله من عارف  
بحر غداً تمتد منه أبحر  
يلقي العلوم بداهة من صدره  
في كل علم ماهر متمكن  
في عصرنا ما إن رأينا مثله  
من أم ساحتهم ينك مايبتغي

وإذا أتاه حائرٌ بطريقته  
فتراه من نَفحاته في نشوةٍ  
ويمده في القلب من عرفانه  
مصباح رشداً من وجهه  
والهدى والإرشاد فاض على الورى  
هذا جليّ ظاهر لم يخفهم  
ولنقش بند قطبنا هو ينتمي  
من صدقه وتقاه فانظر يافتي  
ومدارس درست فأحيها بذكر  
وبه طريقته العلية قد نمت  
فلأنها طبق الكتاب وسنة  
لما أتانا فييه قُمرت أعين  
وله تلامذة بدوا ككواكب  
جمعتهم أسرار حضرة شيخهم  
وهم أولوا وجد بطاعة ربهم  
قد حلّ فيهم منه إكسير الصفا  
فعليهم مني جزيل تحية  
والسالكين طريقه أهل الهدى  
إن قبلك من قطب الورى أرخ بقي

يهديه منه نوره المتزايد  
بعُدوه ورواحه متواجد  
ويذوب منه كما يذوب الجامد  
وجليسه منه يطيب الوارد  
لاينكرن هذا التقى العابد  
الأغبي جاهل ومماند  
أعني بهاء الدين ذاك الواحد  
كم من زوايا عُمّرت ومساجد  
الله منذ وافى وقام القاعد  
من كل ناحية أتاه الوافد  
المختار مافي ذاك ينقد ناقد  
فأزت بنور هداه لما شاهدوا  
من نورهم حقاً يرد الشارد  
وعلى العبادة والعفاف توادوا  
ممامنهم الأتقي زاهد  
فصفا وصافوا إذ عليه عاهدوا  
ماخر للرحمن عبد ساجد  
طول المدى ما إن تنبهم راقد  
قطب الورى ياسائلي هو خالد

(سنة ١٢٣٨هـ)

وهو مع ذلك لم يشتغل عن نشر العلوم الشرعية وإشادة أركان الطريقة النقشبندية وإرشاد العباد في كل البلاد وإحياء كثير من مساجد دمشق الشام قد آلت إلى الإندراس والإنهدام بإقامة الصلوات والأوراد والأذكار وهداية الخلق إلى طريق السادة الأبرار . فأنقذ جامع العداس من مخالب الإندراس واتخذه لقربه من حضرته دسكرة لخلفائه وجماعة مريديه وصلاة جمعته . وفوض أمر تربيتهم للإمام الجليل الرباني سيدنا الشيخ إسماعيل الأناراني . وقرر سيدي وعمدتي وجدي لوالدتي الشيخ أحمد الخطيب السالف البيان على إقامة ذكر الخواجكات والتوجه كما كان في جامعي المعلق والياغوشية . وأذن لسيدي الجد الثاني العلامة الفاضل والولي الكامل الشيخ محمد الخاني بالختم والتوجه في جامع المرادية المعروف الآن بجامع السويقة في جهة الميدان . وأذن لمتل ذلك للمرشد الشيخ عبدالقادر الديملاني في جامع صاحبة في الصالحية . قرأ غدوة في مدرسة داره "شرح المنهاج" للشمس الرملي ، فأظهر خفي أسراره وحقق أبحاثه وأخذ يجمع بين أقوال المشايخ الثلاثة عمدة علماء البشر الخطيب والرملي وابن حجر بتقرير أوضح منهاج الفوائد وشرح الصدور بمصاييح الأمثال والشواهد ، وأطلع في أرجاء الإفهام شمسوس الفرائد كما قال صاحب "أصفي الموارد" :

إن كنت تكذب ما أقول بقدره  
ومباحثاً فقهية كشف النقاب  
شكر النووي التقي ذكاه  
غرراً أراها في وجوه مباحث  
علماً إلى عمل أضاف فقل به

فاسأل مآثره التي لم تُحصَر  
لها فأبدت عن صحام الجواهر  
في مباحث لولاه لم يتنور  
كالشمس لولا فكره لم تُسفر  
ما شئت من مدح ولا تستكثر

وعاد شقيق أهل سليل العلماء السيد عمر أفندي الغزي سعيداً ، إذ جعله من فضله لدرسه معيداً حتى  
حضر الجد الأجد ، وكان قد دعاه بتحرير منير من (حماء) إلى حماه . فجعله محله وخلص عليه من سعادة  
الإعادة أفخر حلّة . وقد خدمه أديب الألباء ولبيب الأدباء الشيخ موسى السباعي بكلمة محكمة عام تسم  
وثلاثين وقدمها إليه ، فقال رحمة الله عليه :

كُنْ بالصَّابِيةِ والعمِّ الأشواقِ  
واحضر بقلبك ثم غيب عن خاطر  
ودم السَّوى يُكشف عن القلب الغضا  
وبنار شوقك لن فؤاداً قاسياً  
والزم حمى التجريد للتوحيد إن  
واخرج بكلك عنك في سبل الهدى  
واحرق بنار الجهد نفسك وإدم  
وارتم بروض الذكر تجن ثماره  
وارقب مع الأوراد وراة الصفا  
وأحي الفؤاد بوارد الغيب الذي  
واحلل بوادي الأنس تشهد مشهد  
فإذا إنجلت عين البصيرة أشهدتك  
وأدخل بروحك حضرة قدسية  
فهناك تمنحك الحقائق كشفها  
وترى إستتار القلب بعد فناك في  
واخلص نعالك إن حللت بحي من  
هو خالد التمكين عارف وقاتم  
النقشبندي الكامل البحر الذي  
هو ذو الحقائق والمعارف والهدى  
بدر المطالم جامع العرفان إذ  
شمس بدت للمعارفين وأشرقت  
عقد السلوك المرشد الفرد الذي  
فباستك سيف العزم واقتصد حيه  
واصرف له دينار فكرك طالباً  
أيك عنه تحييد وأنشد معلناً

وادلج بليلىك وأنم ركب عراق  
وارادة وارتم ببويد سبباف  
وتلوم شمس الفتم بالإشراف  
واركب مطايا السهد للإلحاق  
رمت إرتشاقاً من مُدام الباقي  
تسسى قى من الآداب والأذواق  
ثوب إفتقارك وإبك بالأمات  
والحق بركب السادة العُشاق  
بموارد الإمجاد والأزواق  
يدني المرید الى الطريق السواق  
الأسرار فيك بسرک المصادف  
الجم فرداً في سما الإشراف  
حلت عن الإفصاح بالأوراق  
وتزول حجب الرق بالإعتاف  
شمس البقايا واحد الأناق  
هو في طريق الله أكمل راق  
ملجأ الرجال بحضرة الإطلاق  
لذوي الهوى والحب أضحى الساق  
عين الزمان حديقة الأحداق  
يعلوه نور الفاضل بالأذواق  
بدمشق فهو الطيب الأعراق  
فماق الأنام بأطيب الأخلاق  
تنجوبه من قاطع معواق  
منه الطريق ذخيصة الإنفاق  
كمن بالصباية والعم الأشواق

وقد عارض بها قصيدة أديب هذه الأقطار الشيخ شاهين العطار ، التي مدح بها حضرة مولانا عامئذ ومطلعها :

واغرس مرادك في رياض الباقي  
واحى نياط القلب بالأشواق  
وأبري سموم الجهل بالتريات  
وبدت لك الأنوار بالإشراق  
واجني ثمار الوصل بالأذواق  
الظاهر المعروف بالمصادق  
وشعاعه ضاؤ على العشايق  
وإذا بدت عمّت على الأفاق  
فأنارها بمحاسن الأخلاق  
وبحبّه سمعت على الإطلاق  
شهرم كنظم الدر بالأعناق  
وسعى لخصرته على الأحداق  
وأجازته الصديق بالإنفاق  
عن كل ممدوح وعن إرفاق  
وبأله الوافين بالميثاق  
فقراً أذاب الجسم بالإحراق  
ترويه من علم العليم الباقي

روم فؤادك من رضاب الساقبي  
واغنم صفى الأيام قبل غروبها  
واسلك طريق العارفين بلا مرا  
فإذا استنار حشاك من شمس البقا  
فإشهد جمالك مصور طول المدى  
وأقبل على كنز العلوم وجصنها  
إن الغرام مقبره في خالد  
كالشمس تغرب عند عين حماة  
صور المحامد جمعت بكماله  
مالت له الأروام منذ ألسنتها  
مافى العوالم حكمة الإله  
طوبى لمن علقت يدها بذيله  
قطر المكارم غيثه من بحر  
يامظهر القرائن حيك شاغلي  
ولذا أتيتك راجياً بالمصطفى  
فأمنت علي بنظرة أغنى بها  
واسلم ودم تحيي الأنام ببت ما

وقد ذكرها الجد الأمد في "البهجة السنية" . ثم سرى هذا البحر برأ الى المسجد الأقصى وسار في ركابه سراً فضلاً لا تحصى . فما أقبل على منزلة إلا وأنزله أهلها من التجلة منزلة وهو يفيض عليهم من إكرامه أنهاراً ومن كراماته ما يجعل الليل نهاراً ، حتى إذا دنا من القدس الشريف خرج خليفته الإمام الفاضل الشيخ عبدالله الفردي بموكب منيف لم يتخلف عنه أحد من أهل البلد . وتلقوا حضرته بالتعظيم وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم . فنزل بمن معه منازل الوحي ومواطنه وأسبغ الله عليهم نعمة ظاهرة وباطنة وقابل أهلها ببركات توجهاته وتوجهات بركاته . وأخبرني الوالد الماجد عن الجد الأمد عن حضرة مولانا خالد أنه تقدم وقتئذ اليه بعض الواقفين بين يديه بأن يدخل كنيسة القمامة فأبى ذلك عليه ، فقال له الشيخ : إن الشيخ عبدالرحمن الكزبري قد دخل . فقال : عجباً مما فعل إذ هو من المحدثين وقد سمع قول النبي المختار " من دخل كنيسة فكانما دخل بيتاً من نار " .

ثم أمر بالرحيل الى مدينة الخليل والد الأنبياء العظام عليهم الصلاة والسلام . فاستقبله الكبير والصغير وأجله المأمور والأمير وتمثلوا بين يديه وسلموا نفوسهم اليه . فأفرغ عليهم من إحسانه ما أفرغ وسوغهم من عرفانه ما سوغ . وبه اليه أنه لما دخل مسجد خليل الرحمن جعل يلتجئ الى الجدران ، فقيل له في ذلك فقال : كل ما تحت المسجد غار إلا ما كان محاذياً للجدار .

وإن الجد فعل كذلك لما ذهب الى هنالك ولاغرو ، فإن آداب الأولياء وأولياء الآداب . ثم إنقلب قدس الله



سِرَّهُ الى أهله مسروراً كالشمس ضياءً والقمر نوراً . وبه اليه رضوان الله عليهم أنه نام ليلة عن القيام فرأى السموات اليهودي في المنام . فلما أفاق ذكر ذلك لبعض عشيرته فسأله عنه . فقال في تعبيره إنه إشارة الى أن السموات كان يُضرب به المثل في حفظ الأمانة وهو يهودي الديانة ، فكيف ينبغي لمن تشرف بالإسلام النوم عن محافظة أمانة الحق تعالى وهو القيام .

ثم أنه خرج مع ركب الشام حاجاً الى بيت الله الحرام عام أحد وأربعين وفي خدمته الجم الغفير من فضلاء الخلفاء والمريدين مؤيداً من الله عز وجل بالإقبال والقبول أينما حل . فأقبل عليه العلماء والأولياء من أهل الحرمين المحترمين وعرفه أهل عرفه وأجمعوا على محبته واجتمعوا على قبول طريقته . فكم جبر بنظره الإكسير كسيراً وأجرى في سبيل الله خيراً كثيراً يبشّره بأن له من الله فضلاً كبيراً ، وإستدار جمهور العارفين بقطبهم وطاف بالبيت ، بل طاف بالبيت به .

ورجع هذا البر من طريق البر وكان مع الركب من كتب بحقه من أهل حلب الى ساكن الجنان السلطان الغازي (محمود خان) . فتوسل أمير الحاج الى الحضرة قدّس الله سرّه أن يعفو عنه فقبل توسله ولكن بشرط أن يكتب بخطه أن ما ذكره في حقه لأصل له . فاستسلم الأمير هذا الأمر الخطير وكلف الحلبي فأبي وأخفق سعي الأمير . ثم لم يزل محموراً على أجنحة الإحترام حتى وصل الى دمشق فقبله بغاية الإجلال ونهاية الإحتفاء والإحتفال ، ودخلها بموكب مكوكب منير عديم النظير محفوفاً بالعلماء والوزراء والأغنياء والفقراء للتبرك به والتماس مجاب دعائه . فكان يوماً مشهوداً وموسماً معدوداً وإستدر الشعراء بالقصائد الغراء درّة ، فابتدروهم بالعطاء بالبحر مرة بعد المرة . فمنها ما مدحه به بعض الفضلاء الأعلام مؤرخاً عام وصوله من الحج الشريف الى الشام فقال :

والعندليب بروض الحب قد صدحا  
والدهر أصبح في نيك المنى فرحا  
وطالم الفتح أهدى للورى منحا  
والسعد والى فطّب بالبسط وإنشرا  
فوق الفصون وعرف الورد قد نفحا  
غمد الخمول وكت بالصدق ملتفحا  
وألثم ثغوراً حلت واستجلب الملحا  
عند المرور لمتت الروض قد شرحا  
والنرجس الغض إذ طرقي له لمحا  
خد تكلم أو طرف الرشاش جرحا  
تختال عجيباً بأذيال البها مرحا  
تأسو علي مفرم من وجهه شطحا  
لا كان هذا ولا تغدو به فرحا  
به سبيل الهدى للسالك إتضحاً  
فكان خير إمام بالهدى نصحا  
كفيه سيف الهدى المسلول لأبرحا  
أنار قلباً بميدان التقى صرحا

كأس الزمان بخمر الأنس قد طفحا  
وجاوبته زهور الروض باسمه  
وشمس حسن الهنايا لبشر مشرقة  
والطير غرد والأغصان راقصة  
أما ترى ساجعات الورق صادحة  
إن سالمتك الليالي استل عزمك من  
وأكرم بكأس مدام طاب منهلهم  
وأنظر فواصل أروام النسيم ترى  
في دوحه أشبهت راحاً ونحن بها  
صدغ تَنَمَّنْمْ أو ثغر تَنَظَّمْ أو  
وغداة بابي أفندي إذا برزت  
إذا بدت أخجلت الضحى وغدت  
سالتها الوصل قالت وإثنتت عجباً  
الإبمدح الإمام النقش شـبند ومن  
قد جاء والشام في هرج وفي مرج  
الوافي عهد القمم النفس قام وفي  
فكم أماط حجاباً بالسلوك وكم

وكم مريرد حماه من هواه وكم  
رعياً له من همام مسعف كرما  
زُيْنَتْ به الشام لما حلَّ ساحتها  
طوبى لكم سالكي طريقه هدته  
إذ لام يتلو بإرشاد دروس هدى  
هذا ووجدان وجدني في محبته  
لم أنس إذ حج بيت الله معتمراً  
طوبى له هجر الأوطان ممتثلاً  
أهلاً به طاف بيت الله معتمراً  
طوبى له بذل الأموال محتسباً  
بك خالصاً مخلصاً والحق بغيته  
ونال من روضة المختار أهله  
أهلاً به حينما قال السلام على  
يهنيك ذلك يابحر الهداة ويا  
فاسلم بأطيب عيش سيدي كرماً  
ماقال صب لك البشري بحجتكم

تراه بالحق باب الرشده قد فتحا  
بصدقت عهد تراه منجداً سمحا  
وربعها بلقاه لم يزل فرحاً  
كم فإز بالقرب صب أمه ونحا  
ومتن منهم قرب الحق قد شرحا  
وكأس شوقي الى لقياه قد طفحا  
وزار طه وفيه كان منشرحاً  
أداء فرض له الرحمن قد سمحا  
نال المنى في منى ثم العلاء ربحاً  
بالله لا لثواب يبتغي جُرحاً  
يرقى العلاء بزناد الشوق قد قدحا  
ولاح في صدقت عهد الله متشحا  
طه الشفيع ملاذي أنت شمس ضحي  
بدر الكمال كفتيت همم والترحا  
في الهدى تسمو وماطير الهنا صدحا  
تاريخها جل فضل الله قد صلحا

وعاد الى ما اعتاد من الإقبال على نفع المسلمين وإحياء شعائر الدين وبت علوم الظاهر والباطن  
وتعميم نفحاته الى جميع المواطنين حتى دخل العشر الأخير من شهر رمضان . فطفلق يتذاكر مع الإخوان  
بالذهاب الى القدس وأظهر تمام الإهتمام والأنس ، ووعدهم الى خروج ركب الحاج من الشام ففرحوا ولم  
يدركوا ما أضمر في النفس :

أراد للقدس ترحالاً فكان الى  
حظيرة القدس حقاً ذلك السفر  
فظهر الطاعون في شوال فسألوه إنجاز الوعد ، فقال : مانحت فيه من مصابرة الطاعون خير ثواباً مما  
ترغبون ، وذكر أحاديث وأخبار في فضل شهيدته وجزاء الفار منه ووعيده وكثيراً ماكان ينشد :  
له ملك ينادي كل يوم  
لدوا للموت وابتوا الخراب  
وقال له رجب : أدعو الله أن ينجيني منه . فدعا له ، فقال : ياسيدي ولكم أيضاً . فقال : إني لأستحي من  
ربي أن لأحب لقاءه .

وقال : وماجننا الشام إلا لأن نموت في هذه الأرض المقدسة ، وهذه الشهادة إن تمت فهي السعادة  
الأبدية . فما نشب إن طعن قرّة عين المريدين نجله سيدي بهاء الدين وتوفي ليلة الجمعة في اليوم الثامن  
والعشرين من شوال . فما زاد على أن قال : الحمد لله رب العالمين هذا مغناطيسنا وسنتبعه كلنا . ودُفِنَ  
في سفح قاسيون المشهور في مكان موات بعيد عن القبور ، وكان سنّه خمس سنين وأيام . وقد أتقت  
اللغة الفارسية والعربية والكردية وأكثر القران . ثم تبعه يوم الإثنين تاسع شهر ذي القعدة الحرام أخوه  
سيدي عبدالرحمن ، وكان أكبر منه بأكثر من عام . فشيعه هو والإخوان الى ذلك المكان وأمر وقتئذ أن يحفر  
قبره الأنور وعين محله ومحل قبور حرمه الأطهر والخلفاء ، وأن يحوط عليها بجدار ويبنى ثم صهرج في  
مسيل الماء وقال ، أظن أنه سيبنى هنا تكية الفقراء .

ثم نزل فأرسل إلى خلفائه وأحبائه وأشهادهم أنه ؛ كان منذ سنتين من تاريخه وقف كل كتاب يخصه ثم حرر على ظهر قاموسه ما نصه :

"وقفت هذا الكتاب وبقية كتبي لله تعالى على أن الولاية والنظر بيدي أولادي الأرشد فالأرشد ثم أولادهم ماتناسلو ثم بيد صاحبي الأنازاني ثم محد الناصم ثم عبدالفتاح ثم إسماعيل أفندي الغزي . ومتى صار واحد من أولادي قابلاً للتولية بعد فقد قابليته يرجع الأمر اليه ويخرج من أيدي الذين سميتهم . فإذا انقضوا تنتقل التولية والنظر إلى أقاربي الأقرب فالأقرب بشرط العلم والصلاح ثم إلى أصلح وأرشد وأعلم من يوجد من الطائفة النقشبندية الخالدية . ثم إلى سائر المسلمين من المخلصين لهذه الطريقة وسائر طرقات الأولياء . وقفت تلك الكتب نفيسها وغير نفيسها على مذهب الإمام المهتم قبله أساطين الإسلام إمامنا محد بن إدريس الشافعي المطلبى رضي الله تعالى عنه . فمن بدله بعدما سمعه ولو في رسالة صغيرة منها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ."

وكان ذلك سنة أربعين بعد المائتين وألف قاله بلسانه ورقمه ببنانه العبد المسكين خالد النقشبندي المجددي سومم بالفضل الخفي والجلي من المولى المهيمن العلي . ثم أتى لزيارته مساء يوم الثلاثاء نخبه المحققين السيد الشيخ محمد أمين عابدين ، فقال له : إني رأيت في المنام منذ ليلتين أن سيدنا عثمان ذي النورين رضي الله عنه ميت وأنا واقف أصلي عليه . فقال له أنا من أولاده يشير إلى أن هذه الرؤية توميء إليه .

(ثم) لما صلى المغرب أقبل على خلفائه وعترته وأشهادهم أنه أوصى بثلاث ماله وجعل نظار كتبه السابقين على التعاقب أوصياء عليه وعلى أنجاله وأنه أقام الشيخ العلامة إسماعيل الأنازاني في دست الإرشاد مقامه أمراً ناهياً على جميع خلفائه الأجداد من خالفه فهو مطرود من طريقتهم .

(قال) أنا مامت حيث تركت لكم الشيخ إسماعيل . (وقال) أنا أضمت لكم من لازم خدمته وامتناله أمره أن ينال مالا يحيط به عقل العقلاء ويقصر عنه علم العلماء . وأمر أن لا يبكى عليه ولا يعد شمائله وأن يذبح من أحبه له أضحية وأن يهدى لروحه الزكية القران والأدعية . وأن تقضى عنه جميع صلواته من بلوغه إلى حين وفاته وأن لا يبني على ضريحه ولا يكتب عليه إلا هذا قبر الغريب خالد لتوضيحه .

(ثم) بعد العشاء من ليلة الأربعاء دخل إلى الحرم فجمع أهله وأوصاهت واستبرأ الذمة من كل حق عليه لهن وأخبرهن أنه يقبض ليلة الجمعة . ولأزلت في حديث معه إلى أن مضى من الليل خمس ساعات ، قام فتوضأ وصلى ركيعات ثم قال قدس الله سره : إني طعنت الان فلا يدخل علي أحد إلا مرة . ثم اضطجع على هيئة السنة لايسمع منه تاوه ولا توجع ولا آنة إلى صبيحة يوم الخميس . فدخل الخلفاء عليه وسألهم الشيخ إسماعيل عن مزاجه فأوماً بيده الشريفة إليه أن يقصر الكلام ولا يطيل المقام . ثم قدم له الماء فلم يقبل وأشار إليه أن "أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الله عز وجل" . وبقي يذكر الله تعالى حتى سمع مؤذنه الملا عمر أذان المغرب لله أكبر . ففتح عينيه وقال : "الله حق الله حق . يأيتهما النفس المطمئنة أرجعي إلى ربك راضية مرضية فأدخلي في عبادي وأدخلي جنتي" . ثم لحق بالرفيق الأعلى في دار السلام ليلة الجمعة رابع عشرة ذي القعدة الحرام سنة إثنين وأربعين ومائتين وألف وستة خمسون سنة سوى شهر ونصف . فحمل ليلته إلى مدرسته فغسل بالأنوار وكفنت بالأذكار بمباشرة كل من الشيخ إسماعيل

والشيخ محمد الناصح والشيخ عبدالفتاح والشيخ محمد الصالح طبق وصيته . ثم أحيوا تلك الليلة بقراءة القرآن حوله . فلما أسفر النهار حُمِلَ الى جامع يلعبا على أنامل الأختيار :

خرجوا به ولكل باك حوله صعقات موسى حين دُكَّ الطور

فأشار الشيخ إسماعيل للعلامة الجليل الشيخ السيد محمد أمين عابدين بالصلاة عليه . ولما لم يستوعب الجامع أهل الشام وعدهم الشيخ إسماعيل بإعادة الصلاة عليه عند المقام . ثم رُفِعَ على أجنحة الملائكة الى حظيرة قدسه . ولم يرغب أحد عن تشييعه الى الجبل بنفسه . فأعيدت عليه الصلاة ونزل الى لحده من غسله من الخلفاء فواراه :

عجبت لأيد هالت الترب فوقه ضحى كيف لم ترجم بغير بنان

ولقنه بلبل منبره وهزار محرابه العلامة الملا أبو بكر البغدادي أحد أجلاء أصحابه .

(وكان) قدس الله ذا هبة عظيمة وهيئة فخيمة طويل القائمة عظيم الهامة أبيض اللون أحمر الخدين أسود الشعور والعينين أقرنى الأنف صديد الحاجبين ذريع الذراعين عريض مابين المنكبين ، كثير شعر الجسد أشد وقاراً من الأسد ، فاخر اللباس لايدم الطيلسان والعصا بين الناس جليلاً مهاباً رحيماً وهاباً قد وفقى الإرشاد رسومه على قواعده المرسومة لا يظهر لأحد إلا لدرس أو ذكر أو عبادة أو عيادة أو زائر من أهل العلم ، لاسيما ذوي السيادة فإنه كان يبالم في تعظيم آل البيت فوق العادة حتى أخبرنا سيدي الجد الأمجد عنه قدس الله سره أنه مر معه في الدرس ذكر الأشراف مرة ، فأطنب في مدحهم إطناباً غريباً وأثنى عليهم ثناءً عجبياً ، ثم قال : "لولا ولولا لألفت رسالة بديعة بفضلم لم أسبق إليها أصلاً" . قال سيدي الجد أي لولا مخافة نسبته الى التشييم أه .

وانما وضعت لحيته الشريفة هذه الضابطة تسميلاً للمريدين ، إذ لا يجوز إتخاذ غير صورته الشريفة رابطة خلافاً لما يقوم من المشايخ القاصرين كما ذكره سيدي الجد في "البهجة السننية" واستدل عليه بأدلة قوية ، فارجم اليها إن شئت . وقد إنتدب لندبه أدباء علماء العصر بما دام في كل مصر وأحصر عنه نطاق الحصر . فمتم أجلم وأجمله في التابيين ما قاله علامة المتأخرين السيد الشيخ محمد أمين عابدين بواه الله أعلى عليين :

فرأيناه قد أمال الجبالا  
وبهائم وبهجةً وكمالا  
وسخاءً وعففةً ونوالا  
ويميناً وقبلةً وشمالا  
كلُّ شهم يحكُّ عنه الشكالا  
كل بدر وقت الكمالا  
وحساهم منه الرحيق الزلالا  
وهو الفريد قبالاً وحالا  
من سناه فقد تزكى فعالا  
صح إنتسابه إجلالا  
النقش بندي زاد منه جمالا  
ولجدواه مارأينا مثالا

أي ركن من الشريعة مالا  
مذ رزئنا بأوجد العصر علماً  
واجتهاداً وطاعة وصفاء  
هو بحر العلوم شرقاً وغرباً  
فإذا عن شكك كلُّ عنه  
مذ تجلى سناه فينا أرانا  
وسقى أهل عصره كأس قرب  
هو قطب عليه دارت رحى العرفان  
هو شيخ السلوك من نال هدياً  
ولعثمان ذو الحياء وذي النورين  
وبه إزدان ديننا وطريق  
مارأينا كعلمه وتقاه

جاهل رام منه شيئاً محالاً  
 مذ أشاعوا الردى وزادوا إضلالاً  
 ذلم مذ رأوه فإفكاً خصالاً  
 ما به زاد رفعةً وجلالاً  
 قـد أراد الإله أن يتـلالاً  
 كم به مـبـعدٌ تقرب حـالاً  
 كل قطر به صنفوا أعمالاً  
 وامتنى في التقى مقاماً تعالاً  
 واكتسى من جماله سربالاً  
 فقضى من نواله أمالاً  
 دونهم النجم في علاه منالاً  
 لقل منها فلست تحصي الرمالاً  
 ولدان النعيم دام انتقـالاً  
 فكان العيون أضحت ثكالي  
 خالد في الأنام ليس مزالاً  
 كل حيث على ثراه توالى  
 وارثناه سبحانه وتعالى

دمت الخلق لم يكدر صفاه  
 كثرت حاسدوه فإزداد هدياً  
 ورموه بالإفك ظلماً وراموا  
 فتفاضى عن القبيم وأبى  
 أيطت الحسود يطفئ نوراً  
 دأبه نشر حكمة وعلوم  
 كعداد النجوم أتباعه في  
 كم له من خليفة زاد قرباً  
 كم مسجداً عييد سناه  
 ولكم عال عاجزاً وفقيراً  
 ولكم حاز خصلة قد تسامت  
 ومزايها إذا أردت عداداً  
 قد أجاب الإله لما دعاه  
 فبكته العيون دمعاً غزيراً  
 خالد القطب إن يزل فهداه  
 فعليه من المهيم من رحمي  
 ماسرى في الضمير ذكر خفي

وقد شطرها العالم الفاضل الشيخ داود البغدادي النقشبندي تشطييراً لطيفاً مطبوعاً في ذيك رسالة  
 "سلّ الحسام الهندي" . ومن ذلك القصيدة البهية التي أوردها سيدي الجد في بهجته السنية ومطلعها :

ماللبدور يرى بهن أفول  
 فوق الضياء فلم يقله مقيل  
 من دمعها فوق الخدود يسيل  
 كف البطائم دمعها المممول  
 وعلا رياض الشام منه ذبول  
 أبداً خطيباً لا يكاد يزول  
 والبين يهجم والخطوب تجول  
 تالله كم دهشت لديه عقول  
 هك مخبر عني الشكوك يزيك  
 دهم الورى بالصور اسرافيل  
 حجب الحياة وعاجل التهويل  
 فقدا لسان الحال عنه يقول  
 فيم الخلائق عالم وجهول  
 حبر له المعقول والمنقول  
 قاص ودان فضله مأمول

ماللجبال الراسيات تميل  
 ماللظلام يجبر ذيك رداءه  
 ومخدرات الحي تنثر لؤلؤاً  
 والورق أكثرت النوام مخضباً  
 والدهر ألبس أهله حلك العنا  
 والحزن قام على منابر حيناً  
 والأرض ترجف والنوائب أهدمت  
 هذا مصاب ليس يحدث مثله  
 ماذا بدا في الكون يأهل النهى  
 هل كان يوم الصعقة الأولى وهل  
 أم زلزلت تلك القيامة وإنطوت  
 أفصح لنا عما بدا ياذا الحجا  
 قف وانتبه ماقد بدا فيما استوت  
 قد مات كهدف العلم سلطان التقى  
 سند السيادة والرياسة للورى

صدر المجالس إن بدا فكأنه  
بحر أفاض على الورى مدراره  
وتفجرت منه ينابيع حلا  
بكت العيون على فراقك سيدي  
وأفى الضياء الدين بدر زمانه  
عند المليك الحي قد أضحى له  
هيهات أن يأتي الزمان بمثله  
ياخالداً في حضرة القدس التي  
أدناك ربك منزلاً ترقى به  
وأبام روحك حضرة قدسية  
وأنام سحب الفضل تهطل دائماً  
ماقال إسماعيل يرثي سيداً

النعمان يروي عن عطا ويقول  
فروى العطاش زلاله المعسول  
منها لوراد الهدى التعليل  
وبكاؤها لك بالدماء قليل  
قطب الوجوه وللعلل إكليل  
في مقعد الصدق الأجل مقيم  
إن الزمان بمثله لبخيل  
كم طام دون فنائها مقتول  
فلك الشهود وكم بذاك نزول  
عند المهيمن مالها تبديك  
بفناء رمسك لاتكاد تزول  
ماللجبال الراسيات تميل

ومن ذلك القصيدة الجميلة التي شرحها العلامة المفسر محمود أفندي الألوسي مفتي بغداد للسيد محمد جواد السياه بوشي رحمه الله تعالى :

خدين الهوى خف الخليط المعاضد  
مُعاهدُهُم عاف القطبين قراره  
وأقوت عراض الأنسب منها كأنما  
وإن أضحى با ألفت إصطحابهم  
تطارك الأرزاء في كل أنة  
نذير الفنا وافي نفسك لم تكن  
لنن هتفت ورتقاء سعدك بالمنى  
هو الزمن العادي وصارمه الردى  
ترث ثياب العيش فيه كما ترى  
زمان به زهر اللطائف ذابل  
عقدت الحبا في حبك اللهو غافلاً  
تروم الغنى في غفلة بعد غفلة  
يخاتلك الدهر الغشوم بمكره  
نظرت بأل الله سوء صنيعه  
أثار جوى الأعلام أعلام دينه  
مصاب رئيس العارفين عصامها  
تهدم بيت الدين بعد عماده  
أمن بعده يحلو الوصال لهاشق  
ألا من مفيت السالكين إذا كبت  
ألا من لتدريس التصوف بعده

وأطلال أحباب هويت هوامد  
لديها وحاكتها الحمام الفواقد  
ألمت بها بعد الأنيس الأوابد  
خلت منهم بالأبرقين المعاهد  
بقت ولاسفت الرحيل رواقد  
لتسفى وأحكام القضا نواقد  
فلم تنف عن حد الحتوف الحدائد  
وأجالنا للحد منه مغامد  
وأثواب أعمار الخطوب جدائد  
ودهر به سوق المعارف كاسد  
عن المقصد الأسنى وسعيك قاعد  
وصرف الردى في حظ قدرك جاهد  
وجملك يقظان وطرفك راقد  
وعاينت من أهواله مانكابد  
بوقم له السبب الطبايق رواعد  
ومرشدنا إذا أعوزتها المراشد  
ومادت بنا أركانه والقواعد  
بحضرة قدس وهو للشيوخ فاقد  
وزلت بهم أقدامهم تتمايد  
يفيد ومتى تخفى هناك الفوائد

ألامن لتلقين الأوامر بعده  
 ومن قدوة التعريف والكشف بعده  
 ومن لإمارات الشهود ورمزها  
 ومن يرم في عين العناية وهو في  
 يسوس بأشخاص المريدن حيثما  
 رأينا عظيم الهول في خطبه كما  
 بذأ قضت الأيام مايبين أهلها  
 دعاه لصقم القدس مولاه عنده  
 نحاه ولا ينحو سواه لأنه  
 وما أم غير الله مدة عمره  
 مراحل لم يستقصها قط ناسك  
 نفى ظلمة الشرك العميم وقد محا  
 بصيرته القلبية استنهضت به  
 تقرب من قوس الصعود حمى فلا  
 وشاهد من شمس الحقيقة مشرقاً  
 ومابدليك الأن ترعاه نسبة  
 ومانافم دين العجائز لإمريء  
 أمير رياضيات النفوس وإن من  
 عليه رعى العرفان دارت لأنه  
 فتى قصده عرفان باريه هل ترى  
 فيا كهف أبناء الطريقة والذي  
 سریت من الناسوت حزماً وهمة  
 مقامك جمع الجمم فيه لأنه  
 بعيداً يراه الجاحدون وإننا  
 وجانبت أهل التيه والغي والعمى  
 لعلمك أهل الحال عقبي ومألمهم  
 نحوت بلاد الهند تكتسب العلا  
 أخذت طريق النقشبندية التي  
 فعادت تباهي للطرائق إذ غدت  
 بنفسي سيام الأقاليم طالباً  
 وما عام في بحر السلوك موحد  
 وخضت بأصناف العلوم مكملاً  
 ولم ترض في علم التقشف راغباً  
 وماظاهره يختاره ذو فطانة  
 وما القشر مثل اللب يدرك كنهم  
 لحي الله خبا خامر الوهم عقله

يلقتن أن يسهمو لذكر حاقد  
 ومن لأباليس المخائل طارد  
 وغامضها إن جاء ينشد ناشد  
 مراقبة والذكر من ذاك خامد  
 بدت قبسات تنجلي ومشاهد  
 رأته بشرها في الخلد منه الخرائد  
 مصائب قوم عند قوم فوائد  
 فلباه سراً وهو إياه قاصد  
 اليه به منه عليه لوفاد  
 وحاشى وما للغير في السير عائد  
 سواه ولا يرقى لها قط زاهد  
 غياهبه كيما تصح العقائد  
 الى سبيل للسير فيها مراصد  
 يقاس به الإله والله صاعد  
 يذوب بسيماه الحصى والجلامد  
 أجل بطريق اللم للعلم حاشد  
 بمرئى نهاه للجمال يشاهد  
 أساطينها تلقى اليه المقالد  
 هو القطب والأبدال فيها فراقد  
 تقوم به أبياتنا والقصاصد  
 تكفل في إرشادها وهو والد  
 الى ملكوت عنده الملك خالد  
 مقام به للأكرمين مقاعد  
 نراه قريباً لا يرى الحق جاحد  
 بنور يقين صم إنك ناقصد  
 وصال وأهل القال طراً أباعد  
 بتكميل نفس للتسرو حن رائد  
 بدقتها تعيا الفحول الأسود  
 لها صلة من ذا الجناب وعائد  
 لمرضاة مولاه بحق يجاهد  
 كما عمت فيهم واعترتك الشدائد  
 نذاك ولم يردعك عن ذا حائد  
 بجوهر علم تبدو منه والفراقد  
 على باطن إلا جهول معاند  
 أخو اللب لامن حظه متقاعد  
 بليد جنات في الطبيعة جامد

تعرض للإنكار فينا بجملة  
الأصلح لله العباد وشأنهم  
قد ابتهرت أراؤنا فيك مثل ما  
دعوت إلى الذكر الخفي وأنه  
لسيدنا عثمان أصلك ينتمي  
هو الحسب الوضاح والشرف الذي  
لباذخ هذا الفضل لقبك الوري  
ومن أجل ذا كُنيت ثم أبو البها  
أجاد يراعي في الرثاء وانني  
بكك بعين الرفق كل موحّد  
ولما هويت الحق قلت مؤرخاً

ولم يجده الإنكار والحق شاهد  
وأنهم في الصدق مازاد زائد  
بك إنتشرت بين الأنام المحامد  
لأفضل ذكر الله فيه المقاصد  
فاكرم به أصلاً نمته الأماجد  
فضائل ذي النورين فيه شواهد  
بحق ضياء الدين والإسم خالد  
بهذا صفت لسالكين الموارد  
الجواد ولا يرقى لما أنا واجد  
لأنك فرد في الكرامة واحد  
هو للقاء الحق في القدس خالد

(سنة ١٢٤٢ هـ)

وفي رسالة حصول الأنس بانتقال حضرة مولانا إلى حظيرة القدس لإسماعيل أفندي الغزي :

رزء ألم بذي النهى ومصيبة  
روم الروى نادت لفقد دوائها

عومت بموت الحبر محيي السنة  
أرّخ طيبي خالد في الجنة (سنة ١٢٤٢ هـ)

وعند كتابي في هذا المجال ورد عليّ هذه الأبيات فأثبتتها في الحال تبركاً بخدمته نفعنا الله ببركته :

أه لكن كيف يكفي  
مارثي حضرة مولانا  
مالذي يدعى به غوث  
أي نظم أنثـر  
مبلغ العلم به إن  
مايقول العبد أرّخ

الف أه أو الف الف  
ولا بالمدم وفي  
الورى مما يوقى  
أي مدم أي وصف  
شنت عنه بعض كشف  
خالد قطب توفي (١٢٤٢ هـ)

ولم أقف له قدس الله سره مع تنقيري في آثاره غير مرة على كلام في الحقائق أو الرقائق . ولعله كان  
جُندي المشرب أو صدفه عنه كثرة ما صادفه من العوائق . وأما مكتوباته القدسية فهي إما في آداب  
الطريقة العلية- وقد ذكر بعضها الجدّ الأجد في "البهجة السنينة" وطبع جزء منها في دمشق الشام مع  
عقيدته الإسلامية- وأما في المسائل العلمية النادرة وهي أيضاً غزيرة وافرة . فمن ذلك باللغة العربية  
ماك تبه إلى بعض خلفائه في بغداد ، فقال :

"بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى . من العبد الساعي في  
هلاك نفسه ، الملتهمي بشغل يومه عن جزأ غده وذنوب أمسه خالد إلى مخاديمه السيد السيد عبدالغفور  
والملا محمد الجديد وموسي الجبوري . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد . فأوصيكم وأمركم  
بالتأكيد الأكيد بشدة التمسك بالنسبة السنينة ، والإعراض عن الرسوم الجاهلية والبدم الردية ، وعدم  
الإغترار بالشطحات الصوفية وترك تصحب العوام المسمين أو باشاً بالترجي لهم عند وزير أو أمير أو  
باشا ، لأنه ينجر إلى إتهامكم بما يشين . وإذا تعارضت المفسدتان فارتكاب أهونهما لازم والسعد من



إتعظ بغيره . فلا يوهمنكم أن قضاء حاجة الإخوان من أعظم العبادات ، لأنه مخصوص بما إذا لم يتولد منه ما هو أكبر منه . ولا تتداخلوا مع الملوك والأمراء والأغوات وأعوانهم . فإنكم لستم ممن له قوّة إصلاح هؤلاء ، ولا تغتابوهم ولا تسبّوهم بطراً و غروراً إنهم ظلمة أنتم صلحاء . فإنه عجب وجهل . إذ ما منا أحد ليس بظالم ، بل عليكم بالدعاء لولي الأمر وأعوانه بالتوفيق والإصلاح . فقد روى الطبراني في معجميه الكبير والأوسط بإسناده أنه صلى الله عليه وسلم قال : " لا تسبّوا الأئمة وادعوا لهم بالصلاح فإن صلاحهم لكم صلاح " أه .

"ولا تُدخّلوا الطريقة بعد هذا اليوم أحداً منهم ومن أعوانهم ولا من التجار المتفكّمين بالدنيا المنهمكين في الشهوات ، ولا من العلماء وطلبة العلم الذين جعلوا العلم وسيلة الجاه عند الخلق وجمع الحطام ، ولا من البطالين الذين يستندون الى الطريق بسبب البطالة فيحملوا أثقالهم الى رقاب الناس باسم الصلاح والإرادة ، ولا من الذين إذا تيسر لهم رتبة من مناصب الدنيا وثبوا اليها وثبة النمر ، وقد كانوا يفضيئون إذا تساوى بهم أحد من الخلفاء فضلاً عن غيرهم من المريدين ، ولا من الذين يريدون الخلافة ليشتروا لما رأوا أن بعض الناس صارت لهم الشهرة وجمع الفلوس بسبب الخلافة .

(واعلموا) إن أحبكم اليّ أقلكم إتباعاً وعلاقة بأهل الدنيا وأخفكم مؤنة وأشغلكم بالفقه والحديث . وقد ورد في بعض الأحاديث -مازاد رجل من السلطان قرباً إلا زاد من الله بعداً ولا كثرت أتباعه إلا كثرت شياطينه ولا كثر ماله إلا اشتدّ حسابه- وحينئذ لم يبق وجه للميل الى تكثير السواد بمؤلاء إلا الطمع وحب الشهوة والجاه وأخذ الدنيا بالدين . وجميع هذه النيات فسادها غني عن البيان . ولا يخذعكم الشيطان بأن فائدة الخلافة وقدرة إلقاء الجذبات إيصال النعم الى الخلق وبأنكم إذا كثرت أتباعكم تيسرت لكم الختوم القرآنية كل يوم . لأنني تركت لكم الطلاب الصادقين الذين لا يتصفون بشيء من الذمائم المارة ، وهم وإن كانوا نادريين لكن واحداً منهم أحسن من الوفاء من الطباييت . وختم القرآن يكفيه نحو ثلاثين مريداً مع إنه يمكن بالمخلصين من الجيران وإن لم يتيسر فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها . وليترك تردد النساء الى بيت عبيدالله أفندي للتوجه . فإنه لخروجه عن الطريقة ودخوله فيما دخل بطوعه صار له هبوط عظيم . وسادة هذه الطريقة لا يتلاعب بهم وأمر عبيدالله بسبب وقوع الخلافة عليه وزعم كونه أقدم من غالب الخلفاء لا يشبه أمر الذي دخل في الطريقة وهو من أهل الدنيا . ولا الذي لم يدخل وهو من أهل الدنيا من المحبين ، كأخيه المرحوم طاب ثراه أئمة هذه الطريقة والمريدين بأدنى إنصراف بعد هذه الإرادة فضلاً عن الخلافة . فراجعوا الرشحات عند رد إمام الطريقة بهاءالدين النقشبند وعبيدالله أحرار لبعض من استأذنت للحج أو قبل التدريس في بعض المدارس من المريدين . فإن خالفتهم فلسستم على عهدي وأنتم تعلمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . أضعف العباد خالد النقشبندي " .

ومن ذلك ما كتبه في بيان مقر أرواح الأنبياء عليهم السلام في البرزخ ، فقال :

"بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد . فقد ورد مرسومكم الناطق بأنه وقم الخلاف بين السادة الموجودين عندكم بأن أرواح الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام أين تكون في هذا البرزخ ، هل هي حالة في أجسادها المكرمة كما كانت في الدنيا أم في أعلى عليين أم غير ذلك ؟ فما تحرر الأمر فطلبتم التحقيق من

العبد المسكين . فيقول وبالله التوفيق ؛ الأدب أن لا يُعَيَّن مقر معين لأرواح الأنبياء صلوات الله تعالى وتسليماته عليهم وعلى أئمة وصحبهم أجمعين . فلا يُعْتَقَد أن في عالم الإمكان من السموات والأرضين بقعة تخلو عن مدد روحانيتهم عموماً وخصوصاً روحانية سيدهم وخاتمهم خصوصاً . بل يجب اعتقاد أنهم أحياء وأجسادهم في قبورهم وحياتهم فوق حياة الشهداء يصلون ويحجون ويلبّون ويقرؤون القرآن ويسبحون تليداً بطاعة الله تعالى ويزيدهم الله تعالى بذلك من فضله . فلا يرد أن الآخرة ليست دار تكليف لإحتمال حياة الجسم بدون الروح - كما هو المقرر عند أهل السنة . ولا ينبغي التصريح بأن حياتهم فيها كحياتهم في الدنيا ، ولا بأنها بمقارنة الروح للجسد - وإن جاز ذلك لإحتمال حياة الجسم بدون الروح كما هو المقرر عند أهل السنة - لأن الروح عندهم من الأسباب العادية كالشراب والطعام للرّي والشبع . فالله تعالى خلق تلك المسببات بلا هذه الأسباب . فيجوز كون أرواحهم في أجسادهم وأجسادهم في قبورهم . ويجوز كونها فيها وهي متنعمة بسيرانها في الملك والملوكوت على طريق خرق العادة ، ثم تعود الى قبورهم متى شاء الله . ويجوز كون أجسادهم أحياء في قبورهم بلا أرواح كما تقدم ، والأرواح حيث شاء الله وكون أرواحهم في أعلى عليين أو في الرفيق الأعلى أو في الفردوس أو غير ذلك مما تدل عليه الأخبار الصحيحة . لا يقتضي كون هذه المذكورات مقر لها مخصوصاً أما لجواز انتقالها من حال الى حال ومن متنزه الى متنزه . وأما لأن للروح شأناً غير شأن البدن ، فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة بالبدن . وإذا سلم على البدن ترد الروح السلام وهي في مكانها هناك ، كما قال ابن القيم الجوزية في كتاب "الروح" ، واقره في كتاب "المنجلي في تطور الولي" . وأما لأن الكمل - حتى بعض الأولياء - يمكنهم الله تعالى من التصور بصور عديدة بحصر أو بغير حصر ، وقد يكون لهم صورة واحدة تملأ الكون .

ويظهر بالكشف أحياناً أن السموات والأرضين والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرّم ، ومنه يظهر إنحلال كون سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم رأى ليلة المعراج سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام عند الكئيب الأحمر يصلي في قبره ، ثم راه في الأقصى إقتدى به مع الأنبياء ثم في السماء السابعة أو غيرها مع جماعة من الأنبياء في السموات ، فكلمه في أمر الصلوات ومراجعة ربه - وهنا أحاديث ضعيفة باطلة تدل على خلو قبره صلى الله عليه وسلم عنه ظاهراً مطلقاً أو بعد ثلاثة أيام أو بعد أربعين يوماً - إغتر بها بعض الناس لايحوز التعويل عليها . لأنها مع ضعفها أو تاويلها لاتعارض الأحاديث الصحيحة الدالة على بقاء الأنبياء في قبورهم ، كحديث "أنا أول من تنشق عنه الأرض" ، وحديث "نقل يوسف من قبره بمصر الى مقبرة أبائه الكرام بارض الشام" عليهم الصلاة والسلام في البدء والختام .

(ومن ذلك) ما كتبه رضي الله عنه الى عبدالله باشا والي عكة إذ طلب الدعاء بالذرية منه :

"بسم الله الرحمن الرحيم . من العبد المسكين الى خادم الفقراء وخيرة الوزراء لازال بعين الرعاية محروساً وبنيل المأرب مانوساً ، أمين . أما بعد . فقد بلغني مرسومكم الحاوي لشدة الإعتقاد والمبالغة في الإستعداد لطلب الذرية لكم . أما الدعاء فقد صدر مني مراراً وأما الهمة فلست من أهلها ولنت سلم فلا تُستعمل الهمة إلا بعد ظهور أن المطلوب قضاء معلّق . والى الآن ماتبين أن مطلوبنا كذلك لعمى بصائرنا بسبب اليتم والشبهات . ولايجوز إعتقاد أن القضاء المبرم يرد بهمم الأنبياء فضلاً عن

الأولياء . وكل ما يردّ فهو معلّف وإن لم يظهر تعليقه في الوحي والكشف . بل لا ردّ مطلقاً إذا المقضي في صورة وقوع شيء ووقوعه وفي عدمه عدمه ، لأن معنى إبرام وقوع شيء مثلاً إحكامه والقطع بوقوعه بحيث لا يردّه أحد ولا يصرفه صارف . فإذا فُرض أنه يردّه لزم محالّات : أحدها ؛ عجز الباري تعالى حيث أبرم شيئاً ونقضه غيره . وثانيها ؛ الكذب في كلامه النفسي لأنه قال تعالى في نفسه في الأزل هذا الأمر سيقم حتماً وإلا لما كان مبرماً مع إن الفرض عدم وقوعه . وثالثها ؛ الجهل لأنه تعالى تعلّق علمه بأنه لا يردّه ووقع خلاف ما علمه تعالى وتقدّس عما لا يليق بجنابه الأقدس . لا يجوز تعلّق إرادة الباري تعالى بنقض ما أبرمه إذ الإرادة لا تتعلّق بالمحال الذاتي ، كما تقرر في علم الكلام . وكل ما يستلزم نقضاً عليه تعالى فهو محالّ ذاتي .

(وما يحكى) عن بعض أصحاب الغوث الأعظم الكيلاني إن الله تعالى ردّ له مبرم القضاء فغير ثابت بهذا اللفظ . وثبوته وهو الشائع فالوليّ يُعذر في نطقه بغير المشروع لسكروه ومحوه ولا يجوز تقليد غيره له بشعوره وصحوه ، ولا يسقط التكليف إلا عمن سقط عنه شرعاً . وأيضاً الخطأ الكشفي كالأخطاء الإجتهادي يُعذر صاحبه ولا يُقلّد فيه . ومن لم يُجوز الخطأ على الأولياء لم يفرّق بين النبي والوليّ تماماً . وأيضاً قد يُكتب في اللوح المحفوظ أمر من غير تعليق ، فيظنّه بعض أهل الكشف مبرم لعدم رؤية تعليقه له في اللوح . وما وقع للغوث الأعظم قدّس سرّه الأقوم من القسم الثاني ، وقد وقع لغيره من الأولياء أيضاً . وكما يجب التحرّز عن إنكار الأولياء يجب التحرّز عن الغلوّ في الإعتقاد بهم بحيث يؤدي إلى خلك في فرض العقيدة . وهذا كثير من المفرطين في حسن الظن بالأولياء والشيطان ذو مكر ومكيدة . وإذا أراد الله بأحد أن يأخذ حظاً من فيض شيخ يظهر عليه كما قال ذلك الشيخ فوق ماهيته . فلا ينبغي الإصغاء إلى قول إسماعيل فين . فوالله أنا دون ما يعتقده هو في كثير ولا ينبغيك مثل خير إنتهى " .

(ومن ذلك) ما كتبه إلى العلامة الشهير والوزير الكبير والي بغداد يومئذ داود باشا رحمه الله تعالى :

"بسم الله الرحمن الرحيم . سلام يفوح منه فوائمه تُستطاب ودعاء يُنال به الفوز والفلاح في المبدأ والمآب . وغالب الظن إن شاء الله بظهور الغيب مستجاب . من العبد المسكين والفقيه المستكين إلى حضرة الوالي الراقي مراقي المجد والمعالي ، المشهود له بالهمم العوالي والإنعام المتوالي ، التحرير العَلَم صاحب السيف والقلم أيده لله لحماية الأنام ومنّ عليه بحسن البداية والختام . أما بعد . فقد وصل مكتوبكم الصادر عن مصدر الجلالة والصدارة ، الوارد من مورد الأيالة والوزارة إلى فقير إن حضر لا يُلْتفت إليه بالفحص والسؤال ، وإذا غاب لا يُخطر من قلة خطره على البال مصحوب قرّة العين منظور سادة الطريق النقشبندي ، أعني ولدنا الأصغر صبغة الله أفندي . فاستحسننا هذا الصنيع الناشئ من القدر الرفيع والمقام المنيع مع هذا العبد الوضيع . وكيف لأتستحسن المبادأة بالتواضع من الملوك ، ولا سيما بالنسبة إلى الفقير الصعلوك . ولعمري إن التفقد عن أحوال مثلي من أمثالكم لحريّ بالإستغراب . وحضور هذا المسكين الخامل ببالكم مع الارتداء برداء الوزارة لشيء عجاب ، رفعكم الله بهذا التواضع وصانكم عن التكبر ورتاكم بفضل يوماً فيوماً في مراقي التمكّن والتصدّر . فالتواضع من أرباب الملوك شرف وزين ، والتكبر حُفْظتم عنه سرّاً وشين . ثم لا يخفى على الجناب العالي أن صلاح الملوك خلّكم الله بالصلاح صلاح البرايا ، وفسادهم خلّكم الله عنه فساد جميع الرعايا . وقد ورد الأمر بتعميم الدعاء . فلا جرّم أن شيمة الفقراء الإعتناء التام بالدعاء للوزراء الكرام وسائر الإسلام ولو بلا

تبليغ وإعلام . فعلى مقدار صدق نيّتك وتعلّق همّتك برعاية الأنام وحماية الأرامل والأيتام لكم الإنتظام في سلك الدعاء العام ونخصكم بإنشاء الله المهيمت المنعام بعد هذه الأيام امتثالاً لأمركم ، وأداء لجزء ما لكُم من الأنعام . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته في البدء والختام" .

(وأما باللغة الفارسية) فهي كثيرة جداً جداً لا يسعني أن أحصيها عدّاً .

(وله) قدّس الله سرّه من المؤلفات حاشية نفيسة لم ينسج على منوالها الخيال في علم الكلام وحاشية على "النهاية" للعلامة الرملي في فقه الإمام الشافعي الى باب الجمعة ؛ أبرزَ فيها من عرائس تحقيقه ونفائس تدقيقه ما يبهّر عقول الفحول ، وحاشية على "جمع الفوائد" من كتب الحديث تكتب بماء الذهب قد جردتها بخضّي ، فجاءت مجلداً لطيفاً ورسالة عجيبة سمّاها "العقد الجوهري في الفرق بين كسب الماتريدي والأشعري" وهي مطبوعة في دار السلطنة العلية . ورسالة في الرابطة في اصطلاح السادة النقشبندية تشهد بفخامة قدره . وشرح قبل ذهابه الى الهند مقامات الحريري شرحاً لطيفاً لكنه لم يكمل . وله شرح على حديث جبريل جمع فيه عقائد الإسلام إلا أنه باللغة الفارسية ، وحاشية على "تتمة السياكوتي" لحاشية عبدالغفور اللاري على شرح العارف الجامي على كافية ابن الحاجب في علم النحو قبل سفره الى الهند . وشرح على "العقائد العضدية" و "جلاء الأكار" و "السيف البتار بالصلاة على النبي المختار" ذكر فيه أسماء أهل بدر على حروف المعجم وتوسّل بهم على طراز لم يدركه من تقدّم . وله تعاليف كثيرة على كتب العلوم وديوان فارسي بديع ونثر يفوق أزهار الربيع ومكتوبات كثيرة اجتمع عندنا منها نحو مائتين ، غير أن أكثرها فارسي وغير ذلك من الرسائل المفيدة والأثار الحميدة .

### كراماته وإكراماته

هي باهرة كثيرة كالشمس في الظهيرة ، منها :  
 ما ذكره في "المجد التالد" أنه قدّس الله سرّه نظر الى بعض النصاري وهو يمشي في الطريق مرة . فصاح النصراني صيحةً عالية وتبع حضرة الشيخ الى الزاوية وأسلم وسلك في طريقته وصار من أهل الحضور ببركته .

(ومنها) أن رجلاً من المنكريين في بغداد اجتمع عليه بعض الأوغاد وعملوا حلقة كحلقة ذكر الحضرة استهزأ به قدّس الله سرّه . فلما تقدّم ذلك الرجل توجه الى جماعته السفهاء على وجه الإستهزاء جنّ من ساعته ورمى ثيابه وخرج هائماً كما ولدته أمّه الى الصحراء . وكان الشيخ قدّس سرّه إذ ذاك في صحاري بغداد يتنزّه مدة أيام مع خلفائه الأمجاد . فجاء أقتارب المجنون يتصرّعون اليه ويبكون . فأمر بإحضاره ثم قال رضوان الله عليه لأحد خلفائه : اذهب وتوجّه اليه ولا تشك أنه يفيق . (وكان قد خطر ذلك على قلبه فعلم أنه كوشف قدّس الله سرّه به فجعل يقبل قدميه) . ثم أتى المجنون فتوجه اليه فأفاقت من ساعته واستغفر الله تعالى من جنائته وتبرأ من جماعته .

(ومنها) أن الطائفة البرزنجية الذين هم أكابر بلدة السليمانية قد أجمعوا على قتل هذا المرشد وإنحط رأيهم أن يكون ذلك يوم الجمعة على باب المسجد . فلما كان يوم الجمعة حضر الى الصلاة وخلفاؤه معه . فلما قضيت الصلاة خرج الخلفاء فرأوا زهاء مائتين من الأعداد وقوفاً بالأسلحة صفوفاً فما زالوا منتظرينه حتى خرج آخر الناس بالسكينة . فالتفت إليهم بعين الجلال ، فمنهم من سقط في الحال ومنهم من هرب ومنهم من صام وإنجذب . ثم مشى مع جماعته حتى وصل الى زاويته ولم يتعرّض لهم أحد لابلسان ولا بيد .

(ومنها) مانقله فيه عن الأديب الفاضل عبدالباقي العمري الموصلبي رحمه الله تعالى : "أنه قدم بغداد في بعض المواد فتأخر إنقضاء مادته مدة حتى نفذ جميع ماعنده . فبات ذات ليلة في غمٍّ وهمٍّ من قلة الدينار والدرهم حتى نام فأفاق وقد احتلم . فتألم كل الألم وقال للخادم : إني أصبحت لا صلاة ولا دراهم . فقال الخادم : إني أراك تتردد على حضرة الشيخ خالد قدَّسَ اللهُ سرَّهُ ، فإن كان شيئاً حقيقاً كوشف بذلك وكشف بعطائه ضيقك حالك .

قال فما مضت برهة يسيرة إلا وجاءني أحد خدام الشيخ بمنديل أبيض فيه دنائير كبيرة . فأسرعت بالقيام الى الحمام ، ثم أقبلت اليه فقبلت قدميه . فأمرني أن أجلس فجلست بين يديه ثم أنشأت وأنا في المجلس بيتاً ظاهره غزل وباطنه لغز في لفظ أفسنتين (نبات يوجد في الجبل) فقلت :

بان لام العذار من ألف القدر فتم الوصال في عامين

فقبل أن أتم قراءته قال لي عبدالباقي الأفسنتين في جبال العمادية كثير . فقمتم وقبلت قدميه ثانياً وعلمت أن سرعة هذا الإدراك ماهي إلا من العلم اللدني المنير في الضمير أه .

(ومنها) أنه أخبر قبل أيام أنه وعياله أنه يتوفى ليلة الجمعة فكان كما قاله . (ومنها) مانقله سيد الخلفاء العلماء الشيخ إسماعيل الأناراني قدَّسَ اللهُ سرَّهُ النوراني عنه أنه قال عظم الله أجره : " رأى الشيخ الأكبر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الواقعة مرة فجعلها في إكليل الفتوحات المكية درةً وإني رأيته صلى الله عليه وسلم نحو مائة واقعة ولم أتكلم ."

(ومنها) أن العارف الرباني سيدي وجدِّي الشيخ محمد الخاني لما وفد على أعتابه أظهر الإعتناء به والإبتهاج وإصطفاه لنفسه معيد درسه "شرح الرملي على المنهاج" . فلما جلس لتلقائه لم يجد معه كراساً للقراءة ، فقال : أين الكتاب ؟ فقال : لم أجد . (وأطرق رأسه من فرط الإحتشام) . فقال له : كيف لاتجد كتاباً وأنت تكون شيخ الشام ؟ ثم أمر من قدَّم الكتاب اليه حتى أملى به عليه . فلله در تلك الإعادة إذ أنتجت حصول السعادة بالإشارة الى هذه البشارة :

وإذا سخر الإله أناساً لسميد فإنهم سعداء

ومالبت أن صار كما أشار . فإنتهت اليه مشيخة هذا العلم في هذه الديار كما إنتهت اليه مشيخة الإرشاد في جميع الأقطار وستعلمه حينما أترجمه .

(ومنها) أنه لما بلغ في الهند من الولاية مبلغ أرباب النهاية وأمره الشيخ أن يعود الى الوطن ليحيي من العلوم ماضر منها وما بطئ ، حملته همته الكبرى أن يسير خمسين يوماً براً وبحراً ولم يتغذى فيهن بغير الذكر والفكر - كما ذكرنا عند سفره في هذا السفر - وذلك لغلبة اللذة والسرور بالمشاهدة الإلهية والحضور . وبعد بلك عولج بالماء قليلاً قليلاً ثم عولج بتدريج الغذاء زمناً طويلاً حتى عادت له القوى وطوي عنه وهن ماطوى .

(ومنها) أنه لما شيم جنازة نجله سيدنا عبدالرحمن الى الجبل وأمر أن يهيء له ضريح في ذلك المحل أخبر أنه سيبنى أحد أحبائه تكية لقرائه عند ضريحه الأنور . فكان كما أخبر ، إذ أمر ساكن الجنان السلطان الغازي عبدالمجيد خان سنة ثمان وخمسين ببناء قبة عظيمة على روضته وتكية محتوية على مسجد وحجرات نفسية لخدمته وأدر عليها من سحائب الرواتب الغامرة ما تكفل أن تكون الى هذا العام عامرة .

(ومنها) وهي أعظمها إجتماع السلاطين والأمراء على محبته وإتباع أساطين العلماء لطريقته : كشيخ الإسلام ومفتي الأناضول مكي زاده مصطفى عاصم أفندي وغيره من علماء القسطنطينية والوزراء والحكام ،

وكعبة الأبحار وسلطان العلماء الكبار يحيى المزوري العمادي ، وعلامة الفضلاء الشيخ عبدالرحمن الروزبهاني ، والعلامة الولي الشيخ عبدالله الجلي ، والسادة الحيدرية والبرزنجية في بغداد والسليمانية وغيرهم من علماء العراق على الإطلاق . وقد ذكر أكثرهم في "المجد التالد" وإن كان فيه ما فيه من الزوائد وعلامة المتأخرين السيد محمد أمين عابدين في الشام ، والعالم الإمام بركة الأنام السيد محي الدين ، ونجله أمير العارفين السيد عبدالقادر الجزائري في المغرب وغيرهم من الأكابر الفحول أولي التأليف في المعقول والمنقول الذين حُسبوا من فريقه وانتسبوا الى طريقه الغراً .

وأما خبر علماء خلفائه فسأتلو عليك منه ذكراً . فإنقياد هؤلاء الأئمة الأعلام بحيث كان كل واحد منهم مع جلالة علمه وقدره يعد نفسه كالجاهل والخادم بين يدي الشيخ قدسنا الله بسرّه ، حتى إن نخبة العلماء الأمجاد السيد أسعد الحيدري مفتي بغداد قال : "لو أمرني الشيخ أن أضغ قصعة فيها لبن على رأسي وأمشي بها في أسواق بغداد كما يفعلها أداني الناس لفعلته إمتثالاً لأمره" . لا يخفى أنه من أعظم الكرامات قدراً وسراً من أسرار الولاية الكبرى وإلا فمعارضة علماء الرسوم لمشايخ الطريف قديماً وحديثاً أمر معلوم عند العموم . وبالجملة فلم تبق بلدة من بلاد الإسلام إلا ووصل إليها نفع هذا الإمام ، إما بذاته أو بخلفائه الكرام . وما زال ولا يزال هذا النفع العام باقياً على هذا الحال الى يوم القيام .

إن الذي قلت بعض من مناقبه مازدت إلا لعلي زدت نقصاناً

(ومنها) إنه لما رُفِعَ الى حضرته الضيائية إن (حالت أفندي) المشهور المنتسب الى الطريقة المولوية الجلالية قد وشى عليه عند ساكن الجنان السلطان الغازي محمود خان ، قال قد حوّلت أمره الى إمامه قطب العارفين مولانا جلال الدين الرومي قدس الله سرّه المبين بجلبه الى جنبه الأنيق ومجاراته بما يليق . فبعد عدة أيام ظهر سرّ هذا الكلام وهو إن حضرة السلطان غضب على (حالت أفندي) الأثام ونفاه الى قونية التي فيها مقام حضرة مولانا جلال الدين ثم أمر به فحُذِقَ هناك .

(ومنها) إن من جالسهُ وتابعهُ ولزم الأدب ظاهراً وباطناً معه انتفع من لحظة وفاز بالجواهر المكنون في لفظه ومليء من الأنوار والأسرار ، ووجد تأثير ذلك في الحال وزهد قلبه عن حب الدنيا والجاه والمال واستيقظ من غفلته متفكراً في المال ورغب عن الأهل والعيال . وهذه الخاصية لا توجد إلا عند الكمل من الرجال . فالحمد لله الذي شرفنا بأسوته وأدخلنا في أسرته .

وأما كراماته فهو كما قلت :

فيَنعم بالآلاف من غير منّة	نعم يرتجي منك القبول ويكتم
يقسّمها بين الأنام كأنه	وكيل على إيصالها وهي مغنم
فسبحان من أعطاه ما ليس ينبغي	الى أحد من بعد والله أعلم

إذ كان يوجد في مسجده عدد وافر يلبسون من برده ويطعمون من عند . وله صدقات كلية ما بين خفية وعلوية وبيوت مفتوحة وعطايا ممنوحة . وربما يتصدّق على السائل بكتبه وبجميع ما يحضر من نشبه . ولم يسمع أنه منع سائلاً أو قطع وسائلاً نفعنا الله به . وهذه زهرة من رياض آثاره وقطرة من حياض أسرارهِ :

ومن بعد هذا ماتجلاً صفاته وما كتّمه أولى لدي وأجمل

وإنما صفتها سجماً إتباعاً للحديقة لا ابتداءً .

(وكان له قدس الله سرّه) خمسة أنجال أنجاب وهم : الشيخ بهاء الدين ، والشيخ عبدالرحمن ، والشيخ

شهاب الدين ، والشيخ نجم الدين ، والكريمة فاطمة قُدّس سرّهم . فأما النجلان الأولان فقد سبقا والدهما وأخوهما شهاب الدين المتوفي في (أورفة) كما سلف الى الجنان . وأما الشيخ نجم الدين فقد توفي حضرة مولانا وهو جنين وعاش حتى تنبّك وتنبّه وتكمّل ، ثم إنتقل الى عليّيين ودفن حذاءه وذلك سنة ألف ومائتين وسبعين . وأما السيدة فاطمة فهي لهم نِعَمَ الخاتمة . ولِدَت سنة إحدى وأربعين ولم تلد أم المريدين السيدة عائشة الغزية الحسينية غيرها من البنين . وكانت آية باهرة في الذكاء حفظت القرآن وتعلمت الكتابة والشعر والإنشاء وتكلّمت باللغة العربية والفارسية والكردية والتركية ، وتفقهت واشتغلت بالطريقة العلية الخالدية فإنتفم بها كثير من النساء . ومما منّ الله به على سيدي الوالد الماجد اتصال نسبه بنسب حضرة سيدنا ومولانا خالد ، حيث تزوج بها عام ثمانين ، فولدت له أختي المصونة بهية بعد ثلاث سنين . ولم يزل يقدرها حق قدرها ويبالغ في تعظيم أمرها وخدمة خدرها ويشكر الله تعالى على ذلك الإنعام حتى توجهت سنة ست وثمانين الى حج البيت الحرام . ففاجأها المنية في منى بالوفاة . فحُملت الى مكة المكرمة ودفنت في المعلاه .

(وله قُدّس الله سرّه) خلفاء حنفاء أصفياء علماء عظماء سايحون عابدون لا يُدرِك كثرتهم العادون ، ولكن أذكر فئة منهم مقتصرأ على من توفي وهو راضٍ عنهم ، غير جانح الى عدّ خلفائهم وخلفاء خلفائهم فانهم يبلغون مائة ألف أو يزيدون . وفي الأمل أن طال بي الأمل أن أفرد لهم كتاباً مخصوصاً بعونه عزّ وجلّ :

لله تحت قباب العزّ طائفة	أخفاهم في رداء الفقر إجلالا
هم السلاطين في أطمار مسكنة	استعبدوا من ملوك الأرض أقبالا
هذي المكارم لا تُؤبوان من عدن	خيطا قميصاً فعادا بعد أسملا
هذي المناقب لا تعبان من لب	شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فمن أفتواهم إرشاداً وأتومّمهم إمداداً وأكبرهم جمعاً وأكثرهم نفعاً :

صفوة العلماء الورعين الأعلام الشيخ محمد البغدادي الإمام قُدّس سرّه . أمّ بحضرة مولانا قُدّس سرّه الى أن توفي سنة ثلاثين في بغداد ودفن في تربة سيدنا الجنيد رضي الله عنه . (وممن ذُكر) زهرة علماء المعقول والمنقول السيد شيخ الله القادري نسباً الشمزيني موطناً الهكاري . قدم سنة تسع وعشرين الى بغداد قاصداً حضرة مولانا للسلوك لديه . فلم يزل في مجاهدة حتى ألقى الفتوم مفاتيحه اليه . (وممن ذُكر) رفيع الهمة الصادق الخدمة رفيق حضرة مولانا في الرحلة الى القطر الحجازي والهندي الشيخ عبدالرحمن العقري الكردي . وهذا الهمام أول خليفة جاء الى دمشق الشام . (وممن ذُكر) أخوه الصالح الفالم المرشد الكامل الناصم الشيخ عبدالفتاح العقري ، رابع أوصياء حضرة مولانا وبريده الناجح قُدّس سرّه . (وممن ذُكر) قدوة العلماء وقبلة الأولياء المرشد الكامل السرى الشيخ ملا مصطفى ابن العلامة الشيخ جلال الدين الكليني قُدّس سرّه . (وممن ذُكر) العلامة الولي ابن الولي المرشد الكامل سيدنا الشيخ عبدالله ابن الشيخ عبدالرحمن الجلي قُدّس سرّه . (وممن ذُكر) أعلم الصلحاء وأصلح العلماء المرشد الكامل الشيخ ملا عباس الكوكي قُدّس سرّه . (وممن ذُكر) أشرف الفضلاء وأفضل الشرفاء المرشد الكامل السيد عبدالقادر البرزنجي قُدّس سرّه . (وممن ذُكر) خلاصة العلماء المحققين وبقية السلف الصالحين المرشد الكامل الشيخ الملا هداية الله الأربيلي قُدّس سرّه . (وممن ذُكر) شريف العلماء وعالم الشرفاء المرشد الكامل العزيز صفى حضرة مولانا من سن التمييز

السيد الشيخ إسماعيل البرزنجي قُدَّس سرّه . (وممن ذُكر) إمام العلماء الأكابر وأبلغ خطباء المنابر المرشد الكامل ملا أبو بكر البغدادي قُدَّس سرّه . أمّ بحضرة مولانا منذ توفي الشيخ محمد الإمام الى أن إنتقل سيدنا الشيخ الى دار السلام . فتحشَّم تلقينه وتصبَّر وطعن منصرفه من دفنه يوم الجمعة وهو على المنبر . ثم توفي في يوم الأحد تاسع عشر شهر ذي القعدة الحرام ودُفِن في تربة حضرة مولانا خلف المقام ولم يتخلف أحد من أهل الشام عن تشييع جنازته بالحزن التام :

شقت عليه يد الأسي ثوب الدموع الى الذبول

(وممن ذُكر) العالم التقي والمرشد النقي الشيخ طاهر العقري قُدَّس سرّه . (وممن ذُكر) الفقيه العابد والمرشد الزاهد الشيخ معروف التكريتي العراقي . (وممن ذُكر) أصلم العلماء وأعلم الصلحاء المرشد الكامل الشيخ أحمد القسطلموني قُدَّس سرّه . (وممن ذُكر) علامة الزمان ومظهر العرفان المرشد الكامل الشيخ محمد بن سليمان صاحب "الحديقة الندية" شكر الله مساعيه المرضية . (وممن ذُكر) المربي الفالح والمرشد الصالح الشيخ محمد عاشق قُدَّس سرّه . (وممن ذُكر) زينة الأتقياء ونخبة الأولياء المرشد الكامل الشيخ موسى الجبوري البغدادي قُدَّس سرّه . (وممن ذُكر) عمدة الفقهاء الأفاضل ، الدراكة الفهامة المرشد الكامل السيد عبدالغفور الكردي الكركوكي قُدَّس سرّه . (وممن ذُكر) طبيب كلوم الفؤاد وخطيب العلوم والإرشاد ، عالم الأولياء وولي العلماء المرشد الكامل العجيب سيدي وعمدتي وجدّي لوالدتي الشيخ أحمد الأربلي الخطيب خليفة الشام الثاني قُدَّس سرّه النوراني . وقد مرّ في ترجمة حضرة مولانا ذكره . عاد هذا الولي الجليل صحبة حرم حضرة مولانا العراقي . وتوفي سنة خمسين تقريباً في أربيل . (وممن ذُكر) أقدم الخلفاء وأقوم الصلحاء صاحب الكرامات والمآثر الجليلة المرشد الكامل الشيخ عثمان الكردي المشهور بطويله قُدَّس سرّه . (وممن ذُكر) عالم الخلفاء وخليفة العلماء المرشد الكامل الشيخ عبدالله الأرنجاني المكي خليفة مكة المكرمة قُدَّس سرّه . (وممن ذُكر) نادرة المريين ومظهر العلم المبين المرشد الكامل الشيخ خالد الكردي المدني خليفة المدينة المنورة قُدَّس سرّه . (وممن ذُكر) العالم العامل والمرشد الكامل الشيخ إسماعيل الشيرواني قُدَّس سرّه . غير أنه سهى آخر مدته فأذن لمريديه أن يرابطوا بصورته . فكتب اليه حضرة مولانا كتاباً فيه دغدغة قوية وقد ساقه سيدي الجد في مبحث الرابطة من "البهجة السنية" . (وممن ذُكر) نتيجة الأفاضل ولوم العلوم والفضائل المرشد الكامل الشيخ أحمد الأغبوزي قُدَّس سرّه . كان خليفة الأستانة العلية بعدما طُرد عبدالوهاب السوي . ولقد دعي إثر وفاة حضرة مولانا قُدَّس سرّه الى الشام لخدمة حرم حضرة مولانا في بعض المهام . ثم عاد بعد فأقام في أزمير لأموار لاتقبل التنقيير . (وممن ذُكر) بهجة الأولياء وحلية الأصفياء المرشد الكامل النبوي السيد الشيخ أحمد البرزنجي السركلوي .

(وممنهم) العلامة النحرير والأديب الكبير المرشد الكامل الشيخ عبيدالله الحيدري البغدادي قُدَّس سرّه . لکن تولى منصب إفتاء بغداد فكتب حضرة مولانا كتاباً الى خلفاء تلك البلاد يشعر به بعض إنتقاد وأظن أنه لقبول هذه المأمورية . وقد ذكر ذلك الكتاب سيدي الجد في "البهجة السنية" وقد أثبتته بذاته هاهنا أول مکتوباته . (وممن ذُكر) علامة أقرانه وصالح شرفاء زمانه المرشد الكامل السيد الشيخ عبدالغفور المشاهدي البغدادي الخالدي قُدَّس سرّه . (وممن ذُكر) عالم الفقهاء وفقه العلماء الشيخ محمد الجديدي البغدادي قُدَّس سرّه . (وممن ذُكر) الفقيه الفاضل والمرشد الكامل الشيخ عبدالقادر



الديلماني قُدَّسَ سرّه . وقد مرّ في خلال هذه الترجمة أمره . (وممن ذُكر) أنصح العلماء وأعلم النصحاء الصالح القالم الشيخ محمد الناصح ، ثالث أوصياء حضرة مولانا إلا أنه طُعن بعده بقليل وتوفي في حياة الوصي الأول سيدنا الشيخ إسماعيل قُدَّسَ اللّهُ سرّهُما . (وممن ذُكر) أكبر العلماء وأعلم الكبراء المرشد الكامل الشيخ حسن القوزاني الخطاط قُدَّسَ سرّه . (وممن ذُكر) العلامة الفهامة المرشد الكامل الشيخ محمد المجذوب العمادي المشهور بسيد قُدَّسَ سرّه . (وممن ذُكر) تاج هام العلماء العاملين وأنعم المرشدين الكاملين الشيخ خالد الجزيري قُدَّسَ سرّه . (وممن ذُكر) العالم الرباني والمرشد الكامل السبحاني الشيخ طه الكيلاني الهكاري قُدَّسَ سرّه . (وممن ذُكر) أوجد العلماء الكرام المرشد الكامل الهمام الشيخ إسماعيل البصري قُدَّسَ سرّه . (وممن ذُكر) الإمام الهمام المرشد الكامل الشيخ محمد الفراقي الكردي قُدَّسَ سرّه ناظر تربة حضرة مولانا المعظم الذي بذل في تعظيم تكيته أقصى الهمم . (وممن ذُكر) التقى النقي العالم الولي والمرشد الكامل الماجد الشيخ ملا خالد الكردي خليفة جامع السويقة قبل سيدي الجد الأجد قُدَّسَ سرّهما . (وممن ذُكر) حسنة أولي العلم والإرشاد المرشد الكامل الشيخ عبدالله الفردي خليفة بيت المقدس .

(ومن) أجمعهم نفعاً وأنفعهم جمعاً . صفوة العلماء العاملين وقدوة الأولياء الكاملين العارف الرباني سيدنا الشيخ إسماعيل الأناراني . وهذا الإمام هو أول القائمين مقام حضرة مولانا خالد في الإرشاد ، وأول الأوصياء على ثلث المال والأنجال والأمجاد . خدم حضرة الشيخ ولازمه ملازمة حسنة ولم يعص له أمراً سافراً أو حضراً خمسة عشر سنة . وخلفه خلافة مطلقة وأذن له بالإرشاد فسلك سبيل الرشاد . ولما وفد على الشام فوَّض إليه في جامع (العداس) تربية الناس . فكان يبحث كل يوم عن أحوال السالكين فرداً فرداً ثم يحصيها ويعدها لحضرة مولانا قُدَّسَ اللّهُ سرّه عدداً ولايذر قدر الذرة . فمهما رأى قُدَّسَ اللّهُ سرّه فيهم رأياً يبلغهم إياه أمراً ونهياً ، ولايذكر من عنده أمراً حتى يحدّث له منه ذكراً .

وأخبرني سيدي الوالد عن الجد الماجد قُدَّسَ سرّه أنه قال : كثيراً ماكان يقول لنا الشيخ إسماعيل إعلموا إنني لوم صقيل كل ما نقشه فيه حضرة مولانا أوصلته إليكم من كثير أو قليل . ومن آدابه الشريفة أنه لم ينسب لنفسه خليفة . ولما توفي حضرة الشيخ قُدَّسَ سرّه غاض دمعته وفاض صبره وكان أثبت إخوانه قلباً وأصحى أحبائه لباً ، فجمع كلمتهم وجدّد همّتهم وقبض بسطهم وبسط قبضهم وخفف أوزانهم وأقام أوزانهم وأجرى لهم إحسانهم واعتنى في أمر عبادتهم وإعادتهم لعادتهم وقبض على زمام الإرشاد من بعده وأبقى الأمر على ماكان عليه في عهده وجعل يقول لهم "الستّم تعلمون إن حضرة مولانا من أهل الله وهم لايموتون" . ولم يتم هذا الشروع إلا وطعن بعد نحو أسبوعٍ ودُفِنَ بعد حضرة مولانا خالد بسبعة عشرة يوماً خلافاً لما في "المجد التالذ" . ودُفِنَ خلف مقام الحضرة قُدَّسَ اللّهُ سرّه . وقد تزوج في حياة حضرة الشيخ وأعقب ولداً أسماه عبدالله وسرّ به تمام المسرة ، ولم يذق اللحم في هذه المدة وكان يقول إنه يورث ظلمة وقد ذهب حضرة مولانا فممن يزيلها عنا بعده . وقبل وفاته بأربعة أيام أوصى بثلث ماله لفقراء الإسلام وأقام وصياً عليه العارف الصمداني سيدي وجدي محمد الخاني . وأقام مقامه في الإرشاد العام سيدنا الشيخ عبدالله المروي .

(وكان) للشيخ إسماعيل مقام في الطريف جليل وكرامات عظيما وكلمات كريمات وحسبه شهادةً بفضل الجزيك ماقاله عنه حضرة مولانا قُدَّسَ اللّهُ سرّ في مرضه "إني لم أمت حيث تركت فيكم الشيخ إسماعيل" .

(ومنهم) العالم العامل والمرشد الكامل فذللكة الأفاضل المهتمدين وقلب المرَبِّين المرشدين الوصي الثاني والولي السبحاني ، صاحب الأنفاس القدسية والأخلاق النبوية والمقام العيسوي سيدنا الشيخ عبدالله المروى . المومى إليه قدم على حضرة مولانا رضوان الله عليه في السليمانية وأخلص بخدمته النية وأدى السلوك حقه ، فخلفه قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ خِلافةً مطلقة . وكان حضرة الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ يحبه ويبره حتى جعله أمين أملاكه التي في العراق . فكان يجمع ريعها على الإطلاق ويهيء منه أكسية وأغذية ويفد بها الى الشام . فيهتم لخدمته غاية الإهتمام . وكان إذ توفي الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ في السليمانية . فلما طعن الشيخ إسماعيل أشهد له من بعده بالخلافة الروحانية ، ثم خاف أن يستشهد بالطاعون الأشهاد ، فأمر من يكتب له صكاً بذلك الإشهاد ونصه :

"بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد . فقد أقمتم مقامى على سجادة المشيخة والإرشاد المولى الصالح والمجاهد الفالح درويش هذا الزمان ، القائم في مقام الإحسان السائر في طريق القوم أولي المسالك ، السوي سيدنا الشيخ عبدالله المروى . وجعلته محلي كما جعلني شيخني وأستاذي وعمدتي وملاذي قطب هذا الوجود أبو البهاء ضياءالدين مولانا خالد النقشبندى المجددي أمراً ناهياً على سائر الخلفاء والمريدين . كل من خالفه فهو مطرود عن طريقتنا . وقد أقررت كل أحد يتوجه في المكان الذي هو فيهن في أيام حضرة مولانا الى أن يأتي جناب الشيخ المذكور قاله بفهمه ورقم بأذنه إسماعيل الأناراني الخالدي أه" . فلما بلغه الى السليمانية الخبر قبل وأقبل يتعثر بأذيالك الكدر حتى إذا وصل الشام جلس في دست الإرشاد العام وتولى خدمة حرم حضرة الشيخ بذاته وقام بأعباء مايلزم من مهماته . وحينما سافروا الى بغداد وأربيل لم يالك جهداً بأداء حقه الجزيل من التعظيم والتبجيل . فلما عادوا الى الشام قدم معهم سائراً في خدمتهم على أصدق إقدام . ثم نزل من الجامع الأموي في مشهد رأس الحسين عليه السلام ، فمالبت أن مرض مرضه الأخير . فأقبل اليه من الخلفاء الجم الغفير وقالوا له من ذا الذي تأمرنا أن نختلف بعدك اليه ونعول في خلافة الإرشاد عليه ؟ فقال اني لا أرى لهذا الأمر أليق من العارف الصمداني الشيخ محمد الخاني ، فاني لم أر إلا كمال الإستقامة منه حتى توفي حضرة مولانا وهو راض عنه . فارجعوا اليه بعدي في الإرشاد وألقوا اليه مقاليد التسليم والإنقياد . ثم إستشهد في ذلك المشهد فحمل الى الجبل محل حضرة مولانا والرعيك الأول مشيعاً من كافة الإخوان بالأحزان والتهليل ودُفنَ حذاء ضريح سيدنا الشيخ إسماعيل قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . وكان قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ متجرداً لخدمة حضرة مولانا حضراً وسفراً ولخدمة حرمه وأنجاله وخدمة من بعده سفراً وحضراً . لم يصدر منه أدنى تصور حتى توفي هو حصور . وله قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ من الأخلاق الحميدة والكرامات العديدة والقدم الراسخ في الإرشاد والتوجه المبارك بالإمداد مالايسع هذا السفر حصره .

(ومنهم) وهو أعظم من سرى اليه سر هذه النسبة النقشبندية وشيخ هذه السلسلة المجللة الخالدية سيدي وجدي الشيخ محمد الخاني قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ القائم مقام الثالث سيدنا الجد الأجد الشيخ محمد بن عبدالله بن مصطفى الخاني الخالدي النقشبندى قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ العزيز . فاتحة الأتقياء المهتمدين وخاتمة الخلفاء المرشدين وقبلة أولياء العلماء ورحلة علماء الأولياء ، روض المعارف الوارف ياوي الى ظل فضله وفضل ظله كل عارف . جامع فرق الإرشاد وفارق جمع الإمداد ، منهل أنواع الأنوار الشعشعانية ومظهر أسرار الربانية الى رقيق أخلاق يعرفها كل من له في الطريق خلافة ،

وأفاس تشفُّ عن علو كشف وأذواق ربّي بها من السالكين نفوساً شموساً ، فأشرقوا في فلك الهداية أقماراً وشموساً . وكرم وكرامات تثبت ما له من جلالة المم والمقامات . فهو الكوكب الذي قابل بقابلته المحمدية ضياء شمس الذات الخالدية ، فأنطبع في لوح مرآته الصقيلة كافة صفاته الجليلة الجليلة ، فأشرفت في سماء الولاية بدرأ وفي دولة الهداية صدرأ ، وأصبح منه فصلاً في وصل والنسخة الثانية المقابلة على الأصل ، وورثه رشداً فرضاً ورداً .

(ولد) قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ وأناله بقربه تمام المسرة سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف في (خان شيخون) محل مشهور في طريق حلب على مرحلة من حماه منه سيدنا العارف الكبير الشيخ الأكبر محي الدين قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ ورزقنا نظره وبره أمين . وكان أبوه عبدالله معزراً في قومه موقراً في أهله دمت الأخلاق حسن الأوصاف . توفي هذا العزيز والجد الأجد في سن التمييز واشتغل بقراءة القرآن والكتابة وهو في حجر والدته الصالحة الأوبة التوبة الصوامة القوامة الذاكرة الشاكرة السيدة حليلة بنت السيد الشيخ محمد ابن السيد الشيخ يوسف الكيالي ، وسند نسبه الشريف في تلك الديار من العوالي .

(وكانت) قَدَسَ اللهُ سِرَّها من صلحاء النساء ، أخبرني سيدي الجد الأجد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ غير مرة أنها رأت ليلة القدر فسألت الله تعالى فقالت "رب أسترنني وأستر ذريتي" . فاستجيب دعوتها والله الحمد . ولما تشرف سيدي الجد بالطريقة العالية الخالدية تلتقتها عنه واشتغل بجد واجتهاد حتى حصل لها مقام عظيم وذوق عال وقدم راسخ . وكثيراً ما سمعته قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ يقول "كنت مم فرط مجاهدتي في الطريق الرياضة والذكر والعبادة أجدي بالنسبة إليها مقصراً جداً" .

(توفيت) قَدَسَ اللهُ سِرَّها في دمشق الشام سنة إحدى وخمسين ودُفنت في تربة حضرة مولانا خلف المقام . وكان والدها مشتغلاً بالطريقة العلية الكيالية وله مريدون كثيرون وزاوية بالبركة والأنوار زاوية مشتملة على أدوات الذكر الوافية ، مقصوداً من كل الجهات لما له من صالح الدعوات .

(ثم ارتحل) الجد الأجد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ مع والدته الى حماة المحمية واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية والآداب المرضية ، فتفقه في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه على العالم الفاضل الشيخ عبدالرحيم البستاني وقرأ النحو وطرفاً من الآلات على العالم الفاضل الأديب الشيخ حمود زهير . ولازم العبد الصالح الشيخ فارس ، الذي كان في حلبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أول فارس مدة ست سنين ثم أخذ الطريقة العلية القادرية من السيد الشيخ محمد الكيلاني الأزهري قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ واشتغل بها بتعليم الناس الأحكام الشرعية وصرف قصارى الهمة لإحياء السنة السنوية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بنفسه . فكم أزال من بدعه ومحا من ضلالة حتى كان يحضر الناس قهراً الى المسجد ويعلمهم فرائض الدين والتوبة من المعاصي وتجديد الإسلام والعقود . فحصل على يده نفع عظيم وأشتهر في أرجاء حماة كالشمس في رابعة النهار وصار يعبر عنه بمهدي الزمان .

وكان جلوسه في جامع الجامع للعلوم والعرفان الولي الكامل بلا دفاع الشيخ علوان الحموي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . وإقامته كانت في زاويته وحصل له بذلك مدد عظيم من روحانيته . ولم يزل كذلك الى أن شرف الديار الشامية قطب دائرة الإرشاد وبحر الهداية والإمداد ذو الجناحيت وعلامة الثقلين أبو البهاء ضياء الدين حضرة سيدنا ومولانا الشيخ خالد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ العزيز . فتشرف بأخذ الطريقة العلية النقشبندية عنه كما ذكر ذلك في "البهجة السنوية" . ودخل الرياضة حالاً في جامع (العداس) فادركته جذبة من جذبات الحق

التي توازي عمل الثقلين . فحصل له بعد ثلاثة أيام النسبة المعبر عنها بالوصول والفناء وهو دوام مقام الإحسان . ولم يزل في ذكر وفكر يترقى الى أعلى المقامات حتى أتم الأربعينية . فاستأذن بالذهاب الى أهله في حماة فأذن له ثم لم يبرح أن عاد فأدخله الرياضة ثانياً . فلما تمت عاد الى أهله أيضاً ثم رجع فدخل الرياضة ثالثاً ونفسه متشوقة الى ختم المقامات والترقي الى مراتب الأولياء . فبعد أن أكمل الرياضة إنقلب الى أهله فمكث غير بعيد إذا بأمر من حضرة مولانا قدس الله سره بحضوره وعائلته الى دمشق الشام . فلم يتأخر عن الإجابة لحظة وذلك سنة إحدى وأربعين ، فأقبل عليه قدس الله سره لما رأى من علو همته وصفاء فطنته وفطرته ووفور علمه وتوقد ذكاء ذكائه وفهمه . وكان قد ابتدأ يقرأ النهاية شرح المنهاج في فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه لعامة الدنيا شمس الدين الشيخ محمد الرملي الأزهرى نور الله مرقدته صباحاً في مدرسة داره ويعيد له الدرس سليل العلماء عمر أفندي الغزي رحمه الله . فلما حضر الجد الأجد جعله محله وسر به سروراً عظيماً وبشّره بأنه سيصير شيخ الشام . وقد حقق الله بشارته كما للإمام بذلك في ترجمة حضرة مولانا قدس الله سره العزيز . ولما توفي خليفة جامع المرادية المشهور بالسويقة العالم الفاضل والمرشد الكامل ملا خالد الكردي قدس سره عينه لمكانته عنده مكانه وخلفه خلافة مطلقة وأذن له بالإرشاد وتلاوة الذكر الخواجكاني والتوجه للإخوان في الجامع المذكور . وكتب له صك الخلافة وختمه بخاتمه الشريف ونصه :

"الحمد لله الكريم الوهاب والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا وملاذنا محمد الذي أتى الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله وصحبه وأتباعه الى يوم المآب . وبعد ، فقد أجزت الأخ في الله الشيخ محمد بن عبدالله الخاني بالتوجه والإرشاد وتلقي الذكر في الطريقة العلية النقشبندية قدس الله تعالى أسرار أهاليها السنية . وما أجزته إلا بعد الإستخارة الشرعية من أرواح سادات السلسلة الزكية وأوصيه بتقوى الله في السر والإعلان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حينما كان بقدر الإمكان . وأن لا يري النجاة إلا بالصدق والسلامة إلا باتباع سيدنا محمد سيد الخلق صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيههم بإحسان في كل وقت وأن أمين . حرر سنة إحدى وأربعين ومائتين ألف والحمد لله رب العالمين . أضعف العباد خالد النقشبندي المجددي القادري السمرودي الكبروي الجشتي " .

وحضر قدس الله سره العزيز بنفسه الى ذلك الجامع ودعا له بعموم النفع ونفع العموم . فنهض بأعباء الخلافة واجتمع اليه الجماء الغفير من الإخوان والمريدين وأقبلت عليه القلوب . وجعل حضرة مولانا قدس الله سره العزيز يحيل اليه تربية بعض السالكين كالعلامة النبوي السيد الشيخ محي الدين ونجله أمير العارفين السيد الأمير عبدالقادر الجزائري . فإنهما حضرا سنة إحدى وأربعين صحبة حضرة مولانا قدس الله سره العزيز من الديار الحجازية الى دمشق الشام فنزلا عند سيدي الجد الأجد قدس الله سره في جامع المرادية وأخذوا الطريقة العلية بواسطته من حضرة مولانا . وجلس السيد محي الدين في الخلوة أربعة أشهر . وكان سيدي الجد يتعاهده في كل الأوقات ويعرض أحواله على حضرة الشيخ على عادة خلفائه العظام .

(وسمعت) من أحد أنجال السيد محي الدين الكرام أنه قال : "مارأيت في جميع سياحتي في بلاد المشرق والمغرب أعلم من حضرة مولانا خالد قدس الله سره العزيز" . (ولم) يزل سيدي الجد ملازماً عتبة حضرة الشيخ مثابراً على صدق الخدمة مشتغلاً بالطريق اشتغلاً مفرطاً بهمة قوية وصدق نية وخلص طوية ،

لا يقرأ درساً إلا كان أول مبادر لتلقيه ولا يأمر أو ينهي نهياً إلا كان أسرع الناس لإمتثاله وحضرة مولانا يزداد إقبالاً عليه ويواصل إدرار فيوضاته الظاهرة والباطنة إليه ، حتى بلغ عنده تمام الحظوة وغاية المنزلة من القرب والإلتفات والإعتناء بشأنه . وكثيراً ما كان يأمره أن يكتب الى خلفاء الأطراف ، فيسود الكتاب ويعرضه عليه فيمضي التسويد ويختتمه بدون تببيض أو تصحيح لما يجده من جزالة اللفظ وبلاغة المعنى وفصاحة التركيب وإصابة المرمى .

(وكان) يقرأ للإخوان على عهد الشيخ رسالة "الحديقة الندية" في جامع المرادية ، قال فسألني قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ مرة : ماذا تقرأ للمريدين ؟ فقلت : كتاب "الحديقة الندية" . فقال : هل هي فصيحة العبارة ؟ فقلت : لا يكون في الدنيا أفصح منها . فقال قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ : كلها من عبارتي . ذكر ذلك في خطبة "البهجة السنية" .

(ولما) ذهب حضرة الشيخ الى الحجاز سنة احدى وأربعين جعل كلما أرسل كتاباً الى الشام يقول فيه وسلموا لنا على شيخ الياغوشية والسويقة- ومراده سيدي الجد الشيخ أحمد الخطيب الأربلي وسيدي الجد المترجم قَدَسَ سِرَّهُما- وهي منقبة من حضرة مولانا لم يدركها غيرهما أصلاً نظراً لما كان عليه حضرة الشيخ قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز من عظمة المقام وجلالة القدر وهيبة الإرشاد وعلو المنزلة ، لاسيما في قلوب نبلاء خلفائه فإنه لا يعرف الفضل إلا ذووه .

أخبرنا سيدي الجد الأجد قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ أنه دخل مرة وقت الضحى الى دار حضرة الشيخ قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز فلم يجد الحاجب حتى يستأذن عليه فرأى نعله في الباب وقد أصابته الشمس فابتذله وسيله ودخل عليه وقال له : ياسيدي الشمس تغيّره . فقال له : أدخل وضعه في الظل .

ف فعل ووقف بين يديه . قال فتوجه اليّ بتلك الهمة القدسية الخالدية توجهاً أوصلني الى مقام الفناء الأتم . فلما أفقت أقبلت عليه أقبل قدميه ، فقال : بك تبك النعل الذي كان سبباً لفوزك بذلك الخير العظيم . ففعلت ثم خرجت وقد نلت بهذه اللحظة مالم أنله بريضة أربعينية . أه .

(ولما) جلس يعيد له الدرس تلقاه لم يقو على تحمّل فيوضاته الربانية ، فصعب عليه أداء وضيقة الإعادة . فذكر ذلك لسيدنا الشيخ إسماعيل فأخبر حضرة مولانا به فقال له : "ليتأخر عن قبالة وجهي برهة أيام" . فإنه لم يطق ذلك ففعل نحو ثلاثة أيام ثم عاد الى تلقائه وقد بلغ أشده وقدّر على تحمّل أنواره الذاتية وتجلياته الأحدية بهمة حضرة مولانا رضي الله عنه .

(وقرر) يوماً قول الخطيب الشربيني قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ في مسألة فقهية ، فقال له الجد الأجد نور الله ضريحه : أظن أن ماذهب اليه الخطيب غير ماذكرتم . فقال له : عليك بالنص .

قال فأتيت الى منزلي فوجدت إن قول الخطيب عين ماذكره حضرة الشيخ والذي في حظي هو لأحد محشي الخطيب العلامة المداغي . فلما كان وقت الضحى أخذت الحاشية وذهبت اليه لأناوله الكراسة فقبض على وجه الملاطفة بيده الشريفة على لحيّتي . فإغتنمت قرب يده من فمي فجعلت أقبلها إذ كان لايمكّن أهداً من تقبيلها . فورد عليّ حال عجيب من ذلك . فأطلقني وقد بقيت غائباً سحابة النهار .

(وكان) قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ العزيز يأمره أن لا يخرج من جامع المرادية فلم يعص له لأمرأ ، فصار بما ذكر محسود أقرانه مغبوط إخوانه منظوراً بعيب التوقيير بين كافة الحلفاء محبوباً لهم ، لاسيما عند قدوة المرشدين سيدنا الشيخ إسماعيل الأنازاني قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ . (ومافتيء) كذلك حتى استشهد حضرة مولانا

قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ العزیز فی الطاعون وهو راض عنه . ثم جلس سيدنا الشيخ إسماعيل المشار اليه في منصب الإرشاد فلأزم رحابه ملازمة تامة وخدمته خدمة كاملة واغتتم بركة أنظاره وفيوضات أسرارهِ الى أن أستشهد بعد حضرة مولانا بسبعة عشر يوماً وقد أوصى له بثلث ماله بالغا ما بلغ ، وقال مألوقه بأن يكون شيخ السجادة من بعدي . ثم لما عهد سيدنا الشيخ إسماعيل الى مولانا الشيخ عبدالله الهروي بالخلافة العامة ، قام سيدي الجد الأجد بواجب صحبته وإخلاص طاعته وإستجلاب رضاه ومحبتة مع قيامه بإقامة الأذكار الخواجكانية في جامعهِ المذكور .

### ترتيب عاداته في أمور عبادته

وقد رتب قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ العبادات في جميع الأوقات أحسن ترتيب . فكان يقوم الليل على وجه السنة المطهرة . فإذا كان وقت السحر تلا الذكر الخواجكاني مع أصحابهِ الى أذان الفجر فيصلي بالناس ثم يجلس معهم فيقرأ القرآن الى الإشراف ، فيركم سبحة الإشراف ثم يعيد ذكر الخواجكان . فإذا إنقضى يدخل حجرته فيقرأ للمطلبة درساً أو درسين من فقه الإمام الشافعي أو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من فنون العلوم الشرعية الى الضحى . ثم يأتي الى منزله فيقبل ثم يصلي سبحة الضحى في الجامع . حتى إذا أذن الظهر صلى بالناس ودخل حجرته أما لقراءة درس أو لذكر وفكر الى العصر . فيصلي الفريضة بالناس ثم يتلو الذكر الشريف ، فإذا قضى رجع الى منزله فتناول ماتيسر من الطعام ثم رجع الى حجرته واشتغل بذكرهِ أو مراقبته أو مطالعة دروسهِ الى المغرب . فإذا صلى بالناس وأتم سننه تلا الذكر المبارك ثم جلس يقرأ درس تفسير كلام الله المجيد الى العشاء . فبعد صلاتها يرجع الى دارهِ . وكثيراً ما كان يهجر فراشه ويبقى في المسجد تنشيطاً للإخوان على قيام الليل ، فيقوم الى السحر وهكذا . ثم ليلة الثلاثاء وصبيحتها وليلة الجمعة وصبيحتها وعقب صلاة الجمعة يتوجه للإخوان .

ولم يزل والله الحمد على هذا الترتيب في هذا الجامع ببركته منذ وضعه عام اثنتين وأربعين ومائتين الى يومنا هذا عام خمسة وثلاثمائة ولا يزال إن شاء الله تعالى على هذا الوجه بحوله تعالى وطوله وبتوجهات أنفاسهِ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ . فكثرت جمعيته وعظمت كلمته وابتهج به المريدين مع مثابرتهِ على مراجعة حضرة القائم الثاني الشيخ عبدالله الهروي قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ في أمورهِ كلها . وكان يذهب الى دار خاتمة المحدثين الشيخ عبدالرحمن الكزبري نور الله مرقدهِ حتى تلقى الكتب الستة عنه والشفاء وغير ذلك . فكان بركة ذلك المجلس وتاج افتخاره وزينة أهله . ثم إن الشيخ عبدالله المشار اليه سافر صحبة حرم حضرة مولانا أم المريدين ونجل مولانا الشيخ محمد نجم الدين الى سليمانبة الأكراد وبقي سيدي الجد في دمشق الشام على أتم نظام مثابراً على أوراده وحافظاً مسنداً إرشاده في المركز الذي أقامه فيه حضرة مولانا قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ لم ينل من أحد إلا مايسره . وبعد حضورهم من بغداد ، وكانت مدة إقامتهم هنالك أربع سنوات ، مرض الشيخ عبدالله قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ وكان وقتئذ مقيماً في مشهد رأس سيد الشهداء سيدنا الحسين من الجامع الأموي . فاجتمع اليه خلفاء حضرة مولانا يسألونه أن يعين من يخلفه ويقوم مقامهِ في منصب المشيخة العامة في الطريقة العلية الخالدية كما عينه الخليفة الأول سيدنا الشيخ إسماعيل قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ . فقال لهم إني لم أر أحسن حالاً ولا أكمل إستقامة ولا أليق لهذا الأمر من الشيخ محمد الخاني فإنه ممن حافظ على أصول الإرشاد وقد توفي حضرة مولانا وهو عنه راض فارجعوا بعدي اليه . فلما إنتقل قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ نهض سيدي الجد بأعباء الخلافة من بعده وعكف على نشر أعلام الطريقة

العلية بتربية المريدين وإرشاد السالكين وإرسال الخلفاء الى الأطراف ومراجعة الخلفاء له من كافة الأقطار في جميع أمورها . وهُرعت اليه الناس من كل جانب يستمدون بركاته وتوجّهات فيوضاته ، فبقي الأمر على ماكان عليه . (ثم) خرج سنة خمس وأربعين مع والدته العزيزة حاجاً بيت الله الحرام وزيارة مقام فخر الأنام عليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام . فأتماً نسكهما وعادا الى دمشق بسعي مشكور وعمل في سفر القبول مذكور . وفي هذا العام ألف رسالة "كشف اللثام عن قول من حرّم الحج الى بيت الله الحرام" وهي رسالة نفيسة لم يُنسخ على منوالها تثبت قوة اطلاعه على العلوم وطول باعه في أغمض المفهوم وأنفذ آراء العلماء جزاه الله خير الجزاء ردّ الاعتراض بعض الإخوان المتمسكين بقول الشيخ علوان إن الحج حرام في هذا الزمان . ولذلك أسقط كتاب الحج من تأليفه "مصباح الهداية" في فقه امامنا الشافعي رضي الله عنه . (ثم) سنة إحدى وخمسين ارتحلت والدته المصونة الى عليين فحزن لفراقها حزناً عظيماً حيث كانت كما تقدم من التقوى والعبادة بمكان كريم . (ولما) بلغ نجل حضرة مولانا قدّس الله سرّه العزيز الشيخ نجم الدين سن التمييز صرف الهمة التامة لتربيته وتعليمه القراءة . فكان يحضر كل يوم الى مدرسة حضرة مولانا لذلك ويتلو الورد الخواجكاني ثم مع الإخوان وفاءً بوصية حضرة الشيخ حيث قال "وأحب أن لا ينقطع ختم الخواجكان من مدرسة داري" . وفي عام ثلاثة وخمسين ألف الرسالة الجليّة ذات الفوائد العميمة والفضائل الفريدة التي سماها "البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية" . وهو تأليف شريف لم يُسبقت اليه في بابهِ . فإني إطلعت على تأليف أكثر علماء الخلفاء في هذا الشأن فلم أجد له نظيراً . (وقد) ألهم الله كريم الوزراء ووزير الكرماء الحاج أحمد طلعت باشا أحد أركان الدولة المصرية ومخلصي هذه الطريقة العلية فطبعه سنة ثلاث وثلاثمائة في القاهرة . فعم نفعه وكثر وجوده وسمل حصوله حتى انتشر في كافة البلاد الإسلامية جزاه الله خير الجزاء . وقد قرّضت ذلك السفر وقتنذ فقلت :

فقد كملت بالطبع بهجته نشرها  
لقد أنزلت بالحق آياته الكبرى  
فما أجمل التفصيل إذا وضع الأمور  
وأجرى له من بحر إحسانه أجرا  
وفي دولة الإرشاد بين الوري صدرا  
الى أن غدا شمس الهدى وبدا بدرا  
فأونة ذكراً وأونة فكريا  
بما جعل السر الخفي جهرا  
ولم يبق أمراً في سريرته إمرا  
به يقلب الشر المحيط به خيرا  
فيقني به طورا ويبقي به طورا  
إذا ماتراه تذكر الله مضطرا  
ولم تستطم عن حسن توقيره صبورا  
فما أكثر القتلى وما أرخص الأسرا  
شموس وإكراماته تخجل القطرا

فريق الطريق الخالدي لك البشري  
كتاب على شمس العلوم محمد  
ففضل ماقد أجمل القوم أمره  
جزى الله هذا الحبر خير جزائه  
فقد كان في جيد المعارف عقده  
رقى مارقي بالصدق من رتب العلا  
فكم صرف الأناث في كل طاعة  
وكم فإز من إرشاده كل سالك  
وأسرى بأسرار الغيوب لقلبه  
له النظر الإكسيري في كل طالب  
ويقدر أطوار المريدين قديرها  
الى هيبة في هيبة نبوية  
وتقبل مجبراً لتقبيل كفه  
إذا مانهي الطلاب أو أرشد النهي  
كراماته في كل قطر كأنها

وأوصافه كالزهر نوراً وكثرة  
خؤوف من المولى رؤوف على الورى  
قوي على التقوى غني عن السوى  
ويصبر للبلوى ويففر للأذى  
تبارك من قد خصه بخصائص  
فيا كعبة الأحبار بيت قصيدها  
لك الله من بر ببحر علومه  
خلفت ضياء الدين حضرة خالد  
وأصبحت في أوج الهداية حائزاً  
جمالك في جعم الجلال محجب  
ورب قلوب بانكسار توجّهت  
تظهر يامهدي الزمان إعتقادها  
وتجذب سراً كل نفس أبيّة  
سأنظم مايعنوه كل شاعر  
وأثني على إحسانه كل لحظة  
فشكر أياديه الحميدة واجب  
وقد عمنا رشداً وعمّرنا هدى  
وخص الطريق الخالدي ببهجة  
فأعظم به خيراً تضاعف أجره  
وأحمد مسعى طلعة الوزراء من  
فقد جاد طبعاً حيث جاد بطبعه  
رعى الله في مصر وجود سعوته  
على روضة من جنة المنتهى ثوى  
فطوبى له من مرشد طالما به  
بمثل هداة قدّس الله سيره

وذلك بالإنصاف لايقبل الحصر  
عزوف عن الدنيا عكوف على الأخرى  
خلي من الدعوى ولي ولا نُكرا  
ويشكر إن أقسوى ويؤثر إن أثرى  
من الفضل جلت أن أحيط بها خبراً  
وياقطب أفلاك الولاية والذكرى  
وإمداده قد أخجل البر والبحرا  
وعزّزت من أحيا طريقته الغرا  
مقامات عرفان لقد عظمت قدرا  
وصحوك بالفرقان لايعرف السكرا  
إليك فنالت منك مايجير الكسرا  
فتملؤها عدلاً وقد ملئت جوراً  
بانفاسك العليا التي قدّست سراً  
بمدحه من لولاه لأنظم الشعرا  
بأثنية تستفرق النظم والنثرا  
وهك هو لا يستوجب الحمد والشكرا  
وأعلى لنا قدراً وأعلى لنا ذكرا  
تعليم آداب الطريقة والمسرى  
وقيد في سفر القبول له ذخرا  
هو البحر مداً بالمكارم لاجزرا  
ويدك بعد العسر في نشره يسرا  
وعمر بالذكر الحميد له العمرا  
مؤلفها في ظلها رحمة تترى  
غلبنا العدا حتى بلغنا المدا نصرا  
فريق الطريق الخالدي لك البشرى

ثم إنه قدّس الله سره ذهب الى الديار الحجازية سنة تسع وخمسين في معية أم المريدين حرم حضرة مولانا قدّس الله سره . فآدى حق الخدمة وصدق المهمة وقام بوظائف قدرها وترفيع شأنها ، ثم قضى نسكه ووفى أعمال حجه وعاد الى دمشق الشام مقبول الأعمال موصول الأمل . فعكف على القيام بسالف عبادته وترتيب عاداته من نشر العلوم وإحياء الطريق وبت الإرشاد غرباً وشرقاً . فزاد ظهور فضله وتلا لأ كواكب هدايته وبعد صيته ، وتوجّهت الى كعبة إمداده الوجوه وخضعت له الوزراء والأمرء وأذعن بكامله الفضلاء والعلماء ، وهو يغيث الطالبين ويرشد المسترشدين . حتى إذا كان عام إثنين وستين خرج قاصداً حج البيت العتيق وتلك المشاعر الحرمية ومعه سيدي الوالد الماجد وجمع عظيم من أصحابه . وكان أمير الركب الشامي عامنذ أعظم وزراء الدولة العثمانية والي دمشق الشام الصالح الهمام الحاج موسى صفوتي باشا رحمه الله تعالى . وكان من الإخلاص لسادات هذه الطريقة العلية بمكان مكين فقام بفريضة خدمته



وواجب شأنه ورعاية مقامه بنفسه وماله ورجاله بحيث لا يتصور ما أجراه من فرط إكرامه ومن ومحض إخلاصه في تعظيمه وإجلاله والوقوف عند إشارته وإمتثال أوامره ونواهييه . فأدوا جميع مناسكهم وعادوا الى مساكنهم على راحة الراحة وكرامة السلامة غانمي الأجور والعمل المبرور . فأنظر في هذه الحادثة بعين الإعتبار فإن الجد الأجد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ لما صدق في خدمة حرم حضرة مولانا قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ العزيز في ذهابهم الى البيت الحرام حرمةً لمقام مرشده المكرم أعاد الله علينا من بركاته سَخَّرَ اللهُ له هذا الوزير فخدمه جزاء إخلاصه في أعماله أعظم خدمة " مَنْ خَدَمَ خُدْمَ " . ولله درّ العارف الكبير سيدنا الشيخ مصطفى البكري المصري حيث قال :

عبيد ولكن الملوك عبيدهم وعبيدهم أضحي له الكون خادما

ثم ذهب عام ستة وستين الى المسجد الأقصى براً ومشى في ركابه جمع عظيم من أتباعه ومريديه . فلما وصل الى مدينة صفد إستقبله خليفته بها العالم الفاضل والمرشد الكامل الشيخ محمد حديد الصفدي في جمهور أهلها ، بحيث لم يتخلف أحد عن إستقباله . فخيّم فيها أياماً ثم قصد نابلس فيايفا فالتقدس الشريف . فلما أدرك مرامه من الزيارة والتبرك بتلك الأماكن المقدسة توجه الى مدينة جد الأنبياء إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام . فزار وإستقصى ثم عاد الى الأوطان نائلاً أقصى الأوطار . فاستقبله وجوه (جَلَقَتْ) وأعيانها ورؤساؤها وصدورها وأقبل كافة أهلها للسلام عليه والتماس بركة دعائه . فقابل كلاً بما يليق من الإلتفات والإحتفاء والإحتفال . ثم طفق عوداً على بدء يقيم وظائف أذكاره ورواتب إرشاده والناس تفد إليه والأرواح تحج بيته المقدس من كل وجه ، فتنال من تركية وتقديس ووصول الى الله تعالى بأقرب أن توارد تجليات إحصانية وترادف أنوار الهية مالا يحيط به فكر ولا يدركه خاطر .

ثم لما كان سنة سبعين عزم على الذهاب الى القسطنطينية العلية تنشيطاً للإخوان وترغيباً للمريدين وترويحاً لشرف الطريقة العلية وإجابةً لدعوة الوزير المشار اليه آنفاً الحاج موسيس صفوتي باشا . فلما خرج من داره وجد أكثر أصحابه ينتظرونه للوداع . فمشوا في خدمته الى ظاهر البلدة فبدا يعيدهم ، فمنهم من رجع ومنهم من لم يرجع ، فما زال بهم حتى رجّعهم عن آخرهم . وسار فلما وصل الى بيروت إستقبله أمراؤها وعلماؤها وتجارها وعظماؤها ونزل ضيفاً كريماً عند أحد ساداتها السيد عبدالفتاح حماده الإسكندراني . فما بقي أحد من أهلها المعول عليهم إلا وتشرف بزيارته وتحصيل بركته ومجابهة دعوته ريثما حضرت السفينة . فركب فيها ومعه سيدي الوالد الماجد وجملة من أتباعه . فنزل معه الى السفينة دفتردارها وقتنذ وعامة كبرائها فودعوه بها وإستودعوه الله تعالى .

فلما وصلت السفينة الى ساحل القسطنطينية إستقبله الوزير المومى اليه وأنزله أعلى منزلة وبالغ بتعظيمه وترقية أحواله وترقيم قدره وشأنه . وجعلت المريدون والمخلصون يقصدون التشرف بلثم أنامله أفواجاً أفواجاً ، لاسيما وكلاؤها ووزراؤها الفخام . وأما علماؤها الأعلام فقد بلغوا بالسرور بتوجهاته والحضور كل يوم الى إستمداد أنوار فيوضاته الغاية التي لا توصف بلسان ولا يفي ببيانها بنات . فنظر في أحوال الخلفاء والمريدين ونصح الواعظين ووعظ الناصحين وأرشد المرشدين وأفاد الوافدين . كل ذلك وهو لم يخرج من دار الوزير المنوّه به إلا الى زيارة الصحابي الجليل سيدنا ومولانا أبي أيوب بن زيد الأنصاري رضي الله عنه ولصلاة الجمعة في مسجد قرب الدار .

(ورأى) ساكت الجنات السلطان الغازي عبدالمجيد خان أحلم ملوك بني عثمان مرة وهو ذاهب لسماع قصة المولد النبوي في المسجد ، فحصل له حال عظيم وبكى بكاءً شديداً . فعجب الحاضرون من ذلك لما

يعهدونه من كمال أحواله وأحوال كماله ورسوخ تقدمه في مقام التمكين ولم يقدم أحد على سؤاله . فقال لهم من باب الكشف عن الخواطر اني لما وقع بصري على عظم مظهريته حصل لي ماحصل- يريد بذلك الكلام الإشارة الى قاعدة عظيمة عند السادة الصوفية وهي أن العالم كله مظاهر للحق تعالى وهو الظاهر في كل على حسب استعداده- ولا يخفى أن ظهور الحق تعالى في السلطان أقوى من ظهوره في غيره . فرأى الشيخ نور الله مرقدته ظهور الحق تعالى في السلطان على قدر استعداده . وهذا منه نفعنا الله به غاية في قوة الباطن وعلو الهمة ونفوذ البصر كما يعلمه أرباب هذا الشأن . (ذكر) إن أحد أولياء الله تعالى كان يدخل بالخصوص عند الحكام ويلمس بيده عليهم ويمسح بها وجهه ، فقبل له في ذلك ، فقال تجليات الحق تعالى عليهم أقوى التجليات . ثم أنقلب قدس الله روحه بعد أربعة أشهر الى أهله مسروراً وقد ملأ الأستانة بهجة ونوراً . وقد كان عامنذ بيت الدولة العلية العثمانية والدولة الروسية حرب عظيمة كان ببركة أدعيته المجابة النصر فيها للخلافة الإسلامية والعلم المحمدي المصمّر .

فلما دخل دمشق الشام قوبل بأنواع الإجلال ووجوه الإقبال ، ثم عمد الى ماعهد من فضائل أعماله وعام ارشاده ونشر فنون العلوم الى سنة أربع وسبعين . فعزم على الحج الشريف ومعه سيدي الوالد الماجد والعلم المحترم الشيخ أحمد أفندي ونفر من أتباعه . وكان أمير صرة الركب الشامي عامنذ أخو الوزير المشار اليه سابقاً الشهم الوقور الحاج مصطفى أفندي رحمه الله . فخدمه أعظم خدمة وبذل في القيام بواجب قدره غاية الهمة وأنفقت عليه وعلى أتباعه أمراً جمة . ولم يزل يزداد في تعظيمه وإعلاء شأنه وأداء فريضة خدمته بنفسه وأمواله ورجاله حتى أدى حبه على أسنى الأحوال وعاد على هذا المنوال . فخرج لإستقباله من أهل دمشق من لا يحصون عدداً وربما لم يتخلف أحد أبداً . وأقبلوا للسلام عليه وتقديم المباركة بالسلامة اليه . فقابلهم بما يستحقونه من الإعتناء والإستغفار والدعاء .

ثم التفت لما ثبت عليه من إفادة العلم وإشادة الطريق وحفظ مركز خلافته العامة الى سنة ست وسبعين فوَقعت في الشام حادثة المسلمين مع النصارى ، إذ قتل المسلمون منهم عدداً وافراً وخربوا مساكنهم وأحرقوا محلتهم ونهبوا امتعتهم وهتكوا حرمتهم . فأقدم ساكن الجنات السلطان الغازي عبدالمجيد خان أحد وزرائه محمد فؤاد باشا الى الديار الشامية ، فأدب أهلها بأنواع التأديب قتل واليها مشير المعسكر الخامس أحمد باشا بالرصاص ونفى لفييف أعيانها وعلماؤها وخنقت أكثر معتبريها وأدخل شبانها في سلك الخدمة العسكرية وضرب على الناس ضرائب من الأموال شاقة عامة وخاصة . كل ذلك ولم ينك حضرة الجد الأجد ومن يلوذ به أدنى مساءة ، بل إستثناه نصاً من كافة ذلك . وهذا كله كما سمعته منه غير مرة ببركة أنفاس أهل هذه الطريقة العلية وبصدق تقدمه وقدم صدقه في خدمة الله عز وجل قال تعالى (أذكروني أذكركم) وقال عليه الصلاة والسلام : "إحفظ الله يحفظك" .

ولم يزل يزداد سمواً ومجداً ويضيء إرشاداً ونفعاً كالشمس في الضحى والبدر في الدجى ، حتى خرج يوم الخميس قبل وفاته بأحد عشر يوماً مع بعض إخوانه الى بستانه على عادته الكريمة من تركه قراءة الدروس يومئذ ، وسبب خروجه أنه كان يقرأ في كتاب الجنائز من "شرح المنهم" للقاضي زكريا الأنصاري قُدس سره في فقه إمامنا الشافعي رضي الله عنه وكان يغلب عليه البكاء وقت القراءة الى أن أتم . فأحب قُدس الله سره ترويحاً لإخوانه أن يتنزهوا في مكانه . فما زالوا في سرور وإنشراح صدور الى قوت العصر . فأحس قُدس الله سره بإنحراف في صحته بحيث أعرضت نفسه الزكية عن تناول العشاء ثم نزل

الى منزله مساء فلبث يتوعلك نحو ثلاثة أيام ثم إنقلب مرضه الى حمى معوية قوية . فهناك أوصى وأمر ونهى واستقصى . ولم يزل المرض يشتد ويقوى حتى أتم أنفاسه الطاهرة سحر يوم الإثنين تاسع عشر صفر الخير سنة تسع وسبعين ومائتين وألف . فلما أت أبهار النهار غسل بالأنوار وكفَّت في الأسرار وحضر غسله علامة العصر وبركة المصر شيخنا الشيخ محمد الطندتائي الأزهري أطال الله بقاءه . ورُفِع على أنامل الأفاضل ضحى الى جامع ( يلبغا ) ، وقد اجتمع لتشيع جنازته والصلاة عليه الخاص والعام من أهل الشام . فأذن سيدي الوالد الماجد لشيخنا المشار اليه فصلى عليه ، ثم ساروا به وقد قال لسان الحال " قوموا أنظروا كيف تسير الجبال " حتى إذا وصلوا الى تربة حضرة مولانا خالد قَدَسَ اللهُ سرَّهُ العزيز دفنوه هذاه ضريح القائم مقام الثاني سيدنا الشيخ عبدالله الهروي قَدَسَ سرَّهُ . فتجد ترتيب محلاتهم ومقاماتهم في حياتهم . وقد لقَّنه شيخنا المنوّه به ، فشكر له القوم ثبات جأشه في ذلك اليوم .

ثم رجعوا وقد فاضت بالبكاء عليه من العيون عيون وشقت لمشقة فمقده من القلوب جيوب ولبس الإرشاد ثوب الحداد ولطم العلم وجهه في كل وجهة وضرب الزمان صدره لفقده عقده التنظيم ، وحلّ بالمسلمين بلاء عظيم واضطربوا اضطراباً عديداً وزلزلوا زلزالاً شديداً إذ علموا إن موت العالم ثلثة في الحديث ، فما بالك بموت إمام المرشدين وعلامة المسلمين . كما قلت في هذا المقام مؤرخاً وفاته ذلك العام :

هلم خليلي نندب الجد سيدي محمد الخاني علامة الملا  
لعمرك ما فقد الملوك وملكها بلاء وال أموال والأهل والعُلا  
ولكن إذا أنصفت قلت مؤرخاً وفاة إمام المرشدين وهو البلا ( سنة ٢٧٩ هـ )

فإنه من المشهور عند الخاص والعام أنه قَدَسَ اللهُ سرَّهُ كان من أولياء الله الكرام والعيان برهان جليل :  
وكيف يقتر في الأذهان شيء إذا احتاج النهار الى دليل

وقد جمع الله له ثلاث شهادات : الحمى والغربة وطلب العلم . وإليه أشرت بقولي في المراثية الآتية أعد له الله الخ . وقد رثاه غير واحد من فضلاء الشعراء وشعراء الفضلاء . فأحبت أن أشبه بهم في خدمة مقامه العزيز ، فقلت :

متى يسعف الصبر الجميل ويسعد  
أثار بقلبي ماثار من الجوى  
ورزء يذوب الصخر من صدماته  
فكم أورث الأبواب بحران دهشتهم  
وشقت قلوباً لأجيوياً مشقة  
وأرسل من أهواله سحب عبيرة  
على فقد جد طالما جد في العلاء  
على العلم والإرشاد والزهد والتقى  
على الأمر بالمعروف والنهي زاجراً  
على بحر عرفان موارده صفت  
على شمس أسرار تضيء هداية  
على صائم الأيام وهي هواجر  
على قوائم الليلات وهي دياجر

وحزن على حزن يقيم وبقدم  
فنيبرانه بين الجوانح توقد  
ويرجف قاف منه والبحر يجمد  
الى أن غدت في صدقة تتردد  
ومزقت أكباداً له تتكبد  
بلا فترة بك حيث تصدر توردد  
وأصبح للدين الحنيف يجدد  
على الجود والإمداد والخير يفتد  
عن المنكر المطلوب فيه التقيد  
لكل مريد فيه لله مورد  
وتحيي الطريق المجتبي وتؤيد  
يجاهد في الله ولله يجهد  
يقسمها ذكراً وفكراً ويسجد

على مرشد يهدي الى الحق نوره  
على وارث القطب المعظم خالد  
فمن لدروس العلم يحيي دروسها  
ومن لعلوم القوم يظمر سرها  
ومن للطريق الخالدية بعده  
فيا طالما أحيا مآثر قطبه  
وعزز من قاموا بحق مقامه  
كواكب إرشاد أضاءت على الوري  
هم الشيخ إسماعيل قدس سره  
محمد الخاني والمظهر الذي  
له العلم في هلك الطريق وملكه  
تفرد عن أقرانه بمناقب  
فقد كان في علم الحقيقة مفرداً  
فطوبى له من عارف جد عارف  
له مسجد بالذكر والفكر عامراً  
له الجود والإيثار والزهد والتقى  
صبور على التقوى غفور لمن أسا  
تقلد في الإرشاد أكبر منصب  
كراماته في كل ملك شميرة  
بديم بيان في حديث تصوف  
وبهجته أسنى كتاب مؤدب  
ولا عيب فيه غير أن وجوده  
أعد له الله مقام شهوده  
وأحيا الليالي ساهد الطرف ساجداً  
بنفسي أفدي فرقداً حل فرقداً  
عجبت لقوم وسدوه بلحده  
وأعجب منه أن بحرأ يقبله  
علوم وعرفان وزهد ورحمة  
فياليتني ماذقت صاب مصابه  
عليه من الله تحية رحمة  
ومني له حسن الثناء لأنه  
فلا أثمرت في روض طرسي براءة  
إذا كنت لأبكي دماً لفراقه  
وأشكره ما دمت حياً لعلمي  
وأنى لذهني أن يكافي فضله  
عهدت اليه أن يجيد رثاه

فمن جاءه يسعى فبالله يسعد  
بصدق له الذكر الجميل يخذ  
بتحرير تقرير يحل ويعقد  
بذوق له العلم اللدني مسند  
يشيد من أركانها ما يشيد  
وأثاره الكبرى بذلك تشهد  
فكانت بهم تحمي الطريق وتحمده  
إذ غاب منهم مرشد لام مرشد  
وحضرة عبدالله والجد الأجد  
له في مقامات الولاية مشهد  
وما يصلح الأحوال فيه ويفسد  
كبار وهم الأولياء التفرد  
كما هو في علم الشريعة مفرد  
الى الله يهدي السالكين ويرشد  
وقوم كرام ركم فيه وسجد  
له الورع الأولى به والتجرد  
شكور إذا أقوى وقور ممجد  
بهمته الكبرى التي لا تقلد  
وخيراته في كل وقت تجدد  
بتفسير فقه نحوه الحق يقصد  
فأياته تتلى لنا وتجوود  
عزيز فمن أمثاله ليس يوجد  
جزاء وشهادات له تتمدد  
فأضحى له دار النعيم تمهد  
وأعظم به من مرقد فيه فرقد  
ومأفتتت منهم قلوب وأكبده  
سرير ويحويه من الأرض مرقد  
وجود وإرشاد وتقوى وسؤدد  
ولا كان لي في عالم الكون مولد  
وهتان رضوان وعفو مسرمد  
هو السيد المنشي الفخار المشيد  
براءة لفظ كالألي ينضد  
وأندبه مازلت أنشي وأنشد  
أكافي أيديه الكبار وأحمد  
وإن عليــــــــه كل أن له يد  
وعهدي به عند المهمات ينجد

فحال الجريض اليوم دون قريضة  
فصادمت أجزاني وقلت مؤرخاً  
والأفما دام المصاب مصاحبني  
لعمرك إن الحزن للذهن يُخمدُ  
توفي حصن الأتقياء محمد (٢٧٩هـ)  
متى يسعف الصبر الجميل ويسعدُ

ومن غريب الإتياف أني حسبت أفاظ (توفي محمد الخاني) ، فوجدت عدد كلماته تاريخاً لوفاته ، لكن بإسقاط ألف الوصل التي في لفظة الخاني جريباً على إحدى قاعدتي حساب التاريخ في الجمل- وهي أن يحسب مايلفظ به ويحفظ عادة لا ما يكتب . والثانية أن يحسب ما يكتب كما أشار إليه الشيخ عبدالغني النابلسي قدس الله سره في شرح بديعته . وبالجملة فقد كان الجد الأجد ومزق أكباداً له تتكبد أية في كل فضل ورعاً وزاهداً وذاكراً مجاهداً كثير العبادات والرياضات الشاقات . وأغلب رياضاته في مقام حضرة مولانا قدس الله سره العزيز . وكان يعتدي فيهن كل يوم بما، إحدى وعشرين زبينة ، وربما وضع معهن نحو ثلاث حبات من مشمش ولم يترك الرياضة في كل رمضان وعشر ذي الحجة حتى توفي قدس الله سره .

وكان مشغولاً بمطالعة كتب السادة الصوفية خصوصاً "الفتوحات المكية" وتائية العارف الكبير الشيخ عمر بن الفارض قدس الله سره العزيز وشروحا . فما خرج إلى منتزه إلا وكان معه من كتب القوم مايصرف بقرائه بياض نهاره ، لاسيما كلام العارف الشعراني قدس الله سره العزيز . وكان كثيراً مايجب لبس العباءة والإكتساب من الزراعة ، ويقول هي إلى الحل أقرب وبالتوكل أنسب . وقد رزقه الله القبول في الأرض والجاه العريض والكلمة النافذة عند الحكام مع كثرة اجتنابه لهم . وكثيراً ما كانوا يأتون لزيارته والتبرك به وأخذ الطريق عنه .

(وكان) شجاعاً فارساً يحب ركوب الخيل النفيسة نزيه النفس زكي الأنفاس مجاب الدعوة يقصد بركته كافة أرباب الأسقام المعضلة ، فيعافئهم ببركة دعائه المظهر . (وكان) قدس الله سره ذا هيبه ووقار وهينة محمديّة الذات والصفات والأنوار حلاه تغني عن إثبات علاه . فإنه كان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الأولياء من الذين إذا رأوا ذكر الله . (وكان) قدس الله سره يحب الفقراء والمساكين ولاسيما المجاذيب ، فإنه كان يالفهم جداً وهم كانوا يحبونه أيضاً ويترددون إليه ويتحمل منهم مشاق عظيمة .

(وكان) قدس الله سره له قوة عظيمة في إلقاء الجذبة والتصرف في أحوال المرید وله شفقة تامة على أصحابه وربما هجر فراشه وبات في المسجد تنشيطاً لإخوانه على قيام الليل . (وكان) قدس الله سره حسن الأخلاق يعفو عمّن ظلمه لا عن عجز ، صبوراً على الأواء كريم الطبع غزير الدمع كثير الأحزان متمسكاً بالسنة السنوية في أحوالها كلها ، أخذاً في أموره كلها بالعزائم معرضاً عن الرخص وكل ما لا يلائم . يعمر مجلسه بالذاكرة في المسائل العلمية أو مناقب الصالحين أو أحوال الطريقة العلية لا يستطيع أحد أن يمكّن بصره منه من فرط جلالته ولا أن يذكر عنده شيئاً من أمور الدنيا ، نصوحاً للمسلمين أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر بالوجه اللائق . ومن نصائحه "لاتفتخر بولاية الأعاجم ولا بصحبة أهل الشام" .

(وله) قدس الله سره فضائل شهيرة وأثار كثيرة ، ولولا استعراقه بمحبة الذكر وصرف وقته إلى المراقبة والفكر لكان على ما له من علو الهمة والإطلاع على العلوم المهمة ألف تأليف جمّة ينتفع بها عامة الأمة .

(وله) قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ كرامات كِبَار وكشف كالشمس في رابعة النهار . فمَن ذلك ما ذكره بعض جيرانه أنه أتى بمومسة ليلة إلى داره - وكانت خالية فأوقد المصباح لها ثم خرج إلى السوق لحاجة . فلما رجع دخل الدار وكان للمكان الذي فيه المومسة شبابيك من بلور فنظر من البلور فرأى حضرة الشيخ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ جالساً في المخدع . ففرغم أشدَّ الفزع ثم خرج يعدو حتى أتى المسجد فرأى الشيخ جالساً في محلة على عادته . فعاد إلى الدار فوجد الشيخ في ذلك المحل بعينه ، وهكذا ثلاث مرات . فرجع عند ذلك إلى المسجد وقبَّل يد الشيخ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ وقد عقد في نفسه التوبة النصوح ولم يعرج على الدار . فلما إستبطلته المومسة ذهبت . فرجع بعد العشاء فوجد منزله خالياً فبات يشكر الله تعالى ويستغفره حتى أصبح ولم يعد لمثلها أبداً ببركة إتفات حضرة الشيخ نفعنا الله به .

(ومنها) أنه جاء محمد رشيد باشا والي بغداد المشهور بكذلك باشا رحمه الله تعالى إلى الشام رئيس المعسكر الخامس - وكان ممن تربى في بلاد الإنرغ وأشرب في قلبه حبهم وكرهية الإسلام . فاتفق أنه نزل يوم عرفة إلى سوق الغنم ليشتري الأضاحي للمعسكر وهو قريب من مسجده قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ . فلما أن فرغ دخل المسجد ليفسل يده من أثر مس صوف الأغانم . فلما دنا من الحوض رأى الشيخ واقفاً يتوضأ فجعلت نفسه تأمره أن يقبَّل يد الشيخ ، فقال لها كيف أقبل يد مسلم وهم أبغض الناس إليّ ؟ فما زالت به نفسه حتى أقبل وقبَّل يده . فما زاد الشيخ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ على أن وضع يده على صدره تحية له ثم اشتغل عنه في وضوئه . فإنصرف هذا الرجل وقلبه معلق به . فذكر ذلك لمشير المعسكر المذكور محمد نامق باشا وفقه الله تعالى على وجه التعجب من نفسه . فقال له : وبحك هذا الشيخ محمد الخاني وهو من أولياء الله تعالى وهو الذي كنت تلومني في زيارته . فقال له : بمثل هذا العزيز يفتخر الإسلام ، فإني الآن ببركته قد صدقت بصحة دين الإسلام وأحببت أهله وأنقذني الله على يديه من النار . ثم جعل يتردد لزيارته ويشكره على نعمة إنقاذه ومِنه إرشاده . ولم يزل يذكرها في المحافل العالية في دار السلطنة وغيرها حتى توفي عني عنه .

(ومنها) وهي مما شاهدته إن أكبر أعمامي الشيخ أحمد أفندي حفظه الله تعالى كان يشكو وجود حصاة في المثاني ويتألم عند قضاء الحاجة أشدَّ الألم وربما مرض منها أياماً فأعيا الأطباء ولم يفرج عنه شيء . فكتب له حضرة الشيخ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ تميمية وأمر أن تجعل في إناء ويصب فوقها ماء ويُسقى منه . فمالبت أن خرجت الحصاة مع إفراز الحاجة بقوة ، بحيث لما أصابت الطست إنكسرت نصفين وبريء من ذلك إلى يومنا هذا ولله الحمد .

(وأما كشفه) فقد أخبرني السيد الوالد الماجد أدام الله إمداده أنه قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ كان يخبره بالأمر قبل وقوعه فيقيم كما أخبر عينا . وإن هذا كان دأبه في الأمور كلها وإنه قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ كان في الإطلاع على خواطر المريدين مرآة صقيلة يلوم فيها أدنى الخطرات كأعلاها . وإنه كان لا يسأل مريداً عن أحواله قط ، بل هو الذي يخبر المريدين بأطواره ويرقيه في معارج سلوكه ويأمره مرة وينهاه تارة .

(وأخبرني) بعض أتباعه أنه أتى لزيارة أعتابه قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ وشكاية مظلمة وقعت عليه فرأى عند وزير الشام وقتئذ فلم يمكنه الوصول إليه . فلم يلبث الوزير أن ذهب فقام حضرة الشيخ لوداعه فخطر في بال الرجل أن الشيخ يعظّم الحكام ، فالتفت إليه قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ في الحال وقال : " هذا لأجلكم " . فخلد الرجل أشدَّ الخجل وحصل له تمام الهيبة والوجل . (وغير خفي) إن الصبح عنوات على النهار والطلليعة تدل على

الجيش ، فلنكتف بهذا القدر من حذر المل .

(وكان) قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ لفرط تعظيمه لشأن الطريقة العلية ومعرفته لعرّة قدرها ومكانة شرفها يتمنّع عن الإذن بالخلافة لأحد ، إلا بعد كماله ورسوخ قدمه في معرفة السلوك . ومع ذلك فقد تربّى على يديه سادة صلحاء وقادة علماء وجادة أتقياء أولوا رشادة وزهادة وفضائل خوارق للعادة . من أجلهم عالم وقته وبركة عصره وصالح قطره ذو الأنفاس القدسية الشيخ يوسف أفندي رئيس الوعّاظ في مسجد أياصوفيا في دار السلطنة القسطنطينية العلية قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ . فإنه حضر عام أربعة وخمسين الى دمشق الشام ودخل الرياضة وجلس بين يدي الشيخ قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ وأخلص بتسليم قلبه إليه . فلما أكمل تربيته أذن له بالإرشاد وخلفه خلافة عامة . فعاد الى الأستاذة العلية ينشر أعلام الطريق العلية ويربّي السالكين ويرشد الطالبين . فحصل على يديه نفع عظيم . وتوفي عام نيف وستين ومائتين وألف في القسطنطينية ودفن بها نور الله ضريحه .

(ومنهم) نجله العالم الفاضل المرّبّي الحاج محمد عارف أفندي قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ وقد بعد إنتقال والده على رحاب حضرة الشيخ قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ في دمشق الشام . وألقى إليه مقاليد التسليم التام فأدخله الرياضة وبالغ بتربيته وتكميله . فلما إنتقضت واجبات سلوكه أذن له بالإرشاد العام وخلفه خلافة مطلقة وأعاد مكان والده في الأستاذة العلية شيخاً لتكية صالح الوزراء العظام الحاج موسي صفوتي باشا رحمه الله تعالى ، التي بناها من ماله وشرط أن يكون شيخها نقشبندياً خالدياً وأن لا يكون كردياً ، وهي تكية عظيمة منظمة أحسن نظام . فطفت يقيم الختومات المقدّسة بها ويرشد السالكين ويهدي المسترشدين حتى إذا عمّ نفعه وكثر سواده وجمعه توفي ودُفِن . وكانت وفاته في بضع وسبعين قَدَسَ سِرَّهُ .

(ومنهم) العالم الممام والمرشد الإمام الشيخ حسن فيض الله أفندي قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ . أتى الى أعتاب الشيخ قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ عام خمسة وخمسين وسلّمه زمام نفسه بكمال الإذعان والخضوع . فرباه أحسن تربية الى أن بلغ أشده ، فأذن له بالإرشاد وخلفه خلافة عامة . فمظن الأستاذة واشتغل بالطريقة وحصل له قبول عظيم وجمعية كلية وخلفاء كثيرون الى أن توفي هنالك في حدود سنة تسعين نور الله مرقدّه .

(ومنهم) العالم الصالح والمرشد الناصح الشيخ محمد مهدي الداغستاني قَدَسَ سِرَّهُ . جاء الى رحابه نفعنا الله به عام نيف وخمسين وأظهر فرط الإخلاص ومحض الصدق في العبودية . فأقبل بوجهه الكريم عليه وصرف همه لتربيته أحسن تربية وأدخله الخلوة ومازال يرقّيه في مدارج الكمال حتى أتم سيده . فأذن له بالإرشاد العام وخلفه الخلافة المطلقة . فذهب الى أوطانه ثم بعد تغلب الروسية عليها هاجر الى القسطنطينية وطفق يبث بها أنوار الأسرار وإمداد الإرشاد حتى حصل به النفع العام للخاص والعام . ثم ذهب الى المدينة المنورة فلم يزل مجاوراً بها حتى لقي وجه الله تعالى . وكان عالي الهمة شديد الورع والزهد عرضت عليه والدة السلطان الغازي عبدالمجيد خان أن تبني له تكية وترتب له رواتب وافرة ليدعو للسلطات ، فأبى وقال أنا أدعو له على كل حال .

(ومنهم) العالم العلامة والمرشد الكامل الإستقامة الشيخ إسماعيل أفندي البروسوي إمام جامع السلطات في بروسه . قدم الى دمشق وتشرف بدخول الخلوة عنده وفاز بخدمته وصدق ملازمته

والتشرف بطريقته . فلم يبرح يمدّه باكسير أنظاره ويسلكه في مقامات الوصول حتى أدرك أوج الكمال وبلغ درجات الرجال . فأذن له بالإرشاد العام وخلفه خلافة مطلقة . فعاد الى بروسه بعد أداء الحج الشريف رافع ألبية الطريقة العلية يربّي المريدين ويرشد الطالبين ، وقد إنتفم به خلق كثير وتكلم على يديه الجم الغفير وفيه توفي نورالله مضجعه .

(ومنهم) العالم العامل والمرشد الرباني الشيخ إبراهيم أفندي الأرنجاني قدّس سرّه . قصد أبوابه بعد أداء الحج سنة بضع وخمسين بممة صادقة وعزم مصمم وتسليم تام . فالتفت اليه حضرة الشيخ بنفسه وأدخله الرياضة ورباه ورقاه وأدبه وهذبّه حتى كمل سلوكه وتم إرشاده . فأذن له بالإرشاد العام وخلفه خلافة مطلقة فرجم الى أوطانه وقد بلغ جميع أوطاره يرشد الناس ويغيث القلوب وينور السرائر باظهار أسرار الطريقة العلية . فإنتفم به من العالم كثير حتى توفي هنالك قدّس سرّه .

(ومنهم) الفاضل الكامل والمرشد الواصل والعالم العامل الشيخ محمود البغدادي قدّس سرّه . أتى الى قبابه بعد قضاء فريضة الحج عام ثمان وخمسين بقلب سليم وعزم قوي ومحض تسليم . فقبله وأدخله الخلوة واعتنى بإرشاده وتربيته بنفسه ، فنال درجات الكمال في أقرب زمان . فأذن له بالإرشاد للعباد وخلفه خلافة مطلقة وأعادته الى بغداد . فإنتفم به من الطالبين ما لا يحصون عدداً الى أن توفي ثم قدّس سرّه .

(ومنهم) العالم اللوذعي والمرشد الألمعي الشيخ إبراهيم ابن الشيخ حامد المارديني قدّس سرّه . قدم والده لأداء الحج وأتى الى حضرة الشيخ قدّس الله سرّه عام نيف وستين - وكان والده من خلفاء الشيخ ملا خالد الجزيري خليفة حضرة مولانا خالد قدّس الله سرّه العزيز - وشرح له كمال أحوال والده واستحقاقه للخلافة . فأذن له بالإرشاد وخلفه خلافة تامة مطلقة وهو الآن والحمد لله في ماردين يرشد الطالبين ويربّي السالكين حفظه الله تعالى .

(ومنهم) صالح المرشدين ومرشد الصالحين الشيخ أحمد الكارازي (نسبة الى كاراز من أعمال آمد/ديار بكر) . قدم على أعتابه سنة بضع وستين وجلس مجلس الإستسلام حتى أدرك من فيوضات تربيته وتوجهات بركته غاية المرام . فأذن له بالإرشاد وخلفه خلافة مطلقة وأعادته الى أوطانه بعدما خرج منها كارهاً لما وقع له هنالك . وهو أنه لما توفي الشيخ ملا خالد الجزيري المومي اليه ودُفن في قرية الباصرة من أحواز الجزيرة قام مقامه صهره الشيخ صالح فكتب لكافة خلفاء ملا خالد أنه يجب على كل واحد منهم أن يأتي الى الباصرة لزيارة ضريح الشيخ في كل عام وإن من تخلف فهو مطرود . فأنكر ذلك عليه أكثرهم من جملتهم الشيخ أحمد المنوّ به وكتبوا الى حضرة الجد الأجد بذلك . فكتب الى الشيخ صالح ينهاه أشد النهى ويأمره بالكف عن ذلك ويبين له ما فيه من المحذور شرعاً . فلما وصل اليه الكتاب أذعن وأتاب . ثم لما بلغ الشيخ أحمد أوطانه طفق يبيت أسرار الطريق فيه حتى حصل على يده نفع عظيم للمسلمين . وكان عالماً فاضلاً ورعاً زاهداً له كرامات ماثورة في تلك الجهات نفّعنا الله به .

(ومنهم) أكمل الخلفاء صالح عصره وبركة وقته العلامة الفهامة الشيخ إسماعيل أفندي القرلي (نسبة الى قولة بلدة من بلاد الأناضول) إمام جامع (السنجاغار) في دمشق الشام قدّس سرّه . صحب حضرة الشيخ وصدقت في صحبته وكمال خدمته ، فأدخله الخلوة وبالغ في حسن تربيته مؤدياً حق قابليته



حتى بلغ درجة الكمال من الرجال وأدرك في الطريقة العلية أعلى الأحوال . فأذن له بالإرشاد وخلفه خلافة مطلقة فلم يزل ملازماً عتبه حضرة الشيخ حتى إنه قُدس سره جعله وصياً على أولاده وقائماً مقامه من بعده . غير أنه إختارته المنية في حياته شهيداً في وباء رمضات سنة أربع وستين . ودُفنت في تربة حضرة مولانا قُدس سره . وقد جمع الله له ثلاث شهادات : طلب الحق والوباء والغربة أهل الله عليه سحائب رحمته وعفرانه .

(ومنهم) العالم الصالح والمربي الفالح الشيخ محمد حديد الصفدي قُدس سره . أخذ الطريقة العلية عن قطب الإرشاد عن حضرة مولانا خالد قُدس الله سره العزيز . ثم لازم خدمة حضرة الشيخ ودخل عنده الخلوة ، فنظر إليه بعين عنايته وخصه بمزيد رعايته ولم يزل يرقيه مراقي الفلاح حتى أصبح مرشداً كاملاً . فخلفه خلافة مطلقة وأذن له بالإرشاد العام فذهب الى مدينة صفد يربي المريدين ويرشد الطالبين متمسكاً بأذيال الزهد والعفة والإستقامة على السنة السنوية ونشر راية الطريقة العلية في تلك البلاد ، حتى إنتفخ به خلق كثير من تلك الأقطار وقُصد بالرحلة من كل جانب . وشوهد له كرامات كريمات وأحوال وأطوار عظيمة ، وصار له خلفاء أفاضل صلحاء . ولم يزل حتى إنتقل بعد عام ثمانين الى لقاء الله عز وجل في صفد وقبره يُزار ويُتبرك به .

(ومنهم) العالم الفاضل الشيخ أحمد جعفر حفظه الله تشرّف . بأخذ الطريقة العلية عن حضرة الشيخ قُدس الله سره وعكف على خدمته وصدق محبته . فقابلته بالقبول وأدخله الرياضة وسلكه في درجات الوصول حتى أشرف على الكمال ونال ببركته مانال . فأذن له بالإرشاد وخلفه خلافة مطلقة وعقد له على أكبر بناته البرّة التقيّة الصالحة خديجة رحمها الله تعالى . فأقام في دمشق الشام مدة ، ثم رحل بها الى البيت الحرام بقصد المجاورة في تلك الأماكن المقدّسة . فلم تزل حتى توفيت عام إحدى وثمانين ودُفنت في المعلاه . ثم عاد الى المدينة المنورة واتخذها موطناً الى يومنا هذا ، غير أنه يغلب عليه الإنزواء وحب الوحدة فلم يرد لذلك منه مريد .

(ومنهم) العابد الذّاكر الصالح المربي الشيخ على الحزوري الحمصي قُدس سره . تلقى الطريقة العلية عن غوث الزمان حضرة مولانا خالد قُدس الله سره ثم بعد إنتقاله لازم عتبه حضرة الشيخ وفاز بتربيته وتسليكه حتى حصل رتبة الكاملين . فأذن له بالإرشاد وخلفه خلافة مطلقة . فلم يبارم رحابه حتى توفي عام ٨٩ يوم عيد الفطر ودُفنت في تربة حضرة مولانا قُدس سره . (وكان) من الإستقامة بمكان بقي أكثر من أربعين سنة وهو يخرج من بيته الى المسجد في ليك ويدخل في ليك . وكان يتكسّب من كتابة الكلام القديم ولا يرى إلا في ذكر أو عبادة وهو الذي أقرأنا القرأت المجيد جزاه الله عنا خيراً جزيلاً .

(ومنهم) العالم الصالح والمرشد الفالح الشيخ محمد شامو الكردي قُدس سره . تشرّف بأخذ الطريقة السنوية عن حضرة الشيخ واشتغل بالسلوك والخلوة حتى حظي بالمرام . فأذن له بالإرشاد وخلفه الخلافة المطلقة . فلم يزل مثابراً على خدمة أبوابه وإستجلاب أنواره وحضور دروسه . وكان يقيم الأذكار الخواجانية في مدرسة الصاحبة في الصالحية حتى توفي سنة بضع وسبعين ودُفنت في تربة مولانا قُدس سره .

(ومنهم) نخبة الصالحين الشيخ عمر الأصبحي القادري قُدس سره وفقه الله تعالى لتلقي الطريقة

العلية عنه قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ . فالقى عليه أنظاره المحمدية مالقى وأدخله الخلوة واعتنى بتربيته وترقيته وبارشاده وإمداده . فحصل له في سلوكه أحوال غريبة وأطوار نادرة عجيبة بحيث كان فانياً في الشيخ رضي الله عنه الذي هو مقدمة الفناء في الله تعالى فناءً أتم ، حتى إن الشيخ توقع يوماً ، ففصده الحجام فخرج الدم من يد الشيخ عمر وهو في مكانه فعُجِبَ من ذلك . ثم أتى لزيارة حضرة الشيخ فذكر له ذلك ففرح قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ وأخبره أنه كان مُصَدِّ سَاعَتُنْذ . فلما تم سيد سلوكه على مدارج ملوكه أذن له بالإرشاد وخلفه خلافة مطلقة . فلم ينفك في عتبة بابه مستقيماً على خدمة رحابه حتى توفي عام خمس وسبعين ودُفِنَ في تربة حضرة مولانا خالد قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ العزيز .

(ومنهم) زينة الزاهدين العالم العربي الشيخ أحمد الكردي خطيب قرية (زملكا) قَدَسَ سِرَّهُ . تشرف بأخذ الطريقة العلية عن سيدي وجدي الشيخ أحمد الأربيلي السالف البيان . واشتغل بهمة قوية وصدق طوية حتى أستعمل في بعض أعمال حضرة مولانا وهو في الشام . فلما توفي قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ العزيز لازم خدمة حضرة الشيخ ، فأفاض عليه أنظار إرشاده وأمه ببركة إمداده وأدخله الرياضة غير مرة وصرف العناية لترقيته وتكميله . ففاز بأحسن الأحوال وبلغ مبلغ الرجال . فأذن له بالإرشاد وخلفه خلافة مطلقة ، فأقام في القرية المذكورة ينشر أعلام الطريقة العلية ويهدي الطالبين ويفيد الراغبين . وكثيراً ما ساهم في أرجاء دمشق لبيت أسرار الطريقة العلية حتى حصل على يديه نفع عظيم . ولم يزل مثابراً على خدمة حضرة الشيخ قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ حتى لحق بالرفيق الأعلى . فبقي على ماكان عليه يتردد الى حضرة سيدي الوالد الماجد أيده الله تعالى حتي توفي سنة تسع وتسعين ومائتين وألف ، ودُفِنَ في تربة حضرة مولانا قَدَسَ سِرَّهُما .

(ومنهم) العبد الصالح الممام والمرشد الإمام الشيخ سعيد الصمصام الحموي قَدَسَ سِرَّهُ . قدم على أعتاب حضرة الشيخ قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ من حماة الى الشام وتشرف بدخوله للخلوة . فأدركته عناية أنفاسه المقدسة فانتهم حركة سيره في الطريق العلية . فأذن له بالإرشاد وخلفه خلافة مطلقة وأعاده الى حماه يربى المريدين ويرشد السالكين . فلم يزل كذلك حتى أتم أنفاس حياته عام بضع وخمسين .

(ومنهم) سلالة الأولياء الشيخ أحمد علوان الحموي قَدَسَ سِرَّهُ . وقد على رحاب الشيخ أمدنا الله بمدده ، وبذل جهده في الرياضة والخدمة . فلم يزل يلحظه بنظره الإكسير ويربيه تربية خاصة ويرقيه الى منازل السائرين ، حتى أذن له بالإرشاد . فعاد الى حماة مالكاً عروس المراد حاملاً لواء الهداية بالجد والإهتمام مظهر أسرار الطريقة العلية بين الخاص والعام . ومازال على هذا المنوال حتى توفي عام بضع وثمانين قَدَسَ سِرَّهُ .

(ومنهم) نخب الصالحاء أحد خواص القراء وإمام (أريه جيلر) جامع في القسطنطينية الشيخ الحاج أحمد حافظ أفندي قَدَسَ سِرَّهُ . اجتمع به وهو في الأستانة ولازمه مدة بقائه ثم قدم على أعتابه عام ثلاثة وسبعين وتلقى الطريقة العلية عنه بصدق قويم وقلب سليم وخضوع وتسليم . فأدخله الرياضة في مقام حضرة مولانا خالد قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ العزيز وطفقت يدرّ عليه من فيض أسرارهِ وينفقت عليه من كنز أنواره ويعبرم به الى معارج الرجال ، حتى ناك منازل الكمال . فأذن له بالإرشاد وخلفه خلافة مطلقة ثم أعاده الى دار السلطنة القسطنطينية . فأقبل عليه أكثر أهلها وانتفع به جم غفير ، غير أنه كان يغلب

عليه الإنزواء . ثم جاء مرة ثانية الى دمشق الشام صحبة أمين صرة ركب الحاج الشامي الحاج مصطفى أفندي السالف بيانهم رحمه الله . فخرج حضرة الشيخ الى الحج عامنذ وخرج وهو في خدمته ثم ذهب من البحر الى الأستانة العلية ، ثم تحول الى المدينة المنورة وعيّن له رواتب سنية . فأقام في جوار فخر الأنام حتى توفي عام خمسة وثلاثمائة برّد الله مضجعه .

(ومنهم) صالح العلماء وعالم الصلحاء وسبيل الأولياء ذو الأنفاس الانسية والهمم القدسية العم المحترم الشيخ أحمد الخاني حفظه الله تعالى . (ولد) سنة إثنين وخمسين ونشأ في حجر سيدي والده وتربى على موائد فوائده وأخذ عنه وعن شيخنا العلامة الطندتائي أكثر العلوم العقلية والنقلية . ثم تلقى عنه الطريقة العلية وألقى اليه مقاليد الإذعان بالكلية وصرف قصاري الهمم في الإشتغال بالذكر والفكر مع صدق إخلاص وثبات قدم . فأدخله الرياضة هو والحاج أحمد حافظ أفندي المشار اليه صحبتته في شهر رمضان بمقام حضرة مولانا خالد قدّس الله سرّه العزيز سنة ثلاث وسبعين كما تقدّم . وأخذ يربيّه بنفيس أنفاسه ويرقيّه بهمة توجّهاته . فحصل له في السلوك أحوال عالية وأطوار وجذبات وافية بلغ بها درجة الكمال ونال من أسرار الطريقة العلية ببركته مانال . فأذن له بالإرشاد وخلفه خلافة مطلقة ، فهو والله الحمد في حضرة سيدي الوالد الماجد يغيث الوافدين ويربي السالكين حفظه الله تعالى أمين .

(ومن أعظمهم إرشاداً وأعمهم إمداداً) شيخ هذا السلسلة السنية وأفضل من سرى اليه سرّ هذه النسبة العلية سيدي الوالد الماجد الشيخ محمد بن محمد الخاني أدام الله سعوده وجوده .

**القائم مقام الرابع سيدي الوالد الماجد الشيخ محمد بن محمد  
بن عبدالله الخاني نسباً الشافعي مذهباً الصوفي معتقداً  
الخالدي النقشبندي طريقة ومشرباً الدمشقي مولداً أدام الله  
سعود وجوده ووجود سعوده أمين**

الإنسان الكامل بالكلمات الإلهية في مواقف فتوحات الأسرار القدسية . مفتاح غيب عروش الكلم المكنونة في نقوش فصوص الحكم ، بيت قصيد نظم السلوك الى ملك الملوك ، قوت قلوب الطالبين وقوة مسامع الراغبين ، الكبريت الأحمر الموزون بالموازين الذرية لفضله ، المتكفل بكشف السر الغامض في قرب النوافل ومكتوبات الفرائض ، المصنوع به على غير أهله . قاموس لغة الخواص فيه من منن اليواقيت والجواهر بلغة الفواص من آل اليه عهود إحياء العلوم بتنزلات الوجود لتدبيرات مواقع النجوم ، وانتهت بمعرفة منطلق الطير وترجمان أشواق الحضرة الإشارة اليه . وإمتاز بتميز اصطلاحات وارادات طريق الخلوة في الجلوة عما لايعول عليه كشاف أسرار التنزيل ، الجامع المؤيد من فتح الباري بالآيات البيّنات ، المطالع القائم مقام الرابع سيدي الوالد الماجد لزال مقامه مظهر جميع الفوائد ومشكاة مصابيح سنن المقاصد ، ومغناه معنى اللبيب القاصد بإرشاده الى الطريقة المحمدية ومنهج روضة السيرة الخالدية المحامد .

(ولد) أدامه الله تعالى في دمشق الشام خلال شهر رجب عام سبعة وأربعين ومائتين وألف . وقرأ أوائل القرآن المجيد صحبة نجل حضرة مولانا الشيخ نجم الدين على والده وأتمه عند العبد الصالح المرشد القالم الشيخ علي الحزوري -أحد خلفاء والده قدّس الله سرّه . وكان سنّه وقتئذ خمس سنين وأجاز له بركة عصره وعالم مصره المحدث الحجة الثابت الشيخ عبدالرحمن الكزبري نور الله جميع ماتجوز له . وعند روايته بعدما أسمعته طرفاً من "دلائل الخيرات" وهو في ذلك السن ودعا له بالفتوح والبركة وحضر دروس والده كلها من نحو وفقه وحديث وتفسير وكلام وتصوّف وحساب وفرائض . وتخرّج على يد الشيخ الكلكل الشيخ محد الطندتائي .

(استطرد بيان وجيز لأحوال هذا العزيز) ولد زهاء عام أربعين ومائتين وألف في بلدة (طندتا) مقر ضريح الغوث النبوي سيدنا أحمد السيد البجوي رضي الله عنه من أحواز مصر القاهرة وحفظ القرآن المجيد ، وحصل أكثر العلوم العقلية والنقلية في تلك الديار . وقدم سنة خمس وخمسين الى دمشق الشام ، فأقام بها خمس سنين ولقي سيدنا الجد الأجد قدّس سرّه وتلقى الطريقة العلية عنه واشتغل بها بجد تام وبقي نزيله هذه المدة ، وخاتمة المحدثين الشيخ عبدالرحمن الكزبري وعلامة الشام الشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبدالرحمن الطيبي رحمهم الله . وحضر كثيراً من دروسهم بعد أن مرّ على حلب ، فقرأ على العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري ، والعلامة الشهير الشيخ إبراهيم السقا ، والعلامة الفهامة الشيخ محمد الخضري وغيرهم خمس سنين . ثم رجع الى دمشق الشام وقد أتقن كافة العلوم من صرف ونحو ومنطق وبيان ومعان وكلام وحديث وتفسير وفقه وهيئة وحساب وميقات وحكمة وغيرها ، حتى صار آية في المعقول والمنقول باهرة . وكثيراً ماكان يقول لم يحصل لي سرعة هذا الفتح إلا ببركة الإشتغال بهذه

الطريقة العلية . فطلفت ينشر لواء العلوم ويبث في الأذهان البالية أرواح الفهوم وانتفع به من الطلبة جم غفير ، لاسيما عائلتنا فإنه ليس لأحد منه المشيخة على أحد منها غيره زيد خيره . وله في كل فن تدقيقات عالية المنزعم وأثار جلييلة الفوائد . ومن آثاره التي يفتخر فيها عصره ويزهر بها مصره ؛ أنه لما طرأ على حجرة البسيط - التي وضعها علامة زمانه الشيخ علاء الدين بن علي إبراهيم الفلكي المتوفي سنة ٧٧٧هـ والشهير بابن الشاطر لمعرفة الأوقات في منارة العروس التي في الجامع الأموي - تليل خلل التقادم عهده صنع بسيطاً أحسن منه وحسبه على الأفق الحقيقي وزاد فيه قوس الباقي للفجر وأنزل القديم وجعل هذا مكانه في يوم مشهور مشهود غبطه عليه أجلأ الفضلاء . فجاء في غاية الضبط والإتقان جزاه الله خير الجزاء . وقد أرخت ذلك مادحاً له وشاكراً فضله ، فقلت :

بحر العلوم رئيس كل رئيس  
أحيا دروس العلم بعد دروس  
الطندتائي الأزهري المحروس  
خصتك بالتنزيه والتقديس  
بحماية الضرغام دون الهيس  
حجت لها الفضلاء فوق العيس  
إلا البسيط مكابر المحسوس  
أحكامه في الصبح والتغليس  
بشواخص ترنو إلى البرجيس  
أنوار أقممار العلاء وشموس  
حشر الرئيس اليه بالمرؤوس  
بالناس من حبر ومن هندوس  
مجلي قلوب ذوي النهي ونفوس  
فوق الرؤوس على منار عروس  
قد أشعرت بمحاسن التقويس  
طول الزمان عراه بعض طموس  
در صحيح الإنتظام نفيس  
باعز والإقبال دون عبوس  
أبدأ ورأس عدادك بالتنكيس  
زرت على العرفان خير لبوس  
تم البسيط بنفحة القدوس (سنة ١٢٩٣هـ)

رسم البسيط بغاية التأسيس  
علامة الشام الذي بعلمه  
هو حضرة الحبر الجليل محمد  
لبيك ياشمس العلوم اجابة  
تحمي شريف حماك وهو مشيد  
خلدت في رسم البسيط ماثراً  
نعم البسيط وليس يجهل قدره  
صلت عليه العالمون وسأمت  
شخصت له الأبصار حين بدا لها  
يلقي الشباك الى السما متصيداً  
تبدى عجائب صنعه في مجمع  
والجامع الأموي غص فضاه  
قرت عيون وجوه جلت إذ غدا  
وتفاخروا في رفعه شرفاً له  
تلك المنارة لم تزل مسمورة  
لما رأت أن الذي حملته من  
طرحته أرضاً وإغتذت تحنو على  
لازلت ياعلم الشريعة باسماً  
وظهرت بالحق المبين معززاً  
تختار سرد الهمة العليا قد  
ماقال أهل الشام في تاريخه

ثم رسم عام خمسة وثلثمائة بسيطاً ثانياً وجعل حسابه على الأفق المرئي ووضع في جامع كريم الدين المشهور بـ(الدقاق) في قسم الميدان في دمشق الشام . فكان كذلك وهو موضوع شريف لانظير له أصلاً وقد تفرّد به بعد ابن الشاطر . وله في حساب البسيط ورسمه رسائل كتبت بالذهب وكذلك في حاسب الربعم ورسمه . وله "كشف القناع عن معرفة الوقت من الإرتفاع" وله تقريرات على كافة الكتب التي يقرؤها مشتملة على حل إشكالات وتوضيح معضلات أكثرها بخطه تشهد بعلو أدواقه في كل العلوم

زاد الله في عموم نفعه ونفعه العموم .

ثم بعد كتابتي هذه الكلمات بأيام توفي يوم الأربعاء ضحى سلخ ربيع الثاني سنة ست وثلاثمائة .  
فحضر الوالد الماجد غسله مكافأة له على حضوره غسل الجد الأجد ، ودُفِنَ بعدما صَلَّى عليه في حضور  
سيدنا يحيى الحصور عليه السلام بمشهد عظيم جداً في جوار سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه . وكُتِبَ  
على ضريحه مانظمته مؤرخاً بقولي :

روض به فإز الإمام محمد	بشهود نور الله نعم المشهد
علامة العصر الحسيني الطندتا	ئى الأزهرى بحر الفنون الأوحده
لله من جنات عدن أرخو	روض فإز به الإمام محمد

أغدق الله على روضته صيب عطره طيب عفوه ورحمته .

### عوداً على بدء

فقرأ الوالد الماجد عند شيخنا المنوّه به حاشية الخضري على ابن عقيل وحاشية الصبان على الأشموني  
في النحو ، و"التحفة" في فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه بحواشي ابن قاسم البغدادي ، و"جمع الجوامع"  
بحواشي البناني ، و"الآيات البيّنات" لابن قاسم المشار إليه مع مراجعة "الأطول في الأصول" وأشكال  
التأسيس في الهندسة ، و"تشریح الأفلاك" للبهاء العاملي في الميئة ، والشنشوري في الفرائض ،  
والدسوقي في المعاني ، والبيان وطرفاً من "المنهج" بحواشي البجيرمي ، وشرح الملوي على السلم  
بحواشي الصبان في المنطق ، وبعض ابن قاسم الغزي بحواشي الكمال بن أبي شريف ، و"شرح المسائرة"  
للمشار إليه في الكلام ، و"شرح الملوي" على السمرقندية بحواشي الخضري والأمير ، و"رسالة الوضع"  
بحاشية العصام ، و"آداب البحث" ، و"الكافي في العروض" بحواشي الدمنهوري ، و"الرقائق في الدرر  
والدقائق" ، ورسالة الربيع المجيب ، و"شرح اللمعة في الكواكب السبعة" في الميقات .

( وجلس ) تحت قبة النسر بين يدي محدث الديار الشامية الشيخ عبدالرحمن الكزيري المنوّه به نور الله  
مرقده ، فسمع منه دروساً من صحيح البخاري . وأجاز له يوم ختم الدرس ليلة السابع والعشرين من  
رمضان عام إثنين وستين روايته عنه وجمع ماتجوز له روايته مما هو مذكور بثبته المشهور المشتمل على  
كافة العلوم الظاهرة والباطنة . وحضر عند ختم الصحيحين ومسند ابن ماجه في داره وقرأ عليه "شرح  
العقائد" للسعد وغيره . وسمع حديث الأولية من العلامة المرشد الكامل الإستقامة أحد خلفاء حضرة مولانا  
خالد قدّس الله سرّه العزيز إسماعيل البرزنجي قدّس سرّه ، بروايته عن قطب العارفين المشار إليه  
بروايته له عن العلامة المحدث الكبير الشيخ محمد الكزيري بسنده المشهور ، وأجاز له رواية جمع مروياته  
عنه . وسمعه أيضاً من علامة العصر وبركة كل مصر الشيخ محمد التميمي أحد فحول علماء الأزهر .

( وتلقى ) الطريقة العلية عن والده الجد الأجد قدّس الله سرّه عام أربع وخمسين ، وكان يومئذ حفظه  
الله سنّه سبع سنين ، فالقى إليه مقاليد التسليم والخضوع وجعل يشتغل بالذکر وتحصيل العلوم ، وأنوار  
النجابة وأثار التقدم واللوعة في كسب المعالي ظاهراً عليه . حتى إذا كان عام إثنين وستين زوجه قدّس  
الله سرّه بسيدتي الوالدة المغفور لها خديجة بنت العلامة الهمام والمرشد الإمام أكبر خلفاء حضرة مولانا  
خالد الشيخ أحمد الأربيلي الخطيب قدّس سرهم . وكانت من الصلاح والتقوى والذکر الخالدي بمنزلة رفيعة  
ونسبها من جهة جدّها لأمها السيد مصطفى الرفاعي متصل بسيدنا قطب العارفين الشيخ أحمد الرفاعي

رضي الله عنه . توفيت خامس عشرى جمادى الأولى عام أربع وثلاثمائة وألف ودُفنت في تربة حضرة مولانا قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ العزیز . وذهب عامئذ في خدمة حضرة الشيخ قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ الى الديار الحجازية صحبة الركب الشامي . فلقني في مكة المكرمة العلامة الكبير والمحدث الشهير شيخ الحرمين الثاني الشيخ عثمان الدمياطي قَدَسَ اللهُ روحه . وقد أسنَّ فأجاز له جميع ماتجوز له وعنه روايته إجازة عامة بسنده المشهور في تلك الأقطار . وكنت وقتئذ حَمَلاً ، فقبل مقدمة الحجاز مَقَدَمَهُ من الحجاز بأيام قليلة ولدت تاسع شهر صفر الخير عام ثلاثة وستين ومائتين وألف . فلما قدم في خدمة الجد الأجد حنكني الجد وسماني ودعا لي بالبركة ، ثم عاد لما كان عليه من الإلتفات الى العلم والطريقة العلية وبذل قصارى الهمة في نيتهما .

فلما كان عام سبعين خرج في خدمة والده العزیز الى دار السلطنة السنية ومكثاً أربعة أشهر . فلما رجعا الى الأوطان عرج على ماعليه كان وزاد في بذل الجهد في تلقي العلوم ، ولا سيما الطريقة العلية . فإنه إغتتم وجود المرشد الكامل والده قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ واشتغل بها اشتغلاً عظيماً . وأدخله الجد الأجد الى الخلوة والرياضة مرات عديدة منها في مسجده المشهور بجامع السويقة ، ومنها في مقام حضرة مولانا . قرأت من خطه وسمعت من لفظه يقول : " كان والدي قَدَسَ اللهُ سره يشدد في رياضته ومجاهداته جداً وكنت أسأله عن كل حال يعرض لي وعن أحوال أهل الرياضة . وكان يفيدني من هذه العلوم أشياء كثيرة ويقرر لي أحواله في رياضة زمت حضرة مولانا قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ العزیز . وكثيراً ماذكر لي أحوال حضرة مولانا وأحوال خلفائه . فلذلك كنت بحمده تعالى أكثر الناس معرفة بأحواله وأحوال مولانا قَدَسَ اللهُ سِرَّهُما ، أه . ثم سنة أربع وسبعين خرج في خدمته حاجاً مع الركب الشامي ، فلما أتتاً نسكهما عادا ماجورين غير ماجورين . وعكف سيدي الوالد على الإشتغال بالعلم والطريقة العلية باجتهاد عظيم في الذكر والفكر والرياضيات الشاقات .

ولم يزل حضرة الجد يعرج به في معارج السلوك ويربيه تربية الملوك في مهد الهداية والإرشاد والترقية الى مقامات الكمالات وكمالات المقامات ، ويخلقه بأخلاقه المحمدية ويفضيه بلبان النسبة الخالدية ، ويحمله على مصابرة المجاهدة في الله والسير الأنفاقي والأنفسي نظراً لما رأى منه من قوة القابلية وسمو الإستعداد . حتى بلغ مبلغ الفحول من كل الرجال ، وفاز بما فاز من فضيلة الوصول الى أكمل الأحوال . فأذن له وقتئذ بالإرشاد العام عام خمسة وسبعين وخلفه خلافة عامة مطلقة وقدمه على سائر خلفائه الكرام . وكان له قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ به إغتناب عظيم وإزدهاء وافر ، وله اليه ميل تام ومحبة راجحة وتكریم زائد .

حدثتني جدتي رحمها الله تعالى أنه قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ كان يقول لها : " اني كلما دخل عليّ ولدي محمد تحدثني نفسي أن أقوم إجلالاً له وأضعه في مكاني لمكان فضله وفرط مودتي له " . وكان يقول له : " أنت أخي وابني " وكل ذلك مع إشتغاله بقراءة العلوم وإقرائها والقيام بفريضة خدمة الجد الأجد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ بالصدق والثبات في أعماله كلها ، والمحافظة على خواطره معه حق المحافظة سراً وجهراً ، وملازمته ليلاً ونهاراً ، والإستفادة من معارف أسرار وأسرار معارفه ، ومطالعة أكثر كتب التصوّف عليه . رأيت بخطه أيده الله تعالى مانصه وقرأت عليه كثيراً من كتب الطريق مثل " الإحياء " للإمام الغزالي ، و " عوارف المعارف " للمعارف السهروردي وبعضاً من الفتوحات المكيّة ، وبعضاً من شرح تائيه قطب

العارفين الشيخ عمر بن الفارض للشيخ علوان الحموي ، وشرحه على تائفة ابن حبيب الصفدي وكثيراً من مؤلفات العارف الشعراي مثل "الميزان" ، و"العهود الصفري" والكبرى ، و"شرح المقامات" لابن عفيف التلمساني ، و"تنبيه المغتربين" ، و"الزواجر" لابن حجر الهيتمي ، و"الأذكار النووية" بشرحه لابن علان ، و"منهاج العابدين" بشرحه له ، أه . وغيره مما تقدم للإمام به .

وفي سنة خمسين وسبعين سافر الى دار السلطنة السنوية وحده فنزل ضيفاً كريماً عند المغفور له الحاج موسى صفوتي باشا ، وتقدم في ترجمة الجد التنويه بشأنه . فبقي نحو شهر ثم إنقلب الى أهله مسروراً ، وإلتفت لما ثبت عليه أولاً من الإستغراق بالإفادة والإهتمام بالطريقة العلية حسب العادة . ومازال على هذا المنوال حتى سافر سنة ثمان وسبعين الى الديار المصرية صحبة سيدنا الشيخ محمد الطندائي حفظه الله تعالى إرادة إغتنام زيارة الأولياء والعلماء الكرام . فأدرك العلامة الشهير الشيخ محمد الخضري من أكبر العلماء الأزهريين صاحب حواشي ابن عقيل وغيره من التأليف النادرة . واستجازه فأجاز له رواية جميع مروياته التي في ثبت الأمير الكبير ، ونمّق له إجازة بخطه المبارك ودعا له وأثنى على همته خير . وألقي الشيخ الصالح والعلامة الفالح الشيخ مصطفى المبلط أعظم علماء الأزهر . وأجاز له أيضاً ثبت الأمير الكبير وكتب له ذلك بخطه الشريف وبارك عليه وسرّ به وزراء أعلم الكبراء وأكبر العلماء شيخ الجامع الأزهر يومئذ الشيخ إبراهيم السقا . فأجاز له بما في ذلك الثبوت المذكور وحرر له ذلك بقلمه الأنور . وابتهج به ودعا له بالبركة والفتوح وغيرهم من علمائها وصلحائها .

وزار حضرة الإمام الشافعي والإمام السيد أحمد البدوي وباقي الأولياء العظام . ثم رجع الى الأوطان دائماً على ألفه من الدروس والطريقة العلية حتى مرض سيدي الجد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . فجعله وصياً على إبنته- وكانت يومئذ حملاً- وقائماً مقامه على سجادة الإرشاد العام وعلى خلفائه الكرام . وقال في وصيته : "مَنْ أطاعه فقد أطاعني وَمَنْ عصاه فقد عصاني" . وكتب له صكّ الوصية بخطه الشريف وأوصاه بوصايا عظيمة وأخبره بأمور كثيرة أنها ستتم فوقعت على طبق ماأخبر .

فلما إنتقل الى عليين تاسع عشرى صفر الخير سنة تسع وسبعين كما سلف بيانه في ترجمته ، نهض سيدي الوالد أدام الله إرشاده بأعباء الخلافة من بعده وجمع كلمة المريدين وحافظ على ترتيب المسجد بالأوراد الخواجكانية والعبادات القوية والدروس العلمية ، حتى إن الجد قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ كان يقرأ "شرح المنهم" للقاضي زكريا بحواشي البجيرمي ، فلما أتم كتاب الجنائز توفي قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ . فاجتمع على سيدي الوالد كافة الطلبة وطلبوا منه إكماله . فأجابهم لسؤالهم فجعل يقرؤه ويقرره بأحسن تقرير الى أن ختمه . وكذلك فعل في دروس ما بين العشاءين فظهر فضله وتلألأ نوره وشام خير إمداده وإرشاده وانتظم أمر الطريقة العلية به ودخلت الناس فيه أفواجاً مستجدين أسرارهم ومستمدين أنوارهم .

ثم إنه أدامه الله خرج عامنذ حاجاً صحبة والدته الصالحة التقية العابدة الناسكة الذاكرة الطاهرة السيدة (عادلة) كريمة الولي الصالح الشيخ السيد ياسين ابن الشيخ السيد محمد ابن الشيخ البركة الصالح السيد يوسف الكيالي رحمه الله تعالى بحر . أ فمراً على مصر لزيارة أوليائها وصلحائها ثم ذهب الى البيت الحرام . فبعد أداء حجّهما وزيارة روضة نبيهما عليه الصلاة والسلام رجعا بحراً أيضاً متشحيين بوشام القبول غانمين غاية المأمول . ولقي في سفره عامنذ أمير العارفين السيد عبدالقادر الجزائري قَدَسَ اللهُ سِرَّهُ مجاوراً في مكة المكرمة يشتهل في الخلوات وأشقّت العبادات والمجاهدات . وقد منّ عليه الله بالفتن



المبيت . فأشار اليه بالبقاء معه فلم يمكنه لوجود والدته معه .

وفي عام ثمانين منّ الله تعالى عليه بإتصال نسبه بنسب حضرة مولانا قدّس الله سرّه العزيز . فتزوج بكريمته أصلح نساء زمانها المغفور لها ( فاطمة ) قدّس سرّها . فنال بذلك سروراً فوق سرور وزاد نوراً على نور . وأيد الله تعالى إتصال هذا الفخر بأن ولدت له بنتاً سمّاها ( بهية ) وذلك عام ثلاثة وثمانين . ولما قدم الأمير الجليل المشار اليه الى دمشق الشام محل إقامته إتصل به سيدي الوالد ولازمه ملازمة صدق وإخلاص . فأقبل عليه الأمير المشار اليه لمكان حضرة والده وجعل يجلّه ويبجلّه ويعظّمه ويكرمه ويقول له : "إنما أنت أخي وكلنا أولاد الشيخ محمد الخاني قدّس الله سرّه" . وحيث كان هذا العارف الجليل منتظماً في سلك هذا الرعيح أحببت أن أستطرد تعبير هذه الحقائق بنشر شمة من حديثه الجميل ، مستنداً في أكثر أمره الى ما وجدته بخطه في كُنّاشه وغيره ، فقلت شذرة بك شذرة من أمر هذا الأمير قدّس الله سرّه :

أضحى عباب نداء عذب الكواكب  
فلك النبوة وهو أنور كوكب  
ابن الكريم ابن الكريم الكوكب  
والملك حلياً وهو الطيف كوكب  
ملاً الفضاء بفارس أو كوكب  
سطواته إذ كان ماضي الكوكب  
بالبيض والسمر والبوادي الكوكب  
صر هيبّة من بطشه كالكوكب  
في حلبّة الأفراد أول كوكب  
من مشهد الإحسان أعلى كوكب  
من روضة العرفان أعطر كوكب

هذا الأمير السيد الكريم الذي  
هذا سليل المصطفى فمقامه  
هذا الكريم ابن الكريم ابن الكريم  
هذا الذي إتخذ المعارف حلّة  
هذا الذي إن قال ياخيلى إركبي  
هذا الذي إهتزت ملوك الأرض من  
هذا الذي سلّب الفحول رقادها  
هذا الذي جعل الفضاء على القيا  
هذا الذي طلب الولاية فإغتذى  
هذا إمام المتّقين المرتقي  
هذا طبيب الواصلين المجتني

هو ترجمان الحضرة القرآنية ووارث العلوم الأكبرية العرفانية السيد عبدالقادر بن محي الدين بن مصطفى بن المختار بن عبدالقادر بن أحمد المختار بن عبدالقادر بن خده بن أحمد بن محد بن عبدالقوي علي بن أحمد بن عبدالقوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن أحمد بن محمد بن مسعود بن طاوس بن يعقوب ابن عبدالقوي بن أحمد بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر ابن عبدالله الكامل ابن حسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

(ولد) في أم عسكر من أحواز جزائر الغرب في رجب سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف . وتربى في ربي الشرف والولاية وتقوى في مهد التقوى والهداية وارتضع لبان الفتوة من ثدي سلالة النبوة ، ثم حفظ القرآن المجيد وعكف على تحصيل العلم وعلى أسارير وجهه علائم السعادة وكرائم أخلاق السيادة ، الى أن سام مع والده العزيز في بلاد الشرف سنة إحدى وأربعين . فوصلا الى مكة المكرمة ثم جاء الى دمشق الشام صحبة ركب الحج الشامي . وكان عامنذ في الركب حضرة مولانا خالد قدّس الله سرّه العزيز . فاجتمعا عليه في ببلدة (معان) راجعين من مكة .

ولما قدما الى الشام أخذوا منه الإذن في الطريقة العلية النقشبندية ودخل والده في الرياضة عند جدي في جامع السويقة بإشارة من الشيخ المشار اليه مدة . ثم توجهوا الى بغداد لزيارة الغوث الكيلاني ، ثم الى

الحج مرة ثانية ثم الى بلادهما . ثم لما استولت فرنسا على الجزائر وبعض سواحلها بايعه أهل الجزائر بالسلطنة عليهم والجهاد في سبيل الله تعالى وخطب له على المنابر . فجاهد في الله حق جهاده وبسط بساط العدل ونشر لواء التوحيد وإستأصل شأفة الظلم والشرك وطهر أكثر البلاد من أدناس الفساد ، وسار سيرة عمرية في الرعية وأحيا ما اندرس من أحكام الشريعة المحمدية . ووقع بينه وبين الفرنسيين وقائم عظيمة وحروب جسيمة تجعل الولدان شيباً ، وإمتدت نحو خمسة عشر سنة تقريباً حتى إذا ينست فرنسا من الإستيلاء عليه ألجأت السلطان عبدالرحمن ملك مراكش أن يقاتله أو تقاتله . فأرسل اليه جيشين كثيفين أمر عليهما ولديه السلطان محمد والأمير أحمد . وساق الفرنسيون جيشاً هائلاً وأحاطوا به في واقعة أشهر من أن تذكر ، اضطرتهم الى التسليم الى الفرنسيين على شروط تقررت بينهم ، بعدما أفنى منهم أمماً لا تحصى عدداً وذلك عام أربع وستين .

ورحل الى بلاد فرنسا فدخل قصر قرية أمبواز يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة من السنة المذكورة ، وبقي هو وعائلته الى أن أتاه سلطان فرنسا لويز نابليون الثالث بنفسه مبشراً له بتسريحه الى بلاد الإسلام يوم السبت ثاني شهر محرم تسع وستين . وخرج من القصر يوم السبت تاسع عشر صفر هذه السنة متوجهاً الى القسطنطينية في زمن السلطان الغازي عبدالحميد خان بواهُ الله الجنان . فدخلها نهار الجمعة سابع عشر ربيع الأول من العام المذكور . فاجتمع وأكرمه وعظمه ، ثم ذهب الى بروسه مستوطناً لها تقرير العين ناعم البال . فوصل اليها نهار الإثنين سابع ربيع الثاني من هذا العام . وأقام بها الى خامس ربيع الأول سنة إثنين وسبعين فحصل بها زلزل شديدة اقتضت أن يتوجه الى دمشق الشام لسعادتها وحسن حظها . فدخلها في العشرين منه واتخذها دار إقامته بأمله وخدمه وحشمه .

وفي سنة تسع وسبعين توجه الى الحجاز متجرد الطلب المرشد الى الله . فأخذ الإذن بالطريقة الشاذلية من المرشد الناصح الشيخ محمد الفاسي قدس سره وفتح عليه بها . ومدح شيخه بقصيدة عظيمة رنانة يشير فيها الى الفتوح الإلهي الذي حصل له وتلك السعادة الأبدية ، ومطلعها :

أمسعود جاء السعد والخير واليسر وولت ليالي النحس ليس لها ذكر

وجاور في مكة المكرمة مدة وفي المدينة المنورة وحج حجتين كان الوالد الماجد معه في أولهما ورجع الى الشام فرحاً مسروراً . ثم في سنة إحدى وثمانين توجه الى القسطنطينية مرة ثانية لمبايعة ساكن الجنان السلطان عبدالعزيز خان . فاجتمع به وأكرمه وعظمه وأعطاه أكبر وسام عنده . ثم منها الى باريس مركز دولة فرنسا لأجل سلطانها لويز سالف البيان . فاجتمع به وأنزله أعلى نزل . ثم منها الى لوندرة مركز دولة الإنكليز ، فأكرموه وفخموه . ومنها الى الشام محل إقامته . ثم في سنة ست وثمانين توجه الى مصر القاهرة بدعوة من واليها إسماعيل باشا لأجل رؤية البرزخ الذي فتحوه بين بحري الأبيض والأحمر . ثم عاد الى محل إقامته مبعثراً معظماً .

وفي تلك السنة قرأ في مدرسة دار الحديث في رمضان صحيح البخاري رواية كالدراية وحضرت أكثره عليه وأجازني به . ولم يزل قدس الله سره مشتغلاً بعباداته ومجاهداته ومساعداته للمظلوم والضعيف بماله ونفسه وبقلمه محبوباً لكل الطوائف لاتأخذه في الله لومة لائم ، الى أن إعتراه داء حصار البول . فما برح يعاوده حتى أتم أنفاس حياته تاسع عشر رجب سنة ثلاثمائة ألف . فغسل بأمواه الأنوار وكفنت في نقائس الأسرار وحمل على أنامل الأخيار الى جامع بني أمية وصلى عليه الوالد الماجد إماماً . ورُقم الى

حضيرة القدس في قبة سيدنا الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رضي الله عنه في مشهد عظيم لم يُسمع له بنظير .

(وكان قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ) له الجاه العريض في كل دولة من دول كل ملة والجام الطويل في تحصيل المآثر والمحامد والمناقب ، التي قلَّ أن تجتمع في واحد أو يفي ببيانها بنات أو لسان أو إنسان كما قُلَّت :

وَلِمَ بِأَخْلَاقِ النَّبِوَّةِ كُلِّهَا لَا حِلْمَ أَحْنَفَ أَوْ ذِكَاءَ إِيَّاسَ

فكان إذا نظرت الى شجاعته تهزأ بالليوث الضارية ، أو الى سماحته بالغيوث الجارية ، أو الى سيادته تستدني البدور العالية ، أو الى عبادته تستجد الأمم الخالية ، أو الى علومه تجد الفنون الوافية ، أو الى شعره ونثره تشهد الأذهان الصافية ، أو الى حقائمه وكشفه لا يخفى عنك خافية .

(فمن أعظم آثاره) الدالة على جلالة مقداره كتاب "المواقف العرفانية" الجدير بأن يُكتب بالنور على نور الحور . وهو كتاب جليل من توفيقات توفيقاته الإلهية وواردات مشاهداته الربانية وتفسير الآيات الكريمة والأحاديث النبوية وأجوبة الأسئلة الإخوانية . التي كانت ترد اليه من كل ذائق في علم الحقائق مثل الوالد الماجد . فإنه كثيراً ماكان يراجع في بعض المسائل الخفية ويسأله حل محال من الفصوص والفتوحات المكية وغيرهما . فلكثره حبه للخير وبذله مع وفرة موانعه وشغله كان يقيد ماظهر له بالكشف ويوضحه ويرسل به اليه . فكان من فرط حرصه عليه يلحقه في المواقف بإذنه كما يشير الى ذلك قوله في بعضها : سألني بعض الإخوان والتصريح باسمه في مواقف شرم فص شعيب وفص إسماعيل وفص آدم عليهم السلام وخطبة الفتوحات المكية وغيرها . فما زال يضم كل مسألة الى أخذائها ويقرنها بأثرانها حتى اجتمع من ذلك ثلاث مجلدات ضخمة .

وقد ذيل الوالد الماجد بعد وفاته الجزء الثالث بما وجده في كَنَاشِه بَخَطَه من مبشرات والقاءات روحية عالية المنزغ غالية المطلع . وها أنا أثبت ههنا من كلامه قَدَسَ اللّهُ سِرَّهُ ماتطبيق ولاتطبيق عنه حوصله الذره مما يثبت علو مقاماته . قال نَقَعْنَا اللّهُ بِبِرْكَاتِهِ فِي بَيَانِ الرُّوحِ :

### الموقف الخامس والستون وثلاثمائة

قال تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) وقال ذلك أمر الله أنزله إليكم . أعلم إن الروح أمره غريب وشأنه عجيب لا تكشف عن محياه عبارة ولا يفتنم بابه بإشاره . العلم بكنهه محال إلا للكبير المتعال :

وإن قميصاً خيط من نسج تسعة \* وعشرين حرفاً عن معاليه قاصر

ولهذا لما تعدت العقول أطوارها ووجهت الى العلم بحقيقته أفكارها إنقلبت خاسنة حاسرة باترة خاسرة . ولعجز العقول عن الوصول الى العلم بالروح ، لم يرد في الكتب الإلهية والإخبارات النبوية وصف الروح إلا بضرب أمثال وإشارات وتلويحات واستعارات رحمة بالعباد ورفقاً بالعقول . فإت من أطلعهم الله تعالى على شيء من صفات الروح من غير المتشرعين ظن أنه الإله المعبود . وإنما يدرك بعض صفات الروح بالوهب الألي بال بالنظر العقلي . فإت للعقول حداً تقف عنده فإذا تعدته ضلت . ولكن لها القبول لما يهبها الوهاب تعالى . وليس في قوله (الروح من أمر ربي) إشارة الى الكف عن السؤال والجواب عن الروح ، كما قيل بك هو جواب إجمالي أي الروح أمر ربي . فمن بيانية كما قال تعالى ذلك أمر الله أنزله إليكم إخباراً لجميع المخلوقات بقوله (من أمر ربي) ، أي هو أمر ربي الصادر

عنه بالأمر بلا واسطة مادة فأقول لك مقالاً وإضرب لك أمثلاً تخيلاً وتقريباً ، وإلا فأين الثريا من يد المتناول .

(فإعلم) إن الله تعالى لما توجه لخلق العالم خلق روحاً كلياً سمّاه حضرة الجمع لكونه جامعاً لحقائق الوجود وسمّاه بالحقيقة المحمدية . لكون محمد صلى الله عليه وسلم أكمل مظاهرها ، على أنه ليس مافي الجنس الإنساني أحد إلا وهو مظهر هذه الحقيقة كل إنسان يكون فيه ظهورها وبطونها على كماله ونقصانه ولا بد من ظهورها في كل إنسان كامل . وما زال الحق تعالى يخلق الموجودات من الحقيقة المحمدية علوية وسفلية لطيفة وكثيفة وبسيطة ومركبة . وكلما خلق صورة قبضها الى صورتها الأولى حتى إنتهى الأمر الى الإنسان . فخلق منها ولم يقبضها . فكان الإنسان صورة حضرة الجمع والوجود لأنها بسطت فيه ولم تنقبض عنه . ثم خلق الله العماء الذي كان فيه الرب قبل خلق الخلق . وكان أول ما خلق الله في العماء الأرواح المهمة والعقل والنفس والكلية ، فهم مخلوقون من حضرة الجمع والوجود وهم مظاهر لها . كان دون مظهرية الإنسان الكامل ومحمد صلى الله عليه وسلم الإنسان الأكمل ، فإنه لإنسان يماثل محمداً صلى الله عليه وسلم وكل ماعداه فهو مخلوق منه . فهو عين الوجود الصادر من الله تعالى بلا واسطة سوى الأمر . فهو صورة الأمر الإلهي الذي لا صورة له في نفس الأمر . وكلما فعلت الطبيعة الكلية صورة نفخ فيها روحاً على قدر قابليتها واستعدادها . فالطبيعة ظاهرة وهو باطنها ، بل ليست الطبيعة غير الروح إلا باعتبار كثافة بعض الصور ولطافة بعضها ، فثقل الطبيعة مغايرة للروح .

فإذا أراد الله إيجاد شيء توجه اليه الروح ، وتوجهه عينه وعين ماتوجه اليه ؛ بمعنى أن شعوره بمراد الله عينه وعين ما شعر به ، وهو الشيء الذي أراد الله إيجاده . كالتوجه على المرأة هو عين وجود صورة المتوجه عين التوجه عين الصورة وعين وجود الصورة في المرأة ولاترتيب إلا في العقل لافي زمان كالبرق عين لمعانه عين الإضاءة عين إنكشاف الأشياء به عين تعلّق البصر . لاترتيب بين هذه الأشياء إلا في العقل لافي الزمان ، وهذا الوجه هو المعنى بالنفخ في قولي (ونفخت فيه من روحي) ، أي نفخت فيه من روحي . فمن للبيان والمراد من النفخ لازمه وهو إيصال نفس النافخ في المنفوخ فيه ، والنفس المنفوخ هو نفس الرحمن وهو الروح . ولهذا عبّر بالنفخ ، فإنه لا ينفخ إلا النفس وهو لا يخلو فيه شيء ولا ممتزج بشيء ولا يخرج عنه شيء ولا هو في جهة لشيء ، بل هو منزّه عن جميع صفات الحوادث وله جميع الكمالات لا للوجوب بالذات وتدبيره للعالم الطبيعي لاعن إرادة وبعض تدبيره بإرادة . يدبر كل صورة حسب مزاجها وإستعدادها ومرتبها وقابليتها . فلا تدبر صورة بأزيد من قابليتها ومرتبها ولا أنقص . فليس المنع من جهة الروح ، وإنما المنع من الصور فهي التي لاتقبل غير إستعدادها ؛ كالشمس تشرق على العالم . والصور تقبل تدبيرها حسب قابليتها فتذيب أشياء وتجمد أشياء وتسيل أشياء وتربى أشياء وتيبس أشياء وتضر أشياء وتنعم أشياء والشمس حقيقة واحدة . كذلك هو الروح في تدبير كل صورة بما قلنا لا يتبعض ولا يتغير . فلا يقال روح الفرس أكبر أو أزيد من روح البعوض من حيث الحقيقة . كما لا يقال في الحقائق الكلية أنها تجزأت أو زادت أو نقصت ، كالإنسانية فإنها حقيقة واحدة وهي موجودة بكمالها في كل فرد من أفراد الإنسان لاتزيد ولاتنقص متعددة بتعدد أشخاصها التي لاتنحصر كثرة . فلا يقدم في وحدتها الحقيقية كثرة ظهورها في

الأشخاص والبياضية فإنها حقيقة واحدة غير متعددة . فيقال انها زادت في هذا الأبيض ونقصت في هذا ولاتعددت . وهي على وحدتها الحقيقية ولاتزيد بظهوراتها في كل أبيض ، ولاتنقص فكل شيء فيه كل شيء . وهذه الحصص التي تختص بكل صورة حسب استعدادها ومرتبته من تدبير الروم وإمداده هي المسمّاة عند الحكماء بالنفوس الجزئية ، وعند أهل الله بالأرواح الجزئية .

ولما كان المدبّرُ إسم فاعل على صورة المدبّرِ إسم مفعول ، كان الروح يعلم في صورة زيد مثلاً لإستعداده للعلم وقابليته مايجمله في تدبير صورة عمر ولاإستعداده للجمل وقابليته . والروح هو ماتبدّل ولاتغيّر ولهذا يقول المحققون من أهل الله : "المدبّر لك صور العالم كله روم واحد" يريدون وحدة التدبير والإمداد ولأنه يلزم أن مايعلمه زيد لايجمله عمر وإذا العالم منهما واحد . فتعددت الأرواح بتعدد الصور مع وحدة حقيقة الروح .

ولم يعقل الروح نفسه إلا في صورة . وأول الصور النور المحمدي لما روي "أول ماخلق الله نور نبيك يا جابر" . فكانت الصور جمادية لاتقبل ظهور شيء من آثار الروم وإمداده إلا تماسك أجزاء صورها أمدها الروح بذلك لاغير فإنها لاتقبل . وسمى ذلك الإمداد نفساً جمادية من الجمود على حالة واحدة وعدم التحرك والإنتقال . وهي من حيث وجهها الذي لخالقها عالمة مسبحة حياة الى سائر الإدراكات ، خلاف الوجه الذي لنا . فإذا أراد الله فناء تلك الصورة الجمادية قطع الروح إمداده عنها فتداعت للفناء والإحلل ، فتحللت وذهب عنها إسم صورة وذلك موتها . فإن موت كل صورة بحسب مرتبتها . وحينئذ رجعت العناصر التي كانت الصورة مركبة منها الى أصولها ، فرجع التراب الى عنصره الأعظم وكذلك الهواء والماء والنار وإن بقي شيء من الصورة لم يتحلل يدبّره الروح على مراد الله الى أن يتحلل ويلتحق بالكل . ويلبس روح هذه الصورة التي تحللت وفنيت صورة برزخية وتذهب تسبّم الله وتمجّد أيد الأبدان ودهر الداهرين .

وإن كانت الصورة نباتية تقبل التغيّ والنمو بإستعدادها وقابليتها ، فإن النبات أمده الروح بقوتين قوّة تمسك أجزاء الصورة وقوّة تقبل الغذاء والنمو . وسُميت نفساً نباتية . فإذا أراد الله موت شجرة مثلاً قُطعت ذهب عنها القوّة المغذية المنمّية وبقيت عليها النفس الجمادية وذلك موتها . فإذا أراد الله فنائها بالكلية ، فاحترقت وصارت رماداً أو طال عليها الأمر فتحللت أجزاءها رجع كل عنصر الى أصله الأعظم كما قدمنا ، ولبس ذلك الروح صورة برزخية وذهب يسبّم الله كما قدمنا . وإذا كانت الصورة حيوانية أمدها الروح زيادة على القوتين الجمادية والنباتية بجميع القوى ماعدا القوّة المختصة بالإنسان ؛ وهي الفكر واكتساب العلوم بالنظر . فإذا أراد الله موتها وفنائها كان الأمر على ماتقدم .

وإذا كانت الصورة إنسانية أمدها بجميع صفاته وكمالاته إذا كانت الصورة كاملة فاضلة قابلة كصور الأنبياء وورثتهم صلى الله عليهم ، وإلا فبحسب مزاجها وقابليتها مايبين كامل وأكمل وناقص وأنقص . فإذا أمات الله إنساناً إنتقلت روحه الى جسد برزخي مناسب لأحوال صاحب الجسم التي كانت عليها في الدنيا بجميع صفاته نقصاً وكماً وأخلاقه الباطنة . فإن الله وعد الأرواح الإنسانية أن ينشأها نشأة أخرى كما قال مخاطباً للأرواح (وننشئكم فيما لاتعلمون) .

وقد علمت النشأة الأولى فهذه غيرها بلا شك والأرواح الإنسانية لها إنتقالات في الصور كانت يوم أخذ

الميثاق في صورة وفي الدينا في صورة وبعد الموت تصير الى صورة . فإذا وُضعت في القبر رجعت الى صورتها للسؤال والجواب ، ثم تصير الى صورة برزخية ، ثم بعد البعث تصير الى صورة لانعلمها الآن . وهي في كل صورة تنسى ماكان لها من العلوم والأحوال في الصورة التي قبلها . والجسم الإنساني إذا فارق روحه يبقى كسائر الأجسام الجمادية الى أن يتحلل ويفنى . ولهذا قد يُسمع من بعض القبور بعد مضي أيام وشهور أو سنين صراخ أو كلام ؛ فهذا من كلام النفس الجمادية إنذاراً وتحذيراً للسامع أو إظهار إهانة صاحب القبر خرقاً للعادة كما يخرق الله لبعض الناس العادة فيسمعون كلام الجمادات والأحجار والأشجار ، كما سمع الصحابة حنين الجذم وتسيبم الحسا . ومن هذا كلام الجنابة كما ورد في الصحيح أنها إن كانت سالحة تقول قَدَموني والأقالت عند ذلك ياويلها أين تذهبون بها . وقوله تلك يهود تُعذَّب في قبورها . وإلا فالعذاب بعد السؤال إنما هو في البرزخ . وأضيف الى العبد لأنه المعروف للعموم . فإذا تحلكت الجسم الإنساني رجم كل عنصر الى أعظمه كسائر الصور العنصرية الى أن يبعث الله الأرواح الإنسانية وينشئها نشأة أخرى في صور هو تعالى يعلمها . فالصور كلها فانية والأرواح كلها باقية كانت ماكانت الأرواح وإنما للأرواح صعقت عند النفخة الأولى شبه الغشي لاغير . وكان الروح قبل إيجاد العالم موجوداً معلوماً ، فلما وُجد العالم خارجاً أعطاه العالم وجوداً خارجياً كما يقال في الحقيقة الإنسانية مثلاً ، هي معقولة ولها وجود خارجي ضمن أفرادها وأشخاصها الموجودة خارجاً . فلولا العالم ما عُرِف هو ولولا هو مع وساطة الحق تعالى ما وُجد العالم ، وليس هو بمتقدم على العالم ولا العالم متأخر عنه . وهو العنصر الأعظم الممد لجميع العالم جواهره وأعراضه ونسبه المنحصرة في المقولات العشر . فإن قلت هو العالم صدقت ، وإن قلت هو غير العالم صدقت . وأختلف هل تعيين الروح للصورة مقدم عليها أو معها ؟ ولكل دليل والأدلة كلها ظواهر . والذي أذهب اليه هو إن الروح مع الصورة كانت ماكانت الصورة . فإن وجودها عين حياتها وحياتها عين روحها . وأما قوله بعد ذكر أطوار الخلقة (ثم أنشأناه) وقوله عليه السلام : "ثم ينفخ فيه" فالمراد ظهور آثار الروح للعيان وذلك بالتغذي والحركة بعد كمال التعديل والتسوية . فالمولود حالة كونه نطفة وعلقة ومضغة جماد لا يقبل من آثار الروح إلا مايقبله الجماد . ثم بعد يقبل من تدبير الروح مايقبله الحيوان ، فإذا ولد صارت الآتية وقواه يظهر استعدادها لقبول آثار الروح فيها شيئاً فشيئاً . فكلما كمل استعداد آلة ظهر أثر للروح فيها بحسب ذلك الاستعداد كمالاً ونقصاً . قال إمام أهل الكشف والوجود وقدوتهم محي الدين : "إذا انفصلت النطفة من الأبوين انفصلت معها روحها وبقيت تدبر نفسها الى أن تنفصل عنها بالموت" . فماقد سمعت من بعض مايتعلق بالروح ومايكون به صدرك أثلم وصبحك أبلج . فإنه كلام أهل الكشف والوجود . فأرم بكل ماخالفه من أقوال الحكماء والمتكلمين الذين تفكروا حيث لا يصح فكر وقاسوا حيث لا يستقيم قياس وخبطوا في الروح والإعادة خُبط عشواء والله الموفق والهادي لا ربَّ غيره . انتهى"

وهو مما لم يسبق اليه رضوان الله عليه . (وكان) للشعراء في ثنائيه موسم عظيم وفي رثائه ماتم جسيم . وكنت ممن تطفل على أهل هذا الفن فنظمت بمدحه قصائد عديدة واصطنعت سبع مقامات أعدت للمباركة له بكل سنة جديدة أسندت روايتها لسعد بن بشير مع ابن حفص المصري وفي ذلك من المقاطيع . فمت القصائد قولتي :

خليلي ماللناس عندي وماليا  
وقالوا الموى صعب المراس وأرجفوا  
فياليت قومي يعلمون بخأتي  
سلا جيرة الوادي المقدس هل سلا  
معاذ الموى أن يخطرن بخاطري  
ألم يأن لي أن أقدر الحب قدسه  
وكيف لي وفي دولة الحب منصب  
ولو أن قيساً في زمان صبابتي  
وقد جُبلت من نشوة الحب نشاتي  
إذا كان سكري عين صحوي بحبهم  
أسلو ونفسي للمعالي طموحة  
وأية حبي للعلا أن يرى الوري  
أمير وأنى للملوك سلوك ما  
جلال ولا كبير وعلم ولا خفا  
فكم جاهد الأعداء حق جهاده  
وهاب الملوك الصيد سطوة بأسه  
رقي مارقني من سؤدد وإمارة  
الى دولة أسمى وفتح مقدس  
وكشف لأسرار الحقائق شاهد  
مواقفه يتلو الفتوحات فضلها  
بفصل خطاب بارعات فصوله  
نلوذ بأطراف القوافي وحسبنا  
ولم نتكلف نظمها هت لأننا  
ومهما تغالوا في بدائم وصفه  
تفرد في الدنيا بأكبر همة  
ونال من العلياء فوق منائه  
ولا عيب فيه غير أن حياته

وقولي :

روى النسيم عن الأروام إذ وصفنا  
عن الجداول ما بين الخمائل في  
عن السحائب تبكي في الربا سحراً  
عن الرياض زهت أنوارها وحلت  
عن الضحى حين عاطته البلابل في  
عن الهزار رخيم الصوت يرقعه  
هو الذي طوق الدنيا بنعمته  
هو الذي وقف العلياً لقاصده

إذا في الموى أنفقت عمري وماليا  
بأني على السلوان ألقى المراسي  
وان قدروا فليصحبوا القلب خاليا  
فؤادي أو أمسى من الشوق ساليا  
سلوا والأرجاف يرجف باليا  
وأعلم فيه ماعلي وماليا  
هو الصدر والعشاق طراً حواليا  
على عشقه لم يرض إلا إتياميا  
فأنى ترى ياصام نشوان صاحيا  
ودنى لهم عزمي ومحوي بقائيا  
ومن ذا الذي يعطى فيأبى المعاليا  
بمدح أمير العارفين إفتخاريا  
تقدس من أخلاقه وهي ما هيا  
وسيف ولا حيف وتقوى ولا ريا  
وكم صام أياماً وأحيا لياليا  
كما هابت الأرام في الصيد راميا  
وفضل وأفضال وما زال راقياً  
أصاب من العلم اللدني التراقيا  
على الذوق الهاماً من الله هاميا  
وتجلو من العرفان ما كان خافيا  
لقصد طوقت قس الأيادي أياديا  
من الفخر أن نهدي إليه القوافيا  
وجدنا المعالي فاخترعنا المعانيا  
يروا غاية التفريط ذاك التغاليا  
وأثبت جأش يستخف الرواسيا  
وماكل إنسان ينال الأمانيا  
حياة لكل الناس لازال باقيا

شمائل الورد في أرواحه وصفنا  
وقت الأصائل تروى السهل والشفا  
فيضحك الزهر في الأكمام منحرفا  
أثمارها فزكت طيباً ومقتطفا  
كأس من الورد صهباء النداء أنفا  
إن الأمير هو الغوث الذي وصفنا  
حتى جلا نوره عن بحر الكلفا  
طوبى لمن أم مغناه وما وقفنا

هو الذي خفقت في الخافقين عَلا  
هو الأمير الذي أضحت شمائله  
هو النسيب إذا أطرى النسيب به  
هو الإمام الذي آياته نَسَخَتْ  
وطبق الأرض علماً والسما تُقى  
كم أصبح التراب تَبَرّاً حيث يلحظه  
والشمس إن لم تسارِع في إطاعته  
يخفى ويظهر جدواه وعزّته  
لا يكتفي بعطاء اليوم عن غده  
لا يبلغ البلغاء المدح فيهِ وإن  
ياخير من طار في الأقطار سؤدده  
رحمك كيف أولوا الألباب تدرك ما  
أست بحر علوم ساغ مورده  
أست مفرد عرفان ينافس في  
أست أشرف من جاد الوجود به  
أست نجل الأولي بين الوري عُرفوا  
أست فرع الذي جبريد خادمه  
ياماضي العزم والمهني تورده  
وصاحب النظر الأكسير كم جبرت  
لولاك لم يدرك العرفان طالبه  
وربما دخلت تلك المكارم في  
أنت الذي إتفق العصر الأخير على  
من أم أبواب عبدالقادر الحسني  
عفواً فما لي أياد في مديحك بل  
والعفو يحلو من القوم الكرام ولا  
قصرت معترفاً مدحي عليك وهل  
فاستجل شمس المعاني وهي مقبلة  
غريبة الحسنت تهوى من يلاطفها  
لقد ترامت على الأعتاب تلتئمها  
أطفا الظهور بها نار القصور وقد  
لم تلت كُفواً لها إلا علاك فإب  
ياحسنها إن رأيت وجه القبول ويا  
وغاية القصد شكران الصنيم بها  
لازلت مظهر هذا المجد مطلعاً  
ومن المقاطع قولي مذيلاً :  
ياسيداً أوجبت أخلاقه الحسنة

أعلامه إنما فرط الظهور خفا  
حلا الملوك وفي أذانهم شَنَفَا  
تري سحاب النداء من كفه وكفى  
بالعدل ذكر بني العباس والخلفا  
والناس جوداً وتاج الأوليا تحفا  
والدر إن لم يصادف لحظة صدفا  
والبدر إن لم يقابل نوره كُسفَا  
لطفاً فيفني ويحيي المال والشرفا  
أو ينكفي باعت الأمالك منصرفا  
تطاولوا قصروا عما به إتصفا  
شرفاً وغرباً وأعلى دولة الشرفا  
أصبحت فيه من الأخلاق متصفا  
ماخاب من جاءه في الدهر مرتشفا  
وجودك الخلف الجمم الذي سَلَفَا  
ورصع الناس في أوصافه الصحفا  
بالقطب والغوث والأفراد والحنفا  
وحسبك الدهر فخر المصطفى شرفا  
نحو أعدائك الكفار منتصفا  
أيدي نذاك كسير القلب متلهفا  
والفضل لولاك بين الناس ما عُرِفَا  
أخبار كان ولم نبصر لها خَلَفَا  
تقديمه لم نجد فيهم من إختلفا  
قيل الجزائر يلقا الفضل والترفا  
منك اللالي ومني النظم فإتلفا  
يدري لذاذته إلا من إقتترفَا  
يرد من جاء بالتقصير معترفَا  
تهفو دلالاً ولكن تنثني هيفَا  
واللطف بالفربا من عادة اللطفَا  
واستعطفت قلبك الزاكي وكم عطفَا  
أغضت حياءً وغضت طرفها وطفا  
تنظر محاسنها تزدد بها شغفاً  
بشرى لها أن تقابلها بما سلفَا  
فألق من طرفك العالي لها طرفَا  
في كل عام على هذا التنا وكفى  
تبديك سيئة الأيام بالحسنة



والله والله والله العظيم وَمَنْ  
لو مَرَّ يومَ علينا لانراك به  
لازلتَ في دولة العرفان يعجز عن  
الى على نفسه ان لا يذوق سنه  
لكان مقداره خمسين ألف سنه  
ادراك وصفك اهل الألسن اللسنه

ورثيته بأبيات كُتبت على لوح من رخام ضربه بالذهب مشتملة على تاريخ وفاته وإشارة لاتخفى  
على أهل الأدب فقلت :

لله أفق صار مشرق دارتي  
الشيخ محي الدين ختم الأوليا  
والأمير عبدالقادر الحسني السني  
مَنْ نال مع أعلى رفسيقٍ أرخسوا  
قمرين هلاً من ديار المغرب  
قمر الفتوحات الفريد المشرب  
قمر المواقف ذا الولي ابن النبي  
أزكى مقامات الشهود الأقرب (١٣٠٠هـ)

وقد جاء تاريخ وفاته (غاب بدر كامل) وبالجملة فهو آية من آيات الله تعالى في ورده وصدده . ولو كان  
في الأمم الغابرة لقص علينا الله أحسن القصص من خبره ، ولولا قلّة مجال هذه الشذرة لإقتطفنا من هذه  
الروضة ألف زهرة حباً به قدّس الله سرّه .

### عوداً على بدء

قرأ سيدي الوالد أدامه الله تعالى عليه "الموازين الذرية" للعارف الشعراني ، و"شرح فصوص الحكم"  
للعارف الشيخ عبدالغني النابلسي ، وباب النفس من "الفتوحات المكية" وهو يشتمل على خمسين فصلاً  
قراءة ذوقاً وتحقيقاً كل ذلك مع مواظبته على دروسه وأوراده ومثابرتة على نشر أعلام الطريف وعلومه .  
(وفي عام أربعة وثمانين) ذهب الى مكة المكرمة أواخر شهر رجب الفرد ومعه كريمة حضرة مولانا  
رضي الله عنهما . فصام رمضان هناك وأقبلت عليه وجوه البيت الحرام وأعيانها وشرفاؤها وعلماؤها ،  
لاسيما المغفور له أمير العظماء الشريف حسين باشا أمير مكة من بعده وكعبة علماء الصلحاء ذو المجد  
الأثيق والمقام الجليل الشيخ عبدالله الشيبلي رحمه الله تعالى ، فإنهم بالغوا في ترفيع شأنه وبلغوا الغاية  
بإجلاله وإكرامه . وصحبوه عامة إقامته ثم صحبة صادقة ، وإبتهجوا بمحبته إبتهاجاً تاماً حتى إن الشيخ  
عبدالله رحمه الله تعالى كان يفتح له الكعبة المطهرة ومقام سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام  
خاصة ، ويسر سروراً عظيماً لسروره بذلك وفيه اسمه الشريف في دفتر علماء الحرمين ، وهي عند أهل  
الحجاز منقبة عظيمة جداً لما يجدون من نفوسهم من عظمة خدمة أهل البيت وجواره وإستثنائهم بالعلم  
والفضل وهم لذلك أهل . وعرض عليه أن يبني له رباطاً يكون للنقشبندية ويبقى ثم لإقامة شعائر  
الطريقة العلية في تلك المشاعر الحرمية . فلم يجبه الى ذلك حفظاً لمركز الطريقة العلية في مقام حضرة  
مولانا نور الله مرقدته .

ولقي هناك من أهل الله غير واحد وإستمد من بركاتهم . وممن بالغ بالإقبال عليه وإكرامه الإمام  
الصالح والمرشد الناصح الشيخ محمد الفاسي الشاذلي ، وهو أحد مشايخ أمير العارفين السيد عبدالقادر  
الجزائري قدّس سرهما . فإنه كان له ميل عظيم الى سيدي الوالد الماجد ومحبة تامة ، بحيث كان إذا مرّ ولم  
يره في الحرم المطهر يسعى الى منزله فيسأله عنه ويبحث عن أحواله . ومنهم المربي الفاضل والمرشد

الكامل الشيخ الحاج إبراهيم الرشيدى قُدَّسَ سرّه . ومنهم العالم الصوفى الشيخ محمد الطرابزونى شيخ والى مصر سابقاً عباس باشا برد الله مضجعه ، وغيرهم ممن لا يحصون .

(ثم) لما قضى مناسكه وتملى بزيارة حجرة فخر العالم صلى الله عليه وسلم والروضة المباركة رجع الى الأوطان يرفق في أثواب الثواب والسرور بالعمل المبرور . فأقبل للسلم عليه معتبروا دمشق الشام وكافة فضلائها وعلماؤها الأعلام . ثم التفت لما كان فيه من إقامة شعائر الدين والطريق الخالدي بدروس العلم والأذكار الخواجكانية . وإستأنف ملازمة أمير العارفين الماراً أنفاً كلما اجتمع به يسمعه من مشكلات الفتوحات فيحلها بأقوى حل وأيوم بيان .

(وفي عام ستة وثمانين) سَمَّ منه صحيح البخاري كله في دار الحديث في ملأ عظيم مدة سبعة وعشرين يوماً من شهر رمضان وأجاز له روايته عنه ، وجميع مروياته بروايته له عن والده العلامة الكبير الولي الصالح السيد محي الدين بروايته له عن العلامة البركة والده السيد مصطفى عن علامة زمانه الشهير السيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس بسنده المشهور في ثبته . وإستجاز الأمير المشار اليه من سيدي الوالد الماجد قراءة "الفتوحات المكية" . فأجاز له ذلك وكتب له إجازة بخطه المبارك . كما أجاز ذلك له المحدث الكبير الشيخ عبدالرحمن الكزبري طيب الله ثراه ، وسمع منه بحضور الأمير المنوّه به شيخنا الشيخ محمد الطندتائي رحمه الله تعالى "الفتوحات المكية" بالنسخة التي صححها شيخنا على خط المؤلف رضي الله عنه الموجود في مدينة (قونيه) . وكان أرسله الأمير قُدَّسَ سرّه لتصحيحها الى هنالك على نفقته . ففعل جزاهما الله خير جزائه .

وفي هذا العام ذهبت كريمة حضرة مولانا خالد قُدَّسَ الله سرّه العزيز الى الحج الشريف فأدركتها الوفاة في منى . فجيء بها الى مكة المكرمة ودُفنت في المعلاة عند ضريح سيدتنا خديجة الكبرى رضي الله عنها . وكان لمشهدنا يوم عظيم لم يتخلف عنه أحد من خلفاء الطريقة العلية ومريديها قُدَّسَ سرّها . فغم ذلك سيدي الوالد غمّاً عظيماً ولم يزل أيده الله تعالى مشغولاً بصحبة الأمير ومزاولة كتب القوم واعتنائهم بجمع كلام الأمير فيه من أجوبة مسائل وحل مشكلات وتفسير آيات على لسان أهل الله ، حتى حصل لسيدي الوالد الماجد ملكة في فن التصوّف عظيمة جداً ببركة هذا العزيز . فابتدأ عام خمسة وتسعين بإقراء اصطلاحات العارف الكبير الشيخ عبدالرزاق القاشاني لخواصه في داره ليلاً ، منهم هذا الحقيقير ويقررهما أحسن تقرير بحيث يوصل الى الأنفهام المتوغلة في الإبهام . مراد القوم من ذلك الكلام نظراً لقوة وقوفه على معاني كلماتهم ورسوخ قدمه في فهم مصطلحاتهم . فنور الله سرائرهم به ورزقهم الإيمان به وحببه إليهم . ثم لما أتمّه وقد صار عندهم أدنى مسكة في الفتن قرأ لهم مواقف الأمير قُدَّسَ سرّه وطفق يحل غامضها ويبسط معانيها العرفانية ومداركها الإشارية ، إذ أكثرها تفسير آيات قرآنية .

(وفي هذا العام) بدأ يقرأ صبيحة الثلاثاء والجمعة في المسجد علاوة على دروسه الراتية كتب الحديث النبوي . فاجتمع اليه خلق كثير لتلقيه عنه ، فقرأ صحيح البخاري بالقسطلاني مرتين وفي داره بعد العشاء مرة ، وصحيح مسلم بشرح الإمام النووي مرة ، وموطأ مالك وسنت أبي داود . وهو الآن سنة ست وثلاثمائة يقرأ سنن الترمذي قراءة إتقان وتحقيق في المسجد وفي داره بعد العشاء "أحياء العلوم" للعارف الغزالي .

(ثم) بعد أن أتمّ قراءة "المواقف العرفانية" قرأ شرح العارف الكبير عبدالرحمن الجامي على فصوص

الحكم لخاتم الأولياء المحمديين الشيخ الأكبر محي الدين قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُمَا العزيز مع مراجعته شرح العارف النابلسي والعارف الجندي والعارف القيصري .

(وفي عام سبعم وتسعين) توفيت والدته العزيزة وكانت وفاتها خلال ربيع الثاني منه . فلم يتخلف أحد عن تشييم جنازتها وصلّي عليهما في جامع (درويش باشا) أمير العارفين المشار اليه . وحُملت الى مقام حضرة مولانا قُدَسَ سِرَّهُمَا ، فدُفنت في مدفن الجد الأجد قرب الباب . فحزن لفقدائها حزناً عظيماً وجعل يعتزل الناس أياماً طويلة مع كثرة تراكمهم عليه وتردهم اليه تخفيفاً لأحزانه وتسلياً له عن مُصابه ، فإنها كانت في التقوى والذكر وتلاوة القرآن وقيام الليل وصيام النهار وصفاء القلب وحب الخير ومكارم الأخلاق آية عظيمة ، تغمدها الله برحمته ورضوانه .

(ولم يزل) محافظاً علي صحبة الأمير دائماً على إستفادة فضله الوفير حتى توفي . وكان الأمير قُدَسَ سِرَّهُمَا قد أقامه وصياً على أشباله القاصرين وأوصى له بعشرة آلاف غرث . فقبل الوصية على أولاده بعد وفاته وردّ العشرة الاف المذكورة على أنجاله القاصرين ، وقال : "أنا ماصحبه للدينا وهو حيّ فلا أدنس صحبتي بها بعد وفاته" . فشكر الناس له هذه الصنيعة شكراً كبيراً .

(وفي عام إثنتين وثلاثمائة) خرج حاجاً الى البيت الحرام خلال شعبان ، فأدرك صيام رمضان في مكة المكرمة ومازال يعتمر ويعمر قلبه بالعبادات وتلقّي التجليات الحريمة والمواهب المكية ، حتى أتم مناسك حجّه على وجه السنّة المطهّرة . ثم قصد زيارة الحضرة النبوية ، فأقام في المدينة عشرين يوماً يفترق من أنهار أنوار الذات المحمدية ، ويقتطف من أزهار أسرار التجليات المصطفوية غير ملتفت لإقبال أهلها عليه مع تواردهم ليلاً ونهاراً اليه . ثم عاد على راحة الراحة وكرامة السلامة الى الأوطان . فباستقبله بها كل أهلها . وكان يوم قدومه موسم سرور ومشهد حبور . فقابل كلاً منهم بالإجلال والإعظام والإستبشار والدعاء والإكرام . وقد انشدت وقتئذ هذه الأبيات وأنا بعيد عهد بصنعة القريض مبشراً له ومؤرخاً قدومه أدام الله فضله فقلت :

وفي برّه عند البرية مشهور  
وأفضاله بين الأفاضل ماثور  
بها قد غدا بيت الهدى وهو معمور  
مشاعر عرفان بها العقل مبهور  
وثمة حجر بالظاهر محجور  
بها كعبة الأستار والأمر مستور  
به علم الإسلام كالشمس منشور  
وبحر به علم الحقيقة محصور  
لواء الطريق النقش بندي منصور  
ويطلت من أسر الغواية مأسور  
من اللطف معمور على الجود مفطور  
لخدمتها والله جبريك مجبور  
فما مكة ماالقدس ماالغار ماالطور  
وتكريم تسليماته الدهر مقصور

سلام على من في مساعيه مأجور  
واجلاله فرض على كل مسلم  
وبشري له بالحج والعمرة التي  
وفي عرفات حيث يزدلف المنى  
يطوف بببيت الله وهو فؤاده  
نعم كعبة الأسرار طافت حقيقة  
وأهلاً به من قاصد البلد الذي  
بحبر له علم الشريعة مظه  
هو المرشد الصوفي الملامي الذي به  
به يجبر المكسور بالجهل قلبه  
الى الخير منذور عن الشر منذر  
فيا زائر المختار في الحجره التي  
منازل فخر الكائنات ودوره  
عليه من الله صلوات صلواته

لك الله بداراً قادمًا خير مقدم  
 وقدرك مرفوع وعزمك جازم  
 قصرت اليد الطولى بكل فضيلة  
 وسرت لجم البيت تسعى ملبياً  
 فتقدمي التبشير أرخه واجب  
 واني في قُصري فريضة مدحتي  
 وإلا فلا أنفك أشكر نعممة  
 فلا زلت في العرفان أكمل مرشد  
 وجيبك مزور على الزهد والتقى  
 تكلمت تاج المرشدين بجوهر  
 ويستقبل الإقبال مغناك كلما  
 وقال لك البشري ملائكة السما

وحظك موفور وذنبك موفور  
 وبابك مفتوح وضدك مكسور  
 عليك ومنظوم البراهين منظور  
 وسعيك في سفر السعادة مذكور  
 فحجك مبرور وسعيك مشكور (سنة ٢٠٢٠ هـ)  
 لضعفي في فن القريض لمعذور  
 عليّ بها أنعمت أو ينفخ الصور  
 وقلبك في سر المناجاة مسرور  
 وذكرك في رق السيادة مسطور  
 من العلم مكنون به عمه النور  
 تغنى هزاراً أو ترنم شحورور  
 سلام على من في مساعيه ماجور

ثم عمد الى دروسه العلمية وأذكاره الخالدية العلية وأعاد شرح الفصوص للعارف الجامي قدس الله سره  
 لبعض خواصه وهذا العبيد منهم . فقرأه بتحقيق وفهم ثاقب وتدقيق ، وكشف غوامض صعوبة المسالك  
 كم زلّ فيما قدم السالك ، مع مراجعة الشروم السالفة الذكر عليه لاسيما ماكتبه أمير العارفين السيد  
 عبدالقادر الجزائري قدس سره على فص آدم وشعيب واسماعيل عليه السلام بسؤاله في ذلك كما تقدم ،  
 فإنه أتى بما لم يخطر على قلب بشر غيره وقد أتمه ولله الحمد على هذا الحال .

(ومن خصائصه) انه لم يترك الدخول للخلوة في رمضان كله وعشر ذي الحجة وربما اختلى في عشر  
 ربيع الأول إلا في مرض أو سفر . (ومنها) انه لا يخبر عن شيء ، أنه سيقم إلا وقع فقد شاهدت منه ذلك  
 كثيراً . (ومنها) أني كنت إذا شاورته في أمر فقال لي أفعل ما شئت فإنه لا يتم ذلك الأمر ، وإذا قال لي  
 أفعل كذا ففعلت يتم بأكمله وجه . (ومنها) انه يحب الخير ويسعى به ويتحمل الأذى لأجله وينفق من ماله  
 لقضاء حوائج الناس ويرغب بالإحسان لكل أحد ، لاسيما لأرحامه وأقاربه ويحتمل تحاملهم ولا يستقبل  
 الناس بما يكرهونه . (ومنها) انه يحب طريق الملامية جداً من ستر الستر وموافقة الناس في حديثهم  
 وحركاتهم وسكناتهم ومساواة أهل العلم في لباسهم وتهيئته ، ولم يلبس الطيلسان قط ولا اتخذ حجاباً  
 أبداً ، ولم يغير من نظام الطريقة العلية شيئاً بقدر الذرة عما كان عليه في زمن حضرة مولانا قدس الله  
 سره العزيز ، ولا أذن ولا يأذن لأحد من مرید الطريق أن يربط بغير صورة حضرة مولانا ، ويرد على من  
 يجوزه أقوى رد . مستنداً على ما ذكر الجد الأجد قدس الله سره في بهجته في بحث الرابطة وتقدمت  
 الإشارة إليه في ترجمة حضرة مولانا . (ومنها) أنه يتكسب من الزراعة جرياً على قاعدة الجد الأجد قدس  
 الله سره ، إذ هي الى جهة الحل أقرب .

(ومن فرط) محافظته على أصول الطريقة العلية المرعية في زمن الشيخ قدس الله سره العزيز لم  
 تكثر خلفاؤه . فما أذن بالإرشاد إلا لجماعة قليلين : منهم العالم الفاضل المرابي الشيخ يونس أفندي مفتي  
 (قره حصار) من بلاد الأناضول حفظه الله . ومنهم الرجل الصالح والعالم الفالح مرابي المريدين الشيخ  
 إسحق أفندي الجركسي حفظه الله تعالى .

(وهو الآن) يوم تحريري لهذا المكان غاية ربيع الأول عام ستة وثلاثمائة مقيم على ماتقدم من إحياء العلوم والآلية والصوفية منهلًا للقاصدين ومرشدًا للمسترشدين وبابه محط الرجال الصادقين آدم الله سعود وجوده ووجود سعوده أمين :

يعجب السامع من وصفي له ووراء العجز ما لم أصفِ

### ختم الكلام بكلام الختام

إعلم للطريقة العلية الخالدية النقشبندية أركاناً محكمة من أهمها الذكر الخفي والرابطة وإغلاق الباب .  
فالأول : أعني الذكر الخفي هو ذكر القلب بلا حركة لسان ولا إعانة نفس الإسم الأعظم (الله الله) فقط بدون ملاحظة أن الإسم مبتدأ محذوف الخبر أو مُنادى بحرف نداء مُقدَّر أو غير ذلك . وهو ذكر جليل له شأن عظيم في تنوير قلب السالك وطبي منازل السلوك ، وهو أفضل من الجهرى بمراحل . (أما الدليل على كونه ذكراً) وإن المشتغل به يسمى ذاكراً لله تعالى ، فهو مأنقذ عن سيد الطائفتين الجنيد رضي الله عنه أنه قال : " من الأعمال ما لا يطلم عليه الحَفَظَة وهو ذكر الله بالقلب وماطوبت عليه الضمائر من الهيبة والتعظيم وإعتقاد الخوف وإجلال أوامره ونواهيه" . وقال : " رأيت في النوم كأنني أتكلّم على الناس فجاءني ملك فقال ما أقرب ما يتقرب به المتقربون ؟ قلت عمك خفي بميزانٍ ومي" . وقال : " إن الله يعطي القلوب من برّه بحسب ما أخلصت له في ذكره" . وقال : " التصوّف جامع لعشر خصال - وعدها الى أن قال - ودوام الذكر بالقلب" . وماقاله ختم الأولياء المحمديين سيدنا الشيخ الأكبر محي الدين رضي الله عنه في " الفتوحات المكية" في باب الذكر ونقله العارف الجيلي في " كتاب الأسفار شرم رسالة الأنوار" للشيخ الأكبر عند قوله " واشتغل بذكر الله بأي نوع شئت من الأذكار أعلاها" . قال الشارح قدر أو رتبة ونتيجة الرسم الأعظم وهو قولك (الله الله) لاتزيد عليها شيئاً وإن شئت (هو . هو) لاتتعدى هذا الذكر وتحفظ أن يفوه به لسانك . وليكن قلبك هو القائل ولتكن الأذن مصغية لهذا الذكر حتى ينبعث الناطق من سرّك . فإذا أحسست لظهور الناطق فيك بالذكر فلا تترك حاله التي كنت عليها فإنها قوة عرضية إن أخلت بجمعيتك لم تلبث أن تزول سريعاً . (وقال رضي الله عنه) :

"الذكر نعت إلهي وهو نفسي ملأني في الحق وفي الخلق . ومع كونه نعتاً إلهياً فهو جزء ذكر الخلق . قال تعالى (فأذكروني أذكركم) فجعل وجود ذكره عن ذكره وكذلك حاله . فقال إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم فأنتم الذكر الذكر . وحال الذكر حال الذكر وليس الذكر هنا بأن تذكر إسمه بل لتذكر إسمه من حيث ما هو مدم له وحمد . إذ الفائدة ترتفع بذكر الإسم من حيث دلالة على الغير لاني حقله ولا في حقه . فإن قلت قد رجّم أهل الله ذكر لفظة (الله) وذكر لفظة (هو) على الأذكار التي تعطي النعت ووجدوا لها فوائد . قلت صدقوا وبه أقول . ولكن ما قصدوا بذكرهم (الله الله) نفس دلالة على العين وإنما قصدوا هذا الإسم أو الـ(هو) من حيث إنهم علموا إن المسمى بهذا الإسم أو هذا الضمير هو من لاتقيده الأكوام ومن له الوجود التام . فإحضار هذا في نفس الذّاكر عند ذكر الإسم بذلك وقعت الفائدة فإنه ذكر غير مقيّد . فإذا قيده بـ(لا إله إلا الله) لم ينتج له إلا ماتعطيه هذه الدلالة . وإذا قيده بـ(سبحان الله) لم يتمكن له أن يحضر إلا مع حقيقة ما يعطيه التسبيح وكذلك (الله أكبر) و(الحمد لله) و(لا حول ولا قوة إلا بالله) .

وكل ذكر مقيد بقيد لا ينتج إلا ما تقيد به ، لا يمكن أن تُجتنى منه ثمرة عامة ، فإن حالة الذكر تقيد به . وقد عرفنا الله أنه ما يعطيه إلا بحسب حاله في قوله (إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي - الحديث القدسي) . فلماذا رجحت الطائفة ذكر لفظة (الله) وحدها أو ضميرها من غير تقيد فما تصدوا لفظة دون استحضر ما يستحقه المسمى .

وبهذا المعنى يكون ذكر الحق لعبده باسم عام لجميع الفضائل اللائقة به التي تكون في مقابلة ذكر العبد ربه بالإسم (الله) . فالذكر من العبد باستحضار ، والذكر من الحق بحضور لأننا مشهودون له معلومون وهو لنا معلوم لامشهود ، فلذا كان لنا الإستحضار وله الحضور . فالعلماء يستحضرونه في القوة الذكورية ، والعامّة تستحضره في القوة المتخيلة . ومن عباد الله العلماء من يستحضره في القوتين فيستحضره في القوة الذكورية عقلاً وشرعاً وفي القوة المتخيلة شرعاً وكشفاً ، وهذا أتم الذكر لأنه ذكره بكلمة . ومن ذلك الباب يكون ذكر الله له . ثم إن الله ما وصف شيئاً بالكثرة إلا الذكر ، وما أمر الكثرة من شيء إلا من الذكر . فقال (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) وقال (فأذكروا الله ذكراً كثيراً) . ومأتى الذكر قط إلا بالإسم (الله) خاصة معرّي من التقديد ، فقال (أذكروا الله) وما قال بكذا وقال (ولذكر الله أكبر) ولم يقل بكذا وقال (فكلوا مما ذكّر اسم الله عليه) ولم يقل بكذا . وقال عليه السلام : "لاتقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله" . فما قيده بأمر زائد على هذا اللفظ لأنه ذكر الخاصة من عباده الذين يحفظ الله بهم عالم الدين وكل دار يكونون فيها . فإذا لم يبق في الدين منهم أحد لم يبق للدنيا سبب حافظ يحفظها الله من أجله فتزول وتخرّب . وكمن من قائل (الله الله) باق في ذلك الوقت ولكن ما هو ذاكر بالإستحضار الذي ذكرناه . فلماذا لم يعتبر اللفظ دون الإستحضار . فإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً لأنهم لم يسمعوا ذكر شركائهم وإشمازت قلوبهم ، هذا مع علمهم بأنهم هم الذين وضعوها الهة . ولهذا قال (قل سموهم) فإنهم إن سموهم قامت الحجة عليهم ، فلا يسمى الله إلا الله .

انتهى ما نقله الجيلي رضي الله عنه .

(وما قاله) العارف بالله تعالى الشيخ حسن بن موسى الكردي نزيل دمشق المتوفي بها سنة إثنيتين وأربعين ومائة وألف في شرح مواقع النجوم لسيدنا الشيخ الأكبر رضي الله عنه وعبارته عند الكلام على مقام الذكر القلبي :

"ومنهم من يدخله - أي هذا المقام - (باسم الذات خاصة) لأنه سلطان الأسماء كلها . فإنه الجامع لمعانيها واليه ترجع الأسماء ، وهو كالعلم لها . وهو المسمى بالجلالة لعل شأنه وجلالة أمره ، لاتناله أيدي الأفهام والعقول أثمار أسرارها . كيف يتأتى للبشر الوصول الى الحقائق الألوهية والإطلاع على خفايا مملكة الفردانية وما أهل الذات غير الدهشة والحيرة ، فكيف باهل الصفات ؟ وله شرف زائد على الأسماء . فلو أزيل حرف الألف يبقى (الله) ، ولو أزيلت اللام الأولى يبقى (له) ، وعند حذف الثانية يبقى (هو) بالإشباع بخلاف غيره من الأسماء فإنه ليس كذلك .

وذكر اسم الذات أي الله (وهو مذهب الإمام أبي حامد الغزالي وقال في كتابه "كيمياء السعادة" :

ولاتظن أن هذه الطاقة تفتح من عين القلب بالنوم والصوت فقط ، بل تنفتح باليقظة أيضاً لمن أخلص الجهاد والرياضة وخرج عن أسر الشهوة . فإذا جلس في مكات خال مع تعطيل الحواس وفتح

العين والسمع والباطنين وقال دائماً (الله الله) بالقلب دون اللسان الى أن يصير لآخر له من نفسه ولا من العالم وبقي لا يرى إلا الله ، إنفتحت طاقة في القلب يرى فيها يقظة ما يرى في النوم من أرواح الملائكة والأنبياء والأولياء والصور الحسنا وما لا يمكن شرحه . وهو أيضاً مذهب جماعة ولقيتهم على ذلك الذكر الله الله . (وأمروني به) وعلى ذلك أيضاً جميع شيوخ الرسالة كالجنيدي البغدادي وشيخه سري السقطي ومعروف الكرخي وداود الطائي وإبراهيم بن أدهم وعبدالله بن حنيف وفضيل بن عياض والمحاسبي والحافي وغيرهم قدس أسرارهم .

فمن قال الذكر كلمة لا تكون إلا بجملة إسمية أو فعلية ، فقول الذكر (الله الله) مقتصراً عليه من البدع وأفعال الجهلة غير ذاك الله ليس بصحيح . ومن القائلين بهذا العز بن عبدالسلام والبلقيني وغيرهما ، وهو خلاف النص وجمهور مشايخ الطريقت ودعوى بلا دليل . قال الله تعالى (قل الله ثم ذرهم في حوضهم يلعبون) وقال (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً) وقال صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله" . وفي رواية أخرى "حتى لا يقال في الأرض الله الله" . وقال بعضهم هذه المقالة على القائل مقالة أو رجم عنها . ومن هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم : "أتقوا زلة العالم وانتظروا فينته" أي رجوعه الى الحق ، لأنه وإن زل لم يرد الباطل .

(فلا يزال) الذكر بالجلالة على الوجه الذي ذكره الإمام أبو حامد رحمه الله (على هذه الحالة في بدء مقامات الذكر) السبعة التي يجب على كل كامل قطعها حتى يبلغ درجة التحقيق في ذكر (الله الله) بالقلب دون اللسان حتى يتعمّر الباطن كله باحتراف الخبائث كلها . فإن الذكر نار لا تبقّي ولا تذّر (ولا يبقّي فيه) أي في الباطن (جوهر فرد) من قواه الباطنية (الآن ينطق بذلك الذكر بعينه حتى يغلب عليه) أي الذكر (حال الذكر فلا يبصر في الوجود) شيئاً يقيم نظره عليه إلا يراه معلناً (بما هو) أي الذكر (عليه من الذكر) . فهو على أي ذكر يرى الأشياء ذاكراً به أو مكتوباً عليها الذكر . (ولو كان في ذلك الوقت) الذي يغلب عليه حال الذكر فيه (ألف شخص) ذاكرين (بالف ذكر مختلف) كل شخص يذكر بغير ما يذكر به الآخر (وغلب عليهم الحال) أي حال الذكر مثله (لأبصر كل واحد من العالم) منهم ومن غيرهم (ناطقاً بذلك الذكر الذي هو عليه) . وهذا هو التوحيد الصرف ، وهو قطع مسافة الفرق والدخول في مقام الجمع . (فلا يزال الذكر من أول مقامات ذلك السفر حتى ينتهي الى المقام السابع) ، فيسافر من مقام الجمع الى مقام جمع الجمع فيفنى من كان باقياً ويبقى من كان فانياً . لا يدخل في هذا المقام ولا يسافر من المقام الأول ثم يسافر الى مقام السداجة المحضة فيكون هيولي قابلة لكل تجل من الصور والمعاني . ثم يسافر الى مقام مفتاح الغيب - أي الأسماء التي أظهرت صور الكائنات من الغيب الى الشهادة- فيسبح في فلك الأسماء والصفات فيعلم مقتضياتها على ماهي عليه في محالها . ثم يسافر الى مقام مفتاح غيب الغيب أي الأمهات . فيعرفها بالذات ويتحقق بها صورة ومعنى في كل الأوقات . ثم يسافر الى مقام استكمال التحقق بالأسماء الذاتية والنعوت الصفاتية والأوصاف الأفعالية . فيظهر بها جملة وتفصيلاً . فيتدرع بالهيبه ويتوّم بالعظمة . ثم يسافر الى مقام نزول الرب في الثلث الأخير من كل ليك الى سماء الدنيا .

(فإذا انتهى المقام السابع وهو نهاية الذكر) ليس له أي للذاكر (وراء ذلك) المقام السابع (مرمى) - أي مكاناً يرمى فيه الذكر (أصلاً) - فيطلم الفجر وتظهر شمس الكمال على سائر أعضائه كما كان

لروحه وقلبه . فحينئذ يكون الحق سمعهُ الذي يسمع به ، وبصرهُ الذي يُبصر به ، ولسانه الذي ينطقُ به ، ويده التي يبسط بها ، ورجلُهُ التي يمشي بها وما بعد هذا إلا العجز والحيرة ، أه .  
(وقال) الشيخ الأكبر أيضاً في الفتوحات المكية في الباب الواحد والستين وثلاثمائة مانصه :  
"وأما الأثر الرابع فكقوله صلى الله عليه وسلم : "لاتقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله" .  
فأتى به مرتين ولم يكتفِ بواحدة وأثبت بذلك أنه ذكر على الإنفراد ولم ينعه بشيء . وسكون الهاء من الإسم هو تفسير لقوله تعالى (أذكروا الله ذكراً كثيراً) وهو تكرار هذا الإسم (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) . ولم يذكر إلا الإسم (الله) خاصة وهو مأمور من الله أن يبيّن للناس منازل اليهم . فلولا أن قول الإنسان الله الله له حفظ العالم الذي يكون فيه هذا الذكر لم تُعرف بزواله زوال الكون الذي زال منه وهو الدنيا . وهذا الإسم كان ذكرنا وذكر شيخنا الذي دخلنا عليه . ومافي فوائد الأذكار أعظم من فائدته ، فلما قال الحق (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) ولم يذكر صورة ذكر آخر مع كثرة الأذكار بالأسماء الإلهية . فاتخذها أهل الله ذكراً وحده فانتج لهم في قلوبهم أمراً عظيماً لم ينتج غيره من الأذكار . فإت بعض العلماء بالرسم لم ير هذا الذكر لإرتفاع الفائدة عنه فيه ، إذ كل مبتدأ لابد له من خبر . يقال له لا يلزم ذلك في اللفظ بل لابد له من فائدة . وقد ظهرت في الذكر به عند ذكره بهذه الكلمة خاصة ، فنتج له في باطنه من نور الكشف مالا ينتج غيره . بل له خبر ظاهر في اللفظ أو إضافة الى تنزيهه أو ثناء بفعله . ومعلوم إذا ذكر أمر ما ثم ذكر أمر ما وكُرر على طريق التأكيد له أنه يعطي من الفائدة مالا يعطيه من ليس له هذا الحكم ولا تصد به ، فهو أسرع وأنجم في طلب الأمور فلا عيب في العلم جملة واحدة" .  
(وقال) في الباب الثاني والستين وأربعمئة في الأقطاب المحمديين :

"ثم إن الله جعل العالم الجسمي والجسماني في منزلين : منزل يسمى الدنيا ، ومنزل يسمى الآخرة ، وجعل سكانهما الإنس والجان والمعتبر فيهما الإنس ، والمعتبر من الإنس الكُمَّل لاغير ، وهم الذين ذكرهم الله لايزيدون عليه في نفوسهم هذا ذكرهم في نفوسهم أه" .  
(وأما الدليل) على أنه أفضل من الذكر الجهمري فهو ما نقله الجد الأجد قُدس سرّه في كتاب الأذكار من بهجته السنية فقال :  
"أعلم إن الذكر يكون بالقلب وباللسان ، كما قاله الإمام النووي رحمه الله في كتاب الأذكار "الذكر يكون بالقلب وباللسان والأفضل ماكان بالقلب واللسان جميعاً . فإت إقتصر على أحدهما فالقلب أفضل ، أه" .  
ولك منهما شواهد من الكتاب والسنة والذي إختاره ساداتنا النقشبندية من الأذكار الخفي القلبي ، ولهم على ذلك دلائل من الكتاب والسنة . ونقول العلماء الأئمة . فمن الكتاب قوله تعالى (وأذكر ربك في نفسك... الآية) ، وقوله تعالى (وأدعوا ربكم تضرعاً وخفية... الآية) . ومن السنة ماورد في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني . فإت ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه" رواه البخاري وغيره . وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عن أبيها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يُفضّل الذكر على الذكر سبعين ضعفاً . إذا كان يوم القيامة رجّع الله الخلائق الى حسابها وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا ، قال الله تعالى أنظروا هل بقي لعبدي من شيء . فيقولون ماتركنا شيئاً مما علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه . فيقول الله تعالى إن لك عندي حسناً وأنا أجزيك به وهو الذكر الخفي" . ومعنى قوله الذكر الخفي



أي الخفي الذي لاتسمعه الحَفْظَةَ . وقوله ( على الذكر ) أي الذي تسمعه الحَفْظَةَ وماورد في الجامع الصغير خير الذكر الذكر الخفي وخير الرزق مايكفي . والأحاديث في فضل الذكر الخفي كثيرة .  
(قال القاضي عياض رحمه الله تعالى) :

"ذَكَرُ اللَّهِ تَعَالَى ضَرْبَانِ : ذَكَرَ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ . وَذَكَرَ الْقَلْبَ نَوْعَانِ : أَحَدُهُمَا وَهُوَ أَرْفَعُ الذِّكْرَ وَأَجْلَاهُ التَّفَكُّرُ فِي عِظْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَجَلَالِهِ وَجَبْرُوتِهِ وَأَبْيَاتِهِ وَمَلَكُوتِهِ فِي أَرْضِهِ وَسَمَوَاتِهِ . وَفِي كِتَابٍ "بُغِيَّةُ أُولِي النُّهْيِ رِشْمٌ غَايَةُ الْمُنْتَهَى" مِنْ فِقْهِ الْحَنَابِلَةِ تَأَلَّفَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ وَالْحَبِيرُ الْهَمَامُ عَبْدَ الْحَيِّ الصَّالِحِي الشَّهِيرُ بِبَابِنِ الْعَمَادِ الْحَنْبَلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ قَوْلِ الْمَتِّ "صَلَاةُ التَّطَوُّعِ أَفْضَلُ تَطَوُّعٍ بِدُونَ لِقَابِ" وَقَوْلِهِ "لِقَابِ" إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ عَمَلَ الْقَلْبِ أَفْضَلُ . قَالَ الشَّيْخُ تَقِي الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : "الذِّكْرُ بِالْقَلْبِ أَفْضَلُ مِنَ الْقِرَادَةِ بِلا قَلْبٍ" وَهُوَ مَعْنَى كَلَامِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ فَإِنَّهُ قَالَ : "أَصُوبُ الْأُمُورُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَا يَطْهَرُ الْقَلْبَ وَيَصْفِيهِ لِلذِّكْرِ وَالْأَنْسَبُ فَتَلَازِمُهُ" . وَنَقَلْنَا هُنَا الْفِكْرَ أَفْضَلَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصُّومِ ، ائْتَمَى .

وكان الشبلي رحمه الله تعالى ينشد في مجلسه :

ذَكَرْتُكَ لَا إِنِّي نَسَيْتُكَ لِمَحَّةٍ      وَأَيْسَرُ مَا فِي الذِّكْرِ ذَكَرُ لِسَانِي  
فَلَمَّا زَرَانِي الْوَجْدُ إِنَّكَ حَاضِرِي      شَهَدْتُكَ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانٍ  
فَخَاطَبْتُ مَوْجُودًا بِغَيْرِ تَكَلُّمٍ      وَلا حِظَّتْ مَعْلُومًا بِغَيْرِ عِيَانٍ

وكان الأستاذ أبو علي الدقّاق ينشد لبعضهم :

مَا بِنَ ذَكَرْتُكَ إِلَّا هُمْ يُغْلِبُنِي      قَلْبِي وَسِرِّي رُوحِي عِنْدَ ذِكْرَاكَ  
حَتَّى كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكَ يَهْتَفُ بِي      إِيَّاكَ وَيَحْكُ وَالتَّذْكَارَ إِيَّاكَ

انتهى .

وفي "الفتاوى الحديثية" للعلامة الإمام أحمد بن حنبل المكي في جواب السؤال عن الملائكة هل خلّقوا دفعة واحدة أو تارات ؟ مانصه :

"وذكر لا إله إلا الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقاً هذا بلسان أئمة الظاهر . وأما عند أهل الباطن فالحال يختلف باختلاف أحوال السالك ، فمن هو في ابتداء أمره ومقاساته لشهود الأعيان وعدم انفكاكه عن التعلّق بها وعن إرادته وشهوته وإبقائه مع نفسه يحتاج إلى إيمان الإثبات بعد النفي حتى يستولي عليه سلطان الذكر وجواذب الحق المترتبة على ذلك . فإذا استولت عليك تلك الجواذب حتى أخرجه عن شهوته ، فحينئذ يكون مستغرقاً في حقائق الجمع الأحدي والشهود السرمدي الفردي . فالأنسب بحاله الإعراض عما يذكره الأعيان واستغراقه فيما يناسب حاله من ذكر الجلالة فقط ، لأن ذلك فيه تمام لذته ودوام مسرته ونعمته ومنتهاى إربه ومحبتة . قيل إذا وصل السالك إلى هذا المقام وأراد قهر نفسه إلى الرجوع إلى شهود غيره حتى ينفيه أو يتعلّق به خاطره لم تطاوعه نفسه المطمئنة لما شاهدت من الحقائق الوهية والمعارف الذوقية والعارف اللدنية . وقد فتحنا لك باباً تستدلّ بما ذكرناه في فتحه على ماوراءه . فافهم مقاصد القوم السالمين عن كل محذور ولوم وسلم لهم تسلم ، ولاتنتقد حقيقة من حقائقهم تندم ، بل فيما لم يظهر لك الله أعلم . وكذا يقال في الذكر باللسان والقلب أو بالقلب فقط . فبلسان أهل الظاهر ذكر اللسان والقلب أفضل مطلقاً . وعند أهل الطريق في ذلك تفصيل نفهمه مما قبله إن وعيته وتاملته . فإن المستغرق قد يعرض له من الأحوال مايلتجئ به لسانه ويصير في غاية من مقام الحيرة والدهش ، فلا يستطيع نطقاً أو يتفرّق بسبب ما هو متعلّب به من

معالي تلك الأحوال وماهو مستغرق فيه من بحار العرفان والكمال الحاصل . إن الأولى بالسالك الوصول الى هذه المعارف أن يكون مديماً لما يأمره به أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة ، فإنه هو الطبيب الأعظم . فبمقتضى معارفه الذوقية وحكمه الربانية يعطى كل بدن ونفس ما يراه هو الاثقف بشفاؤها والمصلح لفنائها .

الى أن قال :

"والذکر الخفي قد يطلق ويراد به ماهو بالقلب فقط وماهو بالقلب واللسان ، بحيث يسمم نفسه ولايسمعه غيره . ومنه خير الذکر الخفي أنه لايتطرق اليه الرياء ، وأما حيث لم يسمم نفسه ، فلا يُعتدّ بحركة لسانه وإنما العبرة بما في قلبه . على أن جماعة من أئمتنا وغيرهم يقولون لاثواب في ذکر القلب وحده ولامع اللسان حيث لم يسمم نفسه وينبغي حملهُ على أنه لاثواب عليه من حيث الذکر المخصوص . أما اشتغال القلب بذلك وتأمّل معانيه واشتغراقه في شهودها ، فلاشك أنه بمقتضى الأدلة يُثاب عليه من هذه الحيثية سبعين إنتهى .

وبما تقرر علم أن قول بعضهم "الذکر لايد أن يكون باللسان أو بجملة إسمية أو فعلية حتى يُثاب عليه والأ فممنوم" .

(الركن الثاني الرابطة) وهي أن يستحضر المرید صورة شيخه الكامل المشهود له بالوصول الى مقام الفناء والبقاء الأتمين ، مستمداً من روحانيته وأنواره -وهي أشد تأثيراً من الذکر- في حصول الجذبة الإلهية وترقي السالك الى معارج الكمال . وحسبنا برهاناً على إثبات أصلها شرعاً ما أورده ولي العلماء وعالم الأولياء حضرة سيدنا ومولانا خالد قدّس سره العزيز في رسالة خاصة أرسل بها الى القسطنطينية دار الخلافة الإسلامية في هذا الشأن ونصّها :

"بعد الخطبة ، بلغنا أن بعض الغافلين عن أسرار الحقّ اليقنين يعدّون الرابطة بدعة في الطريقة ويزعمون أنها شيء ليس له أصل ولاحقيقة . كلا إنها أصل عظيم من أصول طريقتنا العلية النقشبندية ، بل هي أعظم أسباب الوصول بعد التمسك التام بالكتاب العزيز وسنة الرسول . ومن جملة ساداتنا من كان يقتصر في السلوك والتسليك عليهما ، ومنهم من كان يأمر بغيرها أيضاً مع تنصيحه أنها أقرب الطرق الى الفناء في الشيخ الذي هو مقدمة الفناء في الله تعالى . ومنهم من أثبتها بنصّ قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إتقوا الله وكونوا مع الصادقين) . فقال من السادة الكبار الشيخ عبيدالله المشهور بخواجه أحرار قدّس سره ما حاصله أن الكينونة مع الصادقين المأمور بها في كلام رب العالمين الكون معهم صورة ومعنى . ثم فسّر الكينونة المعنوية بالرابطة وهو عند أهله مشهور وفي كتاب "الرشحات" بالتفصيل مسطور . فكانهم لم يتصوروا معنى الرابطة اصطلاحاً وإلا لما وسعهم إنكارها إذ هي في الطريقة عبارة عن إستمداد المرید من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله وكثرة رعاية صورته ليتأدب ويستفيض منه في الغيبة كالحضور ، ويتم له باستحضاره الحضور والنور فينجز بسببها عن سفاسف الأمور . وهو أمر لا يتصور جموده إلا من كتب الله في جبهته الخسران واتسم والعياذ بالله تعالى بالمقت والحرام . لأنه إن كان ممن يعتقد بالأولياء فقد صرحوا بحسنها وعظم نفعها ، بل وإتفقوا عليها كما لا يخفى على من تتبّع كلماتهم القدسية واستنشق نفحاتهم الأنسية .

فلا بد أن يعتقد بسلام أئمة الشرح وأساطين الأصل والفرع . فقد قال بها من كل مذهب من المذاهب الأربعة أئمة تصريحاً وها أنا أعد بعض ما ذكره مع تعيين الأماكن ليراجعها من ليس في قلبه مرض ولا ينكر على الأولياء بمجرد إتباع الهوى والفرغ . فأقول وباللله التوفيق وهو الهادي الى سواء الطريق ، قد صرح بالتصرف والإمداد الروحانيين جماهير المفسرين في تفسير قوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) . ومنهم صاحب الكشاف مع إنحرافه عن الاعتدال وإتصافه بالإنكار والإعتزال ولفظه . وفسر البرهان بأنه - أي يوسف عليه السلام - سمع صوتاً "إياك وإياها" ، فلم يكثر له ، فسمعه ثانياً فلم يعمل ، فسمعه ثالثاً "أعرض عنها" ، فلم ينجم فيه حتى مثلك له يعقوب عاضاً على أناملته وقيل ضرب بيده في صدره الى آخر ما قال . وقال من الأئمة الحنفية الشيخ الإمام أكمل الدين في "شرح المشاركة" في حديث "من رأني... الى آخره" الإجماع بالشخص يقظة مناما لحصول مابه الإتحاد وله خمسة أصول كلية : الإشتراك في الذات أو في صفة فصاعداً أو في الأفعال أو في حال المراتب . وكل ما يتعلق من المناسبة بين شيئين أو أشياء لا يخرج عن هذه الخمسة . وبحسب قوته على مابه من اختلاف وضعفه يكثر الإجماع ويقل وقد يقوى على ضده فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان وقد يكون بالعكس . ومن حصل الأصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أروام الكمل الماضين إجتمع بهم متى شاء ، انتهى . وقال منهم أيضاً في (شرح الأشباه) أحمد بن محمد الشريف الحموي في كتابه "نفحات القرب" : والإتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى ، والكرامة بعد الإنتقال ما خلاصته : إن الأولياء يظهرن في صور متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم وحمل عليه بعض روايات الحديث الصحيح حيث قال صلى الله عليه وسلم : "يُنَادى من كل باب من أبواب الجنة بعض أهل الجنة- فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهل يدخل أحد من تلك الأبواب كلها- قال نعم وأرجوان تكون منهم" انتهى . بالمعنى . وقالوا إن الروم الكلية تظهر في سبعين ألف صورة في دار الدنيا . ففي البرزخ من باب أولى لأن الروم فيه أقوى وأكثر إنتقالاً بسبب المفارقة عن البدن ، انتهى . قال ومن الأئمة الشافعية الإمام الغزالي في "الإحياء" في باب تفضيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن من أركان الصلاة مانصه "وأحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى ، انتهى . وقال منهم العلامة الشهاب ابن حجر المكي شيخ الشهاب الخفاجي في "شرح العباب" في بيان معاني كلمات التشهد مانصه : "وخوطلب صلى الله عليه وسلم كأنه إشارة الى أنه تعالى يكشف له عن المصلين من أمته حتى يكون كالحاضر بينهم ليشهد لهم بأفضل أعمالهم وليكون تذكر حضوره سبباً لمزيد من الخشوع" ثم أيده بما مر عن الإحياء . ولشيخ الشيوخ الإمام العارف السهروردي الشافعي في العوارف في باب صلاة أهل القرب مثله وعن عباداته : "ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويمثلك له بين عيني قلبه . إنتهت" .

وصرح العلامة الشهاب ابن حجر في أواخر شرح الشمائل وفقاً للحافظ الجلال السيوطي في كتابه "تنوير الحلك في رؤية النبي والملك" أنه حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى صورته صلى الله عليه وسلم ولم ير صورة نفسه . انتهى . وهذا هو الفناء في الرابطة في اصطلاح القوم . لا يقال ليس الكلام في صورة النبي صلى الله عليه وسلم لأننا نقول هذا

ليس من خصائص الأنبياء ، وكل ماهو كذلك فهو مشترك بينهم وبين الأولياء ولاشك في هذا عند أهله . نعم مخاطبة غيره صلى الله عليه وسلم في الصلاة مبطللة لها واحضار الصورة فيهما والتسليم على صاحبها من خصائص حضرة روح الوجود وصاحب المقام المحمود عليه وعلى اله وصحبه الصلاة والتسليم من الكريم الودود . وهو غير مراد فيما نحن فيه . هذا وقال منهم الحافظ الجلال السيوطي في رسالة حافلة ألفها في مثل هذه المادة سماها "كتاب المنجلي في تطور الولي" نقلاً عن الإمام السبكي الشافعي في "الطبقات الكبرى" الكرامات أنواع الى أن قال الثاني والعشرون التطور بأنواع مختلفة وهو الذي يسميه الصوفية بعالم المثال وبنوا عليه تجسد الأرواح وظهورها في صورة مختلفة من عالم المثال واستأنسوا له بقوله تعالى (فتمثل لها بشراً سوياً) . ومنه قضية قضيب البان ثم ذكرها وذكر غيرها ، إنتهى . وقال منهم الإمام العارف الشعراني قدس الله سره في كتاب "النفحات القدسية" عند آداب الذكر مانصه : "السابع أن يُخَيَّلَ شخص شيخه بين عينيه" وهذا عندهم آداب الأداب إنتهى بحروفه .

(قلت) وليس الرابطة عندنا معاشر النقشبندية إلا هذا كما يشهد له مافي جميع كتبهم المعتمدة . وذكر العلامة السفييري الحلبي من الشافعية في شرح البخاري عند قوله "ثم حَبَّب اليه الخلاء أن الشيطان كما لايقدر أن يتمثل بصورة النبي صلى الله عليه وسلم لايقدر أن يتمثل بصورة الولي الكامل أيضاً ، بشرط ذكره" . ثم قال من أكابر الحنفية أيضاً العلامة الشريف الجرجاني قدس الله سره في أواخر شرح المواقف قبيل ذكر الفرق الإسلامية بصحة ظهور صور الأولياء للمريدين وأخذهم الفيوض منها حتى بعد الموت . وكذا في أوائل حواشيه على "شرح المطالع" . وقال منهم أيضاً الإمام العارف بالله تعالى الشيخ تاج الدين النقشبندي العثماني قدس الله سره عند بيان طرق الوصول الى الله تعالى في رسالته المعروفة بـ"التاجية" مانصه : "الطريق الثالثة الرابطة بالشيخ الذي وصل الى مقام المشاهدة وتحقق بالصفات الذاتية فإن رؤيته بمقتضى هم الذين إذا رأوا ذكر الله تفيد فائدة الذكر وصحبته بموجب هم جلساء الله تعالى تنتج صحبة المذكور" . الى أن قال : "فينبغي أن تحفظ صورة الشيخ في الخيال وتتوجه للقلب الصنوبري حتى تصل الغيبة والفناء عن النفس ، وإن وقفت عن الترقى فينبغي أن تجعل صورة الشيخ على كتفك الأيمن وتفرض من كتفك الى قلبك أمراً ممتداً وتأتي بالشيخ على ذلك الأمر الممتد وتجعله في قلبك . فإنه يرجى لك بذلك حضور الغيبة والفناء" إنتهى بحروفه . وجرى عليه قدوة المحققين وزبدة المتأخرين الشيخ العارف عبدالغني النابلسي الحنفي قدس الله سره . وأقره في شرحه على التاجية من أئمة الحنابلة الغوث الأعظم والإمام الأنعم سيدي الشيخ عبدالقادر الجيلي قدس الله سره مامعناه أن للفقير -أي السالك- طريق القوم رابطة قلبية مع الأولياء ويستفيد منهم بسبب تلك الرابطة باطنياً فلا بأس بعدم إكرامه ظاهراً ، بخلاف الأجنبي الذي ليس له رابطة معهم ، إنتهى .

عن الإمام السهروردي في باب آداب المريد مع شيخه من عوارفه . وقال منهم أيضاً العلامة شمس الدين ابن القيم في كتاب "الروح" إن للروح شأناً مع البدن فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة ببدن الميت ، بحيث إذا سلم على صاحبها رد السلام وهي في مكانها هناك ، إنتهى . نقلاً عن الحافظ في كتابه "المنجلي" . والنصوص بهذا المعنى أكثر من أن تحصى وفيه دلالة ظاهرة على نوع تصرف

للأولياء بعد الموت .

(قلتُ) وقد ألف كثير من المحققين في ذلك رسائل واضحة المسالك ، فليحذر الموفق عن إنكاره فإنه من المهالك . وقال من أئمة المالكية الإمام الجليل صاحب المختصر المشهور الشيخ خليل رحمه الله تعالى مانصه : "الولي إذا تحقق ولايته تمكن من التصور في روحانيته ويعطى من القدرة على التصور في صور عديدة وليس ذلك بمحال ، لأن المتعدد هو الصورة الروحانية . وقد أشتُر ذلك عند العارفين بالله . نقله السيوطي عنه في الكتاب المذكور . ونقل فيه أيضاً عن الإمامين الهمامين من المالكية الشيخ أبي العباس المرسي وتلميذه ابن عطاء قدس الله سرهما مايقاربه .

فكيف يسوغ للعوام إنكار مثل هذه الأحكام بعد تصريح الأولياء الكرام والعلماء الأعلام ، الذين هم أهل الحل والإبرام ومنهم من يتلقى العلوم اللدنية بلا واسطة من الحي الذي لاينام . واقتصرت على هذا القدر من الكلام خوفاً من الإملال والإسنام . والآلأفت فيه مجلداً حافلاً بعون المنعم . ولولا رعاية الشفقة على الإخوان في الدين من وقوعهم في إنكار طور الأولياء الكاملين لما أقدمت على إظهار بعض هذه الأسرار . لكن الجاني اليه أمران : الأمر الأول : الذب عن الطريقة التي هي عروة الوصول وسلم رضوان الله تعالى وإتباع الرسول ، التي أصولها التمسك بعقائد أهل السنة الذين هم الفرقة الناجية ، وترك التقاط الرخص والأخذ بالعزائم ودوام المراقبة والإقبال على المولى والإعراض عن زخارف الدنيا ، بل وعن كل ماسوى الله تعالى . وملكة الحضور المعبر عنه في الحديث الشريف بالإحسان وهو "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" . والخلوة في الجلوة مع التحلي بالإستفادة والإفادة في علوم الدين والتزبي بزي عوام المؤمنين . وإخفاء الذكر وحفظ الأنفاس لا يخرج ولايدخل النفس مع الغفلة عن الله الكريم . والتخلت بأخلاق رسول الله صاحب الخلف العظيم عليه الصلاة والتسليم وهي عبارة عن عزائم الكتاب والسنة . ولهذا قال إمام الطريقة وغوث الخليفة الشيخ بهاء الحق والدين محمد النجاري المعروف بنقشبند قدس الله سره مامعناه من أعرض عن طريقتنا فهو في خطر من دينه .

والأمر الثاني : التحذير عن تمويه الغافلين وتزويرهم لنلا يؤدي الى إنكار هذه الطريقة وتكديرهم ، ويسري من شؤمه والعياذ بالله تعالى الى باب لايزال الفقراء الصادقون متضرعين الى الله تعالى لتأييده وبقائه ولحفظه من فتن حساده ومكائد أعدائه . وهذا الفقير يوصيكم بجميع ماتقدم من الآداب ويخبركم بأنه يبرأ الى الله تعالى من كل من يخالف السنة والكتاب ولايتبع هدى النبي والأصحاب . ويأمركم بصالح الدعاء في الصباح والمساء لدوام تأييد الدولة العلية العثمانية التي عليها مدار الإسلام ونصرتها على أعداء الدين من النصارى الملاعين والأعجام المرتدين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . في البدء والختام ، إنتهى .

فإذا نظرت الى ماذكرناه بعين الفهم تبين لك أن توقف بعض المنسوبين الى العلم من أهل العصر ومَن تبعه في جواز الرابطة لايعول عليه .

(الركن الثالث إغلاق الباب وقت الذكر) وهو وسيلة عظيمة لحفظ خاطر من التفرقة وجمع الحواس كلها . وهو من أهم الأركان عند السادة الخالدية النقشبندية . وستدّهم في ماذكره العارف الشعراني قدس سره في "النفحات" . روى الطبراني والإمام أحمد والبخاري وغيرهم بإسناد حسن أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان يوماً يجتمع مع أصحابه ، فقال : " هل فيكم غريب -يعني أهل الكتاب- قالوا لا يارسول الله . فأمر بغلاق الباب وقال صلى الله عليه وسلم : ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله " . قال شداد بن أوس فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا لا إله إلا الله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنك لاتخلف الميعاد " . ثم قال عليه الصلاة والسلام : " ألا فأبشروا فإن الله قد غفر لكم " ، ثم قال وإنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بغلاق الباب في تلقيه جماعة أصحابه كما تقدم وقال " هل فيكم غريب " لينبئ على أن طريق القوم مبنية على السر وبقاء الوقت من حضور من ليس منهم ولا يؤمن بطريقهم ، فربما استهزأ به فمقتته الله عز وجل . ذكره سيدي الجد في " البيهجة السنية "

وفي "الرشحات" . قال سيدنا عبيدالله أحرار قدس سره العزيز في معنى قولهم " صحبة الأضداد موجبة للترقية " : وجد أبو يزيد رضي الله عنه يوماً تفرقة ، فقال لأصحابه أنظروا هل في مجلسي أجنبي . فنظروا فما وجدوا أحداً . فقال أمعنوا النظر فإنه لو لم يكن لما حصلت لي التفرقة . فلما بالغوا في التفثيش وجدوا عصاً لرجل أجنبي فرموا فعاتت له جمعيته . ودخل رجل من أصحاب سيدنا عبيدالله أحرار عليه ، فقال إني أجد رائحة أجنبي ، ثم قال للرجل إني تحققت الآن إنها منك فلعلك لابس ثوب أجنبي . فقال له نعم . فخرج ونزح ذلك الثوب ثم عاد فجلس عنده نفعنا الله ببركاته . وما قيل إن الغوث الدهلوي مرشد حضرة مولانا خالد قدس سره لم يكن يأمر بغلاق الباب مردود بأنه إنما كان يقيم الأذكار النقشبندية في زاويته الخاصة به وبأصحابه ، لافي المسجد الجامع فيأمن من دخول أجنبي لحضرته . كما روي ذلك عن مولانا خالد . وعليه فما يفعله ذرية الإمام الرباني رضي الله عنهم وغيرهم في الحرم المكي وغيره من إقامة الأذكار والتوجه على رؤوس الأشهاد مغاير لأدابهم ، إذ لاتخلو النظارة من جاهل .

(أخبرني) الوالد الماجد أنه رأى من بعض الواقفين ما لايليق بشأن الطريقة العلية من السخرية . فيكون في غلق الباب سد للذريعة ودرء للمفسدة مقدّم على جلب المصلحة في أصول الشريعة . وبالكلام على ما في غلق الباب من الدقائق قد أغلقنا بحمده تعالى باب هذه الحقائق بعد تحسين تحصين كل الجهات بشوكة بركة توجهات من اشتملت عليه من السادات . راجين منه تبارك وتعالى أن يمنحها لدى أهلها قبولاً وإقبالاً ويحميها منت كل من ساء حالاً وقال :

واني لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميع الظن ما لله صانم

ومما يرى العجب في رجب من العجب لما صحت بياضاً قال تاريخها سنة ١٣٠٦ هـ (صحت ٥٠٦ في شهر ٥٠٥ رجب ٢٠٥) . اللهم إنا نتوسل اليك بحرمة هؤلاء الكرام لديك أن لاتجعل همنا إلا أنت ولا تدلنا إلا عليك :

وعليماً كيف كشف الكرب  
ورحيماً بالمسيء المذنب  
غير وافي فضله من سبب  
سيد الخلق النبي العربي  
كل من يمه لم يجب  
والشرفنا والكتب  
عندك اللهم أسنى الرتب

ياحليماً عند فرط الغضب  
وحكيماً نفذت أحكامه  
وكريماً ما لإكراماته  
قد توسلت بجاه المصطفى  
رحمة الأمة والغوث الذي  
وبجاه الأنبياء والرسد والأوليا  
وبجاه كل ذي جاه له

لاتعاملني بأعمالي التي  
فذنوبي من ذنوبي ويلها  
وحمّنتني ذلة الرّلة عن  
وأعني وأعفّ عني وأهدني  
حاش بحر العفو أن يمنعي  
وارحم اللهم ضعفي ليس لي  
وأبدل الضرّاء بالسرّاء لي  
وتفضّل واكفني ماأشتكي

فرطت مني بسوء الأدب  
ملنت جهلاً لعقد الكُرب  
لذة الخوف من المنقلب  
وإغفر اللهم لي وإستجب  
قطرة من غيثه المنسكب  
قوة في حمل تلك النوب  
كرماً ولطفاً بأبي وأبي  
ياحليماً عند فرط الغضب

متخذين ذلك وسيلة جلييلة لأداء فريضة إهداء صلوات الصلاة وتسنيم التسليم الى مقام صفي الأنبياء  
ونبي الأصفياء ، من ناك بختم رسالة النبوة أشرف الأمال من أسنى معارج المعالي وأسمى مراتب الكمال  
وأله وصحبه خير صحبٍ وأل ، والحمد لله على الهداية في البداية والنهاية ، ثم الحمد لله على العناية في  
النهاية .

### عز

حمداً لمن نور البصائر وأحيا معالم الطريق بعد درسها ببقية الصالحين والصلاة والسلام على من  
سطعت شمس معارفه على القلوب ، فعكفت في مساجد المشاهدة حتى وصلت لعالم الغيوب وعلى آله  
خلاصة أهل العرفان وأصحابه السابقين الى مقام الإحسان .

أما بعد ، فقد تم طبع كتاب "الحقائق الوردية في حقائق أجلاء السادة النقشبندية" تأليف الكامل الذي  
لايجارى في مضمار ، والعالم الذي ما برح صدره محلاً للأسرار ، المتحقق بالحقائق العرفانية والمتخلّف  
بالرقائق الرحمانية ، منتهي الأمال والأمانى الفاضل الشيخ عبدالمجيد بن محمد بن محمد بن عبدالله  
الخاني ، عمّر الله الوقت بحياته وأفاض عليه وابل كرمه وهباته . لعمري إنه لكتاب يفوق عند سماعه رنات  
المثاني والمثالث وينبّه الفكرة من نومها في ليالي الحوادث ، تفجّرت عن ينانيم الحكمة أنهاره وفاضت  
بعوارف المعارف بحاره . فياحبذا نوره الباهر وجماله الزاهي الظاهر ، كيف لا وهو في تراجم سادات رجال  
الطريقة النقشبندية ذوي المقامات العالية والأسرار الملوكوتية . من لهم اليد البيضاء في علوم الواردات  
والبام الطويل في التصرفات النافذات رضي الله تعالى عن سلفهم وبارك لنا في خلفهم . وكان لطف هذا  
الطبع وشرف ذلك الوضع بسعي ذي همّة السنية والمراتب الجلييلة العلية أمير الأمراء الكرام وعظيم  
الكبرياء الفخماء ، الرافل في أثواب السعادة المتسربل بثياب الفضل والسيادة ، من علّت منزلة مجده في  
سما الإرتقاء وارتفعت ، الشهم الهمام سعادة أحمد باشا طلعت لازلت خيراته ومسايعه في مصالح العباد  
مشكورة ومبراته وصلاته واصله مأثورة . وأسفر بدر التمام وفام مسك الختام بدار الطباعة العامرة التي  
هي للمقطب الدردير مجاورة . المملوكة لذي الصفا والوفا حضرة محمد أفندي مصطفى في أواسط شهر  
الله المحرم سنة ١٣٠٨هـ من هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

### عز

## ترجمة المؤلف

هو حبور أبحار الإجتهاد الأمجاد وسرور أسرار فؤاد أولي الإرشاد ، وطور أظوار ذوي الإنشاء حتى تناولت اليه من كافة الأمصار الأبصار . وقترت به من العلماء العيون وأقرت له بالتفتن في أحسن الفنون ، الى مكارم أخلاق عالية وطيب أعراق غالية ، إذ تفرع عن جدّين أمجدين وليّين كاملين مرشدين ، وولده القطب الرفاعي (رضي الله تعالى عنه) مرتين . فهو عالم الأدباء وأديب العلماء الصوفي العفيف والشاب الظريف الثاني الشيخ عبدالمجيد بن محمد بن محمد بن عبدالله الخاني الخالدي النقشبندي ، أكرم به من قمر أشرف في سماء الفضائل وأنجز للأواخر ما عجز الأوائل .

(تولّد) هذا القمر شهر الخير صفر عام ثلاث وستين ومائتين وألف . وقد تقنّع بالنجابة وتبرقع باللطف ونشأ في مهد جده مهدي زمانه المجمع على ولايته ورفعة شأنه . وارتضم من ثدي بركاته ملء إمكانه حتى إذا تكلم سلمه جده المكرّم الى العبد الصالح والمرشد الفالح أحد كرام خلفائه الشيخ علي الحذوري الحمصي لإقرائه . فلما أتم الكتاب المجيد جدّ جده في تدويقه علم التجويد مع صرفه لتعلّم الإنشاء والكتابة ، ففي أيسر من أدرك منهما أراه . ثم شمر عن ساعد جدّه وابتدر لتحصيل العلم عند جدّه قدّس سرّه . فأخذ عنه طرفاً من النحو والفقه والتفسير ومصطلح الحديث والفتوحات والجامع الصغير . ولقنه الذكر قبل بلوغه السن بسنين وكان له به اختصاص وعليه منه نظر خاص مكيت .

ولازم في المعقول والمنقول علامة عصره ومحقّق مصره الشيخ محمد الطندتائي الأزهري وسمع منه في حضور العارف بالله تعالى الأمير عبدالقادر الحسني الجزائري أكثر الفتوحات المكية اتلمصحة على نسخة المؤلف الكائنة في مدينة (قونيه) . كما سمع من الأمير المشار اليه أكثر صحيح البخاري في دار حديث دمشق الشام بروايته له عن أبيه عن جده السيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس وحضر عند صوفي زمانه وعلامة أقرانه والده الماجد داماد حضرة مولانا خالد أكبر الدروس ، لاسيما أكثر كتب الحديث الستة بسنده الهندي الخالدي والدمشقي الكزبري . وأهم كتب حقائق الصوفية كاصطلاحات العارف القاشاني ومواقف الأمير وشرح فصوص الحكم حتى تضلّم من التصوّف الأكبري .

(وله) في فن الأدب اليد الطولى والرتبة السامية الأولى . ولقد رأيت بديع ديوانه وإطلعت على بكرة وعوانه ، فوجدته بما يبهز العقول معموراً قد ملأ درّه دراً منظوماً لؤلؤاً منثوراً . وهو من تواضعه وعلو مطالعه يكاد ينفيه أو يخفيه عن مطالعه .

(أما النظم) فقد استسهل أصعب مراقبه واستقرب أبعد مراميه حتى ظفر بتراقيه بذكاء ذكاء عانق به عنقاء المرقص والمطرب ، وما أغرب من عانق وهو بالمشرق عنقاء مغرب ، لاسيما نوعي التطريز والتاريخ . فإنه ينظم القصيدة الطويلة وكل شطر منها تاريخ وكثيراً مايؤرخ بالحروف المعجمة وبالبيات المطرزة في كل كلمة . فما أحفظه من قصائده التاريخية قصيدته الدالية التي أرخ فيها بالحروف الجهرية مباركاً العام الجديد لسكان الجنات السلطان عبدالعزيز خان ومطلعها :

بالتهاني أشرف العام الجديد منبئاً عن موسم البشر السعيد (سنة ١٢٨٩ هـ)

ومن ذلك قصيدته الرائية المؤرخة في كل شطر بارك بها لسمو خديوي مصر بمسند الخديوية ومطلعها :



وما أرتق ما قال منها :  
اللفظ في أرجاء مصر يشير (١٢٩٦هـ) إني بتوفيق العزيز بشير (١٢٩٦هـ)

ومنت القصائد الحماسية تصيدته البهية البائية ومطلعها :  
دانت إليه الأصفية منصباً (١٢٩٦هـ) ودنا سروراً منبراً وسروراً (١٢٩٦هـ)

وما الكون إلا شاعر وصفاتنا  
تجلّى من العلم الإلهي كواكبه  
لنا وبنا سارت إلينا موابكه  
مشاركته تشدو بها مغاربه  
وما أعلى ما قال منها :

ومن ذلك تصيدته الغراء الرائية ومطلعها :  
توهم أهل الجهل إدراك شأونا  
وهب أنهم قد أمطروا منه قطرة  
فمن ناك هذا الفضل تسمو مراتبه  
فمن بعدما إنهلّت علينا سجاائبه

ومن غزلياته وحسن إقتباساته :  
نحن الملوك على الأسرة  
من سام في ساحاتنا  
أو غاب عن غاباتنا  
في دولة الفخر المسرة  
نحني من الأغيار سره  
حرم الحماسة من المعرة

ومن موشحاته وطيب رشحاته :  
أما وليد من ذوائبها عشر  
وما كتبت بالمسك في وجناتها  
وسين جبين فوق نون حواجب  
ومانقثت بالسحر من لحظاتها  
إذا كان من أهواه عني راضياً  
فلا رضيت عن الأنام إلى الحشر

سالم الله غزلاً سألما  
وفم أتقنه الله فمما  
ربرب ربى في وادي زرود  
لوراه البدر يهوي للسجود  
ذو محياً خاله فوق الخدود  
كل من علمه منم اللما  
ماله من مشبه نفسي وما  
بعميون كحلت بالنعس  
فيه عيب غير طيب اللعس  
ما لوى الجيد إلى ماء اللوا  
وهو لا يعلم ما معنى الهوى  
ملك الزنج على العرش استوى  
جاهل قدر حياة الأنفس  
لي فداك الرضاب الأنفس

ومن مقطعاته ما كتب إلى أحد الفضلاء الكرام وقد ذهب إلى بيت المقدس ووعد بالعودة إلى دمشق الشام :

أسرت بأية الإسراء عبداً  
وما قالوا له إيه إذا ما  
تلهي بالعمود إذا تلاها  
تحدثت عنك إلا قال أها  
ومن ذلك وقد عارض صاحب "العقد الفريد" في قوله :  
إن يوم الفراق أظلم يوم  
ليتني مت قبل يوم الفراق

فقال :  
من تمنى الممات قبل الفراق  
ماله في شرع الهوى من خلاق

كيفما كان قد تصبّر حتى ذاق يوم الفراق بين الرفاق  
لو يكن صادف المحبة مثلي مات خوفاً من ذكر يوم الفراق  
ومن تطريزه في كل كلمة ماكتبه الى رئيس كتاب ولاية سورية الجليّة :

سلام على أقمّار دهر ترى لهم وضاءة حسن ساطم يوم نلّمح  
حرقت لهم مستعطفاً يوم أقبلوا فؤادي نداءً دائماً يتفـوّم  
ومن ذلك ماأنشده عند دخوله الى بيروت مقرضاً جرائدها السبع عام ثلاثمائة وألف فقال :  
ثمرات مقتطف الجنان بشيرها بلسان مصباح التقدم قائل  
ظك المعارف وارف في روض بيروت وحزب الفضل فيه قائل

وأما قصائده الكبار فقد كفل الإسفار عنها كبار الأسفار . ومن أدبه الذي لا يُحدّ أني لم أجد في كلامه هجاء لأحد . وأما النثر فلا يقدر قدره فكري . فما أنشأه سبعم مقامات قد أسند روايتها الى سعد بن بشير مع أبي حفص المصري . وأتى فيهنّ بمعانٍ جلت في ألباط حور الألفاظ محل الحور . فسحر بها من العقول الصحيحة ماسحراً إذا ربت برقتها على نسيمات السحر ، وربتها البلاغة بين النحر والسحر .

ومن لطائف نثره أنه سئل منه تقرّيب قصيدة لبعض الفضلاء في مدم الأمير المنوه بذكره . فلما نظر إليها كتب بديهة عليها ( قصيدة فريدة - أي سنة ٢٩٨ هـ ) فكان ما كتبه تاريخاً لإنشائها وتقرّيباً على حسن إنتشائها . وله تأليف مفيدة ورسائل بديعة عديدة منها هذه الحدايق الوردية في حقايق أجلاء النقشبندية ، إهتم لأجلها بتعلم اللغة الفارسية حتى أتم له إستكمال ترجمة أحوال أكثر السادة النقشبندية . وقد وقّفت لمطالعتها ووقفت على براعة ترتيبها وصناعتها . فوجدتها حلّة لم ينسج على منوالها ولم تمتد يد أحد غيره الى نوالها . فلا عجب إذا وقفت معه موقف الأدب وأنشدت في حق هذه الحدايق شذرة مما قاله حفظه اللهم قرظاً تأليف أحد أحبائه من الشعر الفائت :

راجعتها وأنا لها متشوّف ورجعتها وأنا لها متشوّف  
لايثنين على مؤلفها بها لكن به يُثني عليها المنصف  
حبر إذا أجرى يرام براعة سجدت لها خلف المعاني الأحرف  
طارت الى العاليا بلا بل فكره فغدت على عرش المرام ترفرف  
وأنت مطوّقة بطوق بلاغة يسمو على العقد الفريد ويشرف  
لازال طرف سعوده يجري بما يرجو وطرف كماله لايطرف

وبالجملة فهو في دمشق الشام شامة وجنة علمائها الأعلام وابتسام فم أدبائها البسام ، أدام الله تعالى تعاليه الى معارج المعارف الإلمية رافلاً بسوابغ النعم الضافية مجملاً بجاه أهل الله بالهمم الكافية .

بقلم الحقيير الفاني محي الدين أحمد الخاني

## الفهرست

٥	فاتحة الكتاب
٧	طليعة في بيان الطريق
٨	الرد على السويدي وتعريب أبيات ملا جامي
٩	تخلص
١٠	تمهيد في ذكر أسماء السلاسل النقشبنديّة الثلاثة
١٠	السلسلة الأولى المسماة بسلسلة الذهب
١٠	السلسلة الثانية العلوية
١٠	السلسلة الثالثة الصديقية
١٠	قصيدة نبوية وفيها أسماء سادات السلسلة الصديقية للمؤلف
١٢	إيقاظ
١٢	وصل في فصل
١٣	فصل في وصل
١٤	الرد على القائل بأن يد النقشبنديّة غير متصلة
١٥	ترجمة رجال السلسلة الأولى
١٦	نبذة في أحوال فخر العالم صلى الله عليه وسلم
١٦	الباب الأول في نسبه وسيرته
١٩	الباب الثاني في صفاته الظاهرة
٢٠	الباب الثالث في صفاته الباطنة
٢٣	الباب الرابع في معجزاته
٢٤	الباب الخامس في خصائصه
٢٥	الباب السادس في كلامه
٢٨	الباب السابع في ذكر شيء من أديعته
٣٠	الباب الثامن في وفاته
٣٠	قصيدة نبوية للمؤلف
٣٣	قصيدة نبوية ثانية للمؤلف
٣٤	قصيدة نبوية ثالثة للمؤلف
٣٥	سيدنا علي بن أبي طالب

٤٤	الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب
٤٩	الإمام زين العابدين
٥٠	قصيدة الفرزدق
٥٢	الإمام الباقر
٥٤	الإمام جعفر الصادق
٥٨	الإمام موسى الكاظم
٦٠	الإمام عليّ الرضا
٦٢	سيدنا معروف الكرخي
٦٤	الإمام السريّ السقطي
٦٦	قصة (تحفة) الجارية
٧٤	فصل الإيثار
٨١	الجنيد البغدادي
٩٥	أبو علي أحمد الرودباري
٩٨	أبو علي الكاتب
٩٩	أبو عثمان المغربي
١٠١	أبو القاسم الكركاني
١٠٢	أبو علي الفارمدي
١٠٤	السلسلة الثانية العلوية
١٠٥	سيد الأمم صلى الله عليه وسلم
١٠٥	قصيدة نبوية للمؤلف
١٠٧	الإمام علي بن أبي طالب
١٠٨	سيدنا الحسن البصري
١١١	كتابه الى سيدنا عمر بن عبدالعزيز
١١٦	سيدنا حبيب العجمي
١١٩	سيدنا داود الطائي
١٢٥	سيدنا معروف الكرخي
١٢٦	السلسلة الثالثة الصديقية
١٢٨	سيدنا أبو بكر الصديق
١٣٠	قصيدة في مدح الصديق للمؤلف

١٣٣	..... سيدنا سلمان الفارسي
١٣٩	..... سيدنا القاسم حفيد الصديق
١٤١	..... سيدنا جعفر الصادق
١٤٢	..... سيدنا أبو يزيد البسطامي
١٥٢	..... سيدنا أبو الحسن الخرقاني
١٥٤	..... سيدنا أبو علي الفارمدي
١٥٥	..... سيدنا يوسف الهمداني
١٥٥	..... بشارته للغوث الكيلاني
١٥٧	..... خلفاؤه وخلفاءه
١٦٠	..... سيدنا الشيخ عبدالحالق الغجدواني
١٦٠	..... إستطراد في بيان معنى الخواجگان
١٦١	..... تعريب الكلمات الفارسية الإحدى عشر التي قالها في قواعد الطريق
١٦٨	..... خلفاؤه وخلفاءه
١٧٠	..... الشيخ عارف الربوگري
١٧١	..... الشيخ محمود الإنجیرفغنوي
١٧١	..... خلفاؤه
١٧٢	..... الشيخ علي الراميتني
١٧٦	..... الشيخ محمد بابا السماسي
١٧٧	..... الشيخ أمير كلال
١٧٨	..... أنجاله الأنجاب
١٧٩	..... خلفاؤه الكرام
١٨٠	..... الغوث الأعظم شاه نقشبند
١٨٠	..... بداية هدايته وهداية بدايته
١٨١	..... إجهاداته ومجاهداته
١٨٣	..... إفصاح
١٨٦	..... بيّنات آياته وآيات بيّناته
١٩١	..... أحوال كماله وكمال أحواله
١٩٣	..... كراماته وإكراماته
١٩٨	..... ندارة حاله عند إرتحاله

٢٠٠	.....	الشيخ محمد يارسا
٢٠٤	.....	الشيخ علاء الدين العطار
٢١٤	.....	يوسف ضياء الدين الجامي
٢١٤	.....	محمد الروجي
٢١٥	.....	شهاب الدين الپرجندي
٢١٥	.....	علاء الدين المكتيدار
٢١٧	.....	الشيخ يعقوب الجرخي
٢١٩	.....	الشيخ عبيدالله أحرار
٢١٩	.....	بداية حاله في حال بدايته
٢٢١	.....	من نحلته في رحلته
٢٢٢	.....	من تفرد في تجرده
٢٢٣	.....	من إخفاء أحواله في إيماء أمواله
٢٢٣	.....	من رأفته العامة للخاصة والعامة
٢٢٤	.....	من آثاره في إشاره
٢٢٤	.....	من كراماته في كلماته
٢٢٧	.....	من آدابه لأصحابه
٢٢٩	.....	بوارقه وخوارقه
٢٣٣	.....	أنجاله
٢٣٤	.....	أصحابه
٢٤٢	.....	الشيخ محمد الزاهد القاضي السمرقندي
٢٤٥	.....	الدرويش محمد السمرقندي
٢٤٥	.....	محمد الخواكي الأمكنكي
٢٤٦	.....	محمد الباقي
٢٤٧	.....	الإمام الرباني أحمد الفاروقي السهرندي
٢٤٧	.....	عنوان شأنه وشأن عنوانه
٢٤٨	.....	سعود وجوده ووجود سعوده
٢٤٩	.....	سلوك الملوك وملوك السلوك
٢٥٠	.....	بروج عروجه وعروج بروج
٢٥٠	.....	إكراماته وكراماته

٢٥١	.....	محنة المنحة ومنحة المحنة
٢٥٢	.....	نفحة من طيب عطره
٢٦٢	.....	الشيخ محمد المعصوم العروة الوثقى
٢٦٢	.....	نبذة من تفصيل أحواله وجميل أقواله
٢٧٢	.....	الشيخ سيف الدين الفاروقي
٢٧٤	.....	الشيخ نورمحمد البداوني
٢٧٦	.....	الشيخ حبيب الله جان جانان مظهر
٢٨٠	.....	تفصيل أحواله وقت إنتقاله
٢٨٦	.....	الشيخ عبدالله الدهلوي
٢٨٦	.....	شذرة من خبره وذرة من أثره
٢٨٩	.....	من كلمات كمالاته وكمالات كلماته
٢٩٢	.....	من معاليه في مرآتيه
٢٩٣	.....	شذرة من كراماته وخوارق عاداته
٢٩٦	.....	أحوال إنتقاله وإنتقال أحواله
٣٠٣	.....	حضرة مولانا خالد
٣٠٣	.....	قصيدة للمؤلف بمدحه
٣٠٣	.....	بدو صلاحه ونمو إصلاحه
٣٠٥	.....	رحلته الحجازية
٣٠٦	.....	رحلته الهندية
٣٠٧	.....	قصيدة له في مدح القطب الدهلوي
٣١١	.....	فساد الحساد (معروف البرزنجي)
٣١٥	.....	عوداً على بدء
٣١٥	.....	قصيدة عثمان بن سند النجدي
٣١٧	.....	قصيدة ثانية له
٣١٩	.....	مقامة لمؤلف الأساور العسجدية
٣٢٥	.....	قصيدة الشيخ محمد الجملة الخلوتي في مدحه
٣٢٩	.....	خروجه الى الحج وقصيدة مباركة له بالحج
٣٣٢	.....	قصائد في رثائه
٣٣٦	.....	من مكتوباته في تأديباته لإخوانه

٣٤٠	..... مؤلفاته
٣٤٠	..... كراماته وإكراماته
٣٤٢	..... أنجاله المكرّمون
٣٤٣	..... خلفاؤه
٣٤٥	..... الشيخ إسماعيل الاناراني
٣٤٦	..... الشيخ محمد الخاني
٣٦٤	..... الشيخ محمد بن محمد الخاني
٣٨١	..... ختام الكلام بكلام الختام
٣٩٠	..... قصيدة للمؤلف بالإستغاثة بخاتم الأنبياء
٣٩٢	..... ترجمة المؤلف
٣٩٥	..... الفهرست